

شرح
مقامات الحريري البصري

للامام الأديب الشيخ العلامة

ابى العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى

المتوفى ٦٢٠ هـ — ١٢٢٢ م

أشرف على نشره وطبعه وتصحيحه

محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف

الجـــزء الثالث

الطبعة الاولى

١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد أحمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨

للمراسلات : مصر — صندوق بوستة الغورية رقم ١٢٧



والحمد لله والصلاة والسلام على نبيه الذى اصطفى

المقامة الرابعة والعشرون القطيعة

حكى الحارثُ بن همام قال : عَاشَرتُ بِقَطِيعَةِ الرَّبيع ، فِتيَةً وجوهُهُم أَبلجُ مِنْ أَنوارِهِ وأَخلاقُهم أَبهجُ من أَزهارِه ، وأَلفاظُهُمْ أَرقُّ مِنْ نَسيمِ أَسحَارِهِ ، فَاجتَلَيتُ منهم مَا يَزري على الرَّبيع الزَّاهر ويُغني عَنْ رَنَّاتِ المَزَاهر ، وَكُنَّا تَقَاسَمْنَا عَلَى حِفظِ الوِدَادِ ، وحَظرِ الاستِبدَادِ ، وَأَنْ لا يَتفرَّدَ أَحَدُنَا بِالتِذَاذ ، وَلاَ يَستأْثِرَ وَلو بِرَذَاذ ، فَأَجمَعْنَا في يَومٍ سَمَا دَجنُه، وَنَمَا حُسنُهُ ، وحَكَم بِالاصطِبَاحِ مُزْنُه على أَنْ نَلتَهِيَ بِالخُرُوجِ إلى بَعْضِ المُرُوجِ ، لِنُسَرِّحَ النَّوَاظِر ، فى الرِّيَاضِ النَّوَاضِر ، ونَصقُلَ الخَوَاطِرَ ، بِشَيمِ المَوَاطِر ، فَبرزنَا ونَحنُ

(عاشرت) صاحبت (قطيعة الربيع) بلد معروف والربيع حاجب المنصور ومولاه وهو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن ابى فروة وكان أقطعه المنصور بلدا بالعراق فبناه وبنى الناس معه حتى صار فيه عمارات كثيرة وهى محلة قريبة من كرخ بغداد فى أعلى غربية بغدادفنسبت الى الربيع (ابان) وقت (الربيع) فصل النوار (أبلج) أحسن لونا وأنعم (أنواره) ازهاره ونوز النبات وأنور صار فيه النور (أبهج) أحسن لونا والبهجة حسن اللون (نسيم) السحر ريحه اللينة الباردة وفى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للجنة كل يوم طيبى لأهلك فتزداد طيبا فلذلك البرد الذى تجده الناس بسحر ذلك اليوم وقال ابن عمار فى نسيم السحر على الرياض فاحسن :

ويوم لنا بالسد بين معاطف ... من النهر تنساب انسياب الاراقم
بحيث اتخذنا الروض جارا يزورنا ... هداياه فى ايدى الرياح النواسم
يبلغنا أنفاسه فيردها ... بأعطر أنفاس وأذكى النسائم
تسير علينا ثم عنا كأنها ... حواسد تمشى بيننا بالنمائم

(اجتليت) نظرت (يزرى) يقصر وتقول زريت عليه اذا عبت عليه ما فعل وأزريت به قصرت (الزاهر) الناعم (رنات) أصوات (المزاهر) عيدان الغناء (تقاسمنا) تحالفنا (حظر) منع (الاستبداد) الانفراد بالشىء (يستأثر) يختص (رذاذ) أقل المطر أى اتفقوا أن لا ينفرد واحد بشىء دون أصحابه (أجمعنا) عزمنا (سما دجنه) ارتفع سحابه (نما) زاد (الاصطباح) شرب الخمر بالسحر (مزنه) مطره وفى مثل بكورهم يقول عبد الجبار الصقلى :

بادر الى اللذات واركب لها ... سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى ... ريق الغوادى من ثغور الاقاح

(نلتهى) نتسلى ونتفرج (المروج) المواضع المنخفضة الخصيبة واحدها مرج وسمى مرجا لان البهائم تمرج فيه أى تسيب (نسرح) نسيب (النواظر) العيون وبالضاد نواعم الازهار (الخواطر) الاذهان (شيم المواطر) نظر السحاب (برزنا) خرجنا وجعل خروجهم فى السحر لأن أول النهار أحد أوقات الشرب فقال أول النهار ألا

كالشهورِ عِدَّة ؛ وكَنَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ مَوَدَّة

ترى الدواء يبكر به والمسافر يدلج لحاجته لأن العقول أول النهار أذكى والفطن أصح وقال العطوى .

قبح الله أول الناس سن الشـ ـرب ظهرا ماذا أتى من خسار
مجلس مونق وكأس وندما ن وتأخيرها إلى الاظهار
نكتة فى السرور بادية الشـ ـين لأهل العقول والإبصار
إن شرب النبيذ سير الى اللو وخير المسير صدر النهار
ما رأينا لنشوة الصبح شكلا كنديم مساعد وعقار
وغناء يفت فى عضد الحلـ ـم ويزرى على النهى والوقار
أحاديث فى خلال الأغانى كانفتاح الرياض غب النهار

وبعضهم يمدح الغبوق ويذم الصبوح وابن المعتز ممن يذهب إلى ذلك (كندمانى جذيمة) أى صاحبيه على الخمر واسمهما مالك وعقيل وجذيمة بن مالك بن تيم الازدى وكان ملك أيام الطوائف بشاطىء الفرات وما والى ذلك إلى السواد ستين سنة ، قال ابن الكلبى جذيمة أول من ملك قضاعة بالحيرة وأول من حد النعال وأدلج من الملوك ورفع له الشمع وكان من أفضل ملوك العرب رأيا وأظهرهم حزما وهو وأول من استجمع الملك له بأرض العراق وغزا بالجيوش وكان به برص فكنت العرب عن البرص اعظاما فقلت له جذيمة الوضاح وجذيمة الأبرش وكان غزا طسما وجديسا فى منازلهم فصادف حسان بن تبع قد أغار عليهما فانصرف جذيمة
وجذيمة الأبرش وكان غزا طسما وجديسا فى منازلهم فصادف حسان بن تبع قد أغار عليهما فانصرف جذيمة
وصادفت خيول تبع سرية له فقتلوهم فبلغ الخبر جذيمة فقال :

ربما أوفيت فى علم ترفعن ثوبى شمالات فى فنون أنت كالوهم
من بلايا غزوة ماتوا ليت شعرت ما أماتهم نحن أسرينا وهم باتوا

وكان جذيمة قد تنبأ وتكهن واتخذ صنمين وسماهما الضيزنين ومكانهما بالحيرة معروف وغزا ايادا بعين اباغ فبعثوا قوما منهم سرقوا الضيزنين وأصبحوا بهما فى اياد فأرسلوا اليه أن صنميك أصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا فاعطنا عهدا لا تغزونا ونردهما اليك ففعل وكان بلغه أن غلاما من لخم يسمى عدى بن نصر مقيم فى اخواله من اياد وله ظرف ولب وأنه حرى أن ينادم الملك ويقوم بمجلسه فاشترط على اياد أن يبعثوا مع الصنمين بعدى بن نصر وكان له جمال وظرف فدفعوه اليه معهما فضمه إلى نفسه وكان ينادمه ويسقيه فتعشقته رقاش أخت جذيمة فبعثت اليه إذا سقيت أخى واستنشى فاخطبنى لك وأشهد عليه ففعل فلما طرب جزيمة خطبها فأنعم عليه وأشهد عليه فقال له عرس باهلك ففعل فلما أصبح غدا على جذيمة مضرجا بالطيب فقال له ما هذه الآثار فقال آثار العرس قال وأى عرس قال عرس رقاش فاكب جديمة على الأرض وفزع عدى وطلبه جذيمة فلم يدركه وقيل ظفر به وقال لرقاش :

حدثينى رقاش لاتكذبينى أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبد أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت له : أنت زوجتنى وماكنت أدرى فأتانى النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا وتماديك فى الصبا والمجون

فحبسها فى قصرها فاشتملت على حمل فأتت بغلام وسمته عمرا وربته حتى ترعرع فحملته وعطرته وألبسته كسوة مثله ثم أزارته خاله فأعجب به وألقيت عليه محبته وخرج جذيمة فى سنة قد أكمأت وبسط له فى روضة وعمرو مع غلمة يجتنون الكماه فكانوا إذا أصابوا كمأة طيبة أكلوها وإذا أصابها عمرو خبأها ثم أقبلوا يتعاودون وعمرو يقدمهم يقول :

هذا جناى وخياره فيه إذا كل جان يده إلى فيه

فالتزمه جذيمة وحل منه بمكان ثم ان الجن استهوته فطلب زمانا وأرسل فيه فى الأفاق فلم يجد له خبرا ثم إن عمرا أوفى على مالك وعقيل ابنى فارج بن مالك بن كعب بن القيس بن حمير بن قضاعة وقد نزلا منزلا وهما متوجهان إلى خاله جذيمة ومعهما قينة يقال لها أم عمرو وهى تغنيهما وتسقيهما فرأت عمرا وقد تلبد شعره وطالت أظفاره وساءت حاله فاحتقرته فرمت اليه بكراع من طعامهما وناولتهما وأوكأت زقها ولم تناول عمرا شيئا فقال لها عمرو :

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا
فما شرب الشراب كمثل عمرو وما نال المكارم فاصبحينا
فإلا تنكرى عمرا فانى أنا ابن عدى حقا فاعرفينا
وخالى لا أبا لك ذو المعالى جذيمة كيف ويحك تنكرينا

فقالا له من أنت يافتى ، قال أنا عمرو بن عدى ، فضماه اليهما وغسلا رأسه وأخـــذا من شعره وقلما أظفاره وألبساه بعض الثياب التى كانت معهما وقالا ماكنا نهدى جذيمة أنفس من ابن أخته ثم وردا به على جذيمة فسر به سرورا شديدا وقال لهما تمنيا فسألاه أن يكونا نديميه ماعاش وعاشا فنادماه أربعين سنة ماأعادا عليه حديثا فضرب بهما المثل فى تأكيد الالفة ؛ وقال مالك بن نويرة فى مالك :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وتمثلت بهما عائشة رضى الله عنها عند قبر أخيها عبد الرحمن وقال أبو خراش الهذلى يرثى أخاه :

تقول أراه بعد عروة لاهيا وذلك رزء لو علمت جليل
فلا تحسبى أن قد تناسيت عهده ولكن صبرى يا أميم جميل
ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

وغزا جذيمة عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة السميذع العمليق من العماليق ومنهم قوم من حمير وكان ملك الجزيرة وملك الحضر وهى مدينة قديمة بين دجلة والفرات فهزم جذيمة جيوش عمرو وقتله وفرق جموعه وقال فى ذلك شاعرهم :

كأن عمرو بن برقا لم يكن ملكا ولم تكن تحته الرايات تختفق

لاقى جذيمة فى شعواء مشعلة   فيها حراشف بالنيران ترتشق

فملكت بعده الزباء ابنته واسمها نائلة ، قال ابن الكلبي ولم يكن فى عصره الزباء أجمل منها جمالا وأكمل منها كمالا وكان لها شعر إذا مشت يتدلى وراءها وإذا نشرته جللها فسميت الزباء لكثرة شعرها فجمعت خيل أبيها وغزت بالجيوش من حوالها من الملوك فذللتهم فضرب بها المثل فقيل أعز من الزباء واشتهر عنا علو الهمة وسمو القدر وقوة المنعة ومضاء العزم وبذل الاموال فلما استحكم ملكها أرادت أن تغزو جذيمة لتدرك فيه ثار أبيها فنهتها أختها زبيبة عن ذلك وقالت لاطاقة لك به ولكن ابنى أمرك فيه على المكر والحيل فبعثت الى جذيمة تخطبه على نفسها ليتصل ملكه بملكها فيصيرا بذلك أعز الملوك وكان بلغه عن جمالها ما أطمعه فى الظفر بها فأخبر أرباب دولته بمخاطبتها إياه فكلهم أشار عليه أن يتزوجها الاقصير بن سعيد بن عمرو وكان لبيبا عاقلا له عزم وحزم وكان خازنه وعميد دولته فانه قال هذا رأى فاتر لان الزباء قتلت أباها والدم لاينام ولك فى بنات الملوك الأكفاء متسع فقال له الملك ان النفس الى ما تحب تواقة وان كان القدر قد جرى بشىء فلا مفر عنه وكتبت اليه الزباء تطلب منه قدومه عليها للنكاح وقالت له لولا أن السعى فى مثل هذا للرجال أجمل ولهم ألزم لسرت اليك وأهدت مع كتابها من العبيد والسلاح والاموال والذهب هدية سنية فلما وصلت أبهجته وحسب أن ذلك لفرط رغبتها فيه فشاور قومه وابن أخته عمرا فشجعوه على المسير اليها واستخلف عمرا على ملكه وسار فى خواصه حتى نزلوا بالفرضة فشاور خواصه وقصيرا فى الجملة وأشاروا عليه بالمسير إلا قصيرا فانه قال أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فآخره فساد ولو أن الامور تجرى على المقدور لعزمت على الملك ألا يفعل فقال جذيمة الرأى مع الجماعة فقال قصير أرى القدر سابق الحذر ولا يطاع لقصير رأى فلما قرب من ديارها أرسل اليها يعلمها بموضعه فأظهرت السرور به واخرجت له هدايا وأنواعا من الاطعمة والاشربة فقال لقصير كيف ترى فقال قصير من لم ينظر من العواقب لم يأمن المصائب فاستدرك الامر قبل فوته وارجع فان فى يدك بقية تستدرك بها الصواب وان كنت لا بد فاعلا فان القوم ان تلقوك غدا بجىء قوم ويذهب قوم فالامر فى يديك وان تلقوك صفين فاذا توسطتهم وأحدقوا بك فقد ملكوك وهذه العصا وهى فرس لجذيمة تستبق الطير فسأعرضها لك فاركبها لتسلم عليها فانه لا يسبق غبارها فأرسلها مثلا فلما كان غد لقوة صفين فلما توسطهم انقضوا عليه فقال لقصير صدقت فما الرأى فقال له قد تركت الرأى وهذه العصا اركبها فشغله الامر عنها فلما رأى قصير الجيوش تسير بجذيمة أعطى العصا عنانها فهوت به هوى الريح فتطاول اليه جذيمة ينظره فقال ويل له جذيمة فجرت به الى غروب الشمس قال الاصمعى رحمه الله تعالى لم تقف حتى جرت ثلاثين ميلا ثم وقفت فبالت فبنى على الموضع برج يسمى برج العصا وأشرفت الزباء من قصرها تنظر إلى جذيمة وهو يساق ، فقالت ما أحسنك من عروس يزف إلى فدخلوا به اليها وحولها ألف وصيفة لاتشبه واحدة صاحبتها فى خلق ولازى وهى بينهن كالقمر حفت به النجوم فأمرت بالانطاع فبسطت وقالت للوصائف خذن بيد سيدكن وبعل مولاتكن فأجلسنه على الانطاع ففعلن به ذلك ثم كشفت له عن شعرتها فرأى شعرها قد طال حتى عقدته من وراء ظهرها فقالت ياجذيمة أشوار ذات عروس قال بل شوار بظراء تفلة وأمر غدر قد بلغ المدى فقالت والله ماذاك من عدم المواسي ولكنها شيمة أناسى

ثم أمرت به فسقى الخمر حتى أخذت فيه وكانت الملوك لاتضرب الاعناق إلا فى الحرب ثم أمرت أن تقطع رواهشه وقالت تحفظن بدمه لأنه إن قطرت من دمه قطرة فى غير الطشت طلب بدمه فجرى دمه فى طشت ذهب فلما ضعفت يداه سقطتافقطرت على النطع من دمه قطرات فقالت لاتضيعوا دم الملوك فقال لهالايحزنك دم ضيعه أهله فذهبت مثلا ، فقالت إن دماء الملوك شفاء من الكلب ووالله ماوفى دمك ولاشفى قتلك ثم أمرت به فدفن ، وكان عمرو بن عمدى يخرج كل يوم لبعض الحيرة يستطلع أمر خاله فنظر يوما إلى فارس قد أقبل فأشرف عليهم قصير فقال له ماوراءك فقال له سعى القدر بالملك إلى حتفه فاطلب بثأره فقال عمرو وأى ثار يطلب من الزباء وهى أمنع من عقاب الجو فقال قصير والله لا أنام عن طلب دمه مالاح نجم فاجدع أنفى واضرب ظهرى ودعنى وإياها فقال عمرو ما أنت لذلك بأهل وقد علمت نصحك لخالى فقال خل عنى إذاًفجدع أنفه فلحق بالزباء فقيلت ماجاء بك فأشار بظهره وأنفه فقالت العرب لأمر ماجدع قصير أنفه فقالت ياقصير وبيننا دم خطير فقال يابنة الملوك العظام لاثار ولا قود ولقد أتيت فيه على ماياتى مثلك فى مثله وقد جئتك مستجيرا بك من عمرو فانه علم أنى أشرت على خاله بالمجىء اليك فجدع أنفى وأذنى وأوجع ظهرى وحال بينى وبين مالى وولدى فاستجرب بك لعلمى أنى لا أكون مع أحد أثقل عليه منك فقالت له أهلا وسهلا وكان يبلغها من رأيه وحزمه فاختصته وأنزلته واصطفته فلما وثقت به أخذت تستشيره فى أمورها فقال لها يوما إن عمرا يطلبك بخاله والرأى أن تتخذى نفقا لعلك تحتاجين اليه فقالت له إنى اتخذته تحت سريرى وخرجت به تحت سرير أختى وكان الفرات يشق بين قصريهما فأظهر لها السرور ثم قال لها إن لى بالعراق أموالا كثيرة تصلح بالملوك فان جهزتنى بمال للتجارة توصلت فيه إلى أخذ تلك الذخائر وننقلها اليك فجهزته فاحتال حتى وصل إلى عمرو فجهزه بطرف من الجواهر والخز والديباج والأسلحة فرجع بها فلما تحققت نصحه أرسلته إلى العراق ثالث سفره ليضرب لها بها عدة من السلاح ويشترى لها خيلا وعبيدا لتجهز جيشا إلى من حواليها من الملوك فمشى فيما أمرته به وتوصل إلى عمرو وقال قد أصبت الفرصة من الزباء فقال عمرو قل أسمع ومر أفعل فأنت طبيب هذه القرحة فقال الرجال والمال فقال حكمك فيما عندى مسلط فعمد إلى ألفى رجل من أهل القتال وجعلهم فى غرائر سود وجعل سلاحهم السيوف والجحف وجعل رؤوس الغرائر مربوطة من داخلها وجعل عمرا فى الحملة وساق الخيل والعبيد فلما قاربها بعث البشير بسلامة قصير وكل ما جاء به فسألت عن العير أين نزل فقيل لها بالغوير وكانت تنظره من غير طرق الغوير فقالت عسى الغوير أبؤسا وتقدم قصير فدخل عليها فبشرها فرقيت سطحا عاليا لتنظر مجىء الابل فنظرت قوائمها تسوخ فى الأرض لما عليها من الأثقال فقالت ياقصير :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا أم الرجال جثما قعودا

وكانت قالت لجواريها إنى أرى الموت الأحمر فى الغرائر السود فذهبت مثلا فدخلت الجمال بالمدينة فجس بواب بمخصرة فى يده غرارة على آخر بعير فأصابت المخصرة خاصرة رجل فضرط فصاح الشر الشر فأظهروا علامة كانت بينهم فخلوا رؤس الجوالق فخرج منها ألفا دارع بألفى سيف فصاحوا بالثار الملك المقتول غدرا

إلى حَدِيقَةٍ أَخَذَتْ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ،

وهربت الزباء تطلب النفق إلى تحت الفرات فسبق عمرو إلى بابه مع قصير وكانت صورة عمرو مصورة فى جانبها فعنـد ما رأته عرفته وكانت جعلت تحت فص خاتمها سم ساعة فمصت الفص وقالت بيدى لا بيد عمرو فسقطت وعمرو وقصيرة يضربانها بالسيف فماتت بين السم والسيف فاستباحوا بلدها بما فيه واستولى عمرو على مملكتها واتخذ عمرو الحيرة دار ملكه وتوارثها بنوه واحدا واحدا إلى النعمان بن المنذر وهوالذى أدرك زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم وقتله كسرى وهو آخرهم وكان مقتل والد الزباء عند بعث عيسى عليه السلام ، وقال ابن دريد :

وسيف عمرو أشعلته همته حتى رمى أبعد شأو المرتمى
فاستنزل الزباء قسراوهى من عقاب لوح الجو أعلى منتهى

(إلى حديقة أخذت زخرفها وازينت) نريد أن نصل باب الرياض والبساتين إذ هى جامعة ألوان لم تدخلها الصنعة ولم تمازجها الكلفة مع بديع أزهارها التى سماها الله سبحانه وتعالى زينة وزخرفا فقال تعالى حتى إذا أخذت الأرض زخرفهاوازينت ، وأن نجتنى فيه بعض ما قالت العرب ونقلته الرواة من الشعر المستحسن والتشبيه المشاكل فان جل النفوس مستأنسة به ونازعة اليه ومرتاحة لذكره ومشتاقة إلى زمانه ولا تكون الرياض مونقة والازهار مشرقة إلا فى اعتدال الزمان وجدة الأيام وهى إذا حلت الشمس فى برج الحمل كما قال الحسن:

أما ترى الشمس حلت الحملا وقام وزن الزمان واعتدلا
فاشرب على جدة الزمان وقد أصبح وجه الزمان مقتبلا
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمر حولها كملا

قال الأصمعى رحمه الله تعالى :سألت أعرابيا عن الغيث فقال عطلت الحياض وأشرقت الرياض وأخرجت الأرض زخرفها وأنبتت من كل زوج بهيج ، وقيل لأعرابى أى شىء رأيت أحسن فقال الاعرابى ظباء راتعة فى رياض يانعة والشمس طالعة ، وقيل لآخر صف لنا الربيع وأوجز فقال هو صديق النفس بريحانه وملك الطرف بريعانه مع أنه أشكل بالشبيبة وباعث الشهوة البعيدة ، وقال ابراهيم بن السدى خرجت أريد نزهة نهر الابلة مما يلى كاظمة تميم وقصر معبد حتى غورت فى مينى أتخيل الرياض وأجيل ناظرى فى ساقط الغيث حتى دفعت إلى اعرابى عند روضة غناء عميم نبتها زاهر نورها يطيف بها فقلت يا أعرابى أحسن عندك ما ترى فقال كلا والله سماء مظلة وأرض مقلة تضحك هذه عن بكاء هذه فما شئت من درة بيضاء وياقوتة حمراء وزمردة خضراء قد نظمتها أيدى المزن فى نحور الصعيد ... وقال يزيد بن ماهان الأوسى أتيت أرض السماوة فى أنف من الربيع وقد اكتهل النبت فلما جزت ساحة الحى دفعت إلى جوار كأنهن دمى العاج يمشين كقضيت البان وبين أيديهن روضة مشرقة وهن يطفن بها ويهبن الولوج فيها فقلت مالكن لا تلجن الروضة فهى أوطأ لأقدامكن وأقرب لأنارة أرجها من أنوفكن فقالت إحداهن أحرام عندك أن يطأ بعضنا خدود بعض قلت بلى والله قالت فوجه الأرض أحق بالتحريم أن يحصد أو يتوسد .. وبعث الحجاج إلى عبد الملك بجاريتين وكتب اليه هما عنـدى بمنزلة روضتين من رياض السماوة جاد الربيع أوله وآخره عليهما فأتم نبتهما ونور زهرهما

وحسن منظرهما وقد بعثت إلى أمير المؤمنين بهما مباركا له فيهما ... وقد ذكرت الشعراء الغيث والرياض بألفاظ مستحسنة ومعان مستظرفة وتمثيل رائع وتشبيه رائق يبعث السرور وينفى لوعة المحزون ويجلب أريحة الفتوة والشباب ، فنذكر هنا من محاسن أشعارها ولطائف مذاهبها فى ذلك مانرجو به أن يفى بالغرض الذى قصده وضمنه الحريرى فى صدر هذه المقامة ونوافقه ، ونشرح منزعها الشريف فى ذلك ونحققه ، إن شاء الله تعالى .. أنشد السيرا فى الخياط الحمه الله تعالى يصف روضة :

نضاخة تملأ العينين بهجتها ... فيحاء حفت بانواع الرياحين
فى ظل آس وجرجير ونرجسة ... وسوسن زان وردا بين نسرين
وكرمة ذات أعناب مذللة ... من كل أقطارها تحت الأفانين
شبهت فيها العناقيد التى بقيت ... أولاد زنجية فطس العرانين
فتارة من يواقيت منضدة ... وكالزبرجد فى بعض الأحايين
فعينها غدق وماؤها غبق ... وريحها ريح مسك الهند والصين
فيها زرابى قد بثت ملمعة ... يضحكن عن زهر أنواع البساتين

فعارضه حسن الكوفى فقال :

كأنها كاعب حسناء أبرزها ... عيد فلم تأل فى طيب وتزيين
تبرجت لتروق الناس بهجتها ... فالناس ما بين مبهوت ومفتون
والأيك مائلة الأغصان زائدة ... قد كسيت زخرفا حمر الأفانين
إذا الرخاء حرت فى نورها الفظت ... قراضة من حرير الرى والصين
كأنما البست أكمامها حللا ... من وشى اسكندر أو من نصيبين

وقال على بن الجهم :

لم يضحك الروض إلا حين أعجبه ... حسن النبات وصوت الطائر الغرد
بدا فأبدى لنا دنيا محاسنها ... وراحت الراح فى أثوابها الجدد
ماقبلت قضب الريحان طلعته ... إلا تبينت فيه ذلة الحسد
بين النديمين والخلين مسرعة ... وسيرت بيد موصولة بيد
فبادرته يد المشتاق تسنده ... إلى التراب والاحشاء والكبد
لاعذب الله إلا من يعذبه ... بمسمع بارد أو صاحب نكد

وقال البحترى :

سقى الغيث أكناف الحمى من محله ... إلى الحقف من رمل اللوى المتفاود
ولازال مخضرا من اللون يانع ... عليه بمحمر من النور حاشد
يذكرنا رؤية الأحبة كلما ... تنفس فى جنح من الليل بارد
شقاق يحملن الندى فكأنه ... دموع التصابى فى خدود الخرائد
ومن لؤلؤ كالأقوحان منظم ... على نكت مصغرة كالفرائد

وقال أيضاً
وكأن النسرين والأقحوان ا ... غض قضبان لؤلؤ وفريد
قطرات من السحاب وروض ... نثرت وردها على الخدود

وقال أيضاً :
وقد نبه النسرين فى غسق الدجى ... أوائل وردكن بالأمس نوما
ومن شجر رد الربيع لباسه ... عليه كما نشرت بردا منمنما

وقال الحسن بن وهب :
طلعت أوائل للربيع فبشرت ... نور الرياض بجدة وشباب
وغدا السحاب يكاد يسحب فى الثرى ... أذيال أسحم حالك الجلباب
يبكى فيضحك نورهن فياله ... ضحكا تحسر عن بكاء سحاب
وترى السماء إذا أجد ركابها ... فكأنما التحفت جناح غراب
وترى الغصون إذا الرياح تارجت ... ملتفة كتعانق الأحباب

ولأبى زرعة الدمشق :
وقد أخذت زهر الرياض حليها ... وألبست الأرض الفضاء الزخارف
لجين وعقيان يروق وجوهر ... تؤلفه ايدى الربيع اللطائف
تهادى التلاع الغور مسكا وعنبرا ... تؤديه أنفاس الرياح العواصف
كأن أباريق المدامة بينهما ... من المنظر الأعلى ظبأ رواعف

ولبكر بن حماد :
فسقيا لأيامنا الذاهبات ... لقد فارقتنا بصفو الهوى
وهـــذا الربيع وريعانه ... يجدد لى عهدا لها قد مضى
يذكرنى الورد حمر الخدود ... ولعس الشفاه إذا مابدا
وسوسنه صحن خد الفتاة ... إذا برزت لمحب أتى
ونشر الرياح رياح الحبيب ... تباعد موعده أودنا
يجود بها الطل وشى النبات ... وينظمه بلآلى النـــدى

ولمحمد بن يزيد :
وروضة صنف النور جوهرها ... فيها كما شئت من حسن ومن طيب
كأن ماتجتنيه من زخارفها ... إخلاف مستحسن الأخلاق محبوب
ما انفك للعين فيها أعين ذرف ... تبكى بدمع من الانواء مسحوب
حتى كأن أفانين النبات بها ... على الميادين ألوان اليعاسيب
كأن غدرانها بالروض محدقة ... تحبير ثوب من الوشى مخضوب

وقال كشاجم :
إلى الروض الذى قد زينته ... شآبيب السحائب بالبكاء
بكين عليه فابتهجت رباه ... تباهى فى زخارف نسج ماء
كان الأقحوان بجانبيه ... عذارى يبتسمن من الحياء

وقال ابن الرقاق :

وَتَنَوَّعَتْ أَزَاهِيرُها وَتَلَوَّنَتْ

وحدائق خضر المعاطف ألبست   من حسن بهجتها ثياب زبرجد
جرت عليه الشمس فضل ردائها   فيرى زبرجدهن تحت المسجد

وقال أيضاً: وروضة عاطر بنفسجها   عطرها وشبها وسندسها
لما غذته السحاب درتها   من فوق خوداتها ونرجسها
خاف عليه الغمام حادثه   فسل سيف البروق يحرسها

وقال أيضاً: نثر الورد فى الغدير وقد   دوجه بالهبوب فشر الرياح
مثل درع الكمى مزفها الطع   ن فسالت دماؤه بجراح

وقال أيضاً: وقزازة زرقاء راق صفاؤها   قد ضم زهر الجلنار رداؤها
فاعجب لراح كأسها من فضة   ما إن تسيل وقد يسيل إناؤها

ومن ملح الأدباء وما تصرفوا به فى الأنوار ما كتب به أبو دلف إلى ابن طاهر يعاتبه:

إخاؤكم كالورد ليس بدائم   ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وعهدى لكم كالآس حسنا وبهجة   له ورق خضر إذا فنى الورد

فأجابه ابن طاهر: أشبهت عهد الورد فيما تذمه   وهل زهرة إلا وسيدها الورد
إخاؤكم كالآس مرمذاقــه   وليس له فى الريح قبل ولا بعد

ولم يأت أحد بأخبث من تشبيه ابن الرومى فى ذم الورد:

كأنه سوم بغل حين أبرزه   بعد الخرابافى الاروات فى وسطه

وقال أبو الشيص: يامن تجــلى بريحان ينادمه   من بين ورد وخيرى ونسرين
وياسمين وعود ما يغيره   ما كان أحسن ذا لو لم يكن دونى

وقال أبو المعلى الطائى:

كأن عيون التنور زين بالندى   عيون تراسلن الدموع على عذلى

وقال أيضاً: ترى للندى فيه مجالا كأنما   نثرن عليه لؤلؤا فتبددا

(حديقة) أى بستان (زخرفها) أى زينتها (تنوعت أزاهيرها) أختلفت أنواع أدهارها... وهذه الحديقة التى ذكر من حسنها مثل البستان الذى دخله عروة بن الزبير مع عبد الملك بن مروان وكان عروة معرضا عن الدنيا فحين رأى فى البستان الوصف الذى ذكر الحريرى قال ما أحسن هذا البستان فقال له عبد الملك أنت والله أحسن منه لأنه يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتى أكلك كل يوم وكان عبد الملك يحب عروة ويعظمه على ما بين الزبيرية والمروانية من التباغض، وقال لابن شهاب حين وفد عليه عند من طلبت قال عند سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب فقال عبد الملك فأين أنت من عروة بن الزبير فانه بحر لا تكدره الدلاء، قال ابن شهاب فلم أبارح عروة بعد حتى مات ... وقال ابن وكيع فى وصف ماذكره الحريرى:

ألست ترى وشى الربيع تنمنما ... وما صنع الربعى فيه ونظما
وقد حكت الأرض السماء بنورها ... فلم أر فى التشبيه أيهما سما
فخضرتها كالجو فى حسن لونه ... وأنوارها تحكى لعينيك أنجما
فمن نرجس لما رأى حسن نفسه ... تداخله عجب به فتبسما
وأبدى على الورد الجنى تطاولا ... وأظهر غيظ الورد فى خده دما
وزهر شقيق نازع الورد فضله ... فزاد عليه الورد فضلا وقدما
فظل لفرط الحزن يلطم خده ... فأظهر فيه اللطم جمرا مضرما
ومن سوسن لما رأى الصبغ دونه ... على كل أنواع الرياض تقسما
تجلب من رزق اليواقيت حلة ... فأغرب فى الملبوس فيها وأحكما
وأنوار منثور يخالف شكلها ... فصار بها شكل الربيع منمنما
جواهر لو قد طال فيها حياتها ... رأيت بها كل الملوك مختما

وقال أبو بكر البلوى:

وروضة باطل الغيث ينسجها ... حتى إذا التحمت أضحى يدبجها
يبكى عليها بكاء الصب فارقه ... إلف فيضحكها طورا ويبهجها
إذا تنفس فيها ريح سوسنها ... وفاح مثل خزاماها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفى يده ... كأس كشعلة نار إذ يوهجها
لا تمزجنها بغير الريق منك فان ... تبخل بذاك فدمعى سوف يمزجها
أقل مابى من عينيك أن يدى ... إذا دنت نحو قلبى كاد ينضجها

وقال الوزير المهلبى:

الورد بين مضمخ ومضرج ... والزهر بين مكلل ومتوج
طلع النهار فلاح نور شقائق ... وبدت سطور الورد بين بنفسج
والثلج يهبط كالنثار فقم بنا ... نصبحك بابنة كرمة لم تمزج
فكأن يومك فى غلالة فضة ... والنبت من ذهب على فيروزج

وقال السرى:

وحديقة ينسيك وشى برودها ... حتى تشبهها سبائب عبقرى
يجرى النسيم خلالها فكأنما ... غمست فضول ردائها فى العنبر
طارت قلوب المحل تخفق بينها ... بحقوق رايات السحاب الممطر
طارت عقيقة برقه فكأنما ... صبغت بمسك فيه جا بمعصفر

وقال السلامى:

نسب الرياض إلى الغمام شريف ... ومحلها عند النسيم لطيف
أوما ترى طرز البروق توسطت ... انفا كان المزن فيه شنوف
واليوم من خجل الشقيق مضرج ... خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرس الرياض سطوره ... والزهر شكل بينها وحروف
فأدر سقيت الرى جامك إنه ... يوم على كبد الزمان خفيف

ومِنَا الكُمَيْتُ الشُّموس، وَالسُّقَاةُ الشُّموس ، والشَّادى الذى يُطرِبُ السَّامِعَ وَيُلهِيه ، ويَقْرِى كلُّ سَمْعٍ

(الكميت) يعنى الخمر (الشموس) التى فيها حدة (والشموس) السقاة الذين وجوههم كالشمس وللسلامى فى ذلك

وظبية من بنات الانس فى يدها ... ووجهها للصبا والحسن خاتام
قد جللت لؤلؤ الأزرار عن درر ... لهن فى ثغرها الفضى أتوام
وزارت الأرض منا مقلتان لها ... وحشيتان وعذب الريق بسام
والكاس للسكر التبرى صانعة ... والماء للحبب الدرى نظام
بتنا نكفكف با لكاسات أدمعنا ... كأننا فى حجور الروض أيتام

وهذا أشعار غريبه عجيبة . . . ولا بن سكرة فى ذلك

اشرب فنى اليوم فضل لوعلمت به ... بادرت باللهو واستعجلت بالطرب
وردا الخدود وورد الروض قد جمعا ... والغيم مبتسم والشمس فى الحجب
لاتحبس الكاس اشربها مشعشعة ... حتى تموت بهاموتا بلا سبب

وقال سيف الدولة وذكر قوس قرح :

وساق صحيح للصبوح دعوته ... فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم ... فمن بين منقض عليها ومنقض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا ... على الجو دكنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السما بأصفر ... على أخضر فى أحمر قوس مبيض
كاذيال خود أقبلت فى غلائل ... مصبغة والبعض أقصر من بعض

هذه من التشبيهات الملوكية التى لا تحضر السوقة بمثلها وقال ابن الرقاق :

وشادن طاف بالكؤوس ضحى ... لحثها والصباح قد وضحا
والروض يبدى لنا شقائقه ... وآسه العنبرى قد نفحا
قلنا وأين الاقاح قال لنا ... أودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقى العقار يجحده ... عنا فلما تبسم افتضحا

وقال أيضا : نبهتة ونجوم الليل زاهرة ... والفجر منصدع والصبح قد لاحا
والليل منهزم ولت عساكره ... والروض مبتسم والزهر قد فاحا
فقام يمسح عينيه براحته ... فخلته فى ظلام الليل مصباحا

(الشادى) المغنى (يلهيه) يشغله ويزيل همه (يقرى) يعطى ويهدى (سمع) أذن ولبعضهم فى غلام مغن وأجاد

فديتك يا أتم الناس ظرفا ... وأصلحهم لمتخذ حبيبا
فوجهك نزهة الأبصار حسنا ... وصوتك أمتع الأصوات طيبا
وسائلة تسأل عنك قلنا ... لها فى وصفك العجب العجيبا

ما يَشْتَهِيه ، فلمّا اطْمَأَنّ بِنَا الجُلُوس ، ودَارَتْ عَلَيْنَا الكُؤُوس ، وغَلَ علينا ذِمْر ، عليه طِمْر ، فَتَجَهَّمَنَا ، تَجَهُّمُ الغِيدِ الشِّيب ، ووجَدْنَا صَفْوَ يَوْمِنَا قَدْ شِيب

رنا ظبيا وغنى عندليبا ولاح شقائقا ومشى قضيبا

وقال ابن الرقاق : يذكرنى تحنان شدو غناؤه على الأيك تحنان الحمام المغرد

له نغمات أفحمت كل صادح وصوت نشيد قد شجا كل منشد

فدع كل ماحدثت عن صوت معبد وطارح نشيدا عن نشيد ابن معبد

(اطمأن) أى استقر ومكن (وغل) دخل والواغل الداخل على الشرب ولم يدع اليه (ذمر) شجاع والذمر أيضا الخبيث ذو الدهاء وهو مخفف من ذمر وهو الشجاع والجمع أذمار ومنه فلان حامى الذمار معناه يحمى ما يلزمه أن يحميه وسمى ذمار لأن الإنسان يذمر نفسه أى يحرضها بهوذمرت الرجل إذا حرضته (طمر) خلق (تجهمنا) عبسنا له والجهامة العبوس ويقال تجهمنى فلان بكذا يتجهمنى بمعناه(الغيد) النساء الحسان اللينات الأعناق (الشيب) الشيوخ الواحد أشيب (شيب) كدر ونغص وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس بقولة

أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه رقوما

وعلقمة فى قوله : إذا شاب رأس المرء أوقل ماله فليس له من ودهن نصيب

وقال حبيب فى هذا المعنى فأحسن

لعب الشيب فى المفارق بل جد فأبكى تماضرا ولعوبا

يانسيب الثغام ذنبك أبقى حسناتى عند الحسان ذنوبا

ولئن عبن ما رأين لقد أنكرن مستنكرا وعبن معيبا

لو أرى لله أن الشيب فضلا جاورته الأبرار فى الخلد شيبا

وقال على بن الجهم: أنكرت مارأيت برأسى وقالت أمشيب أم لؤلؤ منظوم

قلت أولاهما برأسى فأنت أنة يستثيرها المهموم

حسرت عنى القناع ظلوم فتولت ودمعها مسجوم

وقال عمرو الوراق: لاتطلبن أثرا بعين فالشيب إحدى الميتتين

أبدى مقابح كل شين ومحا محاسن كل زين

فاذا رأيت الغانيا ت رأين منك غراب بين

ولربما نافسن فيـ ـك وكن طوعا لليدين

أيام همتك الشبا ب وأنت سهل العارضين

القنجدبهى : من أحسن ما سمعت فى هذا المعنى قول ابن البياضى رحمه الله تعالى :

عرض المشيب بعارضى فأعرضوا وتقوضت خيم الشباب فقوضوا

فكأن فى كل الليل البهيم توسطوا حفرا فى الصبح المنير تقبضوا

ولقد رأيت وما رأيت بمثله ... بينا غراب البين فيه أبيض

وقال حبيب وزاد فى الشيب نقاء الخد :

راحت غوانى الحى عنك غوانيا ... يلبس نأيا تارة وصدودا
من كل سابغة الثياب إذا بدت ... تركت عمود القريتين عمودا
اربين بالمرد الغطارف بدنا ... غيدا ألفتهم لدانا جيدا
أحلى الرجال من النساء مواقعا ... من كان أشبههم بهن خدودا
حتى إذا ما الشعر سود وجهه ... عاد المسود بينهن مسودا

هذا من قول الأعشى :

وأرى الغوانى لا يواصلن أمرأ ... فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

ولحبيب وروى لأبى دلف :

نظرت إلى بعين من لم يعدل ... لما تمكن طرفها من مقتلى
لما رأت وضح المشيب بلحيتى ... صدت صدود مفارق متحمل
فجعلت أطلب وصلها بتلطف ... والشيب يغمزها بأن لا تفعلى

وقال محمد بن أمية : رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى ... فأعرضن عنى بالخدود النواضر
وكن إذا أبصرننى أو سمعننى ... دنون فيرفعن الكوى بالمحاجر

وللشريف الرضى رحمه الله :

قالوا المشيب فعم صباحا بالنهى ... واغفر مزاحك للطروق الزائر
لو دام لى ود الكواعب لم أبل ... بطلوع شيب وابيضاض غدائر
لكن شيب الرأس إن يك طالعا ... عندى فوصل البيض أول عابر
إن أعرضت عنه الخدود فطالما ... عطفت له بسوالف ومحاجر
ولقد يكون وماله من عاذل ... واليوم عاد وماله من غادر
كان السواد سواد عين حبيبه ... لغدا البياض بياض عين الناظر
لو لم يكن فى الشيب إلا أنه ... غدر الملوك ومحنه للغادر

وقال أيضاً: لجام الشيب ثنى لى جيادى ... وربانى لعذالى ورضا
لوى عنى الخدود من الغوانى ... وغمض عنى الحدق المراضا
وصار بياضه عندى سوادا ... وكان سواده عندى بياضا

ودخل أبو دلف على المأمون وقد ترك الخضاب فغمز جارية عنده أن تعبث به فقالت يا أبا دلف إنا لله وإنا إليه راجعون فسكت عنها فقال له المأمون أجبها فأطرق برأسه ثم رفعه فقال :

تهزأت إذ رأت شيبى فقلت لها ... لاتهزئى من يطل عمر به يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة ... وشيبكن لكن الويل فاكتئبى

إلّا أنَّهُ سَلَّمَ تَسْلِيمَ أُولِى الفَهْمِ، وَجَلَسَ يَفُضُّ لَطَائِمَ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ؛ وَنحْنُ نَنْزَوِى مِنَ انْبِسَاطِهِ ، وَنَنْبَرِى لِطَىِّ بِسَاطِهِ ، إلى أَنْ غَنَّى شَادِينَا المُغْرِب ، وَمُغَرِّدُنَا المُطْرِب :

إلامَ سُعَادُ لا تَصِلِينَ حَبْلِى ... ولا تَأْوِينَ لِى مِمَّا أُلاقِى
صَبَرْتُ عليكِ حتى عِيلَ صَبْرِى ... وَكَادَتْ تَبْلُغُ الرُّوحُ التَّرَاقِى
وها أَنا قد عَزَمْتُ عَلَى انْتِصَافٍ ... أُسَاقِى فيه خِلِّى ما يُسَاقِى
فإنْ وَصْلاً أَلَذُّ بِهِ فَوَصْلٌ ... وإنْ صَرْمًا فَصَرْمٌ كالطَّلاقِ

فينا لكن وإن شيب بدا أرب ... وليس فيكن بعد الشيب من أرب

(يفض) يكسر (لطائم) أوعية الطيب وجعلها للكلام مجازا (تنزوى) تنقبض (وننبرى) نبادر(لطى بساطه) لقطع كلامه (المغرب) الحسن الغناء الآتى بالغريب فيه (والشادى والمغرد) واحد وهو المغنى (المطرب) الآتى بالطرب وهو الاهتزاز بالسرور وقد يكون من شدة الحزن وقال ابن رشيق فى مغن :

غنى يا مجود الخلق عندى ... حى نجدا ومن بأكناف نجد
واسقنى ما يصير ذو البخل منها ... حاتما والجبان عمرو بن معدى
فى زمان الشباب عاجلنى الشيـ ... ـب فهذا أوائل الدن دردى

وقال البجلى فى مغنية :

ولاعبة الوشاح بغصن بان ... لها أثر بتقطيع القلوب
إذا استولت طريق العود نقرا ... وغنت فى محب أو حبيب
فيمناها يفديها فؤادى ... ويسراها تفديها ذنوبى

(تأوين) أى تشفقين (عيل) غلب وأنث الروح لأنه ذهب به إلى النفس قال ابن ظفر : الروح الذى يكون به الحياة إذا فارق الجسد كان الموت والنفس التى بها العقل وهى المقبوضة عند النوم ولا معنى للاكثار فى هذا لأن الشارع ليس له فيه قول يعول عليه ولا للحواس على ادراكه حول فتهتدى اليه (التراقى) العظمان المعوجان أعلى الصدر (خلى) صاحبى (صرم) قطيعة ويستقبح عندهم مجازاة الحبيب على اساءته كبيت امرىء القيس .. فسلى ثيابى من ثيابك تنسل ، وقول طرفة :

وإذا تلسننى ألسنها ... إننى لست بموهون فقر

وقول الأعرابى إن كان أهلك يمنعونك رغبة ... عنى فأهلى بى أضن وأرغب

والمستحب عندهم قول ابن أبى ربيعة :

ألا يامن أحب بكل نفسى ... ومن هو من جميع الناس حسبى
ومن يظلم فأغفره جميعا ... ومن هو لا يهم بغفر ذنبى

وقال أبو نواس : جنان تسبني ذكرت بخير وتزعم أنني رجل خبيث
وأن مودتي كذب ومين وأني للذي يطوى بثوث
وما صدقت ولا رد عليها ولكن الملول هو النكوث
ولي قلب ينازعني اليها وشوق بين اضلاع حثيث
رأت كلفي بها ودوام عهدي فملتني كذا كان الحديث

وقال ابن شهيد : كلفت بالحب حتى دنا أجلي لما وجدت لطعم الموت من ألم
وعاقني كرمي عمن ولهت به ويلي من الحب أو ويلي من الكرم

وأطرب من شعر المقامة للغناء ما حكي أن القاضي أبا عبد الله محمد بن عيسى من بني يحيى خرج إلى حضور جنازة وكان رجل من إخوانه ينزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه بالميل اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جاريته :

طابت بطيب لثاتك الأقداح وزها بحمرة وجهك التفاح
وإذا الربيع تنسمت أرواحه نمت بعرف نسيمك الأرواح
وإذا الحنادس ألبست ظلماءها فضياء وجهك في الدجى مصباح

فكتبها القاضي طربا بها على ظهر يده ثم خرج .

قال الراوي : فلقد رأيته يكبر على جنازة والأبيات على ظهر يده ... وقال ابراهيم بن المهدي دخلت يوما على الرشيد وفي رأسه فضلة خمار وبين يديه المغنون فقال يا ابراهيم بحقي عليك غني فأخذت العود فغنيته من أشعار جرير :

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى شيئا ألذ من الخيال الطارق
إن البلية من تمل حديثه فانتع حديثك من حديث الوامق
أهواك فوق هوى النفوس ولم يزل مذ ثبت قلبي كالجناح الخافق
شوقا اليك ولم تجار مودتي ليس المكذب كالحبيب الصادق

وقال ابراهيم الموصلي لابن جامع لو هذا طلب الغناء كما نطلبه ما أكلنا معه الخبز فقال ابن جامع صدقت ... ومما ينتظم في هذا النمط ويغنى به قول الآخر :

قال الوشاة لهند عن تصارمنا ولست أنسى هوى هند وتنساني
قد قلت حين بدا لي بخل سيدتي وقد تتبع في بثي وأحزاني
هل تعلمين وراء الحب منزلة تدني اليك فان الحب أقصاني.

والحريري لم يتعرض لشعره في هذا لأنه بني البيت على المسألة لكن فيما ذكرناه زيادة بيان وانه يجب أن يختار المغني ما يتلق للغناء من كل جهاته بالاستحسان (العابث بالمثاني) أي اللاعب بأوتار عود الغناء .

ومما يستحسن في وصف العود قول ابن القاضي :

جاءت بعود تناغيه ويسعدها فانظر بدائع ماخصت به الشجر
غنت على عودها الاطيار مفصحة سحرا فلما روى غنى به البشر
فلا يزال عليه أو به طرب يهيجه الاعجمان :الطير والوتر

قال : فاسْتَفْهَمْنا العابِثَ بالمَثَانِى ، لِمَ نَصَبَ الوَصْلَ الأوَّلَ ورَفَعَ الثَّانى ، فأَقْسَمَ بتُرْبَةِ أَبَوَيْه ، لَقَدْ نَطَقَ بمَا اخْتَارَه سِيبَوَيْه ،

وقال ابن شرف:

سقى الله أرضا أنبتت عودك الذى ... ذكت منه أغصان وطابت مغارس
تغنى عليه الطير والعود أخضر ... وغنى عليه الغيد والعود يابس

ومما قيل فى ذم مغن :

أبصرت عيناك بشرا جالسا ... والعود فى يده يبث وساوسا
لرأيت منه فتى تحب بأن ترى ... فى الرأس منه مساورا وطنافسا
فاذا تربع لا تربع بعدها ... وبدا يحرك عوده متنافسا
فكأن جرذان المدينة كلها ... فى عوده يقرضن خبزا يابسا

المثانى أوتار العود معروفة على سائر أوتاره (بتربة أبويه) يريد عظامها التى تصير ترابا فى القبر ولذلك أقسم بالقبر .

(سيبويه) فارسى مولى لبنى الحرث بن كعب واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وتفسير سيبويه بالفارسية ريح التفاح وهو لقب له لأنه كان من أطيب الناس رائحة وأجلهم وجها وقد أشرنا إلى ذلك فى العاشرة وقيل معنى سى ثلاثون وبويه رائحة التفاح فكان معناه الذى ضعف طيب رائحته ثلاثين مرة وقيل إن أمه كانت ترقصه بذلك وهو صغير فلزمته وولد بالبيضا وهى قرية بشيراز من عمل فارس ونشأ بها وقدم البصرة فى أول أيامه ليكتب الحديث فلزم حلقة حماد بن سلمة فاستملى عليه يوما قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابى إلا من لو شئت لأخذت عنه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء بالرفع وظنه اسم ليس فقال : حماد لحنت يا سيبويه ليس هذا حيث ذهبت إنما ليس هنا استثناء فقال سيبويه سأطلب علما ليس يلحننى فيه أحد فلزم الخليل فبلغ فى علم النحو الغاية وضرب به فى ذلك المثل وهو أول من بسط طريقته وشرع شريعته وكتابه الامام فى النحو الذى لم يصنع قبله ولا بعده مثله وغاية الأئمة فهمه ، وأخذه الأخفش عنه، وقيل ليونس ألف سيبويه كتابا نحوا من ألف ورقة فى علم الخليل فقال متى سمع سيبويه هذا كله فأتى بكتابه فنظر فيه فقال يجب أن يكون صدق عن الخليل كما صدق فيما حكاه عنى وناظر الأصمعى سيبويه فغلبه الأصمعى بلسانه فقال يونس الحق مع سيبويه ، وكانت فى لسانه حبسة وقلمه أبلغ من لسانه قال أبو زيد كان سيبويه يختلف إلى وهو غلام له ذؤابتان وإذا قال فى كتابه حدثنى من أثق به فانما يعنينى قال الأخفش كان سيبويه إذا وضع شيأ من كتابه عرض على وهو يرى أنى أعلم منه وكان أعلم منى ... والأخفش هذا هو سعد بن مسعدة مولى بنى مجاشع يكنى أبا الحسن وهو الذى أخذ الكتاب عن سيبويه وهو أكبر من سيبويه وصحب الخليل وأما الأخفش الكبير شيخ سيبويه فهو عبد الحميد بن عبد المجيد يكنى أبا الخطاب وهو الأخفش الكبير ويونس هو ابن حبيب يكنى أبا عبد الرحمن مولى بنى ضبة أخذ النحو عن حماد بن سلمة وعن أبى عمرو بن العلاء

فَتَشَعَّبَتْ حِينَئِذٍ آرَاءُ الْجَمْعِ ، فى تَجْوِيزِ النَّصْبِ وَالرَّفْعِ ، فقالت فِرْقَةٌ رَفْعُهُمَا هُوَ الصَّوَابُ ، وقالت طَائِفَةٌ لا يَجُوزُ فِيهِما إلَّا الانْتِصَابُ ، واسْتَبْهَمَ عَلَى آخَرِينَ الجوابُ ، وَاسْتَعَرَ بينهم الاصْطِخَابُ وذلك الواغِلُ يُبْدِى ابْتِسَامَ ذِى مَعْرِفَه ، وَإِنْ لَمْ يَفُهْ بِبِنْتِ شَفَه .

وقيل إنه جاوز المائة فى سنة ولما فاق سيبويه فى علم النحو أهل عصره وبرز فيه على نظرائه من أهل دهره سمع أن الكوفيين ظ روا ببغداد عند الرشيد بعلم النحو وهم الكسائى وأصحابه فقصدهم ببغداد وناظرهم بحضرة الرشيد وبحضرة يحيى بن برمك ، وناظره الكسائى وقيل الفراء بحضرة الكسائى فى المسئلة الزنبورية المشهورة وقد ذكرناها فى الرابعة والثلاثين وكان فيما ذكر الظهور لسيبويه وتراضوا بينهم بشهادة الاعراب الحاضرين بباب الخليفة فتقدم الكوفيين بجانبهم عند الخليفة للأعراب من لغتهم أن يجيبوا بموافقة قول الكوفيين فأجابوا بذلك فخرج سيبويه خجلا وكاد يموت غما فزعموا أنهم شفعوا للرشيد لئلا يرجع مغلوبا خائبا فأمر له بعشرة آلاف درهم فانبعث إلى الأهواز ولم يعرج على البصرة فأقام هنا مدة مديدة إلى أن مات ، وحكى أنه لما انصرف عنهم مغموما لقى الأخفش سعيد بن مسعدة فأخبره بتألبهم عليه فدخل الأخفش فسأل الكسائى عن مائة مسئلة فخطأه فيها كلها فقال له أنت سعيد بن مسعدة فقال له نعم فسأله أن يؤدب أولاده فأجابه وقرأ عليه الكسائى كتاب سيبويه وأعطاه سبعين دينارا ويروى أنه بلغ الكسائى موته قال للرشيد يا أمير المؤمنين أدعنى ديته فانى أخاف أن أكون شاركت فى موته وقيل أنه مات من ذرب المعدة وقيل إنه لما خرج عنهم سأل من يرغب من الملوك فى النحو فقيل له طلحة بن طاهر بخرسان فقصده فلما انتهى إلى ساوه مرض ومات ولما احتضر وضع رأسه فى حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده فرفع عينيه وقال :

وحتام كنا فرق الدهر بيننا ... إلى الأمد الأقصى ومن يأمن الدهرا

ثم قال عند موته : نؤمل دنيا لنبقى بها ... وتأتى المنية دون الأمل

حثيثا يروى أصول الفسيل ... فعاش الفسيل ومات الرجل

وفيه أنه مات بشيراز وقبر بها سنة ثمانين وقيل سنة أربع وتسعين ومائة ، قال أبو سعيد الصولى ورأيت على قبره مكتوبا :

ذهب الأحبة بعد طول تزاور ... ونأى المزار فأسلموك وأسرعوا

تركوك أوحش ما يكون بقفرة ... لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا

قضى القضاء وصرت صاحب حفرة ... عنك الأحبة أعرضوا وتصدعوا

(تشعبت) تفرقت وشعبت الشىء فرقته وجمعته وهو من الاضداد ورجل شعاب يضم ويجمع (آراء) جمع رأى (واستبهم) استغلق (استعر) اتقد (الاصتخاب) اختلاط الاصوات وقد صخب صخبا (بنت شفة) كلمة ... ومثل اختلاف هذه الجماعة على المعانى فى رفع وضل وخفضه اختلاف أصحاب الواثق على جارية غنت بحضرته : اظلوم إن مصابكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم

وذكر الحريرى فى الدرة ان ابا العباس المبرد ذكر ان ابا عثمان المازنى قصده بعض اهل الذمة ليقرا عليه

كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع أبو عثمان من قبول بذله فقلت له جعلت فداك أتترك هذه النفقة مع فاقتك وشدة إضاقتك فقال إن هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة كذا آية من كتاب الله تعالى ولست أرى أن أمكن منه ذميا غيرة على كتاب الله وحمية له قال فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق بقول العرجى أظلوم البيت فاختلف من بالحضرة فى إعراب رجل فمنهم من نصبه بان على أنه اسمها ومنهم من رفعه على أنه خبرها والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان لقنها إياه بالنصب فأمر الواثق باحضاره قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بنى مازن قال من أى الموازن أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة فقلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال لى باسمك يريد ماسمك وهم يقلبون الميم باء والباء ميما إذا كان فى أول الأسماء فكرهت أن أجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر ياأمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجب منه ثم قال ماتقول فى قول الشاعر ... أظلوم إن مصابكم رجلا ... أترفع رجلا أم تنصبه فقلت بل الوجه النصب قال ولم ذلك فقلت إن مصابكم رجلا مصدر بمعنى إصابتكم فأخذ اليزيدى فى معارضتى فقلت هو بمنزلة قولك إن ضربكم زيداً لظلم فالرجل مفعول بمصابكم ومنصوب به والدليل عليه أن الكلام معلق إلا أن يقول ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنية يا أمير المؤمنين قال ما قالت لك عند مسيرك قلت أنشدت قول الأعشى : أيا أبتا لاترم عندنا فانا بخير إذا لم ترم

أرانا إذا أضمرتك البلا دنجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قلت قول جرير :

ثقى بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

قال أنت على النجاح إن شاء الله تعالى ثم أمرلى بألف دينار وردنى مكرما ، قال أبو العباس فلما عاد إلى البصرة قال كيف رأيت يا أبا العباس رددنا الله تعالى مائة فعوضنا بألف . . . قال الحريرى : فهذه الحكاية ترغب فى اقتباس الأدب ودراسته حيث استعطف المازنى الواثق ببيت الأعشى حتى اهتز لإحسان صلته ... قال وفى أخبار النحويين أيضا أى المازنى سئل بحضرة المتوكل عن قوله تعالى وما كانت أمك بغيا فقيل له كيف حذفت الهاء من بغيا وفعيل بمعنى فاعل تلحقه الهاء نحو فتى وفتية وغنى وغنية فقال إن بغيا ليست فعيلا إنما هو فعول بمعنى فاعل لأن الأصل بغودى ومن أصول التصريف أنه متى اجتمعت الياء والواو فى كلمة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء كشويته شيا ويوم وأيام وهذا أصل مطرد لم يشذ منه إلا القليل فعلى هذه القضية تحذف الهاء وجوبا لأنها بمعنى باغية كما تحذف من صبور لأنها بمعنى صابره ... قال المازنى حضر يعقوب عند الواثق وقد حاز منزلة العلماء فقال لى الواثق سله عن مسئلة فقلت له ماوزن نكتل فقال نفعل فقلت له غلطت ثم قال لى فسره فقلت أصله نكتيل فقلت الياء ألفا للفتحة قبلها وسكنت اللام للجزم لأنه جواب أمر فحذفت الالف لالتقاء الساكنين فقال الواثق هذا الجواب لاجوابك يا يعقوب فلما خرجنا قال لى يعقوب ماحملك على هذا وبينى وبينك المودة فقلت والله ماظننت أنه يعزب عنك مثل هذا فانظر كيف لم يثبت يعقوب الاوزان على ثبوت قدمه فى العلم .. لقى هرون الرشيد الكسائى فى بعض طرقه فوقف عليه وتحفى بسؤاله عن حاله فقال أنا بخير يا أمير المؤمنين ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ماوهب الله تعالى لى من وقوف أمير

حتى إذا سَكَنَت الزَّماجِر ، وَصَمَتَ المَزْجورُ والزاجِر ؛ قال يا قَوْمِ أنا أُنَبِّئُكُم بتأويله ، وأُمَيِّزُ صَحيحَ القَوْلِ من عَليله ، إنَّهُ لَيَجُوزُ رَفْعُ الوَصْفَيْنِ ونَصْبُهما ، والمغايَرَةُ في الإِعْراب بينهما ، وذلك بِحَسَبِ اختلافِ الإِضمار وتَقْديرِ المَحْذوفِ في هذا المِضْمار ؛ قال فَفَرَطَ من الجَماعَة إفْراطٌ في مُماراتِه ، وانْخِراطٌ إلى مُباراتِه ، فقال : أَمَّا إذا دَعَوْتُمْ نَزالِ ، و تَلَبَّبْتُم للنِّضال ، فما كَلِمَةٌ هي إن شِئْتُمْ حَرْفٌ مَحْبوب ، أو اسْمٌ لِما فيه حَرْفٌ حَلوب ؟ وأيُّ اسْمٍ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ فَرْدٍ حازِم ، وجَمْعٍ مُلازِم ؟ وأيَّةُ هاءٍ إذا التَحَقَتْ أَماطَتِ الثِّقَل ؛ وأَطْلَقَتِ المُعْتَقَل ؟ وأَيْنَ تَدْخُلُ السِّينُ فَتَعْزِلُ العامل ؛ من غَيْرِ أَنْ تُجامِل ؟ وما مَنْصُوبٌ أبداً على الظَّرْف ، لا يَخْفِضُهُ سِوَى حَرْف ؛ وأيُّ مُضافٍ أَخَلَّ من عُرَى الإِضافَةِ بِعُرْوَه ، واخْتَلَفَ حُكْمُهُ بَيْنَ مَساءٍ وغُدْوَة ؟ وما العامِلُ الذي يَتَّصِلُ آخِرُه بأَوَّلِه ، ويَعْمَلُ مَعْكُوسُهُ مِثْلَ عَمَلِه ؟ وأيُّ عامِلٍ نائِبُه أَرْحَبُ منه وَكْرا ، وأَعْظَمُ مَكْرا ، وأَكْثَرُ لله تعالى ذِكْرا ؟ وفي أيِّ مَوْطِنٍ تَلْبَسُ الذُّكْران ، بَراقِعَ النِّسْوان ، وتَبْرُزُ رَبَّاتُ الحِجال ، بِعَمائِمِ الرِّجال ؟ وأَيْنَ يَجِبُ حِفْظُ المَراتِب ؛ على المَضْرُوب والضَّارِب ؟ وما اسْمٌ لا يُعْرَفُ إلا باسْتِضافَةِ كَلِمَتَيْن ؛ أو الاقْتِصار منه على

المؤمنين على لسكان ذلك كافيا محتسبا ، ودخل أبو يوسف رحمه الله تعالى وهما فى مذاكرة وممازحة فقال يا أمير المؤمنين إن هذا الكوفى قد غلب عليك فقال يا أبا يوسف إنه ليأتينى بأشياء يشتمل عليها قلبى وتأخذ بمجامعه فقال الكسائى يا أبا يوسف هل لك فى مسئلة فقال فى نحو أو فى فقه فضحك هرون حتى فحص برجليه ففال تلق على أبى يوسف الفقه فقلت نعم ثم قال يا أبا يوسف فما تقول فى رجل قال لزوجته أنت طالق إن دخلت الدار قال إن دخلت الدار طلقت قال أخطأت يا أبا يوسف فضحك الرشيد ثم قال فكيف الصواب قال إذا قال أن وجب الفعل دخلت بد اولم تدخل وإذا قال ان بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق ،دخل الفراء على الرشيد فتكلم فلحن مرات فقال له جعفر يا أمير المؤمنين انه قد لحن فقال الرشيد للفراء أتلحن يا يحيى فقال ان طبع أهل البدو والاعراب وطباع أهل الحضر اللحن فاذا حفظت أو كتبت لم ألحن وإذا رجعت إلى الطبع لحنت فاستحسن الرشيد كلامه وعلم انه الحق وهذا القدر من المناظر النحوية كاف (الزماجر) أى الأصوات من الجوف كصوت الأسد الواحدة زمجرة (صمت) سكت (المزجور) المنهى ((والزاجر) الناهى وزجرته انتهرته (أنبئكم بتأويله) أخبركم بتفسيره (المغايرة) المخالفه وهى من لفظ غير (المضمار) الموضع يختبر فيه جرى الخيل (فرط) سبق (افراط) تجاوز الحد (مماراته) مخاصمته (انخراط) اندفاع وانطلاق وجرط عبده أطلقه على إذاية الناس والمرأه نكحها والشجرة نثر ورقها بيده (مباراته) معارضته (نزال) اى انزلوا للحرب ولذلك بنيت على الكسر لأنها فى معنى فعل الأمر وهى كلمة تقال فى الحرب ولها مقامان الأول ان ينزلوا من ظهور الإبل إلى ظهور الخيل والثانى أن ينزلوا من ظهور الخيل إلى الأرض ولذلك اشد مايكون للحرب (تلببتم) تحزمتم (النضال) المرماة بالسهام (حرف) ناقة (حلوب) لها لبن (حازم) مشمر اخذ بالثقة (اماطت) ازالت المعتقل المحبوس (تجامل) اى تلق المعزول بجميل (اخل) نقص (معكوسه) مقلوبه (نائبه) القائم مقامه (ارحب منه وكرا) اوسع موضعا (مكرما) (الحجال) جمع حجلة وهى الستر (المراتب تصرفا المواضع (استضافة)

حَرْفَين ، وفى وضعِهِ الأَوَّلُ التِزام ، وَفى الثَّانى إلزام ، وَما وصْفٌ إذا أُرْدِفَ بالنُّون ، نَقَصَ صاحِبُهُ فى العُيون ، وقُوِّمَ بالدُّون ، وَخَرجَ مِنَ الزَّبون ، وتَعرَّضَ لِلهون ؟ فهذِهِ ثِنْتا عَشْرَةَ مسئلةً وفْقَ عَدَدِكُم ، وزِنَةَ لَدَدِكُم ، ولو زِدْتُم زِدْنا ، وإنْ عُدْتُم عُدْنا ، قال المُخْبِرُ بهذه الحِكاية : فَوَرَدَ علينا من أَحاجِيه اللَّاتى هالَتْ لمَّا انْهالَتْ ، ما حارَتْ له الأفكار وحالَتْ ، فلما أَعْجَزَنا العَوْمُ فى بَحْرِه ، وَاسْتَسْلَمَتْ تَمائِمُنا لِسِحْرِه ، عَدَلْنا مِنَ اسْتِثْقالِ الرُّؤْيَةِ له إلى اسْتِنْزالِ الرِّوايةِ عنه ، ومن بَغْيِ التَّبَرُّمِ بِهِ إلى ابْتغاءِ التَّعلُّمِ منه ، فقال : والذى نَزَّلَ النَّحْوَ فى الكَلام ، مَنْزِلَةَ المِلْحِ فى الطَّعام ، وحَجَبَهُ عن بَصائِرِ الطَّغام ، لا أَنَلْتُكُم مَراما ، ولا شَفَيْتُ لَكُم غَراما ، أو تُخَوِّلَنى كلُّ يد ، وَيَخْتَصَّنى كلٌّ منكم بِيَدٍ ، فلم يَبْقَ فى الجَماعَةِ إلَّا مَنْ أَذْعَنَ لِحُكْمِه ، ونَبَذَ إليه خَبْأَةَ كُمِّه ، فلَمَّا حَصَلَتْ تحْتَ وِكائِه ، أَضْرَمَ شُعْلَةَ ذَكائِه فكَشَفَ حينئذ عن أَسْرارِ أَلْغازِه ؛ وبدائِعِ إعْجازِه ، ما جَلا بِهِ صَدَأَ الأذهان ؛ وَجَلَّى مَطْلَعَهُ بِنُورِ البُرهان .

قال الراوى : فَهِمْنَا ، حين فَهِمْنَا ؛ وَعَجِبْنا ، إذْ أُجِبْنا ، ونَدِمْنَا على ما نَدَّ مِنَّا ، وأَخَذْنا نَعْتَذِرُ إليه اعْتِذارَ الأكْياس ، ونُعْرِضُ عليه ارْتِضاعَ الكاس ، فقال :

إصافة (أردف) جعل ردفه أى خلفه (قوم) قدرت قيمته (الدون) الحقير (الزبون) الكريم الكثير ودفع العطايا أى أخرج من هذه الصفة (لهون) والهوان (وفق) موافقة (لددكم) خصامكم (عدتم) رجعتم للخصام ومن ملح ابن رشيق فى مليح نحوى :

إن زارنى يوما على خلوة	أوزرته فى موضع خال
كنت له رفعا على الابتداء	وكان لى نصبا على الحال

وقال الميكالى :

أفدى الغزال الذى فى النحو كلمنى	مجادلا فاجتنيت الشهد من شفته
وأورد الحجج المقبول شاهدة	مناظرا ليرينى فضل معرفته
ثم اتفقنا على رأى رضيت به	والرفع من صفتى والخفض من صفته

(أحاجيه) ألغازه (هالت) عظمت فى النفوس (انهالت) انصبت وانهال الرمال انصب أعلاه إلى أسفله (الافكار) الاذهان (حالت) تغيرت (استسلمت) انقادت (تمائمنا) معاذاتنا وهى الاحراز (عدلنا) ملنا (الروية) الفكرة (استنزال) طلبه بتلطف (بغى) ظلم (ابتغاء) طلب (التبرم) الاستثقال وبرم بالأمر برما ضجر والبرم البخيل الذى لا يدخل فى الميسر (والبصيرة) اليقين والمعتقد وجمعها بصائر (الطعام) الاوغاد وأراذل الناس (أنلتكم) أعطيتكم (مراما) مرادا (تخولنى) تملكنى وتعطينى (يختصنى) يفردنى (بيد) أى نعمة (أذعن) انقاد ودل (نبذ) رمى (خبأة كمه) ماخبىء فيه (بدائع) غرائب (اعجاز) ما عجز به (جلا) كشف (صدأ) وسخ (جلى) اوضح (البرهان) الحجة (همنا) تحيرنا لحسن ما سمعنا وهام الرجل ذهب فى غير طريق (فهمنا) من الفهم اى عرفنا (ند) سبق وخرج يريد الخصام الذى بدوره به وردوا كلامه وند أصله شرد البعير (الاكياس) الحذاق والعقلاء (ارتضاع) شرب (مأرب) حاجة قال يعقوب الأموى ومن الأمثال مأرب لاحفاوة يضرب للرجل إذا كان يتملقك

مَارِبٌ لا حَفَاوَة ، وَمَشْرَبٌ لم يَبْقَ لَهُ عِندِي حَلَاوَة ، فَأَطَلْنَا مُرَاوَدَته ، وَوَالَيْنَا مُعَاوَدَته

أى إنما حاجة إلى لاحفاوة لى قال ابن سيده : مأرب بيننا يكون واحدا وهو السابق ويكون جمع مأربه من الجمع الذى يفارق واحده بالهاء (حفاوة) تهمم وقد حفيت بك أى تهممت واعتيت (مشرب لم يبق له عندى حلاوة) قال الشاعر فى معناه :

ولم أجتنب شرب المدام لعلة ... ولم ألحق الصهباء ذما ولا عذلا
تنافرنى أن صرت ضدا لشكلها ... فليست لنا أهلا ولست لها أهلا

وقال ابن رشيق :

قرعت سنى على مافاتنى ندما ... من الشباب ومن باللهو للشيب
فقد رددت كؤوس الراح مترعة ... على السقاة وكانت جل مشروبى
أنزه السمع والعينين فى نغم ... ومنظر عابث بالحسن والطيب
من كل لافظة بالدر باسمة ... عنه محلاة نوع منه مثقوب
أيام تصحبنى الغزلان آنسة ... هذا على أننى أعدى من الديب

والسابق لرد الكأس لعلة الكبر أيمن بن خزيم بن فاتك الأسدى فى قوله :

وصهباء جرجانية لم يطف بها ... حنيف ولم يسعر بها ساعة قدر
ولم يحضر القبسى الهسم بنارها ... طروقا ولم يشهد على طبخها حبر
أتانى بها يحيى وقد نمت نومة ... وقد غابت الشعرى وقد جنح النسر
فقلت اغتبقها أو لغيرى فاسقها ... فما أنا بعد الشيب ويحك والخمر
تعففت عنها فى السنين التى خلت ... فكيف التصابى بعدما كلأ العمر
إذا المرء وفى الأربعين ولم يكن ... له دون مايأتى حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذى ربا ... وإن جر أسباب الحياة له الدهر

قال الهيثم بن عدى : كنا نقول بالكوفة من لم يرو هذه الأبيات فلا مروأة له أنشدها أبو على فى نوادره وأنشد أيضا :

رأيت النبيذ يذل العزيز ... ويكسو التقى النقى اتساخا
فهبنى عذرت الفتى جاهلا ... فما العذر فيه إذا المرء شاخا

وانشد أيضا فى نوادره لمن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية مروأة جملة أشعار شهرتها فى الكتاب أغنت عن ذكرها وأين سرف أولئك فى جاهليتهم على أن الخمر مباحة لهم من مجون جماعة من الإسلاميين على تحريمها عليهم مثل الرمادى قوله:

أفى الخمر لامت خلتى مستهامها ... كفرت بكأسى ان أطعت ملامها
لمحمولة فى الفلك جنته المنى ... واوصى لنوح غرسها وضمامها
فخادعه إبليس عنها لعلمه ... بها فرأى كتمانها واغتنامها
ففاز بثلثيها ونوح بثلثها ... ولو مضى عنه لم يك رامها

فَشَمَخَ بِأَنْفِهِ صَلَفاً . وَنَأَى بِجَانِبِهِ أَنَفاً ، وأَنْشَدَ :

له حظ انثى وهو حظ مذكر　　قليل لعينى أن أطيل انسجامها
وأنا لو تران وقد مات جدنا　　عنينا وأنا لانجيز اقتسامها

أخذها من خبر يروى أن نوحا عليه الصلاة والسلام لما نزل من السفينة نازعه إبليس أصل العنب فاصطلحا لنوح الثلث ولإبليس الثلثين ، ولما قيل للحسن نزعت عن اللهو إلى التوبة قال :

قالوا نزعت ولما يعلموا وطرى　　فى وصل أغيد ساجى الطرف مياس
كيف النزوع وقلبى قد تقسمه　　لحظ العيون ولو الراح فى الكأس
إذا نزعت على رشدى تكنفنى　　رأيان قد شغلا يسرى وإفلاسى

فاليسر فى القصف واللذات أخلسها　　والعمر فى وصل من أهوى من الناس
لا خير للعيش إلا فى المجون مع الأ　　كفاء والخمر والنسرين والآس
ومسمع يتغنى والكؤوس لها　　حث علينا بأخماس وأسداس
ياموري النار قد أعيت قوادحه　　اقبس إذا شئت من قلبى بمقياس

(شمخ) أى تكبر ورفع أنفه(صلفا) قحة وصلابة وجه وفى فلان صلف أى قلة انطباع وموافقة إذا أردت منه شيأ تهاون بك والصفيان ناحيتا العنق كانه إذ كلمته فى شيء أعرض عنك ولوى عنك صليفه والصلف مجاوزة قدر الظرف وفى الشهاب آفة الظرف الصلف (ناء)نهض ويروى نأى تباعد(أنفا) غضبا وأنفت من كذا تنزهت عنه وترفعت وأصله من رفع الأنف فكأنه رفع أنفه تيها عليهم وتكبرا عن منادمتهم لاحتقارهم له أولا قبل اختباره ثم تبدلهم آخرا بعد اعتباره وعتذر لذلك بالشيب ... ونذكر هنا فصلا أدبيا يأتى على جميع أغراض هذه الأبيات . قال بعض الظرفاء يذم الخمر :الشراب أول الخراب ومفتاح كل باب يمحق الأموال ويذهب الجمال ويهدم المروأة ويوهن القوة ويضع الشريف ويذل العزيز ويبيح الحرائر ويفلس التجار ويهتك الأستار ويورث الشنار .وقال بعضهم لابنه: كثرة الشراب تكسد القلب وتقل الكسب وتغير اللب واعلم أن الظمأ الذابح خير من الرى الفاضح ، وقال يزيد بن محمد المهلبى يذمه :

لعمرك ما يخفى على الناس شرها　　وإن كان فيها لذة ورخاء
مرارا تريك الغى رشدا وتارة　　تخيل أن المحسنين أساءوا
وان الصديق الماحض الود مبغض　　وان مديح المادح حين هجاء
وجربت إخوان النبيذ فقلما　　يدور لاخوان النبيذ إخاء

وقال ابن الرومى :

مودة إخوان النبيذ سلافة　　يبولونها عند انقضاء المجالس
فبينا تراهم أهل إلف واسرة　　وبينا تراهم بينهم حرب داحس
فأما إذا ناديتهم لملمة　　فناد التصاوير التى فى الكنائس

ولهذا كتب الحسن إلى صديق له يستهدى منه مشروبا

نَهانِى الشَّيْبُ عَمَّا فيه أَفْرَاحى فَكَيْف أجْمَعُ بَيْنَ الرَّاحِ والرَّاحِ

لما رأيت اللحظ للقاعد والناس من واش ومن حاسد
خلوت فى بيتى وحدى ولا أقل فى الاعـداد من واحد
فابعث بهـا تشغلنى واكفنى رؤية هذا العـالم الفاسد

وقال أيضا : خلوت بالخمر أناجيها أشرب منها وأعاطيهـا
نادمتها إذ لم أجد صاحبا أرضاه أن يشركنى فيها
شربتها صرفا على وجهها فكنت سافيها وجانيها

قيل لبعضهم لم لاتتخذ لك نديما قال لأنه مأخوذ من الندم واختلفوا فى اختيار استعمال النديم فمنهم من اختار نديما واحدا ومنهم من انتهى فى الاختيار إلى ستة بالساقى وصاحب البيت وما زاد على ذلك فمذموم باجماع منهم قال وأنشدوا فى ذلك : خير الندامى ستة من ذوى الحجى فخمسة إخوان وآخر يمنع
ويحمد فى الاخوان من كان محاسنا بصوت يغنيه ولا يتمتع

(نهانى الشيب) جعله الناهى عن اللذات لأنه الداعى إلى الفناء والنذير بالموت وما يقول بغير هذا إلا متلف عذر كقول أعرابى ويروى لابراهيم بن المهدى :

لقد حل قدر الشيب إن كان كلما بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وقال ابن المعدل : لاح شيبى فظلت أمرح فيه مرح الطرف فى اللجام المحلى
وتولى الشباب فازددت ركضا فى ميادين باطـل إذ تولى
إن من ساءه الزمان بشيب لاحق أمره بأن يتسلى
أترانى أسوء نفسى لمـا ساءنى الدهر لا لعمرى كلا

وقال البحترى يعتذر منه :

عيرتنى بالشيب وهى رمته فى عذارى بالصد والاجتناب
لاتريه عارا فما هو بالشيـ ـب ولكنه جلا الشباب
وبياض البـازى أصدق حسنا إن تأملت من سواد الغراب

أخذه ابن رشيق فقال :

وإن لم تعجبى ببياض شعر فلا تستغربى بلق الغراب
تعافين المشيب وليس هـــذا ولـكن هذه شية الشباب

وقال حبيب يتشكاه :

أصبحت روضة الشباب هشيما وغدت ريحه البليل هموما
شعلة فى المفارق استود عتنى فى صميم الفؤاد ثكلا صميما
غرة غرة ألا إنمـا كنـ ـت أغرا أيام كنت بهيما
رقة فى الحياة تدعى جلالا مثل ماسمى اللديغ سليما

وهل يَجُوزُ اصْطِبَاحى من مُعَتَّقَة وَقَدْ أَثارَ مَشِيبُ الرأسِ إِصْبَاحى
آلَيْتُ لا خامرَتنِي الخَمْرُ مَا عَلِقَتْ رُوحى بِجِسْمِى وَأَلفَاظِى بِإِفصَاحِى

وقال مسلم بن الوليد

الشيب كره وكره أن يفارقنى أعجب بشىء على البغضاء مورد
يمضى المشيب فلا يأتى له خلف والشيب يذهب مفقودا بمفقود

أخذه سليمان بن وهب حين نظر إلى المرآة فقال عيب لاعدمناه ، وقال أبو الفتح البستى :

ياشيبتى دومى ولا تترحلى وتيقنى إنى بوصلك مولع
قد كنت أجزع من حلولك مدة والآن من خوف ارتحالك أجزع

وزاد أبو الطيب على هذا فقال وذكر أنه يتمنى الشيب فى زمن الشباب :

متى كان لى أن البياض خضاب فيخفى بتبيض القرون شباب
ليالى عند البيض فودى فتنة وفخر وذاك الفخر عندى عاب
فكيف أذم اليوم ما كنت أشتهى وأدعو بما أشكوه حين أجاب

كأن أبا الطيب نسى ما قاله فى الشيب فى الزمان الذى زعم أنه كان يشتهيه ويتمناه :

ابعد بعدت بياضا لابياض له لأنت أسود فى عينى من الظلم

وقال ربعى :

من كان يبكى الشباب من أسف فلست أبكى عليه من أسف
كيف وشرخ الشباب أوقفنى يوم حسابى مواقف التلف
لاصبحت شرة الشباب ولا عدمت ما فى المشيب من خلف

وقال ابن رشيق :

أراك للشيب ذا كتئاب فأين تمضى عن الصواب
إن كنت ترعى الوفاء حقا فالشيب أوفى من الشباب

وحقيقة الأمر أنه مازال الناس يكرهون الشيب ويذمونه نثرا ونظما لما فيه من دليل الفناء والهجنة عند النساء وقطع اللذات بالرقبة والحياء ويحبون الشباب ويمدحونه لما فيه من عذرة الجاهل وإتيان العاجل وحسن الشمائل إلا إن ألطف الحذاق من الشعراء فى تحسين ما كانوا يكرهون وتقبيح ما كانوا يمدحون رياضة للنفوس وتوسعا فى القول كما قال أحدهم :

تفاريق شيب فى العذار لوامع وما حسن ليل ليس فيه نجوم

وقال فى الشيب : استحكام الوقار وتناهى الجلال ومبسم التجربة وشاهد الحلية ، وهذه مقاصدهم فقف عليها (أفراحى) جمع فرح (الراح) الخمر والثانى جمع راحة وهى الكف (معتقة) خمر قديمة شديدة الحمرة (أنار) بيض (اصباحى) احمرار شعرى والصبح حمرة الشعر وضعه موضع السواد لأن كليهما من حليه الشباب وحمله على هذا ماضمن الشيب من التحصين فيقول مستفهما هل يجوز شربى فى البكور من خمر صافيه فى حال تغيير الكبر شبابى وتبديله حلية الشباب بحلية الشيوخ (خامرتنى) خالطتنى (إفصاحى) تبيينى (السلاف) الخمر

ولا اكتست لى بكاسات السلاف يد ... ولا أجلت قداحى بين أقداح
ولا صرفت إلى صرف مشعشعة ... همى ولا رحت مرتاحا إلى راح
ولا نظمت على مشمولة أبدا ... شملى ولا اخترت ندماسوى الصاحى
محا المشيب مراحى حين خط على ... رأسى فأبغض به من كاتب ماحى
ولاح يلحى لى جرى العنان إلى ... ملهى فسحقا له من لائح لاحى
ولو لهوت وفودى شائب لخبا ... بين المصابيح من غسان مصباحى

(أجلت) صرفت (قداحى) سهام الميسر (أقداح) جمع قدح وهو الكأس (صرفت) رددت (صرف) خمر (مشعشعة) رقيقة المزاج (همى) همتى وإرادتى (رحت) مشيت بالعشى (مرتاحا) مهتزا من الطرب وارتاح وجد راحة الطلب أو خفة الكرم (نظمت) جمعت (مشمولة) خمر وهى الشمول سميت بذلك لاشتمالها على عقل صاحبها وقيل لأنها تشمل القوم بريحها أى تعمهم وقيل لها عصفة كعصفة الريح الشمال (شملى) مجموع أمرى (الندمان) هو النديم (الصاحى) المفيق من سكره (محا) أزال (مراحى) طربى (خط) كتب (أبغض به) أى ماأبغضه إلى (لاح) ظهر (يلحى) يلوم ويغلظ القول (جرى العنان) أى انهماكى فى الملاهى (ملهى) لهو (سحقا) بعدا (لائح) ظاهر فى الرأس (لاح) شاتم وعائب يريد أن شيبه لاح فى رأسه فلحاه عن اللهو والصبا (فودى) جانب رأسى (شائب) فيه الشيب (خبا) طفىء وسكن ضوؤه (غسان) قبيلة وأحسن ما سمعت فى شيب الفود وفى وخط المشيب الذى ذكر قول عبد الرحيم بن هرون :

رأيت الشيب مبتسما بفودى ... ففاضت أدمعى بدم الفؤاد
وعمرى كل يوم فى انتقاض ... وذاك النقص لقب بالزياد
ولى خط وللأيام خط ... وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا فى بياض ... وتكتبه بياضا فى سواد

أنشدها الفنجديهى وقال عند إنشادها ولعبد الرحيم أبيات كأنها روضات جنات (سجاياهم) أى طبائعهم (ياصاح) أراد ياصاحب فرخم لكثرة الاستعمال ولما جعل غسان من عادتهم توقير الضيف والشيب ضيف وحب عليه توقيرة ومراعاة مثل هذا الموم قد تقدم له فى ذم الزجاج الذى جرت عليه سبيله وأخذ هذا من قول دعبل : أحب الشيب لما قيل ضيف ... لحبى للضيوف النازلينا
وقال المتنبى فى ذم هذا الضيف :

ضيف ألم برأسى غير محتشم ... والسيف أحسن فعلا منه باللمم
ابعد بعدت بياضا لابياض له ... لأنت أسود فى عينى من الظلم

وقال محمود الوراق: للضيف أن يقر ويعرف حقه ... والشيب ضيف فاقره بخضاب
وافى بأصدق شاهد ولربما ... وافى المشيب بشاهد كذاب

قَوْمٌ سَجَايَاهُمُ تَوْقِيرُ ضَيْفِهِمُ والشَّيْبُ ضَيْفٌ لَهُ التَّوْقِيرَ يا صَاح

ثم إِنَّهُ انسَابَ انْسِيَابَ الأَيم، وَأَجْفَلَ إِجْفَالَ الغَيْم، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ سِرَاجُ سَرُوج؛ وَبَدْرُ الْأَدَبِ الذى يَجْتَابُ البُرُوج، وكانَ قُصَارَانَا التَّحَرُّقَ لِبُعْدِهِ، وَالتَّفَرُّقَ من بَعْدِهِ

فافسخ شهادته عليك بخصبة تنفى الظنون بها عن المرتاب
فاذا دنا وقت الرحيل لخله والشيب يذهب فيه كل ذهاب

(الشيب ضيف له التوقير) قام وكيع لسفيان فنكر قيامه إليه فقال أتنكر على قيامى إليك وأنت حدثتنى عن عمرو بن دينار عن أنس بن مالك رضى الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أجلال الله عز وجل اجلال ذى الشيبة المسلم قال فاخذ سفيان بيده فاقعده إلى جانبه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا لسنه الاقيض الله تعالى له من يكرمه عند كبر سنه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى إلى ربى يقول الشيب على عبدى المؤمن نور من نورى وانا أكرم من أن أحرق نورى بنارى ، وحدث محمد بن مسلم الخواص الرجل الصالح قال رأيت يحيى بن أكثم القاضى فى المنام فقلت له مافعل الله بك قال أوقفنى بين يديه وقال ياشيخ السوء لولا شيبتك لاحرقتك بالنار فأخذنى مايأخذ العبد بين يدى مولاه فلما أفقت قالها ثانية وثالثة فلما أفقت قلت يارب ما هكذا حدثت عنك فقال تعالى ماحدثت عنى قلت حدثنى عبد الرزاق قال حدثنى معمر بن راشد عن ابن شهاب الزهرى عن أنس ابن مالك عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك ياعظيم أنك قلت ما شاب لى عبد فى الاسلام شيبة الا استحيت منه أن أعذبه بالنار فقال الله عز وجل صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهرى وصدق أنس وصدق نبيى وصدق جبريل انا قلت ذلك انطلقوا به إلى الجنة ..

المقامة الخامسة والعشرون الكرجية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال : شَتَوْتُ بالكرَجِ لِدَيْنٍ

شرح المقامة

(شتوت) أقمت فى الشتاء (الكرج) مدينة معروفة وبشدة البرد موصوفة وهى بين أصبهان وهمذان وقد تقدم برد همذان فى الأول ومن همذان إلى نهاوند مرحلتان ومن الكرج إلى مدينة أصبهان ستون فرسخا وهى منازل عيسى بن ادريس بن معقل العجلى ولم تكن فى أيام العجم مدينة مشهورة وإنما كانت فى عداد القرى العظام من رساتيق كورة أصبهان فنزلها العجليون فبنوا بها الحصون والقصور وجعلها أبو دلف مدينة عظيمة وقال أبو دلف دخلت على الرشيد فقال لى يا قاسم ما خير أرضك قلت خراب يباب خربها الأكراد والأعراب فقال قائل هذا آفة الجبل وهو أفسده فقلت فأنا أصلحه قال الرشيد وكيف ذلك قلت أفسدته وأنت على وأصلحه وأنت معى ففعل ذلك وعمر الكرج حتى صار دار أجناد ومحل وفود وقصاد .. وقال على بن جبلة : زرته فى الجبل فلما حللت بالكرج أظهر من برى وإكرامى أمرا مفرطا حتى تأخرت عنه تأخرا كبيرا فوصل إلى معقل بن عيسى فقال يقول الأمير انقطعت عنى وأحسبك استقللت برى فلا يغضبنك ذلك فسأزيد فيه حتى ترضى فقلت والله ماقطعنى عنه إلا إفراطه بالبر قال وكتب اليه فى ذلك :

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة ... وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكننى لما أتيتك زائرا ... فأفرطت فى برى عجزت عن الشكر
فآليت لاآتيك إلا مسلما ... أزورك فى الشهرين يوما أو الشهر
فان زدتنى برا تزايدت جفوة ... ولم تلقنى طول الحياة إلى الحشر

فلما وصت اليه قال قاتله الله ما أشعره وأدق معانيه ، فأجابنى لوقته ، وكان حسن البديهة :

ألا رب ضيف طارق قد بسطته ... وآنسته قبل الضيافة بالبشر
أتانى يرجينى فما حال دونه ... ودون القرى والعرف من نيله سترى
وجدت له فضلا على بقصده ... إلى وبرا زاد فيه على برى
فزودته مالا يقل بقاؤه ... وزودنى مدحا يدوم مع الدهر

وبعث إلى بها وبألف دينار مع وصيفة فقلت حينئذ :

إنما الدنيا أبو دلف ... بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره
ملك تندى أنامله ... كانبلاج النوء عن مطره
مستهل عن مواهبه ... كابتسام الزهر عن زهره
جبل عزت مناكبه ... أمنت عدنان فى ثغره
كل من فى الأرض من عرب ... بين باديه ومحتضره

أَقْتَضِيه ، وَأربٍ أُقْضِيه ؛ فَبَلَوْتُ من شِتَائِهَا الكَالِح وصِرِّهَا النَّافِح ، مَاعَرَّفنى جَهْدَ البَلاء ؛ وَعَكَفَ بى على الاصْطِلاء ، فَلَمْ أَكُنْ أُزايِلُ وِجَارِى، ولا مُسْتَوْقَدَ نَارِى، إلاّ لِضَرُورَةٍ أُدْفَعُ إليها؛ أو إقامَة جَمَاعَة أُحَافِظُ عليها فاضْطُرِرْتُ فى يَوْمٍ جَوُّهُ مُزَمْهِرٍ ، وَدَجْنُهُ مُكْفَهِرّ ، إلى أَنْ بَرَزْتُ من كِنَانِى ، لِمُهِمٍّ عَنَانى ، فإذا شَيْخٌ عَارِى الجِلْدَة ، بادِى الجُرْدَة ، وَقَدِ اعْتَمَّ بِرَيْطَة ، واسْتَثْفَرَ بِفُوَيْطَه ، وحَوَالَيْه

مستعير منه مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

والبيت الثانى أحفظ المأمون على ابن جبلة حتى سل لسانه من قفاه (أقتضيه) أى أجمعه (أرب) حاجة (بلوت) قاسيت (الكالح) الشديد وكلح كلوحا أبدى أسنانه عند العبوس والبرى الشديد يبدى الأسنان عند رعده (صرها) بردها الشديد (النافح) المتحرك بالريح الباردة (جهد البلاء) مشقة الضر ويقال بلغ جهده أى أقصى قوته فأراد بجهد البلاء المشقة التى يتمنى الإنسان عندها الموت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ منه .. أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء ، اللهم إنى أعوذ بك من سوء القضاء وجهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء ، وروى فى جهد البلاء أنه القتل صبرا . أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه قال : قتل الصبر جهد البلاء . وقال صلى الله عليه وسلم : جهد البلاء أن تحتاج إلى مافى أيدى الناس فيمنعوك ، مجاهد قال : كنت جالسا عند عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بالكوفة فأتى برجل أن يضرب عنقه فقلت هذا والله جهد البلاء فقال والله ما هذا الا كشرطة حجام بمشراط ولكن جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع ، الأحنف : جهد البلاء خمسة خادم مذموم وحطب رطب وبيت يصف وخوان ينتظر وجبار على الباب يدق (عكف بى على الاصطلاء) ألزمنى التسخن بالنار وعكف على الشىء عكوفا لزمه (أزايل وجارى) أفارق بيتى والوجار حجر الضبع (إقامة جماعة) أى حضور الصلاة مع الجماعة وبرد شكير بغرناطة كان أشد على ابن صارة حيث منعه الصلاة من برد الكرج على ابن همام حيث يقول ابن صارة :

أحل لنا ترك الصلاة بأرضكم وشرب الحميا وهو شىء محرم
فرارا إلى نار الجحيم فانها أرق علينا من شكير وأرحم
لئن كان ربى مدخلى فى جهنم ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

(جوه مزمهر) هواؤه بارد والزمهرير البرد (دجنه مكفهر) سحابه متراكم مظلم (كنانى) بيتى (مهم) أمر لا يؤخر (عنانى) عرض لى وقصدنى (الجردة) الجلدة التى تجرد عنها ثوبها وفلان حسن الجردة والتجرد أى حسن العرى وقيل الجردة الثوب المتجرد البالى (الريطة) عند العرب شىء رقيق شبه الملحفة ولذلك سمى به المرأة ولا معنى لهذه الصفة لأنه قد وصفه بالعرى وإنما أراد به هنا شبه الكراز فهو لفظ مغير عن أصله كالفوطة عندنا ضرب مما يعتم به وهى مغيرة عن أصلها وإنما أصل الفوطة ثوب يجلب من الهند غليظ وتصغيرها فويطة يلبسه أهل مصر وأهل المشرق كما يلبس أهل المغرب وأهل الأندلس الأحرام والمئزر (واستثفر) بالثوب إذا لواه على فخذيه ثم أخرجه من بينهما فشده فى حجزته واستثفر الكلب بذنبه جعله بين فخذيه فتخيل صورة السروجى هنا التى هى نهاية فى القبح على ما يتصف به أبدا وقد لوى على رأسه قطعة من عمامة بالية

جَمٌّ كَثِيفُ الحَواشِي ، وهو يُنْشِدُ ولا يُحَاشِي

يَا قَوْمِ لا يُنْبِئْكُم عَنْ فَقْرِي أَصْدَقُ من عُرْيِي أَوَانَ القُرِّ
فاعْتَبِرُوا بِمَا بَدَا من ضُرِّي بَاطِنَ حَالِي وَخَفِيَّ أَمْرِي
وَحَاذِرُوا انْقِلَابَ سِلْمِ الدَّهْرِ فَإِنَّنِي كُنْتُ نَبِيهَ القَدْرِ
آوِي إلى وَفْرٍ وحَدٍّ يَفْرِي تُفِيدُ صُفْرِي وتُبِيدُ سُمْرِي
وَتَشْتَكِي كُومِي غَدَاةَ أَقْرِي فَجَرَّدَ الدَّهْرُ سُيوفَ الغَدْرِ
وَشَنَّ غَارَاتِ الرَّزَايَا الغُبْرِ ولم يَزَلْ يَسْحَتُنِي وَيَبْرِي
حتى عَفَتْ دَارِي وغَاضَ دُرِّي وبارَ سِعْرِي فى الوَرَى وَشِعْرِي
وصِرْتُ نِضْوَ فَاقَةٍ وعُسْرِ عَارِي المَطَا مُجَرَّدًا من قِشْرِي
كَأَنَّنِي المِغْزَلُ فى التَّعَرِّي لَا دِفْءَ لى فى الصِّنِّ والصِّنَّبْرِ

واستثفر بمثلها فلا تجد له مثلا إلا ماقال أبو دلامة فى نفسه :

إذا لبس العمامة كان قردا وخنزيرا إذا نزع العمامة

وأين هذا من قول ابن رشيق فى غلام معتم بعمامة حمراء :

يامن يمر ولا تمر به القلوب من الحرق بعمامة من خده أو خده منها سرق
فكأنه وكأنها قمر أحاط به شفق شغل الجوارح والجوا نح والخواطر والحدق

وقال السلامى فى عمامة :

حسناء صافية بيضاء صافية كأن رونقها فى صارم ذكر
يزين أطرافها طرز كما رقمت على المجرة طرز الانجم الزهر

(كثيف) خشن منضم بعض حواشيه إلى بعض من الكثرة (يحاشى) يستثنى (ينبىء) يخبر (أوان القر) وقت البرد (حاذروا) خافوا (سلم) صلح (نبيه القدر) رفيع المنزلة (آوى) أرجع (وفر) مال كثير (يفرى) يقطع (تفيد) تأتى بالفوائد (صفرى) دنانيرى (تبيد) تتلف (سمرى) رماحى (كومى) ابلى والكوماء الناقة العظيمة السنام (اقرى) أطعم الأضياف أى تشتكى إبلى من كثرة ما أنحرها للضياف (شن) فرق (الرزايا) المصائب (الغبر) الآتية فى الزمان المحل (يسحتنى) يستأصل مالى (يبرى) يقطع لحمى (عفت) درست (غاض) ذهب وجف (درى) لبن إبلى (بار) كسد وضاع (سعرى) سوقى (نضو) هزيل (فاقة) حاجة وفقر (عسر) ضيق حال (المطا) الظهر (قشرى) ثيابى (الدفء) ذهاب البرد وقد دفىء دفأ أى سخن وذهب برده (الصن والصنبر) يومان من أيام العجوز وهى سبعة أربعة من آخر فبراير وثلاثة من أول مارس ، وقال الشاعر فجمعها :

كسع الشتاء بسبعة غبر بالصن والصنبر والوبر

غَيْرَ التَّضَحِّي واصطلاءِ الجَمْرِ فَهَلْ خِضَمٌّ ذُو رِدَاءٍ غَمْرِ
يَشْتَرِي بِمُطْرَفٍ أَوْ طِمْرِ طِلَابَ وَجْهِ اللهِ لا لِشُكْرِ

ثم قال : يا أَرْبَابَ الثَّرَاءِ الرَّافِلِينَ فِي الفِرَاءِ مَنْ أُوتِيَ خَيْرًا فَلْيُنْفِقْ ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُرْفِقَ فَلْيُرْفِقْ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا غَدُورٌ ، وَالدَّهْرُ عَثُورٌ ، وَالمُكْنَةُ زَوْرَةُ طَيْفٍ ، وَالفُرْصَةُ مُزْنَةُ صَيْفٍ ، وإِنِّي وَاللهِ لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ الشِّتَاءَ بِكَافَاتِهِ ، وَأَعْدَدْتُ الأُهَبَ لَهُ قَبْلَ مُوَافَاتِهِ ، وَهَا أَنَا اليَوْمَ يَا سَادَتِي ؛ سَاعِدِي وِسَادَتِي ، وَجِلْدَتِي بُرْدَتِي ، وحَفْنَتِي جَفْنَتِي ؛ فَلْيَعْتَبِرِ العَاقِلُ بِحَالِي ، وَلْيُبَادِرْ صَرْفَ اللَّيَالِي ، فَإِنَّ السَّعِيدَ مَنِ اتَّعَظَ بِسِوَاهُ واسْتَعَدَّ لِمَسْرَاهُ فَقِيلَ لَهُ

وبآمر وأخيه مؤتمر ومعلل وبمطفىء الجمر

(التضحى) الجلوس للشمس (خضم) كريم شبه بالبحر وهو الخضم (ذو رداء غمر) ذو عطاء كثير (مطرف) ثوب مربع فى طرفه علم ، الفراء : قيل مطرف لأنه أطرف أى جعل فى طرفيه العلمان (طمر) ثوب خلق (أرباب الثراء) أصحاب المال (الرافلين) الماشين بخيلاء وتبختر (الفراء) جمع فروة (أوتى) أعطى (خيرا) مالا (يرفق) يعين وأرفقته أعطيته مايرتفق به غرور) كثير الخداع (عثور) واقع بأهله (المكونة) الغنى (طيب) مايرى فى النوم . . ابن الانبارى : فى طيف الخيال قولان قيل أصله طيف فخفف ، وقال الأصمعى رحمه الله تعالى هو مصدر طاف وبه أخذ السهيلى رحمه الله تعالى فقال هو مصدر طاف الخيال يطيف طيفا ولا يقال منه طائف على فاعل لأنه لا حقيقة للخيال إنما هو توهم وتخيل فان كان شيء له حقيقة قلت فيه طائف نحو قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك لأن الذى طاف عليها له حقيقة ويقال انه جبريل عليه الصلاة والسلام وأما قوله تعالى إذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فقد قرىء طائف لأن له حقيقة وطيف لأنه غرور الشيطان وأمانيه تشبه بالخيال ومالا حقيقة له فتحصل من هذا ثلاث مراتب الخيال ولا حقيقة له فيعبر بالطيف ويقال فى وسوسة الشيطان طائف وطيف وماعدا هذين فهو باسم الفاعل ولا يعبر عنه بطيف فقف عليه (الفرصة) ماتهيأ لك وتيسر لك من مطالبك (مزنة صيف) أى سحابة لا دوام لها وأراد قول عمران بن حطان :

أرى أشقياء الناس لايسمونها على أنهم فيها غراب وجوع
أراها وإن كانت تحب فانها سحابة صيف عن قريب تقشع

ولما ولى بلال بن أبى بردة البصرة كان إذا اجتاز فى مواليه بخالد بن صفوان يقول :

سحابة صيف عن قريب تقشع ، فبلغ قوله بلالا فقال والله لاتقشع حتى يصيبك منها شؤبوب فرده ثم ضربه مائة سوط (كافات) جمع كاف وأراد بها آلته ومايستعن له بها وهى الاهب التى أراد (موافاته) بجيئه وحضوره (ساعدى) ذراعى (بردتى) ثوبى (الحفنة) مايملأ الكف (الجفنة) الصحفة (فليتعظ) أى يعتبر ويجعلنى عبرة (صرف) تقلب (استعد) أعد (لمسراه) مثواه ، وقال الألبيرى فى هذا المعنى :

قد جَلَوْتَ عَلَيْنا أَدَبَك ، فاجْلُ لنا نَسَبَك ، فقال : تَبًّا لمُفْتَخِر ، بعَظْم نَخِر ، إنَّما الفَخْرُ بالتُّقَى ،

وذى غنى أوهمته همته ... أن الغنى عنه غير منفصل
جر أذيال عجبه بطرا ... واختال للكبرياء فى حلل
برته أيدى الخطوب برية ... فاعتاض بعد الجديد بالسمل
فلا تثق بالغنى فآفته الفقـ ... ـر وصرف الزمان ذو دول
كن بنيل الكفاف منه غنى ... عنه فكن فيه غير محتفل

ومن مقامات البديع : حدثنا عيسى بن هشام قال أحلني جامع حاوريا وقد انتظمت مع رفقة فى سلك الثريا وحين احتفل الجامع بأهله إلينا ذو طمرين فد ارسل صوانا واستتلى طفلا عريانا يضيق بالضر وسعه ويأخذه القر ويدعه ، لا يملك غير القشرة بردة ، ولا يكتنى بحماية رعدة ، فوقف الرجل وقال لا ينظر لهذا الطفل إلا من يرحم الله طفله ، ولا يرق لهذا الضر إلا من لا يأمن مثله ، يا أصحاب الخدود المفروزة والأردية المطروزة ، والدور المنجدة ، والقصور المشيدة ، إنكم لن تأمنوا حادثا ولن تعدموا ، وارثا فبادروا الخير ما أمكن ، وأحسنوا مع الدهر ما أحسن ، فقد والله طعمنا السكباج ، وركبنا الهملاج ، وابسنا الديباج وافترشنا الحشايا بالعشايا ، فما راعنا الا هيوب بغدره ، وانقلاب المجن لظهره ، فعاد الهملاج قطوفا والديباج صوفا ، وهلم جرا إلى ما تشاهدون من حلى ، ومن تشاهدون فى زى ، فها نحن نرتضع من الدهر ثدى عقيم ، ونركب من الفقر ظهر بهيم ، فلا نرنو إلا بعين اليتيم ، ولا نمد إلا يد الغريم ، فهل من كريم يجلو غياهب هذه البوش ، ويفل أسباد هذه النحوس ، ثم قعد مرتفعا وقال للطفل أنت وشأنك فقال ما أكاد أقول وهذا الكلام لو اتى الشعر لحلقه . أو الصخر لفلقه ، وإن قلبا لم ينضجه لنىء ، وقد سمعتم ياقوم ما لم تسمعوا قبل اليوم فليشغل كل منكم بالجود يده ، وليذكر غداه واقيا ولده وامنحونى أشكركم واذكرونى أذكركم . . .

وتمامها فى العشرين (جلوت) أظهرت وكشفت ((أجل) اكشف وبين عنه (تبا) خسرانا (نخر) بال (المنتقى) المختار (تجلى) تبدى وظهر (الرميم) البالى (يبغى) يطلب وقوله تبا لمفتخر بعظم نخر كانت العرب تتفاخر بالأحساب وتتعاظم بكرم الآباء فنزل القرآن العظيم بترك ذلك فى قوله تعالى « إنما المؤمنين إخوة » و « إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : أيها الناس إنما الناس إخوة وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكم ، فلذلك قال إنما الفخر بالتقى وقال على كرم الله وجهه ورضى عنه :

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء
فان يكن لهم من قبل ذا نسب ... يفاخرون به فالطين والماء

وقال عامر بن الطفيل :

وإنى وإن كنت ابن سيد عامر ... وفى السر منها والصريح المهذب
فما سودتنى عامر عن ولادة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى ... أذاها وأرمى من رماها بمنكب

والأَدَبِ الْمُنْتَقَى ، ثم أنشد :

لَعَمْرُكَ ما الإنسانُ إلَّا ابنُ يَوْمِهِ ... على ما تَجَلَّى يَوْمُهُ لا ابْنُ أَمْسِهِ
وما الفَخْرُ بالعَظْمِ الرَّمِيمِ وإنَّما ... فخَارُ الذى يَبْغِى الفَخَارَ بِنَفْسِهِ

ثم إنَّه جَلَسَ مُحْقَوْقِفًا ، وَاجْرَنْثَمَ

فهذا مع إمكانه الفخر بالآباء لم يفتخر إلا بنفسه وأخذه عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فقال :

لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوما على الأحساب تتكل
نبنى كما كانت أوائلنا ... تبنى ونفعل مثل مافعلوا

وهذا مثل قول الحسن رضى الله تعالى عنه وقد أجزل صلة شاعر فليم فى ذلك فقال أترانى خفت أن يقول إنى لست ابن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ولا ابن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولكنى خفت أن يقول لست كمثلها فيصدق ويحمل عنه ويبقى مخلدا فى الكتاب محفوظا على ألسنة الرواة فقال الشاعر أنت والله يابن رسول الله أعرف بالمدح والذم منى (والأدب المنتقى) حدثنى يحيى بن أكثم قال بينما أنا جالس مع المأمون إذ دخل الدار فتى أبدع الناس زيا وهيبة ووقارا وهو لا يلتفت إعجابا بنفسه فنظر اليه المأمون فقال يايحيى إن هذا الفتى لايخلو أن يكون هاشميا أو نحويا ثم بعثنا من يتعرف ذلك منه فعاد الرسول فأخبر أنه نحوى فقال المأمون يايحيى أعلمت أن علم النحو قد بلغ بأهله من عزة النفس وعلوا لهمة منزلة بنى هاشم فى شرفهم يايحيى من قعد به نسبه قام به أدبه ، قال وأنشد الشاعر :

كن ابن من شئت واتخذ أدبا ... يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبى
مالى عقلى وهمتى حسبى ... ما أنا مولى ولا أنا عربى
إن انتمى منتم إلى أحد ... فاننى منتم إلى أدبى

وتكلم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب فقال له وقد أعجبه : ابن من أنت ياغلام؟ فقال ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك قال صدقت ، أخذه ابن دريد فقال :

كن ابن من شئت وكن مؤدبا ... فانما المرء بفضل حسه
وليس من تكرمه لغيره ... مثل الذى تكرمه لنفسه

وقالت عائشة رضى الله عنها : كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به يعنى أن أفعال الانسان إذا كرمت لم يضره لؤم آبائه وإذا لؤمت لم ينفعه كرم آبائه وقال المعرى :

لو يعلم الانسان مقداره ... لم يفخر المولى على عبده
لولا سجاياه وأخلاقه ... لكان كالمعدوم فى وجده
ومجده أفعاله لا الذى ... من قبله كان ولا بعده

(على ماتجلى يومه) أى على ماظهر وانكشفت يومه من أفعاله المحمودة أو المذمومة (محقوقفا) منحنيا (اجرنثم

مُقَفْقِفا ، وقال : اللّهُمَّ يَا مَنْ غَمَرَ بِنَوَالِهِ ؛ وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وأَعِنِّي عَلَى البَرْدِ وأَهْوالِهِ وأَتِحْ لِي حُرًّا يُؤْثِرُ مِنْ خَصَاصَةٍ ، وَيُواسِي وَلَوْ بِقُصَاصَةٍ

قال الراوى : فلما جُلِّيَ عَنِ النَّفْسِ العِصَامِيَّةِ ، والمُلَحِ الأَصْمَعِيَّةِ جَمَلَتْ مَلامِحُ عَيْنِي

انقبض (مقفقفا) مرتعدا ويقال قف شعره إذا ارتفع من ذعر أصابه وقف جلدى من هذا الحديث إذا اقشعر من استنشناع ما سمع ؛ فاذا ضعف الفعل فرد على فعفل زاد معناه مبالغة (غمر بنواله)أى غطى بعطاياه (وأمر بسؤاله) يريد قوله تعالى واسئلوا الله من فضله (آله) أهله (أهواله) شدائده ومخاوفه (أتح)قدر(يؤثر) يفضل غيره على نفسه (خصاصة) جوع وهذا منتزع من القرآن (العصامية) منسوبة إلى عصام بن شهرين الحرث الجرمى حاجب النعمان بن المنذر الذى يقول له النابغة

فانى لا ألام على دخول ولكن ماوراءك ياعصام

ولم يكن عصام شريفا ولا نشأ فى قومه ولكن كان من أشد الناس بأسا وأفصحهم لساناوأحزمهم رأياوأقربهم إلى النعمان ، وقال له رجل يوما كيف بلغت هذه المنزلة من الملك وأنت دنىء الأصل فقال :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما وصيرته سيــدا هماما

ويقال كن عصاميا ولا تكن عظاميا أى افتخر بنفسك لا بآبائك الذين ماتوا وبقيت عظامهم فكل من ليس له شرف قديم وشرف بنفسه يقال له عصامى ، وكانت لرجل عند الحجاج حاجة فوصف بالجهل والحمق فأراد أن يختبره فقال أعصامى أنت أم عظامى فقال له الرجل عصـامى عظامى فظن أنه يريد افتخاره بنفسه لفضله وبآبائه لشرفهم فقال الحجاج هذا من أفضل الناس وقضى حاجته ثم جربه بعـــد ذلك فوجده أجهل الناس فقال له اصدق وإلا قتلتك كيف أجبتنى بعصـامى وعظامى فقال له الرجل لم أعلم معناهما فخشيت أن أقول أحدهما فأخطىء فقلت فى نفسى أقولهما معا فان ضرنى أحدهما نفعنى الآخر فقال الحجاج المعاذير تصير الغبى خطيبا فذهب مثلا ... وسمع المأمون رجلا يفخر بنفسه وهو ناقص فقال أنت عظامى لا عصامى ولهذا أشار بما تقدم من قوله تيا لمفتخر بعظم نخر يريد ان عصاما ساد بنفسه لا بآبائه وكذلك السروجى لم يفخر إلا بنفسه (الأصمعية) التى حكاها الأصمعى وقد مر من ملح الاصمعى فى هذا الكتاب جملة كافية بحمد الله تعالى ... والأصمعى عصامى لأنه من باهلة وهى اهجن قبيلة فى العرب والأمها وذكر المبرد فى كامله جملة أخبار فى أمثالها قال فيها الشاعر :

ولو قيل للكلب ياباهلى عوى الكلب من لؤم ذلك النسب

وهو مع ذلك خامل المنشار قد ذكرنا فى الأربعين خمول ابيه إلا أنه ساد الناس بنفسه ادباوعلماودينا،ومن ماجه انه قال بينما انا فى طريق البصرة إذا انا بكناس يكنس كنيفا وإذا هو يقول :

فإياك والسكنى بأرض مذلة تعد مسيئا فيه إن كنت محسنا

فنفسك اكرمها وإن ضاق مسكن عليك بهافاطلب لنفسك مسكنا

قال فوقفت عليه فقلت والله ما بقى عليك من الهون شىء إلا وقد اهنتها به فما الذى نلت من كرامتها ؟ قال والله

تَعْجُمُهُ ، وَمَرَامِي لَحْظِي تَرْجُمه ، حَتَّى اسْتَبَنْتُ أَنَّهُ أبو زَيد ، وأَنَّ تَعرِّيَه أُحْبُولَةُ صيد ، ولجَّ وأَنْ عِرفانِي هو قَدْ أَدرَكَه ، ولم يَأْمَنْ أَنْ يَهتِكَه ، فقال : أُقسِمُ بالسَّمَرِ والقمرِ والزُّهَرِ والزَّهَر ، إِنَّهُ لن يَسْتُرَنِى إِلاَّ مَنْ طَابَ خِيمُه ، وأُشْرِبَ ماءَ المُرُوءَةِ أَدِيمُهُ ، فَعَقَلْتُ ما عَنَاه ، وإنْ لم يَدرِ القومُ مَعْنَاه ، وشَاءَنِي مَا يُعانِيهِ مِنَ الرِّعْدَة واقشِعرارِ الجِلْدَة ، فعَمَدْتُ لِفَرْوَةٍ هِيَ بالنَّهارِ رِيَاشِي ، وفي اللَّيلِ فِرَاشِي ، فَنَضَوْتُهَا عَنِّي ، وقلتُ له اقبَلْهَا مِنِّي ، فَمَا كَذَّبَ أَنِ افْتَرَاهَا ، وعَيْنِي تَرَاهَا ، ثم أنشَدَ :

لِلّهِ مَنْ أَلْبَسَنِي فَرْوَةً أَضْحَتْ مِنَ الرِّعْدَةِ لي جُنَّه
أَلْبَسَنِيهَا وَاقِياً مُهْجَتِي وُقِيَ شَرَّ الإِنسِ والجِنَّة
سَيَكْتَسِي اليَوْمَ ثَنائِي وفي غَدٍ سَيُكْسَى سُنْدُسَ الجَنَّة

قال : فلمَّا فَتَنَ قُلُوبَ الجَماعَة ، بافتنانِه في البَرَاعَة ، أَلقَوْا عليه مِنَ الفِرَاءِ المُغَشَّاة ، والجِبَابِ المُوَشَّاة ، مَا آدَهُ ثِقَلُهُ ، ولم يَكَدْ يُقِلُّه ، فانطَلَقَ مُسْتَبْشِرًا بالفَرَج ، مُسْتَسْقِيًا لِلْكَرَج ؛ وتَبِعْتُهُ إلى حَيْثُ ارتَفَعَتِ التَّقِيَّة

لكنس ألف كشيف أحسن من القيام على باب مثلك ساعة ، الأصمعي : كان أعرابيان متواخيين بالبادية ثم إن أحدهما استوطن الريف واختلف إلى باب الحجاج فولاه أصبهان فسمع اخوه خبره فضرب اليه فأقام ببابه حينا لا يصل اليه ثم أذن له بالدخول فأخذه الحاجب فمشى به وهو يقول :

فلست مسلما مادمت حيا على زيد بتسليم الأمير

فقال زيد لا أبالى فقال الاعرابى :

أتذكر إذ لحافك جلد شاةٍ وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال نعم فقال الاعرابى :

فسبحان الذى أعطاك ملكا وعلمك القعود على السرير

(تعجمه) تختبره (مرامى لحظى) نظرات عيني وسهام نظرى ، وواحد المرامى مرماة وهى السهم (ترجمه) ترميه وتقع عليه (أحبولة) شبكة (يهتكه) يشفه (السمر) ظل القمر ثم سمى حديث الليل سمرا به (الزهر) النجوم (خيمه) طبعه (أشرب) سقى (المروءة) الفعل الجميل (أديمه) وجهه ويقال أشرب فلان حب فلان إذا خالط حبه قلبه (ماعناه) ما أراده يريد أنه لما قال لن يسترنى إنما أراد لن يستر على هذه الحيلة التى أريد بها خداع الناس بعد ماعرفها إلا من هو كما وصف وقال النبى صلى الله عليه وسلم من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن أحيا مؤودة من قبرها (ساءنى) شق على (يعانيه) يقاسيه (اقشعرار) انقباض وارتعاد (عمدت) قصدت (رياشي) لباسى (تضونها) جردتها (افتراها) اتخذها (جنة) سترا ووقاية (واقيا) صائنا (مهجتى) نفسى (وقى) كفى (الجنة) الجن (سندس) ثياب خضر (افتنانه) تنوعه (البراعة) الجودة والفصاحة (المغشاة) المغطاة بغيرها من الثياب (الموشاة) المزينة بالرقم (آده) اثقله (يقله) يرفعه (مستسقيا) داعيا بأن يسقيها الله تعالى (النقية) الخشبة

وَبَدَتْ السَّماءُ نَقِيَّة ؛ فقلتُ له : لشَدَّ ما قَرَّسَكَ البَرْد ؛ فلا تَتَعَرَّ مِنْ بَعْدِ ، فقال وَيْكَ لَيْسَ مِنَ العَدْلِ ، سُرْعَةُ العَذْل ، فلا تَعْجَلْ بِلَوْمٍ هُوَ ظُلْم ، ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْم ، فَوَالذى نَوَّرَ الشَّيْبَة ، وطَيَّبَ تُرْبَةَ طَيْبَة ؛ لوْ لم أتعَرَّ لرُحْتُ بِالْخَيْبَة

(بدت السماء نقية)مثل ضرب لخلو الموضع من الناس وظهوره فيه وحده (ويك) أى عجبالك(العذل) اللوم (تقف) تتبع يقال قفوت أثره أقفوه قفوا إذا تتبعته ومنه قفا فلان فلانا إذا أتبعه بكلام قبيح ويقال قفاه بالتخفيف ...أبو عبيدة رحمه الله تعالى : أصل القفو والتقافى البهتان يرمى به الرجل صاحبهواحتج بحديث حيان بن عطية من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج قال الفراء رحمه الله تعالى القفو مأخوذ من القيافة وهو تتبع الأمر يقال قاف القائف يقوف قيافة فهو قائف بتقديم الفاء على الواو كما قالوا فى جذب جبذ وقرىء ولا تقف مثل تقل (نور) بيض (طيبة) مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وطيب الله تربتها بأن صيرها موطنا لنبيه صلى الله عليه وسلم فى حياته ومستقرا له بعد مماته وذكر شيخنا ابن جبير المدينة فقال للمدينة المكرمة أربعة أبواب وهى تحت سورين فى كل سور باب يقابله آخر باب الحديد وباب الشريعة وباب القبلة وباب البقيع وبين سورها الغربى خندق النبى صلى الله علية وسلم مقدار غلوة وبين السور والخندق عين النبى صلى الله عليه وسلم وعليه خلق عظيم مستدير ومنع العين وسطه كأنه الحوض المستطيل وتحت العين سقايتان بينهما جدار لطهر الناس وغسل أثوابهم والعين تمد السقايتين وتهبط اليها على خمس وعشرين درجة وماؤها يعم أهل الارض فضلا عن أهل المدينة وبمقربة من الحوض مما يلى الحوض حجر الزيت يقال إن الزيت رشح للنبى صلى الله عليه وسلم من ذلك الحجر بحرمة الخوف وبالقرب منه بئر بضاعة وبازائها من الجهة اليسار جبل الشيطان حيث صرخ يوم أحد قتل نبيكم وعلى شفير الخندق حصن الغراب وهو خراب كان عمر رضى الله عنه بناه لغراب المدينة وأمامه لجهة الغرب على بعد بئر رومة التى اشتراها عثمان رضى الله عنه بعشرين ألفا وداخل باب الحديد سقاية يهبط اليها على أدراج وهى بمقربة من الحرم المكرم وبقبلى الحرم دار مالك بن انس رضى الله عنه ويطيف بالحرم شارع مبلط بالحجر المنحوت وفى جوفى المدينة جبل أحد على ثلاثة أميال منها وبقبليه مسجد حمزة وقبره برحبة بجوفى المسجد وبازائه قبور الشهداء وحوله تربة حمراء أنزل فيها سورة الفتح الشريفة وشرقى المدينة بقيع الغرقد وإذا خرجت على باب البقيع تلق على يسارك قبر صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأم الزبير وأمامها قبة مختصرة البناء على قبر مالك بن أنس وأمامه قبر السلالة الطاهرة إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم عليه قبة بيضاء وعلى يمينها قبر عبدالرحمن بن عمر الذى جلده أبوه الحد فمات وبازائه قبر عقيل بن أبى طالب وعبدالله بن جعفر وبازائه روضة صغيرة فيها ثلاثة من أبنائه صلى الله عليه وسلم ويليها روضة العباس والحسن رضى الله عنهما وعليها قبة مرتفعة فى الهواء وقبراهما مرتفعان على الأرض مغشيان بألواح ملتصقة أبدع التصاق مرصعة بالصفائح الصفر مسكوكة بمسامير على أبدع صفة وعلى هذا الشكل قبر ابراهيم عليه السلام ابن النبى صلى الله عليه وسلم وفى آخر البقيع قبر عثمان بن عفان الشهيد وعليه قبة مختصرة البناء وبمقربة منه قبر فاطمة بنت أسد أم على

وصَفَرَ العَيْبَة، ثمّ نَزَع إلى الفِرَار، وتَبَرْقَع بالاكْفِهرار، وقال: أما تَعلَمُ أنّ شِنْشِنَتي الانتِقالُ من صَيْدٍ إلى صَيْد، والانعِطافُ من عَمْرو إلى زَيْد، وأراكَ قد عقَقتني وعَقَقتني، وأقنيتني أضعافَ ما أفدتني، فاعفني عافاكَ اللهُ من لَغوِك، واسدُدْ دوني بابَ جِدّك ولَهوِك؛ فجبذتُه جبذَ التِّلعابَة، وجَعجَعتُ به للدُّعابة، وقلتُ له: واللهِ لو لم أُوارِكَ وأُغطِّ على عَوارِك، لما وصَلتَ إلى صِلَة، ولا انقَلَبتَ أكسى من بَصَلَة، فجازِني عن إحساني إليك وسَتري لك وعليك، بأن تَسمَحَ لي بردّ الفَرْوَة، أو تُعَرِّفَني كافات الشَّتْوَة، فنظرَ إليَّ نظرَ المُتعجِّب، وازمَهرَّ ازمِهرارَ المُتغضِّب، ثم قال: أمّا ردُّ الفَرْوَة فأبعَدُ من ردّ أمسِ الدّابِر؛ والميتِ الغابِر، وأمّا كافاتُ الشَّتْوَة فسُبحانَ من طَبَعَ على

كرم الله وجهه ومشاهد البقيع أكثر من أن تحصى لأنها مدفن الصحابه رضى الله عنهم وقبل المدينة على نحو الميلين قباء وكانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة المكرمة وبها المسجد الذى أسس على التقوى وهو مربع مستوى الطول والعرض له باب واحد من جهة الغرب وهو سبع بلاطات فى الطول ومثلها فى العرض وفيه صومعة طويلة بيضاء تظهر على البعد وفى وسطه مبرك الناقة بالنبى صلى الله عليه وسلم عليه حلق قصير شبه الروضة يتبرك الناس بالصلاة فيه وفى صحنه مما يلى القبلة شبه محراب على مسطبة وهو أول موضع ركع فيه النبى صلى الله عليه وسلم وفى قبلته دار بنى النجار وهى دار أبى أيوب الانصارى ويليها دار عائشة رضى الله تعالى عنها وبازائها دار عمر ودار فاطمة ودار أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين ورضى عنا بهم وبازائها بئر أويس حيث تفل فيه النبى صلى الله عليه وسلم فعاد عذبا بعد أن كان أجاجا وفيه وقع خاتمه من يد عثمان رضى الله عنه وحديثه مشهور وفى آخره تل مشرف يعرف بعرفات لأنه كان موقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ومنه زويت له الأرض فأبصر الناس بعرفات ويدخل من التل على دار الصفة وبها كان عمار وسلمان وأصحابهما والطريق من قبل قباء إلى المدينة بين حدائق النخل المتصلة والنخيل تحدق بالمدينة من جهاتها وأعظمها جهة القبلة والشرق وأقلها جهة الغرب وآثار المدينة وقباء لا تحصى . . . فلما خص الله تعالى تربة طيبة بصفوة عباده أقسم الحريرى بمن طيبها (صفر العيبة) خلو الوعاء (نزع) مال وحن وتبرقع وستر وجهه (الاكفهرار) العبوس (شنشنتى) طبيعتى (الانعطاف) الرجوع (عققتنى) حبستنى (عققتنى) قطعتنى (أقنتى) جرمتنى (أفدتنى) أكسبنى فائدة (اعفنى) أرحنى وعافنى (لغوك) باطلك (التلعابة) كثرة اللعب ورجل تلعابة حسن اللعب مزاح وفى الحماسة:

هو الظفر الميمون إن عاد واغتدى به الركب والتلعابة المتحبب

(جعجعت) صحت ودعوته به والجعجعة رغاء الابل (الدعابة) المزاح (اوارك) أسترك (عوارك) عيبك (صلة) عطية (سترى لك) أى ثوبى وأراد (بعليك) سكوتى عنك حين قلت لن يسترنى إلا من طاب خيمه (ازمهر) توقدت عيناه غضبا (المتغضب) المستعمل الغضب (الدابر) الماضى (الغابر) الذاهب (سبحان من طبع) معناه تنزيها لك يا ربنا من الولد والصاحب والشريك أى نزهناك من ذلك وانتصابه على المصدر كأنك قلت سبحت

ذِهْنِك ، وأوْهَى وِعاءَ خَزْنِك ، حتى أنسِيتَ ما أنشَدْتُكَ بالدَّسْكَرَة ، لابنِ سُكَّرَة :

الله تسبيحا فجعلت سبحان فى موضع التسبيح ومعنى طبع على قلبك أى غشاه بالصدأ والدنس والوسخ قال الله تعالى فطبع على قلوبهم وقال كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون وفى الحديث نعوذ بالله من طمع يدنى إلى طبع وقال الشاعر

لا تطمعن طمعا يدنى إلى طبع   إن المطامع فقر والغنى يأس

وأنشد يعقوب: لا خير فى طمع يدنى إلى طبع   وعفة من قوام العيش تكفينى

(الذهن) قوة إدراك العقل (أوهى) أضعف (خزنك) تثقيفك وحرزك (الدسكرة) هنا قرية معروفة بينها وبين بغداد على طريق خراسان ستة عشر فرسخا (ابن سكرة) من شعراء اليتيمة قال صاحبها : ابن سكرة الهاشمى أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد شاعر متسع الباع فى أنواع الابداع فائق فى قول الظرف والملح صاحب الفحول والافراد وجاء فى ميدان المجون والسخف بما أراد وكان يقال ببغداد إن زمانا جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخى جداوما أشبههما إلا بجرير والفرزدق إلا فى عصرهما ويقال إن ديوان ابن سكرة يربو على خمسين ألف بيت ومن شعره فى غلام فى يده غصن نوار

غصن بان بدا وفى اليد منه   غصن فيه لؤلؤ منظوم
فتحيرت بين غصنين فى ذا   قمر طالع وفى ذا نجوم

وله غلام يعرف بابن برعوث

بليت ولا أقول بمن لأنى   إذا أناقلت من هو تعشقوه
حبيب قد نبى عنى رقادى   فان غمضت أيقظنى أبوه

وله فى غلام أعرج

قالوا بليت بأعراج فأجبتهم   العيب يحدث فى غصون البان
ماذا على إذا استجدت شمائلا   وروادفا تغنى عن الكثبان
إنى أحب جلوسه وأريده   للنوم لا للجرى فى الميدان
فى كل غصن منه حسن كامل   ما ضره إن زلت القدمان

وله فى غلامه سميه : إذا باسمى دعيت حننت شوقا   يذكرنى به الداعى حبيبى
فليت كما اتفقنا فى الاسامى   وألفنها اتفقنا فى القلوب

وله أيضا : بنفسى عذار بدا طالعا   على ناضر الورد ما أملحا
كتمت هواه زمان الصبا   وبوحت بالحب لما التحى
وقالوا محا الشعر لما بدا   محاسنه منه فاستقبحا
فقلت لهم ما محاسنه   ولكن صبرى عنه محا

وله فى مثله   وغزال لولا نمية شعر   ذكرته لقلت بعض الجوارى
شارب أشرب الصبابة قلبى   وعذار خلعت فيه عذارى

جاء الشِّتاء وعِنْدى مِنْ حوائِجِهِ   سَبْعٌ إذا القَطْرُ عَنْ حاجاتِنا حَبَسَا

وله فى مثله أيضا : من عذيرى من شادن لا يرانى   وهو روحى أهلا لرد السلام
أنا من خده وعينيه والثغـ   ـر ومن ريقه البعيد المرام
بين ورد ونرجس ولآل   أقحوان وبابلى مدام

وله فى مثله أيضا : فى وجه إنسانة كلفت بها   أربعة ما اجتمعن فى أحد
الخد ورد والصدغ غالية   والريق خمر والثغر من برد

وله فى مثله أيضا : لقد أمسكت من عمرو بن يحيى   بحبل ما أخاف له انبتاتا
حبانى فى الحياة ورم حالى   وأوصى بى أبا حسن ومانا
فكنت مجاورا للبحر منه   فلما مات جاورت الفرانا

وله فى وزير المهلبى : لا عذب الله ميتا كان ينعشنى   فقد لقيت بضرى مثل مالاقى
طواه موت طوى عنى مكارمه   فذقت من بعده بالفقر ماذاقا

وقال فيه أيضا : مضى ملك عم البرية جوده   رؤوف وإن راع الاسود شفيق
سكرت بنعماه وجود وزير   فقالت لى الأيام سوف تذوق

وقال رحمه الله أيضا :

لقد كان الشباب فكان غضا   له ثمر وأوراق تظلك
وكان البعض منك فمات فاعلم   متى مامات بعضك مات كلك

ويا بعد ما بين حاله وقت قوله جاء الشتاء البيتين وبين حاله وقت موت المهلبى وقد أدرك فاقة فسئل عما أعد الشتوة فقال

فقيل ما أعددت للبر   د فقد جاء بشدة
قلت دراعة عرى   تحتها جبة رعدة

(إذا القطر عن حاجاتنا حبسا) فى معنى ذلك أن الحسن بن وهب تأخر عن ابن الزيات وهو يكتب له فاستبطأه فكتب الحسن اليه

أوجب العذر فى تراخى اللقاء   ماترى بى من هذه الانواء
لست أدرى ماذا أقول وأشكو   من سماء تعوقنى عن سماء
غير أنى أدعو على تلك بالثكـ   ـل وأدعو لهذه بالبقاء
فسلام الإلـه أهديه منى   الك غضا ياسيد الوزراء

كان لابن عبدربه فتى يهواه فأعلمه انى راحل غدا فلما أصبح عاقه عن السفر تكاثر المطر فانجلى عن ابن عبد ربه همه وكتب اليه :

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر   هيهات عليك الله والقدر
مازلت ابكى حذار البين ملتهبا   حتى رثالى فيك الريح والمطر
يابرده من حيا مزن على كبد   نيرانها بعليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا   حتى أراك فأنت الشمس والقمر

كِن وكِيسٌ وكانُون وكاسُ طِلا بَعْدَ الكَبَابِ وكُسٌّ نَاعِمٌ وكِسَا

ثم قَالَ : الجوَابُ يَشْفِي ، خَيْرٌ مِنْ

وعدابن رشيق محبوبه الصائغ أن يكون عنده يوم عيد فصلى وارتقبه فاذا بالسماء قدأرعدت وأبرقت فكتب اليه :

تجهم العيد وانهلت مدامعه وكنت أعهد منه البشر والضحكا
كأنه جاء يطوى الأرض من بعد شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وكتب السلامى إلى أصحابه والمطر قدقطعه عنهم :

قطيعتكم برغم المجد شهرا أشد على من شهر الحرام
وكيف أزوركم والمزن تبكى على دارى بأربعة سجام
وكانت منزلا طلق الحيا فصارت واديا صعب المرام
تهافت ركع الجدران فيها سجودا للرعود بلا إمام
أنادى كلما ارتفعت سحاب فابكيت البوارق بابتسام
حوالينا كذلك ولا علينا كفانا الله شرك من غمام

(كن) أى بيت (كيس) وعاء الدراهم (كانون) حيث تجعل النار فيه (طلا) خمر (كباب) لحم يشرح ويشوى وكبته فعلت ذلك به وقيل الكباب قطع الكرش تلوى عليها المصارين وأراد بها هنا شواء اللحم (الكس) اسم فرج المرأة وليس بعربى ، قال الفنجديهى رحمه الله تعالى سمعت بعض الفضلاء يقول كتب ابن سكرة فى يوم مطر إلى صديق له :

يو مطير وعندى من خواطره سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
حروف كافاتها فيها مقومة إذا تلاها الفتى ذو اللب أودرسا
كن وكيس وكانون وكأس طلا مع الكباب وكس ناعم وكسا
فلو مطرت البحار الدهر لم ترنى أقول أحسن هذ اليوم بى وأسا

زاد ابن مسعود عليه كافا ثامنة فقال :

وكم ليلة فى شهر كانون بتها أعانق من حبى بها الدعص والغصنا
سمعت من الكافات فيها ثمانيا فاشئت من مرأى أنيق حوى الحسنا
كبابا وكيزانا وكيسا وكاعبا كساء وكوبا والكوانين والكنا

كما نقصه الأمير تميم بن المعز السابعة فقال :

إذا هب سلطان المريسى ضاحكا سحيرا وحل الغرب كل نقاب
ورد على الأرض الغمام نيابه فقم والقه فى عدة وحراب
بكن وكانون وكأس مدامة وكيس وكس وافر وكباب

جِلْبَابٍ يُدْفِي، فَاكْتَفِ بِمَا وَعَيْتَ وَانْكَفِي ، فَفَارَقْتُهُ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَرْوَتِي لِشِقْوَتِي ، وحَصَلْتُ عَلَى الرِّعْدَةِ طُولَ شَتْوَتِي

نقلت أبيات ابن مسعود من شرح شيخنا ابن اللبان قال ولما جمعنا فى أيام الشتاء ماجمعنا من الكافات قلت فى ضدها الحر بيتين جمعت فيها من الراآت ثمانية وهى :

عندى فديتك راآت ثمانية　　ألقى بها الحر وافى وان بردا
رق وروح وريحان وريق رشا　　ورفرف ورياض ناعم وردا

(جلباب) ثوب يلبس على الثياب (اكتف) اقنع (وعيت) حفظت (انكفى) ارجع إلى موضعك (طول) مدة .. والله تعالى أعلم .

المقامة السادسة والعشرون الرقطاء

حدّث الحارثُ بنُ همّامٍ قال : حللتُ سُوقَ الاهواز ، لابساً حُلّةَ الإعواز ، فلبثتُ فيها مُدّةً أكابدُ شدّةً وأزجّي أياماً مُسْوَدّةً ، إلى أنْ رأيتُ تماديَ المُقام ، مِنْ عَوادي الانْتِقام ، فرمقتُها بعَيْنِ القالي ؛ وفارقتُها مُفارَقَةَ الطّلَلِ البالي ، وظَعنتُ عَنْ وَشَلِها كَمِيشَ الإزار ، راكضاً إلى المِياهِ الغِزار ، حتى إذا سِرتُ منها مَرْحَلَتَيْن ؛ وبعُدتُ سُرَى لَيْلَتَيْن ، تَراءتْ لي خَيْمَةٌ مضروبةٌ ، ونارٌ مَشْبُوبَةٌ ، فقلتُ آتيهما لَعَلّي أنْقَعُ صَدًى ، أو أجِدُ عَلَى النّارِ هُدًى ؛ فلما انتهيتُ إلى ظِلِّ الخيمةِ رأيتُ غِلْمَةً رُوقَةً ، وشارةً مَرْمُوقَةً ، وشيخاً عليه بِزّةٌ سَنِيّةٌ ، ولديهِ فاكِهَةٌ جَنِيّةٌ ، فحيّيْتُهُ ، ثم تحامَيْتُه ، فضحِكَ إليّ ، وأحسنَ الرّدّ عليّ ، وقال : ألا تَجلِسُ إلى مَنْ تَرُوقُ فاكِهَتُهُ ، وتَشُوقُ مُفاكَهَتُه ، فجلَسْتُ لاغتنامِ مُحاضَرَتِه ، لا لالتِهامِ ما بحضرَتِه ، فحِينَ سفَرَ عَنْ آدابِه ، وكَشَرَ عَنْ أنيابِه ، عَرَفْتُ أنّهُ أبُو زيدٍ بحُسْنِ مُلَحِه ، وقُبحِ قَلَحِه ، فتعارَفنا حِينَئذٍ ، وحفّتْ بي فَرْحتانِ ساعَتَئِذٍ ، ولم أدرِ بأيّهِما أنا أضفى فرَحاً ، وأوْفى مرَحاً ، أو بإسْفارِه ؛ مِنْ

شرح المقـــامة

(حللت) نزلت (الاهواز) مدينة واسعة لها سبع كور بين البصرة وفارس قال الرشاطى الاهواز متصلة بالجبل وأصبهان وقيل إن الاهواز بلد من سكن قصبته ضعف عقله ولزمته الحمى (حلة الاعواز) ثوب الفقر والحلة إزار ورداء ولا يقال الثوب واحد حلة (لبثت) أقمت (أكابد) أقاسى (أزجى) أسوق (مسودة) شداد مشؤومة (تمادى) دوام وطول (المقام) الإقامة (عوادى) جمع عادية من العدوان وهو الظلم (الانتقام) العذاب والنكاية (رمقتها) نظرتها (القالى) البغيض (الطلل) ماشحص من آثار الدار (ظعنت) ارتحلت (وشلها) ماؤها القليل (كميش) مشمر وانكمش فى طلب حاجته أسرع فيها (الازار) والمئزر ما يلبس عرضا من السراويل ولا تعرف العرب السراويل ووجدها أعرابى فظنها قميصا فأدخل يديه من على ساقيها والتمس من أين يخرج رأسه فلم يجد فرمى بها وقال هذا قميص الشيطان (راكضا) أى جاريا ، وهمزة ماء مبدولة من هاء مياه (الغزار) الكثيرة (سرى ليلتين) أى سرت مقدار ما يسار فيه ليلتين (تراءت) ظهرت (مشبوبة) موقودة (أنقع صدى) أروى عطشا (أجد على النار هدى) أى أجد عليها من يرشدنى إلى الطريق (روقة) حسانا وغلام روقة إذا أعجبك وغلمان روقة الواحد والجمع سواء وقيل روقة لفظ مفرد والجمع روق والهاء للمبالغة (شارة) هيئة حسنة بشار اليها (مرموقة) محبوبة (بزة سنية) ثياب حسان والبزة والبز أفضل الثياب (جنية) طرية كما اجتنيت (حيينه) سلمت عليه (تحاميته) تباعــدت عنه (تروق) تعجب (تشوق) نشوق وتدعو إلى الطرب (فاكهته) ممازحته وفاكهته حدثته بما يعجب (التهام) ابتلاع (سفر) كشف وبين أنه من أهل الأدب (كشر عن أنيابه) كشف عن أسنانه عند الضحك (ملحه) مليح كلامه (قلحه) صفرة أسنانه (تعارفنا) عرفته من انا وعرفنى من هو (حفت) احاطت (المرح) شدة الفرح وأوفى مرحا أى أكمل طربا ونشاطا (إسفاره)

دُجُنَّةِ أسفارِه . أمْ بِمَخْصَبِ رِحالِه ؛ بَعْدَ إمحالِه ، وتاقَتْ نَفْسِي إلى أنْ أفُضَّ خَتْمَ سِرِّه ؛ وأبْطُنَ داعيةَ بِشْرِه ؛ فقلتُ له : مِنْ أيْنَ إيابُك ، وإلى أيْنَ انسيابُك ، وبِمَ امتلأتْ عِيابُك ، فقال : أمّا المَقْدَمُ فَمِنْ طُوس ، وأمّا المَقْصَد فإلى السُّوس ، وأمّا الجِدَةُ التي أصَبْتُها ، فَمِنْ رِسالةٍ اقْتَضَبْتُها ، فَسألتُه أنْ يَفْرِشَني دِخْلَتَه ، ويَسْرُدَ عليَّ رِسالتَه ، فقال دُونَ مَرامِكَ حَرْبُ البَسُوس ، أو تَصْحَبَني إلى السُّوس ، فصاحَبْتُه إليها قَهْراً ، وعَكَفْتُ عليه بِها شَهْراً وهُوَ يَعُلُّني كاساتِ التَّعْليل ، ويُجْرُّني أعِنَّةَ التَّأْميل ، حتى إذا حَرِجَ صَدْرِي ، وَعِيلَ صَبْرِي ، قلتُ له : إنّه لم يَبْقَ لكَ عِلَّة ؛ ولا لِي في المُقامِ تَعِلَّة ، وفي غَدٍ أزْجُرُ غُرابَ البَيْن ؛

طلوعه وإضاءته (دجنة) سواد وظلام (أسفاره) جمع سفر (رحاله) أوقاره يصف كثرة ماله وأنه إذا نزل منزلا أخصب بكثرة إنحاله (إمحاله) جدبه (تاقت) اشتاقت (أفض) أكسر (ختم) ربط وشد (أبطن) أعرف باطنه (يسره) غناه (إيابك) رجوعك (انسيابك) ذهابك (عيابك) أوعية متاعك (طوس) مدينة منها إلى نيسابور مرحلتان قال اليعقوبي مدينة طوس العظمى يقال لها لوبان وبها قبر الرشيد وبها توفى الرضا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين وهي من ثغور الجبال المتصلة بخرسان ومجاورتها أيضاً مدينة أصبهان وهي عظيمة (السوس) مدينة بأرض فارس تعمل بهذا الثياب السوسية من الخز قال الرشاطي السوس من كور الأهواز والسوس فى بلاد الغرب وذكر الحافظ أن من طنجة اليها عشرين يوما وسوسة من بلاد إفريقية على البحر يصنع بها ثياب رقاع والسوس اسم مشترك والذى قصد الحريرى منهما الأولى (الجدة) الغنى (اقتضبتها) ارتجلتها (يفرشني دخلته) يبسط لى باطن أمره وافرشتك حديثي بسطته لك وبينته (يسرد) يقرأ (مرامك) مطلبك ... وتقدمت حرب البسوس فى التاسعة عشرة (عكفت) أقمت (يعلني) يسقيني مرة بعد مرة (التعليل) أن يطمعك فى قضاء حاجتك فاذا تقاضيته أظهر لك عللا وعوائق ثم يمنيك فتى ما جئته اعتل لك بعلة مانعة من قضاء حوائجك (يجرني) يعلقها بى ويجعلنى أجرها (أعنة) جمع عنان (التأميل) مصدر أمله إذا رجاه وحقق له أمله (حرج صدره) إذا ضاق (عيل) غلب وعالني الأمر يعولني عولا غلبني وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وأن خفتم عيلة عائلة أى خصلة تعولكم وتغلبكم (تعلة) ماتبديه من العلل فى اعتذارك لمن يتقاضاك (وفى غد أزجر غراب البين) أى التفاؤل به لفراقك وإنما ينسبون الفراق للغراب لأنهم إذا ارتحلوا عن موضع اجتمعت الغربان فيه يلتقطن ما تركوا من بقايا طعامهم وزبل دوابهم وإذا أخذوا فى هدم البيوت للرحيل وأبصرهم الغراب صاح رغبة فيما يلتقط فيقولون عند ذلك نعق غراب البين فصاروا يتشاءمون به ... وزجر الطير يذكر فى الثامنة والثلاثين قال المعري فى صدق التفاؤل بالغراب :

نبى من الغربان ليس على شرع ... يخبرنا أن الشعوب على صدع

أصدقه فى مرية وقد امترت ... صحابة موسى بعد آياته التسع

كأن بفيه كاهنا أو منجما ... يخبرنا عما لقينا من الفجع

وما كان أفعى أهل نجران مثله ... ولا كان للانس الفضيلة فى السمع

أني وهو طيار الجناح وإن مشي ... أشاح بما أعيا سطيحا من السجع

أَوْ رَحَلَ عَنْكَ بِخُفَّى حُنَيْنٍ ؛ فقال : حَاشَ لِلّٰهِ أَنْ أُخْلِفَكَ أَو أُخالِقَكَ وما أَرْجَأْتُ أَنْ أُحَدِّثَكَ إِلا لأُلَبِّثَكَ وَإِذا كُنْتَ قَدِ اسْتَرَبْتَ بِعِدَّتِي ؛ وَأَغْرَاكَ ظَنُّ السُّوءِ بِمُبَاعَدَتِي فَأَصِخْ لِقِصَصِ سِيرَتِي الْمُمْتَدَّةِ ، وَأَضِفْهَا إِلى أَخْبارِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ

(أخلفك) أكذب وعدك (أرجات) أخرت (لألبثك) لأبطك وأجعلك تقيم معى (استربت) تشككت وادخلتك الريبة (أغراك) حرضك وألصقك (أصخ) اسمع (قصص) خبر وحديث (سيرتى) عادتى (أضفها) ضمها (أخبار الفرج بعد الشدة) ان ينزل بالانسان شدة فيشرف منها على الهلاك ثم ينزل الله تعالى تفريجا فالحديث بها يسمى خبر الفرج بعد الشدة ، ومنها ما جاء فى حديث أنس رضى الله عنه قال كان رجل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ولا يصحب القوافل توكلا منه على الله تعالى فبينا هو جاء من الشام عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر قف فوقف التاجر وقال له شأنك بمالى فقال له اللص المال مالى وإنما أريد نفسك فقال له أنظر نى حتى أصلى قال افعل ما بذلك فصلى أربع ركعات ورفع رأسه الى السماء يقول ياودود ياودود ياذا العرش المجيد يامبدىء يامعيد يافعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وأسألك برحمتك التى وسعت كل شىء لا إله الا أنت يامغيث أغثنى ثلاث مرات واذا بفارس بيده حربة فلما نظره اللص ترك التاجر ومضى نحوه فلما دنا منه طعنه فارداه عن فرسه ثم قتله وقال للتاجر اعلم انى ملك من السماء الثالثة لما دعوت الأولى سمعنا لابواب السماء قعقعة فقلنا أمر حدث ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام ينادى من لهذا المكروب فدعوت الله أن يولينى قتله واعلم ياعبد الله أن من دعا بدعائك فى كل شدة أغاثه الله وفرج عنه ثم جاء التاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال لقنك الله أسماءه الحسنى التى إذا دعى بها أجاب وإذا سئل بها أعطى ، وقال عمرو السرايا كنت أعبر فى بلاد الروم وحدى فبينا أنا نائم إذا وردعلى علج فحركنى ثم قال ياأعرابى اختر إما مسايفة وإما مطاعنة أو مصارعة فقلت المسايفة والمطاعنة لامعنى لها ولكن المصارعة فلم ينهنهى أن صرعنى وعقد على صدرى وقال أى قتله تريد أن أقتلك فذكرت الدعاء ورفعت رأسى إلى السماء وقلت أشهد أن كل معبود مادون عرشك إلى منتهى الأرضين باطل عز وجهك الكريم فقد ترى مانزل بى وأغمى على فأفقت والرمى قتيل إلى جانبى فقمت وكنت أعلم الناس هذا الدعاء ... ووجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد إلى العراق فأطلق أهل سجون الحجاج وضيق على يزيد بن أبى مسلم كاتبه فظفر به يزيد لما ولى إفريقية فجعل محمد يقول اللهم احفظ لى إطلاق الأسرى وإعطاء الفقراء فلما دنا يزيد منه وفى يده عنقود قال يا محمد مازلت أسأل الله أن يظفرنى بك فقال له محمد ومازلت أستجير الله منك قال فوالله ما أجارك ولا أعاذك منى ووالله لأقتلنك قبل أن آكل هذه الحبة من العنب ووالله لو رأيت ملكا يريد قبض روحك لسبقته اليها واقيمت الصلاة فوضع حبة العنب بين يديه وتقدم فصلى بهم وكان أهل افريقية اجتمعوا على قتل يزيد فلما ركع ضربه رجل بعمود حويد فقتله وقال لمحمد اذهب حيث شئت.

وقال حماد الراوية : كنت منقطعا إلى يزيد بن عبد الملك وكان أخوه هشام يجفونى فى أيامه لذلك مات يزيد

وأفضت الخلافة إلى هشام خفته فمكثت فى بيتى سنة لا أخرج إلا لمن آمن اليه من إخوانى سرا فلما لم أسمع أحد يذكرنى فى السنة أمنت فخرجت وصليت الجمعة فى الرصافه فاذا شرطيان قد وقفا على وقالا ياحماد أجب الأمير يوسف بن عمر فقلت فى نفسى من هذا كنت أخاف ثم قلت للشرطين هل لكما أن تدعانى حتى آتى أهلى فأودعهم وداع من لا يرجع اليهم أبدا ثم أسير معكما إليه فقالا ما إلى ذلك سبيل فاستسلمت فى أيديهما وسرت إلى يوسف بن عمر وهو فى الأيوان الأحمر فسلمت عليه فرد على السلام ورمى إلى كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف ابن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الرواية من يأتيك به غير مرور ولا متعتع وادفع اليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق فأخذت الدنانير وجلعت رجلى فى غرز جمل أعده لى ووافيت دمشق لاثنتى عشر ليلة واستأذنت على هشام فأذن لى فدخلت عليه فورا فى دار مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب من ذهب وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ بالمسك والعبر فسلمت عليه فرد على السلام واستدنانى فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جاريتان لم أر جاريتان لم أر مثلهما قط فى أذنى كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان توقدان فقال كيف أنت ياحماد وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين قال أتدرى فيم بعثت اليك قلت لا قال فى بيت خطر ببالى لم أدر من قائله قلت وما هو قال :

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة فى يمينها إبريق

فقلت هو لعدى بن زيد فى قصيدة له قال أنشدنيها فأنشدته :

بكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنه عبد الله والقلب عندكم موثوق
لست أدرى إذ أكثر والعذل فيها أعدو يلومنى أم صديق

حتى انتهيت إلى قوله : ودعوا بالصبوح يوما ـ البيت :

قدمته على سلاف كعين الديك صفى سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق
فطفا فوقها فقاقيع كاليا قوت حمر يزينها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب لا ضرى آجن ولا مطروق

قال فطرب ثم قال لى أحسنت والله ياحماد ثم قال لاحدى الجاريتين اسقيه فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى ثم قال أعده فأعدته عليه فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ثم قال للاخرى اسقيه فسقتنى شربة فذهب ثلث آخر من عقلى ثم قال سل حاجتك فقلت إحدى الجاريتين فقال هما جميعا لك ثم قال للاولى اسقيه فسقتنى شربة سقطت منها فلم أفق إلا والجاريتان عند رأسى وعشرة من الخـــدم مع كل واحد بدرة فقيل لى يقول لك أمير المؤمنين انتفع بهذا فى سفرك فأخذتها والجاريتين وعاودت أهلى ، وذكر أبو محمد هذه الحكاية فى الدرة وقال هذه حكاية تنشر مآثر الاجواد وترغب المتأدب فى الازدياد ... وهذه النبذة دالة على أخبار الفرج بعد الشدة

قلتُ له هاتِ فما أطولَ طائلك ، وأهولَ حيلك ، فقال : اعلمْ أنَّ الدَّهرَ العَبوس ، ألقانى إلى طُوس ، وأنا يومئذٍ فقير ، لا فتيلَ لى ولا نقير ؛ فألجأنى صَفَرُ اليدين ، إلى التَّطوُّق بالدَّين ؛ فادَّنتُ لسوء الاتِّفاق ، ممن هو عَسِرُ الأخلاق ، وتوهَّمتُ تسنّى النِّفاق ، فتوسَّعتُ فى الإنفاق ، فما أفقتُ حتى بهظنى دَينٌ لزمَنى حقه ، ولازمَنى مُستحِقُّه ، فحِرتُ فى أمرى ، وأطلعتُ غريمى على عُسْرى ، فلم يُصدِّق إملاقى ، ولا نزعَ عن إرهاقى ، بل جدَّ فى التَّقاضى ، ولجَّ فى اقتيادِى إلى القاضى ، وكلَّما خضعتُ له فى الكلام ، واستنزلتُ منه رفقَ الكِرام ، ورغَّبتُه فى أن ينظُرَ لى

فلنقتصر عليها (ما أطول طيلك) أى ما أكثر حيلتك يقال ذلك للكثير الدهاء والتصرف والطيل الحبل (أهول) أخوف وأغرب (وقير) إتباع لفقير وفائدة الاتباع المبالغة فى معنى الأول وذلك أنك تقول فلان فقير فيكون له الشىء اليسير من المال فاذا قلت وقير فليس له شىء البتة وقيل معنى وقير مثقل بالدين موقر به والاتباع قصد لأنه فسره بقوله لافتيل لى ولا نقير كأن إنسانا توهم أن له شيأ فذكر وقيرا لنفيه ثم زاده بيانا بما بعده ولأنه ذكر استئناف الدين بعد ذلك ويكون الوقير أيضاً من الوقر فى العظم وهو الكسر كأنه مكسور العظم كما أن الفقير أصله المكسور الفقار (الفتيل) الخيط الذى فى شق النواة مثل الفتيلة والنقير الفرض الصغير الذى فى ظهرها وفيه كالنقطة ومنه تنبت النخيل والقطمير اللفافة التى عليها وهى القشرة اللطيفة (صفر اليدين) فراغهما من المال (التطوق) لبس الطوق أراد أنه لبس من الدين طوقا (ادنت) أخذت الدين (الاتفاق) ضد الاختلاف (عسر) صعب (توهمت) حسبت (تسنى) تيسر (النفاق) ضد الكساد (توسعت) كثرت (بهظنى) غلبنى وثقل على (حقه) واجبه ... أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : إن أبواب الرزق مفتوحة إلى باب العرش فينزل الله تعالى إلى عباده أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن قلل قلل له ومن كثر كثر عليه (مستحقه) صاحبه (حرت فى أمرى) أى فى هم الدين ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : علمنى جبريل دعاء فى الدين وهو أن يصلى إذا أزالت الشمس أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بأم القرآن وآية الكرسى وقل هو الله أحد فاذا سلم قرأ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب ثم يقول يا فارج الهم يا كاشف الغم يا مجيب دعوة المضطر يارحيم الدنيا والآخرة ارحمنى رحمة تغنينى بها عمن سواك واقض دينى ، فان الله تعالى يقضى دينه عنه وفيها اسم الله الأعظم (غريمى) صاحب دينى سمى غريما لادامته التقاضى وإلحاحه وملازمته من عليه الدين ويكون الغريم أيضاً المطلوب بالدين لأن الدين لازم له كما قال الشماخ :

نلوذ بغالب الشرفين منها كما لاذ الغريم من التبيع

(عسرى) فقرى ومثله (املاقى) واملق ذهب ماله مشتق من الملقات وهى الصخور الملس كأنه افتقر حتى لم يبق له ما يلبس إلا جلده الأملس (نزع) كف (إرهاقى) تكليفى مالا أطيق وأرهقته كلفته مشقة والرهق الظلم (جد) عزم واجتهد (التقاضى) طلب المال (لج) عزم وركب رأسه (استنزلت) طلبت (رفق الكرام) لطفهم

بمُياسَرَة ، أو يُنظِرَنى إلى مَيْسَرَة ، قال : لا تَطْمَعْ فى الإنظار ، واحْتِجانِ النُّضار ، فوَحقِّك ما تَرَى مَسالكَ الخلاص ، أو تُرِيَنى سَبائكَ الخَلاص ، فلمَّا رأيْتُ احْتِدادَ لَدَدِه ، وأنْ لا مَناصَ لِى من يده ، أشاغِبْته ، ثم واثبْتُه ، لِيَرافعَنى إلى والى الجرائم ، لا إلى الحاكِمِ فى المَظالم ، لِمَا بَلغَنى مِنْ إفْضالِ الوالِى وفضْلِه ، وتَشدُّدِ القاضى وبُخْله فلمَّا حَضَرْنا بابَ أميرِ طُوس ، آنَسْتُ أنْ لا بَأْسَ ولا بُوس ، فاسْتَدْعَيْتُ دَواةً وبَيْضاء وأنْشأْتُ رِسالَةً رَقْطاء ،

وحنانهم على الفقير (مياسرة) لين ومساهلة (ينظرنى) يؤخرنى والأنظار الأمهال وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا من أنظر معسرا أظله الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله (ميسرة) غنى (احتجان) اختزان واحتجنت الشىء ضممته بالمحجن وهو عود معقف (النضار) الذهب (مسالك الخلاص) طرق النجاة (سبائك) فقر وقطع (الخلاص) بالكسر الذهب الخالص . (احتداد) اشتداد وقد احتد (لدده) خصامه وإلحاحه (مناص) مخلص ومفر وناص عن قرينه نوصا ومناصا إذا فزع وفر ، وما أحسن ما قال العبدى فى محمد بن ابراهيم يشكو غريما لازمه:

اقضى عنى يا ابن عم المصطفى — أنا بالله من الدين وبك
من غريم فاحش قد عرنى — أسود الوجه لعرضى منتهك
أنا والظل وهو ثالثنا — أينما زلت من الأرض سلك

(شاغبته) شاررته أى أوقعت بينى وبينه الشغاب (واثبته) ضاربته ووثبت اليه ووثب إلى (والى الجرائم) حاكم الجنايات (الحاكم فى المظالم) هو القاضى (افضال) انعام (فضله) جوده وكرمه (وتشدد) بخل ورجل شديد ومشداد أى بخيل قال الله تعالى وإنه لحب الخير لشديد أى لبخيل من أجل حبه الخير وهو المال أو تشدد شدته على من تعين قبله حق (آنست) علمت وأحسست (بأس) ضر (وبوس) شدة (بيضاء) ورقة يكتب فيها ولا بن الرقاق فيهما :

وواضحة كمثل النصل تجرى — مع الأبصار كالماء القراح
ترى حبك المداد بجسم نور — كمخضر العرند على الصفاح
كأن سواده فى صفحتيها — بقايا الليل فى وجه الصباح

(رقطاء) فيها حرف منقوط وآخر غير منقوط والرقطاء عندهم الدجاجة المرقشة وهى المنقطة بسواد وبياض ومنه قيل للنمر أرقط لأن فيه تنقيطا خلاف لونه ، ولو شكر لمعطيه الدواة لأنشد هذه الأبيات وهى لابن سكرة:

أخ مزجت بروحى روحه وجرى — منه كجرى دمى فى الجسم أفديه
أهدى إلى دواة لو كتبت بها — دهر أياديه لم تنفد أياديه

وهذه الرسالة التى أنشأها أبو محمد أبدع فيها بما أراد وأغرب بها وأجاد وننشد من الشعر النفيس فى مدح الرسائل ما يجرى لها كالوصف ويسرى بذكرها طيب العرف ، فمن ذلك قول أبى تمام :

مداد مثل خافية الغراب — وقرطاس كرقراق السراب

وهى : أخلاقُ سَيِّدِنا تُحَبُّ

وألفاظ كألفاظ المثانى ... وخط مثل وشم الكعاب
كتبت ولو قدرت هوى وشوقا ... لكنت اليك سطرا فى الكتاب

وله فى كتاب جاء من الحسن بن وهب .

لقد حلى كتابك كل بث ... جوى وأصاب شاكلة الرمى
وكان أغض فى عينى وأندى ... على كبدى من الزهر الجنى
وأحسن موقعا منى وعندى ... من البشرى أتت بعد النعى
فكائن فيه من معنى خطير ... وكائن فيه من لفظ بهى
فيا ثلج الفؤاد وكان رضفا ... ويا شبعى برونقه وربى

من أبيات كلها عيون وفيما ذكرنا دليل على ما تركنا ، وقال أبو نواس فى كتاب ورد عليه من صديق :

ووارد ورد إنشاء يؤكده ... صدوره عن سليم الورد والصدر
شدت بنيجانه منه على نزه ... تقسم الحسن بين السمع والبصر
عذوبة صدرت عن منطق ينع ... كالماء يخرج ينبوعا من الحجر
وروضة من رياض الفكر دبجها ... صوب القرائح لا صوب من المطر
كأنما نشرت أيدى الربيع بها ... بردا من الوشى أو ثوبا من الحبر

ولابن طاهر فى ابن ثوابة :

فى كل يوم صدور الكتب صادرة ... عن رأيه وندى كفيه عن مثل
عن خط أقلامه خط القضاء على ... الاعداء بالموت بين البيض والأسل
لعابها عسل فى الصدر تبعثه ... وربما كان فيه النفع للعلل
كأن أسطارها فى بطن مهرقة ... نور يضاحك دمع الواكف الخضل

وقال بعضهم : كتاب فيه من غرر المعانى ... قلائد لا تنظمها اليدان
إذا نشرت صحائفه تجلت ... بروضتها أزاهير المعانى
ترود العين منها فى مراد ... مريع جاده فيض البنان
كأن مجال عين الفكر فيه ... مجال اللحظ فى غرر الحسان

وقال آخر : يدير على القرطاس أسمر مرهفا ... إذا دار لم تلحق به البيض والسمر
كأن المعانى روضة وهو غيثها ... فهما سقى أغصانها ضحك الزهر

وقال الرمادى : قلم الوزير كفه ... هذا يصول وذا يطول
أضحى كليث خيفة ... ودواته لليث غيل

(أخلاق سيدنا تحب) حسن أخلاق الإنسان من كمال سعادته وكرم فضيلته وكان رسول الله صلى الله عليه

وبِعَفْوَتِهِ يُلَبُّ ، وقُرْبُهُ تُحَف ، ونَأْيُهُ تَلَف ، وخُلَّتُهُ نَسَب ، وقَطِيعَتُهُ نَصَب ، وغَرْبُهُ ذَلِق ، وشُهُبُهُ تأْتلق ، وظَلَفُهُ زَان ،

وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى مع أن الله عز وجل يقول فيه : وإنك لعلى خلق عظيم (وبعفوته يلب) أى بمنزله يقام لحماية الممدوح من يلوذ به وإكرامه له (وقربه تحف) أى من قرب منه أتحفه وهاداه ومن بعد منه فقد الأمن فهلك (والنأى) البعد ولما كان القرب سببا للتحف والنأى سببا للتلف جعل نفس القرب والبعد هما الحياة والموت (خلته) صداقته (نسب) أى هو للصديق بمنزلة النسيب ، قيل لبزر جمهر من أحب اليك أخوك أم صديقك فقال لا أحب أخى إلا إذا كان صديقى وقال أكثم بن صيفى القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لاتحتاج إلى قرابة وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما القرابة قد تقطع والمعروف قد يكفر وما رأيت كتقارب القلوب ، أخذه ابن مناذر قال :

قد تقطع الرحم القريب وتكفر النعمى ولا كتقارب القلبين
يدانى لهوى هذا ويدنى ذا الهوى فاذا هما نفس ترى نفسين

أخذه أبو تمام فحسنه فقال :

فان الفتى فى كل حال مناسب تناسب روحانية من يشاكل
ولن ينظم العقد الكعاب لزينة كما تنظم الشمل الأشت الشمائل

وقد تقدم حديث : الأرواح جنود مجندة ونظم الحسن له ، وقال الشاعر :

لاخير فى قربى بغير مودة ولرب منتفع بود أباعد
وإذا وجدت من البعيد مودة فامدد له كف القبول بساعد

(وقطيعته نصب) أى عداوته هم وتعب وقد قال أبو تمام :

وإلا فأعلمه بانك ساخط ودعه فان الخوف لاشك قاتله

(غربه) أى حده (ذلق) أى حاد (شهبه) نجومه يعنى أخلاقه ومكارمه (تأتلق) تضىء (وظلفه) منعه وكفه وظلفت نفسى عن الشىء منعتها منه (زان) يزين يقول ان قمعه من تجاوز قدره ومنعه من سأل مالا يجب زين بالممنوع وشرف بالمقموع فتأديب الملوك لاعار به وإنما العار أن يهينك كفؤك ومن لاحكم له عليك وقال المتنبى

ومن شرف الأقدام أنك فيهم على القتل مموموق كانك شاكد
وإن دما أجريته بك فاخر وإن فؤادا رعته لك حامد

وقال حبيب : خشعوا لصولتك التى هى عندهم كالموت يأتى ليس فيه عار
وقال آخر : وإن أمير المؤمنين وعتبه لكالدهر لاعار بما فعل الدهر

وإذا تزين بمنعه فما ظنك بعطائه على أن اليد القابلة للجدوى وهى اليد السفلى لا تنفك عن حشمة أو ذلة وقد اعتذروا لهذا المعنى قال أبو تمام :

رأيت رجائى فيك وحدك همة ولكنه فى سائر الناس مطمع

وقويمُ نَهجِهِ بان ، وذِهْنُهُ قلّبَ وجرّبَ ، ونَعْتُهُ شرّقَ وغرّبَ :

سَيِّدٌ قُلَّبٌ سَبُوقٌ مُبِرٌّ فَطِنٌ مُغْرِبٌ عَزُوفٌ عَيُوفُ
مُخْلِفٌ مُتْلِفٌ أَغَرٌّ فَرِيدٌ نابِهٌ فاضِلٌ ذَكِيٌّ أَنُوفُ

وقال أيضا تدعى عطاياه وفراوهي ان شهرت كانت فخارا لمن يعروه مؤتنفا
ما زالت منتظرا أعجوبة زمنا حتى رأيت نوالا يقتضى شرفا
وقال ابراهيم بن العباس: اذا طمع يوما عرانى منحته كتائب يأس كرها وطرادها
سوى طمع يدنى اليك فانه يبلغ أسباب العلا من أراها
وقال الحريمى : عطاؤك زين لامرىء أن اصبته بخير وما كل العطاء يزين
وليس بعار لامرىء بذل وجهه إليك كما بعض السؤال يشين
وقال أبو الطيب : وفيض نواله شرف وزين وفيض نوال بعض الناس ذم
وقال ابن أبي خالد :شرف للشريف منك نوال رب نيل تعافه الأحرار

فزاد بقوله للشريف على من سبق (قويم نهجه) أى مستقيم طريقه (بان) تبين (قلب) بحث (شرق وغرب) اى مشى بوصفه المادحون شرقا وغربا وانشد المتنبي وزاد فيه معنى :

ستحيا بك السمار ما لاح كوكب وتحدو بك السفار ماذر شارق
تخلى من الدنيا لينسى فما خلت مغاربها من ذكره والمشارق

(قلب) درب بالأمور وفلان حول قلب إذا كان متصرفا فى اموره نقاعا لأوليائه ضرار لأعدائه كأنه لمعرفته بالأمور قد حول الأمور وقلبها (مبر) أى غالب لاعدائه (فطن) ذكى (الغرب)يأتى بالغرائب (عزوف) نزيه النفس بعيد من الريب (عيوف)كاره للدنايا والمتلف عند العرب الذى يتلف ماله بالجود (المخلف)الذى يخلف ما اتلف بالاغارة على الاعداء وأخذ أموالهم يصفه بالشجاعة والكرم ، وقال البحترى :

بأروع من ظبى كان قميصه يزر على الشيخين زيد وحاتم
سماحا ويأسا كالصواعق والحيا إذا اجتمعنا فى العارض المتراكم
وقال ابن الرومى : لم تخل قط من صنائعك الغـ ـر ولا من حروبك الضرس
تصرف الغيث فى صواعقه وتارة فى سجاله البجس
وقال البحترى : ضحوك إلى الأبطال وهو قريعهم وللسيف حد حين يسطو ورونق
حياة وموت واحد منتهاهما كذلك غمر الماء يروى ويغرق
وقال ديك الجن : هو عارض زجل فن شاء الحيا ارضى ومن شاء الصواعق أغضبا
وقال أبو مسهر : تحيا الانام به فى الجدب ان قحطوا جودا وتشقى به يوم الوغى الهام
كالمزن يجتمع الحالان فيه معا ماء ونار وارهام واضرام
وقال ابن الرومى : والناس طرا بين مرتقب سطواته ومؤمل نفعه

مُفْلِقٌ إنْ أَبانَ ، طَبٌّ إذا نَا   بَ هِياجٌ وجَلَّ خَطْبٌ مَخُوفُ

مناظِمُ شَرَفِهِ تَأْتَلِفُ ، وشُؤْبُوب حِبائِهِ يَكِف ، ونائِلُ يدَيْهِ فاض وشُحُّ قَلْبِه غاض ، وخِلْفُ سَخائه مُحْتَلَب ، وذَهَبُ عِيابِهِ مُحْتَرَب ؛ مَنْ لَفَّ لَفَّهُ فَلَجَ وغَلَب ؛ وتاجِرُ بابه جَلَبَ وخَلَب ، كَفٌّ عَنْ هَضْمٍ بَرِى ؛ وبَرِىءَ مِنْ دَنَسٍ غَوِى ، وقَرَنَ لِيانَه بِعِزّ ، ونَكَّبَ عن مَذْهَبِ كَزّ ؛ لَيْسَ بِوَثَّابٍ عِنْدَ نُهْزَة

كما لعارض التهبت صواعقه   وسقى البلاد فلم يدع بقعه

(أغر) مشهور (فريد) ليس له نظير (نابه) رفيع الذكر (ذكى) متوقد الفطنة ويروى زكى وهو الطاهر العفيف وقيل هو المتزيد فى الخير والذكاء النماء والزياد (أنوف) كثير الحمية والغضب لما يستراب منه (مفلق) فصيح وأفلق جاء بالفلق وهى الداهية كأنه جاء من الفصاحة بما لا يطاق (أبان) بين كلامه (طب) حاذق حسن التدبير (ناب هياج) حدث شر واختلاف (جل خطب) عظم أمر (مناظم) جمع منظوم (تأتلف) تجتمع يريد أن ما ينظم فى شرفه من المدائح يأتلف بلا تكلف على الشعراء لكثرة صفات الفضل والسؤدد كما قال حبيب :

تغاير الشعر فيه إذا سهرت له   حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وقال أبو الطيب : لك الحمد فى الدار الذى لى لفظه   فانك معطيه وإنى ناظم

وقال آخر : مالقينا من فضل جود ابن يحيى   صير الناس كلهم شعراء

(شؤبوب حبائه) دفع عطائه والشؤبوب دفع المطر (يكف) يقطر ويسقط (نائل) عطاء (فاض) سال وخرج على الأرض (غاض) غاب وجف (الخلف) حلمة الضرع الذى يحلب منه اللبن وهو أيضا اسم للضرع (سخائه) جوده (عيابه) جمع عيبة (يحترب) يستلب أى لكثرة جوده كان ماله يسلبه القاصدون له (من لف لفه) أى من التفت به ودخل فى جماعته واللف لفيف الناس ولف القوم اجتمعوا والتف بعضهم ببعض وأخذ هذا اللفظ من قول الأعشى :

وقد ملأت بكر ومن لف لفها   نباكا فاحواض الربا فالنواعصا

بكر قبيلة ، ومن لف لفها أى من التفت بها (فلج) أى ظفر بما أحب (جلب) ساق أى التاجر الذى يقصد نابه بما جلب اليه من الفوائد يجازيه على ذلك بالعطاء الكثير فلكثرة ما أخذ فكأنه قد خدعه والملك المفضال يوصف أنه يخدع لكثرة هباته وقيل لعرابة بم سدت قومك قال أنخدع لهم مالى (هضم) نقص أراد أنه لا يهضم ولا يظلم من لم يذنب اليه (غوى) ضال مفسد (ليانه) أى بين خلفه (يعز) يمنع ويعظم والعزة فى اللغة الشدة والمنعة والعزاز الأرض الصلبة يريد أن الأمير إذا انبسط لم يهب وإذا اشتدت سطوته لم يؤلف فحالة هذا الممدوح بين العزة واللين وقال أبو تمام :

الجد شيمته وفيه فكاهة   سمح ولا جد لمن لم يلعب
شرس ويتبع ذاك لين خلقه   لا خير فى الصهباء ما لم تقطب

(نكب) عدل ومال (مذهب) طريق (كز) بخيل قليل الخير (وثاب) عجول كثير الوثوب (نهزة) فرصة وغنيمة

شَرٌّ، بَلْ يَعِفٌّ عِفَّةَ بَرّ

فَلِذَا يُحَبُّ ويُسْتَحَقُّ عَفَافُه شَغَفًا بِهِ فَلُبَابُهُ غَلَّابُ
أَخْلَاقُهُ غُرٌّ تَرِفٌ وفُوقُهُ فُوقٌ إِذَا نَاضَلْتَهُ غَلَّابُ
سُحُحٌ يَهِشٌّ وذُو تَلَافٍ إِنْ هَفَا خَلٌّ فَلَيْسَ بِحَقِّهِ يُرْتَابُ
لَا بَاخِلٌ بَلْ بَاذِلٌ خِرْقٌ إِذَا يُعْتَرُّ بَرْزٌ لَا يَلِيهِ بَابُ

(يعف) يكف نفسه (بر) مطيع الله أراد أنه عفيف من المحارم (شعفا) أى حبا يطلب الغاية وشعاف القلب أعلاه يريد أن عفافه بلغ غاية الحب من القلوب وفلان مشعوف بفلان إذا ذهب به حبه كل مذهب. الفراء: هو من الشعف وهى رؤوس الجبال واحدها شعفة فكأن معنى شعف بفلان ارتفع حبه إلى أعلى موضع فيه (لبابه) خالصه (خلاب) آخذ للنفس غالب عليها (غر) حسان (ترف) تلألأ وتشرق والرفيف بريق اللون (وفوقه) سهمه (الفوق) طرف السهم الذى يلى الوتر (ناضلته) راميته يقول سهمه (غلاب) لمن رماه (سحج) سهل الخلق (يهش) يهتز طربا (تلاف) تدارك (هفا) زل وسقط والهفوة الزلة (خل) صاحب (يرتاب) يشك (خرق) كريم جواد يتخرق فى العطاء (يعتر) يقصد (برز) ظاهر غير محتجب قال الفنجديهى: رجل برز أى عفيف عاقل كريم (لا يليه باب) أى لا يحتجب ببابه دون قصاده .. ومما قيل فى الحاجب:

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا من كل طالب حاجة أو راغب
غالوا بأبواب الحديد لعزها وتنافسوا فى قبح وجه الحاجب
فاذا تلطف للدخول عليهم راج تلقوه بعذر كاذب
فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن بادى الضراعة طالبا من طالب

هى لمحمود الوراق وقال أبو مسهر أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الكافى فحجبنى فكتب اليه:

إنى أتيتك للتسليم أمس فلم تأذن عليك الأستار والحجب
وقد علمت بأنى لم أرد ولا والله ما رد إلا الحلم والأدب

فأجابنى بهذا القول:

لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما قال ابن أوس وفيما قاله أدب
ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا إن السماء ترجى حين تحتجب

وقال حبيب:

سأترك هذا الباب مادام اذانه على مارأى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته معتمدا ولا فاز من قد نال منه وصولا
ولا جعلت أرزاقنا بيد امرىء حمى بابه أن ينال دخولا
إذا لم أجد للاذن عندك موضعا وجدت إلى ترك المجىء سبيلا

وحجب أبو العتاهية عن بعض الهاشميين وقال له تكون لك عودة فقال:

لئن عدت بعد اليوم إنى لظالم سأصرف نفسى حيث تبغى المكارم

إنْ عَضَّ أزْلٌ فَلَّ غَرْبَ عِضاضِهِ   بِمَنابِهِ فانْحَتَّ منهُ نابُ

متى يظفر الغادى اليك بحاجة   ونصفك محجوب ونصفك نائم

قال المتنبي :
أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة   هيهات لست على الحجاب بقادر
من كان ضوء جبينه ونواله   لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر
فاذا احتجبت فانت غير محجب   وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

وقال جرير :
قوم إذا حضر الملوك وفودهم   نتفت شواربهم على الأبواب

وقال آخر :
نهيت جميع الناس عن كل خطة   يدبرها فى رأيه ابن هام
فلما وردنا البـاب أيقنت أننا   على الله والسلطان غير كرام

وقال آخر :
وكل خفيف الشأن يدعى مشمرا   إذا فتح البواب بابك أضبعا
ونحن الجلوس الماكثون توقرا   حياء إلى أن يفتح الباب أجمعا

(عض أزل) أى أشتد زمان ولا ازل ضيق العيش من الجدب والقحط وعض قبض باسنانه (فل) كسر (غرب) حد (بمنابه) بكفايته (انحت) انكسر (ناب) سن يقول إن عضت الشدائد الناس وأضرت بهم دفعها وكسر أنيابها بمواهبه وخيره لمن أفقرته ، ومن مليح ماقيل فى هذا المعنى قول المتنبي :

أظمتنى الدنيا فلما جئته   مستسقيا مطرت على سحائبا
حال متى علم ابن منصور بهـا   جاء الزمان إلى منها تائبا

نقل المتنبي اللفظ والمعنى من قول أبى تمام :

كثرت خطايا الدهر فى وقد يرى   لنداك وهو إلى منها تائب

وألم به الحصنى أيضا فى قوله :

وقد تحسن الأيام بعد إساءة   ويذنب صرف الدهر ثم يتوب

وقاو ابن المعتز :
وعوقنى الدهر عن قربه   زمانا فقد ناب عن ظلمه

قال ابن الرومى :
أساءت لى الأيام يا ابن محمد   وهن إلى اليوم معتذرات
راين مطافى حول عفوك عائذا   فهن لما أبصرته حذرات

وقال أبو تمام :
إذا العيس لاقت بى أبادلف غدا   تقطع مابينى وبين النوائب

وقال أبو نواس :
أخذت بحبل من حبال محمد   أمنت به طارق الحدثان
تغطيت من دهرى بظل جناحه   فعينى ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الأيام عنى مادرت   وأين مكانى ماعرفن مكانى

وقال أيضاً :
أنا فى ذمة الخصيب مقيم   حيث لاتهتدى صروف الزمان
قد عرفنا من الخصيب خلالا   آمنتنا طوارق الحدثان
كيف أخشى من الليالى اغتيالا   ومكانى من الخصيب مكانى

وجَديرٌ بمن لَبَّ وَفطن ، وَقَرُبَ وَشطَن ، أنْ أذْعَنَ لِقَريعِ زَمَنْ وَجابِرِ زَمِن ، مُذْ رَضَعَ ثَدْىَ لِبانِه ، خُصَّ بإفاضَةِ تَهْتانِه ، نَعَشَ وَفرَّجَ وَضَافَرَ فأبْهج ، ونافَرَ فأزْعج ؛

(جدير) أى حقيق (لب) كان لبيبا وعاقلا (شطن) بعد (أذعن) ذل وانقاد (القريع) السيد يدفع ضر الزمن ويقرعه (جابر زمن) أى مغنى فقير والزمن الفقير الذى لازمه الفقر أو المريض الذى لازمه المرض وبه زمانة وأصل ذلك من الزمن (ابانه) أى لبن أمه وقال فى الدرة وقولهم الرضيع الانسان ارتضع بلبنه صوابه بلبانه لأن اللبن هو المشروب واللبان هو مصدر لابنه أى شاركه فى شرب اللبن هذا هو معنى كلامهم الذى نحوا اليه ولفظوا به (التهنان) سيلان المطر (إفاضته) صبه وأراد فى لبن أمه ارتضع الجود فداوم عليه كقول المتنبى :

سموا للمعالى وهم صبية وسادوا وقادوا وهم فى المهود

وقدغلط المتنبى فى هذا ونسبفيه إلى الكذبوالمحال الفاضح لأن سيادةالأطفال فى المهود وقودالجيوش من أحل المحال . . . وهذا وإن كان ظاهره كذلك فقداتسعت العرب وأهل الأدب فى هذا القدر وأقاموا تخيل النجابة فى المولود فى مهده مقام وجودها فى كبره ثم إذا وجدوا صفة الكمال فى الرجل التام حكموا بكمالها لأنه رضعها فى ثدى أمه أو غذى بها فى بطن أمه ألا ترى قوله تعلمت العلم قبل ان يقطع سرك وسررك وقبل أن يقطع ذاك كان فى بطن أمه وهلما لم ينكره أحد ، ومن شعر الحماسة فى الذى رأى المهلب فى مهده فقال :

خذونى به وإن لم يسد سرواتهم ويبرع حتى لا يصاب له مثل

وفيها أيضاً : لئن فرحت بى معقل عندشيبتى لقد فرحت بى بين أيدى القوابل

وذلك لتخيل النجابة فيه فى ذلك الوقت ألا ترى ماتثبت نساء العرب من بلوغ السيادة لأبنائهن عند ترقيصهن وانظر إلى ذلك إن شئت فى فصل نظمناه فى كتابنا الموضوع لاختصار نوادر أبى على فقد سقطعن المتنبى والحريرى بهذا ماعيب عليهما وقال سوار بن أبى شراعة :

تعرف السؤدد فى مولودهم وتراه سيدا إن أيفعا

(نعش) رفع الضعيف بجوده (فرج)أزال همه (منافر) فاجر (أبهج) أدخل السرورعلى أحبابه إذاكان له الغلب (نافر) حاكم فى النسب وكانوا فى الجاهلية إذاتنازع الرجلان الشرف تنافرا إلى حكامهم فيفضلون الأشرف وسميت منافرة لأنهم كانوا يقولون عند المفاخرة أينا أعز نفرا . . . وأشهر منافرة فى الجاهلية :

منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب مع علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص بن جعفر حين قال له علقمة الرياسة لجدى الاحوص وإنما صارت إلى عمك أبى براء من أجله وقد أسن عمك وقعد عنها فانا أولى بها منك وإن شئت نافرتك فقال عامر قد شئت والله لأنا أكرم منك حسبا وأثبت نسباوأطول قصبا فقال علقمة أنافرك وإنى لبر وإنك لفاجر وإنى لولود وإنك لعاقر وانى لعف وإنك لعاهر وإنى لواف وإنك لغادر فقال عامر أنا فرك وانا أسنى منك سنة وأطول قمة وأحسن لمة وأجعدجمة وأبعد همة فقال علقمة وأنت جسيم وأنا قضيف أنت جميل وأنا قبيح ولكن أنافرك أنا أولى بالخيرات منك ، فخرجت أم عامر فقالت نافره أيكما أولى بالخيرات ففعلوا على أن جعلوا مائة من الابل يعطاها الحكم الذى ينفر عليه صاحبه

وَفَاءٍ بِحَقٍّ أَبْلَجَ ، أَتْعَبَ مَنْ سَيَلِي ،، وَقُرِّظَ إِذْ هُزَّ وَبُلِي، وَتُوِّجَ صِفَاتِه . يُحِبُّ عُفَاتِه
فلا خَــلَا ذا بَهْجَةٍ   يَمْتَدُّ ظِلُّ خِصْبِهِ

فخرج علقمة ببني خالد بن الاصفر وبني الاحوص ومعهما القباب والجزور والقدور ينحرون فى كل منزل يطعمون وخرج عامر ببني مالك وقال إنها المقارعة عن احسابكم فاشخصوا بمثل ماشخص بهوقال لعمه أبي براء أعنى فقال سبنى فقال لا أسبك وأنت عمى وأنا لا أسب الاحوص وهو عمى ولكن دونك نعلى فانى ربعت فيها أربعين سنة ولم ينهض معه فجعلا منافرتهما إلى أبى سفيان بن حرب بن أمية ثم إلى أبى جهل بن هشام فلم يقولا بينهما شيأ ثم رجعا آخرا إلى هرم بن قطبة بن سيار بن عمرو الفزارى فقال لعمرى لأحكمن بينكما فأعطيانى موثقا أطمئن اليه أن ترضيا بحكمى وتسلما ما قضيت بينكما ففعلا فأقاموا عنده أياما فارسل إلى عامر فأتاه سرا فقال قد كنت أحسب أن لك رأيا وأن فيك خيرا وماحبستك هذهالمدة إلالتنصرف عن صاحبك أتنافر رجلا لا تفتخر أنت وقومك إلا بآبائه فما الذى أنت به خير منه فقال عامر نشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها هذه ناصيتى فاجززها واحتكم فى مالى فان كنت ولا بد فاعلا فسوبينى وبينه فقال هرم انصرف فسوف أرى رأبى فانصرف عامر وهو لايشك أنه ينفره عليه ثم أرسل إلى علقمة سرا فقال له أتفاخر رجلا هو ابن عمك فى النسب وأبوه أبوك وهو مع ذلك أعظم منك غناء وأحمد لقاء وأسمح سماحا فما الذى أنت به خير منه فرد علقمة مارد عامر وانصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامرا عليه فأرسل هرم إلى بنيه وبنى أخيه وقال لهم إنى قاتل غدا بينهما مقالة فاذا غرفت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة وليطرد بعضكم مثلها فلينحرها عن عامر وفرقوا بين الناس لا يكون بينهم جماعة ثم أصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا فقال هرم إنكما يابنى جعفر قد تحاكمتما إلى وأنتما كركبتى البعير الآدم الفحل تقعان على الأرض وليس فيكما واحد إلا وفيه ماليس فى صاحبه وكلاكما سيد كريم ، ولم يفضل واحد منها على صاحبه لئلايجلب بذلكشرا بين الحيين ونحرت الجزوروفرق على الناس وعاش هرم حتى أدرك خلافة عمر رضى الله عنه فقال هرم أى الرجلين كنت مفضلا لو فعلت فقال لو قلت ذلك اليوم عادت جذعة ولبلغت شعفات هجر فقال عمر نعم مستودع السرأنت يا هرم مثلك فليستودع العشيرة أسرارهم والحكاية طويلة ، وقال فيه الأعشى :

حكمتموه فقضى بينكم   أبلج مثل القمر الباهر
لايقبل الرشوة فى حكمه   ولا يبالى غيرة الخاسر

(فاء) أى رجع (أبلج) بين ظاهر (أتعب من سيلى) يقول إن الأمير الذى يأتى بعده فى تعب لأنه يروم أن يفعل مثل مافعل فيعجز عنه ، وأعاد هذا المعنى منظوما فى السابعة والثلاثين حين قال :

سماحه إزرى بمن قبله   وعدله أتعب من بعده

أخذه من قول رجل قال لأحد الامراء وقد عزل عن عمله أصبحت والله فاضحا متعبا أما فاضحا فلكل وال قبلك بحسن سيرتك وأما متعبا فلكل وال بعدك أن يلحقك (قرظ) مدح (هز) حرك بالثناء عليه (بلى) جرب (توج صفاته) أى زينها وشرفها (عفاته) قصاده (بهجة) سرور وكنى بخصبه عن مالهودعا له بالبركةوالكثرة

فإنّهُ بَرٌّ بمَنْ آنَسَ ضَوْءَ شُهْبِهِ
زانَ مَزَايا ظَرْفِهِ بلُبْسِ خَوْفِ رَبِّهِ

فَلْيَهْنِ سَيِّدَنا فَوْزُهُ بمَفاخِرَ تأَثَّلَتْ وجلَّتْ وفَوْتُهُ بصَنائِعَ تَمَّتْ وَنَمَّتْ ، وَيُلائِمُ قُرَبَ حَضْرَتِهِ ، غَوْثُ رِقِّهِ ، بِحَظٍّ مِنْ حُظْوَتِهِ ، فإنه تَلِيدُ نَدْب ، وَشَرِيدُ جَدْب ، وَجَرِيحُ نُوَبٍ أثَّرَتْ ؛ وناظِمُ قَلائِدَ تَسَيَّرَتْ ، إذا جاشَ لِخُطْبَةٍ فلا يُوجَدُ قائِل ، ثم قُسٌّ ثَمَّ باقِل ،

إذ جعله ممتد الظل (بر) مكرم (آنس) أبصر (شهبه) نيرانه الساطعة واحدها شهاب وأصل هائه التثقيل فخففت وكانت العرب توقد النيران فيقصدها الأضياف بالليل أراد أنه كثير الأكرام لمن يقصد ناره وأخذ اللفظ من قوله تعالى آنس من جانب الطور نارا (مزايا) فضائل (ظرفه) حسن هيئته وعذوبة لسانه وهو مصدر ظرف يظرف ظرفا فهو ظريف فمن قال الظريف البليغ وقصره على اللسان لم يجز له أن يقول ما أظرف زيد على الاستفهام ومن جعل الظرف حسن الوجه والهيئة جاز له ذلك وكذلك من جعل الظرف عاما فيكون معناه أى شىء فيه الظرف أوجهه أم هيئته أم ذكاؤه وبلاغته (يلبس) اختلاط أراد أنه يخلط الهزل بالجد والمزاح وخفة الطرب بالانقباض والحشمة وقد تقدم فى صفة التنوخى مثل هذا (والمزايا) جمع مزية وهى النماء والكمال وأصلها من الزى (فوزه) ظفره (تأثلت) تقدمت واتصلت (جلت) عظمت (فونه) سبقه (صنائع) أفعال جميلة (نمت) اشتهرت (يلائم) يوافق (حضرته) موضعه الذى يحضر فيه والقرب جمع قربة وهى ما يتقرب به من أعمال البر إلى الله تعالى ومن الهدايا إلى الملوك (غوث) إغاثة وكشف ضر (رقه) عبده (حظ) نصيب (حظوته) مكانته ورفعته (تليد ندب) تقول ندبت القوم دعوتهم يريد أنه عبد للدعوة التى دعاها بها خصمه إلى الوالى والتليد من العبيد ماولد عند غيرك ثم اشتريته صغيرا فكبر عندك وجعل نفسه عبدا للدعوة لما تعبد بها أو يريد بالتليد القديم فان التليد والتالد المال القديم والندب الهم من ندبت الميت ندبا فيريد أنه قديم هم ورجل ندب أى خفيف فى قضاء الحوائج لأصحابه فيريد على هذا بتليد ندب أى خفيف ومن هذه صفته فقد وجبت حرمته (وشريد جدب) طريد فقر وجوع والجدب ضد الخصب (نوب) نوازل (اثرت) ابقت به اثرا واثرها اخذها ماله حتى عاد فقيرا فمن نظره رأى اثر النوائب عليها (ناظم قلائد) قائل قصائد ورسائل (تسيرت) مشت فى الناس والبلاد (جاش لخطبة) تحرك صدره للكلام بها يريد أنه إذا اراد قول خطبة ازدحم الكلام فى صدره وارتفع كما يجيش القدر اى يغلى وتقدم هذا الكلام (قس) فصيح العرب ويأتى ذكره فى الأربعين (ثم) معناه هنالك (باقل) تقدم يريد ان قسا على فصاحته لو حضر مع الموصوف لنظم او نثر لوجع فى عى باقل والعادة إنما يذكر معه سحبان للزوم الرسالة ، وقال حبيب وذكر ثلاثة من اصحاب عبد الله بن طاهر :

اول :	حازوا خلائق قد تيقنت العلا	كل التيقن انهن نجومها
ثان :	لو ان باقلا المفهت ينبرى	فى مدحها سهلت عليه خرومها

فإنْ حَبَّرَ قُلتُ حِبَرٌ نُمنِمَتْ ؛ وَخِلتَ رِياضاً قَدْ نَمَت ، هذا نَم شِربُه بَرَض ، وَقوتُه قَرْض ؛ وَفَلَقُهُ غَسَق ؛ وَجِلبابُهُ خَلَق ، وقد قَلِقَ لِتوَغُّر غَرِيمٍ غاشِمٍ ، يَسْتَحِثُّهُ بِحَقٍّ لازِم ، فإنْ مَنَّ سَيِّدُنا بِكَفِّه ، بِهِباتِ كَفِّه ، تَوَشَّحَ بِمَجْدٍ فاق ، وَباءَ بِأَجْرِ فَكِّي مِنْ وَثاق ، لا خانَتْ سَجايا خُلُقِه ، تَرْفِدُ شائِمَ بَرْقِه ،

ثالث : ولو أن سحبانا يسحب ذيله في ذمها لم يدر كيف يديمها

(حبر) قال شعر أو رساله وأصل حبر وشي وزين (حبر) ثياب موشاة (نمنمت) زيلت ورقت (نمت) تحركت بالروائح العطرة ، وقال الصابي في المهلبي وكانه يصف هذا الكلام :

وإن استنطق الأنامل جاءت ببيان كالجوهر المنضود
في سطور كأنما نشرت ي ياه منها عصائبا من برود
فقر لم يزل فقيرا اليها كل مبدى بلاغة ومعيد
يهتدى البارع المفيد لديها لاحقا بالمقصر المستفيد
ببيان شاف ولفظ مصيب واختصار كاف ومعنى سديد

وله في مثله أيضاً : وكم من يد بيضاء حازت جمالها بذلك لا تسود إلا من النقس
إذا رقشت بيض الصحائف خلتها تطرز بالظلماء أردية الشمس

وقال السرى رحمه الله تعالى :

شغلتك عن حسن الشآم مدائح حسنت فما تنفك تطرب سامعا
زهر إذا صافحن سمع معاقد خفض الكلام وغض طرفا خاشعا
جاءتك مثل بدائع الوشي الذى مازال في صنعاء يتعب صانعا
أو كالربيع يريك أخضر بانعا متوردا ترفا وأصفر فاقعا

وله أيضاً في مثله : سأبعث الحمد موشيا سبائبه إلى الأمير صريحا غير مؤتشب
إن المدائح لاتهدى لناقدها إلا وألفاظها أصفى من الذهب
كم رضت بالفكر منها روضة انفا تفتح الزهر فيها عن جنى الأدب
لفظ يروح له الريحان مطرحا إذا جعلناه ريحانا على النجب

(شربه) أى حظه من المال (رض) قليل (قرض) سلف والقرض ما أخذ ليعرض منه (وفلقه) ضوء صبحه (غسق) ظلام يريد أن حاله متغيرة (جلبابه) ثوبه (خلق) بال (توغر) توقد واشتد غضبه والتوغر التوقد لشدة الغيظ والوغرة شدة الحر (غاشم) ظالم جاف (يستحثه) يستعجله (لازم) واجب (من) أنعم وأحسن (بكفه) برده عنى (هبات) عطايا (توشح) تحزم وتزين و توشح الرجل بثوبه جعله موضع الوشاح وتحزم (فاق) فضل بهذا المجد كل أحد (باء) رجع (فكي) انقاذى (وثاق) شد وربط (سجايا) طبائع (ترفد) تصل وتعين والرفد المعونة (شائم برقه) راجي خيره ونازل امره ونزل البرق منزلة الجود لأنه يأتى بالمطر

بِمَنْ رَبٌّ أَزَلِيَ ، حَيٌّ أَبَدِيٌّ ، قال : فلمَّا استَشَفَّ الأَمِيرُ لآليهام ولَمَحَ السِّرَّ المُودَعَ فيها ، أَوْعَزَ فى الحال بقضاء دَيْنِي ، وفَصَلَ بَيْنَ خَصْمِى وبَيْنِى ، ثم استَخلَصَنِي لمكاثَرَتِهِ ، واختَصَّنِي بأَثَرَتِه ، فَلَبِثْتُ بِضْعَ سِنِينَ أَنْعَمُ فى ضِيافَتِهِ ،

والمطر يشبه به الجود (بمن) باحسان وانعام (أزلى) قديم (أبدى) باق مع الأبد وهو الدهر... وإذاقدفرغنا من شرح هذه الرسالة على صعوبتها فانا نعتذر إلى من وقف على شرحنا لها من صعـــوبة هذاالمقام ، فان هذه الرسالة وأمثالها إنما يؤتى بها على جهة الملح والاقتدار لا على أنها من نفيس الكلام الفصيح ألا ترى الحريرى كيف اعتذر فى مثلها حيث قال أجل الأبيات العرائس وإن لم يـكن نفائس ، ولا شك أن الشارح لمثل هـذه الرسالة يقارب تعب منشئها فى أنه يغوص على تلك الاستعارات البعيدة فيريد أنه يبرز المعنى فى غاية البيان والللفظ فى أغلبها موضوع على غاية الابهام فوقع التمانع فلا يصل إلى عبارة متوسطة تتعلق بالمعنى ولا تبعد من اللفظ إلا بعد جهد ، فهذا عذرنا فى هذه الرسالة الرقطاء والقهقرية والخيفاء المتقدمتين وماعلمت أحداشرحها شرحنا ولا بلغ منها مبلغناوالله منشئها من عالم بارع فما اتفق له إنشاؤها إلا بعد التبحر فى علوم اللغات حتى كان أبا حفص بن برد يخاطبه بهذه الأبيات :

أبا العلا استمع تعويض ذى مقة	أهدى لك الود محضا غير مقطوب
أنت الذى لم نعاشر مثله رجلا	فى العلم والظرف والآداب والطيب
تحصيل فضلك للحساد معجزة	وكـنه علمك شىء غير محسوب
أما اللغات فما يعقوب يبلغ ما	وعيت منها ولا أشياخ يعقوب

(استشف) نظر (لآليها) جواهر كلامها (لمح) رأى (المودع) المضمن المجعول وعنى بالسر ماذكـر من النقط لحرف والترك لآخر (أوعز) تقدم (فصل) قطع (استخلصنى) ضمنى وأنقذنى منه (لمكاثرته) لزيادة عدده يريدأن الامير خلصه من غريمه وضمه اليه وجعله فيمن حواليه فكثروا به (اختصنى باثرته) أفودنى بعطيته وآثرنى بها على غيرى (لبثت) أقمت (بضع سنين) قال أبو عبيدة رحمه الله البضع من واحـــد إلى أربعة وقال الأخفش من واحد إلى عشرة وقال الفـــراء مادون العشـــرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما البضع من الثلاثة إلى عشرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر لما نزلت فى بضع سنين،البضع مابين السبع والتسع قال ابن سلام فلما انقضت سبع سنين ظـــهرت الروم على فـارس ، وقال أبو محمد فى الدرة البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث الى العشر وأسر ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير قوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين وذلك ان المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب والمشركون يميلون إلى أهل فارس لأنهم أوثان فلما بشر الله المسلمين بان الروم سيغلبون سر المسلمون ثم إن أبا بكر رضى الله عنه أخبر مشركى قريش بما نزل عليهم فقال أمية بن خلف خاطرنى على ذلك فخاطره على خمس قلائص فى مدة ثلاث سنين ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن البضع فقال مابين الثلاثة إلى العشرة فأخبره بخطاره مع ابن خلف فقال له ماحملك على تقريب المدة قال الثقة بالله ورسوله فقال له عد

وأرتعُ في ريفِ رأفتهِ ، حتى إذا غمرتني مواهبُه ، وأطالَ ذَيلي ذَهَبُه ، تلطَّفتُ في الارتحال ، على ما ترى من حُسْنِ الحال ، قال : فقلتُ له شكراً لمن أتاحَ لكَ لقيانَ السَّمحِ الكريم ، وأنقذكَ به من ضُغطةِ الغريم ، فقال : الحمدُ لله على سعادةِ الجدّ ، والخلوصِ منَ الخصمِ الألدّ ، ثم قال أيُّما أحبُّ إليكَ أن أحذيكَ من العطاء ، أم أتحفكَ بالرسالةِ الرقطاء ، فقلت : إملاءُ الرسالةِ أحبُّ إليَّ ، فقال: وهو وحقِّكَ أخفُّ عليَّ ، فإنَّ نحلةَ ما يلجُ في الآذان ، أهونُ من نحلةِ ما يخرجُ منَ الأردان ، ثم كأنَّهُ أنفَ واستحيا ، فجمعَ لي بينَ الرسالةِ والحذيا ، ففزتُ منهُ بسهمين ، وفصلتُ عنهُ بغنمين ؛ وأبتُ إلى وطني قريرَ العين ، بما حزتُ من الرسالةِ والدين .

اليهم فزدهم في الخطر وازدد في الأجل فزادهم قلوصين وزادوه سنتين فظهرت الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقا لتقدير أبي بكر رضي الله عنه ويقال البضع بغيرهاء للمؤنث مثل خمس وبضعة للمذكر مثل خمسة (أرتع) آكل وأتنعم (الريف) الخصب (الرأفة) الرفق (غمرتني مواهبه) غطتني عطاياه وأراد باطالة ذيله كثرة ماله حتى صار منه فضول وصار يجر ذيلة تبخترا (تلطفت) تسللت برفق (أتاح) قدر (لقيان) لقاء (الضغطة) التضييق وضغطه ضيق عليه (الجد) الحظ والسعد (الالد) الشديد الخصومة (أحذيك) أعطيك (أتحفك) أهديك (املاء الرسالة) القاؤها عليه ليكتبها (نحلة) عطية (يلج) يدخل (الاردان) الأكمام (أنف) كبر ذلك عليه واستنكفه (والحذيا) العطية (فصلت) زلت (أبت) رجعت (قرير العين) مسرورا بالفائدة (حزت) جمعت وصار في حوزي أي في ملكي (والعين) الذهب الأحمر

المقامة السابعة والعشرون الوبرية

حكى الحارثُ بن همام قال : ملتُ في رَيِّق زَماني الذي غَبَرَ ، إلى مُجاوَرَةِ أهْلِ الوَبَر ، لآخُذَ أخْذَ نُفوسِهِمُ الأَبيّة وأَلْسِنَتِهِمُ العَرَبِيَّة، فَشَمَّرْتُ تَشْميرَ مَنْ لا يأْلُو جُهْدًا ؛ وَجعلْتُ أضْرِبُ في الأَرْضِ غَوْرًا وَنَجْدًا ؛ إلى أنْ اقْتَنَيْتُ هَجْمَةً مِنَ الرَّاغِيَة، وَثُلَّةً مِنَ الثّاغِيَة ، ثم أوَيْتُ إلى عَرَبٍ أرْدَافِ أَقْيال ، وأَبْناء أَقْوَال ، فَأوْطَنُوني أمْنَعَ جَناب ؛ وَفَلُّوا عَني حَدَّ كلّ ناب ، فَمَا تأَوَّبَني عِنْدَهُمْ هَم ، وَلا قَرَعَ صَفَاتي سَهم إلى أنْ أضْلَلْتُ في لَيْلَة مُنيرَةِ البَدْرِ ؛ لِقحَةً غَزيرَةَ الدرِ ، فَلَمْ أطِبْ نَفْسًا بِإلْغاءِ طَلَبِهَا ، وَإلْقاءِ حَبْلِهَا عَلَى غارِبها ، فَتَدَثَّرْتُ فَرَسًا مِحْضَارًا ، وَاعْتَقَلْتُ لَدْنًا خَطَّارًا ، وَسَرَيْتُ لَيْلَتي جَمْعَاءَ أجُوبُ البَيْدَاءَ ، وَأقْتَري كلّ شَجْرَاءَ وَمَرْدَاءَ ، إلى أنْ نَشَرَ الصُّبحُ رَايَاتِه ، وَحَيْعَلَ الدَّاعِي إلى صَلَاتِه ، فَنَزَلْتُ عَنْ مَتْنِ

شرح المقامة

(غبر) تقدم (أهل الوبر) أصحاب البوادى الذين مالهم الإبل وكنى بالوبر عنها (الابية) العزيزة التى تأبى الذل (يألو جهدا) يقصر فى الاجتهاد (أضرب) أمشى فى الأرض (غورا ونجدا) مرتفعا ومنخفضا (اقتنيت) اكتسبت لنفسى لا للبيع ؛ وشرح الحريرى ألفاظا فى المقامة فنقتصر فيها على شرحه الا بقدر ما يريد الكلام بيانا مثل قوله (آخذ أخذ نفوسهم) أى أتخلق بأخلاقهم وطباعهم ويقال لو كنت مثلنا لأخذت باخذنا بكسر الهمزة وفتحها أى بخلائقنا وشكلنا واستعمل فلان على الشام وما أخذ أخذه أى وما والاه وكان فى حيزه (أرداف أقيال) يفسر القيل بالملك ويردف الملك وقيل القيل بالمشرق كالقائد بالأندلس والردافة فى الجاهلية كالوزراء فى الإسلام والردافة أن يرتدف مع الملك على مركوبه وأن يستخلفه فى موضعه متى غزا (أويت) رجعت واتخذته مأوى (أوطنونى) أنزلونى (جناب) جانب (فلوا) كسروا (ناب) ضرس (تأوبنى) أتانى ليلا (ولا قرع صفاتى سهم) أى لم ينلنى ضر (أضللت) أتلفت وضلت الناقة وأضلها ربها (منقير) مضيئة (اللقحة) الناقة لها لبن (غزيرة الدر) كثيرة اللبن (الغاء) ترك (غاربها) أعلى سنامها (اللدن) الرمح اللين (الخطار) الطويل المضطرب (واعتقلت) الرمح جعلته ما بين سرجك ورجلك (أجوب البيداء) أقطع القفر ... وفسر (حيعل) بأنه قول المؤذن حى على الصلاة حى على الفلاح وشاهده :

الارب طيف بات منك معانقى ... الى أن دعا داعى الصلاة فحيعلا

وقال آخر ... أقول لها ودمع العين جار ... الم تحزنك حيعلة المنادى

ومعنى حى هلم وأقبل والفلاح الفوز وأفلح الرجل إذا فاز وأصاب خيرا والمفلحون الفائزون وقيل الفلاح البقاء اى اقبلوا على بيت البقاء فى الجنة والمفلحون الباقون (الصلاة) المعلومة والصلاة الرحمة كقوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكقوله عليه الصلاة والسلام اللهم صلى على آل ابى اوفى والصلاة بمعنى الدعاء كالصلاة على الميت وكقوله صلى الله عليه وسلم إذا دعى احدكم إلى الطعام فلتجب فان كان مفطرا

الرَّكُوبَة ، لأَدَاءِ المَكْتُوبَة ، ثم حُلْتُ فى صَهْوَتِهَا ، وَفَرَرْتُ عَنْ شَخْوَتِهَا ، وَسِرْتُ لَا أرَى أثَرًا إلَّا قَفَوْتُهُ ، وَلَا نَشْزًا إلاَّ عَلَوْتُهُ ، ولا وَادِيًا إلاَّ جَزِعْتُهُ ، وَلَا رَاكِبًا إلاَّ اسْتَطْلَعْتُهُ ، وجِدِّى مَعَ ذلك يَذْهَبُ هَدَرًا ، ولا يَجِدُ وِرْدُهُ صَدَرًا ، إلى أن حَانَتْ صَكَّةُ عُمَىّ ، وَلَفَحَ هَجِيرٍ يُذْهِلُ غَيْلَانَ عَنْ مَىّ ، وكَانَ

فليأكل ومن كان صائما فليصل (أداء) قضاء (حلت فى صهوتها) ركبت طهرها ووثبت عليها (فررت) كشفت (قفوته) اتبعته (نشزا) مرتفعا (استطلعته) استخبرته وسألته (جدى) عزمى واجتهادى (هدرا) باطلا (ورده صدرا) أى سؤاله خبرا والورد اتيان الماء والصدر الرجوع عنه (لفح) تحرك (هجير) حر (يذهل) يشغل (غيلان) اسم ذى الرمة وهو غيلان بن عقبه بن بهس بن مسعود بن حارثة ، عداده فى الرباب والرباب عدى بن عبد مناة وتيم بن عبد مناة وعكل وهو عوف بن عبد مناة وضبة بن أد وهو عمهم وأد بن طابخة ابن الياس بن مضر وسمى ذا الرمة بقوله يصف وتدا :

وغير موضوح القفا موتود ... أشعث باقى رمة التقليد
نعم فأنت اليوم كالمعمود ... من الهوى أو شبه المورود
بمى ذات المبسم المبرود ... والمقلتين وبياض الجيد

وقيل سمى به لأنه خشى عليه من المس فأتى به رجل من الحى فكتب معاذة علقت فى عنقه وشدت بحبل وقيل سمته بذلك خرقاء التى يذكرها فى شعره ، وذلك أنه رآها وهى فى جوار على سنها فأعجبته وأدام الالتفات إليها ، ثم قال لها : يا جارية اخرزى لى هذه القربة فعلمت مراده ، فقالت له إنى خرقاء فولى وفى يده قطعة حبل بال فنادته ياذا الرمة إن كنت خرقاء فجاربنى صناع فاذهب إليها فمضى عليه ذو الرمة وسماها فى شعره خرقاء فمضت عليها ... وهى مى بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم وتكنى أم ثور وغلبت عليه حتى عرف بها فقيل غيلان مى كما قيل كثير عزة ، وأول أمره مع مى فيما حكى الأصبهانى عن أمة لأم مى قالت كنا نازلين بأسفل الدهناء ورهط ذى الرمة مجاورون لنا فجلست مية تغسل ثيابا لها ولأمها فى بيت رث فيه خروق وهى فتاة أحسن من رأيته حين بدا ثدياها فلما فرغت لبست ثيابها وجلست عند أمها وأقبل ذو الرمة ينشد ضالة فدخل وجلس ساعة ثم خرج فقالت مية إنى لأرى أن هذا العذرى قد رآنى منكشفة واطلع على من حيث لا أشعر فان بنى عذرة أخبث قوم فى الأرض فاذهبي فقصى أثرة فوجدته قد تردد أكثر من ثلاثين مرة كل ذلك يدنو فيطلع عليها ثم يرجع على عقبه ثم يعود فأخبرتها بذلك ؛ ثم لم ينشب أن جاءنا شعرة فيها من كل وجه ومكان .: وحدث ايضا بسنده عن عمارة بن ثقيف ان ذا الرمة حدثه ان اول امره معها انه خرج مع اخيه وابن عمه فى بغاء إبل لهم فوردوا على ماء وقد جهدهم العطش قال فأتيت خباء عظيما استسق لها ماء فاذا عجوز جالسة فى رواقه فالتفتت وراءها وقالت يا مى اسق الغلام فدخلت عليها وهى تنسج شقة فقالت لى فقد كفك اهلك السفر على ما ارى من حداثة سنك ثم قامت تصب فى ركوتى ماء وعليها شوذن ، فلما انحطت على القربة رايت مراى لم ار احسن منه فلهوت بالنظر إليها وهى تصب الماء فيذهب يمينا وشمالا فقالت العجوز يابنى ألهتك مى عما بعثك له اهلك اما ترى الماء يذهب يمينا وشمالا قلت اما والله ليطولن

هيامى بها ثم أتيت بالماء أخي وابن عمى فلففت رأسي وانتبذت ناحية وقلت :

قــد سحرت أخت بنى لبيد   منى ومن سـلم ومن وليد
رأت غلامى سـفر بعيد   يدرعان الليل ذا الصدود
مثل الذرع اليلمق الحديد

وهى أول قصيدة قلت ثم مكثت أهيم بهـا فى ديارها عشرين سنة ، وأما ابن قتيبة فقال مكثت مى تسمع شعر ذى الرمه ولا تراه فجعلت لله أن تنحر بدنه يوم تراه وكانت من أجمل الناس ، فلما رأته دميا أسود صاحت واسوأتاه واضعية بدنتاه فقال :

عـلى وجه مى مسحة من ملاحة   وتحت الثياب الشين لوكان باديا

فـكشف عن جسدها وقالت أشينا ترى لا أم لك فقال :

ألم تران المـاء يخبث طعمه   وإن كان لون المـاء أبيض صافيا

فقالت له قد رأيت ماتحت الثياب فلم يبق إلا أن أقول هلم فذق ماوراءه فوالله لاذقت ذلك أبدا ثم صلح الأمر بينهما فعادا لما كانا من حبهما ... وهو شاعر مجيد مكثر وصاف للاطلال والديار والصبر على قطع القفراء. أبو الفرج : كان سليمان بن أبى شيخ راوية لشعر ذى الرمة فأنشد يوما قصيدة له وأعرابى من بنى عدى يسمعه فقال أشهد أنك فقيه تحسن ماتلوته ، وكان يحسبه قرآنا ، وكان أهـل البادية يعجبهم شعره ، وكان جرير والفرزدق يحسدانه ، وقال حماد الراوية : ما أخر القوم ذكره إلا لحداثة سنة وأنهم حسدوه ، وقال أبو المطرف : لم يكن أحد منهم فى زمانه أبلغ منه ولا أحسن جوابا ، وكان كلامه أحسن من شعره ، وقال مولى لبنى هاشم : رأيته بسوق المربد وقد عارضه رجل فقال يا اعرابى — يهزأ به — أتشهد بمـا لم تر قال نعم قال بماذا قال أشهد أن اباك ناك أمك: الأصمعى : ما اعلم أحدا من العشاق شكا احسن من شكوى ذى الرمة مع عية وعقل . ابوعبيدة : يخبر ذو الرمة فيحسن الخبر ، ثم يرد عـلى نفسه فيحسن الرد ، ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن إنصاف فى الحـكم وعفاف ، وقال ذو الرمة : من شعرى ماساعدنى فيه القول ومنه ماأجهد نفسى فيه ومنه ماجننت فيه جنونا فاما الذى طاوعنى فيه القول فقولى :

خليلى عوجا فى صدور الرواحل   بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحـة   من الوجد أويشفى نجى البلابل

واما ماجهدت نفسى فيه فقولى :

أأن توسمت من خرقاء منزلة   ماء الصبابة من عينيك مسجوم
كأنها بعـد أحوال مضين لهـا   بالأشيمين يمـان فيه تسهيم

وأما الذى جننت فيه جنونا فقولى :

مابال عينك منها المـاء منكسب   كأنه من كلا مفرية سرب
براقة الجيد واللبات واضحة   كأنها ظبية أفضى بهـا لبب
زين الثياب وإن أثوابها سلبت   فوق الحشية يوما زانها السلب

يَوْماً أطولَ مِنْ ظِلِّ القناة ، وَأحرّ مِن دَمْعِ المقلات ، فأيقنتُ أني لم أستكنّ مِنَ الوَقْدَة ، وأستجم بالرَّقْدَة ، أدْنفني اللُّغوبُ ، وعلقتْ بي شَعُوب ، فَعجبْتُ إلى سَرْحَةٍ كثيفةِ الاغصان ، وريقة الافنان ،

إذا أخو لذة الدنيا تبطنها | والبيت فوقهما بالستر محتجب
ساقت مطية العرنين مارنها | بالمسك والعنبري الهندي مختضب
لمياء في شفتيها قد حوت لعسا | وفي اللثاث وفي أنيابها شنب
كحلاء في برج بيضاء في دعج | كأنها فضة قد زانها ذهب

وهذه القصيدة من المطولات التي نيفت على المائة وربعها وتصرف فيها ما شاء من أوصاف الاطلال والديار والثور والحمار والكلاب والظبي وغير ذلك ، وفي خلاف ذلك يأتي بتشبيها بديعات وهو أشعر الشعراء الاسلاميين في التشبيه وكان يقول إذا قلت كان فلم أجد مخرجا فقطع الله لساني واحتذى في ذلك حذوه من المولدين ابن المعتز ... وقصده الحريري في هذا الموضع لمنيين أحدهما لأنه كان صادقا في حب مية كان لا يشغله عنها شيء لامثل كثير عزة وغيره ممن لا يصدق في حبه والثاني أنه يكثر في شعره صبره على قطع الهواجر لمية مثل قوله :

وهاجرة من دون مية لم تقـل | قلوصي بها والجندب الجون يرمح
إذا جعل الحرباء مما أصابه | من الحر يلوى رأسه ويرنح
لئن كانت الدنيا على كما أرى | تباريح من مى فللموت أروح
ولما شكوت الحب كيما تثيبني | بودى قالت إنما أنت تمزح

فذكر الحريري أن هذه الهاجرة شغلته عن ذكر مي حتى طلب ظلا يلوذبه (استكن) استتر واطلب كنا (الوقدة) شدة الحر (استجم) أستريح فاتقوى (أدنفني) أمرضني (اللغوب) التعب . وذكر طول اليوم وأنشد عليه في الشرح :ويوم كظل الرمح ، وذكر أن اليوم القصير يوصف بابهام القطاة ولم ينشده عليه شيا وقال جرير :

ويوم كابهـام القطـاة محبب | إلى صباه غالب لى باطـــله
رزقنا به الصيد الغزير فلم يكن | كمن نبله محرومة وحبائله
فيالك يوم خيره قبل شره | تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال الأصمعي قال لي خلف الأحمر ويحه فما ينفعه حين يؤل إلى الشر قلت فكيف يجب ان يقول قال خيره دون شره قلت والله لا اروبه بعدها إلا هكذا (عجت) ملت (سرحة) شجرة (كثيفة) ملتفة الاغصان (وريقة) كثيرة الورق (الافنان) الاغصان اوماتفرع منها وما احسن ما نظم في الفراز من الحر إلى الظل المازني كاتب مروان صاحب ميافارقين حين قال (وينسب لحمدونة الاندلسية) :

وقانا وقدة الرمضاء روض | وقاه مضاعف الظل العميم
قصدنا نحوه فحنا علينـــا | حنو الوالدات على الفطيم
يراعي الشموس أني قابلتنا | فيحجبها ويأذن للنسيم

وهذا ما يتعلق بالغرض وزاد فيه معنى بديعا بقوله :

لأَغْوَرَ تحتها إلى المُغَيربان ، فَوَاللهِ ما استَرْوَحَ نَفسى ؛ ولا استَرَاحَ فَرَسى ، حتى نَظَرْتَ إلى سانِح ، فى هَيْئَةِ سائِح ؛ وهو يَنْتَجِعُ نَحْتى وَيَشْتَدُّ إلى بُقعَتى ، فَكَرِهْتُ انْعِياجَهُ إلى مَعاجى ، فاسْتَعَذْتُ باللهِ مِنْ شَرِّ كلِّ مُفَاجى ، ثم تَرَحَّبتُ أنْ يتصَدَّى مُنْشِدًا ، أو يَتَبَدَّى مُرْشِدًا . فلما اقْتَرَبَ مِنْ سَرْحَتى ، وكادَ يَحُلُّ بِساحَتى، أَلْفَيْتُهُ شيخَنا السَّرُوجِيَّ مُتَّشِحًا بِجِرابِه ، ومُضْطَغِنًا أُهْبَةَ تَجْوابِه ؛ فَأَنْسَنِي إذْ وَرَدَ ، وأنْسَانى ما شَرَدَ ، ثم استَوْضَحْتُه مِنْ أينَ أثَرُهُ ، وكَيفَ عَجَرُهُ وبُجَرُه

ويسقينا على ظما زلالا ألذ من المدام مع الكريم
تروع حصاه غالية الغوانى فتلمس جانب العقد النظيم

تأمل هذه الصفة تجدها غاية فى بابها وتخيل هذه الجارية كيف نظرت بياض الحصى فى الماء فارتاعت وحسبت عقدها تناثر فالتمسته بيدها وقال السرى فأحسن :

أدرها ففقد اللوم إحدى الغنائم ولا تخش إنما لست فيها بآثم
ولا عيش إلا فى اعتصام بقهوة يروح الفتى منها خضيب المعاصم
ولا ظل إلا ظل كرم معرش تغنيك من قطريه ورق الحمائم
سماء غصون تحجب الشمس أن ترى على الأرض إلا مثل نثر الدراهم

وقال ابن ليال فى منتزه بشريش يسمى إجانة :

أيا حبذا إجانة كيفما اغتدت زمان ربيع أو زمان عصير
مذانب ماء كاللجين على حصى كدر بلا ثقب أغر نثير
ورمل إذا ما ابتل بالماء عطفه غنينا به عن عنبر وذرور
وتين كما قامت على حلماتها نهود عذارى الزنج فوق صدور
كأن القباب الخزفيها عرائس على سرر مفروشة بحرير

وله أيضا عفا الله تعالى عنه :

كأن جنى القوطى فى رونق الضحى وقد حملته راحة الورقات
نهود عذارى زحزحت عن مقرها فقامت على الأطراف والحلمات

(استروح نفسى) أى استنشقت الريح فتنفست فيه من التعب أى ما سكنت عن أنفاس التعب واستروحت الشىء وجدت ريحه (سانح) خاطر (سائح) عابر يسيح فى الأرض أى يمشى فى جهاتها ويقال للمكدى سائح لأنه يسيح فى الكدية (ينتجع نحتى) أى يقصد قصدى فى طلب الراحة والانتجاع طلب المرعى (يشتد) يجرى (بقعتى) موضعى (انعياجه) انعطافه (معاجى) مكانى الذى عجت اليه (مفاجى) آت على غفلة (يتصدى) يتعرض (منشدا) دالا تقول نشدت الضالة طلبتها وأنشدتها دللت عليها طالبها (مرشدا) هاديا للطريق (ساحتى) موضعى الذى أنافيه (ألفيته) وجدته (متشحا بجرابه) أى جعل جرابه موضع الوشاح (أهبة تجوابه) أى عدة جولاته (ورد) وصل (ما شرد) نفر يعنى الضالة (استوضحته) سألته أن يوضح لى أمره

فأنشدَ بَدِيها، ولم يَقُلْ إيهًا :

قُلْ لمُسْتَطْلِعٍ دَخِيلَةَ أمْرِي لَكَ عِنْدِي كَرَامَةٌ وعَزازَهْ
أنا ما بينَ جَوْبِ أرضٍ فأرْضٍ وسُرًى في مَفازَةٍ فَمَفازَهْ
زَادِيَ الصَّيْدُ والمَطِيَّةُ نَعْلِي وجِهازِي الجِرابُ والعُكَّازَهْ
فإذا ما هَبَطْتُ مِصْرًا فَبَيْتِي غُرْفَةُ الخانِ والنَّدِيمُ جُزَازَهْ

(بديها) مرتجلا من غير فكرة (المستطلع) الذى يحب أن يطلع على الأمر (دخيلة أمرى) باطنه (عزازة) عزة ورفعة (جوب) قطع (سرى) مشى الليل (مفازة) قال الأصمعى هى المهلكة سميت بذلك تفاؤلا لسالكها بالفوز كما سمى اللديغ سليما تفاؤلا بالسلامة. ابن الإعرابى: هى مأخوذه من فوز الرجل إذا هلك والعرب تسمى النعل مطية مجازا حيث يستعان بها على قطع المفازة وانشد أبو على الفارسى رحمه الله :

رواحلنا ست ونحن ثلاثة نجنبهن الماء فى كل مشرب

وقال أبو نواس: إليك أبا العباس يا خير من مشى عليها امتطينا الحضرمى الملسنا
قلائص لم تعرف حنينا على طلا ولم تدر ما قرع العقبق ولا الضنى

وأخذه أبو الطيب :

لا ناقتى تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ومشفرها زمامها والشسوع مقودها
أشد عصف الرياح تسبقه تحتى من خطوها تأيدها

وكان السروجى أكثر عدة من أبى الشمقمق فى قوله :

كلما كنت فى جموع فقالوا قربوا للرحيل قربت نعلى
أترى أننى من الدهر يوما لى فيه مطية غير رجلى
حيثما كنت لا أخلف رحلا من رآنى فقد رآنى ورحلى

ومن أبيات المعانى فى نعل :

وسوداء المناسب يمتطيها أخو الحاجات ليس له تكبير
فيحملها وتحمله وفيها منافع حيث يبتدر السفير
على أن السفار ينال منها فيرفعها إذا جد المسير

السفير ورق الشجر والمسفرة المكنسة (والجهاز) ما يحتاج اليه المسافر من العدة (والعكازة) العصا (مصرا) بلدا (الخان) الفندق (والنديم) الصاحب على الشراب (جزازة) قيل أنه خليع مشهور عندهم وهذا لا يبعد وأخبرنى الأستاذ أبو ذر وغيره أنها القراطيس الصغار يكتب للناس فيها صفة حاله فيستجديهم بها فيريد أن نديمه إذا دخل بلدة قطع من قرطاس يجزها ورقة كبيرة يكتب فيها بما يجلب مما يؤكل ويشرب والجزازة ما يسقط من الشىء تجزء كالقصاصة ما يسقط مما يقص والنحاتة والقلامة وغير ذلك فلما كانت القطعة الصغير

لَيسَ لى مَا أَسَاه إن فَاتَ أَو أَحْـ ـزَنُ إنْ حَاوَلَ الزَّمَانُ ابْتِزَازَهْ
غَيرَ أَنِّى أَبيتُ خِلْوًا مِنَ الهَمِّ وَنَفْسِى عَنِ الأَسَى مُنْحَازَهْ
أَرقُدُ اللَّيلَ مِلْءَ جَفْنِى وَقَلْبِى بَارِدٌ مِنْ حَرَارَةٍ وحَزَازَهْ
لا أُبَالِى مِنْ أَىِّ كَأْسٍ تَفَوَّقْـ ـتُ وَلا حَلاوَةٌ مِنْ مَزَازَهْ
لا وَلاَ أَستَجِيزُ أَنْ أَجْعَلَ الذُّلَّ مَجَازًا إلى تَسَنِّى إِجَازَهْ
وَإِذَا مَطْلَبٌ كَسَا حُلَّةَ العَا رِ فَبُعْدًا لِمَنْ يَرُومُ نَجَازَهْ
وَمَتَى اهْتَزَّ لِلدَّنَاءَةِ نِكْسٌ عَافَ طَبْعِى طِبَاعَهُ وَاهْتِزَازَهْ

تسقط من الورقة سموها جزازة ثم اشتهرت عندهم ماصغر من القراطيس بهذا الأسم قال الفنجديهى جزازة أى قطعة كاغد عليها شىء مكتوب والجزازة مايقطع من الشىء قال وأنشد بعضهم :

وقالوا وكيف حالك قلت حالى تقضى حاجتى وتفوت حاجى
نديمى هرتى وسمير أنسى دفاتيرى ومعشوقى أنسى

(أساه) أصاب فيه بسوء (أحزن) عليه (حاول) طلب (ابتزازه) تجريده وازالته (خلو) فارغ البال (الاسى) الحزن (منحازة) متنحية ومنعزلة منقبضه وانحاز انعزل (ملء جفنى) أى أرقد هنيئا لقلة همى فتملىء عينى بالنوم وهو من قول المتنبى : أنام ملء جفونى عن شواردها . (الحزازة) فى القلب تأثير الهم كأنه يحز فيه اى يقطع وقال الشاعر :

إذا كان أولاد الرجال حزازة فأنت الحلال الحلو والبارد العذب

والحزازة هنا الولد السوء ولا شىء أنكى للقلب من همه والحزازة أيضا الحقد والغيظ وفى القلب منه حزازة أى حرقة وحزن (تفوقت) أى شربت فواقها وهو أخذه ما فيها شيئا فشيئا فما بين عبة وعبة فواق وأصله مابين حلبة من الضرع وحلبة (مزازة) بين الحوضة والحلاوة (مجاز) طريقا مجاز عليه (تسنى) تيسر (احازة) عطية وصلة (يروم) يطلب (نجازه) قضاءه وتمامه ولبعضهم فى هذا المعنى:

أشد من علة وجوع إغضاء حر على الخضوع
فاقنع من الدهر قوت يوم وأنت بالمنزل الرفيع
ولا ترد ثروة بمال ينال بالذل والخشوع
وارحل إذا أجدبت بلاد منها إلى الخصب والربيع

(الدناءة)الفعل القبيح (نكس) دنى (عارف) كره (اهتزازه) طربه وخفته ولبعضهم فى هذا المعنى :

ويجتنب اللبيب ورود ماء إذا كان الكلاب يلغن فيه
كما سقط الذباب على طعام فتتركه ونفسك تشتهيه

وقال أبو محمد المصرى يخاطب المعتمد وقد فر منه :

رحلت وفى القلب جمر الغضى وهجرى لكم دون شك صواب

فالمَنَـــايا ولا الدَّنايا وخيرٌ مِن رُكُوبِ الخنا رُ وبُ الجنازَه

ثم رَفَعَ إلىَّ طَرْفَهُ ، وقال : لأمرٍ مَّا جَدَعَ قَصِيرٌ أنفَه ، فأَخْبَرْتُه خَبَرَ نَاقَتِي السَّارِحَهْ ، وما عانَيْتُه فى يَوْمِى والبارِحَهْ ، فقال : دَعِ الالتِفَاتَ ، إلى ما فات ؛ والطِّماحَ ، إلى ما طاح ، ولا تَأْسَ على ما ذَهَب ؛ ولو أنه وادٍ مِن ذَهَب ، ولا تَسْتَمِلْ مَنْ مالَ عن رِيحِك ، وأَضْرِمْ نارَ تَبارِيحِك ، ولو كَانَ ابْنَ بُوحِك ، أو شَقِيقَ رُوحِك ، ثم قال : هل لك فى أنْ تَقِيل ، وتتحامَى القالَ والقِيل ، فإنَّ الأَبْدان أنْضاء تَعَب ، والهاجِرَةَ ذاتُ لَهَب ، ولَنْ يَصْقُلَ الخاطِر ، ويُنَشِّطَ الفاتِر ، كَقائِلَةِ الهَواجِر ، وخُصُوصًا فى شَهْرَىْ ناجِر ، فقلتُ : ذاكَ إليكَ ؛ وما أُريدُ أنْ أَشُقَّ عليكَ ، فافْتَرَشَ التربَ واضْطَجَع ، وأظْهَرَ أنْ قَدْ هَجَع ، وارْتَفَقْتُ عَلَى أنْ أحْرُس ، ولا أنْعس ، فَأَخَذَتْنِى السِّنَة ، إذْ زُمَّتِ الأَلْسِنَة ، فلم أُفِقْ إلَّا والَّليلُ قد تَوَلَّج ، والنَّجْمُ قد تَبَلَّج ، ولا السَّرُوجِىَّ ولا المُسْرَج فَبِتُّ بِلَيْلَةٍ نابِغِيَّة ، وأحْزانٍ يَعْقُوبِيَّة ، أُساوِرُ الوُجُوم ؛ وَأُساهِرُ

كما تهجر النفس حر الطعام إذا ما تساقط فيه الذباب

(المناياولاالدنايا) أى إتيان المنية ولافعل الدنية قال أوس بن حارثة يامالك المنية ولا الدنية فى وصية طويلة والمنية معناها المقدرة المحكوم بها وهى مفعولة من المنى وهو المقدر والقدر يقال مناك الله بما يسرك وأصلها ممنووة فصرفت مفعولة كمطبوخ وطبيخ وأدغمت الياء فى الياء (الخنى) الفساد (الجنازه) النعش (لامرما جدع قصير أنفه) أى ماجـــدع قصير أنفه الا لمعنى وكذلك أنت ماخرجت فى هذا الوقت لشدةحره إلى هذه القفار المخوفة الالمعنى فأخبرنى به فلذلك قال (فأخبرتهخبر ناقتى) وأيضا فان أول الكلام يدل عليه لأنه قال فاستوضحته من أين أثره فأخبره السروجى فى الشعر بقصته فلما أكملها سأل ابن همام عن قصته فأخبره بالناقة الضائعة (السارحة) التى سرحت أى مشت حيث شاءت(عاينته)شاهدتهورأيته (الالتفات) النظر الى جهة (والطماح) ارتفاع العين بالنظر (طاح) ذهب وتلف (لاتأس) لاتحزن (تستمل) تستدع حبه وان يميل اليك بوده (مال) انحرف (عن ريحك) عنطريقك وهواك (أضرم) أوقد (تباريحك) أحزانك (تقيل) تنام فى القائلة (تتحامى) تتباعد عنها (أنضاء) جمع نضو وهو المهزول أى قد أهزل التعب أبداننا (الهاجرة) القائلة سميت هاجرة لانها لهجر البرد أولانها أكثر حرا من سائر النهار يقال فلان اهجر من فلان اذاكان اضخم منه (لهب) نار (شهرى ناجر) يونيه ويوليه وهما أشد الحر قال الازهرى هماحزيران وتموز (النجران) العطشان ، ابن سيده :ظن قوم انهما حزيران وتموز وهذا غلط وانما هما وقت طلوع نجمين من نجوم القيظ ، الليث كل شهر فى صميم الحر فاسمه ناجر لان الابل تنجر فيه اى تشتد عطشا حتى تيبس جلودها فلا تكاد تروى من الماء (هجع) رقد (وارتفقت) توكأت على مرفقى (السنة) النوم القليل (زمت) ربطت ومنعت(تولج) دخل (تبلج) أضاء وظهر (المسرج) الفرس عليه سرجه (أساور) أواثب (الوجوم) السكوت على غيظ والمعنى ان الغيظ إذا اشتد عليه عالج كظمهودفعه عن نفسه فكأنه يواثبه (أساهر) اسامر

النُّجوم ، أُفَكِّرُ تارَةً فى رُجْلَتى ؛ وأُخرى فى رَجْعَتِى ، إلى أنْ وضَحَ لى عِنْدَ افتِرَارِ ثَغرِ الضَّوْءِ فى وَجْهِ الجَوِّ ، رَاكِبٌ يَخِدُ فى الدَّوِّ ، فأَلْمَعْتُ إليهِ بِثَوبِى ، وَرَجَوْتُ أنْ يُعَرِّجَ إلى صَوْبِى فلم يَعْبأْ بالمَاعِى وَلا أَوَى لالْتِيَاعِى ، بَلْ سَارَ عَلَى هِينَتِهِ ، وأَصْمَانِى بِسَهْمِ إهَانَتِهِ ، فَأَوْفَضْتُ إليه لأَسْتَرْدِفَهُ وأَحْتَمِلَ تَغطْرُفَه فلما أَدْرَكْتُهُ بَعْدَ الأَيْنِ ، وأَجَلْتُ فيهِ مَسْرَحَ العَيْنِ ، وجَدْتُ نَاقَتى مَطِيَّتَه وضَالَّتى لُقَطَتَهُ ، فَمَا كَذَّبْتُ أنْ أَذْرَيْتُهُ عَنْ سِنَامِهَا ، وجَاذَبْتُهُ طَرَفَ زِمَامِهَا ، وقُلْتُ لهَ : أنَا صَاحِبُهَا وَمُضِلُّهَا ، وَلى رِسْلُهَا وَنَسْلُهَا ؛ فَلاَ تَكُنْ كأَشْعَب ، فَتَتْعَبَ وتُتْعِبَ

والسهر امتناع النوم (الرجلة) بضم الراء القوة على المشى ورجل يرجل رجلا ورجلة إذا مشى فى السفر وحده بلا دابة (وضح) تبين (افترار) انكشاف وافتر كشف أسنانه عند الضحك (يخد) يسرع (الدو) الصحراء (الركب) من يركب البعير (الجو) نواحى السماء (يعرج الى صوبى) يميل إلى جهتى وقصدى (يعبأ) يبال (الماعى) أشارتى وهو مصدر ألمعت اليك أى أشرت اليك فاذا بعد عنك الرجل فلم يسمع صوتك جردت ثوبك وأشرت اليه والاشارة بالثوب هى الالماع (أوى) أشفق (التياعى) تحرقى وتوجعى (هينته) سكينته (أصمانى) أصاب مقتلى (اهانته)احتقاره (أوفضت)أسرعت (أستردفه)أطلب اليه أن يردفنى (تغطرفه) تكبره والغطاريف السيد العظيم (الاين) الفتور (أجلت)صرفت (مسرح) موضع تسرحها وجولانها بالنظر (اللقطة) مايجده الانسان قد سقط لغيره فياخذه ويلتقطه (أذريته) رميت به عنها (مضلها) أى الذى ضلت له وتلفت (رسلها) لبنها (أشعب) الطماع رجل مدنى صاحب نوادر وملاه وله صنعة فى الغناء وكان أبخل الناس أكثرهم طمعا ويقال فى المثل أطمع من أشعب ولهذا قال الحريرى فلاتك كأشعب أى لا تطمع فى أخذ الناقة فتكون مثله فى طمعه فى مال غيره (فتتعب) من تعلقت له بشيء (وتتعب) أنت معه فى المخاصمة .

ومن حكايات اشعب . قال سالم بن عبدالله بن عمر لاشعب : ما بلغ من طمعك قال لم أنظر إلى اثنين يتساران فى جنازة إلا قدرت أن الميت أوصى لى بشيء . وقال له ابن ابى الزناد ما بلغ من طمعك قال مازفت بالمدينة امرأة إلا كنست بيتى رجاء أن يغلط بها إلى وكانت عائشة بنت عثمان كفلته مع ابن ابى الزناد فقال أشعب تربيت معه فى مكان واحد وكنت اسفل ويعلو حتى بلغنا ما ترون وقيل لعائشة هل آنست من أشعب رشدا فقالت أسلمته منذ سنة فى البز فسألته بالامس أين بلغت فى الصناعة فقال يا أمه قد تعلمت نصف العمل وبقى نصفه تعلمت النشر فى سنة وبقى على تعلم الطى وسمعته اليوم يخاطب رجلا وقد ساومه قوس بندق فقال بدينار فقال أشعب والله لو كنت إذا رميت عليها طائرا وقع فى حجرى مشويا مع رغيفين ما اشتريتها بدينار فأى رشد يؤنس منه ونظر إلى رجل يعمل طبقا فقال له أسألك بالله الا مازدت فى سعته طوفا أو طوفين فقال له الرجل مامعنى ذلك قال لعله أن يهدى إلى يوما فيه شيئا وقيل له ارايت اطمع منك قال نعم خرجت إلى الشام مع رفيق لو فتلاحينا عند دير فيه راهب فقلت له الكاذب منا اير الراهب فى استه فنزل الراهب من صومعته وقد انعظ فقال ايكما الكاذب ، ثم قال دعوا هذا امرأنى اطمع منى ومن الراهب فقيل له وكيف

فَأَخَذَ يَلْذَعُ وَيَصِى ، وَيَتَقَحُ وَتَتَّضِحُ ولاَ يَسْتَحِي ؛ وَبَيْنَا هُوَ يَغْزُو وَيَلِين ، يَسْتَأْسِدُ وَيَسْتَكِين ، إِذْ غَشِيَنَا أبو زَيْدٍ لاَ بِسًا جِلْدَ النَّمِر ، وَهُوجِمًا هُجُومَ السَّيْلِ الْمُنْهَمِر فَخِفْتُ وَاللهِ أَنْ يَكُونَ يَوْمُهُ كَأَمْسِهِ ، وَبَدْرُهُ مِثْلَ شَمْسِهِ ، فَأَلْحَقَ بِالْقَارِظَيْن ، وَأَصِيرَ خَبَرًا بَعْدَ عَيْن ؛ فَلَمْ أَرَ إِلاَّ أَنْ أُذَكِّرَهُ الْعُهُودَ الْمَنْسِيَّةَ ، وَالفَعْلَةَ الإِمْسِيَّةَ ، وَنَاشَدْتُهُ اللهَ أَوَانَى لِلتَّلاَفِى ؛ أَمْ لَنَا فِيهِ إِتْلاَفِى ، فَقَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ أُجْهِزَ عَلَى مَكْلُومِى ؛ أَو أَصِلَ حَرُورِى بِسَمُومِى ، بَلْ وَافَيْتُكَ لأَخْبُرَ كُنْهَ حَالِكَ ، وأَكُونَ يَمِينًا لِشِمَالِكَ فَسَكَنَ عِنْدَ ذَلِكَ جَاشِى ، وَانْجَابَ اسْتِيحَاشِى ، أَطْلَعْتُهُ طِلْعَ اللَّقْحَةِ وَتَبَرْقُعَ صَاحِبِي بِالقِحَةِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ لَيْثَ العِرِّيسَةَ ، إِلى الفَرِيسَةِ ، ثم أَشْرَعَ قِبَلَهُ الرُّمْحَ وَأَقْسَمَ لَهُ بِمَنْ أَنَارَ الصُّبْحَ لَئِنْ لَمْ يَنْجُ مَنْجَى

ذلك فقال انها قالت ما يخطر على قلبك شىء يكون بين الشك واليقين الا وأنا أتيقنه ، ودعوا هذا شانى أطمع منى ومنها فيل وكيف قال صعدت على شطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته حبل قت فأهوت اليه فسقطت فاندقت عنقها ، وقيل له هل رأيت أطمع منك قال كلبة آل فلان رأت رجلا يمضغ علكا فتبعته فرسخين تظن أنه يأكل شيئا وقيل له مابلغ من طمعك قال أضجرنى الصبيان يوما فأردت أن أشغلهم عنى فقلت لهم ان بموضع كذا عرسا فامضوه نحوه فلما ذهبوا ظننت ان ثم عرسا فتبعتهم ، وقال ابن شرف :

وما بلوغ الامانى فى مواعدها ... الا كأشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخالف مكتوب القضاء به ... فكيف لى بقضاء غير مكتوب

وقال ابن حجاج :

فديت من نفسى من كلما ... لقيته والحق لا يغضب
فقلت يا عرقوب أطمعتنى ... فقال لم نفسك يا أشعب

(يتقح) أى يبدى الوقاحة (يغزو) يقفز (يستأسد) يتشبه بالاسد فيتقوى (يستكين) يذل يريد أنه كان مرة يتقوى ومرة يذل(غشينا) جاءنا فجأة (لابسا جلد النمر) أى وقحا شجاعا (هاجما) آتيا على غفلة (المنهمر) الكثير الانصباب وتقدم أثر خبر بعد عين (الامسية) المنسوبة إلى أمس ، الفنجديهى رأيت بخط الحريرى النسبة إلى أمس امسى وهو من شاذ النسب (ناشدته) حلفته (أوانى) أجاء وأنى (التلافى) التدارك قبل فوته (معاذ الله) أى استجير بالله مما ذكرت (أجهز) اتم عليه (مكلومى) مجروحى وفى أخبار على رضى الله عنه أنه ما أجهز على مكلوم قط (أخبر) أعلم (كنه) حقيقة (جاشى) نفسى قال ابن سيده وقيل الجاش القلب وقيل رباطته وشدته عند الشىء يسميه ما يدرى ما هو وقيل جاشى روع قلبى واضطرابه عند الفزع (استوحش) من الشىء لم يأنس به(انجاب)انقشع وزال (أطلعته طلعها) أخبرته سرها وعلوت طلع الاكمة أى مكانا يطلع منه على ماحولها ويشرف عليه (القحة) صلابة الوجه كأنه جعل منها برقعا على وجهه (العريسة) مأوى الاسد (الفريسة) الصيد يفترسه أى يكسر عنقه وهى أكيلة الاسد (اشرع) صوب (أنار) نور (ينج منجى) يخلص مخلصه وشبه خلوصه بخلوص الذباب لأنه يقع على الجسد او الطعام فيقتذر الانسان بمقره فيشرده وهو واجد عليه فينجو الذباب سالما بعد إذايته وأخذه من قول ابراهيم بن العباس الصولى لمحمد بن الزيات :

الذُّبَاب ، وَيَرْضَ من الغَنِيمَةِ بالإياب ؛ لَيُورِدَنَّ سِنَانَهُ وَرِيدَهُ ، وَلَيَفْجَعَنَّ بهِ وَلِيدَهُ وَوَدِيدَهُ ، فَنَبَذَ زِمَامَ النَّاقَةِ وَحَاص ، وأفْلَتَ وله حُصَاص ، فقال لي أبُو زَيْدٍ : تَسَلَّمْهَا ، وتَسَنَّمْهَا ، فإنَّهَا إحْدَى الحُسْنَيَيْن ، وَوَيْلٌ أَهْوَنُ من وَيْلَيْن .

ظن كيف شئت وقل ما تشا وأبرق يمينا وأرعد شمالا
نجابك لؤمك منجى الذباب حمته مقاذيره أن ينالا

وأخذه ابراهيم من قول الآخر :

أسمعنى عبد بنى مسمع فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له ومن يعض الكلب إن عضا

ومن قول الآخر: قوم إذا ماجنى جانيهمو أمنوا للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وهو كثير وإنما اخترع ابراهيم لفظ الذباب وعرض أى بعض الادباء على صاحب بمحضر جماعة شعرا فجعل يعرض عن محاسن الشعر ويتتبع مواضع النقد حسدا فقال له صاحب الشعر أراك كالذباب تعرض عن المواضع السليمة وتتبع قروح الجسد وتدنيسه ، وقال ابن الرومى :

تأمل العيب عيب ما بالذى قلت ريب
والشعر كالشعر فيه مع الشبيبة شيب
فليصفح الناس عنه فطعنهم فيه عيب

ومنكيات الذباب لابن آدم كثيرة : منها نزوله على الوجه عند النوم فيلتى منه بلاء أو فى الصلاة فيصير أضر من إبليس للتشاغل وأما إذا تساقط فى الطعام فتنغيصه وتنفيره للطباع إضرار لا يخفى وقد قدمت آنفا فى ذلك من الشعر شيئا ولذلك تضرب به العرب المثل فتقول أجرأ من ذباب لأنه ينزل على الأسد والامير .. ونذكر هنا ما هو أشد إذاية منه وهو البعوض ولو لا أن أيامه قلائل لاخلى البلاد قال ابن رشيق يتشكاه :

يارب لا أقوى على دفع الأذى وبك استعنت على الضعيف المؤذى
مالى بعثت إلى ألف بعوضة وبعثت واحد إلى النمروذ

وقال ابن شرف: لك منزل كملت ستارته لنا للهو لكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب وظل يزمر حوله فيه البعوض ويرقص البرغوث

وقال آخر : ليل البراغيث والبعوض ليل طويل بلا غموض
فذاك ينزو بغير رقص وذا يغنى بلا عروض

(ويرض من الغنيمة بالاياب) منقول من قول امرىء القيس «وقد طفت» البيت وهو مشهور (يوردن) يدخلن (وريده) صفحة عنقه والوريدان العرقان يجرى فيهما النفس وهما فى مقدم العنق وفجعته المصيبة فجعا أوجعته فهو فجيع ومفجوع وموت فاجع والفجيعة الرزية الموجعة (يفجعن) يحزنن (وليده) ابنه (وديده) صاحبه (نبذ) رمى (حاص) مال إلى الهرب ويقال حاص يحيص حيصا إذا عدل ومنه مالهم من محيص أى من ملجا ومحيد (تسلمها) خذها (تسنمها) اركب سنامها (إحدى الحسنيين) أى المسرتين ولو رجع له الفرس لكملتا له

قال الحارثُ بنُ همامٍ: فَحِرْتُ بينَ لَوْمِ أبي زيدٍ وشُكْرِه، وزِنَةِ نفعِهِ بضُرِّه، فكأنَّهُ نُوجِيَ بذاتِ صدْري أو تكَهَّنَ ما خامَرَ سِرِّي؛ فقابلَنِي بوجْهٍ طليقٍ، وأنشدَ بلسانٍ ذَليقٍ:

يا أخِي الحامِلَ ضَيْمِي دُونَ إخوانِي وقَوْمِي إنْ يكُنْ ساءَكَ أمْسِي

فلقدْ سرَّكَ يوْمِي فاغْتَفِرْ ذاكَ لهذَا واطَّرِحْ شُكْرِي ولَوْمِي

ثم قال: أنا تَئِقٌ، وأنتَ مَئِقٌ؛ فكيفَ نتَّفِقُ؟ وولَّى يَفْرِي أديمَ الأرضِ، ويَرْكُضُ طِرْفَهُ أيَّما رَكْضٍ، فما عدَوْتُ أنِ اقتعدْتُ مَطِيَّتِي، وعُدْتُ لِطِيَّتِي، حتى وصلْتُ إلى حِلَّتِي، بعدَ الَّتَيَّا والَّتِي.

فالناقة إحداهما (بذات صدرى) علم بحاجة نفسى و بحقيقة ما أضمرته فى صدرى (تكهن) علم (خامر) خالط (طليق) مستبشر (ذليق) حديد (ضيمى) ذلى وضرى (ساءك) أحزنك (اطرح) اترك وقد أعادهذافى السابعة والثلاثين فقال وهبهالاخطأ ولا إصابه. وسأل الحطيئة عتيبة النهاس العجلى فرده فقال له قومه عرضتنا و نفسك للشر هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء فقال ردوه فقال كتمتنا نفسك ولك عندنا ما يسرك ثم قال له من أشعر الناس فقال الذى يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم لايشتم

فقال له وهذه من مقامات أفاعيك ثم قال لوكيله اذهب به إلى السوق فابتع له كل ما أحب فعرض عليه الخزوز ورقيق الثياب فعرض هو إلى الأكسية الغلاظ فاشترى له ما أراد فرجع إلى عتيبة فقال له اسمع:

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا فسيان لازم عليك ولا حمد

وأنت امرؤ لا الجود منك سجية فتعطى وقد يعدى على النائل الوجد

وامتدح أبو تمام ابراهيم بن المهدى فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأناله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأكافئك فأقام شهرا ثم كتب له:

إن حراما قبول مدحتنا وترك ما نرتجى من الصفد

كما الدنانير والدراهم فى الـ بيع حرام إلا يدا بيد

فقال لحاجبه أعطه ثلاثين ألفا وجئنى بدواة فكتب اليه:

عاجلتنا فأتاك عاجل برنا قلا ولو أمهلتنا لم نقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تقل ونكون نحن كأننا لم نفعل

وقال الخوارزمى: ولما أن رأيت ابنى وليد وبينهما اختلاف فى الفعال

وهبت قبيح ذا لجميل هذا وأسلمت العواقب لليالى

إذا اليد أحسنت منها يمين تسوغنا لها ذنب الشمال

(يفرى) أى يقطع (أديم الأرض) وجهها (يركض طرفه) يجرى فرسه (أيما) صفة لمصدر محذوف وفيه معنى التعجب من كثرة جريه تقديره يركض ركضا أى ركض (اقتعدت) ركبت القعود وتقدمت فى الأولى (ما عدوت) ما جاوزت أى ما عملت شيأ قبل القعود على الناقة (حلتى) موضعى الذى هو سكنى ونزولى وحلى نزل.

المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية

أَخْبَرَ الحَارِثُ بنُ هَمَّام قال : اسْتَبْضَعْتُ فى بَعْضِ أَسْفَارِى القَنْد ، وَقَصَدْتُ بهِ سَمَرْقَنْد ، وكُنْتُ يَوْمَئِذٍ قَوِيم الشطَّاط ، جُمُومَ النَّشاط ، ارْمِى عن قَوْسِ المِراح ، إلى غَرَضِ الأَفْراح ، وأَسْتَعِينُ بماء الشَّبَابِ ، عَلَى مَلامِحِ السَّراب ، فوَافَيْتها بُكْرَةَ عَروبَةَ

شرح المقـــامة

(استبضعت) اتخذت بضاعة (القند) عسل السكر (سمر قند) بلد عظيم من بلاد خراسان غزاها ملك من ملوك اليمن اسمه شمر فملكها وهدمها فسميت شمر كند بمعنى خرابة شمر ثم عربت فقيل سمر قند وأهلها السغد وفى رواية انه لما انتهى الى السغد قاتلهم أياما ثم تحولوا إلى مدينتهم فحاصرهم حولا حتى افتتحها عنوة فقتل منهم وسبى وهدمها ثم ثاب له رأى فأمر ببنائها فبنيت خيرا مما كانت ثم أمر بصخرة فبنيت عند بابها وكتب عليها هـذا بناء ملك العرب لا العجم شمر الملك الأشم ووجد فى سورها لوح من نحاس فيه كتاب وهو هذا ما أمر ببنائه شمر ، وقد تقدم أن فرغانة من أعمالها التى هى آخر خراسان وبين سمر قند وبغداد ستة أشهر ، وتقدم أن مدينة سمر قند من أحسن بلاد الله تعالى ولما أشرف قتيبة بن مسلم عليها فرأى ما أدهشه لافراط حسنها قال كأنها السماء فى الخضرة وكأن قصورها النجوم والزهرة وكأن أنهـارها المجرة (قويم الشطاط) أى معتدل القامة (جموم النشاط) أى كثيرة القوة والخفة (المراح) النشاط (الأفراح) جمع فرح (ماء الشباب) نضارة الفتوة ونعمة الصبا (ملامح السراب) مواضع يلمح السراب فيها أى يلمع ويظهر فأراد أنه استعان بقوة فتوته على قطع الصحراء (وافيتها) أتيتها (عروبة) اسم يوم الجمعة سمى بذلك لحسنه حيث كان موسما وهو من قولهم جارية عروب أى حسناء وكانت العرب تسمى أيام الأسبوع بأسماء يجمعها بيتان وهما

أؤمل أن أعيش وأن يومى بأول أو بأهون أو جبار
أو التـالى دبار فان أفته فمؤنس أو عروبة أو شيار

وعروبة من الأسماء التى تدخلها الألف واللام مرة وتسقط منها أخرى قال الشاعر : يوم كيوم عروبة المتطاول وقال آخر : يوم العروبة أورادا بأوراد

وحكوا أن سيبويه كان فى حلقه بالبصرة فتذاكروا شيأ من حديث قتادة فذكر سيبويه حديثا غريبا وقال لم يروهذا الاسعيد بن أبى العروبة فقال له بعض الفضلاء ما هاتان الزيادتان يعنى الألف واللام فى العروبة فقال سيبويه هكذا ينبغى أن يقال لان العروبة هى يوم الجمعة فمن قال عروبة فقد أخطأ قال محمد بن سلام فذكرت ذلك ليونس بن حبيب فقال أصاب سيبويه لله دره . وسمى يوم الجمعة لمـا جاء فى حديث سلمان قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرى لم سمى يوم الجمعة قلت الله ورسوله أعلم قال لأن فيه جمع أبوك آدم وقال بعضهم فذكر عروبة :

بَعْدَ ان كَابَدْتُ الصُّعُوبَةَ ، فَسَعَيْتُ وَمَا وَنَيْتُ ، إلى أَنْ حَصَلَ الْبَيْت ، فلما نَقَلْتُ إليه قَنْدِي ، وَمَلَكْتُ قَوْلَ عِنْدِي ؛ عُجتُ إلى الحَمامِ عَلَى الأَثَر ،

في العيد زار وكان يوم عروبة   يافرحتي بثلاثة الأعياد

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنتيرين يوم الجمعة فأتاه يوم السبت فلما تلقاه عانقه وأنشد:

تخيرت اليهود السبت عيدا   وقلنا في العروبة يوم عيد
فلما أن طلعت السبت فينا   أطلت لسان محتج اليهود

وقال ابن الرومي:

وحبب يوم السبت عندي أنني   ينادمني فيه الذي أنا أحببت
ومن عجب الأشياء أني مسلم   حنيف ولكن خير أيامي السبت

(كابدت) أي قاسيت (سعيد وما ونيت) جريت وما فترت ويقال ونى يني أى ضعف والونى الضعف والفتور والأعياء (ملكت قول عندى) يريد أن المسافر في الطريق لايحسب ماله ملكا له حتى يدخل المدينة لأنه متعرض للهلاك في الطريق فإذا دخل المدينة وحصل في بيته ملكه فصار ملكت قول عندى عبارة من سلامة مقاله وخلاصه من حوادث الاسفار نحو السرق والنهب والغرق والغصب أو يكون عبارة عن الحصول في البيت يقول عندى كذا أى في بيتى (عجت) أى ملت على الأثر أى في الحين ورجع على الأثر أى مستعجلا كأنه مشى على أثره في طريقه قبل غيره فمعنى عجت إلى الحمام على الأثر أى دخلته على الفور في الحال وقد ذكرنا بابا أدبيا من الشعر في الحمام في الرابعة . ونذكر هنا فيه فنا آخر من الأدب، قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم أرض الأعاجم وتجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجل إلا باذار وامنعوا النساء أن يدخلنها إلا مريضة أو نفساء ، وروى ان عبيد بن قرط الأسدى دخل مع صاحبين له بلدا فيها حمام فأحب صاحباه دخوله فيها فنهاهما عبيد فأبيا إلا دخوله فلما دخلاه رأيا فيه رجلا يتنور أى يستعمل النورة فسألاه عنها فأخبرهما يإذهابها الشعر فاستعملاها فلم يحسنا فأحرقتهما وأضرت بهما فقال عبيد :

لعمرى قد حذرت قرطاً وجاره   ولاينفع التحذير من ليس يحذر
نهيتهما عن نورة أحرقتهما   وحمام سوء ناره تتسعر
فما منهما إلا أتانى موقعا   به أثر من مسها يتقشر
أجد كما لم تعلما أن جارنا   أبا الحسل بالبيداء لايتنور
ولم تعلمان حمامنا في بلادنا   إذا جعل الحرباء في الجدب يحضر

ورد اعرابى البصرة فنزل على ابن عم له فلما رأى البصرى شعث الاعرابى أراد أن ينظفه فقال له يوم جمعة إن الناس يتطهرون للجمعة ويتنظفون ويلبسون أحسن الملابس فتعال أدخلك الحمام لتتنظف من قشف السفر والبادية وتتطهر للصلاة فدخل معه الحمام فعندما وطىء الاعرابى فرش أول بيت في الحمام لم يحسن المشى عليها لشدة ملاستها فزلق وسقط لوجه وصادفت جبهته حرف مدخل البيت فشجه شجة منكرة فخرج مرعوبا وهو ينشد ودماؤه تسيل :

فَأَمِطْتُ عَنّي وَعْثَاءَ السَّفَرِ ، وَأَخَذْتُ فى غُسْلِ الْجُمُعَةِ بِالْأَثَرِ ثم بَادَرْتُ فى هَيْئَةِ الْخَاشِعِ ، إلى مَسْجِدِهَا الْجَامِعِ ، لِأَلْحَقَ بِمَنْ يَقْرُبُ مِنَ الإِمَامِ ، وَيُقَرِّبُ أَفْضَلَ الْأَنْعَامِ ، فَحَظِيتُ بِأَنْ جَلَّيْتُ فى الْحَلْبَةِ ، وَتَحَيَّرْتُ الْمَرْكَزَ لِاسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ ، وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فى دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا وَيَرِدُونَ فُرَادَى وَأَزْوَاجًا ، حتى إذا اكْتَظَّ الْجَامِعُ بِحَفْلِهِ ، وأَظَلَّ تَسَاوِي الشَّخْصِ وَظِلِّهِ ، بَرَزَ الْخَطِيبُ فى أُهْبَتِهِ ؛ مُتَهَادِيًا خَلْفَ عُصْبَتِهِ ، فَارْتَقَى مِنْبَرَ الدَّعْوَةِ ، إلى أَنْ مَثَلَ بِالذِّرْوَةِ

وقالوا تطهر إنه يوم جمعة ... فأبت من الحمام غير مطهر
تزودت منه شجة فوق حاجبى ... بغير جهاد بئسما كان متجرى
يقول لى الاعراب حين رأيننى ... به لا بظبي بالصريمة أعفر
وماتعرف الاعراب مشيا بأرضها ... فكيف ببيت ذى رخام ومرمر

وقال ابن سكرة دخلت حماما فخرجت وقد سرق مداسى فعدت إلى دارى حافيا وأنا أقول :

اليك أذم حمام ابن موسى ... فان فاق المنى طيبا وحرا
تكاثرت اللصوص عليه حتى ... ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم أفقد به ثوبا ولكن ... دخلت محمدا وخرجت بشرا

يريد بشرا الحافى وكان من كبار الزهاد ولزم المشى حافيا فقلب به (أمطت) أى أزلت (وعثا السفر) شدته ومشقته وفى الحديث اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وأصله من الوعث وهو الدهس أى الرمل الدقيق وقيل الوعث الرمل تغيب فيه القوائم وقيل هو الطريق الخشن الصعب (بالأثر) أى بالحديث المروى وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم جمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الثالثة فكأنما قرب كبشا ومن راح فى الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر (الأنعام) هى الابل والبقر والغنم وقال فى الدرة فرقت العرب بين النعم والأنعام فجعلت النعم اسما للابل خاصة وللماشية التى فيها الابل وتذكرت وتؤنث وجعلت الأنعام اسما لأنواع المواشى مثل الابل والبقر والغنم (حظيت) سعدت (جليت) سبقت (الحلبة) جماعة الخيل وأراد بها الناس المبادرين للصلاة وأنه سبقهم (المركز) الموضع تنتظر فيه الصلاة (دين) طاعة (أفواجا) جماعات (يردون) يأتون الجامع (اكتظ) امتلأ وضاق بأهله (حفله) اجتماع الناس فيه (أظل) دنا وقرب (تساوى الشخص وظله) يريد حديث عمر رضى الله عنه أن صل الظهر إذا صار ظلك مثلك (برز) خرج (أهبته) عدته للصلاة (متهاديا) متمايلا لوقاره (عصبته) جماعة المؤذنين (ارتقى) طلع (مثل بالذروة) جلس بأعلى المنبر أو ظهر بأعلاه (والمائل) اللاطىء بالأرض أو القائم المنتصب وهو اضداد وسمى المنبر منبرا لارتفاعه وعلوه من النبر وهو ارتفاع الصوت ونبر الرجل نبر الرجل نبرة تكلم بكلمة فيها علو وأنشد أبو الحسن

فسَلَّمَ مُشِيرًا باليَمِين ، ثم جَلَسَ حتى خُتِمَ نَظْمُ التَّأْذِينَ ثم قامَ وَقالَ : الحَمْدُ للهِ المَمْدوحِ الأَسْما ، المَحْمُودِ الآلاء ، الواسِعِ العَطَاء ، المَدْعُوِّ لحَسْمِ اللَّأْوَاء ، مالكِ الأمَمِ ، وَمُصَوِّرِ الرِّمَم ، وَأَهْلِ السَّماحِ وَالكَرَمِ ؛ وَمُهْلِكِ عَادٍ وإِرَمَ أَدْرَاكَ كلَّ سِرٍّ عِلْمه ، وَوَسِعَ كلَّ مِصْرٍ حِلْمُهُ ، وَعَمَّ كلَّ عالَمٍ طَوْلُه ، وَهَدَّ كلَّ مَارِدٍ حَوْلُه ،

ابن البراء : إنى لأسمع نبرة من قولها فأكادأن يغشى على سرورا

(مشيرا باليمين) مذهب الشافعى رضى الله عنه أن الخطيب إذا جلس على المنبر أشار إلى الناس بيمينه مسلما من غير كلام قال ابن عمر رضى الله عنهما انطلقت مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى مسجدة قباء فصلى فيه فخرج على صهيب فقلت ياصهيب كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على من يسلم عليه قال يشير بيده (قوله جلس) قال الخليل يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس وهذا صحيح لان القعود هو الانتقاله من علو إلى سفل ولهذا يقال لمن أصيب برجله مقعد والجلوس هو الانتقال من سفل إلى علو ورجل جالس آت نجدا وهو المكان المرتفع وذكره الحريرى فى الدرة (ختم) أكمل (الآلاء) أى النعم الواسعة الكثيرة (حسم اللاواء) قطع الشدة (الرمم) العظام البالية (مصورها) منشىء صورتها وأراد قوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة (عادوإرم) أمتان قديمتان وقيل ارم قبيلة من عاد فيها مملكة عادوقيل ارم اسم لقبائل كثيرة كالمعاليق وطسم وجديس هلكوا وهم من ولد أرم بن سام بن نوح ومن لم يصرف أرم جعله اسما للقبيلة وقال سابق البربرى فى ذهاب الأمم :

وكيف يامن ريب الدهر مرتهن — بعدوة الدهران الدهر عداء
ألق على الجيل من عاد كلاكله — وقوم هود فهم هام وأصداء

وقال أيضا :

أين الملوك التى عن خطبها غفلت — حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
غرت زمانا بملك لا دوام له — جهلا كما غر نفسا من يمنيها
وصبحت قوم عاد فى ديارهم — بمقطع يوم عادتهم عواديها
وتبعا وثمود الحجر غادرهم — ريب المنون رميما فى مغانيها
فكيف يبقى على الأحداث غابرنا — كأننا قد أظلتنا دواهيها

وقال الالبيرى :

أين الملوك وأين ماجمعوا وما — دخروه من ذهب المتاع الذاهب
ومن السوابغ والصوارم والقنا — ومن الصواهل بدن وشوارب
كانت سوابقها تحمل منهم — أقمار أندية وأسد كتائب
كانوا ليوث حقيبة لكنهم — سكنوا غياض أسنة وقواضب
قصفتهم ريح الردى ورمتهم — كف المنون بكل سهم صائب

(مصر) اى مقيم على الذنب (العالم) كل مخلوق واراد به الحيوان (طوله) فضله (هد) اذل واهلك وهد البناء كسره رهدمه (المارد) العاتى وهو البالغ فى الطغيان والفساد الكثير الشر (حوله) قوته .

أَحْمَدُهُ حَمْدَ مُوَحِّدٍ مُسْلِمٍ ، وأَدْعُوهُ دُعاءَ مُؤَمِّلٍ مُسَلِّمٍ ، وَهُوَ اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الواحِدُ الأَحَد ، العادِلُ الصَّمَد ، لاوَلَدَ لهُ ولا والِد ، ولا رِدْءَ معه ولا مُساعِد ، أَرْسَلَ مُحَمَّدًا للإِسْلامِ مُمَهِّدا ، وَلِلْمِلَّةِ مُوَطِّدا ، ولأَدِلَّةِ الرُّسُلِ مُؤَكِّدا ، وَلِلاسْوَدِ والأَحْمَرِ مُسَدِّدا ، وَصَلَ الأَرْحام ، وعَلَّمَ الأَحْكام ، وَوَسَمَ الحَلالَ والحَرام ، وَرَسَمَ الإِحْلالَ وَالإِحْرام ؛ كَرَّمَ اللهُ مَحَلَّه ، وكَمَّلَ الصَّلاةَ والسَّلامَ ، لَه وَرَحِمَ آلَهُ الكُرَماء ، وأَهْلَهُ الرُّحَماء ، ما هَمَرَ رُكام ، وَهَدَرَ حَمام ، وَسَرَحَ سَوام ، وسَطا حُسام ، اعْمَلوا رَحِمَكُمُ اللهُ عَمَلَ الصُّلَحاء ، واكْدَحُوا لِمَعادِكُمْ كَدْحَ الأَصِحَّاء ، وارْدَعُوا أَهْواءَكُمْ رَدْعَ الأَعْداء ، وأَعِدُّوا لِلرِّحْلَةِ إِعْدادَ السُّعَداء ؛ وادَّرِعُوا حُلَلَ الوَرَع ، وداوُوا عِلَلَ الطَّمَع ، وسَوُّوا أَوَدَ العَمَل ، وعاصُوا وَساوِسَ الأَمَل ، وَصَوِّرُوا لأَوْهامِكُمْ حُؤُولَ الأَحْوال ؛ وحُلولَ الأَهْوال ، ومُساوَرَةَ الأَعْلال؛ ومُصارَمَةَ المالِ والآل ؛ وَادَّكِرُوا الحِمامَ وَسَكْرَةَ مَصْرَعِه ؛ وَالرَّمْسَ وَهَوْلَ مُطَّلَعِه ، وَاللَّحْدَ وَوَحْدَةَ مُودَعِه ،وَالمَلَكَ وَرَوْعَةَ سُؤالِه ومَطْلَعِه ،

(مؤمل) راج (مسلم) مفوض (الصمد) من أسماء الله تعالى والسيد المطاع والصمد الذى لا يولد له قيل الصمد الذى لا جوف له وقال ابن الانبارى أجمع أهل اللغة بلا خلاف على أن الصمد الذى ليس فوقه أحد الذى يصمد اليه الناس فى أمورهم وأنشد لورقة بن نوفل:

سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له رب البرية فرد واحد صمد

وأنشد لعمرو بن مسعود : وبالسيد الصمد ـ وأنشد : ولا رهينة الا سيد صمد ـ وأنشد :

خذها حذيف فانت السيد الصمد ... (رده) معين وأرد أنك على الأمر أعنتك (مساعد) موافق لمراده (ممهدا) باسطا (الملة) الدين (الأحمر) أراد به الأبيض واراد لكل الناس وقيل الأحمر العجم مثل الروم والفرس لأنهم بيض تعلوهم حمرة والاسود العرب لأنهم لسكناهم الصحارى تغلب السمرة على ألوانهم (الأرحام) فى الأصل الفروج ثم يكنى بها عن القاربات الذين بينهم رحم (وسم) بين وجعل له علامة والسمة العلامة (رسم) كتب وبين وأصل الرسم الأثر ورسمت الشيء اثرت به اثرا (الاحلال) الدخول فى الحل (الاحرام) الدخول فى الحرم واراد انه علم موضع الحل والحرم (آله) اهله (همر ركام) نصب سحاب (هدر) صوت (وسرح) تفرق فى المرعى (سوام) إبل راعية (سطا) اهتز ليقطع (اكدحوا) اعملوا والكدح عمل إنسان من خير وشر واكتسابه للدنيا والآخرة (لمعادكم) اى ليوم بعثكم والمعاد المرجع (الأصحاء) جمع صحيح (اردعوا) كفوا (ارعوا) لبسوا الخوف (اود) اعوجاج (وساوس الأمل) احاديث الطمع والرجاء (اوهامكم) نفوسكم (حول) تغير (حلول) نزول (الأهوال) المخاوف [مساورة) مواثبة (الاعلال) الاصابة بعلة (مصارمة) مقاطعة (الآل) الأهل والقرابة (ادكروا الحمام) اذكروا الموت (الرمس) تراب القبر (هول مطلعه) خوف ما يراه الإنسان فيه (اللحد) الحفيرة فى جانب القبر (مودعه) المجعول فيه كأنه وديعة فيه (الملك) منكر ونكير اللذين يفتنان الناس فى قبورهم (روعة) تقريع وتخويف (المطلع) المأتى قال الجوهرى رحمه الله تعالى

والمَحُوا الدَّهْرُ ولُؤْمَ كَرِّه ، وسُوءَ مُحاله ومَكْرِه ؛ كم طَمَسَ مَعْلَما ، وأَمَرَّ مَطْعَما وطَحْطَحَ عَرَمْرَما ، ودَمَّرَ

يقال ابن مطلع هذا الأمر أى مأتاه وهو موضع الاطلاع من اشراف إلى انحدار وجاء هـــول المطلع فى الحديث ... حذت واثلة بن الاسقع وغيره قالوا خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس اذكروا الموت وهول مطلعه وما تقدمون عليه من أعمالكم فانما أنتم عابرو سبيل إلى دار الخلود ازهدوا فى دنيا ناقصة غير زائدة مفرقة غير مجمعة وارغبوا فى دار لا تخرب قصورها ولا يبلى سرورها ولا يموت ساكنها عمار أهل الجنة أبناء ثلاث وثلاثين سنة مكحلون يأكلون ويشربون لا يخرج من أجوافهم شىء الا يعرقون وعرقهم ذلك مسك فلم أر مثل الجنة نام طالبها ولم أر مثل النار نام هاربها ... وقال ابن سكرة :

محمد ما اعددت للتراب والبلى	وللملكين الواقفين على القبر
وأنت مصر لا تراجع توبة	ولا ترعوى عمايذمم من الامر
سيأتيك يوم لا تحاول دفعه	فقدم لهزادا إلى البعث والحشر

وتقدم الباب موفى حقه فى الحاديه عشرة ، وتذكر هنا بعض ماقيل فى الامل والطمع المانعين للناس من أعمال البر قال ابو العتاهية :

تعلقت بآمال	طوال أى آمال
فأقبلت على الدهر	ملحا أى إقبال
أيا هذا تجهز ا	فراق الاهل والمال
فلا بد من الموت	على حال من الحال

وقال ابو تمام :

اللعمر فى الدنيا تجدو تعمر	وانت غدا فيها تموت وتقبر
تلقح آمالا وترجوا نتاجها	وعمرك مما قد ترجيه أقصر
وهذ اصباح اليوم ينعاك ضوؤه	وليلته تنساك لو كنت تشعر
تحوم على ادراك ماقد كفيته	وتقبل بالامال فيها وتدبر
ورزقك لا يعدوك اما معجل	على حاله يوما واما مؤخر

وقال محمود الوراق :

علام يسمى الحريص فى طلب	الرزق بطول الرواح والدلج
يا قارع الباب رب مجتهد	قد آده القرع ثم لم يلج
فاطو على الهم كف مصيطر	فاخر الهم اول الفرج

وقال عبد الصمد بن المعذل:

واعلم ان بنات الرجا	تحل العزيز محل الذليل
وان ليس مستغنيا بالكثير	من ليس مستغنيا بالقليل

(المحوا) انظروا (كره) رجوع (محاله) شدته ومعاداته وخداعه (طمس) محا واذهب (معلما) موضعا مرتفعا تعلم به الجهة التى هو فيها (طحطح) اهلك وفرق (عرمرما) جيشا كبيرا (دمر) اهلك والدمار الهلاك

ونذكر بعض من ذم الدهر من ملوك الاسلام، من ذلك أن سليمان بن عبد الملك لبس فى يوم الجمعة لباسا شهر به ودعا بتخت فيه عمائم وبيده مرآة فلم يزل يعتم بواحدة بعد أخرى وأرخى سدولها وأخذ بيده مخصرة واعتلى منبره ناظرا فى عطفيه وجمع حشمه وقال أنا الملك الشاب السيد الحجاب الكريم الوهاب فتمثلت له إحدى جواريه فقال كيف ترين أمير المومنين فقالت أراه منى النفس وقرة العين لولا ماقال الشاعر :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى   غير أن لابقاء للانسان
أنت خلو من العيوب ومما   يكره الناس غير أنك فانى

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من صلاته رجع ودعا بالجارية وقال لها ما حملك على ماقلت قالت والله مارأيتك ولادخلت عليك فأكبر ذلك ودعا بقية جواريه فصدقنها على ذلك فراعه ذلك ولم يبق إلا مدبدة حتى مات .. الفضل بن الربيع قال : كنت مع المنصور فى السفر الذى مات فيه فنزلنا بعض المنازل فدعانى وهو فى قبته إلى حائط وقال ألم أنهكم أن تدعوا العامة تدخل هذه المنازل فيكتبون فيها مالا خير فيه قلت وما هو ؟ قال : ألا ترى ما على الحائط مكتونا :

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت   سنوك وأمر الله لابد نازل
أبا جعفر هل كاهن أو منجم   يرد قضاء الله أم أنت جاهل

فقلت والله ما على الحائط شىء وإنه لنقى أبيض قال الله قلت الله قال إنها والله نفسى نعيت إلى الرحيل بادرنى إلى حرم الله وأمنه هاربا من ذنوبى وإسرافى على نفسى فرحلنا وثقل حتى بلغ بئر ميمون فقلت له قد دخلت الحرم قال الحمد لله وقبض من يومه ولما حضرته الوفاة قال هذا السلطان لاسلطان من يموت . . على بن يقطين قال : لما كنا مع المهدى بماسبذان قال لى أصبحت جائعا فأتى بأرغفة ولحم بارد فاكل ونام فى البهو فمااستيقظنا إلا لبكائه فبادرنا فقلنا أما رأيت وقف على رجل لوكان فى ألف ماخفى على فقال :

كأنى بهذا القصر قد باد أهله   وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد الملك من بعد بهجة   إلى قبره تحثى عليه جنادله
فلم يبق إلا ذكره وحديثه   ينادى عليه معولات حلائله

فما أتت عليه عشرة أيام حتى توفى .. قال الأصمعى دخلت على الرشيد يوما وهو ينظر فى كتاب ودموعه تنحدر على خده فالتفت اجلس أرأيت ماكان منى قلت نعم قال أما إنه كان من أمر الدنيا ما رأيت هذا ثم رمى إلى به فاذا فيه مكتوب لأبى العتاهية :

ياموثر الدنيا بلذتها   والمستعد لمن يفاخره
نل مابدالك من أن تنامن   الدنيا فان الموت آخره
هل أنت معتبر بمن خربت   منه غداة قضى عساكره
وبمن خلت منه أسرته   وبمن خلت منه منابره
أين الملوك وأين غيرهم   صاروا مصيرا أنت صائره

ثم قال كأنى أخاطب بهذا دون كل الناس فلم يلبث إلا قليلا حتى مات .. ولما رجع المأمون من غزوته التى

مَلِكاً مُكَرَّماً هَمُّهُ سَكُّ المَسَامِعُ، وسَحُّ المَدَامِع، وَإِكْدَاءُ المَطَامِعُ، وإِرْدَاءُ المَسْمِعِ والسَّامِع عَمَّ حُكْمُهُ المُلُوكَ والرِّعَاع، والمَسُودَ والمُطَاع، والمَحْسُودَ والحُسَّاد، ولاَسَاوِدَ والآسَادَ، مَامَوَّلَ إلاَّ مَالَ وعَكَسَ الآمَالَ

افتتح فيها أربعة عشر حصنا نزل على عين تعرف بالعشيرة ينتظر رجوع من الحصون فأعجبه برد مائها وصفاؤه وحسن بياضه وكثرة الخضرة والخصب بالموضع وجلس على خشب بسط له على الماء وطرح فيه درهما فقرأ كتابته فى قرار الماء لصفائه ولم يقدر أحد يدخل الماء لشدة برده فلا حث سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة فنزل بعض الفراشين فأخذها فاضطربت فى يده وتململت ووقعت فى الماء فنضح منه على صدر المامون ثم أخذها ووضعها بين يديه فى منديل تضطرب فأمر بأن تقلى الساعة فأخذته رعدة من ساعته ولم يقدر يتحرك فغطى باللحف وهو يرتعد ويصيح البرد فأتى بالسمكة فلم يقدر عليها وسال على جسمه عرق كالرب لم يعرفه الأطباء فلما ثقل قال اخرجونى أنظر إلى عسكرى وأنظر إلى مالى وملكى وذلك ليلا فأشرف على الجيش وانتشاره ونيرانه فقال يامن لايزول ملكه ارحم من قد زال ملكه فلما ثقل رنا بطرفة نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا فقال يامن لايموت ارحم من يموت وقضى عليه من ساعته، وكان كثيرا ماينشد :

ومن لم يزل غرضا للمنو ... ن فتركه ذات يوم عميدا
وإن أخطأت مرة نفسه ... فيوشك مخطئها أن يعودا
فبينا يحيد وتخطئنه ... قصدن فأعجلنه أن يحيدا

وذكر أبو المواريث قاضى نصيبين أنه رأى فى المنام ليلة قائلا يقول :

يانائم الليل فى جثمان يقظان ... مابال عينيك لاتبكى بتهتان
إن الليالى لم تحسن إلى أحد ... إلا أساءت اليه بعد إحسان
هلا رأيت صروف الدهر مافعلت ... بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

يعنى المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان فأتى البريد بقتلهما فى تلك الليلة وقال سابق البربرى :

ورب اغيد ساجى الطرف معتصب ... بالتاج نيرانه للحرب تستعر
يظل مفترش الديباج محتجبا ... اليه تبنى قباب الملك والحجر
قد غادرته المنايا فهو مستلب ... مجندل ترب الخدين منعفر

(همه) مراده (سك المسامع) قطع الآذان وقد سك أذنه إذا استأصلها بالقطع والمقطوع الأذن يقال له أسك وسككت الشيء فاستك اى سددته فانسد (سح) صب (اكداء) قطع ومنع (ارداء) اهلاك (الرعاع) سقط الناس (المسود) من ليس بسيد (المطاع) الذى يقول ما أراد فيطاع ولا يعصى (الاساود) الحيات (والآساد) جمع أسد (مول) أعطى مالا (مال) انحرف وخرج عن طريقه (عكس) قلب (الآمال) جمع أمل وهو الرجاء، وقال مسلم بن الوليد:

وما وَصَلَ إِلَّا وصال ، وكَلَمَ الأَوْصَال ، ولا سَرَّ إِلَّا وَسَاء ، ولُؤُمَ وَأَسَاء ؛ ولا أَصَحَّ إِلَّا وَلَّدَ الدَّاء ، وَرَوَّعَ الأَودَّاء ، اللهَ اللهَ ، رعَاكُمُ الله ، إِلَامَ مُدَاوَمَةُ اللَّهْو ، ومُوَاصَلَةُ السَّهْو ؛ وَطُولُ الإِصْرَار ؛ وَحَمْلُ الآصَار ، واطِّرَاحُ كَلَامِ الحُكَمَاء ، ومُعَاصَاةُ إِلَهِ السَّمَاء ؛ أَمَا الهَرَمُ حَصَادُكُم والمَدَرُ مِهَادُكُم ، أَمَا الحِمَامُ مُدْرِكُكُم ، وَالصِّرَاطُ مَسْلَكُكُم ، أَمَا السَّاعَةُ مَوْعِدُكُم ؛ والسَّاهِرَةُ مَوْرِدُكُم ، أَمَا أَهْوَالُ الطَّامَّةِ لَكُمْ مُرْصَدَة ؛ أَمَا دَارُ العُصَاة الحُطَمَةُ المُؤْصَدَة ، حارِسُهم مَالِك ؛ ورُوَاؤُهم حَالِك وطَعَامُهم السُّمُوم ، وَهَوَاؤُهم السُّمُوم ، لا مَالَ أَسْعَدَهُمْ ولا وَلَد ، ولا عَدَدَ حَمَاهُم ولا عُدَد ، أَلا رَحِمَ اللهُ امْرَأً مَلَكَ هَوَاه ، وَأَمَّ مَسَالِكَ هُدَاه ، وأَحْكَمَ طَاعَةَ مَوْلَاه ، وكَدَّ وكَدَحَ لِرَوْحِ مَأْوَاه ؛ وعَمِلَ مَا دَامَ العُمْرُ مُطَاوِعا ، وَالدَّهْرُ مُوَادِعًا والصِّحَّةُ كَامِلَة ؛ وَالسَّلَامَةُ حَاصِلَة ، وَإِلَّا دَهَمَهُ عَدَمُ المَرَام ، وَحَصَرُ الكَلَام ، وَإِلْمَامُ الآلَام ، وحُمُومُ الحِمَام ، وهُدُوُّ الحَوَاس

الدهر آخذ ما أعطى مكدر ما ... أصفى ومفسد ما أهدى له بيه
فلا يغرنك من دهر عطيته ... فليس يترك ما أعطى على أحد

وقال أبو تمام :

أقول لنفسى حين مالت لصفوها ... إلى خطوات قد تتجن أمانيا
فهبنى من الدنيا ظفرت بكل ما ... تمنيت أو أعطيت فوق منائيا
أليس الليالى غاصبانى مهجتى ... كما غصبت قبل القرون الخواليا

(صال) صاح وهدر (كلم) جرح (الأوصال) المفاصل وهو موصل عظم عضو فى عضو (لؤم) صار لئيما (روع الاوداء) فزع الاحباب (السهو) الغلط (الاصرار) الإقامة على الذنب (الآصار) الأثقال يريد أثقال الذنوب (اطراح) ترك ورمى (مسلككم) طريقكم (الساهرة) وجه الأرض وقيل الأرض البيضاء (المورد) موضع الماء الذى يرده الناس والبهائم ولا غنى لاحد من قصد الماء فجعل الساهرة موردا على هذا المعنى (أهوال الطامة) مخاوف القيامة وما فيها من الهول والخوف وأصابت الناس طامة أى داهية وأمر عظيم وقدطم الأمر عظم وجاوز الحد (مرصدة) معدة ينتظرون بها (الحطمة) التى تحطم الناس أى تكسرهم يعنى جهنم أعاذنا منها وهو اسم علم من أسماء جهنم دخلته اللام إيذانا بالصفة (المؤصدة) المغلقة (رواؤهم) منظرهم الحسن (حالك) أسود (السموم) جمع سم (السموم) الريح الحارة (أم) قصد (أحكم) أتقن (كدح) عمل (روح مأواه) راحة سكنه (موادعا) مباركا ومصالحا قال ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل يعظه غتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك (دهمه) غشية وأتاه فجأة ودهمه يدهمه لغة (المرام) المطلب (حصر) حبس (المام) نزول (الآلام) لاسقام (حمو الحمام) دنو الموت (هدو) سكون (الحواس) الادراكات وهى التى يحس بها الانسان الأشياء يدركها وهى خمسة : العين يدرك بها النظر والأنف والأذن يدرك بها الشم والسمع واللسان واليد يدرك

بهما الذوق واللمس فيريد أن هذه الجوارح تسكن بالموت ولا تتحرك ... وننشد هنا أبياتا لها بالموضع بعض تعلق ونذكر فيها الأطباء الذين لاحيلة لهم فى الموت ، قال عدى بن زيد :

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما هم على الأسرة والأنماط افضت إلى التراب الجلود
والاطباء بعدهم لحقوهم ضل عنهم سعوطهم واللدود
وصحيح أضحى يعود مريضا وهو أدنى للموت ممن يعود

وقال الخليل بن أحمد :

فكن مستعدا لداعى الفناء فان الذى هوآت قريب
وقبلك داوى المريض الطبيب فعاش المريض ومات الطبيب

ولابن الرومى وفصده بعض الأطباء فزعم أن الفصد زاد فى علته فقال :

غلط الطبيب على غلطة مورد عجزت محالته عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة المقدار

وقال غيره : قد قلت لما قال لى قائل قد صار نعمان إلى رمسه
فأين ما يذكر من طبه وحذقه بالماء مع جسه
هيهات لايدفع عن غيره من كان لايدفع عن نفسه

ومنه قول الآخر : أقول لنعمان وقد ساق طبه نفوسا نفيسات إلى باطن الأرض
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعك الشر أهون من بعض

ويحكى أن القاضى ابن منظور بلغه أن أبا العلاء بن زهر مرض فضحك وقال فأين طبه فبلغت أبا العلاء فقال:

قالوا أين منظور تبسم هازئا لما مرضت فقلت يعثر من مشى
قد كان جالينوس يمرض دائما فمن الأمام المرتضى قبل الرشا

وقال المتنبى :

لابد للانسان من ضجعة لاتقلب الإنسان عن جنبه
ينسى بها مامر من عجبه وما أذاق الموت من كربه
نحن بنو الموت فما بالنا نعاف مالابد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان هن من كسبه
فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجساد من تربه
يموت راعى الضأن فى جهله كموت جالينوس فى طبه

أصيب الجرمى فى عينيه فقال :

إذا مامات بعضك فابك بعضا فبعض الشىء من بعض قريب
يمنينى الطبيب شفاء عينى وما غير الالة لها طبيب

ومِراسُ ، الارْماس ، آهًا لَهَا حَسْرَةَ أَلَمُها مُؤكَّد ، وأَمَدُها سَرْمَد ، ومُمارِسُها مُكْمَد ، ما لِوَلَهِهِ حاسِم ، ولا لِسَدَمِهِ راحِم ، ولا لَهُ مِمَّا عَراهُ عاصِم ، أَلْهَمَكُمُ اللهُ أَحْمَدَ الإِلْهام ، وَرَدَّاكُمْ رِداءَ الإِكْرام ؛ وأَحَلَّكُمْ دارَ السَّلام ، وأَسْأَلُهُ الرَّحْمَةَ لَكُم ولأَهْلِ مِلَّةِ الإِسْلام ، وهُوَ أَسْمَحُ الكِرام ، والمُسَلِّمُ والسَّلام

قال الحارثُ بنُ هَمَّام : فلَمَّا رأيْتُ الخُطْبَةَ نُخْبَةً بلا سَقَط ، وعَرُوساً بغَيْرِ نُقَط ، دَعاني الإِعْجابُ بنَمَطِها العَجِيب ، إلى اسْتِجْلاءِ وَجْهِ الخَطِيب ، فأَخَذْتُ أَتَوَسَّمُهُ جِدًّا ، وأُقَلِّبُ الطَّرْفَ فيه مُجِدًّا ، إلى أنْ وَضَحَ لي بِصِدْقِ العَلامات ، أَنَّهُ شَيْخُنا صاحِبُ المَقامات ، ولَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الصَّمْت ، في ذلكَ الوَقْت ، فأَمْسَكْتُ

(مراس) أصله معالجة الشيء الشديد وكل شيء التصق بشيء واحتك به فقد مارسه ومرست الدواء بالماء دلكته (الأرماس) القبور واحدها رمس فيريد بها مايلقاه الإنسان فى قبره من الدواهى وتقدمت فى الحادية عشرة ويروى الأمراس جمع مرس وهو حبل من ليف يفتل على ثلاثة مراسة جريانه على البكرة فالبكرة تأكل قوته كل يوم فتقطعه كما أن الأيام تأكل قوة ابن آدم فتقطعه فاذا مات أكل بدنه القبر (آها) كلمة توجع (حسرة) لجيعة والهاء فى لها كناية عن الحسرة أضمرها بشرطة التفسير أى ما أعظمها من حسرة آها أى تأوها (ألمها مؤكد) أى وجعها شديد متتابع (سرمد) دائم (ممارسها) معالجها ومخالطها (مكمد) مهموم محزون (ولهة) حزنه (حاسم) مزيل قاطع (سدمه) حيرته (عراه) قصده (عاصم) مانع (ألهمكم) ذكركم ونبهكم (أحلكم) أنزلكم (دار السلام) الجنة من دخلها سلم من العذاب وبقى فى سلامة (ملة) دين (أسمح) أكرم (السلام) الذى هو من أسماء الله سبحانه وتعالى ومعناه المسلم لعبده أو هو على حذف المضاف معناه ذو السلام أى صاحب السلام ويحتمل أن يريد به اللفظ التى يقطع بها الكلام كما تقول لمن تقطع كلامه والسلام أى لا زيادة عندى على هذا أو أردت والسلام عليكم لحذفت اختصارا .. وفى تأويل السلام عليكم وجهان أحدهما أنه اسم الله بمعنى الله تعالى عليكم أى على حفظكم أو بمعنى السلام عليكم فالسلام جمع سلامة .. قال ابن الأنبارى السلام فى كلام العرب على أربعة أقسام السلام التسليم تقول سلمت سلاما والسلام الله تعالى والسلام جمع سلامة والسلام شجر عظام واحدها سلامة قال الأخطل :

ورانية السكران قفر فما بها لهم شبح الاسلام وحرمل

(نخبة) مختارة (سقط) لفظ ردىء (استجلاء) نظر (أتوسمه) انظر سمته أى علامته التى يعرف بها (جدا) كثيرا (مجدا) مجتهدا (وضح) تبين (ذو المقامات) صاحب المجالس (البد) الفرار قال الفراء رحمه الله تعالى يقال لابد ...وم من قضاء حاجتى أى لافرار ويقال ليس لهذا الأمر بد أى لامحالة (الصمت) السكوت والانصات الاستماع ، ...خطبة فرض عند الشافعى رضى الله عنه لقوله تعالى وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا أى لاستماع الخطبة ...ال جماعة من المفسرين إنه إنما نزلت الآية فى السكوت لاستماع الخطبة ... أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال ...سول الله صلى الله عليه وسلم إذا قلت لصاحبك والامام يخطب أنصت فقد لغوت . أبو هريرة وأبو سعيد أنهما ...معا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من خرج إلى الجمعة وعليه الوقار ثم . رجع ثم أنصت إلى أن جلس

حتى تحلَّلَ مِنَ الفَرْض ، وَحَلَّ الانتِشَارُ في الأَرْض ، ثم واجَهْتُ تِلْقاءه ، وابْتَدَرْتُ لِقاءه ، فلما لَحَظَنِى خَفَّ في القِيام ، وأَحْفَى في الإِكْرام ، ثم استَصْحَبَنِى إلى داره ، وأَوْدَعَنِى خَصائِصَ أَسْرارِه ، وحِينَ انْتَشَرَ جَناحُ الظَّلام ، وحانَ مِيقاتُ المَنام ، أحْضَرَ أَبارِيقَ المُدام ، مَعْكُومَةً بالفِدام ، فقلتُ أَتَحْسُوها أَمامَ النَّوْم ، وأَنْتَ إمامُ القَوْم . فقال : مَهْ أنا بالنَّهـــارِ خَطِيب ، وبِاللَّيْلِ أَطِيب ، فقلتُ واللهِ ما أَدْرِى أَأَعْجَبُ مِن

الامام يتكلم حتى ينزل ثم صلى الجمعة غفر الله له مابينه وبين الجمعة التى تلتها قال أبو هريرة وثلاثة أيام يريد من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (تحلل من الفرض) يخلص من الصلاة (الانتشار) انحلال الجموع من الصلاة وانبساطهم على الأرض (تلقاءه) مقابلته (أحفى) بالغ واستيقظ وتحفيت بفلان أظهرت العناية به فى سؤاله إياه (ميقاته) وقته (معكومة) مشدودة وعكمت البعير شددت فمه والوعاء شددت رأسه (الفدام) خرقة يشد بها فم الأبريق ليصفى بها ما فيه (تحسوها) تشربها (وأنت إمام القوم) توبيخ له على قبح فعله مع الفضل الذى سبق له والعيب الكبير يصغر فى حق أهل الريب كما أن الصغير يعظم فى حق أهل المروآت ، وقال المتنبى فى المعنى وإن كان من غير الباب :

وما يوجع الحرمان من كف حارم ... كما يوجع الحرمان من كف رازق

وقال المخزومى :

والعيب فى الجاهل المغمور مغمور ... وعيب ذى الشرف المذكور مذكور
كفوقة الظفر تخفى من حقارتها ... ومثلها فى سواد العين مشهور

وقال ابراهيم ابن المهدى لولا الحياء وأننى مشهور ... والعيب بالرجل الكبير كبير
لحللت منزله الذى يحتله ... ولكان منزلنا هو المهجور

(مه) اسكت . . . (أنا بالنهار خطيب وبالليل أطيب) مما وقع فى كتاب مفتاح السرور والأفراح حكاية عن بعضهم أنه قال رأيت قاصا يقص غداة يوم ثم رأيته بالعشى فى حانة والقدح فى يده فقلت ماهذا فقال أنا بالغداة قاص وبالعشى عاص ، ومن ذلك ما كتب به يحيى بن خالد لابنه الفضل حين بعث فيه أهل خراسان كتابا إلى الرشيد أنه مشتغل بالصيد وادمان اللذات فرمى به إلى يحيى وقال ياأبت اكتب اليه بما يردعه فكتب على ظهر الكتاب حفظك الله يابنى وأمتع بك فقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد وادمان اللذات فعاود ماهو أليق بك وأزين لك فانه من عاد إلى مايزينه وترك مايشينه لم يعرفه أهل دهره إلا به وقد قلت أبياتا فالتزمها وإن جاوزتها عزلتك عن سخط ولم أكلمك حولا وكتب ريه :

انصب نهارا فى طلاب العلا ... واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى إذا الليل أتى مقبلا ... واستترت فيه عيون الرقيب
فباشر الليل بما تشتهى ... فانما الليل نهار الأريب
كم من فتى تحسبه ناسكا ... قد لقى الليل بأمر عجيب
ألقى عليه الليل اثوابه ... فبات فى لهو وعيش خصيب

تَسلِّيكَ ، عنْ أناسِك ، وَمسْقطِ راسِك ، أمْ مِنْ خِطابَتِكَ مَعَ أدْناسِك ، ومَدارِ كاسِك ، فأشاحَ بوَجْهِهِ عَنِّى ؛ ثم قال اسْمَعْ منِّى :

لا تبكِ إلفاً نأى ولا دَارا ... ودُرْ مَعَ الدَّهرِ كيفَما دارا
واتّخذِ الناسَ كلَّهُمْ سَكَناً ... ومَثِّلِ الارضَ كلَّها دارا
واصْبرْ على خُلُق مَنْ تُعاشِرُهُ ... ودارِه فاللبيبُ مَنْ دارَى

ولذة الأحمق مشهورة ... يرصدها كل حسود رقيب

فامتثل ما فيها حتى عزل وقال الحلوانى فى ضده .

أنت الذى قسم الزمان لنفسه ... قسمين بين رياسة ومتاب
أعطى لمرتبة العلاء نهاره ... منها وجنح الليل للمحراب

وقال الفنجديهى فى قوله أنا بالنهار خطيب و بالليل أطيب معناه أنا صالح المنظر فاسد المخبر انظر فى مرآة المرآة وأسر مساوات المساآت وأديم المناجاة جلوة وأتم المداة جاخلوة آمر الناس بالرشاد وأنا أتو سدسادة الفساد وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حين يراه الناس ثم أساءها حين يخلو فتلك استهانة يستهين بها ربه (تسليك عن أناسك) أى اشتغالك عن أهلك وبلدك وهو مسقط رأسه أى الموضع الذى سقط فيه رأسه عند ولادته (خطابتك) فصاحتك فى خطبتك (ادناسك) عيبك وتلطيخ عرضك (مدار) دورانه فى أيدى الشاربين (أشاح) نحى معرضا وأشاح فى الأمر صمم عليه (الفا) صاحبا (نأى) بعد يقول له جوابا باللومه لاتبك صاحبا بعد عنك ولا منزلا تغربت عنه وتقلب مع الدهر كما يتقلب مع أهله (ودر) من الدوران (سكنا) أهلا والفا تسكن اليه (ومثل الأرض كلها دارا) أى بلدا والدار البلد فى قوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين وتمتعوا فى داركم (داره) لاينه وسايسه (اللبيب) العاقل (دارى) أحسن مخالطه الناس وأصلها الخداع تقول العرب دريت الصيد أدريه دريا وداريته أداريه مداراة والدرية بعير يقعد عنده الصائد يستتريه فيجىء الصيد فيأنس بالبعير فيرميه من قرب وكان الحسن يقول المدراة تستجلب مودة القلوب فتخدعهم فى عقولهم وفى الحديث أحب الناس إلى الله أكثرهم تحببا إلى الناس وفيه إذا أحب الله عبدا حببه إلى الناس .

وقال ابن عبد ربه : وجه عليه من الحياء مهابة ... ومحبة تجرى مع الأنفاس
وإذا أحب الله يوما عبده ... ألقى عليه محبة الناس

كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى سعد بن أبى وقاص : إن الله إذا أحب عبدا حببه إلى الناس واعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم أن مالك من الله بمنزلة ماللناس عندك وقال بعضهم أتيت الخليل فوجدته على طنفسة صغيرة فوسع لى فكرهت أن أضيق عليه فتأخرت فأخذ بعضدى وقدمنى إلى نفسه وقال لا يضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الأرض متباغضين أخذه ابن عبده ربه فقال :

ولا تُضيعْ فُرْصَةَ السُّرورِ فما تَدْرى أيَوْماً تَعيشُ أمْ دارا
واعْلَمْ بأنَّ المَنُون جائِلَةٌ وقد أدارَتْ على الوَرَى دارا
وأقْسَمَتْ لا تَزالُ قانِصَةً ما كَرَّ عَصْرَا المَحْيا وما دارا
فكَيْفَ تَرْجى النَّجاةُ مِنْ شَرَكٍ لمْ يَنْجُ مِنْهُ كِسْرَى ولا دارا

صل من هويت وان أبدى مباغضة فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه فقلما تسع الدنيا بغيضين

ولأبى محمد بن أبى الوليد المالقى :

صير فؤادك للمحجوب منزلة سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة فقلما تسع الدنيا بغيضين

ولابن الرقاق : ألا ادن وإن ضاق الندى فانه رحيب بود ضمنته الأضالع
يضيق الفضا عن صاحبين تباغضا وسم خياط بالحبيبين واسع

وقال التهامى : بين المحبين مجلس واسع والود حال يقرب الشاسع
والبيت إن ضاق عن ثمانية متسع بالوداد للتاسع

(فرصة) نهزة وغنيمة (دارا) دهرا وقال السرى :

قم فاتصف من صروف الدهر والنوب واجمع بكاسك بين اللهو والطرب
واخلع عذارك واشرب قهوة مزجت بقهوة الفلج المعسول والشنب
توج بكأسك قبل الحادثات يدى فالكأس تاج يد المثرى من الأدب

(جائلة) دائرة (كسرى) اسم ملك الفرس وكسرى ملك الملوك أبوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد ابن بهرام الملك العادل ملك العرب والعجم كان موصوفا بالعدل معروفا بحسن الرعاية والفضل وشهرته فى كتب الآداب مغنية فى ذكره عن الأطناب قيل كان مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاثنتين وأربعين سنة مضت من ملكه وملك تسعا واربعين سنة وكسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان كان ملكا شديد البطش نافذ الرأى قد بلغ من الظفر ومسالمة الدهر حدا لم يبلغه ملك من الملوك كان ملكه ثمانى وثلاثين سنة وفى سنة ثلاثين من ملكه بعث نبينا صلى الله عليه وسلم وحدث خالد بن ربوة وكان رأسا فى المجوس فأسلم قال كان كسرى إذا ركب ركب معه رجلان فيقولان له ساعتئذ أنت عبدو لست برب فيشير برأسه أن نعم فركب يوما فقالا ذلك له فلم يشر برأسه فشكواه إلى صاحب الشرطة فركب ليعاتبه وكان كسرى قد نام فلما وقع صوت حوافر الدواب فى أذنه استيقظ فدخل عليه صاحب الشرطه فقال أيقظتمونى إنى رأيت كأنه رقى بى فوق سبع سموات فوقفت بين يدى الله تعالى وإذا رجل بين يديه عليه ازار ورداء فقال لى سلم مفاتيح خزائن الأرض إلى هذا ألست المأمون بكذا فلم تفعل وإنى اردت ان اقولها فأستردها منه فأيقظتمونى وصاحب الازار والرداء هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعث له رسول الله صلى الله عليه وسلم بن حذافة بن قيس وكتب له بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول

الله النبي إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله عز وجل فاني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم فان أبيت فان اثم المجوس عليك فلما قرأ الكتاب شقه وقال يكتب إلى بهذا وهو عبدى فبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزق الله ملكه أو قال اللهم مزقهم كل ممزق ثم كتب كسرى إلى باذان وهو على اليمن ان ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين جلدين يأتيانى به فبعث باذان قهرمانه وكان كاتبا حاسبا وهو بابومة وبعث معه برجل من الفرس وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال لبابومة ويلك انظر من الرجل وكلمة واتتنى بخبره فخرجا حتى قدما الطائف فسألا عنه فقالوا هو بالمدينة واستبشر أهل الطائف وقالوا نصب له كسرى كفيتم الرجل فخرجا حتى قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بابومة وقال إن شاهانشاه ملك الملوك كسرى كتب إلى باذان يأمره أن يبعث إليك من ياتيه بك وقد بعثنى إليك لتنطلق معى فان فعلت كتبت فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به وإن أبيت فهو من قد علمت وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك فقال لهما ارجعا حتى تأتيانى غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر أن الله تعالى قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله فى ليلة كذا فى شهر كذا بعد ما مضى من الليل كذا ، سلط الله عليه ابنه فقتله ، فقالا هل تدرى ما تقول فانا قد خفنا منك ما هو أيسر من هذا أفنكتب به عنك ونخبر الملك قال نعم أخبراه ذلك عنى وقولا له ان دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وقولا له ان أسلمت أعطيتك الناس تحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فاخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وإنى لأرى الرجل نبيا فان كان ما قال حقا فهو نبى مرسل فان لم يكن فسأرى فيه رأيا فلم يلبث إن قدم عليه كتاب شيرويه وفيه أما بعد فانى قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضبا لفارس مما كان استحل من قتل أشرافهم فاذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك وانظر إلى الرجل الذى كتب لك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه فقال باذان إن هذا الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلمت الابناء من فارس ... وكسرى أنو شروان هو الذى بنى سور الأبواب وهو من عجائب الدنيا فلما بناه هادته الملوك وكاتبته وهو الذى افتتح كثيرا من بلاد الشام الرومية ونقل منها الرخام إلى العراق .. وقيل إن النبى صلى الله عليه وسلم ولد لاثنتين وعشرين سنة من ملكه وقيل انه ولد فى آخر ملكه كما قدمنا ثم ولى من بعده ابنه هرمز وكان مضعفا غزته الملوك وطمعت فيه ثم خلعته الفرس وسملت عينيه وعقد الملك لابنه أبرويز فى حياته فبعد حروب شديدة اجتمع لابرويز أمره وكان وزيره بزرجمهر أكثر الفرس حكما ومواعظ وفى ملكه كانت وقعة ذى قاربين بكر بن وائل والهامرز صاحب ابرويز لأربعين سنة لمولد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل انها كانت فى غزوة بدر وقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصرت وكان على مربط أبرويز خمسون ألف دابة وألف فيل فخرج فى أحد أعياده وقد صفت له الجيوش وأحدقت به مائة ألف فارس دون الرجالة وصفت له الفيلة فلما بصرت به سجدت له فما رفعت رؤسها حتى رفعت خراطيمها بالمحاجن فأعلم بذلك وقال وددت أنها فارسية ولم تكن هندية انظروا إلى أدبها من بين سائر الدواب ثم هدم الله تعالى هذا الملك العظيم بالإسلام

قال البيرى :

فطف البلاد لكى ترى آثار من ... قد كان يعمرها من الاقيال
عصفت بهم ريح الردى فذرتهم ... ذرو الرياح الموج حقف رمال
فتقطعت أسبابهم وتمزقت ... ولطالما كانوا كنظم لآل

قيل لابرويزوكان حكيما ماشهوة ساعة قال الجماع قيل فما شهوة يوم قال دخول الحمام قيل فما شهوة جمعة قال غسل الثياب قيل فما شهوة شهر قال تجديد الثياب قيل فما شهوة سنة قال تزوج الأبكار قيل فما شهوة الأبدقال أما فى الدنيا فمشاهدة الإخوان وأما فى الآخرة فنعيم الجنة ، ونظر إلى قذاة فى طعام فدعا الطباخ فقال ماهذا فقال حاولته بالليل فى وقت لم يكن فيه ماء معين فأمر بضرب عنقه فغضب الطباخ وقال يا ابن الأشتور بأن تفسيره يا ابن شائس الدواب فعفا عنه وقال إنا معشر الملوك نعاقب فى الصغير ونعفو عن الكبير ، وأما دارا ابن دارا بن بهمن وهو آخر ملوك الفرس الأول فانه كان ضخم الملك ذا قدرة ومكانة وهو الذى بنى بأرض الجزيرة مدينة دارا بجرد وكانت جنده ستمائة ألف ولقيه الاسكندر بالجزيرة فدارت بينهم الحروب أربعين يوما وخندق دارا على عسكره خمس خنادق وجعل على كل خندق اثنى عشر ألف رجل وكانت النوبة لا تصيب الرجل إلا يوما فى كل خمسة أيام فوجد الاسكندر من ذلك وجدا شديدا فبعث إلى دارا إنا كدنا تتفانى ورأيت رأيا فيه البقاء لنا ولك وذلك أن تفرج لى فأخرق صفك خرقا إلى جانب بلادك وأرجع إلى بلادى فانا لا نرى الفرار من الزحف وهو عار لا يغسل فاجابه دارا لا سبيل إلى ذلك فلما رأى الاسكندر ذلك وضع البرنس وحسر عن رأسه وقال يا معشر الروم هذا هو العجز والذل عن الانتصار هل فيكم من يحتال لى فى هذا الأمر وله نصف مال الروم والعجم ونصف ما فى بيوت الأموال فقد أدركتنى الحمية فبلغ الخبر إلى صاحب حرس دارا فقال أنا أفعل ذلك وآخذ مالا عظيما فلما التحم القتال حمل على دارا فطعنه بحربة فى ظهره فوقع على الأرض وانهزم عسكر دارا فجاء الاسكندر ووضع رأس دارا فى حجره ومسح التراب عن وجهه وقبله وبكى وقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلك على يدى ولا على يد أحد من جندى فسل ما بدالك أقضه فقال له دارا من حاجتى عندك أن لا تخرب بيوت النيران وأن تنصفنى من قاتلى قبل موتى فانه ان بقى عندك سيكفر معروفك كما كفر معروفى فقال له الاسكندر حاجتى عندك أن تزوجنى بنتك روشنك فقال دارا على أن تجعل الملك من بعدك لولدك منها فاجابه الى ذلك وزوجه ابنته وأخذ الاسكندر قاتله وقطعه أربع قطع واستولى على جميع مملكته وملك دارا أربع عشرة سنة وقيل ست سنين وقسم الاسكندر غنائم عسكره فى ثلاثين يوما وشاور الاسكندر معلمه أرسطاطاليس فى ان يقتل من بقى من الفرس فقال له لا تفعل ولكن ول على كل جهة شريفا من أهلها فيتنافسون فلا يجمعهم ملك أبدا ففعل فهم ملوك الطوائف حتى انتزع اردشير منهم الملك وقال ان كلمة فرقتنا خمسمائة سنة وتسع عشرة سنة ، يعنى كلمة ارسطاطاليس لكلمة بالغة ، وملوك الفرس الأول ستة عشر ملكا وملوك الفرس الثوانى اثنان وثلاثون منهم امرأتان وملك بعد اردشير سابور وهو من عظمائهم ففتح الحصون ومدن المدن وبنى الايوان وهو بالجانب الشرقى من المدائن وهو من عجائب البنيان وعجائب

قال : فلما اعْتَوَرَتْنا الكُؤُوس ، وطَرِبَتِ النفوس ؛ جَرَّعَني اليَمِينَ الغَمُوس ، عَلَى أنْ أَحْفَظَ عليه النَّامُوس ، فاتَّبَعْتُ مَرامَه ، ورَعَيْتُ ذِمامَه ؛ ونَزَّلْتُهُ بَينَ المَلإِ مَنْزِلَةَ الفُضَيل ، وسَدَلْتُ الذَّيلَ على مَخازي الأَيْل ، ولم يَزَلْ ذلكَ دَأْبَه ودَأْبي ؛ إلى أنْ تَهَيَّأَ إيابي ، فوَدَّعْتُهُ وهو مُصِرٌّ على التَّدْليس ، ومُصِرٌّ حَسْوَ الخَنْدَرِيس

الفرس كثيرة وفى هذه النبذة غنية توافق ماشرطناه (اعتورتنا) أى قصدتنا أو دارت علينا (الغموس) الشديدة وهى فى الجاهلية التى تغمس صاحبها فى العار وفى الاسلام تغمس صاحبها فى الأوزار والغمس ارتباط الشىء فى الشىء فى ماء أو صبغ حتى اللقمة فى الخل والغموس قيل أنها اليمين التى يقطع بها الرجل حق غيره فيحلف كاذبا . الليث رحمه الله : هى اليمين التى لا استثناء فيها وفى الحديث اليمين الغموس تدع الديار بلا قع أى قفرا فارغة من كل رزق (الناموس) اظهار فعل الخير وتناموس الرجل اذا ظهر بما لا يعتقد وأصل النمس الستر وكل شىء سترت به شيأ فهو ناموس له وناموس الرجل سره ويقال لصاحب سر الخير ناموس ولصاحب سر الشر جاسوس ، وقال أبو عبيده هما بمعنى .. غيرة : الناموس صاحب سر الملك وقد نمس ينمس نمسا ونامسته منامسة (مرامه) مطلبه ومراده (رعيت زمامه) حفظت حقه وما بينى وبينه مما يجب أن يراعى (الملأ) الجماعة (الفضيل) هو ابن عياض التميمى كنيته أبو على وهو ممن شهر بالزهد والخير وهو من رجال رسالة القشيرى قال صاحبها أبو على خراسانى من ناحية مرو ولد بسمرقند ومات فى الحرم سنة سبع وثمانين ومائتين وكان شاطرا يقطع الطريق وسبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو ذات يوم يرتقى الجدار اليها إذ سمع تاليا يتلو « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » ، فقال يارب قد آن فرجع فأوى إلى خربة فاذا فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال بعضهم حتى نصبح فان فضيلا فى الطريق فيقطع علينا فأمنهم وسارمعهم حتى بلغوا وجاور الحرم ، وقال الفضيل إذاأحب الله عبدا أكثر همه وإذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه ،وقال الكامل المروءة من بر والديه وأصلح ماله وأنفق من فضله وأكرم إخوانه وحسن خلقه ولزم بيته ،وقال إذا رأيت الليل مقبلا فرحت وقلت أخلو بربى وإذا أبصرت الصبح استرجعت كراهة أن يجىء من يشغلنى ، واطلع عليه بعض اخوانه من كوة ولحيته تقطر دموعا فقال ياهؤلاء ليس هذا زمن حديث انما هو زمن احفظ لسانك وعالج قلبك وأخف مكانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ، وقال لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على لا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مربها أن تصيب ثيابه ، وقال ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس هو الشرك وقال أبو على سليمان الدارانى صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا متبسما إلا يوم مات ابنه على فقلت له فى ذلك فقال إن الله تعالى أحب أمرا فاحببته ، وقال إنى لأعصى الله فاعرف ذلك فى خلق حمارى .. وأخباره كثيرة وهذه اللمعة دالة عليها (سدلت) أى أرخيت (مخازى) قبائح وما يخزى عليها فاعلها لو اطلع على فعله (دأبه ودأبى) عادته وعادتى (إيابى) رجوعى (مصر) مقيم (التدليس)

تلبيس الأمر وكتمان العيب ويشبه عذل ابن همام السروجى فى شرب الخمر ثم مساعدته إياه بعد لومه وشربه معه قول ابن أبى ربيعة وهو أحسن ما قيل فى المساعدة :

وخل كنت عين النصح منه ... إذا نظرت ومستمعا سميعا
أطاف بقينة فنهيت عنها ... وقلت له أرى أمرا شنيعا
أردت رشاده جهدى فلما ... أبى وعصى اتيناها جميعا

وقال اعرابى

وكنت إذا علقت حبال قوم ... صحبتهم وشيمتى الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم ... واجتنب الإساءة إن اساءوا
اشاء سوى مشيئتهم فآتى ... مشيئتهم وأترك ما اشاء

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية

حكى الحارثُ بنُ همّام قال : ألجأني حُكمُ دَهرٍ قاسِط ، إلى أنْ أنتجِعَ أرضَ واسِط ، فقصدتُها وأنا لا أعرِفُ بها سَكَنًا ، ولا أملِكُ فيها مَسكَنا ، ولمّا حلَلتُها حُلولَ الحوتِ بالبيداء ، والشَّعرةِ البيضاء في اللِّمّةِ السَّوداء ، قادَني الحظُّ النّاقِص ، والجَدُّ النّاكِص ، إلى خانٍ ينزِلُه شُذّاذُ الآفاق ، وأخلاطُ الرِّفاق ، وهوَ لِنَظافةِ مكانِه وظَرافةِ سُكّانِه ؛ يُرغِّبُ الغريبَ في إيطانِه ، ويُنسيهِ هوَى أوطانِه ، فاستَفرَدتُ منهُ بحُجرَة ، ولم أُنافِسْ في أُجرَة ، فما كانَ إلّا كلَمحِ طَرْف ، أو خَطِّ حَرْف ، حتى سمِعتُ جاري بيتَ بيتَ يقولُ لِنَزيلِه في البيت ؛ قُمْ يا بُنيَّ لا قعَدَ جَدُّك ، ولا قامَ ضِدُّك ، واستَصحِبْ ذا الوَجهِ البَدْري ؛ واللَّوْ

شرح المقامة

(ألجأني) اضطرني (قاسط) جائر (أنتجع) أقصد لطلب الرزق (واسط) بلد معروف بناه الحجاج وسط المسافة التي بين البصرة والكوفة منها إلى كل واحد منهما خمسون فرسخا وسكنه ومات فيه ، وقال اليعقوبي واسط مدينتان على حافتي دجلة فالمدينة القديمة التي هي منازل الدهاقين هي الشرقية من دجلة وهي مدينة كسكر وابتنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي وجعل بينهما جسرا من السفن وبنى بها قصره والقبة الخضراء التي يقال لها خضراء واسط والمسجد الجامع وعليها سور ونزلتها الولاة بعد الحجاج وهي بين البصرة والكوفة والاهواز متوسطة فسميت واسط بذلك ، قال الطبري خرج الحجاج يرتاد منزلا لأهل الشام فأمعن حتى نزل أطراف كسكر فبينما هو كذلك إذا هو براهب قد أقبل على أتان له فعبر دجلة فلما كان بموضع واسط تفاجت الاتان فبالت فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول وحمله حتى رمى به دجلة وذلك بعين الحجاج فقال على به فلما أتاه قال ماحملك على ماصنعت فقال إنا نجد في كتبنا أنه في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه مادام أحد في الأرض يوحد فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد في ذلك الموضع وذلك سنة ثلاث وثمانين (سكنا) أي صاحبا يسكن اليه ويؤنس به (المسكن) المنزل الذي يسكن فيه (البيداء) الصحراء أراد أنه غريب ليس له صاحب ولا منزل فالحوت في الصحراء (اللمة) الجمة من الشعر تلم بالمنكب (قادني) ساقني (الحظ) النصيب (الجد) السعد (الناكص) الراجع إلى خلفه يريدان سعده يمشي إلى جهة خلف ونكص ينكص رجع القهقرى (خان) فندق (الشذاذ) الغرباء الذين شذوا عن أوطانها أي فروا منها وبعدوا والشذاذ التفرق وكلمة شاذة مفترقة من جنسها وشذ الرجل انفرد عن أصحابه (الآفاق) النواحي (اخلاط الرفاق) من لا يتخصص منهم ولا يتعين (إيطانه) سكناه (هوى أوطانه) حب بلاده (استفردت) سكنتها منفردا (الحجرة) البيت (أنافس) أغالي من قولهم نفست عليه بالشيء إذا ضننت به ولم تحب أن يصير اليه (لمح الطرف) نظر العين (بيت بيت) أي بيته ملاصق بيتي وهما اسمان جعلا كاسم واحد وبنيا على الفتح (نزيله) النازل معه (جدك) سعدك (ضدك) عدوك المخالف لك (البدري) الأبيض المستدير كالبدر يريد الرغيف شبهه بالبدر في بياضه

الدُّرِّى ، والأَصْلُ النَّقِى ، وَالجِذْمُ الشَّقِى ، الذى قُبِضَ وَنُشِرَ ، وسُجِن وَشُهِرَ

واستدارته ، وقال ابن الرومى مررت بخباز يبسط الرقاق كاسرع من رجوع الطرف مابين أن ترى العجين فى يده كالكرة حتى يندحى فيصير كالقمر إلا مقدار لحظة فشبهت سرعة انبساطها بسرعة الدائرة فى الماء يقذف فيه بالحجر فقلت :

ما أنس لا أنس خبازا مررت به   يدحو الرقاق كوشك اللمح بالبصر
مابين رؤيتها فى كفه كرة   وبين رؤيتها نوراء كالقمر
إلا بمقدار ماتنداح دائرة   فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

ويتعلق بهذا ماقيل من الشعر فيمن ليس له نباهة من الغلمان ، كان ابن وضاح جالسا مع جملة من الأدباء فربهم غلام نظيف يبيع الخبز فلم يتجه لأحد فيه شىء إلا ابن وضاح فانه قال :

خابز الخبز ظريف   عذبت فيه الحتوف
خامل الانساب لكن   هو فى الحسن شريف
خصره أهيف شخت   وكذا الغزلان هيف
من يخاصم مقلتيه   حكمت فيه السيوف

نظر إدريس بن اليمانى إلى غلام وسيم بالحمام عليه أسمال فقال :

توشح بالظلماء وهو صباح   وامراض بالاجفان وهى صحاح
وظل فؤادى طائرا عن جوانحى   وليس له إلا الغرام جناح
قضيب صباح فى وشاح دجنة   ألا ليتنى تحت الوشاح وشاح
ولا عجب أن أفسدتنى جفونه   فكل فساد فى هواه صلاح

وقال الرصافى :

يقولون لى يوما وقد مرضاربا   بمعوله ضرب المرجم بالغيب
تعلم صفارا فقلت استعارها   غداة رنا من ضبغة العاشق الصب
يعود النحاس الأحمر التبر عسجدا   بكفيه عند السبك والمدو المضرب
لحمزته مشتقة من حياته   وصفرته مما يخاف من العتب

(الدرى) الأبيض الذى يشبه الدر فى لونه ويقال كوكب درى منسوب إلى الدر مشبها به لصفائه وحسنه بضم الدال وتشديد الياء ودرىء بالضم والهمزة ودرىء بكسر الدال مع الياء ومع الهمزة ودرىء بالفتح والهمزة فمن كسر وهمز فهو فعيل من درأ الكواكب إذا جرى فى أفق السماء ومن كسر بلا همزة فلأجل الياء بعد الراء ومن ضم وهمز فخطأه الفراء قال فعيل ليس فى أبنية العرب وأثبته سيبويه قال أبو عبيدة أصله درُوى مثل سبوح فجعلوا الواو ياء وجعلوا الضمة قبلها كسرة ومثله عتو وعتى (الأصل النقى) يعنى القمح الذى صنع ومنه كان نقيا من الزبل وغيره (شقاء جعل فسر فى التاسعة عشرة وهو الآن يبين فعض شقائه (فقبض نشر) وقت العجن أو وقت الخبز لأنه يقطع قبضه ثم يبسط للخبز (سجن) خزن قمحة فى المخازن (وشهر)

وسُقِيَ وقُطِمَ ، وأُدخِلَ النَّارَ بَعْدَ مَا لُطِمَ ؛ ثمَّ ارْكُضْ إلى السُّوق ، رَكْضَ المَشُوق ، فقَابِضْ بِهِ اللاقِحَ المُلقِحَ ؛ المُفْسِدَ المُصْلِحَ ؛ المُكْمِدَ المُفْرِحَ ، المُعْنِي المُرَوِّح ، ذا الزَّفِيرِ المُحْرِق والجَنِينِ المُشْرِق ؛ واللَّفظِ المُقْنِع ، والنَّيلِ المُمْتِع ، الذي إذا طُرِقَ ، رَعَدَ وبَرَق ، وبَاحَ بالحُرَق ، ونَفَثَ في الخِرَق ، قالَ فلمَّا قَرَّتْ شِقْشِقَةُ الهادِر ، ولم يَبْقَ إلَّا صَدَرُ الصَّادِر ، بَرَزَ فتًى يَمِيس ، ومَا مَعَهُ أنِيس ، فرأيتُها عُضْلَةً تَلعَبُ بالعُقُولِ ، وتُغرِي بالدُّخُولِ في الفُضول ، فانطَلَقتُ في أثَرِ الغُلَام ، لأخبُرَ فَحْوَى الكلام ، فلم يَزَلْ يَسْعَى سَعْيَ العَفَارِيت ويَتَفَقَّدُ

أبرز منها للسوق وشهر على الناس أن يكون سجنه الفرن وشهرته البيع فى السوق أو عندما يطاف به على الأسواق وقال المعرى يلغز فى القمح :

وسمراء فى بيض الحسان شريتها ... بصفر من العين الشبيهة بالشمس
وقد غيبت فى الخدر عصرا مصونة ... محجبة عن أعين الجن والإنس
فلما بدت عنه بدت سيمة النوى ... عليهـــا ولم تجزع لحادثة الأمس
فأهلا بأنثى لم ترد يد لامس ... بسوء ولا أبدت نفارا من اللمس

(سقى) جعل المـاء عليه لعجين (قطم) قطع عنه المـاء (لطم) سوى بالـكف وعامتنا تشدد الطاء (أركض) أسرع (المشوق) الـكثير الشوق وشاقك الشيء يشوقك إذا هاجك (قابض) عارض وقايضت الرجل فعلت معه ما يفعل معك (اللاقح) فى الاصل الناقة يعلوها الفحل فتحمل منه ولقحت حملت والملقح الفحل يعلوها عند السفاد وقد بين أنه يريد حجر الزند جعله لاقحا لانه حامل بالنار وملقحا لان به تخرج النار من الزند فكأنه لقحه بالنار أى جعلها فيه والزند أيضا لاقح ملقح لأن النار لا توجد فى واحد منهما على انفراده والنار تصلح فى موضع وتفسد فى آخر فلذلك وصفه بهما (المعنى) المتعب باحراقه (المروح) المدخل الراحة باصلاحه وإن جعله للزند فمعن إذ شح ومروح إذا أورى ونحوه (المكمد) أى المحزن (المفرح) ضده (الزفير) التنفس وزفرة الحجر هى النار وهى تحرق كل ما تعلقت به (الجنين) أى المستور فى الحجر فاذا ظهر أشرق وأضاء (اللفظ) صوت الحجر فى الزند فاذا أبدى النار أقنعك واكتفيت به (نيله) أى عطاؤه (الممتع) الـكثير وقليل النار كثير وقد قال الاعرابى لمن السقط يحرق الدوحة أراد ما يسقط من الزند من النار الضعيفة يحرق الشجر الـكثير الملتف (طرق) ضرب (رعد) صوت (برق) لمعت تاره (باح) أظهر ما يسر فيه (الحرق) النهاب القلب بالهم فكنى به عما فى الحجر من النار (نفث) بزق (الخرق) التى تسقط فيها نار الزند وهذه ألفاظ كلها متقاربة بعضها يفسر بعضا لانها من مليح الكلام (قرت) سكنت (الهادر) الفحل (شقشقته) ما يخرج من لهاته وتقدمت فى الاولى ويزعمون أنها لا توجد عند نحر الفحل وكذلك بيضه لا يوجد ، قال وأنشد بشر بن المعتمد :

خصيته تبطل من حطمه ... عند حدوث الذبح والنحر
ما إن يرى الراءون من بعدها ... شقشقة مائلة الهدر

وأراد به سكت المتكلم (صدر الصادر) خروج الخارج من الماء بعد شربه (برز) خرج (يميس) يتبختر ويتثنى (عضلة) داهية وأمر صعب (تغرى) تحرض وتلصق (فحوى) معنى (يسعى) يجرى (العفاريت) شر الشياطين

نَضَائِدَ الحَوَانِيت ، حتى انْتَهى الرَّوَاح ، إلى حِجَارَةِ القَدَّاح ، فَنَاوَلَ بَائِعَهَا رَغِيفاً ، وَتَنَاوَلَ حَجَراً لَطِيفًا فَعَجِبْت مِنْ فَطَانَةِ المُرْسِلِ والمُرْسَل ، وعلمتُ أنها سَرُوجِيَّةٌ وإنْ لم أَسْأَل ، وَما كَذَّبْتُ أَنْ بَادَرْت إلى الخَان ، مُنْطَلِقُ العنَان ، لأَنظرَ كُنْهَ فَهْمِى ، وهلْ قَرْطَسَ فى التَّكَهُّنِ سَهْمِى ، فإذا أنا فى الفَرَاسَةِ فَارِس ، وأبو زَيْدٍ بِوَصِيدِ الخَانِ جَالِس ، فَتَهَادَيْنَا بُشْرَى الالتقَاء ، وَتَقَارَضْنَا تَحِيَّةَ الأَصْدقَاء ، ثم قال ما الذى نَابَكَ حتى زَايَلْتَ جنَابَك ، فقلتُ دَهْرٌ هَاض ، وجَوْرٌ فَاض ؛ فقال والذى أَنْزَلَ المطَرَ مِنَ الغمَام ، وأخرجَ الثَّمرَ من الأكمام ، لقَدْ فَسَدَ الزمَان ، وعَمَّ العدْوَان ، وعُدِمَ المعْوَن ، والله المُسْتَعان ، فَكَيْفَ أَفَلتَّ ، وعَلَى أَىِّ وَصْفَيْكَ أَجْفَلْتُ ، فقلتُ اتَّخَذْتُ اللَّيْلَ قَمِيصاً ، وَأَدْلَجْت فِيه خَمِيصا فأَطْرَقَ يَنكُتُ فى الأَرْض وُيفَكِّرُ

وأدهاها (نضائد) ما جعل شيأ على شيء (الرواح) العشى (القداح) حجر الزند تقدح النار منه (ناول) أعطى (لطيفا) دقيقا (فطانة) ذكاء (وما كذبت) أى ما خيبت (منطلق العنان) مسيب حيث شاء (كنه) حقيقة (قرطس) أصاب الغرض مرة بعد أخرى والقرطاس يجعل غرضا فاذا توالى ضربه قيل قرطس (التكهن) الحديث بما يكون (الفراسة) النظر بالظن (وصيد الخان) فناء الفندق وقيل بابه من أوصدت الباب أغلقته وقيل عتبة بابه (تهاديا) أهديته وأهدانى (البشرى) السرور أى فرح كل واحد منا بصاحبه فتهادينا البشرى (تقارضنا) أندفعنا بالسلام يريدحالة الصديقين إذا التقيا بعد سفر فيبالغ كل واحد منهما فى سلام صاحبه ويتابعه (التحية) السلام ومنه التحيات لله ومنه قوله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أى سلم عليكم وقيل التحيات الملك وكان الملك يحيا بأنعم صباحا وأبيت اللعن وقيل معناه البقاء لله . وقال زهير بن جناب :

من كل ما نال الفتى قد نلته … إلا التحية من إله قادر

أى البقاء (نابك) نزل بك (جنابك) بلدك وناحيتك والجناب فناء الدار (هاض) كسر (فاض) كثر (الغمام) السحاب (والثمر) الثمار (أكمامها) ما يكون فيها ثمرها وكل ما وارى شيأ فهم كام له وكم (عم) شمل (العدوان) الفساد (المعوان) ما يستعان به وقال الشاعر :

لله درأبيك أى زمان … أصبحت فيه وأى أهل زمان
كل يدانيك المحبة جاهلا … يعطى ويأخذ منك بالميزان
فاذا رأى رجحان حبة خردل … مالت مودته مع الرجحان

وقال ابن لتكك :

نحن مع الدهر فى أعاجيب … فنسأل الله صبر أيوب
أقفرت الأرض من محاسنها … فابك عليها بكاء يعقوب

(وصفيك) حاليك من الخير والشر وهى حالة السفر (أجفلت) هربت مسرعا والأجفال الهروب ثم قال مشيت فى ظلام الليل فصار لى كالقميص (ادلجت) مشيت فى السحر (خميصا) جائعا (أطرق) أمال رأسه ساكنا (ينكث) يخط فى الأرض (ارتباد) طلب (الفرض) من العطية ما فرضت على نفسك عطاءه على أن لا تجازى عليه (القرض) ما أعطى من غير فرض قال الحريرى القرض بالقاف ما يستعاذ عوضه والفرض بالفاء

فى ارْتِياد القَرْض والفَرض ، ثم اهْتَزَّ هِزَّةَ مَنْ أكْثَبَهُ قَنَص ، أو بَدَتْ لهُ فُرَص ، وقال قدْ عَلِقَ بقَلْبِى أنْ تصاهِرَ مَن يَأْسُو جِراحَكَ ، ويَرِيشُ جَناحَك ، فقلتُ وكَيْفَ أجْمَعُ بينَ غُلٍّ وقُلٍّ ، ومَنِ الذى يَرْغَبُ فى ضلِّ بنِ ضُلٍّ ، فقال أنا المشِيرُ بكَ وَإليْكَ ، وَالوَكِيلُ لكَ وعَلَيْكَ ، مَعَ أنَّ دِينَ القَوْمِ .

مالا عوض فيه وأنشد فى الدرة لأبى عبد الله النميرى يرثى أبا عبد الله الازدى :

مضى الأزدى والنمرى يمضى وبعض الشكل مقرون ببعض
أخى والمجتنى ثمرات ودى وإن لم يجز فى قرض وفرض
وكانت بيننا أبدا هنات توفر عرضه فيها وعرضى
وماهانت رجال الأزد بعدى وإن لم تدن أرضهم من أرضى

الهنات كناية عن المنكرات فاراد أنه أمال رأسه إلى الأرض مفكرا وجعل يخط فيها بيده أو بعوده وهو فعل المهموم الكثير الفكر كما قال امرؤ القيس :

ظللت ردائى فوق رأسى قاعدا أعد الحصى ماتنقضى عبراتى

فلم يرد أنه يعدها ليعلم كم فيها وحاله من البكاء والحيرة تنفى الثبات على العدد وإنما أراد أنه كان يعبث فيها بيده اشتغالا و فى قلبه من الهم ما غلب على الصبر وقد بالغ ذو الرمة فى بيان هذا المعنى بقوله :

عشية مالى همة غير أننى بلفظ الحصى والخط فى الدار مولع
أخط وأمحو تارة وأعيده بكفى والغربان فى الدار وقع

وقال ابن جعيل فى ذلك :

لاينكتون الأرض عند سؤالهم لتطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لهم عند السؤال كأحسن الألوان

وقال الشريف الرضى فأحسن :

تفرى أنامله التراب تعللا وأنا ملى فى سنى المقروع

(اكثبه) أى دنا منه (قنص) صيد (فرص) جمع فرصة وهى كالغنيمة (يأسو يطب يريش) يجعل عليه الريش (الغل) الزوجة هنا وقالت عائشة رضى الله عنها إنما النساء أغلال فلينظر أحدكم غلا يجعل فى عنقه وتقول العرب للمرأة السيئة الخلق غل قمل وعوتب الكسائى فى ترك التزوج فقال وجدت معاناة العفة أيسر من معاناة العيال (القل) القلة (ضل بن ضل) مجهول لايعرف وفلان ضل إذا كان مجهولا لا متمكنا فى الضلال (المشير بك وإليك) يقال أشار به إذا رفعه وأشار النار وأشار بها وتشورها أى رفعها فمعنى أنا المشير بك أى أرفع قدرك وأعظم منزلتك أى أثنى عليك بخير فى غيبتك عند أصهارك والمشير اليك إذا حضرت اشرت اليك ان تتزوج فيهم إذا رأيتهم أكفاءك (والوكيل لك) عليهم حتى يزوجوك والوكيل عليك لتمتثل ما آمرك به من الزواج فيهم حسبنا الله ونعم الوكيل قيل فيه الكافى هو قال الفراء يكون المعنى كافيا الله ونعم الكافى كقولك رازقنا الله ونعم الرازق ، ابن الانبارى . وهو أحسن فى اللفظ من قولك كافينا الله ونعم الوكيل (دينهم) عادتهم

جَبْرُ الكَبيرِ وفَكُّ الأسيرِ ، واحْتِرامُ العَشيرِ ، واسْتِنْصاحُ المُشيرِ ، إلَّا أنَّهُمْ لوْ خَطَبَ إليهِم إبْراهيمُ ابنُ أدْهَم ،

(جبر) إصلاح (فك) حل (احترام) إعزاز وتقريب وهو افتعال من الحرمة أي يجعلونه في حرمتهم (العشير) الصاحب (استنصاح المشير) أي من أشار عليه بشيء رأوه ناصحا (إبراهيم بن أدهم) هو من شيوخ الصوفية وهو من رجال رسالة القشيري قال صاحبها فمنهم أبو اسحق إبراهيم بن أدهم بن منصور بن اسحق البلخي من كورة بلخ من أبناء الملوك وحدث إبراهيم بن بشار قال صحبت إبراهيم بن أدهم بن منصور بن اسحق البلخي بالشأم فقلت له يا أبا اسحق خبرني عن بدء أمرك كيف كان فقال كان أبي من ملوك خراسان وكنت شابا فركبت يوما على دابة ومعي كلب وخرجت إلى الصيد فأثرت ثعلبا فبينما أنا في طلبه إذا هتف بي هاتف ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ففزعت ووقفت ثم عدت فركضت الثانية ففعل مثل ذلك ثلاث مرات ثم هتف بي من قربوس السرج لا والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت قال فنزلت وصادفت راعيا لأبي فأخذت منه جبة من صوف فلبستها وأعطيته الفرس وما كان معي ثم دخلت البادية متوجها إلى مكة فبينما أنا يوما في مسيري إذا برجل يسير وليس معه إناء ولا زاد فلما أمسى وصلى المغرب حرك شفتيه بكلام لا أفهمه وإذا أنا بإناء فيه طعام وإناء فيه شراب فأكلت وشربت وكنت على ذلك معه أياما وعلمني اسم الله الأعظم ثم غاب عني وبقيت وحدي فبينما أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة دعوت الله فإذا أنا بشخص آخذ بحجزتي فقال لي سل تعط فراعني صوته فقال لا روعة عليك ولا بأس أنا أخوك الخضر إن أخي داود علمك اسم الله الأعظم فلا تدع على أحد بينك وبينه شحناء فتهلكه ولكن ادع الله أن يقوي ضعفك ويونس وحشتك ويجدد به في كل يوم نيتك ورغبتك ثم تركني وانصرف وصحبه سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشأم ومات بها وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وكان كبير الشأن في الورع ، وقال أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل ولا تصوم بالنهار وكان عامة دعائه اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك وقال لرجل في الطواف اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات وهي أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة وتغلق باب العز وتفتح باب الذل وتغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد وتغلق باب النوم وتفتح باب السهر وتغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر وتغلق باب الأمن وتفتح باب الاستعداد للموت ، وقال محمد بن المبارك الصوري : كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من أصل الرمان يا أبا اسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيأ فطأطأ رأسه فقال ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا اليه ليتناول منا شيأ فقلت يا أبا اسحق لقد سمعت فقام وأخذ رمانتين فأكل واحدة وناولني الأخرى فأكلتها وهي حامضة وكانت قصيرة فلما رجعنا مررنا بها وهي شجرة عالية ورمانها حلو وهي تثمر في كل عام مرتين وسموها رمانة العابدين وركب إبراهيم في مركب فهاجت ريح شديدة فلف ابراهيم رأسه بعباءة وطرح نفسه مع الناس فسمعوا صوتا من البحر يقول لا تخافوا ففيكم إبراهيم بن أدهم وصاح الناس في المركب أين إبراهيم بن أدهم ثم سكنت الريح فخرج وما عرفوه فقال له رجل من أين كسبك فقال :

أو جَبَلَةُ بنُ الأيْهم، لَمَا زَوَّجُوهُ إلَّا عَلَى خَمسِمائَةِ دِرْهَمْ

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فــلا ديننا يبقى ولا مانرقع

وأخباره في كتب التصوف كثيرة تطول .

(جبلة بن الأيهم) ابن جبلة بن الحرث الأوسط بن ثعلبة بن الحرث الأكبر بن عمرو بن جفنة وفي نسبه اختلاف وهو آخر ملوك غسان وكان طوله اثنى عشر شبرا فاذا ركب مسح الأرض بقدميه ولما أراد أن يسلم كتب إلى عمر ليستأذنه في القدوم عليه فسر بذلك وكتب اليه أن أقدم فلك مالنا وعليك ماعلينا فخرج في مائة فارس من عك وجفنة فلما دنا إلى المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوجة بالذهب الأحمر والحرير الاصفر وجلل الخيل بجلال الديباج وطوقها أطواق الذهب والفضة ولبس تاجه وفيه قرط مارية فلم يبق في المدينة إلا من خرج اليه وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه ثم حضر الموسم مع عمر فبينما هو يطوف بالبيت إذ وطيء على إزاره رجل من فزارة فحله فالتفت اليه جبلة مغضبا فلطمه فهشم أنفه فاستعدى عليه الفزاري عمر فقال ما دعاك إلى أن لطمت أخاك فقال إنه وطيء إزاري ولولا حرمة هذا البيت لاخذت الذي فيه عيناه فقال له عمر أما أنت فقد أقررت فاما أن ترضيه وإما أن أقيده منك قال أتقيده مني وهو رجل سوقة قال قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية قال قد رجوت أن أكون في الاسلام أعزمني في الجاهلية فقال هو ذاك قال اذا أتنصر قال ان تنصرت ضربت عنقك واجتمع وفد فزارة ووفد جبلة وكادت تكون فتنة فقال جبلة انظرني الى غديا أمير المؤمنين قال ذلك اليك فلما كان في جنح الليل خرج في أصحابه الى القسطنطينية فتنصر وأعظم هرقل قدومه وسربه وأقطع له الاموال والرباع فلما بعث عمر رضي الله عنه رسوله الى هرقل يدعوه الى الاسلام فأجابه الى المصالحة ثم قال للرسول أرأيت ابن عمك الذي أتانا راغبا في ديننا يعني جبلة قال لاقال القه ثم ائتني وخذ الجواب فذهب فوجد على باب جبلة من الجمع والحجاب والبهجة مثل ما على باب قيصر قال فتلطفت في الاذن حتى دخلت عليه فرأيت رجلا أصهب اللحية اذا سبال وكان عهدي به أسود اللحية فأنكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى عاد أصهب وهو قاعد على سرير من قوارير فلما عرفني رفعني معه على السرير وجعل يسائلني عن المسلمين فقلت قد أضعفوا أضعافا على ما تعرف وسأل عن عمر رضي الله عنه فقلت بخير حال فاغتم بسلامة عمر فانحدرت عن السرير فقال لم تأبى الكرامة فقلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولاتبال علام قعدت فطمعت فيه عند صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ويحك ياجبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال أبعد ما كان مني ؟ قلت نعم قدفعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت ارتد وضرب أوجه المسلمين بالسيف ثم أسلم وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلما قال زدني من هذا ان كنت تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته ويوليني الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت له التزويج ولم أضمن الخلافة فأومأ الى وصيف بين يديه فذهب مسرعا فاذا موائد الذهب قد نصبت بصحائف الفضة فقال لي كل فقبضت يدي وقلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل في آنية الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما احببت فأكل في الذهب

والفضة وأكلت فى الخلنج ثم جىء بطشت من الذهب فتغسل فيها وغسلت فى الصفر ثم أومأ الى خادم عن يمينه فذهب مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجواهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره واذا عشر جوار فى الشعور عليهن ثياب الوشى مكسرات فى الحلى فقعدن عن يمينه وقعد مثلهن عن يساره واذا بجارية قد خرجت كالشمس حسنا وعلى رأسها تاج عليه طائر وفى يدها اليمنى جامة وفيها مسك وعنبر فتيت وفى يدها اليسرى جامة فيها ماء الورد فصفرت بالطائر فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيه ثم وقع فى جامة المسك فتمرغ فيه ثم طار فوقع على صليب فى تاج جبلة فرفرف حتى نفض مافى ريشه عليه وضحك جبلة من شدة السرور ثم قال للجوارى اللاتى عن يمينه بالله أضحكننا فاندفعن يغنين تخفق عيدانهن يقلن :

لله در عصـــابة نادمتهم	يوما بجلق فى الزمان الأول
يسقون من ورد البريص عليهم	بردى يصفق بالرحيق السلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ماتهر كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه نقية أحسابهم	شم الانوف من الطراز الاول

فضحك ثم قال أتدرى من قائل هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للاتى عن يساره بالله أبكيننا فاندفعن بعيدانهن يغنين :

لمن الدار أقفرت بمعان	بين أعلى اليرموق والصمان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـ	ـر محـــلا لحادثات الزمان
قد أرانى هناك دهرا مكينا	عند ذى التاج مجلسى ومكانى
ثكلت أمهم وقد ثكلتهم	يوم حلوا بحادث الجولان
ودنا الفصح فالولائد ينظمن	سراعا أكلة المرجان

فبكى حتى سالت الدموع على لحيته ثم قال لى وهذا لحسان أيضا ثم أنشأ يقول :

تنصرت الاشراف من أجل لطمة	وما كان فيهـا لو صبرت لهـا ضرر
تكلفنى فيهـــا لجاج ونخوة	وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى	رجعت الى الامر الذى قال لى عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة	وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة	أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ثم سألنى عن حسان أحى هو قلت نعم ثم أمر بمال وكسوة ونوق موقورة برا وقال أقرئه سلامى وادفع له هذا وإن وجدته ميتا فادفعه إلى أهله وانحر الجمال على قبره فلما قدمت على عمر أخبرته الخبر فقال هلا ضمنت له الأمر فاذا أسلم قضى الله علينا بحكمه ثم بعث إلى حسان فأقبل وقد كف بصره فلما دخل قال يا أمير المؤمنين إنى وجدت ريح آل جفنة قال نعم هذا رجل أقبل من عنده قال هات يا ابن أخى ما بعث إلى معك قلت وما علمك قال إنه كريم من عصبة رجال كرام مدحتهم فى الجاهلية فحلف أن لا يلقى أحدا يعرفنى إلا أهدى

اقتداء بما مهر الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته ، وعقد به أنكحة بناته

إلى معه شيأفدفعته اليه وأخبرته بأمره فى الابل فقال وددت أنى كنت ميتا فنحرت على قبرى ثم اخذها وانصرف وهو يقول

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آباؤهم باللوم
لم ينسنى بالشام إذ هو ربها كلا ولا متنصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده إلا كبعض عطية المذموم
فأتيته يوما فقرب مجلسى وسق ورواني من الخرطوم

ذكر أن رسول عمر لما أرسله إلى قيصر قال : وأمرنى أن أضمن لجبلة ماشرط فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت أن الشقاء قد غلب عليه ، وحدثت أن صاحب برطونة اليوم من ذريته ...
وذكر الثعالبي أنه وجد للصابى فصلا من كتاب استظرفه جدا يذكر صلة وصلت اليه من الصاحب وهو: وصل طال الله بقاء سيدنا أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو محمد أحمد بن جعفر بن شعيب حاجين فعرجا على مسلمين وعاجا على مسلمين فحين عرفتهما وقبل أن أرد السلام عليهما مددت اليد إلى ما معهما كما مدها حسان بن ثابت إلى رسول جبلة بن الايهم ثقة منى بصلته وشوقا إلى تكرمته واعتمادا لاحسانه والفا بموارد إنعامه وتيقنا أن الخطرة منى على باله مقرونة بالنصيب من ماله وأن ذكراه لى مشفوعة بجدواه . رجع ما انقطع : فيريد أنه لو خطب لهؤلاء القوم ابن أدهم على زهده وفضله أو ابن الايهم على ملوكيته وعزته لسووا بينهما فى الصداق اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وجاء فى الترمذى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لا تغالوا اصدقات النساء فانها لو كانت مكرمة أو تقوى عند الله لكان أولاهم بها نبى الله صلى الله عليه وسلم وما أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نسائه على أكثر من اثنتى عشر اوقية ، قال ابن عيينة : والأوقية عند أهل العلم أربعون درهما واثنتا عشرة أوقية أربعمائة وثمانون درهما وفى غير الترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تياسروا فى الصداق وكانت صدقات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على عظم قدره وعلو مرتبته اثنتى عشرة أوقية نشا والنش عشرون درهما فذلك خمسمائة درهم وروى عن عمر رضى الله عنه انه حمد الله واثنى عليه ثم قال ألا لا تغالوا صدقات النساء فانه لا يبلغنى عن احد أنه ساق اكثر من شيء سافه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سيق اليه إلا جعلت فضل ذلك فى بيت المال فعرضت له امرأة فقالت يا أمير المؤمنين كتاب الله أحق ان يتبع او قولك ؟ قال كتاب الله تعالى قال فيم ذلك قالت الله تعالى يقول وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا قال عمر رضى الله عنه كل احد افقه من عمر ثم رجع عن المنبر فقال إنى كنت نهيتكم عن ان تغالوا فى صدقات النساء فليفعل كل رجل منكم فى ماله ما احب فرجع عمر عن اجتهاده إلى ما قامت عليه الحجة فأباحه للناس واستعمله فى نفسه فأصدق أم كلثوم بنت على بن ابى طالب رضى الله عنهم اربعين الفا والقنطار الف دينار ومائتا دينار إلا ان المياسرة فى الصداق احب عند اهل العلم من المغالاة . ومن الملح فى صداق خمسمائة ماحدث به ابن ابى شيبه قال كان حجاج جارنا فسمعته يقول لأبيه تزوجت أمى على خمسمائة درهم وبقيت انا لك ربحا فقال له ابوه من عين هذا الربح اخشى (مهر) يقال مهر المرأة يمهرها

على أنكَ لَنْ تُطالَب بِصَداق، ولا تُلجأ إلى طَلاق، ثم إني سأخطُبُ في مَوْقِفِ عَقْدِك، ومَجْمَعِ حَشْدِك، خُطبةً لم تَفْتَق رَتْقَ سَمْعٍ؛ ولا خُطِبَ بمثلِها في جَمْع

قال الحارثُ بنُ هَمّام: فازْدَهاني بوصفِ الخُطبةِ المَتْلُوّة، دونَ الخِطبةِ المَجْلُوّة حتى فَلْتُ له قد وَكَلْتُ إليكَ هذا الخَطْب، فدَبِّرْهُ تَدبيرَ مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ، فنهضَ مُهَرْوِلاً؛ ثم عادَ مُتَهَلِّلاً، وقال أَبْشِرْ بإعتابِ الدهر، واختلابِ الدَّرِّ؛ فقد وُلِّيتُ العَقْدَ، وأُكْفِلْتُ النَّقْدَ وكأنْ قَدْ ثم أخذَ في مُواعَدةِ أهلِ الخان، وإعدادِ حَلْواءِ الخِوان، فلما مَدَّ الليلُ أطنابَه، وأغلقَ كلُّ ذي بابٍ بابَه، أذَّنَ في الجماعة: ألا احضُروا في هذهِ الساعة، فلم يَبْقَ فيهم إلاّ مَنْ لَبَّى صوتَه، وحضرَ بيتَه، فلما اصطفّوا لَدَيْه، واجتمعَ الشاهدُ والمشهودُ عليه؛ جعلَ يرفعُ الأُصْطُرْلابَ ويَضَعُه، ويَلْحَظُ التقويمَ ويَدَعُه، إلى أنْ نَعَسَ القومُ، وغَشِيَ النَّوْم، فقلتُ يا هذا ضَعِ الفأسَ في الرأس، وخَلِّصِ الناسَ من النُّعاس، فنظرَ نَظْرةً في النجوم، ثم انْتَشَطَ مِنْ عُقْلَةِ الوُجوم

وأمهرها عين لها مهرا (لن تطالب بصداق) اى ان القصة ليس لها حقيقة فليس ثم من يطالبك بصداق ولا طلاق (حشدك) جمعك وأصله مصدر ثم استعمل لجماعة الناس (تفتق) تشق (رتق) غلق (السمع) الأذن (ازدهاني) دعاني إلى الزهو وهو العجب والكبر اى اعجبت نوصفها (المتلوة) المقروءة (الخطبة) الزوجة المخطوبة (المجلوة) التي كشف وجهها لينظر اليها (وكلت) اى اسندت (اليك) وجعلتك القائم (الخطب) الأمر (طب) أصلح حال العليل فيقول دبر هذا الأمر تدبير الطبيب أمر حبيبه إذا كان عليلا وطبه أى عناه وقيل معنى طب حذق بالشيء وجاد فيه ذهنه والطب الحاذق بالأمر فيكون معناه دبر أمري تدبير المميز الحاذق امر حبيبه ، قال ابن الانبارى قولهم من حب طب اى من أحب حذق وفطن واحتال لمن يحب والطب في اللغة الحذق والفطنة ورجل طبيب وطب إذا كان حاذقا وسمى الطبيب لفطنته ومعنى حب أحب وقال البصريون لا يقال حب يحب وجاء عنهم محبوب على فعل لا يتكلم به . الكسائي والفراء: يقال حببت وأحببت وحب في المثل يدل على صحته والبصريون يقولون حب اتباع لطب (مهرولا) مسرعا (متهللا) مستبشرا (اعتاب) ارضاء (الدر) اللبن (وليت العقد) أى أعطيت النكاح أى جعلني أبو الزوجة وليها (أكفلت النقد) أى جعلت كفيلا على أخذه والكفيل الضامن أو يكون معنى أكفلت ضمن لى وأعطيت كفيلا والنقد المال الحاضر (وكأن قد) أى وكأن قد احضر المال وتيسر النكاح (الخوان) المائدة (أذن) صاح (لبى) أجاب وقال لبيك (الاصطرلاب) آلة للمتجمين يأخذون بها الأوقات (يلحظ) ينظر (التقويم) التعديل (غشى النوم) غطى العيون وخمرها (ضع الفاس في الرأس) اى اقصد إلى عين الخبر وهى كلمة تقال عند التوكيد العز على الأمر ومعناه اقطع ما تريده من الأمر وافصله . والذى نظر نظرة في النجوم هو إبراهيم عليه السلام لأنه تفكر ما الذى يصرفهم عنه إذا كلفوه الخروج معهم فقال إني سقيم (انتشط) انحل (العقلة) ما ينشب فيها الانسان فتعقله ويقال لفلان عقلة يعتقل بها الناس وذلك إذا صارعهم عقل أرجلهم (الوجوم)

وَأَقْسَمَ بالطُّورِ ، وَالكِتَابِ المَسْطُور لَيَنْكَشِفَنَّ سِرُّ هذا الأَمْرِ المَسْتُور ؛ وَلَيَنْتَشِرَنَّ ذِكْرُهُ إلى يوم النُّشُور ، ثم إِنَّهُ جَثَا عَلَى رُكْبَتِهِ ، واسْتَرْعَى الأَسْمَاعَ لِخُطْبَتِه ، وقال الحَمْدُ للهِ المَلِكِ المَحْمُود المالكِ الوَدُود مُصَوِّرُ كلِّ مَولود ، ومَآلِ كلِّ مَطْرود ، سَاطِحِ المِهَاد ؛ وَمُوطِدِ الأَطْوَاد ؛ وَمُرْسِلِ الأَمْطَار ، ومُسَهِّلِ الأَوْطَار وَعَالِمِ الأَسْرَارِ ومُدْرِكِها ومُدَمِّرِ الأَمْلاكِ ومهلكها

العبوس والحزن الشديد أراد أنه كان فى تقويمه طالع نحس فكان معبسا حزينا فلما زالت ساعته ودخلت ساعة طالع سعد استبشر وزال عبوسه وإنما عقد هذا النكاح ليلا لأن قصده المكر ولأنهم كانوا يختارون نكاح آخر النهار على أوله قال بعض العلماء ذهبوا فى ذلك إلى اتباع السنة فى الفال فآثر الناس استقبال الليل بعقد النكاح تيمنا بما فيه من الهدو والاجتماع على صدر النهار لما فيه من التفرق والانتشار وذهبوا إلى تأويل القرآن لأن الله سمى الليل فى كتابه سكنا وجعل النهار نشورا كما يستحبون النكاح يوم الجمعة للاجتماع وقال الشاعر :

ويوم الجمعة التنعيم فيه وتزويج الرجال من النساء

(الطور) جبل موسى عليه السلام الذى آنس من جانبه النار وكلمه الله عنده (سر هذا الأمر) أراد ما أضمره لهم من الخداع أنه سينكشف ويتحدث به إلى يوم القيامة (جثا) يجثو جثوا جلس على ركبتيه (استرعى) استدعى (الاسماع) الآذان ويقال أرعنى سمعك أى اسمع منى وأخل أذنيك لاستماع حديثى (مآل) أى ملجأ (مطرود) منفى (ساطح) باسط (المهاد) الأرض (موطد الاطواد) مثبت الجبال (الأوطار) الحاجات (مدمر الاملاك) أى مهلك الملوك والاملاك جمع ملك وهذا كما قال عدى بن زيد :

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر	وان أم أين قبله سابور
وبنوا الاصفر الكرام ملوك	الروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحصن إذ بناه وإذ دجـ	لة تجبى اليـه والخابور
وتفكر رب الخورنق إذا أشر	رف يوما وللهدى تذكير
لم يهبه ريب المنون فباد الـ	ملك عنـد فبابه مهجور
ثم بعد القلاع والملك والأمـ	رة وارتهم هناك القبور
ثم راحوا كأنهم قصب جف	فألوت به الصبا والدبور

وقال الأسود بن يعفر:

ولقد علمت لو ان على نافعى	أن السبيل سبيل ذى الاعواد
ماذا أؤمل بعد آل محرق	تركوا منازلهم وبعد إياد
جرت الرياح على محل ديارهم	فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأكرم غنية	فى ظل ملك ثابت الأوتاد
فاذا النعيم وكل مايلهى به	يوما يصير إلى بلى ونفاد

ومُكَوِّرِ الدُّهُور ومُكَرِّرِها ومُورِدِ الأُمُور ومُصْدِرِها عَمَّ سَمَاحُهُ وَكَمُلَ وَهَطَلَ رُكَامُهُ وَهَمَلَ وَطَاوَعَ السُّؤْلَ والأَمَلَ وأَوْسَعَ المُرْمِلَ وَالأَرْمَلَ ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا مَمْدُودًا مَدَاه ، وَأُوَحِّدُهُ كَمَا وَحَّدَهُ الأَوَّاه ، وَهُوَ اللهُ لا إِلَهَ للأُمَمِ سِوَاه ، ولاصَادِعَ لِمَا عَدَّلَهُ وَسَوَّاه ، أَرْسَلَ مُحَمَّدًا عَلَمًا لِلإِسْلامِ وَإِمَامًا لِلحُكَّامِ وَمُسَدِّدًا لِلرِّعَاعِ ، وَمُعَطِّلاً أَحْكَامَ وَدٍّ وَسُوَاع ، أَعْلَمَ وَعَلَّمَ وحَكَمَ وَأَحْكَمَ ، وَأَصَّلَ الأُصُولَ وَمَهَّدَ ، وَأَكَّدَ الوُعُودَ وَأَوْعَدَ واصَلَ اللهُ لَهُ الإِكْرَام، رَوْحَهُ دَارَ السَّلام، وَرَحِمَ آلَهُ الكِرَام، مَا لَمَعَ آل، ومَلَعَ رَال ،وَطَلَعَ هِلال، وسُمِعَ اعْلَمُوا رَعَاكُمُ اللهُ أَصْلَحَ الأَعْمَال ، وَاسْلُكُوا مَسَالِكَ الحَلالِ وَاطْرَحُوا الحَرَامَ وَدَعُوه ، واسْمَعُوا أَمْرَ اللهِ وَعُوه وصِلُوا الأَرْحَامَ وراعُوها ، وعاصُوا الأَهْوَاء وارْدَعُوها ،

الأصمعى : أصيب فى حفير حول الحيرة تابوت فيه رجل عليه خفاف وعند رأسه لوح فيه أنا عبد المسيح ابن حيان بن نفيلة :

حلبت الدهر أشطره حياتى ... ونلت من المنى فوق المزيد
وكافحت الأمور وكافحتنى ... ولم أخضع لمعضلة كئود
وكدت أنال بالشرف الثريا ... ولكن لاسبيل إلى الخلود

دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك فقال كيف حالك وكان قد أسن فقال ضعف حالى وقل مالى وكثرمنى ماكنت أحب أن يقل وقل منى ماكنت أحب يكثر قال فكيف أنت فى شعرك فقال والله ما أغضب ولا أطرب ولا أرهب وما الشعر إلا من نتائج هذه على أنى القائل :

رأيت المرء تأكله الليالى ... كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغى المنية حين تأتى ... على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها عما قليل ... ستوفى نذرها بأبى الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال بل توفى نذرها بك مالى ولك قال : يا أمير المؤمنين لاترع فما عنيت إلا نفسى فقال أما والله لاتلمن بى وأبو الوليد كنية لعبد الملك ولأرطاة (التكوير) إدخال الليل على النهار والنهار على الليل وكورت الشىء رددته ولويت بعضه على بعض (هطل وهمل) معناهما صب (الركام) السحاب المتراكم (السؤل) المطلوب (أوسع) أغنى (المرمل) الذى نفد زاده (الأرمل) الفقير أو الذى ماتت زوجته والذى مات زوجها يقال لها أرمل وأرملة ومنع قوم أن يقال للفاقد زوجته أرمل وأجازه بعضهم (مداه) غايته (الأواه) إبراهيم عليه السلام وهو من التأوه وهو التوجع والتحزن والنطق بأواه أواه (صادع) مفسد والصدع الشك فى زجاجة أوحائط (علما) أى أماما يهتدى به (مسددا) مصلحا (الرعاع) السقاط والضعفة من الناس (ودوسواع) صنمان (حكم) قضى (أحكم) أتقن (أصل) ثبت الأصول (مهد) سوى ووطأ (الوعود) جمع وعد (أوعد) هدد وخوف (واصل) داوم (أودع روحه دار السلام) أدخله الجنة (آل) سراب (ملع) أسرع (رال) فرخ النعام (اهلال) رفع الصوت بالتلبية بمكة (اطرحوا) اتركوا وارموا به (عوه) احفظوه (الأرحام) القرابات الواحد رحم والأرحام من النساء الواحد رحم (راعوها) احفظوها وحاموا عليها (الاهواء) دواعى النفس (اردعوها)

وصَاهِرُوا لُحَم الصَّلاحِ وَالوَرَع ، وصارِمُوا رَهْطَ اللّهوِ والطَّمَع ، وَمُصَاهِرُكُمْ أَطْهَرُ الأَحْرَارِ مَوْلِدًا ، وأَسْرَاهُمْ سُؤدَدا ، وَأَحْلاهُمْ مَوْرِدا ، وَأَصَحُّهم مَوْعِدا ، وَهَاهُوَ أَمَّكُمْ حَلَّ حَرَمَكُمْ مُمْلِكاً عَرُوسَكم المُكَرَّمَة ، وماهِرًا لهَا كَمَا مَهَرَ الرَّسُول أمّ سَلَمَة وهُوَ أَكْرَمُ صِهْرٍ أَودِعَ الأولاد ، وَمُلِّكَ ما أَرَاد ، وماسَها مُمَلّكَهُ ولا وهِم ، ولا وُكِسَ مُلاحِمُهُ ولا وُصِم ، أَسأَلُ اللهَ لَكُم إِحمادَ وِصَالِهِ وَدَوَامَ إِسْعَادِهِ ، وأَلهَمَ كَلاً ، إِصْلاحَ حالِهِ والإعْدَادَ لِمَعَادِهِ ولهُ الحَمْدُ السَّرْمَد ، والمَدْحُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّد . . . فلمّا فَرَغ مِنْ خُطْبَتِهِ البَدِيعَةِ النِّظَامِ العَرِيَّة

كفوها (صاهروا) ناكحوا (لحم) قرابات ولحمة النسب التحام القرابة وانضمامها (صارموا) قاطعوا (مصاهركم) ختنكم المتزوج إليكم (أسراهم) أشرفهم وأكثرهم مروءة وقد سرى فهو سرى (أمكم) قصدكم (حل) نزل (حرمكم) بلدكم وموضعكم الذى هو كالحرم فى أمنه (مملكا) متزوجاً والاملاك التزويج الذى تملك به المرأة. قال ابن هشام: أم سلمة بنت أمية بن المغيرة تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وقعة بدر فى سنة اثنتين من التاريخ واسمها هند بنت أمية زاد الركب بن المغيرة وفى حديث أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج أم سلمة على متاع قيمته عشرة دراهم (سها) أخطأ (مملكه) منكحه الذى أعطاه وليته (وكس) غبن (وهم فى الحساب) غلط فيه (ملاحمه) أى مصاهره (وصم) عيب والوصم العيب (أحمد) الرجل إحمادا أى صار أمره إلى الحمد أراد أنه من أهل الاحساب فلا ينقص من يصاهره (الاعداد للمعاد) أى الاستعداد لليوم الذى يعاد فيه إلى نشأته الاولى (السرمد) الدائم (والرسول) الذى يتابع أخبار الذى بعثه أخذا من قولهم جاءت الابل أرسالا أى متتابعة ويثنى رسولان ويجمع رسل ومنهم من يوحده فى كل حال قال الله تعالى أنا رسول رب العالمين، وحده لانه فى معنى الرسالة وأنشد:

فأبلغ أبا بكر رسولا سريعة فمالك يا ابن الحضرمى وماليا

قال الفراء رحمه الله: وحده اكتفاء بالرسول من الرسولين وأنشد:

ألكنى اليها وخير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبر

أراد الرسل فاكتفى بالواحد عن الجمع ... وإذا كملت الخطبة فلنسق من خطب النكاح ما يحسن بالوضع، ومن مشاهير الخطب فيه خطبة أبى طالب فى تزويج النبى صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله عنها وهى الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام وزرع اسمعيل وجعل لنا حرما آمنا وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن محمد بن عبدالله ابن أخى ممن لا يوازن فتى فى قريش الارجح به برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وإن كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلى فهذه الخطبة من أفضل خطب الجاهلية. وعن يحى بن أكثم: أراد المأمون أن يزوج ابنته من على الرضا فقال يا يحى تكلم فأجللت أن أقول انكحت فقلت يا أمير المؤمنين أنت الحاكم الاكبر والامام الاعظم وأنت أولى بالكلام فقال الحمد لله الذى تصاغرت الامور بمشيئته ولا إله إلا الله إقرارا بربوبيته وصلى الله على سيدنا محمد عند ذكره وعترته أما بعد فان الله سبحانه قد جعل

مِنَ الْإِعْجَام ، عَقَدَ الْعَقْدَ على الخنسِ المثبين ، وقال لى بالرِّفَاءِ وَالبَنِين ، ثم أحْضَرَ الْحَلْوَاءَ التى كَانَ أَعَدَّهَا وأبدى الآبدَةَ عِندَهَا ، فَأَنْمَيْتُ إِقْبَالَ الْجَمَاعَةِ عليها ، وكِدْتُ أَهْوِى بِيدِى إليها ، فَزَجَرَنى عَنِ الْمُؤَاكَلَةِ وأَنْهَضَنى لِلْمَنَاوَلة ، فوَاللهِ ما كَانَ بأَسْرَعَ مِنْ تَصَافُحِ الْأَجْفَان ، حتى خَرَّ الْقَوْمُ لِلأَذْقان ، فلما رَأَيْتُهُمْ كَأَعْجَازِ نَخْلٍ خَاوِيَة

النكاح ديناورضيه حكما وأنزله وحيا ليكون سببا للمناسلة وإنى قد زوجت ابنة المأمون من على بن موسى الرضا وأمهرتها أربعمائة دينار اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهاء الى ما درج اليه السلف الصالح والحمد لله رب العالمين .. وحضر المأمون إملاكا وهو أمير فسألهمن حضر أن يخطب فقال الحمد لله والصلاة على المصطفى رسوله وخير ما عمل به كتاب الله وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ولو لم يكن فى المناكحة آية ومنزلة ولا سنة متبعة الا ما جعل الله فى ذلك من تأليف البعيد وبر القريب لسارع اليه الموفق المصيب وبادر اليه العاقل اللبيب وفلان قد عرفتموه فى نسب لم تجهلوه خطب اليكم فتاتكم فلانة وقد بذل لها من الصداق كذا فشفعوا شافعنا وأنكحوا خاطبنا وقولوا خيرا تحمدوا غليه وتوجروا فيه أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . وخطب رجل من بنى أمية إلى عمر بن عبد العزيز أخته فأطال فقال عمر الحمد لله ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد ، فان الرغبة منك دعت إلينا وإن الرغبة منا فيك أجابت بنا وقد أحسن بك ظنا من أودعك كريمته واختارك ولم يختر عليك ، وقد زوجناك على كتاب الله تعالى ، إمساك بمعروف أو تريح بإحسان . . وكان الحسن البصرى ، رحمه الله ، يقول فى خطبة النكاح بعد الحمد والثناء : أما بعد فان الله تعالى جمع لهذا النكاح الأرحام المنقطعة والأنساب المفترقة ، وجعل ذلك فى سنة من دينه ومنهاج من أمره وقد خطب فلان إليكم وعليه وعليكم من الله نعمة وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردوا خيرا يرحمكم الله . الأصمعى رحمه الله : كانوا يستحسنون من الخطب أن يطيل ليدل على الرغبة ومن المخطوب إليه الإيجاز ليدل على الإجابة (البديعة النظام) أى الغريبة التأليف (العرية من الاعجام) أى العاطلة من النقط (الرفاء) السكون والالتحام ويدعى للمتزوج فيقال له بالرفاء والبنين أى بالاتفاق مع الزوجة ووجود البنين مما يكون منها وهو من رفأت الثوب إذا ضممت بعضه إلى بعض أو من رفوت الرجل إذا سكنته ، قال أبو زيد رحمه الله هو من المرافاة غير مهموز وهى الموافقة ، وتزوج عقيل بن أبى طالب فقيل له بالرفاء والبنين فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفأ أحدكم أخاه فليقل على الخير والبركة بارك الله لك وبارك عليك (الآبدة) الداهيةوجاء بآبدة أى بكلمة أو خصلة وحشية منكرة واشتقاقه من الاوابد وهى الوحش وكذلك الآبد يقال أبد الشاعر إذا أتى بالعويص فى شعره فمعنى أبدى الآبدة أى أظهر الداهية التى يبقى ذكرها على الأبد (زجرنى) نهانى (أنهضنى) أقامنى وقدمنى (المناولة) إعطاء الطعام (تصافح الأجفان) غلقها وفتحها بسرعة كقولك طرفة العيون (خروا للأذقان) أى سقطوا على وجوههم والذقن مجمع اللحيين يعبر به عن الوجه لأن العرب تسمى الشىء ببعض ما فيه وإذا خر على وجهه فأقرب شىء إلى الأرض ذقنه فخصه بالذكر لهذا قال الله تعالى يخرون للاذقان سجدا (أعجاز) أصول (خاوية) فارغة متأكلة ويقال خاوية ساقطة

أو كَصَرْعَى بِنْتِ خابيَة ، عَلِمْتُ إِنَّها لإِحْدَى الكُبَرِ ، وأُمُّ العِبَرِ ، فقلتُ له يا عُدَىَّ نَفْسِه ؛ وعُبَيْدَ فَلْسه ، أَغْدَدْتَ لِلقَوْمِ حَلْوى ، أمْ بَلْوَى ، فقالَ لم أعْدُ خَبِيصَ البَنْجِ ، في صِحَافِ الخَلَنْجِ ، فقلتُ أُقْسِمُ بِمَنْ أَطْلَعَهَا زُهْرا ، وَهَدَى بِهَا السَّارِينَ طُرًّا ، لقد جِئْتَ شَيْئًا نُكْرا ، وأَبْقَيْتَ لكَ في المُخْزِيَاتِ ذِكْرا ؛ ثم حِرتُ فِكْرَةً في صَيُّور أَمْرِه ، وخِيفَةً مِنْ عَدْوَى عَرِّه ، حتى طارَتْ نَفْسى شَعاعا ، وأُرْعِدَتْ فَرائِصِي ارْتياعا ؛ فلما رَأى اسْتِطارَةَ فَرَقِي ، واسْتِشاطَةَ قَلَقِي ، قال ماهذا الفِكْرُ المُرْمِضُ ، والرَّوْعُ المُومِضُ ، فإنْ يَكُنْ فِكْرُكَ في أَجْلى ، مِنْ أَجْلى ، فأَنا الآنَ أَرْتَعُ وأَطْفِرُ ؛ وأُقْوِى هذهِ البُقْعَةَ مِنِّى وأُقْفِر ، وكمْ مِثْلِهم

بالية (صرعى) قتلى وأراد به السكارى (بنت الخابية) هى الخمر ومعنى الخابية التى تخبأ فيها الأشياء مأخوذة من خبأ فبنيت على ترك الهمز ويقال خبأت الشيء وخبأته وخبيته وقرأت الشيء وقربته (إحدى الكبر) واحدة من الكبائر (أم العبر) أى أعظم الدواهى وما يتعظ به (لم أعد) لم أتجاوز (الخبيص) نوع من الحلواء (البنج) نبات يسكر منه وهو لبن الخشخاش البرى المعروف بالأفيون (الخلنج) ضرب من الخشب (زهرا) مضيئة يعنى الكواكب (السارين) الماشين بالليل (طرا) جمعا (نكرا) منكرا (المخزيات) جمع مخزية وهى الخصلة الرديئة يختزى صاحبها متى ذكرت له والخزى الهوان (صيور) مآل ورجوع أى ما يصير إليه أمره (عدوى عره) أى انتقال ضرره والعر الجرب والعدوى انتقال المرض من المريض إلى الصحيح ومعناه عند العرب إذا كان الجرب بواحدة من الإبل سرى فى غيرها وفى الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة ولا يورد ممرض على مصح فقال أعرابى يا رسول الله فما بال الإبل التى تكون فى الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجرب بها كلها قال فمن أعدى الأول وقال النابغة فلا تتركنى بالوعيد كأننى إلى الناس مطلى به القار أجرب

فأراد أنه خاف أن يؤخذ بذنب السروجى (شعاعا) متفرقة فى كل جهة يقال نفس شعاع أى تفرقت همتها ورأى شعاع أى متفرق (الفرائض) جمع فريصة وهى بضعة عند الكبد ترعد عند الفزع قال امرؤ القيس : وترعد منهن الكلى والفرائض . (ارتياعا) فزعا (استطارة فرقى) انتشار فزعى (واستشاطة) التهاب واحتراق (المرمض) المحرق وهو من لفظ الرمضاء (الروع) الفزع (المومض) الذى يدع صاحبه مبهوتا شاخص البصر من شدته واومضت المرأة بعينها إذا برقت (الأجل) بالتحريك التأخير وبتسكينها الجناية يقول إن تفكرت فى تأخيرى من الهرب بسبب جنايتى فالآن أجمع أموالهم وأفر قال الفنجديهى إن يكن فكرك فى أجلى أى فى جنايتى يقال أجل الرجل عليهم شرا يأجل ويأجل أجلا أى جناية وهيجه من أجل أى من جرائى (أرتع) آكل أموالهم (أطفر) أفر هاربا وطفر وثب وسار مسرعا (أقوى وأقفر) معناهما أخلى موضعى وأقفر الرجل من أهله انفرد عنهم وبقى وحده والدار خلت وكذلك أقوت وقويت وأقفرت الأرض من الكلا ورأسه من الشعر وجسده من اللحم وأقوى وأقفر لا يتعديان (تصفر) تصوت ، وهذا عجز بيت لتأبط شرا وصدره : فأبت إلى فهم وما كدت آيبا — تصفر أى تنفخ ندما على فوتى والنادم على الشيء يتابع النفخ يقول كم مثل هذه

فارَقْتُها وَهِيَ تَصْفِر ، وإن يَكُنْ نَظَرًا لِنفسك ، وَخذوًا من حَبْسِك ، فتناوَلْ فُضلَةَ الخبيص ، وطِبْ نَفْسًا عَنِ القميص ، حتى تأمَنَ المُسْتَعْدِيَ وَالمُعْدِي ، ويتمهَّدَ لكَ المُقامُ بَعْدِي ، وإلَّا فالمَفَرُّ المفرُّ ، قَبلَ أَنْ تُسْحَبَ وَتُجَرَّ ، ثم عَمَدَ لاستخراج ما في البُيُوت ، مِنَ الأكياس والتُّخُوت ، وجعَلَ يَسْتَخلِصُ خالِصَةَ كلِّ مَخزُون وَنُخْبَةَ كلِّ مَذرُوع وَموْزُون ، حتى غادَرَ ما أَلغاهُ فَخَّه ، كَمَظْمِ اسْتُخْرِجَ مُخُّه ، فلمَّا هَمَّنَ ما اصْطَفاهُ ورزَّمَ وَشَمَّرَ عن ذِراعَيهِ وتحزَّمَ ، أقبَلَ عليَّ إقبالَ من لَبِسَ الصَّفاقَة ، وَخَلَعَ الصَّداقَة ، وقال هلْ لكَ في المُصاحَبَةِ إلى البَطِيحَة ، لأُزَوِّجَكَ بأُخرَى مَليحة ، فأَقسَمْتُ له بالذي جَعَلَهُ مُبارَكًا أينما كان ، ولم يَجْعَلْهُ مِمَّنْ خانَ في خان ، إنه لا قِبَلَ لي بنِكاحِ حُرَّتَيْن ، وَمُعاشَرةِ ضَرَّتَيْن ، ثم قلتُ له قولَ المُتطَبِّع بطِباعِه ، الكائلِ لهُ بصَاعِه ، قد كَفَتْني الأُولى فَخرًا ، فاطْلُبْ آخَرَ للأُخرَى ، فَتَبَسَّمَ كلامي ، وَدَلَفَ لالتِزامي ، فَلوَيْتُ عنه عِذاري ، وَأَبْدَيْتُ له ازْوِراري ، فلمَّا بَصُرَ بانقِباضي ، وَتَجَلَّى له إعْراضي ، أنشَد :

يا صارِفًا عَنِّي المَوَدَّ ... ةَ والزَّمانُ لهُ صُرُوف
وَمُعَنِّفي في فَضحِ مَنْ ... جاوَرْتُ تَعْنِيفَ العَسُوف
لا تَلْحَنِي فيما أَتَيْـ ... ـتُ فإنَّني بِهِم عَرُوف
ولقدْ نَزَلْتُ بِهِمْ فَلَمْ ... أَرَهُمْ يُراعُون الضيُوف

الخصلة فارقتها وهي تصفر تندما على مافاتها (تناول) خذ (فضالة) بقية ((طب نفسا) عنه أى لتكن نفسك طيبة على فقده فانك إذا أكلت الخبيص سكرت فجردتك فصرت فى جملة من أكل ماله فتأمن بذلك (المستعدى) هو الشاكى (والمعدى) هو الحاكم ويقال استعديت الحاكم فأعدانى أى استعنته فأعانني (يتمهد) يتوطأ(المفر المفر) أى بادر الفرار (وتسحب) تجر (الأكياس) أوعية الدراهم والدنانير (التخوت) أوعية الثياب (يستخلص) يختار (خالصة) خياره وكذلك نخبة (مزروع) مكيل بالذراع يعنى الثياب (موزون) يعنى الجواهر وما فى معناها مما يباع بالوزن مثل العطريات وغيرها من شبهها (الفخ)آلة للصيد يحسن أن يكنى به عن المكيدة (همن) شده بالهميان نوع من التكة (اصطفاه) اختاره (رزم) جعله رزمة والرزمة فى كلام العرب التى فيها ضروب من الثياب وأخلاط يقال رازم الرجل فى أكله إذا خلط بعضه ببعض ورازمت علف الدابة خلطة وقد يريد به ماشد على وسطه من الماله بهميانه (الصفاقة) صلابة الوجه (خلع) أزال (البطيحة) قرية عامرة بقرب البصرة من جهة واسط وبينها وبين البصرة وواسط جهة كبيرة تعرف بالبطاح وتتوسطها البطيحة (معاشرة ضرتين) مصاحبة زوجتين (المتطبع بطباعه) المتخلق بخلقه (الكائل له بصاعه) أى الذى أعطاه من الهزل مثل ما أعطاه (دلف) أسرع (التزامى) معانقتى وضمى له (لويت) عطف أى أعرضت عنه بوجهى (ازورارى) انقباضى (تجلى) ظهر (إعراضى) تركى اقبالى عليه (صارفا) منحيا (المودة) المحبة (صروف) دفوع (معنفى) موبخى ولائمى (فضح) كشف (العسوف) الآخذ بجهالة قبل التجربة (تلحنى) تلمنى (يراعون)

وَبَلَوْتُهُمْ فَوَجَدْتُهُمْ لَمَّا سَبَكْتُهُمْ زُيُوفُ
مَا فِيهِمُ إِلاَّ مُخِيفٌ إِنْ تَمَكَّنَ أَوْ مَخُوف
لاَ بالصَّفِيِّ ولاَ الوَفِيِّ وَلاَ الحَفِيِّ وَلا العَطُوف
فَوَثَبْتُ فِيهِمْ وَثْبَةَ الذِّئْبِ الضَّرِيِّ عَلَى الخَرُوف
وَتَرَكْتُهُمْ صَرْعَى كَأَنَّهُمُ سُقُوا كَأْسَ الحُتُوف
وتَحَكَّمَتْ فيما اقْتَنَوْهُ يَدِى وَهُمْ رُغْمَ الأُنُوف
ثُمَّ انْثَنَيْتُ بِمَغْنَمٍ حُلْوِ المَجَانِى وَالقُطُوف
ولَطَالَمَا خَلَّفْتُ مَكْلُومَ الحَشَا خَلْفِى يَطُوف
ووَرِثْتُ أَرْبَابَ الأَرَائِكِ والدَّرَانِكِ والسُّجُوف
ولَكَمْ بَلَغْتُ بِحِيلَتِى مَا لَيْسَ يُبْلَغُ بالسُّيُوف
ووَقَفْتُ فى هَوْلٍ تُرَاعُ الأُسْدُ فيه مِنَ الوُقُوف
ولَكَمْ سَفَكْتُ وكَمْ فَتَكْتُ وكَمْ هَتَكْتُ حِمَى أُنُوف
وكَمِ ارْتِكَاضٍ مُوبِقٍ لى فى الذُّنُوب وكَمْ خُفُوف
لَكِنَّنِى أَعْدَدْتُ حُسْنَ الظَّنِّ بالمَوْلَى الرَّؤُوف

يحفظون حقوقهم (بلوتهم) خبرتهم ومثله (سبكتهم زيوف) دراهم ردية يريد أنهم قوم لا خير فيهم(مخيف) مضر مفزع (ان تمكن) ارتفع وكانت له مكانة (مخوف) لايقدم خوف ضرره (الصفى الوفى) الصادق الود (الحفى) المكرم لصديقه المعتنى به (العطوف) الرحيم (الضرى) المعتاد الذى ضرى أخذ الخرفان (صرعى) مطرحون على الأرض (الحتوف) جمع حتف وهو الهلاك (إقتنوه) اكتسبوه (رغم) اذلال (انثنيت) أى رجعت (المجانى) ما يجنى من الثمار (والقطوف) مايقتطف منها وهى جمع قطف وهو العنقود (خلفت) تركت خلفى (مكلوم) مجروح (الحشى) اسقاط الجوف (وثرت) أخذت منهم ثأرى وحقى (أرباب الارائك) أصحاب الأسرة (والدرانك) البسط (السجوف) جمع سجف وهو الستر والارائك جمع أريكة والدرانك واحدها درنوك (الهول) الأمر المفزع (تراع) تفزع (فيه) متعلقه وقوف يريد أن الأسد تفزع أن تقف فى الهول الذى وقف فيه (سفكت) قتلت (فتكت) أصبت (هتكت) قطعت (حمى) مايحمى ويمنع (أنوف) كثرة الأنفة والحمية (ارتكاض) جرى واضطراب وتحرك (موبق) مهلك(خفوف)اسراع (الرؤوف) الكثير الرفق والرحمة قال ابن رشيق فى معنى هذا الخروج بعد تعديد ذنوبه :

إذا أتى الله يوم الحشر فى ظلل ... وجىء بالأمم الماضين والرسل
وحاسب الخلق من أحصى بقدرته ... أنفاسهم وتوفاهم إلى أجل
ولم أجد فى كتابى غير سيئة ... تسوءنى وعسى الاسلام يسلم لى

قَال فلمَّا انتهى إلى هذا البَيتِ لَجَّ فى الاسْتِعْبَار ، وأَلَظَّ بِالاسْتِغفَار ، حتَّى اسْتمَالَ هَوَى قَلبى المُنحَرِف ، وَرَجَوْتُ له ما يُرْجَى لِلمُقْتَرِف

رجوت رحمة ربى وهى واسعة ورحمة الله أرجى لى من العمل

ولابن لنكك : إذا خفق اللؤاء على يوما وقد أخذ امرؤ القيس اللواء
رجوت الله لا أرجو سواه لعل الله يرحم من أساء

وقال ابن الرقاق : يا عالم السر منى اصفح بفضلك عنى
منيت نفسى بعفو مولاى منك ومنى
كان ظنى جميلا فكن إذا عند ظنى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى ماشاء . توفى رجل على عهد رسول الله صلى الله علية وسلم وكان مسرفا على نفسه فلما حضرته الوفاة رفع رأسه فاذا أبوا يبكيان عليه فقال لهما ما يبكيكما قالا نبكى لاسرافك على نفسك قالا فلا تبكيا فوالله ما يسرنى أن الذى بيد الله من امرى بأيديكما فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره أن فتى توفى اليوم فاشهده فانه من أهل الجنة فاستكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله فقالا ما علمنا عنده شيئا من خير إلا أنه قال عند الموت كذا قال من ههنا أتى حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده وعن أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لايموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله تعالى فان حسن الظن ثمن الجنة . أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : حسن الظن من حسن العبادة ، وكان محمد بن نافع الواعظ صديقا لابى نواس قال فلما بلغنى موته أشفقت عليه فرأيته فى النوم فقلت يا أبا نواس فقال لات حين كناية قلت الحسن قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر الله لى قلت بأى شىء قال بتوبة تبتها قبل موتى بأبيات قلتها قلت أين هى قال عند أهلى فسرت إلى أمه فلما رأتنى أجهشت بالبكاء فقلت انى رأيت كذا فكأنها سكنت وأخرجت إلى كتبا مقطعة فوجدت بخطه كأنه قريب:

يارب أن عظمت ذنوبى كثرة . فلقد علمت بأن عفوك اعظم
ان كان لايرجوك إلا محسن فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما امرت تضرعا فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى إليك وسيلة الا الرجا وجميل ظنى ثم انى مسلم

وإنما قال لات حين كناية لان العرب لا تكنى الميت إنما تدعوه باسمه قال الراجز :

وقام نسوة بجنب حفرتى بنات أختى وبنات أختى يدعون باسمى وتناسوا كنيتى

وقال آخر : فقد جعلت تدعى كلاب بن جعفر بأسمائها لا بالكنى لاتجيبها

(لج فى الاستعبار) اى اكثر فى البكاء (الظ) الح والظ به ردعليه (استمال) استعطف واماله اليه (المنحرف) المائل عنه (المقترف) المكتسب الاثم ويقال قرف فلان فلانا إذا الصق به عيبا وكسبه ذنبا

المُقْتَرِف ، ثم إنَّهُ غَيَّضَ دَمْعَهُ المُنْهَمِل وَتَأَبَّطَ جِرَابَهُ وَانْسَلّ ، وقال لابنه : احْتَمِلِ البَاقِي ، وَاللهُ الواقِ ، قال المُخْبِرُ بِهٰذِهِ الحِكَايَة : فلما رأيتُ انسِيابَ الحُيَّة ، وانْتِهاءَ الدَّاءِ إلى الكَيَّة ، عَلِمْتُ أَنَّ تَرَيُّثِي بِالخَانِ مُجْلِبَةٌ لاوَان ، فَضَمَمْتُ رُحَيْلِي وجَمَعْتُ لِلرِّحْلَةِ ذَيْلِي ، وَبِتُّ لَيْلَتِي أَسْرِي إلى الطيب ، وَأَحْتَسِبُ اللهَ على الخَطِيب

واقترف فلان ذنبا أى اكسبه وألصقه بنفسه (المعترف) المقر بذنبه . أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملائكة يترحمون على المقرين على أنفسهم بالذنوب ، وروى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : ابن آدم انك أن يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرنى أغفر لك ولا أبالى (غيض) جفف وغيب من غيض الماء إذا انتقص وجف (المنهمل) السائل (تأبط) أى جعله تحت ابطه (انسل) خرج مخفيا نفسه متحرزا أن يراه أحد (انسياب) مشى لا يحس به (الحية) يعنى الشيخ سماه حية لاذايته أهل الخان بالبنج فجعله كسم الحية فيمن ألقته ويقال أيضا فى تصغير الحية حوية وأصلها الواو لأنها من تحوت أى تلوت وقيل هى من الحياة لطول عمرها (انتهاء الداء إلى الكية) مثل يضرب لانهاء الداء إلى أقصاه تقول العرب آخر الطب الكى تريدان المريض يعالج بكل دواء فلا يوافقه فاذا عولج بالكى لم يبق بعده داء والافهو الموت فيريد أنه ان أقام بعدهما انتهى الى هو ان وعذاب (تريثى) تبطى وتريث بالمكان أطال الجلوس فيه (مجلبة) أى سبب جلبه وسوقه (رحيلى) يريد متاعه وصغره لفقره وقلة ما عنده ورحل الانسان ماله ومتاعه فى السفر (أسرى) أمشى بالليل (الطيب) قرية بالعراق بمقبرة واسط بينها وبين البطيحة المتقدمة وسميت الطيب لطيب هوائها وخصبها (أحتسب) أدعو وأقول حسيبه الله ومجازيه على قبيح أفعاله والاحتساب طلب الأجر فمعنى (أحتسب الله على الخطيب) أطلب إلى الله تعالى الثواب بانكارى على الخطيب والله تعالى ربى عليه توكلت وإليه أنيب .

المقامة الثلاثون الصورية

حَكى الحَارثُ بنُ هَمَّامٍ قال: ارتَحَلتُ مِنْ مَدينَةِ المنصُور، إلى بَلدَةِ صُور فَلَمَّا حَصَّلْتُ بِهَاذا رِفْعَة وَخَفض،

شرح المقامة

(مدينة المنصور) هي بغداد والمنصور هو أمير المؤمنين أبو جعفر بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس استخلف بعد أخيه السفاح وبويع له يوم الأثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو ابن إحدى وأربعين سنة وعشرة أشهر وكان حاجا وقت وفاة السفاح فعقد له البيعة عمه موسى بن على بن عبدالله بالأنبار وورد الخبر على المنصور فى أربعة عشر يوما وقد بشر به النبى صلى الله عليه وسلم ونظر إلى عمه العباس فقال هذا عمى أبو الخلفاء الأربعين أجود قريش كفا ، ومن ولده السفاح والمنصور والمهدى ، وقال المنصور : رأيت فى المنام كأنى فى المسجد الحرام فنوذى أين عبد الله فقمت أنا وعبدالله بن يحي نستبق حتى وصلنا إلى الدرجة العليا لجلس هو وأخذ بيدى فأصعدت وأدخلت الكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر وعمر وبلال قال فأقعدنى وأوصانى بأمته وعممنى فكان كورها ثلاثا وعشرين كورا وقال خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة . وقال المنصور : الخليفة لا يصلحه إلا التقوى والسلطان لايصلحه إلا الطاعة والرعية لايصلحها إلا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه . وولد المنصور فى سنة خمس وتسعين فى اليوم الذى مات فيه الحجاج ومات بمكة ببئر ميمون لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة (صور) مدينة بالشام بينها وبين دمشق ثلاثون فرسخا . وقال شيخنا ابن جبير : مدينة صور يضرب بها المثل فى الحضانة لا يلقى لطالبها بيد طاعة والاستكانة قد أعدها الافرنج مفزعا لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لأمانهم ، وحصانتها ومناعتها أعجب مايحدث به وذلك أنها راجعة إلى بابين احدهما فى البر والثانى فى البحر والبحر يحيط بها إلا من جهة واحدة ، فالبرى يفضى إليها بعد ولوج ثلاثة أبواب أو أربعة كلها فى ستائر مشيدة محيطة بالباب ، والبحرى يدخل إليه بين برجين مشيدين إلى مرسى له ليس فى البلاد أعجب منه وصفا يحيط به سور المدينة من ثلاثة جوانب ويحدق به من جانب آخر جدار معقود بالجص ، والسفن تدخل تحت السور وترسى فيه وتعرض من البرجين المذكورين سلسلة عظيمة معقودة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ولا مجال للمراكب إلا عند إزالتها وعلى الباب حراس لايدخل الداخل ولايخرج إلا على أعينهم فشأن هذا المرسى شأن عظيم وعند الباب البرى عين معينة تنحدر إليها على أدراج والآبار والجباب بها كثيرة لاتخلو دار منها ، ولا بساتين بها إنما تجلب لها الفواكه من أقطارها التى بالقرب منها ولها أعملة متصلة والجبال التى بالقرب منها معمورة بالضياع ومنها تجيء الثمرات إليها وللمسلمين الباقين بها مسجدان وأعلمنى أحد أشياخنا أنها أخذت من أيديهم سنة ثمان عشرة وخمسمائة بعد محاصرة طويلة وبها كانت دار الصنعة ومنها تخرج مراكب المسلمين للغزو (ذا رفعة) أى عزة ومكانة (خفض) طيب

ومالِكَ رَفْعٍ وخَفْضٍ، نُقِتْ إلى مِصْرَ

عيش (مالك رفع وخفض) أى صاحب أحمال ترفع على الإبل فى السفر وتحط عنها للنزول ويريد أنه ذو قدرة وتمكن يخفض ويرفع من أراد (نقت) أى اشتقت (مصر) قال الهمدانى سميت بمصر بن هرمس بن هروس جد الاسكندر وقال أهل اللغة المصر الحد فسميت مصر لأنها حد بين المشرق والمغرب، ابن دريد: كل بلد عظيم مصر نحو البصرة والكوفة، طول مصر من الشجرتين اللتين بين أبج والعريش إلى أسوان وعرضها من برقة إلى أيلة فهى مسيرة أربعين ليلة وافتتحت كلها فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد عمرو ابن العاص بن وائل السهمى ولما افتتحت مصر أتى أهلها إلى عمرو فقالوا له: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها فقال لهم ماذاك؟ فقالوا له إذا كان اثنتا عشرة ليلة تخلو من بؤونة من أشهر العجم عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلى والحلل أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى النيل فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون فى الإسلام وإن الإسلام يهدم ماقبله فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى وهى أسماء ثلاثة أشهر للقبط لا يجرى النيل فيها لا قليلا ولا كثيرا حتى همـــوا بالجلاء منها فلما رأى ذلك عمرو ابن العاص كتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب عمر بطاقة وكتب إلى عمرو: إن بعثت إليك بطاقة فألقها فى النيل فأخذ عمر البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فان كنت إنما تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء. فلما ألقى البطاقة فى النيل أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشرة ذراعا فى ليلة واحدة فقطع الله تعالى تلك السنة السوء من أهل مصر، قال ابن جبير ومدينة مصر كبيرة عامرة مختلفة الأسواق من المدن التى سارت بأوصافها الرفاق وهى على شط النيل وعلى النيل فى مقابلتها قرية كبيرة الشان كثيرة البنيان تعرف بالجيزة وتعترض بينهما جزيرة فيها مساكن حسان وعلالى مشرقة وهى مجتمع لهو أهل مصر ومنتزههم وبينها وبين مصر خليج يذهب بطولها نحو الميل ولا يخرج له وبالجزيرة جامع يخطب فيه يتصل بهذا الجامع المقياس الذى يعتبر فيه قدر زيادة فيض النيل كل سنة وابتداؤه من شهر بؤونة ومعظم انتهائه أغسطس وآخرها أول شهر أكتوبر.. والمقياس عمود رخام سمر فى موضع يتحصر فيه الماء عند انتهائه إليه وهو مفصل على اثنتين وعشرين ذراعا وكل ذراع مفصلة على أربعة وعشرين قسما أقساما متساوية تعرف بالأصابع فاذا استوى الماء تسع عشرة ذراعا فى الفيض فهى الغاية عندهم فى طيب العام وربما كان الماء فيها كثيرا لعموم الفيض والمتوسط ما استوى سبع عشرة ذراعا وهو أحسن مما زاد عليه والذى يستحق به السلطان خراجه ست عشرة ذراعا فصاعدا وعليها تعطى البشارة الذى يرقب الزيادة فى كل يوم ويعلم بها مبارمة وإن قصر عن ست عشرة فلا مجبى لذلك السلطان فى ذلك العام ولا حراج إلا مالا يعول عليه.. وبقرية الجيزة يوم الأحد سوق عظيمة يتحدث بها، وعلى نحو سبعة أميال فى الصحراء التى يقضى منها إلى الإسكندرية الأهرام القديمة المعجزة البناء الغريبة المنظر المربعة الشكل كأنها القباب المضروبة قد قامت فى جو السماء لاسيما الاثنان منها فى سعة الواحد منهما من ركنه إلى

تَوَفَانِ السَّقِيمِ إلى الأُسَاةِ ، والكَرِيمِ إلى المُوَاسَاةِ فَرَفَضْتُ عَلاَئِقَ الاسْتِقَامَةِ ، وَنَفَضْتُ عَوَائِقَ الإقَامَةِ وَاعْرَوْرَيْتُ ظَهْرَ ابنِ النَّعَامَةِ ، وَأَجْفَلْتُ نَحْوَهَا إجْفَالَ النَّعَامَةِ . . فلما دَخَلْتُها بعْدَ مُعَانَاةِ الأَيْنِ ، وَمُدَانَاةِ الحَيْنِ كَلِفْتُ بِهَا كَلَفَ النَّشْوَانِ بالاصْطِبَاحِ ، والحَيْرَانِ بِتَنَفُّسِ الصَّبَاحِ ، فَبَيْنَمَا أنَا يَوْماً بِهَا أَطُوفُ ؛ وَتَحْتِي فَرَسٌ قَطُوف ، إذ رَأَيْتُ عَلى جُرْدٍ مِنَ الخَيْلِ ، عُصْبَةً كَمَصَابِيحِ اللَّيلِ ، فَسَأَلْتُ لا نْتِجَاعِ النُّزْهَةِ ، عَنِ العُصْبَةِ والوِجْهَةِ ، فَقِيلَ أَمَّا القَوْمُ فَشُهود ، وأَمَّا المَقْصَدُ فإمْلاكٌ

ركنه ثلثمائة خطوة وست وستون خطوة محددة الأطراف فى رأى العين وربما أمكن الصعود إليها على خطر ومشقة فتلق أطرافها المحددة كأوسع ما يكون من الرحاب قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة وركبت تركيبا بديع الإلصاق يكاد يعجز أهل الأرض نقض بنيانها . وبمصر أيضاً المسجد المنسوب إلى عمرو بن العاص وبها الجبانة المعروفة بالقرافة وهى من عجائب الدنيا لما تحتوى عليه من مشاهد الأنبياء وأهل البيت والصالحين والعلماء وذوى الكرامات من أهل الزهد ، وبها قبر آسية امرأة فرعون ، وبها مساجد معمورة بالليل والنهار يبيت بها الصالحين ، وبها قبر الشافعي محمد بن إدريس الإمام رضى الله عنه ، وهو من المشاهد العظيمة احتفالا واتساعا . والمشهد العظيم الشأن الذى بالقاهرة حيث رأس سيدنا الحسين بن على رضى الله عنهما هو فى تابوت من فضة مدفون قد بنى عليه بنيان يقصر الوصف عنه مجلل بأنواع الديباج محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً بيضاء أكثرها موضوع فى أنوار الفضة وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهبا فى مصنع شبه الروضة يبهر الأبصار حسنا وجمالا وفيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مالا يتخيله المتخيلون ، والمدخل إليها على مسجد على مثالها فى التأنق حيطانه كلها رخام ، وأغرب مافيه حجر موضوع فى الجدار الذى يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص يصف الأشخاص كلها كأنه المرآة الهندية ولتزاحم الناس على القبر وانكبابهم عليه وتمسحهم به وبالكسوة التى عليه مرأى هائل ، وأخبار مصر كثيرة فلنقتصر على هذه النبذة (الأساة) الأطباء (المواساة) أن يجعلك اسوة نفسه فى ماله فيقاسمك فيه

(رفضت) تركت (علائق) أسباب تتعلق به فتحبسه (نفضت) أزلت واطرحت ونفضت ثوبى من الغبار أزلته عنه (عوائق) موانع وهى ما يصرف الانسان عن وجهه الذى يمر فيه ويريده (اعروريت) ركبته عريا (ابن النعامة) الطريق وقيل صدر القدم قال عنترة : وابن النعامه عند ذلك مركبى . وقيل ابن النعامة الساق وقيل عرق فى الرجل وقيل الفرس الفاره (أجفلت) أسرعت (النعامة) واحدة النعام (معاناة) مقاساة (الأين)الفتور من التعب (مداناة الحين) مقاربة الهلاك (كلفت بها) أى حببتها وولعت بها (النشوان) السكران يريد أنه فرح فرح السكران إذا أصبح للشرب وهو الاصطباح والمهموم بالليل إذا طلع ضوء النهار انجلى همه فجعل بياض الفجر (تنفس) أى انتشر (قطوف) متقارب الخطو كأنه يقطف خطوه أى يقطعه (جرد) ملس والأجود القصير الشعر (عصبة) جماعة (مصابيح) سرج ويريد بها النجوم (الوجهة كالجهة)وهو كل موضع استقبلته وقصدته وتوجهت إليه (املاك) نكاح وأملك الرجل إملاكا تزوج وأملكه

مشهود ، فحدتني مَيعَةُ النشاط ، عَلَى أنْ سِرْتُ مَعَ الفُرّاط ، لأفوزَ بحَلاوَةِ اللقاط ، وأحُوزَ حَلواء السِّماط ؛ فأفضَينا بَعْدَ مُكابَدَةِ العَناء ، إلى دَارٍ رَفيعَةِ البناء ، وسِيعَةِ الفِناء ؛ تَشْهَدُ لبانيها بالثَّراء والسَّناء ، فلما نزَلْنا عَنْ صَهَواتِ الخيول ، وقدَّمْنا الأقْدامَ للدُّخُول ؛ رَأيتُ دَهْليزَها مُجَلَّلاً بأطْمارٍ مُخَرَّقَة ومُكَلَّلاً بمَخارِف مُعلَّقَة ، وهُناكَ شَخْصٌ عَلَى قَطِيفَة ؛ فَوْقَ دِكَّةٍ لَطِيفَة ، فَرابَني عُنوانُ الصَّحِيفَة ،

غيره زوجه وشهدنا املاكه أي عرسه . ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من شهد املاق امرىء مسلم فكأنما صام يوماً في سبيل الله واليوم بسبعمائة (مشهود) أي محضور (حدثني) ساقتني (ميعة) حدة ونشاط والمعية أول الشباب وأول جرى الفرس ومعية كل شيء معظمه (الفراط) السباق المتقدمون الواحد فارط (اللقاط) مايلتقط من العرس مما ينثر فيه للحاضرين نحو الكعك والخبيص وما ينثر فيه يسمى نثرا وكان نثار العرب في عرسهم التمر (أحوز) أحصل (السماط) السوق التي جوانبها صفات متقبلان والسماط أيضا أن يصطف العسكر صفين متقابلين والسماط في الطعام أن تلصق مائدة بأخرى ويجلس الناس عليها صفين متقابلين والسماط الصف منه ومنه سمط الجوهر ومنه الشعر المسمط وهو الذي أبياته مفصلة على اجزاء متقابلة وقد نبهنا عليه في الحادية عشر (مكابدة) مقاساة وهي من الكبد كأن الكبد يتعب بها (العناء) التعب (رفيعة البناء) قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد هوانا أنفق ماله في البناء وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى بناء في غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرسا في غير ظلم ولا اعتداء فان أجره جار ما انتفع به أحد من خلق الرحمن وقال بعض الحكماء إذا أيسر الرجل ابتلى بثلاثة أشياء صديقه القديم يجفوه وامرأته يتزوج عليها وداره يهدمها ويبنيها .. وعلى قوله أما القوم فشهوده جاء فيهم حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله علية وسلم أكرموا الشهود فان الله عز وجل يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم (وسيعة) أي واسعة (الفناء) الساحة وهي ماحول الدار (الثراء) كثرة المال (السناء) الشرف والرفعة (صهوات) ظهور (دهليز) مدخل الدار الذي تسميه عامتنا الاسطوان والاسطوان عند العرب السواري واحدها اسطوانة وأنشد أبو موسى الجاحظ في نوادره وذكر الدهليز فقال :

أويت في الدهليز أربع ولم أكن آوى الدهاليزا
خبزي من السوق وشعري لكم تلك لعمري قسمة ضيزى

(مجللا) مغطى (أطمار) ثياب خلقة (مكللا) محلقا (مخارف) قفف أو تعاليق للغرباء يجعلون فيها ما يأخذونه من الصدقة والمخارف عند العرب جمع مخرف وهي قفيفة تشبيه الزنبيل يخترف فيها الرطب أي يجتنى فيها (قطيفة) نوع من البسط (دكة) هي الدكان (رابني) شككني وخوفني (عنوان) دليل (الصحيفة) الكتاب اراد تطيرت بتلك المخارف وأراد أنها دار خيبة وحرمان وكان ابن همام في هذه القصة طفيليا على ماوصف به نفسه من الرفاهية وربما يتولع أهل الظرف والأدب بمثل هذا فقد حكينا عن ابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي مثل هذا في أخبار الطفيليين على منادمتهم للخلفاء وكثرة أموالهما (البدعة) الشيء المبدع الذي لم يفعل قبله مثله

ومَرأى هـذه الطَّرِيقَة ، ودَعانى التَّطيرُ بتلكَ المَناحِس ، إلى أنْ عَمَدتُ لذلكَ الجالِس ، فَعزَمْتُ عليه بِمُصرِّفِ الاقدار ، لِيُعرِّفنى مَنْ ربُّ هذه الدَّار ؛ فقال لَيْسَ لها مالكٌ مُعيَّن ، ولا صاحِبٌ مُبيَّن ، إنّما هِيَ مَصْطَبَةُ المُقيِّفين والمُدَرْوَزِين ، ووليجَةُ المُشقْشِقينَ والمُجَلوَزين ، فقلتُ فى نَفْسى إنَّا للهِ عَلَى ضلَّةِ المَسْعَى ، وإمحالِ المَرْعَى ، وهَمَمْتُ فى الحال بالرُّجْعى ، لـكِنِّى اسْتَهجَنْتُ العَوْدَ مِنْ فَوْرى ، والقَهْقَرَةَ دونَ غَيْرى ، فوَلَجتُ الدَّارَ مُتَجرِّعًا الغُصَص ، كما يَلجُ العُصْفُورُ القَفَص ، فإذا فيها آرائكُ مَنْقُوشَة ، وطَنافِسُ مَفْرُوشَة ، ونَمارِقُ مَصْفُوفَة ؛ وسُجُوفٌ مَرْصُوفَة ، وقد أقبلَ المُمْلِكُ يَميسُ فى بُرْدَتِه ؛ ويَتَبَهْنَسُ بينَ حَفَدَتِه ، فحين جَلَسَ كأنَّه ابنُ ماءِ السَّماء ،

(الطريقة) الغربية المستظرفة (التطير) التشاؤم (المناحس) جمع منحوس وهو الذى لا يفارقه النحس واراد به المخارف والاطمار التى قدم (مصرف الاقدار) هو الله تعالى (رب الدار) ما لكها أو الناظر فى اصلاحها ، وما ذكره مما لايفهم له معنى (المقيفين) المكدين وقيل المقيفون جمع مقيف وهو الذى يقفو آثار الناس أى يتبعهم يطلب لهم شيئا ويدعو لهم (المدروزين) المكدين ودروزة كلمة أعجمية معناها الكدية (المشقشق) الذى يحاكى أصوات الطيور فتجتمع اليه فيصطادها (المجلوز) والجواز الشرطى الذى يتصرف حول السلطان (وليجة) أى مدخل والوليجة الموضع الذى يلج الانسان فيه أى يدخله أوكهف يستتر فيه (القهقرة) الرجوع إلى خلف (ضلة) ضلالة (المسعى) المشى بعجلة أراد أن مشيه كان لغير فائدة (امحال) يبوسة وجفوف (فورى) حينى من قبل أن أسكن (الغصص) جمع غصة وهى مايختنق بها وتجرعها صعب (ارائك) سرور مزينه (طنافس) بسط (ونمارق) مخاد (سجوف) ستور (مرصوفة) مضمومة ملتصقة وجعل البيت بهـذه الامتعة الكثيرة لانه بيت عرس فهى تسعد له وان كان قد رأى فى دهليزه مرقعات تدل على فقر فان الغرباء فى البلاد يعلقون مرقعاتهم فى دهليز الفندق وبيته فى غاية الرفاهية والدار المذكورة إنما كانت فندقا للفقراء الغرباء والمكدين والجالس فى دهليزها خادم الفندق وحين ساله عنها خبره أنها ليس لها رب معين إنما هى دار المكدين والمخارفين وقيل لأحد المكدين أتبيع مرقعتك فقال هل رأيت صائدا يبيع شبكته (المملك) العروس (يميس) يتبختر (يتبهنس) مثله فى المعنى (حفدته) خدمه وأتباعه ويقال حفد العبد يحفد حفدا إذا خدم وفى الدعاء واليك نسعى ونحفد أى نخدمك ونعمل لك وقال الشاعر :

حفد الولائد بينهن وأسلمت   بأكفهن ازمة الاجمال

ابو عبيد : يقال حفد يحفد ، واحفد يحفد ، وفسر طاوس قوله تعالى بنين وحفدة أى خدما فهو مطابق للغة وفسره ابن مسعود رضى الله عنه بالاختان وهو مطابق لما فى المقامة لان المكدين لا خدم لهم وقال الفراء رحمة الله الحفدة جمع حافد ككامل وكملة (ابن ماء السماء) الجوهرى : ماء السماء لقب عامر بن حارثة الازدى ابو عمرو مزيقياء الذى خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم وسمى ماء السماء لأنه كان إذا أجدب قومه مانهم أى كفاهم مؤنتهم

نادى مُنادٍ مِنْ قِبَلِ الأَحْماء ، وحرمَةِ ساسانَ أُستاذِ الأُستاذين ، وقُدْوَةِ الشَّحَّاذين ، لاعَقَدَ هذا العَقْدَ المبجَّل ، في هذا اليَوْمِ الأَغرِّ المُحجَّل ، إلّا الذي جالَ وجاب ، وَشَبَّ في الكُدْيَةِ وَشاب ، فَأَعْجَبَ رَهْطَ الصِّهْرِ ما أشارُوا إليه ، وأذِنوا في إحْضارِ المَنْصُوصِ عليه ، فَبَرَزَ حِينَئِذٍ شَيْخٌ قد أمالَ المَلَوانِ قامَتَه ؛ وَنَوَّرَ الفَتَيانِ ثَغامَتَه ، فَتَباشَرَتِ الجَماعَةُ بإقْبالِهِ ؛ وَتَبادَرَتْ إلى اسْتِقْبالِه ،

حتى يأتيهم الخصب فكأنه خلف من ماء السماء وقيل لولده بنو ماء السماء وهم ملوك الشام والعرب تسمى أيضا بنى ماء السماء لأنهم يعيشون بماء السماء قال الأزهرى السماوة ماء بالبادية وكان اسم أم المنذر ماء السماء فسمته العرب ابن ماء السماء وهو المنذر بن امروء القيس بن عمرو بن عدى وأمة ماء السماء وهى امرأة من النمر بن قاسط سميت بذلك لجمالها ولما ملك كسرى الذى اسمه قباذبن فيروز خرج فى أيامه رجل يقال مزدك فدعا الناس إلى الزندقة واباحه الحرم وأن لا يمنع أحد أخاه مايريد فدعا قباذ المنذر ليدخل فى هذا المذهب فأنف وأبى المنذر هذا الفعل الخسيس فطرده قباذ من مملكته ونفاه عن الحيرة ودعا الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار فأجابه وكان الحرث شديد الملك فشدد الملك له ملكه وكانت أم شروان بين يدى قباذ يوما فدخل عليه مزدك فلما رآها قال لقباذ ادفعها إلى الأقضى حاجتى منها قال له قباذ دونكها فوثب اليه أبوشروان فلم يزل يسأله أن يهب له امه حتى قبل رجليه فتركها له فلما هلك قباذ وتولى أنوشروان جلس فى مجلسه وأقبل المنذر اليه وأذن للناس فدخل عليه مزدك ودخل عليه المنذر فقال أبوشروان كنت أتمنى أمنيتين أرجو أن يكون الله تعالى قد جمعهما لى فقال مزدك وما هما أيها الملك قال تمنيت أن أملك فاستعمل هذا الرجل الشريف يعنى المنذر وأن أقتل هؤلاء الزنادقة فقال له مزدك أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم فقال إنك لهنا يا ابن الزانية والله ماذهب نتن ريح جوربك من أنفى مذقبلت رجليك إلى يومى هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل فى ضحوة واحدة من الزنادقة مائة ألف وصلبهم وطلب الحرث فخرج هاربا بجميع ما معه وأخذ المنذر فى طلبهم فأخذ من بنى آكل المرار ثمانية وأربعين رجلا فضرب رقابهم وألح فى طلب امرىء القس فلحق السموأل وتمام القصة فى الثالثة والعشرين (الاحماء) أى الاختان (ساسان) شيخ المكدين قال الفنجديهى ساسان هو استاذ المكدين ومقدمهم وواضع طرائقهم ومعلمهم قال ابو الفتح اسماعيل بن الفضل بن الاخشيد السراج المكدى فى كتابة حدثنا أبو بكر البطايرنى المكدى حدثنا محمد بن على بن احمد الفقيه المكدى حدثنا مليك بن صالح المكدى قال سمعت طرارة المكدى قال قال ساسان الا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قلت بلى قال هى الكدية (استاذ الاستاذين) حدث احمد بن الحسن قال كنت عند ابى الحسن بن ابى الفضل فدخل رجل فذكر انه شاعر فقال الشعراء ثلاثة شاعر وشعرور شعره فأما الشاعر فالمفلق والشعرور المستملح والشعرة المستثقل لرداء شعره والاستاذون ثلاثة استاذ فى الدين كالعلماء والفضلاء واستاذ فى الدنيا كالوزراء والعمال والولاة واستاذ لا دين عنده يتعلم منه ولا دنيا ينتفع بها كالحجام يسمى استاذا والبناء والملاح وبنو ساسان ملوك الفرس (قدوه) مقدم (الشحاذين) المكدين والشحاذ الملح فى المسألة وشحذت السيف بالغت فى صقالته (المبجل) المعظم يقال بجلته تبجيلا اى عظمته تعظيما مأخوذ من البجيل والبجال وهو الرجل الضخم وفى الحديث اصبتم خيرا بجيلا اى كثيرا ضخما (الاغر) المشهور لحسنه (المحجل) الابيض (شب) ترعرع ونشأ (الملوان والفتيان) الليل والنهار (ثغامته)

فلمَّا جَلسَ عَلَى زُرْبِيَّته ، وَسَكَنَتِ الضَّوْضاء لهَيْبَته ، ازدَلَفَ إلى مَسْنَدِه ، وَمَسَحَ سَبَلَته بِيَدِه ، ثم قال : الحمدُ للهِ المُبْتَدِىءِ بالإفضال ، المُبْتَدِعِ للنَّوال ، المُتَقرِّبِ إليه بالسؤال ، المؤمَّلِ لتحقيق الآمال ؛ الذى شرع الزكاةَ فى الأموال ، وَزَجرَ عن نَهْرِ السُّؤَّال ، وَنَدَبَ إلى مُواساةِ المُضْطَرِّ وأمَرَ بإطعام القانِعِ وَالمُعْتَرِّ ، وَوَصَفَ عِبادَهُ المُقَرَّبين ، فى كتابِهِ المُبين ، فقالَ وَهو أصْدقُ القائلين : « وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » . أحْمَدُهُ عَلَى ما رَزَقَ مِنْ طُعْمَةٍ هَنِيَّة ، وأعُوذُ به مِن استِماع دَعْوَةٍ بِلا نِيَّة ،

شعرته (نورها) بيضها والثغام نبت أبيض وهو ضرب من البهمى منابتة الجبال إذا يبس ابيض بياضا شديدا أبو حنيفة : تنبت الثغامة خيوطا طوالا دقاقا من أصل واحد فاذا جفت ابيضت كلها وإذا امحل الثغام كان بياضا ويشبه به الشيب قال المرار الفقعسى

أعلاقة ام الوليد بعيدما افنان رأسك كالثغام المخلس

وقال حسان رضى الله عنه

او ما ترى واسى تغير لونه شمطا فأصبح كالثغام المحمل

والثاغم مرعى ونعلفه الخيل قال بشر وذكر الخيل :

فباتت ليلة واديم يوم على البهمى ويجز لها الثغاما

(زربيته) طنفسة والجمع الزرابى وقيل هى الوسائد وقيل الثياب الموشاة (الضوضاء) الأصوات (ازدلف) قرب (مسنده) موضع اسناده (سلبته) لحيته وقيل شاربه وهذه الخطبة التى ذكر ليس فيها لفظ إلا وهو يتضمن اشارة للكدية (المبتدع) اى الفاعل له قبل ان يفعل (النوال) العطاء (المؤمل) المرجوا (شرع) فرض (نهو السؤال) من قوله تعالى و اما السائل فلا تنهر ، وقال ابن عمران :

إن ابن آدم حين يلحف سائل ينقذ من حنق عليه فينهره
والله إن يقصدة عبد ملحف بسؤاله يدنية منه ويشكره
فسل الإلـه ولذ به لا تنسه فالله يذكر عبده إذ يذكره

وقال أيضا :

سؤالنـــا دعاؤنا للجنه لهم علينا بالقبول منه
من سال منهم ويك أعطينه ولو بتمره فواسينه
أو جمل الرد لاتنهرنه وإن يكن يحلف فاعذرته وادع له الله وصبرنه

(ندب) أى دعا وحرض (المضطر) الشديد الحاجة (القانع) المتذلل عند السؤال (المعتر) المتعرض للمعروف (المحروم) الذى لا يسأل أحدا شيأ وهو محتاج (طعمة هنية) الكدية لأن فائدتها تحصل بلا تحمل تكلف ولا مشقة (دعوة بلا نية) قولك للسائل الله يعطيك وسع الله عليك ونحوه وأنشدوا فيهم :

ورجال ونساء وبنات وبنونا وإذا يدعى لهم يو ما تراهم يغضبونا

وقال آخر :

ألم ترنى أبغضت ليلى وذكرها كما أبغض المسكين دعوة سائله

لأن السائل لا يطلب من المسؤول الدعاء إنما يطلب ماتشبع الأمعاء ... ومما يستظرف من هذا ماحكى الأصمعى

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ إلهاً يَجْزِي المُتصدِّقينَ والمُتصدِّقات، وَيَمْحَقُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقات وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ الرَّحيمُ، وَرَسُولُهُ الكَريم، ابْتَعثَهُ ليَنْسَخَ الظُّلمَةَ بالضِّياء وَيَنْتَصِفَ للفُقَراء مِنَ الأغْنياء، فَرَفَقَ صَلَّى اللهُ عليه وسلّمَ بالمِسْكين، وَخَفَضَ جَنَاحَهُ للمُسْتَكِين وفَرَضَ الحُقُوقَ في أمْوالِ المُثْرِينَ، وَبَيَّنَ مَا يَجِبُ للمُقِلِّينَ عَلَى المُكْثِرِين، صَلَّى اللهُ له صَلاةً تُحْظِيهِ بالزُّلْفة، وَعَلَى أصْفِيائه أهْلِ الصُّفَّة، أما بَعْدُ فإنَّ اللهَ تَعالَى شَرعَ النِّكاحَ لِتَتَعفَّفُوا، وَسَنَّ التَّنَاسُلَ لِكَيْ تَتَضاعَفُوا، فقال سُبْحانَهُ لِتَتعرَّفُوا: « يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأنْثَى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ

قال مربي أعرابي سائلا فقلت له كيف حالك قال أسأل الناس إلحافا فيعطوني كرهافلا يؤجرون على مايعطوني ولا يبارك لي فيما آخذ والعمر بين ذلك فان والأجل قريب والأمل بعيد. سأل أعرابي رجلا يكنى أبا عمرو عند داره فقال يرزقك الله فعاد اليه يوما آخر فقال بمثل ما قال أمس وتنحنح ففلتت منه ضرطة فقال الأعرابي:

إن أبا عمر لمكبوس الوسط إذا سألناه تمطى وضرط اعطاؤه يرزقك الله فقط

(أشهد أن لا إله إلا الله) أي أعلم وأبين ومنه شهد الله أي أعلم وبين أنه لا إله إلا هو ومنه شهد الشاهد عند الحاكم أي بين له ما عنده وأعلمه الخبر (يمحق) يزيل ويستأصل (الربا) الحرام وأصله الزيادة (يربي) يزيد ويكثر أي يضعفها له (ينسخ) يزيل (المسكين) الضعيف الذليل (وخفض جناحه) ألان جانبه فهو مثل للاشفاق والحنان وأصله أن الطائر إنما يخفض جناحه على فراخه ويلحقها به شفقة عليها قال الله تعالى واخفض لها جناح الذل من الرحمة (استكان) خضع وذل وهو استفعل من كان أصله استكون نقلت حركة الواو إلى الكاف فانقلبت ألفا لتحركها في الحكم وانفتاح ما قبلها فهي في الأصل كاستقام وبابه أن يكون افتعل من لسكون لأن الخاضع يقلل الكلام وأصله استكون فوصلت فتحة الكاف بألف كقوله : قلت وقد حرت على الكلكال، أراد الكلكل وقال تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون وأنشد أبو علي: فما استكان لما لاقى ولا خضعا. (المثرين) الأغنياء (الزلفة) القربه يتقرب بها إلى الله تعالى (أصفيائه) أحبابه (الصفة) تشبه القبلة والصفه كالسقيفة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغرباء يظعنون اليه من الجهات وليس عندهم شيء فيسكنون سقائف المسجد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض الناس على الصدقة عليهم وكان يجلس لهم فيعلمهم القرآن وخصهم الحريري بالذكر لأن لهم حالة يشبهون بها المكدين من لباس الخلقان والعيش من صدقات الناس فهم يتأسون بأهل الصفة ويجعلونهم حجة على من زجرهم ، ومما يحسن أن ينشد في هذا المعنى قول ابن عمران :

السائلون عيال الله والمال لله فابذله فيهم خاب من لؤما
جد على ثقة بالله من خلف ياويح من كان للرحمن متهما
واحذر من الرد إن الله يمقته من غير عذر وشؤم الشح قدعلما

لِتَعَارَفُوا » وهذا أُبو الدَّرَّاج ، وَلاَّج بن خَرَّاج ، ذُو الوَجْهِ الوَقَاح ، والإِفْكُ الصُّراح ، والهَرِيرِ والصِّيَاح ، والإِبْرَام والإِلْحَاح ، يَخطبُ سَلِيطَةَ أَهْلِها ، وشَرِيطَةَ بَعْلِهَا ، قَنْبَس ، بِنْتَ أَبِى العَنْبَس ، لِمَا بَلَغَهُ مِنَ الْتِحَافِهَا ، بإِلْحَافِهَا ، وإِسْفَافِهَا ، فى إِسْفَافِهَا ، وانْكِمَاشِهَا عَلَى مَعَاشِهَا ، وانْتِعَاشِهَا ، عِنْدَ هِرَاشِهَا ، وقد بَذَلَ لها مِنَ الصَّدَاقِ شَلَّاقا وعُكَّازًا ، وصِقَاعًا وكَرَّازًا ، فَأَنْكِحُوهُ إِنْكَاحَ مِثْلِه ، وَصِلُوا حَبْلَكُمْ بِحَبْلِهِ ، وإِن خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، أقولُ قَوْلِى هَذا وَأَسْتَغْفِرُ العَظِيمَ لى ولَكُم ، وأسأَلُهُ أَنْ يُكْثِرَ فى المَصَاطِبِ نَسْلَكُمْ ، ويَحْرُسَ مِنَ المَعَاطِبِ شَمْلَكُم ؛ فلمَّا فَرَغَ الشَّيْخُ مِنْ خُطْبَتِه

(الشعوب) جمع شعب وهو أكبر من القبيلة (الدراج) كناه بذلك لكثرة حركته (ولاج) كثير الولوج على الناس للكدية (خراج) كثير الخروج فى طلب رزقه والولاج الخراج الذى يحسن الدخول فى أموره الخروج منها ويقال فلان ولاج خراج إذا كان متصرفا فى أموره نفاعا لأوليائه ضرارا لأعدائه

(الإفك) سوء الكذب (الصراح) الظاهر البين يريد أنه إذا وصف حالته فى كديته لا يتكلم إلا بالكذب (الهرير) كثرة الصياح والشر وهرير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد (الابرام) الاثقال والاضجار يريد أنه يوالى الصياح على من يكديهم ويثقل عليهم بالتعب على ترك الصدقة حتى يفتدوا منه (الإلحاح) المداومة والاكثار من السؤال . . . وقدم الحطيئة المدينة فى سنة مجدبة فمشى أشرافهم بعضهم لبعض خوفا من لسانه وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو يأتى الشريف منا فان أعطاه جهد نفسه وإن حرمه هجاه فجمعوا له بينهم أربعمائة دينار فأتوه فقالوا هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان فأخذها وظنوا أنهم قد كفوه المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل وهو يقول من يحملنى على بغلين كفاه الله كبة النار (السليطة) الحديدة اللسان وقد سلطت فهى سليطة (شريطة) موافقة (بعلها) أى زوجها أى جاءت على شرط زوجها فهى مثله فى خصا لها كأنها

(قنبس) اسمها وهو من القبس وهى الشعلة كأنها لحدتها شعلة نار تحرق ما مرت به (عنبس) من العبوس ونونه ونون قنبس زائدتان (التحافها) ارتداؤها والتوائها فيه (إلحافها) إلحاحها فى السؤال (اسفافها) تساقطها على ما تجمع من الناس والإسفاف التتبع لمداق الأمور والاسفاف الدخول فى الأمر الدنىء وقد أسف تعرض للامر الدنىء (انكماشها) تحفازها واجتهادها (انتعاشها) قيامها وارتفاعها (هراشها) مشارتها القرابتها والمهارشة أصلها للكلاب وهى أن يترافع الكلبان ويتناجا ويعض كل واحد صاحبه نجعل مدافعتها عند الشر لأقرانها ومضارتها كالهراش للكلاب ولا تكمل عندهم نجابتها حتى تفوق اقرانها فى الشر والسب بالقبائح وضرب الكف على ذلك وإلا فهى ناقصة (بذل) أعطى (شلاقا) ثوب مرقع وليس بعربى وقيل هو شبه المخلاة وقيل هو خريطة تجعل فيها كسر الخبز (عكازا) عصا تقرع بها الأبواب وتضرب بها الكلاب (صقاعا) خرقة بالية تجعلها على رأسها (كرازا) إناء تعلقه فى ذراعها تجعل فيه الصدقة وقيل الكراز إناء لشرب الماء وتسميه عامتنا الكرازة فكان صداق هذه المرأة ثوبا مرقعا تلبسه للكدية وخرقة بالية لرأسها وعصا تقرع بها الأبواب وإناء إما أن تجعل فيه ما يدق من الصداقة أو تجعل فيه ماء لشربها عند طوافها للكدية والكرز هو الخرج والكراز كبش يحمل عليه الراعى أداته (عيلة) فقرا (شملكم) عددكم (المعاطب) المهالك وخطأ أبو محمد

فى الدرة من يذهب من الخواص بالعيلة إلى العيال وقال إنما العيلة الفقر بدليل قوله تعالى وإن خفتم عيلة وتصريف الفعل منه عال يعيل فهو عائل والجمع عالة وفى التنزيل العزيز ووجدك عائلا فأغنى ، وفى الحديث : لأن تدع ورثك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وأما الذين يعالون فهم عيال واحدهم عيل كجيد وجياد وجمع عيال على عيائل كركاب وركائب وأعال فهو معيل كثر عياله وعالهم يعولهم وفى الحديث ابدأ بمن تعول ومن كلام العرب والله لقد علت حتى علت أى صنت عيالى حتى افتقرت وأما قوله تعالى ذلك أدنى ألا تعولوا فمعناه أن لاتجوروا وقال بعض العرب لحاكم حكم عليه بما لم يوافقه والله لقد علت على فى الحكم أى جرت به ومن فسر فى الآية تعالوا بأن معناه تكثر عيالكم فقدوهم .. وإذا فرغنا من تفسيره هذه الخطبة الهزلية وقد قدمنا أن ابن همام فى هذه المقامة طفيلى فنذكر هنا العهد الذى كتب الصابى بأمر معز الدولة لحدبن فريعة الطفيلى ببغداد وقد استخلفه على التطفيل فان هذا العهد يوافق خطبة المقامة فى كثير من أغراضها وهو ذلك : عهد عهده محمد بن عبد الرحمن إلى الفضل بن النعمان حين استخلفه على سنته واستنابه على حياطة رسومه وسنته من التطفيل على أهل مدينة السلام وما يتصل بها من أرباضها وأكنافها ومايجرى معها من سوادها وبياضها وأطرافها لما توسمه فيه من قلة الحياء وشدة اللقاء وكثرة اللقم وجودة الهضم وأمره أن يتوسم اسم التطفيل ومعناه ويعرف مغزاه ومنحاه ويتصفحه تصفح الباحث عن حظه بموجوده غير القائل فيه بتسليمه وتقليده فان كثيرا من الناس قد نسب صاحبه للشرة والنهم وحمله على الجشع والقرم فمنهم من غلط فى استدلاله فأساء فى مقاله ومنهم من شح بماله فدفع عنه باحتياله وكلا الفريقين مذموم وجميعها مليم ملوم لايتعلقان بعذر واضح ولايتعريان من لباس فاضح وقد عرفت يا أخى بالتطفيل ولا عارفيه عند ذوى التحصيل لأن التطفيل مشتق من الطفل وهو وقت المساء وأوان العشاء فلما كثر استعمل فى صدر النهار وعجزه وأوله وآخره كما قيل القمران للشمس والقمر وكما قيل العمران لأبى بكر وعمر وأمره أن يعتمد موائد الكبراء والعظماء بعراياه ويبسط الأمر بسراياه فانه يظفر من إرادته بالغنيمة الباردة ويصل بها إلى الغريبة الشاردة فيجد بها من طرائف الألوان الملذذة للسان وبدائع الطعوم السائغة فى الحلقوم مالايجده عند غيرهم ولا يناله إلا لديهم لحذق صناعتهم وجودة أدواتهم وخصب ناديهم وكثرة ذات أيديهم والله يوفر من ذلك حظنا ويسدد نحوة لحظنا ، ويوضح عليه دليلنا ، ويسهل إليه سبيلنا ، وأمره أن يجتلب التكرمة ممن يحصل منهم وده ؛ ويستدعى بالتلطف نائله ورفده ، وكثيرا ما يتفق ذلك للداخلين ، ويتيسر للمتوسلين ، وأمره ان يصادق قهارمه الدور ومدبريها ويرافق وكلاء المطابخ ومديرها فانهم يملكون من اصحابهم أزمة مطاعمهم ومشاربهم وأمره أن يتعهد أسواق المتسوقين ومواسم المتبايعين فاذا رأى وظيفة قد زيد فيها أو أطعمة قد احتشد منها اتبعها إلى القصد بهاوشيعها إلى المنزل الحاوى لها واستلم ميقات الدعوةومن يحضرها من أهل اليسار والثروة وامره أن يجتنب مجامع العوام المقلين ومحافل الرعاع المقترين وأن لا ينقل اليها قدما ولايغفر لمآكلها فما فانها عصابة تجتمع على مضض النفوس والأحوال وقلة الأحلام والأموال وفى التطفيل عليها إجحاف بها يؤلم وإزراء بمروءة التطفيل يثلم وأمره أن يجوز الخوان إذا حصل والطعام إذا نقل حتى يعرف بالحدس والتخمين عدد الألوان فى الكثرة والقلة وافتنانها فى الطيب واللذة فيقدر لنفسه أن يشبع مع آخرها وينتهى

وأبْرَمَ للخَتَنِ عَقْدَ خِطبَتِه ، تَساقَطَ مِنَ النِّثار ، ما اسْتَغْرَقَ حَدَّ الإكْثار ، وأغْرَى الشَّحيحَ بالإيثار ، ثم نَهَضَ

عند انتهائها فلا تفوته نصيب من كثيرها وقليلها ولا يخطئه الحظ من دقيقها وجليلها ومتى أحسن بنقله الطعام وحجره أمعن فى أوله إمعان الكيس فى سعيه والرشيد فى أمره ، فانه إذا فعل ذلك سلم من عواقب الأغمار الذين يكفون طرفا ويقلون تأدبا ويظنون أن المائدة تبلغهم إلى آخر حاجتهم وتنتهى بهم إلى حد غايتهم فلا يلبثون أن يخجلوا خجلة الوامق الراغب وينقلبون بحسرة الراهق الخائب وأمره أن يروض نفسه ويغالط حسه ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحا ويطوى دونه كشحا ويستحسن الصمم عن الفحشاء ويمعض عن اللقمة الخشناء وأن أتته الوكزة فى حلقه صبر عليها لأجل الوصول إلى حقه وإن وقعت الصفعة فى رأسه عض عليها بمواقع أضراسه وإن لقيه لاق بالجفاء قابله باللطف والصفاء إذا كان ولج الأبواب وخالط الأصحاب وجلس مع الحضور واختلط بالجمهور فلابد أن يلقاه المنكر لأمره ويمر به للمستغرب لوجهه فان كان حرا حسنا أمسك وتذمم وإن كان فظا غليظا همهم وتكلم وأن يستعمل مع المخاطب له الملاينة وأن يجتنب عند ذلك المخاشنة ليرد غيظه ويفل حده ويكف غربه وتأمن سعيه وأمره أن يتعهد الجوارشات المعدة للعدد والمقوية للمعد المشبهة للطعام المسهلة سبيل الانهضام وأن يكون اتخاذها كالكاتب الذى يخط أقلامه والفارس الذى يصقل حسامه ، وأمره إذا غشى أبواب الملوك أهل السلطان أن يصانع البواب والحجاب ويخدم القواد والكتاب فاذا دخل السواد الأعظم توسط الجمع لاتأخر ولا تقدم بعد أن يجمل ثيابه ويحسن كلامه وجوابه فطعام الامراء تدعى اليه الحفلاء احتفالا ويتكفل بالوفود على العموم اكتفالا فهذا العهد مطابق لأحوال هذه المقامة .. مما يتصل بخطبة المقامة من الخطب الهزلية ماحدثوا أن رجلا خدب إلى قوم وجاء يخطب فاستفتح خطبة النكاح بحمد الله فأطال ثم ذكر خلق السموات والأرض واقتصر ثم ذكر القرون حتى ضجر من حضر ثم التفت إلى الخاطب فقال مااسمك أعزك الله فقال والله نسيت اسمى من طول خطبتك وهى طالق ثلاثا إن تزوجتها بهذه الخطبة فضحك القوم وعقدوا له فى مجلس آخر . . أنكح خالد بن صفوان عبده أمته فقال له العبد لو دعوت الناس لخطبت قال ادعهم أنت فدعاهم فلما اجتمعوا تكلم خالد فقال : إن الله أعظم وأجل من أن يذكر فى نكاح هذين الكلبين وأنا أشهدكم أنى قد زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية . . خطب مصعب بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم لاإله إلا الله فقالت له الجارية عجل الله موتك ألهذا دعوناك .. خطب ثقيل فى تزويج فأطال فقام واحد من القوم وقال إذا فرغ الثقيل بارك الله لكم فانى على شغلا أريد المبادرة فيه وخطب رجل امرأة فجعل يخطب وينعظ فضرب رأس ذكره بيده وقال مه اليك يساق الحديث (أبرم) أى أحكم وسد (الختن) ولى الزوجة مثل الأب والأخ وابن العم فهم الاختان وكل شىء من قبل الزوج فهم الاحماء وأحدهم حما مثل قفا وحمو مثل أبو وحمء مهموز والاصهار تجمعها (الخطبة) مراسلة المرأة للزوج (النثار) ما نثر عليه من الدراهم وقد نثرت الشىء نثرا إذا رميت متفرقا وأصحاب الزوج تدخلهم حمية عند ذلك فينثر كل واحد منهم من الدراهم ما امكنه فتجمع ويشترى منها انواع الأطعمة ولذلك قال (اغرى الشحيح بالايثار) اى حرضه على ان يتكرم (استغرق) جاوز وحدث ابن قتيبة عن ابى عثمان قال مررت بمحضر قد اجتمع فيه خلق كثيرون فسألت بعضهم ما جمعهم فقال هذا سيد الحى تزوج منا

الشَّيْخَ يَسْحَبُ ذَلَاذِلَه، وَيَقْدُمُ أَرَاذِلَه

قال الحَارِثُ بنُ هَمَّام: فَتَبِعْتُهُ لأَنْظُرَ عُرْجَةَ القَوْم، وَأُكْمِلَ بَهْجَةَ اليَوْم، فَعَاجَ بِهِم إِلى سِمَاطٍ زَيَّنَتْهُ طُهَاتُه، وَتَنَاصَفَتْ فِى الحُسْنِ جِهَاتُه، فَحِينَ رَبَعَ كُلُّ شَخْصٍ فِى رِبْضَتِه، وَطَفِقَ يَرْتَعُ فِى رَوْضَتِه، انْسَلَلْتُ مِنَ الصَّفِّ، وَفَرَرْتُ مِنَ الزَّحْف، فَحَانَتْ مِنَ الشَّيْخِ لَفْتَةٌ إِلَىَّ، وَنَظْرَةٌ هَجَمَ بِهَا طَرْفُهُ عَلَىَّ، فَقَالَ إِلى أَيْنَ يَا بُرَم، هَلَّا عَاشَرْتَ مُعَاشَرَةَ مَنْ فِيهِ كَرَم، فقلتُ وَالذى خَلَقَهَا طِبَاقَا؛ وَطَبَّقَهَا إِشْرَاقا، لا ذُقْتُ لَمَاقا، وَلَا لُسْتُ رُقَاقا، أو تُخْبِرَنِى أَيْنَ مَدَبُّ صِبَاك، وَمِنْ أَيْنَ مَهَبُّ صَبَاك؛ فَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ مِرَارا، وَأَرْسَلَ البُكَاءَ مِدْرَارًا، حتى إِذَا اسْتَنْزَفَ الدَّمْعَ

فتاة فتكلم الشيخ فقال الحمد لله وصلى الله على رسول الله أما بعد فان الله جعل المناكحة التى رضيها فعلا وأنزلها وحيا سبب تلناسلة وإن فلانا ذكر فلانة وبذل لها من الصداق كذا وقد زوجته إياهاوأوصيته بوصيه الله فيها ثم قال هاتوا نثاركم فقلبت على رؤوسنا غرائر التمر (ذلاذله) أى أطراف ثوبه والذلذل ما يلى الأرض من أسفل القميص (أراذله) جمع أرذل وهو الدنىء والرذل والمرذل والرذيل الدون (العرجة) التعريج ويقال ماعليه عرجة ولا تعريج أى إقامة وبهجة الشيء حسنه ونضارته (عاج) مال (السماط) كل مستو على نسق وصف الناس سماط وأراد به المائدة (الطهاة) الطباخون من الناس (تناصفت) اعتدلت وأنصف كل جزء منها صاحبه والتناصف اعتدال الحسن (ربع) جلس يقال ربعب بالمكان أقم وربعت الحجر رفعته باليدلانظر شدتى وربع وقف وتحبس (ربضته) موضعه الذى يقعد فيه والربضة القطعة الغليظة من الثريد (يرتع) يأكل وفلان يرتع أى هو مخصب لايعدم شيئايريده (الروضة) موضع العصب وأراد بها مابين أيديهم من الطعام (الزحف) الضرب والوثوب إلى الشر وأراد أنه لما جلس كل إنسان يريد أن يأكل خشىهوإنجلس للأكل أن يغرم ويشتهر بأنه طفيلى فيحتاج أن يتدافع وأن يتواثب مع صاحب الحانوت فى ثمن ما أكل ففر من ذلك والزحف مشى الأعمى (لفتة) نظرة نالتواء كأنه يلوى عنقه فينظر ولفت ميه لفتا والتفت صرف وجهه اليه (هجم) دخل عليه بغتة (برم) بخيل وهو الذى لايدخل مع القوم فيما دخلوا فيه من المغرم (المعاشرة) ترك المخالفة فى الصحبة (طباقا) جمع طبق أى هى طبق فوق طبق يعنى السماء (وطبقها) ملأها وعمها يقال طبق الغيم تطبيقا إذا أصاب بمطره جميع الأرض (اشراقا) نورا وضوءا (لماقا) الأصمعى رحمه الله هو: مايشرب فان أردت نفيه قلت ماذقت لماقا وأنشد:

كبرق لاح يعجب من رآه ولا يشفى الحوائم من لماق

الحوائم العطاش وحكى يعقوب أن اللماق يصلح فى الأكل والشرب قال ابن كيسان هو الشيء اليسير من الطعام والشراب (لست رقاقا) أكلت خبزا مرققا واللوس تتبع بقية الشيء الحلو فى فك .. ابن سيده: لاس لوسا تتبع الحلاوة فأكلها وما ذاق لوسا ولا لواسا أى ذوقا ولا يلوس كذا أى لايتناوله (أو تخبرنى) حتى تخبرنى (أين مدب صباك) يريد أين ولدت فد بت صغيرا (مهب صباك) مجىء ريحك وأراد أين بلدك (الصعداء) التنفس بتوجع وهى من فعل المهموم (استنزف الدمع) استفرغة بالبكاء حتى انقطع ونزفه وأنزفه

اسْتَنْصتَ الجَمع ، وَقال لى أرْعِنِى السَّمْع

مَسْقَطُ الرَّأسِ سَرُوجُ وبها كُنْتُ أمُوجُ
بَلْدَةٌ يُوجَـدُ فيها كلُّ شَىْءٍ وَيَرُوجُ
وِرْدُهَا مِنْ سَلْسَبِيل وَصَحَارِيها مُرُوجُ
وَبنُوهَا وَمَغَانِيهِمْ نُجُومٌ وبُرُوجُ
حَبَّذَا نَفْحَةُ رَيَّاهَا وَمَرْآهَا البَهِيجُ
وأزَاهِيرُ رُباها حِينَ تَنْجَابُ الثلوجُ

أفناه بالبكاء (استنصت) أمرهم بالسكوت (مسقط الرأس) يريد الذى سقط فيه رأسه عند ما ولد (أموج) أتصرف وأتحرك والمائج المضطرب (يروج) يتعجل (وردها) ماؤها (السلسبيل) عين فى الجنه والسلبيل الخمر (المروج) المواضع الخصبة (مغانيهم) منازلهم (البروج) منازل القمر وأراد أنهم فى الحسن والرفعة كالنجوم وأن دورهم فى العلو والاستواء كالبروج وسبقه الحلوانى القيروانى إلى هذا التشبيه فقال يتشوق إلى القيروان بعد خرابها :

ليت شعرى وليت حرف تمن ربما علل الفؤاد السقيما
كيف ياقيروان حالك لما نثر البين سلكك المنظوما
كنت أم البلاد شرقا وغربا فمحا الدهر وشيك المرقوما
نحن أولادها ولكن عققنا بعد أن لم نطق بها أن نقيما
دمن كانت البروج وكنا أقمرا فى بنائها ونجوما

وقال السرى يتشوق إلى الموصل وكان بحلب :

أمحل صبوتنا دعاء مشوق يرتاح منك إلى الهوى الموموق
فمتى ازور قباب مشرفة الذرا فأدور بين النسر والعيوق
فأرى الصوامع فى غوارب أكمها مثل الهوادج فى غوارب نوق
محمرة الجدران ينفح طيبها فكأنها مبنية بخلوق
حمر تلوح خلالها بيض كما فصلت بالكافور بين عقيق
كلفت تذكر قبل ناهية النهى ظلين ظل هوى وظل حديق
فتفرقت عبراته فى خده إذ لا مجير له من التفريق

وقال الثعالبى مانظرت إلى الصوامع مذ برزت من نيسابور إلاذكرت بيته فارى الصوامع واستأنفت العجب من حسن هذا التشبيه وبراعته (نفحة رياها) أى حركة رائحها الطيبة (مرآها البهيج) منظرها الحسن (وأزاهير رباها) أنوار كداها وهى جمع أزهار وأزهار جمع زهر وهو النور (تنجاب) تزول.. ثم قال سروج هى الموضع الذى أرست به جنة الدنيا اى ثبتت فيه فكأنه قال جنة الدنيا هى سروج وسروج هذه بلد بقرى

مَنْ رآها قال مرسى جَنَّةِ الدنيـــــا سَرُوجُ
ولِمَنْ يَنْزاحُ عنها زَفَــــرَاتٌ ونَشِيجُ
مِثْلُ مالاقَيْتُ مُذْ زَحْـ زَحَنِي عنها العُلُوجُ
عَبْرَةٌ تَهْمِي وشَجْوٌ كُلَّما قَــــرَّ يَهِيجُ
وهُمُومٌ كلَّ يومٍ خطبُها خَطْبٌ مَرِيجُ
ومَساعٍ فى التَّرَجِّى قاصِراتُ الخطوِ عُوجُ
لَيْتَ يومِى حُمَّ لَمَّا حُمَّ لِى مِنها الخُرُوجُ

وعمارات وهى من بلاد الجزيرة وكورها المشهورة والجزيرة انقسمت قسمين ديار ربيعه وديار مضروسروج من كور ديار مضر وهى ثغرية إذا كان للمسلمين قوة يملكونها وإذا ضعفوا غلبهم الروم عليها وهى كثيرة الثلج والبرد (ينزاح) يبعد (النشيج) البكاء (الزفرة) تنفس المهموم (زحزحنى) نحانى (تهمى) تسيل (شجو) حزن (قر) سكن (يهيج) يتحرك (خطبها) أمرها (مريج) مختلط (مساع)مواضع تصرفه ويكون المسعى مصدرا بمعنى السعى (قاصرات) أى قصيرة وكذا استعمالها لأن فعلها قصر واسم فاعلها فعيل مثل ظرف فهو ظريف (الخطو) جمع خطوة (عوج) معوجة (يومى حم) أى يوم موتى قدر أراد ليت أنى مت ولا أرى خروجى منها . أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى . جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد وأن يرزقه الله الانابة . . . وفى معنى وصفه سروج وبكائه عليها قال الحضرمى الأعمى يتشوق إلى القيروان :

أيا سقى الله ارض القيروان حيا كـانه عبراتى المستهلات
كأنها لذة الجنات تربتهـا مسكية وحصاها جوهريات
ارض أريضة اقطار مباركة لله فيها براهين وآيات

وحدثنى الفقيه أبو عبد الله بن زرقون فى بستانه بطريانة أيام قراءتى عليه النوادر والكامل ، وكان رحمه الله ذاكرا بالطريقة الأدبية مع تميزه بالطريقة الفقهية فدارت بينى وبينه فى إحدى العشيات أنواع من المذاكرات فى فنون أدبيات فاهتز رحمه الله وهش وأظهر السرور بى وأنا يومئذ غلام ما بقل عذارى فقال لقد علمت أن بينى وبينك أخوة قلت وكيف ذلك ياسيدى فقال إنى ولدت ببلدك شريش فزدت بالحديث غبطة واستزدت منه فقال لى ومع ذلك فثم قصة مستظرفة اعلم أنى كنت اجتزت بشريش قافلا من العدوة مع الفقيه أبى بكر عبد الله بن العربى رحمه الله فلما صرنا فى بطاحها وبين كرماتها وجنانها أخذ الفقيه أبو بكر يثنى عليها بكل لسان على كثرة ما رأى من البلدان ويقول إن الأشياء التى جمعت فيها لا تكاد تجتمع فى بلدة من كثرة الزرع والضرع والزيت والعصير والملح وغير ذلك فقلت له أعلمت أنى ولدت بها فقال لى أبو بكر أتقول أنت الآن مسقط الرأس شريش — فقلت له مجيزا : وبها كنت أعيش — فقال أبو بكر : بلدة يوجد فيها

قال فلمّا بيّن بلده ووعيتُ ما أنشده أيقنتُ أنّه علّامتنا أبو زيد ، وإنْ كانَ الهرمُ قد أوثقهُ بقيد ؛ فبادرتُ إلى مُصافحته ، واغتنمت مؤاكلتهُ منْ صحفته ، وعالمتُ مدّةَ مُقامى بمصر أعشو إلى شواظه ، وأحشو صدفتى منْ دُرَرِ ألفاظه ، إلى أنْ نعبَ بيننا غرابُ البيْن ، ففارقتهُ مُفارقةَ الجفنِ للعين

فقلت : كل شيء وريش ، فقال أبو بكر : وردها من سلسبيل ، فقلت : وصحاريها عريش

ثم سرنا فى طريقنا على قوافى السروجية فرددناها شريشية وقد منا بها الطريق ونحن لا نشعر فكانت أسر عشية ، رأيت بمجالسة مثل هذا الفاضل وسنه قد نيف على الثمانين بسنتين يحدثنى عن ابن العربى وابن عبدون الكاتب ونظرائهم فى رياض كلها نزهة على نهر اشبيلية وهى أمامنا على بهجتها وجمالها مادحا لى ولبلدى ليدخل على بذلك مسرة نسأل الله تعالى أن يبلغه غايه السرور فى دار البقاء (وعيت) أى حفظت (علامتنا) عالمنا المشهور بالعلم (أوثقه) ربطه وشده وقد تقدم هذا القبيل من الهرم فى أخبار وأشعار حسان (مصافحته) معانقته ووضع كفى على كفه . ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرىء يصافح أخاه ليس فى صدر واحد منهما على أخيه إحنة لم تتفرق أيديهما حتى يغفر الله عز وجل ما مضى من ذنوبهما - الإحنة الحقد (اغتنمت) حسبتها غنيمة (مؤاكلته) الأكل معه . ابن عمر رضى الله عنهما طعام السخى دواء وطعام الشحيح داء (ظلت) أى دمت قال الله تعالى الذى ظلت عليه عاكفا أى دمت عليه مقيما قال سيبويه رحمه الله أصله ظللت . الليث : يقال ظل نهاره صائما ولا تقول العرب ظل إلا لكل عمل بالنهار كما لا تقول بات إلا للعمل بالليل (أعشو) أنظر ببصر ضعيف (شواظه) ناره والشواظ لهب النار الذى لا دخان فيه (صدفتى) أذنى (نعب) صاح (البين) الفراق والغراب إذا صاح عندهم تشاءموا به وقد تقدم ذلك (مفارقة الجفن للعين) أى مسرعا بقدر ما تفتح عينك .

المقامة الحادية والثلاثون الرملية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال ؛ كنتُ فى عُنفُوانِ الشّباب ، ورَيعانِ العَيْشِ اللُّباب ، أقلى الاكْتِنانَ بالغاب ؛ وأهوَى الانْدِلاقَ مِنَ القِراب ، لِعِلْمِى أنّ السَّفَرَ يَنفِجُ السُّفَر ، ويُنتِجُ الظَّفَر ، ومُعاقَرَةَ الوَطَن ، تَعقِرُ الفِطَن ؛ وتَحقِرُ مَنْ قَطَن ،

شرح المقامة

(عنوان وريعان) معناهما أول (اللباب) الخالص (أقلى) ابغض (الاكتنان)الاستار والإقامة فى السكن (الغاب) الشجر الملتف وهو بيت الأسد وأراد به بلدته وأنه كان يكره الإقامة بها ويحب السفر (أهوى) أحب (الاندلاق) الخروج بسرعة وسهولة (القراب) وعاء يجعل فيه السيف وهو غمده (السفر) جمع سفرة وهى التى يجعل فيها الخبز ويضم عليها بحلق وتستعمل فى السفر (ينفج) يكثر أى تكثر المأكولات فى السفر فتنفج به (ينتج) يولد (الظفر) الفوز بالحاجة (معاقرة الوطن) ملازمة بلد الإنسان (تعقر الفطن) تميت القلوب وتبلد الأذهان (قطن) سكن وأقام فيريد أن الإقامة فى بلد الإنسان تحقر شأنه وتبلد خاطره وقال الشاعر :

أنفق من الصبر الجميل فانه ... لم يخش فقرا منفق من صبره
والمرء ليس ببالغ فى أرضه ... كالصقر ليس بصائد فى وكره

وأنشد الفنجديهى: نقل ركابك فى الفلا ... ودع العوالى والقصور
فمحالفو أوطانهم ... أشباه سكان القبور
لولا التغرب ما ارتقى ... در البحور إلى النحور

وقالوا من لم يصاحب البر والفاجر ولم يؤدبه الرجاء مرة والشدة أخرى ولم يخرج من الظل إلى الشمس فلا ترجه ، وتقدم مثل هذا فى التاسعة ، وقال أبو العباس الأعمى :

مللت حمص وملتنى فلو نطقت ... كما نطقت تلاحينا على قدر
وسولت لى نفسى أن أفارقها ... والماء فى المزن أصفى منه فى الغدر
أما اشتفت منىَ الأيام فى وطنى ... حتى تضايق بى ما عز من وطرى
ولا قضت من سواد العين حاجتها ... حتى تكر على ماكان فى السفر

وقال البحترى : وليس اغترابى من سجستان أننى ... عدمت بها الإخوان والدار والأهلا
ولكننى مالى بها من مشاكل ... وان الغريب الفرد من يعدم الشكلا

ولأبى الفتح البستى عفا الله عنه :

ما أنصفت بغداد حين توحشت ... لنزيلها وهى المحل الآنس
لم يرع لى حق القرابة مجتر ... فيها ولا حق المروءة فارس

وتعقب عليه المعرى فى هذا فقال فى أبى القاسم على بن الحسن التنوخى القاضى :

فَأَجَلْتُ قِداحَ الاسْتِشارَة ، واقْتَدَحْتُ زِنادَ الاسْتِخارَة ، ثم اسْتَجَشْتُ جاشًا أثبتَ مِنَ الحِجارَة ، وَأَصْعَدْتُ إلى ساحِلِ الشَّامِ للتِّجارَة ، فلمَّا خَيَّمْتُ بالرَّمْلَة ، وَأَلْقَيْتُ بِها عَصَا الرِّحْلَة ، صادَفْتُ بِها رِكابًا تُعَدُّ لِلسُّرَى ، وَرِحالًا تُشَدُّ إلى أُمِّ القُرَى ،

ذم الوليد ولم أذم جواركم — فقال ما أنصفت بغداد حيتا
فان لقيت وليدا والنوى قذف — يوم القيامة لم أعدمه تبكيتا
أحسنت ماشئت فى تأنيس مغترب — ولو بلغت المدى أحسنت ماشيتا

وقال أبو الفتح البستى :

وما غربة الإنسان فى شقة النوى — ولـكنها والله فى عدم الشكل
وإنى غريب بين بست وأهلها — وإن كان فيها أسرتى وبها أهلى

ولأبى بكر بن تقى : أقمت فيكم على الإقتار والعدم — لو كنت حرا أبى النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر — ولا سماؤكم تنهل بالديم
أنا امرؤ إن نبت بى أرض أندلس — جئت العراق فقامت لى على قدم
ما العيش بالعلم إلا حالة ضعفت — وحرفة وكلت بالقعدد الهرم

وللفقيه أبى محمد بن حزم :

ولى حول أكناف العراق صبابة — ولاغروأن يستوحش الكلف الصب
بأن ينزل الرحمن رحلى بينهم — فحينئذ يبدو التأسف والكرب
هنالك يدرى أن للبعد قصة — وإن كساد العلم آفته القرب

(أجلت) أى صرفت (قداح) سهام (الاستشارة) مشاورة غيره فى رأيه وإجالة القداح تأتى فى الثالثة والأربعين واستعار هنا لمن يستشيره فى أمر السفر قداحا فان وافق رأيه فكأنه خرج له على السهم أفعل وإن خالفه فكأنه خرج عليه لا تفعل (اقتدحت) ضربت (زناد) ما يكون فيه النار (الاستخارة) طلب الخيرة من الله تعالى (استجشت) حركت (جاشا) نفسا وهى فى سكونها عن السفر كالحجر فلا تتحرك للسفر (أصعدت) طلعت (خيمت) أقمت (الرملة) بلده بالشام سمتها العرب بالرملة لما غلب عليها الرمل وهى من كورة فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا وكانت لد مدينة فلسطين القديمة فلما ولى الخلافة سليمان بن عبد الملك ابتنى مدينة الرملة وخرب لد ونقل أهل لد إليها فصارت الرملة مدينة فلسطين (ألقيت) تركت (الرحلة) الارتحال وكنى بالقاء العصا عن الاقامة بعد أن تهيأ (أم القرى) مكة وكنا نوينا ترك ذكر مكة لشهرتها ثم وجدنا شيخنا ابن جبير قد ذكر فيها أشياء قل من يضبطها فأثبتناها إعلاما لمن أحب استطلاعها وتبركا بذكر البيت الشريف أعزه الله تعالى .. قال شيخنا : مكة بلدة وقد وضعها الله تعالى بين جبال محدقة بها وهى فى بطن واد مدينة كبيرة مستطيلة لها ثلاثة أبواب باب المعلاة يخرج منه إلى الجبانة بالموضع الذى يعرف بالحجون عن يسار المار اليها جبل فى أعلاه

ثنية عليها علم يشبه البرج منها إلى العمرة وتعرف الثنية بكداء. وهي التي جعلها حسان موعد خيل الاسلام في قوله: تثير النقع موعدها كداء. ومنها دخلت مكة يوم الفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان، والحجون هو الذي قال فيه الحرث بن مضاض:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا　　أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وعن يسار المار اليها جبل وفى جبانة الحجون مدفن جماعة من الصحابة دثرت اليوم قبورهم وفيها بقية علم الظاهر وهو موضع خشبة عبد الله بن الزبير كان فى موضعه بناء مرتفع فهدمه أهل الطائف غيرة منهم على لعنة الحجاج صاحبهم وعن يمينك إذا استقبلت الجبانة مسجد فى مسيل بين جبلين وهو الذى بايعت الجن فيه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى باب الحجون طريق الطائف والعراق والصعود إلى عرفات والباب بين الشرق والشمال مائلا إلى الشرق . الباب الثانى باب السفلى إلى جهة الجنوب عليه طريق اليمن ومنه دخل خالد بن الوليد يوم الفتح، الباب الثالث باب العمرة يعرف بالباب الزاهر عليه طريق المدينة والشأم وجدة وهو غربى ومنه يخرج إلى التنعيم وهو على فرسخ من مكة وهو أقرب ميقات للمعتمرين وطريقه حسن فيه الآبار العذبة المسماة بالشبيكة وعلى ميل من مكة فى طريق التنعيم يلقى مسجد بازائه حجر كالمصطبة يعلوه حجر آخر مسند فيه نقش دائر ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قعد عليه مستريحا عند مجيئه من العمرة يمسح الناس خدودهم به تبركا وبعده بغلوة على يسار الطريق قبر أبى لهب وامرأته قد علاهما جبلان عظيمان من الصخر لرجم الناس على قديم الدهر وعلى قدر ميل يلقى الزاهر وهو مبنى على جانب الطريق يحتوى على دار وبساتين لأحد المكيين وفيه مكان مستطيل عليه كيزان الماء ومراكن مملوءة وهى القصارى للشرب والطهور وفيه منفعة كبيرة للمعتمرين وعلى جانبي الطريق فى الزاهر أربعة أجبال جبلان من هنا وجبلان من هنا يذكر أنها التى جعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام أجزاء الطير عليها ثم دعاها عند قوله رب أرنى كيف تحيى الموتى وعند إجازتك بالزاهر تمر بالوادى المعروف بذى طوى كان ابن عمر رضى الله عنهما يغتسل فيه عند دخوله مكة وفيه نزل النبي عليه الصلاة والسلام عند دخوله وفيه مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه آبار تعرف بالشبيكة ثم تخرج من الوادى إلى أعلام وهى أحجار موضوعة بين الحل والحرم كالأبراج المصفوفة فداخلها إلى جهة مكة حرم الأبراج واخذة من أعلى جبل يعترض عن يمين الطريق إلى العمرة وينشق الطريق إلى جبل عن يساره وهما ميقات المعتمرين وخارجها بنحو غلوتين مسجد عائشة رضى الله عنها ... ومن جبال مكة جبل أبى قبيس وهو على الحرم فى الجهة الشرقية يقابل الحجر الاسود فى أعلاه مسجد عليه سطح يشرف على مكة ويظهر حسنها وحسن الحرم واتساعه وجمال الكعبة وهو مستودع الحجر الاسود زمن الطوفان حتى أداه إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه قبر آدم عليه السلام وهو أحد أخشبى مكة والأخشب الثانى المتصل بقعيقعان فى الجهة الغربية وفيه موقف النبي صلى الله عليه وسلم عند انشقاق القمر ... ومن جبالها حرا على مقدار فرسخ ومشرف على منى وهو مرتفع فى الهواء كان متعبد النبي صلى الله عليه وسلم وهو اهتز تحته فقال اسكن حرا فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما وفيه نزلت أول آية من القرآن وهو آخذ من الغرب إلى الشمال وعلى طرفه الشمال جبانة الحجون المتقدمة . ومن جبالها جبل ثور وهو فى الجهة اليمانية على فرسخ أو أزيد وفيه الغار

الذى آوى اليه النبى صلى الله عليه وسلم وعلى مقربة من الغار قبة جبريل وهى عمود منقطع من الجبال قد قام شبه الذراع المرتفعة مقدار نصف القامة وانبسط من أعلاه شبه الكف كأنه قبة مبسوطة يستظل تحتها نحو العشرين رجلا ومن مكة إلى منى نحو خمسة أميال . ومنى مدينة عظيمة الآثار واسعة الاختطاط وقد خربت اليوم إلا منازل يسيرة محدثه للنزول كان الطريق اليها الميدان اتساعا وانفساحا وأول ما يلقى المتوجه اليها بقربها مسجد البيعة التى عقدها العباس للنبى صلى الله عليه وسلم على الأنصار ثم يفضى بها إلى جمرة العقبة وهى أول منى وعليها مسجد وبها علم منصوب شبه أعلام الحرم المذكورة يجعله الرامى عن يمينه مستقبلا مكة ويرمى بها سبع حصيات يوم التحلية أثر طلوع الشمس ثم ينحر أو يذبح ويحلق أو يقصر ومنى كلها منحر ويحل له كل الأشياء إلا النساء وبعدها الجمرة الوسطى وبها أيضاً علم وبين الجمرتين قدر غلوة وبعدها بمقدار غلوة الجمرة الأولى التى ترمى وقت الزوال ثانى يوم النحر بسبع حصيات وفى الوسطى بسبع وفى جمرة العقبة بسبع فتلك إحدى وعشرون حصاة يفعل ذلك فى ثالث يوم النحر فتلك اثنتان وأربعون حصاة وسبع تقدمت يوم النحر فكمل تسع وأربعون حصاة وفى أثر ذلك ينفض الحاج إلى مكة وعند الجمرة الأولى يلفى مجرى الذبيح عليه السلام وفى موضع المجرى حجر ملصق بجدار فيه أثر قدم صغيرة يقال أنها أثر قدمه عند تحركه لان له الحجر إشفاقا فيقبله الناس ويلمسونه تبركا به . ومسجد الخيف آخر منى وهو متسع الساحه كأكبر ما يكون من الجوامع وصومعته فى رحبة المسجد وله فى القبلة أربع بلاطات وهو مسجد مشهور البركة .. ومن منى إلى المزدلفة نحو خمسة أميال والمزدلفة تسمى المشعر الحرام وجمعا فلها ثلاثة أسماء ووادى محسرحد بين المزدلفة ومنى والمزدلفة بسيط من الأرض فسيح حولها صهاريج للماء وفى وسط البسيط حلق وفى وسطها قبة فى أعلاها مسجد يصعد اليه على أدراج من جهتين يزدحم الناس عليه للصلاة فيه عند مبيتهم بها وبين المزدلفة وعرفات أزيد من خمسة أميال وعرفات بسيط من الأرض مد البصر لو حشر الخلائق فيه لوسعهم تحدق به جبال كثيرة ، وفى آخر البسيط جبل الرحمة وهو موقف الناس والعلمان قبله فما أمامهما إلى عرفات جبل وما دونهما حرم وجبل الرحمة منقطع عن الجبال قائم فى البسيط فهو كله حجارة وكان صعب المرتقى فأحدثوا فيه من أربع جهاته أدراجا وطيئة يصعد فيها بالدواب الموقرة وفى أعلاه قبة تنسب لأم سلمة رضى الله عنها وفى وسطها مسجد يحدق به سطح فسيح الساحة جميل المنظر يزدحم الناس عليه للصلاة فيه فيشرف منه على بسيط عرفات وفى أسفله عن يسار القبلة دار عتيقة البنيان فيها غرف لها طيقان تنسب إلى آدم عليه الصلاة والسلام وعن يسارها مسجد صغير وبمقربة من العلمين مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقى منه الجدار القبلى يخطب فيه الخطيب يوم الوقفة ثم يجمع بين الظهر والعصر ثم يقف الناس بعد جمعهم الظهر والعصر باكين داعين متضرعين حتى يغيب قرص الشمس ثم يدفع الأمام المالكى بالناس بالنفر دفعا ترتج منه الجبال فيصلون بمزدلفة المغرب والعشاء الآخرة فيبيتون بها والدنيا كلها شموع مسرجة فاذا صلوا الصبح غدوة النحر وقفوا داعين ومزدلفة كلها موقف الا وادى محسر فان فيه تقع الهرولة إلى منى فاذا بلغوا رموا بها جمرة العقبة ثم ينفر الناس إلى البيت المكرم إلى طواف الافاضة وهو كمال الحج. وأما البيت المكرم فهو قريب من التربيع له أربع أركان ركن ينظر إلى الشرق وفيه الحجر الاسود ومنه ابتداء الطواف يبعد الطائف عنه قليلا والبيت عن يساره ثم يلفى بعد ذلك فى طوافه

فَعَصَفَتْ بِى رِيحُ

الركن العراقى وهو ناظر إلى الشمال ثم الركن الشامى وهو ناظر إلى المغرب ثم الركن اليمانى وهو ناظر إلى الجنوب ثم يعود إلى الركن الذى فيه الحجر الاسود وذلك شوط واحد وباب البيت فى الصفح الذى بين ركن الحجر والركن العراقى وهو قريب من الحجر بعشرة أشبار وما بين الحجر والباب يسمى الملتزم وهو موضع استجابة الدعاء ويرتفع الباب من الأرض أحد عشر شبرا ونصفا والباب من فضة مذهب بديع الصنعة يستوقف الأبصار حسنا وعضادتاه كذلك وعتبته العليا كذلك وعلى رأسها لوح ذهب خالص أبريز فى سعة نحو شبرين وله نقارتا فضة كبيرتان يتعلق عليهما قفل الباب والباب ناظر إلى الشرق وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا وغلظ الحائط الذى ينطوى عليه الباب خمسة أشبار وداخل البيت مفروش بالرخام المجزع وحيطانه كلها رخام مجزع قد قام على ثلاثة أعمدة من الساج مفرطة الطول بين كل عمود وعمود أربع خطا ودائر البيت كله من نصفه الأعلى مطلى بالفضة المذهبة يخيل اليك أنها صفحة ذهب لغلظها بالجوانب الأربع وللبيت خمسة مضاو وعليها زجاج عراقى بديع النقش أدرجت فى وسط السقف ومع كل ركن مضوأ ويلى الداخل من الباب عن يساره ركن الحجر الاسود وباب الرحمة هو الذى يصعد عليه إلى السطح والمقام حجر مغشى بالفضة ارتفاعه ثلاثة أشبار وسعته شبران أعلاه أوسع من أسفله وآثار القدمين والأصابع فيه صب لنا فيه ماء زمزم فشربناه منه ومن الباب إلى الركن العراقى حوض طوله اثنا عشر شبرا وعرضه خمسة اشبار وارتفاعه شبر هو علامة موضع المقام وهو مصب ماء البيت وموضع المقام الذى يصلى فيه مابين الباب والركن العراقى وموضع المقام قبة حديد موضوعة إلى جانب قبة زمزم ترفع فى أشهر الحج وتزال قبة الخشب لأنها أجمل الازدحام الناس ومن ركن الحجر إلى الركن العراقى أربعة وخمسون شبرا ومن الحجر الاسود إلى الأرض ستة أشبار فالطويل يتطامن لتقبيله والقصير يتطاول له وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كأنها الرخام سود وحمر وبيض تتسع عن البيت مقدار تسع خطا وسائر الحرم مفروش برمل أبيض وطواف النساء فى آخر الحجارة المفروشة والحجر ستة أذرع وهو الذى تركته قريش من البيت وعليه جدار دوره تسع وعشرون خطوة وهى أربعة وسبعون شبرا من داخل الدويرة ودور جداره كله مجزع بديع الالصاق من الرخام وهو مفروش بالرخام المجزوع البديع التفاريع والتقاطيع فمرآه عجيب والحرم له ثلثمائة سوار من الرخام ودرع الحرم فى الطول أربعمائة ذراع وفى العرض ثلثمائة دراع فتكسيره ثمانية وأربعون مرجعا وله تسع صوامع وتسعة عشر بابا أكثرها مفتح على الأبواب منها باب الصفا وهو مفتح على خمسة أبواب وهو أكبرها وعليه يخرج إلى السعى بين الصفا والمروة وللصفا أربع عشرة درجة وللمروة خمسة وما بين الصفا والمروة ميل وهو اليوم سوق جميل يجمع الفواكه بمكة وحوانيت الباعة يمين وشمال فلا يكاد الساعون يخلصون للسعى لكثرة الزحام ;وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الأسود ومنها اليه أربع وعشرون خطوة وداخلها مفروش بالرخام الأبيض وتنور البئر فى وسطها من رخام دوره أربعون شبرا وارتفاعه أربعة أشبار ونصف وغلظه شبر وعمقه إحدى عشرة قامة وعمق الماء سبع وباب القبة ناظر إلى الشرق ثم ذكر فى البيت وما يتصل به من البئر من ذلك غرائب من صنع الرخام والنقوش وغير ذلك أشياء لايسع كتابنا ذكرها فلنقتصر على هذا القدر (عصفت)

الغَرام ، وَاهتاجَ لى شَوقٌ إلى البَيتِ الحَرام ، فَزَمَمْتُ نَاقتِى ، وَنَبذتُ عُلَقى وعِلاقَتى

وَقُلتُ للائمى أقصِرْ فإنِى سأختَارُ المَقَامَ عَلَى المُقَامِ
وأُنفِقُ ما جَمعتُ بِأرضِ جَمع وأسلُو بالحَطِيمِ عَن الحُطَامِ

ثم انتظمتُ مَع رُفقةٍ كَنُجُومِ اللَّيلِ ، لَهُمْ فى السَّيْرِ جَرْيَةُ السَّيلِ ، وإلى الخَيرِ جَرْىُ الخَيل ، فلم نَزَلْ بَينَ إدلاجٍ وَتأويب ، وَإيجافٍ وتَقرِيب ، إلى أنْ حَبَتْنَا أيدى المطَايَا بالتُّحفَة ؛ فى إيصالنَا إلى الجُحفَة ، وَحَلَلْنَاهَا مُتأهِّبِينَ للإحْرَام ، مُتبَاشِرينَ بإدراكِ المَرَام فلم يَكُ إلا أنْ أنخنَا بِهَا الركائب، وَحطَطْنَا الحَقَائب حَتى طَلَعَ عَلَينَا مِنْ بَينِ الهِضَاب، شَخصٌ ضَاحِى الإهَاب ، وَهُوَ يُنَادِى يَا أَهْلَ ذا النَّادى، هَلُمَّ إلى ما يُنجِى يَوْمَ التَّنَادِى ، فَانخَرَطَ إليه الحَجِيجُ وانصَلَتُوا ، واحتَفُوا بِهِ وأنصَتُوا ، فلمَّا رَأى تأنُّفَهُم حَوْلَه ، واستِطعَامَهُمْ قَولَه ، تَسَنَّمَ إحْدَى الآكَامِ ، ثمَّ تنَحنَحَ مُستفتِحًا للكَلَامِ ، وقال يَا مَعشَرَ الحُجَّاجِ ، النَّاسِلينَ مِنَ الفِجَاجِ أتعقِلُونَ ما تُواجِهُون ، وَإلى مَنْ تَتوجَّهُونَ ، أمْ تَدرُون عَلَى مَنْ تَقدَمُون ، وَعَلامَ تُقدِمُونَ ، أتخَالُونَ أنَّ الحَجَّ هُوَ اختِيَارُ الرَّوَاحِل ، وقَطعُ المَرَاحِل ، واتِّخاذ المَحَامِل

تحرك واشتدت (الغرام) الشوق (اهتاج) تحرك (زممت) شددت زمامها (نبذت) رميت (علق) ما يتعلق به ويمسكه عن إرادته (علاقتى) ما يتعلق بقلبى (أقصر) كف (المقام) مقام إبراهيم عليه السلام (المقام) الاقامة (جمع) اسم المزدلفة سميت بذلك لاجتماع الناس فيها (الحطيم) حجر بمكة (الحطام) كسب الدنيا (انتظمت) ارتفعت (كنجوم الليل) أى هم أشراف وأهل أحساب (جرية) انصباب (الادلاج) سير الليل (تأويب) سير النهار (إيجاف) إسراع (تقريب) جرى متقارب (حبتنا) أوصلتنا وأعطتنا (التحفة) الهدية (إيصالنا) توصلنا (الجحفة) ميقات أهل الشأم ومصر والمغرب وبينها وبين البحر سبعة أميال (حللناها) نزلنا فيها (الاحرام) الدخول فى الحرم (متباشرين) يبشر بعضنا بعضا (بإدراك المرام) بلوغ الحاجة (أنخنا الركائب) بركنا الابل بالأرض (حططنا الحقائب) أنزلنا الاحمال عن ظهورها (الهضاب) الكدى واحدتها هضبة (ضاحى الاهاب) بارز الجلد أى ثوبه خلق لا يستره (النادى) المنزل (هلم) أى أقبلوا (يوم التنادى) أى يوم البعث لاجتماع الناس فيه أو لأنه ينادى للحساب (انخرط) اندفع بسرعة (الحجيج) اسم لجماعة الحجاج (انصلتوا) خرجوا مسرعين اليه (احتفوا) استداروا (وأنصتوا) سكتوا (تأنفهم) اجتماعهم وثبوتهم حتى صاروا له كالاثافى للقدر (استطعامهم قوله) استدعاؤهم كلامه (تسنم) ارتفع عليها وأصل تسنم ركب البعير (الآكام) الكدى (الناسلين) المسرعين (الفجاج) الطرق (تعقلون) تفهمون (تواجهون) تستقبلون بوجوهكم بريد البيت (إلى من تتوجهون) تقصدون (الرواحل) الأبل (المراحل) المواضع يرحل اليها وينزل فيها (المحامل) آلات من خشب يركب عليها واحدها محمل يقال إن الحجاج أول من أحدثها ولذلك قال الشاعر :

أول عبد صنع المحاملا أخزاه ربى عاجلا وآجلا

وإيقَارُ الزَّوامِل ، أمْ تظُنُّونَ أنَّ النُّسكَ ، هوَ نَضوُ الأرْدان ، وإنضاء الأبْدان ، ومُفَارَقَةُ الولدان ، والتَّنائى عَن البُلْدان ، كلاَّ واللهِ بلْ هوَ اجْتنابُ الخطِيَّة ، قبلَ اجْتِلاب المَطِيَّة ، وإخلاصُ النِّيَّة ، فى قصْد تلْكَ البَنِيَّة ، وإمحاضُ الطَّاعَة ، عِندَ وُجْدان الاسْتطاعَة ، وإصْلاحُ المُعامَلات ، أمامَ إعْمَال اليَعْمَلات ، فوَ الذى شَرَعَ المَنَاسِكَ للنَّاسِك ، وأرْشدَ السَّالكَ فى اللَّيلِ الحالِك ، ما يُنقى الاغتِسالُ بالذُّنُوب ، مِنَ الانْغِماسِ فى الذُّنُوب ، ولا تعْدِل تعْرِيَةُ الأجْسام ، بتعْبِيَةِ الأجْرام ، ولا تُغنى لِبسَةُ الإحْرام ، عَنِ المُتلبِّس بالحرام ، ولا ينفَعُ الاضطبَاع بالإزار ، مع الاضطِلاع بالأوْزار ، ولا يُجدى التَّقرُّبُ بالحَلْق ، مع التَّقلُّب فى ظُلْم الخلْق ، ولا يرْحضُ التَّنسُّكُ فى التَّقْصير ، دَرَنَ التَّمَسُّكِ بالتَّقْصير ، ولا يسْعدُ بعَرفَة ، غيْرُ أهْلِ المعْرِفَة ، ولا يزْكو

(الزوامل) جمع زاملة وهى البعير وغيره من الدواب يحمل عليها الطعام وإيقارها رفع الأوقار عليها وهى الاحمال والوقر الحمل (النسك) التعبد (نضو الاردان) تجريد المخيط من الثياب (التنائى) التباعد (اجتناب) بعد واجتنبته بعدت عنه وتركته (الخطية) الذنب يريد أن أول ما يجب على الحجاج أن يقدموا التوبة (البنية) هى الكعبة (الحاض) إخلاص (وجدان) إصابة (الاستطاعة) القدرة على الشىء وهى شرط وجوب الحج (المعاملات) الأفعال التى يتعامل بها الناس بينهم من المبايعات وغيرها وأراد إصلاح فعل العبد بينه وبين ربه (إعمال اليعملات) استعمال الإبل للمشى واليعملة الناقة تعمل كثيرا فى المشى (شرع) فرض (المناسك)مواضع الذبح والنحر (الناسك) الذى يأتى بنسك وهو ما يذبح أو ينحر فى الحرم (أرشد السالك) على الطريق للمشى فيها (الحالك) الشديد السواد (الذنوب) الدلو (الانغماس) الغطس يريد أن التطهر لا يزيل الذنوب وما أحسن قول الحلوانى فى غلام وسيم أراد النهوض للحج :

ياطالب الحج وهو ذو صغر عجلت فاستأنه إلى الكبر
إن كنت تبغى مثوبة فعسى تحمل لى قبلة إلى الحجر
وإن رميت الجمار فارم بها كل فؤاد عليك لم يطر
فقال دعنى وزمزما فعسى أغسل عن وجنتى دم البشر

(تعدل) أى تقاوم وتساوى (الاجرام) الاجسام واحدها جرم (تعبية الاجرام) تحمل أعباء الذنوب (لبسة) هيئة اللباس (التلبس) التعلق والاختلاط (الاضطباع) الاشتمال والالتحاف واضطبع الرجل بثوبه إذا أدخله تحت عضده الأيمن وألقاه على منكبه الأيسر (الاضطلاع) القيام بها (الأوزار) أثقال الذنوب (يجدى) ينفع (يرحض) يغسل (التقصير) الأخذ من الشعر (درن) وسخ (التمسك) التعلق (التقصير) التضييع وترك الاجتهاد (عرفة) يوم من أيام الحج سميت بذلك لأن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة نزل بالهند وحواء بجدة فالتقيا بعرفة فسمى موضع التقائهما ويوم التقائهما عرفة وقيل هى من العرف وهو الصبر ورجل عارف أى صابر فسمى الموضع عرفة لصبر الناس على القيام به للدعاء وقيل هى من العرف وهو الريح الطيبة لأنها طيبة بنسبتها إلى منى لما بمنى من أقذار الفروث والدماء لأن بمنى ينحر الهدى (يزكو)

بالخَيف ، مَنْ يَرْغَبُ فى الخَيف ، ولا يَشْهَدُ المَقام ، إلَّا مَنِ استَقام ، ولا يَحظَى بقَبُولِ الحجّة ، مَنْ زاغَ عَنِ المَحجّة ، فرَحِمَ اللهُ امرَأً صفا قَبلَ مَسْعاهُ إلى الصَّفا ، وورَدَ شَريعَةَ الرِّضا ، قَبلَ شُرُوعِهِ على الأضا ، ونَزَعَ عَنْ تَلبِيسِهِ ، قَبلَ نَزْعِ مَلبُوسِهِ ، وفاضَ امعْرُوفِهِ ، قَبلَ الإفاضَةِ مِنْ تَعْرِيفِهِ ، ثم رَفَعَ عَقِيرَتَهُ بِصَوْتٍ أسْمَعَ الصُّمَّ ، وكادَ يُزَعْزِعُ الجبالَ الشُّمَّ ، وأنشد :

ما الحَجُّ سَيْرُكَ تأويباً وإدْلاجا ... وَلا اعْتِيامُكَ أجمالًا وأحْداجا

ألحجُّ أنْ تَقصِدَ البَيْتَ الحَرامَ عَلَى ... تَجْرِيدِكَ الحجَّ لاتَقْضِي بِهِ حاجا

وتَمتَطِي كاهلَ الإنصافِ مُتَّخِذاً ... رَدْعَ الهَوَى هادِياً والحق مِنهاجا

وَأنْ تُواسِيَ ما أُتِيتَ مَقْدُرَةً ... مَنْ مَدَّ كَفًّا إلى جَدْواكَ مُحْتاجا

فَهذِهِ إنْ حَوَتْها حَجَّةٌ كَمُلَتْ ... وإنْ خلا الحجُّ منها كانَ إخْداجا

حَسْبُ المُرائِينَ غَبْناً أنهم غَرَسُوا ... وَمَا جَنَوْا ولَقُوا كدًّا وإزْعاجا

وَأنَّهُمْ حُرِمُوا أجرًا وَمَحْمَدَةً ... وألحمُوا عِرْضَهُمْ مَنْ عابَ أوْ هاجَى

يكون ناميا والزكاء النماء والصلاح (الخيف) موضع بمكة سمى بالخيف وهو ما ارتفع من الأرض عن موضع السيل وانحدر عن غلظ الجبل (الحيف) الظلم (يحظى) يسعد ويظفر (زاغ) مال وخرج (المحجة) الطريق المستقيم (صفا) خلص قلبه (مسعاه) سعيه وجريه (الصفا) صخرة بمكة (ورد) دخل (شريعة الرضا) طريقة الخير والشريعة فى النهر والغدير الطريق يهبط عليه إلى الماء وبه سميت شريعة الدين لأنه طريق موصل إلى الله تعالى فورد الشريعة دخل فيها ووصل إلى الماء وشرعت الدواب فى الماء دخلت فيه (الاضا) الغدران (نزع) زال وكف (تلبيسه) تخليطه (الإفاضة) آخر الطواف (تعريفه) وقوفه بعرفة (عقيرته) كناية عن صوته (يزعزع) يحرك (الشم) المرتفعة (اعتيامك) اختيارك (أحداجا) جمع حدج وهو ما يجعل على ظهر البعير يركب عليه (حاجا) جمع حاجة (تمتطى) تركب (كاهل) مقدم الظهر (ردع) كف ورد (هاديا) دليلا (منهاجا) طريقا (تواسى) تعطى (جدواك) عطيتك (حوتها) جمعتها (اخداجا) نقصانا (المرائين) لمظهرين الخير وهم على خلافه (حسب) بمعنى يكفى (كدا) عجلة وشدة , الازعاج) ضد السكون والقرار وأزعجته لم ندعه يستقر (حرزا) تحصيلا وأحرزه جعله تحت حرز (الحمره) أمكنوه من لحمه (العرض) ما يسب من الرجل أو يمدح (هاجى) شاتم وساب .. ومما قيل فى الرياء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء ، وقال صلى الله عليه وسلم لا رياء ولا سمعة من يسمع يسمع الله به ، وقال صلى الله عليه وسلم من أسر سريرة ألبسه الله رداءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وقال من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، وقال الشاعر :

وإذا أظهرت شيئا حسنا ... فليكن أحسن منه ماتسر

فسر الخير موسوم به ... ومسر الشر موسوم بشر

وقال يحيى بن أكثم: يقول لى القاضى معاذ مشاورا ... وولى امر أفيما يرى من ذوى الفضل
بعيشك ماذا تحسب المرء فاعلا ... فقلت وماذا يفعل الذئب فى النحل
يدق خلاياها ويأكل شهدها ... ويترك للزبال ماكان من فضل

وأنشد الفرزدق: رئيس السوق محمود السجايا ... يقصر عن مدائحه البليغ
نسميه بيحيى وهو ميت ... كما أن السليم هو اللديغ
يعاف الوردان ظمئت حشاه ... وفى مال اليتيم له ونوغ

وللابيض فى الفقهاء المرائين:

أهل الرياء لبستم ناموسكم ... كالذئب يدلج فى الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك ... وقسمتم الأموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب ... وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وله فى نحوه أيضا: قل للامام سنا الأئمة مالك ... نور العيون ونزهة الأسماع
لله درك من همام ماجد ... قد كنت راعينا فنعم الراعى
فمضيت محمود النقيبة طاهرا ... وتركتنا قنصا لشر سباع
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل طاوى ... الجشى متكفت الأضلاع
نشكوك دنيا لم تزل بك برة ... ماذا رفعت بها من الأوضاع

وفى الاسرائيليات: جاءت عصفورة على فخ فقالت له مالى أراك منحنيا قال لكثرة صلاتى انحنيت قالت فمالى أراك بادية عظامك قال لكثرة صيامى بدت عظامى قالت فما هذا الصوف عليك قال لزهادتى لبست الصوف قالت فما هذه الحبة فى يدك قال قربان إن مر بى مسكين ناولته إياها قالت فانى مسكينة قال خذيها فقبضت على الحبة فاذا الفخ فى عنقها فصاحت قعى قعى تفسيره لاغرنى مراء بعدك أبدا: قال الشاعر:

نعوذ بالله من أناس ... تشيخوا قبل أن يشيخوا
تقوسوا وانحنوا رياء ... فاحذرهم أنهم فخوخ

وكان الصائد يصيد العصافير فى يوم بارد فكان يذبحها والدموع تسيل فقال عصفور لصاحبه لا بأس عليك من الرجل أما تراه يبكى فقال له الآخر لاتنظر دموعه وانظر ماتصنع يداه. ورأى بعضهم ثم هتك الله ستره فقال:

بينما أنا فى توبتى مقبلا ... قد شبهونى بابن داود
وقد حملت العلم مستظهرا ... وحدثوا عنى بإسناد
إذا خطر الشيطان بى خطرة ... نكست منها فى أبى جاد

ابن داود عابد بمكة: صلى رجل مراء فقيل له ماأحسن صلاتك قال ومع ذلك فانى صائم. وقال طاهر بن الحسين لأبى عبد الله المروزى كم لك منذ نزلت العراق قال منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة قال يا أبا عبد الله سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسئلتين. وأمر عمر لرجل بكيس فقال آخذ الخيط فقال عمر ضع

أَخَىَّ فَابْغِ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ قُرَبٍ وَجْهَ الْمُهَيْمِنِ وَلَّاجاً وَخَرَّاجا
فَلَيْسَ تَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ إِنْ أَخْلَصَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَاتِ أَوْ دَاجَى
وبادِرِ الْمَوْتَ بِالْحُسْنَى تُقَدِّمُهَا فَمَا يُنَهْنِهُهُ دَاعِي الْمَوْتِ إِنْ فَاجَا
واقْنَ التَّوَاضُعَ خُلُقاً لا تُزَايِلُهُ عَنْكَ اللَّيَالِي وَلَوْ أَلْبَسْنَكَ التَّاجَا
ولاتَشِمْ كُلَّ خَالٍ لاحَ بَارِقُهُ وَلَوْ تَرَاءَى هَتُونَ السَّكْبِ ثَجَّاجا

السكيس . وكتب رجل عند الحسين كتابا فقال أتجعلني فى حل من تراب الحائط فقال يا أخى بل ورعـك لايتكسر وأخبارهم كثيرة (ابغ) أى أطلب (القرب) أفعال البر التى تقرب من الله تعالى واحدها قربة (ولاجا وخراجا) أى كيف تصرف فيها (داجى) ساتر العداوة ونافق (الحسنى) اسم للفعل الحسن وتكون الحسنى مؤنثة الأحسن فتلزمها اللام كالكبرى والأكبر ويابه وتكون الحسنى كالبشرى والرجعى (ينهنه) يزجر ويكف (فاجا) جاء بغتة ولبعضهم :

وهل نحن الا مرامى السهام ويحفزها نابل دائب
طرائد تطلبنا النائبات ولا بد أن يدرك الطالب
حبائل للدهر مبثوثة يرد إلى جذبها الهارب

وقال آخر فى معناه :

تحاربنا جنود لا تجارى ولا تلقى بآساد الحروب
تفوق أسهما عن ظهر غيب وما أغراضها غير القلوب
فأنى باحتراس من جنود مؤيدة تمد من الغيوب

وقال ابن جبلة :

وأرى الليالى ماطوت من شرتى زادته فى عظتى وفى أفهامى
وعلمت أن المرء من سنن الردى حيث الرمية من سهام الرامى

(اقن) أى اكتسب والتزم (خلقا) طبيعة . وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله وقالت الحكماء كل ذى نعمة محسود عليها إلا المتواضع وقال عبد الملك أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة وأنصف عن قوة . وقال رجل لبكر بن عبد الله علمنى التواضع فقال إذا رأيت من هو أكبر منك فقل سبقنى إلى الاسلام والعمل الصالح فهو خير منى وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل سبقته إلى الذنوب فهو خير منى

أبو العتاهية :

يا من تشرف بالدنيا ولذتها ليس التشرف رفع الطين بالطين
إذا رأيت شريف القوم كلهم فانظر إلى ملك فى زى مسكين

وقال أبو الفتح البستى :

من شاء عيشا رغيدا يستفيد به فى دينه ثم دنياه اقبالا
فلينظرن إلى من فوقه أدبا ولينظر إلى من دونه مالا

(لاتشم) أى لاتنظر (خال) سحاب (لاح بارقة) ظهر برقه (تراءى) تظاهر (هتون)كثير الماء (السكب)

ما كلُّ داعٍ بأهْلٍ يُصاخَ لهُ ... كَمْ قدْ أُصمَّ بِنَعْيٍ بعْضُ مَنْ نَاجَى

وما اللَّبِيبُ سِوَى مَنْ بَاتَ مُقْتَنِعًا ... بِبُلْغَةٍ تُدرِجُ الأيامَ إدْرَاجَا

فَكُلُّ كُثْرٍ إلَى قُلٍّ مُغَبَّتُهُ ... وكلُّ نَازٍ إلى لِينٍ وإنْ هاجَا

قال الراوى : فلمّا أَلْقحَ عُقْمَ الأفْهام ، بسِحْرِ الكلام ، اسْتَرْوَحْتُ رِيحَ أبى زَيد ، وما دَ بِى الارْتِيَاحُ إليه أىَّ مَيْد ، فَمَكَثْتُ حتى استوْعَبَ نَثَّ حِكْمَتِهِ ، وَانحدَرَ مِنْ أَكَمَته ، ثمَّ دَلَفْتُ إليه لِأَتصَفَّحَ صَفَحَاتِ مُحَيَّاه ، وأَسْتَشِفَّ جَوْهَرَ حُلاه فإذا هُوَ الضَّالَّةُ التى أَنْشُدها وَنَاظِمُ القَلائدِ اللّاتى أنْشَدَها ، فعانقته

الصب (ثجاجا) صبابا ثج الماء يثج ثجا وثججته أنا (يصاخ) يسمع (أصم) كسب الصمم (النعى) الخبر بالموت (ناجى) حدث (اللبيب) العاقل (بلغة) قوت يوم (تدرج) تطوى (كثر) كثرة (قل) قلة (مغبته) عاقبته وآخره (ناز) مرتفع ونزا الفحل ينزو نزوا قفز على الأنثى (لين) فتور (هاج) اضطرب ويروى كل ناز إلى لين وهو الصحيح أخذه من المثل فلان ينزو ويلين يقول لا تنخدع بما يكون له ظهور فى ملبسه وهيئته فقد يخيب ظنك وتقل فائدته أو يكون مضرا لا نفاعا كما قد ينادى بك فتظن النداء لمنفعة فاذا سمعته فاجأك بمصيبة وأخذ لفظ « كم قد أصم بنعى » من قول أبى تمام

أصم بك الناعى وإن كان اسمعا ... فاصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

والسابق إلى هذا المعنى جزء بن ضرار أخو الشماخ بقوله :

أتانى فلم أسر ربه حين جاءنى ... حديث بأعلى القبتين عجيب

تصاممته حتى أتانى يقينـــة ... وأفرغ منه مخطى ومصيب

وقال المتنبى : طوى الجزيرة لما جاءنى خبر ... فزعت منه بآمالى إلى الكذب

حتى إذا لم يدع لى صدقه خبرا ... شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

أشار بعد ذلك بالبيتين الى القناعة وأن كثير الدنيا مصيره إلى قليل وقد تقدمت أمثال هذا :

وقال أبو تمام : يا قليل البقاء فى هـذه الدا ... ر إلى كم يعرك التسويف

عجبا لامرىء بذل لذى الما ... ل ويكفيه كل يوم رغيف

ولابن عمران : عجبا لنا نبغى الغنى والفقر فى ... نيل الغنى لو صحت الألباب

فيما يبلغنى المحل كفاية ... والفضل فيه تكاثر وحساب

(فلما ألقح عقم الإفهام) أى جعل العقيم منها حاملا بالعلم والفهم (استروحت) شممت فوجدت رائحته (ماد) مال (الارتياح) الطرب (مكثت) أقمت (استوعب) استوفى (نث) نشر (أكمته) كديته (دلفت) أسرعت (أتصفح) أنظر (صفحات محياه) جهات وجهه (أستشف) أبالغ النظر فيها (جوهر حلاه) خلقة صفاته (الضالة) التلفة (أنشدها) أطلبها (القلائد) جمع قلادة وهى ما يجعل فى العنق من سلوك الجوهر وغيرها ومنه تقليد البدن بمكة وتقلدت بالسيف جعلته فى عنقى وقلدتك الأمر جعلته فى عنقك وناظم القلائد جاعلها فى خيطها

عِناقَ اللّامِ للألف،

ويعنى بالقلائد ما نثر من وعظه وأنشده من شعره وصدق لعمرى أن كلامه المنظوم والمنثور أبهى من القلائد فى أعناق الخرائد (عناق اللام للالف) أما بخط المغرب فلا معانقة بينهما إلا فى الطرفين وربما وقعت فى بعض هذا الخط كالصليب وفى بعضه لا التقاء بينهما البتة وإنما يريد صورة لام ألف بالخط الكوفى وهما بذلك الخط متعانقان متلازمان من الأعلى إلى الأسفل وأخذ اللفظ من قول بكر بن خارجة :

يامن إذا قرأ الإنجيل ظل له — قلب الحنيف عن الاسلام منصرفا
رأيت شخصك فى نومى يعانقنى — كما تعانق لام الكاتب الألفا

ونذكر هنا مايستحسن فى العناق قال البحترى :

تلك نعم لو أنعمت بوصال — اشكرنا فى الوصل إنعام نعم
نسيت موقف الجمار وشخصا — ناكشخص أرمى الجمار وترمى

وقال أيضا : ولم أنس ليلتنا فى العنا — ق لف الصبا بقضيب قضيبا
كما مرت الريح فى سيرها — فطورا خفوقا وطورا هبوبا

وقال ابن المعتز : كأنما عانقت ريحـانة — تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى — حسبتنا من جسد واحد

وقال على بن الجهم : سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة — وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة — من المـاء فيما بيننا لم تسرب

وقال ابن عبدوس القاسى سرت يوما إلى ابن الجهم فأنشدنى البيتين فى العناق فاقتدح زندى لايراد مثله فقلت :

لا والمنازل من نجد وليلتنا — بعيد إذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الـكرى مع لطف مسلكه — نوما فما أنفك لاخدو لا عضد
ما أنصفونى دعونى فاستجبت لهم — حتى لذا قربونى منهم بعدوا

أخذ هذا البيت من قول الآخر :

أشكر الذين أذاقونى مودتهم — حتى إذا أيقظونى للهوى رقدوا

وقال أبو نواس :

لبسنا رداء الليل والليل راضع — إلى أن تردى رأسه بمشيب
وبتنا كغصنى بانة عصفتهما — مع الصبح ريحا شمأل وجنوب
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه — مبادى نصول فى عذار خضيب
فياليل قد فارقت غير مذمم — ويا صبح قد أصبحت غير حبيب

وقال صالح بن موسى :

لى سيـــد ما مثله سيد — تصدت الحمى له فاشتكى
عانقته عند موافاتها — والأفق بالليل قد احلولكا

فجاءت الحمى لعادتهـــا فلم تجد ما بيننا مسلكا

ولابن الرومى : طالما التفت إلى الصبح لنا ساق بساق
في نقاب من وداد ولثام من عناق

وقال أيضاً : أعانقها والنفس بعد مشوقة اليها وهل بعد العناق تدان
وألثم فاها كى تموت حرارتى فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحان يمتزجان

وقال ابن المعتز : يارب فتيان صحتهم لا يرفعون لسلوة قلبـــا
لو تستطيـع قلوبهم نفذت اجسامهم فتعانقت حبا

وقال ابن رشيق : ومهفهف يحميه عن نظر الورى غير أن سكنى الموت تحت قبابه
فلثمت خدا منه ضرم لوعتى وجعلت أطفىء حرها برضا به
وضممته للصدر حتى استوهبت منى ثيابى بعض طيب ثيابه
فكأن قلبى من وراء ضلوعه طربا يخبر قلبه عما به

وقال ابن ليال : ما كنت أحسب قبل رؤيه وجهه أن البدور تدور فى الأغصان
غازلته حتى بدا لى ثغره فحسبته درا على مرجان
كم ليلة عانقته فكأنما عانقت من عطفيه غصن البان
يطغى ويلعب عند عقد سواعدى كالمهر يلعب عند ثنى عنان

وقال آخر : مشتاقة طرقت فى الليل مشتاقا أهلا بمن لم تخن عهدا وميثاقا
يازائرا زار من قرب على بعد آنست مستوحشا لاذقت ماذاقا
ياليل عرج على الفين قد جعلا عقد السواعد للاعناق أطواقا

وقال ابن الرقاق : ومرتجة الأعطاف أما قوامها فلدن وأما ردفها فرداح
سريت فبات الليل من قصر بها يطير وما غير السرور جناح
وبت وقد زارت بأنعم ليلة يعانقنى حتى الصباح صباح
على عاتقى من ساعديها حمائل وفى خصرها من ساعدى وشاح

ونظير هذا قول ابن برهون الغرناطى :

لله در ليال ما أحيسنها وما أحيسن منها ليلة الأحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت عين الرقيب فلم تنظر إلى أحد
أبصرت شمس الضحى فى ساعدى قمر ريم موسدة فى ساعدى أسد

وقال ابن قاضى ميلة :

حيث التقى أسد العرين وظبية تحت اللحاف وصارم وسوار
قالت أرى بينى وبينك ثالثا ولقد عهدتك للدخيل تغار

وَنَزَلْتُهُ مَنْزِلَةَ البُرْءِ عِندَ الدَّنِف ، وسألتُهُ أنْ يُلازِمَنى فَأبَى ، أو يُزامِلَنى فَنَبا ، وقالَ آلَيْتُ فى حَجَّتى هذهِ أنْ لا أحْتَقِبَ وَلا أعْتَقِبَ ، ولا أكْتَسِبَ وَلا أنْتَسِبَ ، ولا أرْتَفِقَ ولا أرافِق ، ولا أوافِقَ مَنْ يُنافِق ، ثم ذَهَبَ يُهَرْوِل ، وغادَرَنى أوَلْوِل ، فلمْ أزَلْ أقْرِيه نَظَرى ، وَأوَدُّ لوْ يَمْشى على ناظِرِى ، حتى تَوَقَّلَ أحَدَ الأطْواد، ووقَفَ لِلْحَجِيجِ بِالمِرْصاد، فلما شاهَدَ إيضاعَ الرُّكبان فى الكُثْبان، وَقَّعَ بالبنَان على البَنَانِ واندَفعَ يُنْشِد :

لَيْسَ مَنْ زار راكِباً مِثْلَ ساعٍ على القَدَمْ
لا وَلا خادِمٌ أطاَ عَ كَعاصٍ مِنَ الخَدَمْ
كَيْفَ يافَوْمِ يَسْتَوِى سَعْىُ بانٍ وَمَنْ هَدَمْ

أأمنت نشر حديثنا فأجبتها هذا الذى تطوى له الأسرار

أخذ هذا من امرىء القيس :

تجافى عن المأثور بينى وبينها وتدنى على السابرى المضلعا

يعنى بالمأثور السيف (الدنف) المريض (يزاملنى) يرادفنى والزميل الرديف (نبا) ارتفع وامتنع (أحتقب) أركب موضع الحقيبة وهى مايعلق خلف الراكب فيريد أنه حلف أن لا يكون رديفا ويريد باحتقب أتخذ حقيبة للزاد يريد أنه لايحمل زادا اتكالا على ماعند الله تعالى (أعتقب) أركب عقبه يعنى نوبة وهما يعتقبان ويتعاقبان إذا ركب أحدهما جاء الآخر فكان مكانه والاعتقاب ركوب ونزول آخر والحاتم فى المعنى :

وما أنا بالساعى بفضل زمامها لتشرب ماء الحوض قبل الركاب
وما أنا بالطاوى حقيبة رحلها لأبعثها خفا وأترك صاحبى
إذا كنت ربا للقوص فلاتدع رفيقك يمشى خلفها غير راكب
أنخها فأردفه فان حملتها فذاك وإن كان العقاب فعاقب

(أرتفق) أستعين (أرافق) اطلب رفيقا (يهرول) يسرع المشى (غادرتنى) تركتنى (أولول) أصيح ياويلى (أقربه) أتبعه (توقل) صعد (الاطواد) الجبال (بالمرصاد) بمضيق الطريق بحيث يرتصدفيه جميع الناس والمرصد والمرصاد عند العرب الطريق (إيضاع) سرعة وقد أوضع فى سيره أسرع كأنه يهتز ويركض (الكثبان) أكداس الرمل (وقع) ضرب (بالبنان على البنان) أى صفق بيديه وقد تطلق البنان مرادا بها اليدقال الله تعالى واضربوا منهم كل بنان أى الأيدى والأرجل وأنشد الفنجديهى :

أقاموا الديدبان على يفاع وقالوا لاتنم للديدبان
إذا أبصرت ضيفا من بعيد فوقع بالبنان على البنان
تراهم خشية الأضياف خرسا يقيمون الصلاة بلا أذان

(ليس من زار راكبا) البيت يريد أن ثواب الماشى فى الحج أكثر من ثواب الراكب وقال ابن عباس لبنيه اخرجوا من مكة مشاة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللماشى بكل خطوة سبعمائة حسنه من حسنات الحرم قالوا يارسول الله وما

سَيُقِيمُ الْمُفَرِّطُو نَ غَدًا مأْتَمَ النَّدَمْ
وَيَقُولُ الذى تَقَرَّ بَ طُوبَى لِمَنْ خَدَمْ
وَيْكِ يَا نَفْسُ قَدِّمى صَالِحًا عِنْدَ ذِى الْقِدَمْ
وازْدَرِى زُخْرُفَ الْحَيَا ةِ فَوُجْدَانُهُ عَدَمْ
وَاذْكُرِى مَصْرَعَ الْحِمَا مِ إذا خَطْبُهُ صَدَمْ
وانْدُبِى فِعْلَكِ الْقَبِيـــحَ وسِحِّى لَهُ بِدَمْ
وَاذْبَغِيهِ بِتَـــوْبَةٍ قَبْلَ أَنْ يَحْلَمَ الْأَدَمْ
فَعَسَى اللهُ أَنْ يَقِيـ لكِ السَّعِيرَ الذى احْتَدَمْ
يَوْمَ لا عَثْرَةٌ تُقَا لُ ولا يَنفعُ السَّدَمْ

ثم إنه أَغْمَدَ عَضْبَ لِسَانِهِ ، وَانْطَلَقَ لِشَأْنِهِ ، فما زِلْتُ فى كلِّ مَوْرِدٍ نَرِدُهُ ، ومُعَرَّسٍ نَتَوَسَّدُهُ ، أَتَفَقَّدُهُ فأَفْقِدُهُ ، وَأَسْتَنْجِدُ بِمَنْ يَنْشُدُهُ فَلاَ نَجِدُهُ ، حتى خِلْتُ أَنَّ الْجِنَّ اخْتَطَفَتْهُ ؛ أَوِ الْأَرْضَ اقْتَطَفَتْهُ ، فما كَابَدْتُ فى الغُرْبَةِ ، كَهَذِهِ الْكُرْبَةِ ، ولاَ مُنِيتُ فى سَفْرَةٍ بِمِثْلِهَا مِنْ زَفْرَةٍ

حسنات الحرم قال الحسنة منها بمائة ألف ، وقوله سعى بان ومن هدم من قول بشار :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذاكنت تبنيه وآخر يهـــدم

(المفرطون) المقصرون (مأتم) مناحة (ويك) تعجب (ازدرى) احتقر (زخرف) زينة (وجدان) مصدر وجدت الشىء (اندبى) ابكى (الحمام) الموت (مصرعه) طرحه للميت بالأرض (خطبه) أمره الشديد (صدم)ضرب والصدم ضرب الشىء الصلب بمثله وأراد أنه أصاب من قولهم صدمهم أمر أى أصابهم (سحى) صبى (يحلم)يتثقب (الادم) الجلد وهو مثل يضرب للشىء يفوت قال الشاعر : كدابغة وقد حلم الأديم (السعير) النار المتقدة (احتدم) التهب واشتد اتقاده (السدم) هم مع ندم (عضب) حدوأراد باغماده سكوته (لشأنه) لأمره (مورد) موضع الماء (نرده) نقصده (معرس) موضع النزول بالسحر للاستراحة (نتوسده) ننزل فيه (أتفقده) أطلبه والتفقد طلب المفقود قال الله تعالى وتفقد الطير أى طلبه بعد ما فقده (استنجد) أستعين (ينشده) يطلبه (اختطفته)أخذته بسرعة (اقتطفته)اقتطعته (كابدت)قاسيت (الكربة)الهم (منيت) بليت (زفرة) تنفس المهموم . . . ولأبى طالب الرقى فى غلام محرم .

ومشتمل عطفى عفاف وفتنة يرى قتل من يهوى إلى النسك مسلكا
جنى اللحظ من خديه وردا مكفورا ومن عارضيه ياسمينا ممسكا
فيارائحا منه بأوفر فتنة تجهز لعام بعد هذا لعلكا

وقال صالح بن موسى : عشقت صوفيا له شاهد يقيم عذرى عند عذالى
قد عبد الله بأحواله فليته ينظر فى حالى

المقامة الثانية والثلاثون الطيبية

حكى الحارثُ بنُ همّام قال: أجمَعْتُ حينَ قضَيْتُ مناسكَ الحجِّ، وأقمتُ وظائفَ العجِّ والثجِّ، أنْ أقصدَ طَيبةَ معَ رُفقةٍ مِنْ بَنِي شَيْبةَ لأزورَ قبرَ النَّبيِّ المُصطفَى، وأخرجَ مِنْ قَبيلِ مَنْ حجَّ وجفَا فأُرجِفَ بأنَّ المسالكَ شاغِرةٌ، وعرَبَ الحرمَيْنِ مُتشاجِرةٌ، فحِرْتُ بَيْنَ إشفاقٍ يُثبِّطُنِي وأشواقٍ تُنشِّطُنِي إلى أنْ أُلقِيَ فِي رُوعِي الاستسلامُ، وتغليبُ زيارةِ قبرِهِ عليهِ السَّلامُ، فاعتَمْتُ القَعْدَةَ، وأعدَدْتُ العُدَّةَ، وسِرْتُ والرُّفقةَ لا نَلوِي على عُرْجَةٍ، ولا نَنِي فِي تأويبٍ ولا دُلجةٍ، حتَّى وافَيْنا بَنِي حَرْبٍ وقدْ آبُوا مِنْ حَرْبٍ، فأزمَعْنا أنْ نقضِيَ ظِلَّ اليومِ

شرح المقامة

(أجمعت) عزمت عليه كأنه جمع نفسه له (مناسك الحج) متعبداته (وظائف) لوازم والوظيفة النصيب الذى يلزمك عزمه (العج) رفع الصوت بالتلبية وكانوا فى الجاهلية إذا أتموا حجهم يتفاخرون بمآثر آبائهم فامروا بالثناء على الله تعالى (والثج) إراقة الدماء وعج يعج عجا عجيجا رفع صوته وثججت الدمع أثجه أسلته وهو لازم ومتعد وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العج والثج (طيبة) مدينة النبي صلى الله عليه وسلم (بنو شيبة) حجبة البيت وشيبة هو عبد المطلب وسمى بذلك لانه نشأ بالمدينة عند أخواله صغيرا فلما مات أبوه هاشم ذهب اليه المطلب فأتى به فرآه معه أهل مكة فقالوا ماهو إلا عبد اشتراه فغلب عليه عبد المطلب (جفا) أراد به قول النبي صلى الله عليه وسلم من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى ومن زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءنى زائرا لايهمه إلا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفى رواية من زار قبرى وجبت له شفاعتى (أرجف) الرجل خاض فى الفتنة والاخبار المسيئة (شغر الطريق) خلا من حماته والمدينة خلت من حماتها وبلد شاغر بعيد من القاضى والسلطان فلا يمتنع من غارة أحد والشغر التفرقة ومنه خرجوا شغر بعر أى تفرقوا وشغر عن بلده شغرا وشغارا إذا طرحوه ونفوه واشتغرت الحرب بينهم اتسعت وعظمت وامرأة شاغرة إذا رفعت رجليها لكل من نكحها والمعنى أن المسالك شاغرة اى ان الطرق مضطربة خالية من حماتها (الحرمين) مكة والمدينة (متشاجرة) مختلفة (اشفاق) خوف (يثبطنى) يحبسنى (تنشطنى) تحرضنى (روعى) نفسى (الاستسلام) الانقياد إلى الله تعالى (اعتمت) اخترت (القعدة) الراحلة المتخذة للركوب (تلوى) تعطف (عرجة) شيء يشغل ليعرج عليه (نى) نفتر (تأويب ولادلجة) مشى النهار والسحر والدلجة بضم الدال الاسم من الادلاج وهو سير جميع الليل والتأويب سير النهار أجمع والدلجة بفتح الدال اسم مصدر او المرة من الادلاج بوزن الافتعال وهو ان يسير من آخر الليل. يعقوب: خرجنا بدلجة ودلجة إذا خرجوا فى آخر الليل (وافينا) وصلنا (آبوا) رجعوا (ازمعنا) عزمنا (نقضى) نتم اراد عزمنا على أن ننزل و نتم بقية يومنا عندهم (وظل) الشيء

فى حِلَّةِ القَوْم ، وبَينما نحنُ نَتخَيَّرُ المُناخ ، ونَرودُ الوِرْدَ النُّقاخ ، إذْ رَأيْناهُمْ يَرْكُضُون ، كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفضُون ، فَرابنَا انْثِيالُهم ، وسألْنا ما بالُهم؛ فقيلَ قدْ حَضَرَ نادِيَهُم فَقيهُ العَرَب ، فإهْراعُهُم لهذا السَّبَب ، فقلتُ لِرُفْقَتى ألا نَشْهَدُ مَجْمَعَ الحَىّ ؛ لِنَتَبَيَّنَ الرُّشْدَ مِنَ الغَىّ ، فقَالُوا لقَدْ أسْمَعْتَ إذْ دَعَوْتَ ؛ ونَصَحْتَ وما ألَوْتَ ، ثم نَهَضْنا نَتَّبِعُ الهادى ، ونَؤُمُّ النَّادى ، حتى إذا أظَلْنا عليـــه ، واسْتَشْرَفْنا الفقيهَ المَنْهُودَ إليه ، ألفَيْتُهُ أبا زَيْدٍ ذا الشُّقَرِ والبُقَر ؛ والفَواقِرِ والفِقَر ؛ وقَدِ اعْتَمَّ القَفْداء واشْتَمَلَ الصَّمَّاء وقَعَدَ القُرْفُصاء ،

إنما يبقى ببقائه (الحلة) النزول (القوم) اسم للجمع والحلة هيئة الحلول والحلة مجلس القوم ومجتمعهم لأنهم يحلونه والجمع حلال والحلة جماعة بيوت الناس (المناخ) موضع النزول (نرود) نطلب (الورد النقاخ) الماء البارد العذب وأنشد أبو على :

تركت النبيذ لأهل النبيذ   وأصبحت أشرب عذبا نقاخا

سمى نقاخا لأنه ينقخ الفؤاد ببرده أى يكسره (يركضون) يجرون مسرعين (نصب) صنم كانوا فى الجاهلية ينصبونه ويذبحون عليه لأوثانهم وجمعه أنصاب والنصب الشر قال الله تعالى بنصب وعذاب (يوفضون) يسرعون (إهراعهم) اسراعهم وأهرع أسرع فزعا مرتعدا ويهرعون يستحثون (ألوت) قصرت (الهادى) الدليل (نؤم) نقصد (النادى) مجتمع القوم (أظللنا) قربنا منه ودنونا وأشرفنا عليه (استشرفنا) نظرنا وتأملنا والاستشراف أن تضع يدك على حاجبك من الشمس إذا أردت النظر إلى شىء يبعد منك (المنهود) المقصود ونهدت اليه ونهضت بمعنى نهد ينهد نهدا أى شخص ونهض وقيل أكثر ما يستعمل هذا فى الحرب يقال نهد إلى العدو إذا نهض ليقاتله (ألفيته) وجدته (ذا الشقر والبقر) صاحب الدواهى يقال جاء بالشقر والبقر إذا جاء بالكذب المستفظع وجاء بالشقارى والبقارى أى بالكذب (الفواقر) قواصم الظهر يراد بها الدواهى والفاقرة الكاسرة للفقار وهو عظم الصلب (الفقر) فى النثر مثل القوافى فى الشعر (القفداء) بالقاف قبل الفاء أن يلف عمامته على رأسه ولا يرسل منها شيئا ، ابن سيده :القفداء والقفد اذا لوى عمامته على رأسه ولم يسدلها قال الازهرى رحمه الله تعالى العمة القفداء معروفة وهى الميلاء والسنة أن يتعمم ويسدل خلف ظهره ،ابن عمر رضى الله عنهما : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا تعمم سدل عمامته بين كتفيه (والصماء) أن تجلل نفسك بالثوب غير المخيط ولا ترفع شيئا من جوانبه فتكون فيه فرجة تخرج منها اليد وإنما نهى عن ذلك مخافة أن تصيبه شدة فى تلك الحالة وهو لا يقدر على اخراج يده فيدفعها فيهلك وقال الفنجديهى رأيت بخط الحريرى : اشتمل الصماء أى التحف بثوب جلل جسده وقيل لها صماء لأنها لامنفذ فيها كالصخرة الصماء التى لاصدع فيها ولاخرق وهى عند الفقهاء أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فتبدو عورته فنهى عن ذلك وقال الأزهرى هذا أصح الكلام والفقهاء أعلم بتأويل هذه (القرفصاء) أن يقعد على أليتيه وينصب ساقيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه فيضعهما على ساقيه قاله أبو عبيدة وقيل هى جلسة المحتبى ثم يرفع فخذيه وركبتيه إلى صدره ويدير يديه على ساقيه ويشدهما فاذا فعلت ذلك بالرجل وشددت يديك عليه فقد قرفصته .الفنجديهى:

وَأعْيانُ الحَيِّ بهِ مُحْتَفُّون ، وَأخلاطُهم عليه مُلْتَفُّون،وهُوَ يَقولُ سَلُونى عنِ المُعْضِلات ، وَاسْتَوْضِحُوا مِنى المُشْكِلات، فَوَالذى فَطَرَ السَّماء ، وَعَلَّمَ آدَمَ الأسْماء ، إنِّى لَفَقيهُ العَرَبِ العَرْباء ،

رأيت بخط الحريرى معناه أن يحتبى بيديه قال أبو أمامة كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس القرفصاء فيضع يده اليمنى على الشمال عند المفصل وتقرفص الرجل إذا جمع يديه وانضم من جرب أو قروح به (أعيان) أشراف (محتفون) محلقون والمنزل محفوف بالناس إذا اجتمعوا بحفافيه أى بجانبيه (الاخلاط) الدون من الناس (المعضلات) الغامضات من الكلام الصعب (واستوضحوا) أى طلبوا منى إيضاحها أى بيانها (فطن) خلق وفطر الله الخلق ابتدا خلقهم قال ابن عباس ماكنت أدرى مافاطر السموات والأرض حتى احتكم إلى أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنافطرتها أى ابتدأتها وقال الله تعالى الا الذى فطرنى أى خلقنى ويتفطرن يتشققن وانفطرت تشققت (وعلم آدم الأسماء كلها) أى علمه أسماء كل شىء من المخلوقات (فقيه العرب) أى عالمهم وقال تعالى ليتفقهوا فى الدين أى ليكونوا علماء به ، وكل عالم بشىء فهو فقيه ويقال فقهت عنك أى فهمت وفقهت فقها أى صرت فقيها وهو الحاذق بما يعلمه وفقهت الرجل غلبته فى الفقه (العرباء) الخالصة وهذا الادعاء الذى يدعى الآن يسمى انتحال العلم وقال بعض الحكماء لاينبغى لأحد أن ينتحل العلم وقال مقاتل بن سليمان يوما وقد دخلته أبهة العلم سلونى عما تحت العرش إلى أسفل الثرى فقال له رجل ما نسألك عن شىء من ذلك إنما نسألك عما معك فى الأرض أخبرنى عن كاب أهل الكهف ما كان لونه فأفحمه ، ولما شهرت تأليف ابن قتيبة ولحظ بعين العالم المتفنن صعد المنبر وقد غص المحفل واعتلى تبريزا على علماء وقته مع فضل جاه اشتمل به من السلطان فقال ليسألنى من شاء عما شاء فقام اليه أحد الأغفال فقال له ماالفتيل والقطمير فلم يحر جوابا وأفحم ونزل خجلا وانصرف إلى منزله كسلا فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس بهما وهذا من عقاب العجب ، ورأيت فى بعض الأخبار أن ابن قتيبة سئل عن حرف لغة فلم يعلمه وقت السؤال وكان أبيض مشربا بحمرة فلما وجد الحرف غلبت الحمرة على وجهه حتى طفىء أسفا على فوت الحرف وقت الحاجة ولعله كان ما قدمنا فى الحكاية ، وقال قتادة ما سمعت قط شيئا إلا حفظته ولا حفظت قط شيئا فنسيته ثم قال ياغلام هات نعلى فقال هما فى رجليك ففضحه الله ، وقال قتادة حفظت مالم يحفظ أحد قط ونسيت مالم ينس أحد قط حفظت القرآن فى سبعة أشهر وقبضت على لحيتى وأنا أريد أن أقطع ماتحت يدى فقطعت ما فوقها . وكان بشريش رجل من اهل الدين والورع وحج فى أيام ابى حامد وصحبه فتقالت صلاة الصبح يوما لأحد اصحابه فلامه على ذلك فاعتذر له صاحبه فلم يعذره ثم قال له على معنى الترغيب كملت لى اليوم عشرون سنة مافاتتنى صلاة الصبح فى جماعة فلما كان فى اليوم الثانى ادرك الحاج من صلاة الصبح ركعة واحدة فلما لقيه صاحبه بعد الصلاة قال هذا كما رأيت وإنما ذكرت عملك على معنى التبصرة والارشاد فلو ذكرته على غير ذلك لفاتتك الثانية ، وإذا كان موسى كليم الله قد عاتبه الله على الانتحال حين سئل أى الناس اليوم اعلم قال انا وابتلى بالسفر حتى لقى الخضر وجلس اليه راغبا فى ان يعلمه والخضر لاينبسط له فى التعليم ونقر عصفور فى البحر فقال له الخضر ماعلمى وعلمك فى علم الله تعالى الامثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر ، وروى عن عبد الملك بن حبيب من طريق وهب بن منبه

وأُعْلَمُ مَنْ تَحْتَ الجرْباء ، فَصَمَدَ له فَتًى فَتِيقُ اللِّسان ، جَرِئُ الجنان ، وقالَ إِنِّى حاضَرْتُ فُقَهاء الدُّنْيا، حتى انتَحَلْتُ مِنهُمْ مائَةَ فُتْيا ، فإن كُنتَ مِمَّنْ يَرْغَبُ عَنْ بَنَاتِ غَيْرٍ ، ويَرْغَبُ مِنّا فى

أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام أندرى لم كلمتك قال لا يارب قال إنى أطلعت على قلوب العباد فلم أر فيها قلبا أشد تواضعا من قلبك ، قال المنجم .

لكل شىء فى الورى آفة وآفة المرء من الكبر

وقال آخر : الكبر يأس والتواضع رفعة والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص فقر والقناعة نعمة واليأس من روح الإله قنوط

فينبغى لكل عاقل أن يقول ما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله رب زدنى علما ؛ ولا يرى لنفسه حظا ويشكر الله تعالى على ما أعطاه فهو بالأدب أليق وبالشرع أوفق . . . ومن سخيف الشعر فى الانتحال

وما عن لى من غامض العلم غامض مدى الدهر إلا بت منه على علم

قال عدى بن الرقاع . وعلمت حتى ما أشاور عالما عن علم واحدة لكى أزادادها

وسمعه كثير ينشده الوليد بن عبد الملك فقال له كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك امير المؤمنين فى صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط احمق منك اليوم حين تظن هذا من نفسك ، وقال ابو موسى المنجم ما أحد تمنيت أن أراه فلما رأيته أمرت بصفعه إلا عديا فقيل له ولم ذلك قال لقوله هذا البيت كنت أعرض عليه أصناف العلوم فكلما مر عليه بشىء لايحسنه أمرت بصفعه (وأعلم من تحت الجرباء) سميت السماء جرباء لأن النجوم فيها كالجرب فى البدن ، وقال ابن الرومى فى غلام يهواه وخرج عليه جدرى وأشار إلى جرب السماء .

وقالوا شأنه الجدرى فانظر إلى وجه به أثر الكلوم

فقلت ملاحة نثرت عليه وما حسن السماء بلا نجوم

وقال أبو بكر بن السراج فى الفتح بن مسروق البلخى وقيل قالها فى ابن ياسر المغنى وكان من احسن الناس وجها:

لى قمر حدر لما استوى فزاده حسنا وزاد الهموم

كأنما غنى لشمس الضحى فنقطته طربا بالنجوم

وقال آخر : كأن آثار تجدير بوجنته عشر معورة فى صحف وراق

وقال ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون :

قال لى اعتل من هويت حسود قلت أنت العليل ويحك لاهو

ماالذى تنقمون من بثرات ضاعفت حسنه وزانت حلاه

وجهه فى الصفاء والرقة الما . فلاغر وأن حباب أعلاه

(صمد) أى قصد (فتيق) طليق (جرىء الجنان) ماضى القلب قويه (انتحلت) اخترت (الفتيا) لغة فى الفتوى وهما اسمان يوضعان موضع الافتاء تقول أفتانى وفتيا وفتوى (بنات غير) كناية عن الكذب . .

مَيْر ، فاستَمِعْ وأجِبْ ؛ لِتُقَابَلَ بما يَجِبْ . فقال الله أكبر ، سَيَبِينُ المَخْبَرَ ، وينكَشِفُ المُضْمَر ، فاصْدَعْ بما تُؤمَر ، قال : ما تقولُ فيمَنْ توضَّأَ ثم لَمَسَ ظَهْرَ نَعْله ، قالَ : انتقَضَ وضُوءهُ بِفعْلِه (النعل الزوجة) ، قال : فإنْ توضَّأَ ثم أنكأهُ البَرْد ، قال يُجدِّدُ الوُضُوء من بَعْد ، (البرد النوم) قال أيَمْسَح المتوضِّى ء أُنثيَيه ، قال قدْ نُدِبَ إليه ، ولم يوجَبْ عليه ، (الأنثيان الأذنان) قال أيجُوزُ الوُضُوء مما يَقْذِفُهُ الثُّعْبان ، قال وهَلْ أنظفُ منهُ للعُرْيان ، الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادى) قال : أيُستباحُ ماء الضَّرير ، قال نعم وتُجْتَنبُ ماء البصير ، (الضرير حرف الوادى والبصير الكلب) ، قال أيَحِلُّ التَّطوُّف فى الرَّبيع قال يُكره ذاكَ للحَدَث الشَّنيع ، (التطوف التغوط والربيع النهر الصغير) ، قال : أيجبُ الغُسْلُ على مَنْ أمْنَى ، قال لا ولَوْ ثَنَّى ، (أمنى نزل منى ويقال منه منى وأمنى وامتنى) ، قال فَهلْ يَجِبُ على الجُنُب غَسْلُ فَرْوَتِه ، قال أجَلْ وغَسْلُ إبْرَتِه ؛ (الفروة جلدة الرأس والإبرة عظم المرفق) ، قال أيَجِبُ عليه غَسْلُ صَحيفَته ؛ قال نعَمْ كغَسْلِ شَفَته (الصحيفة أسرة الوجه) قال فإنْ أخلَّ بِغَسْلِ فأسِه ، قال هُوَ كما لَوْ ألغَى غَسْلَ رأسِه ، (الفأس العظم المشرف على نقرة القفا) ، أيجُوز الغُسْلُ فى الجِراب ، قال هُوَ كالغسْلِ فى الجِباب ، (الجراب جوف البئر) ، قال فما

الفنجديهى رأيت بخط الحريرى بنات الكذب . . . الفراء : يقال للرجل أبو بنات عبر وهو الباطل بعين مهملة وباء منقوطة واحدة (مير) رزق وصلة وأصله جلب الطعام للأكل (الله أكبر) حكى أهل اللغة أن معناه كبير

وقال الفرزدق : إن الذى سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول

أى عزيزة طويلة : قال معن بن أوس :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل ... على أينا تعدو المنية أول

أى لوجل وقال النحويون الكسائى والفراء وهشام معناه أكبر من كل شىء فحذفت من لان أفعل خبر كقولك أبوك أفضل وأعقل أى من غيره ولو كان اسما لم يحذف منه شىء ألا ترى ان من قال اخوك افضل لم يقل إن افضل اخوك فحذفت من فى الخبر لأن الخبر يدل على أشياء غير موجودة فى اللفظ نحو اخوك قام فيدل على المصدر والزمان والمكان ، والاسم لايحذف منه شىء يدل عليه (المخبر) مصدر خبرت خبرة ومخبرا إذا جربته فأراد سيتبين لك بالتجربة ما ادعيته من العلوم وينكشف لك ما اضمرته منها (اصدع) تكلم واظهر وصدعت بالحق تكلمت به جهارا وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر اى اظهر دينك . . . وإنما اعتمد الشيخ ابو محمد الحريرى فى شرح الالفاظ التى الغز بها على الوجه المعمى ولنشرح ما سوى ذلك مما اشتملت عليه إن شاء الله تعالى (لمس) جر اصابعه عليها (انكأه) جعله منكثا (يقذفه) يطرحه من بطنه (الضرير) الاعمى (البصير) السالم البصر والطوف مصدر طاف حول الشىء إذا دار به (الحدث) الغائط وجعله شنيعا لأن الانسان إذا فعله فى الماء ظهر على وجه الماء فكانت به شنعة واستقذر الماء فلم يستعمل وإن كان مباحا استعماله (اخل) نقص

تَقولُ فيمن تَيمَّمَ ثم رأى رَوْضاً ، قال بَطَلَ تيمُّمُهُ فليتوضّأ ، (الروض ههنا جمع روضة وهى الصبابة تبقى فى الحوض) ، قال أيجُوزُ أنْ يَسْجُدَ الرجُلُ فى العَذِرَة ؟ قال نعَمْ و ليُجانِبِ القَذِرَة ، (العذرة فناء الدار) ، قال فهَل له السُّجودُ على الخِلاف ، قال لا و لا على أحَدِ الأطْراف ، (الخلاف الكم) ، قال فإنْ سَجدَ على شِمَاله قال لا بأس بِفعَاله ؛ (الشمال جمع شملة) ، قال فهَل يَجوزُ السُّجودُ على الكراع ؟ قال نعَمْ دُونَ الذّراع (الكراع ما استطال من الحرة وهى أرض ذات حجارة سود) ، قال أيُصَلّى على رأسِ الكَلْب ، قال نعَمْ كسَائرِ الهضْب ، (رأس الكلب ثنية معروفة) ، قال أيجُوزُ للدّارسِ حَمْلُ المَصاحِف ؟ قال لا ولا حَمْلُها فى المَلاحِف ، (الدارس الحائض) ، قال ما تقولُ فيمَنْ صَلَّى وعانَتُهُ بارِزَة ، قال صَلاتُهُ جائِزَة ؛ (العانة الجماعة من حمر الوحش) ، قال فإنْ صَلَّى وعليه صَوْم ، قال يُعيدُ ولَوْ صلَّى مِائةَ يَوْم (الصوم ذرق النعام) ، قال فإنْ حَمل جِرْواً وصلَّى قال هُوَ كما لو حَمَلَ باقِلَّى ، (الجرو الصغار من القِثّاء والرمان) قال أتَصِحُّ صَلاةُ حامِلِ القَرْوَة ، قال لا ولَوْ صَلى فَوقَ المَرْوَة ، (القروة ميلغة الكلب) ، قال فإنْ قطَرَ على ثَوْبِ المُصَلّي نَجْو ، قال يَمْضي فى صَلاتِه ولا غَرْوَ ؛ (النجو السحاب الذى قد هراق ماءه) ، قال أيجُوزُ أنْ يَؤُمَّ الرِّجالَ مُقنَّع ، قال نعَمْ ويَؤُمُّهُمْ مُدرَّع (المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع) ، قال فإنْ أمَّهُمْ مَنْ فى يَدِهِ وَقْف ، قال يُعيدُونَ ولَوْ أنَّهُمْ ألْف ، (الوقف السوار من العاج أو الذبل وأراد أنه لا يجوز للرجال الائتمام بالنساء) قال فإنْ أمَّهُمْ مَنْ فَخْذُهُ بادِيَة قال صَلاتُهُ وصَلاتُهُمْ ماضِيَة ، (الفخذ العشيرة و بادية أى يسكنون البدو واختار بعض أهل اللغة تسكين الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينهما وبين العضو) ، قال فإنْ أمَّهُمُ الثَّوْرُ الأجَم ، قال صلِّ وخَلاكَ ذَمّ (الثور السيد والأجم الذى لا رمح معه) ، قال أيدخلُ القصرُ فى صلاةِ الشّاهد ، قال لا والغائبِ الشّاهد ، (صلاة الشاهد صلاة المغرب سميت بذلك لإقامتها عند طلوع النجم لأن النجم يسمى الشاهد) قال أيجُوزُ للمَعْذُورِ أنْ يُفطِر شَهْرَ رمَضَان ، قال ما رُخِّصَ فيه إلاّ للصِّبْيان ، (المعذور المختون وهو أيضاً المعذر) قال فهَلْ للمُعرِّسِ أنْ يأكل

(نقرة) حفرة (الروض) مواضع الغيث (الصبابة) البقية (الكراع) الرجل وكراع كل شىء طرفه (الحرة) أرض فيها حجارة سود (الهضب) جمع هضبة وهى الصخرة العظيمة والكدية الصغيرة وقيل الهضبة الجبل المنبسط على وجه الأرض وقيل الجبل الطويل المتسع والجمع هضاب (ثنية) عقبة (الميلغة) ما يشرب فيه الكلب الماء وهى من ولغ الكلب إذا تناول الماء بلسانه (القروة) نقير من خشب تشرب منه الكلاب (القثاء) هو الفقوس (النجو) هو الحدث (لا غرو) لا عجب (المقنع) لابس القناع يريد المرأة (الوقف) ما وقف وحبس من الأموال على المساكين والمساجد (الذبل) جلد السلحفاة البرية ويقال إنها تعظم فربما يضع التاجر ليلا عليها حمله يظنها صخرة فترتحل به ويستعمل من الطبق الذى عليها خلاخل للحشم والعبيد (العاج) عظم الفيل (الاجم) الذى ليس له قرنان (وخلاك ذم) باعدك ذم (المعذور) الذى

فيه ، قال نَعَمْ بملء فيه (المعرس المسافر الذى ينزل فى آخر ليله ليستريح ثم يرتحل) قال فإنْ أفطرَ فيه العُرَاة ، لا تُنكَرُ عَلَيهم الوُلَاة ، (العراة الذين تأخذهم العرواء وهى الحمى برعدة) قال فإن أكلُ الصائمُ بَعْدَ ما أصْبَحَ ، قالَ هُوَ أحْوطُ له وأصْلح ، (أى استصبح بالمصباح) ، قال فإن عمد لان أكل لَيْلاً ، قال لُيُشمَرْ للقضاء ذَيْلاً ، (ذكر ابن دريد أن الليل فرخ الحبارى وقال غيره هو ولد الكروان) ، قال فإن أكلَ قَبْلَ أنْ تتوارى البَيْضاء ، قال يلزَمُهُ ولله القضاء ، (البيضاء من أسماء الشمس) ، قال: فإن استثار الصائم الكَيْدَ ، قال أفطر وَمَنْ أحلَّ الصَّيْدَ ، (الكيد القيء واستثاره أى استدعاه) ، قال أله أن يُفطرَ بإلحاح الطَّابخ ، قال نعم لا بطاهى المَطَابخ (الطابخ الحمى الصالب) ، قال فإنْ ضَحِكَتِ المرْأةُ فى صَوْمِها قال بطل صَوْمُ يَوْمِها ، (ضحكت ههنا أى حاضتْ ومنه قوله تعالى: « فضحكت فبشرناها بإسحق » قال فإن ظهر الجُدَرِىُّ على ضَرّتها ، قال تُفطرُ إنْ آذنَ بعَضَرّتها (الضرة أصل الابهام وأصل الثدى أيضاً) قال ما يجبُ فى مائَةِ مِصْبَاح؟ قال حِقَّتانِ يا صَاح ، (المصباح الناقة التى تصبح فى المبرك) ، قال فإنْ مَلَكَ عَشرَ خناجِر ، قال يُخْرِجُ شَاتَيْنِ وَلا يُشَاجِر ، الخناجر النوق الغزار الدر واحدتها خنجر وخنجور) قال: فإنْ سَمَحَ للسَّاعِى بحَميمَته ، قال : يا بُشْرَى يَوْمَ قِيامَته ، (الساعى جابى الصدقة والحميمة خيار المال) قال أيستحقُّ حَمَلةُ الأَوْزَارِ مِنَ الزَّكاةِ جزْءاً ، قال نَعَم إذا كانوا غُزَّى ، الأوزار السلاح وغزى جمع غاز) قال أيجوزُ للحاجّ أنْ يعتمِرَ ، قال لا ولا أنْ يَخْتمِرَ (الاعتمار لبس العمارة وهى العمامة والاختمار لبس الخمار) قال فهل له أنْ يَقْتُلَ الشُّجاع ، قال نَعَمْ كما يَقْتلُ السِّبَاع ، (الشجاع الحية) ، قال فإنْ قتلَ زَمَّارَةً فى الحَرَم ، قال عليه بَدَنَةٌ مِنَ النَّعَمْ ، (الزَّمَّارَة النعامة واسم صوتها الزمار) ، قال فإن رَمَى سَاقَ حُرٍّ فجدله قال يُخْرِجُ شاةً بَدَلَه ، (ساق حر ذكر القمارى) قال فإن قَتَلَ أمَّ عَوْفٍ بَعْدَ الإحْرَام ، قال يتصدَّقُ بقُبْضَةٍ مِنْ طَعام ، (أم عرف الجرادة) ، قال أيجبُ على الحاجّ استِصْحابُ القارِبِ ، قال نَعَمْ لِيَسُوقَهمْ إلى المَشارِب ؛ (القارب طالب الماء بالليل) ؛ قال ما تقولُ فى الحَرامِ بَعْدَ السَّبْتِ ، قال قد حَلَّ فى ذلكَ الوَقْت ، (الحرام المحرم والسبت حلق الرأس حل من تحليل الحج) ، قال ما تقولُ فى بَيْعِ الكُمَيْت ، قال حرامٌ كبيْعِ المَيْت (الكميت الخمر) ؛ قال أيجوزُ بَيْعُ الخلِّ

تبين عذره (الطاهى) طابخ اللحم (الصالب) الحمى لا ترعد والحاحها ملازمتها (الجدرى) قروح صغار تخرج على الصبيان (ضرتها) شريكتها فى زوجها (الحقة) التى استحقت أن يركب عليها (الخناجر) نوع من السكاكين الكبار (يشاجر) يخالف (الجابى) الجامع للصدقة ومنه الجباية (الأوزار) أثقال الذنوب (الغزى) هؤلاء الرماة بالنشاب (يعتمر) يحج بعمرة (يختمر) يستعمل الخبز المختمر (الزمارة) المرأة تضرب بالمزمار (البدنة) الناقة سميت بذلك لضخامتها وبدن الرجل ضخم (جدله) قتله وطرحه على الجدالة وهى الأرض ومن أبيات اللغز فى الجرادة :

وما صفراء تكنى أم عوف كأن سويقتيها منجلان

(القارب) السفينة الصغيرة (الكميت) الفرس الأسود العرف والذنب والكمتة حمرة تضرب إلى السواد

بِلَحْمِ الْجَمَلِ ، قَالَ ولا بلَحْمِ الْحَمَلِ ، (الجمل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه أو من غير جنسه) ، قَالَ أَيَحِلُّ بَيْعُ الهَدِيَّة ، قَالَ لَا ولا بَيْعُ السَّبِيَّة ، (الهدية بالتشديد ما يهدى إلى الكعبة ويقال فيها هدية بتسكين الدال وتخفيف الياء والسبية الخمر) ، قَالَ ما تَقُولُ فى بَيْعِ العَقِيقَة ، قال مَحْظُورٌ عَلَى الحَقِيقَة ، (العقيقة ما يذبح عن المولود فى اليوم السابع من ولادته) ، قال أَيَجُوزُ بَيْعُ الداعى ، عَلَى الرَّاعى ؟ قال ولَا عَلَى السَّاعى ، (الداعى بقية اللبن فى الضرع والساعى جابى الصدقة) قال أَيُباع الصَّقْرُ بالتَّمْر ؟ قال لَا ومالِكِ الخَلْقِ والأَمْر ، (الصقر الدبس) ، قال أَيَشْتَرِى المُسْلِمُ سَلَبَ المُسْلمات ، قال نَعَمْ ويُورَثُ عَنْهُ إذا مات ، (السلب لحاء الشجر وهو أيضا خوص الثمام) ، قال فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُبْتاعَ الشافِع ، قال ما لِجَوَازِهِ مِنْ دافِع ، (الشافع الشاة التى يتبعها سخلها) ، قال أَيُباعُ الإِبرِيقُ عَلَى بَنِى الأَصْفَر ؟ قال يُكْرَهُ كَبَيْعِ المِغْفَر ، (الابريق السيف الصقيل الكثير الماء وبنو الأصفر الروم) ؛ قال أَيَجُوزُ أَنْ يَبِيعَ الرَّجُلُ صَيْفِيَّة ، قال لا ولكنْ لِيَبِعْ صَفِيَّه ، (الصيفىّ الولد على الكبر والصفىّ الناقة الغزيرة الدر) ، قال فإِنِ اشْتَرَى عَبْداً فبانَ بأُمِّهِ جراح ، قال ما فى رَدِّهِ مِنْ جُناح ، (الأم مجتمع الدماغ) قال أَتَثْبُتُ الشُّفْعَةُ لِلشَّرِيكِ فى الصَّحْراء ، قال لَا ولا لِلشَّرِيكِ فى الصَّفْراء ، (الصحراء الأتان التى يمازج بياضها غبرة والصفراء الناقة) ، قال أَيَحِلُّ أَنْ يُحْمَى ماءُ البِئْرِ والخَلا ، قال إنْ كانا فى الفَلا فَلا ، (يحمى يمنع والخلا الكلأ) ؛ قال ما تَقُولُ فى مَيْتَةِ الكافِر ، قال حِلٌّ لِلْمُقِيمِ والمسافر ، (الكافر البحر وميتته السمك الطافى فوق مائه) ، قال أَيَجُوزُ أَنْ يُضَحَّى بِالحُول ، قال هُوَ أَجْدَرُ بِالقَبُول ، (الحول جمع حائل) ، قال فَهَلْ يُضَحَّى بالطَّالِق ،قال نَعَمْ ويُقْرَى منها الطَّارِق ، (الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت) ، قال فإِنْ ضَحَّى قَبلَ ظُهُورِ الغَزالَة ، قال : شاةُ لَحْمٍ بِلا مَحالة ، (الغزالة الشمس قال بعضهم يقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت وضدها الجونة تسمى بها عند مغيبها لأنها تسودّ حين تغيب كما قال الشاعر : تبادر الجونة أن تغيبا) ، قال : أَيَحِلُّ التَّكَسُّبُ بالطَّرْق ، قال هُوَ كالقِمارِ بلا فَرْق ، (الطرق الضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة) قال أَيُسلِمُ القائمُ عَلَى القاعِد ؟ قال مَحْظُورٌ فيما بَيْنَ الأَباعِد ، (القاعد التى قعدت عن الحيض أو عن الأزواج) ، قال أَيَنامُ العاقِلُ تَحْتَ الرَّقِيع ؟ قال أَحْبِبْ به فى البَقِيع ، (الرقيع السماء وعنى بالبقيع بقيع المدينة) ؛ قال أَيُمْنَعُ الذِّمِّىُّ من قَتْلِ العَجُوز ، قال مُعارَضَتُهُ فى العَجُوزِ لا تَجُوز ، (العجوز الخمر وقتلها

(الحمل) الخروف (العقيقة) خرزة حمراء (محظور) ممنوع (الصقر) من جوارح الطير (الدبس) عسل التمر (خوص) ورق (الثمام) شجر ضعيف ورقه كورق الدوم من ذوجة (الابريق) آنية الخمر (الصيفى) ماولد فى زمن الصيف (الصفى) الصاحب الخالص (الدر) اللبن (بان) ظهر (جناح) إثم (الأتان) الأنثى من الحمير (الطافى) المرتفع على وجه الماء (الحول) جمع أحول وحولاء (أجدر) أحق (الطريق) السير بالليل (محظور) ممنوع (الرقيع) الأحمق الذى يتخرق عليه رأيه حتى يحتاج إلى أن يرقع ثم كثر حتى صار الرقيع الماجن القليل الحياء فاراد أيرقد عاقل تحت رقيع فقال ما أحسن ذلك إذا كان فى البقيع هذا معناه فى الظاهر وما قصد به قد

مزجها) ، قَالَ أَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَقِلَ الرَّجُلُ عن عِمَارَةِ أبيه ؟ قَالَ ما جُوِّزَ لِحَامِلٍ ولا نَبِيه ، (العمارة القبيلة) ؛ قَالَ ماتقُولُ فى التَّهَوُّد ؟ قَالَ هُوَ مِفْتَاحُ التَّزَهُّد ، (التهود التوبة ومنه قوله تعالى : « إنا هدنا إليك ») ، قَالَ ما تَقُولُ فى صَبْرِ البَلِيَّة ؟ قَالَ أَعْظِمْ بِهِ من خَطِيَّة ، (الصبر الحبس والبلية الناقة تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف إلى أن تموت وكانت الجاهلية تزعم أن صاحبها يحشر عليها) ، قَالَ أَيَحِلُّ ضَرْبُ السَّفِير ؟ قَالَ نَعَمْ وَالحَمْل على المُسْتَشِير ؛ (السفير ما تساقط من ورق الشجر والمستشير الجمل السمين وهو أيضا الجمل الذى يعرف اللاقح من الحائل) ، قَالَ أَيُعَزِّرُ الرَّجُلُ أباه ؟ قَالَ يَفْعَلهُ البَرُّ ولا يَاباه ، (التعزير التعظيم والنصرة والتوقير) ، قَالَ ما تَقُولُ فيمنْ أَفْقَرَ أخاه ؛ قَالَ حبَّذا ما توَخَّاه ، (أفقره أعاره ناقة يركب فقارها) ؛ قَالَ فإنْ أَعْرَى وَلَدَهُ قَالَ يَاحُسْنَ ما اعْتَمَدَه ، (أعراه أعطاه ثمرة نخلة عاما) ، قَالَ فإنْ أَصْلَى مَمْلُوكَهُ النَّار ، قَالَ إِثْمَ عَلَيْهِ ولا عار (المملوك العجين الذى قد أجيد عجنه حتى قوى) ، قَالَ أَيَجُوزُ لِلمَرْأَةِ أنْ تَصْرِمَ بَعْلَها ؟ قَالَ مَا حَظَرَ أَحَدٌ فِعْلَهَا ، (البعل النخل الذى يشرب بعروقه من الأرض) قَالَ فَهَلْ تُؤَدَّبُ المَرْأَةُ عَلَى الخَجَل ؛ قَالَ أَجَلْ ، (الخجل سوء احتمال الغنى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للنساء إنكن إذا جعتن دقعتن وإذا شبعتن خجلتن) ، قَالَ مَا تَقُولُ فيمَنْ نَحَتَ أَثْلَةَ أخيه ، قَالَ أَثِمَ ولو أَذِنَ له فيه ، (نحت أثلته إذا اغتابه وقدح فى عرضه) ، قَالَ أَيَحْجُرُ الحَاكِمُ عَلَى صَاحِبِ الثَّوْر ، قَالَ نَعَمْ لِيَأْمَنَ غَائِلَةَ الجَوْر ، (الثور الجنون) ، قَالَ فَهَلْ له أنْ يَضْرِبَ عَلَى يَدِ اليَتِيم ؛ قَالَ نَعَمْ إلى أنْ يَسْتَقِيم ؛ (يقال ضرب على يده إذا حجر عليه) ، قَالَ فَهَلْ يَجُوزُ أنْ يَتَّخِذَ له رَبَضا ، قَالَ لا وَلو كَانَ له رِضا ؛ (الربض الزوجة) ؛ قَالَ فَمَتَى يَبِيعُ بَدَنَ السَّفيه ، قَالَ حِينَ يَرَى له الحَظَّ فيه ؛ (البدن الدرع القصيرة) قَالَ فَهَلْ يَجُوزُ أنْ يَبْتَاعَ له حَشًّا ، قَالَ نَعَمْ إذا لم يَكُنْ مُغَشًّى ، (الحش النخل المجتمع) ، قَالَ أَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ الحَاكِمُ ظَالمًا ، قَالَ نَعَمْ إذا كَانَ عالمًا (الظالم الذى يشرب اللبن قبل أن يروب ويخرج زبده) ، قَالَ أَيُسْتَقْضَى مَنْ لَيْسَتْ له بَصِيرة ، قَالَ نَعَمْ إذا حَسُنَتْ مِنْهُ السِّيرَة ، (البصيرة الترس) ، قَالَ فإنْ تَعَرَّى مِنَ العَقْل ، قَالَ ذاك عُنْوانُ الفَضْل ، (العقل ضرب من الوشى) قَالَ فإنْ كَانَ له زَهْوُ جَبَّار ، قَالَ لا إِنْكَارَ

فسره (البقيع) فى الأصل كل موضع فيه أصول أشجار مختلفة (التهود) الدخول فى دين اليهود (عمارة أبيه) ما كان أبوه يعمره من دار يسكنها ومال يعمره (السفير) الرسول (المستشير) المسترشد الذى يستشيرك فى أموره والحمل عليه إهانته وظلمه (اللاقح) الحامل بالولد (الحائل) ضدها (ويعزر) يؤدب والتعزير ضرب دون الحد (البر) المكرم لأبيه (توخاه) قصده وكذلك اعتمده (أصلاه) جعله فيها (تصرم) تقطع وتباعد وأصل الصرم القطع (بعلها) زوجها (حظر) منع (الخجل) الاستحياء وأراد بـ(سوء احتمال الغنى) أن تكون مبذرة لما لها سفيهة فكأن الغني لما أتاها لم تحتمله فأفسدته (نحت) نجر (اثلة) شجرة (غائلة) ضرر (الربض) بقاع من الأرض تباع وتشترى (الحش) الكنيف (مغشى) يغشاه الناس ويدخلونه (البصيرة) اليقين والنظر السديد (السيرة) العادة (عنوان) دليل وعلامة (الزهو) التكبر والاعجاب (الأريب)

عليه ولا إكبار ، (الزهو البسر المتلون والجبار النخل الذى فات اليد وضده القاهد) ، قال أيَجُوزُ أنْ يَكُونَ الشَّاهِدُ مُرِيبا ، قال نَعَمْ إذا كَانَ أرِيبا ، (المريب الذى يكثر عنده اللبن الرائب) ، قال فإنْ بانَ أنّه لاط ، قال هُوَ كَما لَوْ خاط ، (لاط الحوض إذا طينه) ، قال فإنْ عُثِرَ عَلَى أنَّهُ غَرْبَل ، قال تُرَدُّ شَهادَتُهُ ولا تُقبَل ، (غربل أى قتل ومنه قول الراجز : ترى الملوك حوله مغربلة) ، قال فإن وَضح أنَّهُ مائِن ، قال هُوَ وصْفٌ له زائِن ، (المائن ههنا الذى يعول ويكفى المؤنة من مان يمون لا من مان يمين) ، قال ما يَجِبُ عَلَى عابِدِ الحَقِّ ، قال يُحَلَّفُ بِإلَهِ الخَلْق ، (العابد ههنا الجاحد والحق الدين) ، قال ما تَقُولُ فِيمَنْ فَقَأ عَيْنَ بُلْبُلٍ عامِدًا ، قال تُفقَأ عَيْنُه قَوْلًا واحِدًا (البلبل الرجل الخفيف) ، قال فإنْ جَرَحَ قَطاةَ امْرَأةٍ فَماتَتْ ، قال النَّفْسُ بالنَّفْسِ إذا فاتَتْ ، (القطاة ما بين الوركين) ، قال فإنْ ألْقَتِ الحامِلُ حَشِيشًا من ضَرْبِه ، قال لِيُكَفِّرْ بالإعْتاقِ عَنْ ذَنْبِه ، (الحشيش الجنين الملقى ميتًا) قال ما يَجِبُ عَلَى المُخْتَفِى فى الشَّرْع ، قال القَطْعُ لإقامَةِ الرَّدْع ، (المختفى نباش القبور) ، قال فما يُصْنَعُ بِمَنْ سَرَقَ أساوِدَ الدَّار ، قَال يُقطَعُ إنْ ساوَيْنَ رُبْعَ دِينار ، (الأساود الآلات المستعملة كالإجانة والقدر والجفنة) ، قَال فإنْ سَرَقَ ثَمِينًا من ذَهَب ، قَال لا قَطعَ كما لو غصب ، (الثمين الثمن كما يقال فى النصف نصيف وفى السدس سديس) ، قَال فإنْ بانَ على المَرْأةِ السَّرَق ، قَال لا حَرَجَ عَلَيْها وَلا فَرَق (السرق الحرير الأبيض) ، قَال أيَنْعَقِدُ نِكاحٌ لم يَشْهَدْهُ القَوارِى ، قَال لا والخالِقِ البارِى ، (القوارى الشهود لأنهم يقرون الأشياء أى يتتبعونها) ، قَال ما تَقُولُ فى عَرُوسٍ باتَتْ بِلَيْلَةِ حُرَّة ، ثم رُدَّتْ فى حافِرَتِها بِسُحْرَة ، قَال يَجِبُ لَها نِصْفُ الصَّداق ، وَلا تلزمُها عِدَّةُ الطَّلاق ، (يقَال باتت العرُوس بليلة حرة إذا امتنعت

على زوجها فان افتضها قيل باتت بليلة شيباء ، والرد فى الحافرة بمعنى الرجوع فى الطريق الأول وكنى به عن طلاقها وردها إلى أهلها) .

العاقل (لاط) عمل عمل قوم لوط (وضح) تبين (مائن) كاذب (القطاة) نوع من الحمام وفقأ العين اخرجها (البلبل) طائر (الحشيش) نبات يابس (الردع) الكف والمنع (الأساود) الحيات (الثمين) الرفيع الثمن (القوارى) طير خضر وقد بين هو أنه أراد بالقوارى الشهود ويقال المسلمون قوارى الله فى الأرض أى شهوده ، قال جرير : المسلمون لما اقول قوارى . وباتت العروس بليله شيباء إذا غشيهازوجها ،

الفنجديهى : رأيت بخط الحريرى رحمه الله تعالى :

طيبوها ولم أطيب بطيب ... رب منع ألذ من اعطاء
بت فى درعها وبات ضجيعى ... فى بصير وليلة شيباء

البصير هنا قطعة من دم .. وقد أتينا على مافى هذه المسائل من الغريب فى الظاهر وأما ماقصده من المعنى فهو مفسر فى الأصل ولقد أحسن أبو محمد فى هذه الفتاوى وأجاد وبلغ من الاقتدار والاتساع فوق المرادوإن كان لا يوصف فيها بالابتداع فلقد أحسن فى الاتباع والسابق إلى هذا المعنى أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى فى كتاب سماه بالملاحن وهى من اللحن وهو أن تورى بلفظ عن لفظ ، ثم تمم تلك الأعراض وحسنها أحمد بن

عبيد الله فى كتاب سماه بالمنقذ ، وفائدة حفظ هذه الأعراض أن يخوف الرجل أو يروعه أمير ظالم أومسلط غاشم فيتخلص منه بهذه المعاريض فاما أن يقطع بها حق مسلم فلا سبيلى اليها ، ومعتمدهم فيها حديث عمران بن حصين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن فى المعاريض مندوحة عن الكذب وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عجبت لمن يحسن المعاريض كيف يكذب ولمن لاحن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم،وقول النبى صلى الله عليه وسلم لطلائع المشركين حين لقوه فى نفر من أصحابه فقالوا ممن أنتم : من ماء فتركوهم وأراد فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق ، وقوله صلى الله عليه وسلم فى مزاحه لاحدى عماته إن الجنة لاندخلها عجوز فلما جزعت قال لها إن الله تعالى يخلقهم يوم القيامة شواب أبكارا،وقال لامرأةمافعل زوجك الذى فى عينيه بياض فلما جزعت قال لها أو ليس فى كل عين بياض ، وقال له رجل احملنى قال ماعندى إلا ولد الناقة فقال وما أصنع بولد الناقة فقال صلى الله عليه وسلم وهل الإبل إلا من النوق . فاستجيزت المعاريض على هذا النحو من المزاح أو التخويف :. ومن ذلك أن بعض العرب أدخل على الواثق وكان يقول بخلق القرآن ويعاقب من خالفه فقال له ماتقول فى القرآن فتصامم عليه فأعاد السؤال فقال من تعنى يا أمير المؤمنين فقال إياك أعنى فقال مخلوق يعنى نفسه وتخاص منه ، وقال لآخر من الصالحين ما تقول فى القرآن فأخرج يده وجعل يعد أصابعه ويقول التوراة والانجيل والقرآن هؤلاء الثلاثة مخلوقه فعنى أصابعه وتخلص منه ،وتعذرعلى رجل لقاء المأمون فى ظلامة فصاح على بابه أنا أحمد النبى المبعوث فادخل اليه وأعلم أنه تنبأ فقال له ما تقول فذكر ظلامته فقال له ما تقول فيما حكى عنك فقال وما هو قال ذكروا أنك تقول إنك نبى فقال معاذ الله إنما قلت أنا أحمد النبى المبعوث أفا أنت يا أمير المؤمنين ممن لا يحمده فاستظرفه وأمر بانصافه ، وخرج شريح القاضى من عند زياد وتركه يجود بنفسه فسأله الناس عن حاله فقال تركته يأمر وينهى فجزعوا لسلامته فما راعهم إلا صياح النائحات عليه فسئل شريح عن قوله فقال تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء ، وسئل ابن سيرمة عن رجل ليستعمل فقال إن له شرفا وقدما وبيتا فنظروا فاذا هو ساقط سفلة فقيل له فى ذلك فقال شرمه أذناه وبيته الذى يأوى الية وقدمه الذى يمشى عليه ، وقال صاحب المنقذإذا حلفت بالأيمان اللازمة لك فانو بالأيمان الأيدى قال تعالى وعن أيمانهم وعن شمائلهم فان قلت كل امرأة لك طالق فاعن الطالق من الإبل وهى التى يطلقها الراعى والطالق التى يحمل عليها عقالها فان قيل احاف بظهارا مرأتك كظهر أمك فاعن بالظهر ماركب من الخيل والبغال والحمير ولاجناح عليه فى ركوب دواب أمه فان قال احلف بما لك على المسلمين صدقة فاعن مالك على المساكين من دين وليس لك شىء فان أحلفك بأن كل مملوك لك حر فالمملوك الدقيق الملتوث بالماء والزيت أو السمن فان قال كل غلام لك حرفالحر الحية الذكر والحر من الرمل الذى ماوطىء والحر ذكر الحمام ، قال حميد : دعت ساق حر ترحة وترنما , فان أحلفك بأن كل جارية لك حرة فان الجارية السفينةوالريح والشمس فان قال احلف والا كل أمة لك حرة فالحرة الأذن والحرة السحابة العزيزة المطر فان أحلفك وإلا فما لك حبس فحبس بلد معروف ، قال ابن حلزة : لمن الديار عفون بالحبس ، فان قال وإلا فهو كافر فالكافر الليل أو البحر أو الزراع للبذر قال الله تعالى أعجب الكفار نباته وأصله الساتر وتقول كل امرأة تزوجتها فقد طلقتها بتاتا فتروجت اتخذت زوجا من النبات أى لونا ،

وقال الله تعالى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، وقال تعالى فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى وطلقتها ألبستها الطلق وهو قبة من جلود والبتات الزاد وتقول ماتطيبت ولا تمسكت فتطيبت أتيت الطيب وهو بلد بين واسط والسوس أو طيبة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكت لبست مسكا وهو الجلد او تفعلت من الامتساك وتقول ماله قبلي درهم ولا دينار فدرهم قبيلة من ربيعة لهم خطة فى البصرة ودينار اسم رجل معروف ، وماله قبلي ثوب ولا شفة ولا قيص الثوب ، الرجوع من ثاب يثوب والشقة العبد والقميص غشاء القلب ، وماله قبلي شى بوجه من الوجوه ولا بسبب من الأسباب ، الشى مصدر شويت اللحم والوجه صـــور مختلفة من التصاوير والوجه المقصد والجمع وجوه والاسباب الحبال ، وما أوصيت اليه وما أوصى إلى أوصى دخل فى الواصى وهو بيت متصل بعضه ببعض ، ولا أعلم له دارا ولا عقارا فدار بلد معروف بالجزيرة قال الشاعر :

ولقد قلت لرجلي بين حران ودارا اصبرى يارجل حتى يرزق الله حمارا

والعقار النخل ، ولاأعرف للمرأة بعلا ولا وليا فالبعل النخل أو الشجر يشرب بماء السحاب والولى المطر يلى الوسمى ، وتقول ما اشتريت لفلانة ضرتك قيصاً ولا إزارا ولا رداء ولا قناعا ولا غلالة ولاحليتها خاتما ولا خلخالا ولا طوقا ولا سوارا ولا قرطتها ولا شنفتها ولاكسوتها ولا جلست مع قينة ولا مغنية ولا ضاربة بعود ولا بطبل ولا رباب ولا سمعت زمارة ولا ذقت نبيذا ، فالقميص غشاء القلب والرداء السيف او الدين او العطاء والازار قبل المرأة او جسم الرجل ، قال الشاعر : فدى لك من أخ ثقة إزار والازار العفاف والقناع جمع قنع وهو طبق يحمل عليه الفاكهة وفى الحديث ان الربيع ابنة معوذ اتت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب وآخر من زغب فأكل منه الزغب القثاء والغلالة مسمار من مسامير الدروع قال :

فهن وضاء صافيات الغلائل ، والغلالة الجماعة من الناس والخاتم شعرات بيض فى قوائم الفرس والسوار مصدر ساورت الرجل والخلخال الرمل الجريش والطوق المصدر من الطاقة وقرطتها من القرط وهو العلف الرطب تأكله الدواب فاذا يبس فهو القت وشنفتها جعلتها مشنفة أى مبغضة من شنفت الرجل إذا أبغضته وكسوتها ضربت كساها وهو جانبها وجانب كل شيء كساه والجمع اكساء والقينة هزمة بين الورك وعجب الذنب من الفرس والعود الذى يتبخر به والزمارة الفاجرة ومنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الزمارة والزمارة الغل وفى خبر الحجاج انى سعيد بن جبير وفى عنقه الزمارة اى ساجور والطبل السلة التى يجعل فيها الطعام والطبل الخراج والمغنية ناقة تضرب بنابها والرباب سخب متراكب قريب من الارض والنبيذ مانبذته النعام أو الحمير بأرجلها من الحصى . وتقول مالى مركوب وما بعت عبدا وقد افتقرت حتى مافى ملكى نفقة يوم مالى بمعنى ملكى ومركوب ضربت ركبته وثنية بالحجاز وعبد جبل من جبال طيء وافتقر اشتد فقاره أو كسر فقار جدى أو حمل والملك الحجة وتقول ما أضعت عملك ولاقصرت ولاأهملت ولافرطت ولا ساحت احدا ولا تركت واجبا ولا ارتفقت بحجة ولا ابقيت غاية فى مناصحتك اضعت كثرت ضياعى وفرطت بعثت فارطا وهو طالب الماء وقصرت بنيت قصرا وأهملت كثرت هواملى وهى الابل السارحة فى المرعى بلا راع وساحت نظرت ابناً أكرم والواجب الساقط وارتفقت نمت على مرفقى والغاية راية الحمار . وتقول ماشتمت له ابا ولا عما ولاعمة ولا خالة ولا صحبته ولا شاهدته ولا راسلته ولا شاربته ولا نادمته ولا رأيته منذ دهر

أبا داء يأخذ المعزى قال : أبا لا إخال الضان منه نواجيا ، وعم قطعة من الناس وقرية بالشأم والعمة النخلة قال صلى الله عليه وسلم نعمت العمة لكم النخلة وقيل لها عمة لأنها خلقت من بقية طينة آدم عليه السلام والخال السحاب والخال من البرود والخال من الخيلان والخالة جمع خال من الكبر وصحبته منعته قال تعالى ولا هم منا يصحبون أي يمنعون وشاهدته أكلت معه الشهد وراسلته شربت معه الرسل وهو اللبن وشاربته من الشوارب ونادمته من الندم ورأيتـه ضربت رئته ودهر قبيلة من إياد ؛ وتقول ماكتبت له حرفا ولا خططت له بقلم ولا شتمته ولا هجوته ولا افتريت عليه ولا أعرف عليه سوءا ، الحرف الناقة المضمرة والقلم القدح قال الله تعالى إذ يلقون أقلامهم يعنى قداح الميسر والشتم قبح الوجه وهجوته أزلت نعمته وهو الهجا مقصور وافتريت لبست الفرو والسوء البرص ؛ وتقول رأيته فى السوق متوفى مقبورا وما أخذ دواء ولا معجوناً فالسوق أصول الشجر وأعناقها ، متوفى دائما مقبورا مبخرا بالعود الهندى الذى فيه قبر أى رخاوة والدواء والدواية جلدة اللبن والمعجون المضروب على عجانه ، وتقول : هو مجنون مصاب قد غل مرارا فما اعتذرت ولا تنصلت لأنه ليس من الأجواد ولا الشجعان الذين يقدح فى أنسابهم المجنون المستور مصاب محدر من صاب يصوب وغل من الغلة واعتذر وتنصل اتخذ عذارا ونصلا والاجواد العطاش والشجعان الحيات والانساب أسنان المشط ، وتقول رأيت الجيش بالثغر والفارس فى الفوارس فما أفضل عليه أحدا من العرب والعجم الجيش الغليان والثغر شجر له شوك والفارس الحسن الفراسة أو الفوارس كثبان رمل والعرب فساد المعدة وعربت معدته والعجم النوى وما أكلت دابتى شعير الشعيرة جمع شعيرة وهو مسمار من الفضة فى قائم السيف ، والباب متسع وفيه تأنس لما ذكره أبو محمد . . ومن المعاريض أن الحجاج لما أخرج ابن القبعثرى من سجنه قال له سمنت ياغضبان قال القيد والرتعة والخفض والدعة ومن يكر ضيف الأمير يسمن قال لأحملنك على الأدهم قال مثل الأمير يحمل على الأدهم والورد والكميت قال إنه حديد قال لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا قال اضربوا به الأرض قال منها خلقنا كم وفيها نعيدكم قال جروه قال بسم الله مجراها ومرساها قال احملوه على الأيدى فلما حمل قال سبحان الذى سخر لنا هذا فضحك الحجاج وقال غلبنا هذا الخبيث خلوه إلى صفحى عنه قال فاصفح عنهم وقل سلام ، وقال خالد ابن الوليد لعبد المسيح بن عمرو الغسانى وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة من أين أقصى أثرك قال من صلب أبى قال من أين خرجت قال من بطن أمى قال فعلام أنت قال على الارض قال ففيم أنت قال فى ثيابى قال أتعقل لا عقلت قال إى والله وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال فما سنـك قال ماتزيدنى مسئلتك إلا عيا قال ما أجبتك إلا عن مسئلتك . .
الربيع بن عبد الرحمن : قال لاعرابى أتهمز إسرائيل قال إنى إذا لرجل سوء أراد قوله هماز مشاء بنميم ، قلت أتجر فلسطين قال إنى إذا لقوى . . خلف الأحمر : قلت لاعرابى ألق عليك بيتا قال على نفسك فألقـه . . .
قيل لاعرابى أتهمز الفارة قال الهر يهمزها ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن يزيد الهلالى عامل أرمينية وقد بات على قرب من غدير فيه ضفادع فقال عبد الله ماتركنا شيوخ محارب تنام فى هذه الليلة لشدة أصواتها فقال المحاربى أصلح الله الأمير إنها أضلت برقعا فهى فى بغائه ، أراد الهلالى قول الأخطل :

فقال له السّائلُ للهِ دَرُّكَ مِنْ بَحْرٍ لا يُغَضْغِضُهُ المَاتِح ، وحَبْرٍ لا يَبْلُغُ مَدْحَهُ المادِح ، ثم أطْرَقَ إطْرَاقَ الحَيِيِّ وأرَمَّ إرْمامَ العَيِيِّ ، فقال له أبو زَيْدٍ إيهٍ يا فَتَى ، فإلى مَتَى وإلى مَتَى ، فقال له إنَّهُ لم يَبْقَ في كِنانَتِي مِرْماة ، ولا بَعْدَ إشْراقِ صُبْحِكَ مُماراة ، فَباللهِ أيُّ ابنِ أرْضٍ أنْت ، فما أحْسَنَ ما أبَنْت ، فأنْشَدَ بِلِسانٍ ذَلِقٍ وصَوْتٍ صَهْصَلِقٍ :

أنا في العالَمِ مِثْلَه ولأهْلِ العِلْمِ قِبْلَه

تنق بلا شيء شيوخ محارب وما خلتها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر

وأراد المحاربي قول الآخر :

لكل هلالى من اللؤم برقع ولابن هلال برقع وقميص

وهذا النحو من التعريض كثير وقال أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى :

ياضرة الشمس التى أشرقت قد أشرقت حجة مشتاقك
لحظك أو خصرك قد ضمنا ماضمنت عهدة ميثاقك
ثارى الهوى يطلبه ثائر مصرعه مابين أحداقك
لا تدخرى أنفس صوت فقد رغب فى نفس أعلاقك
رفقا بمن ملكته فى الهوى فانه آخر عشاقك

فانفس أعلاق المرأة معلوم والظرف كله في قوله فانه آخر عشاقك يعرض أنها أسنت فلا عاشق لها من بعده والقينة التى داعبها ومازحها تفهم ما خوطبت به لأنها تلميذة ولادة بنت المستكفي وولادة شاعرة بارعة التندير فمن تندرها قولها فى ذى الوزارتين ابن زيدون عاشقها تعرض له بشيء كان يزن به :

ما لابن زيدون على فضله يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا إذا جئته كأنما جئت لأخصى على

وعلى صبيه وكان يمزح معه (يغضغضه) ينقصه (الماتح) المستق من أعلى البئر والمايح بالياء من قعرها (حبر) عالم (أطرق) أمال رأسه ساكنا (وأرم) سكت (العي) الذى إن كلمته لم يحسن رد جوابه (إيه) بمعنى زدنى من سؤالك . ابن السرى : إذا قلت إيه يا رجل فانما تأمره أن يزيدك من الحديث المعهود بينكما كأنك قلت هات الحديث ، وإن قلت إيه بالتنوين فكأنك قلت هات حديثا ما (قال متى) سكونك (مرماه) سهم يرمى به السبق وقيل هو سهم مدور النصل (بعد إشراق صبحك) أى بعد ظهور فضلك وإشراق ضوائه (مماراة) شك (أبنت) بينت (ذلق) حديد (صهصلق) شديد (مثلة) مغير الخلق فهى فعلة من المثل ويقال المثلة والمثل بمعنى ... ونذكر على قوله ، أنا فى العالم مثلة ، فصلا فى ذكر قباح الوجوه من العلماء وغيرهم فنهم الجاحظ وأراد المتوكل أن يعلم بنيه الثلاثة وولاة عهده فأدخل عليهم فارتاعوا من قبح وجهه فأخرج عنهم بعنف .

وحكى المسعودي أن الجاحظ قال ذكرت للمتوكل لتعليم بعض ولده فلما رآني استبشع منظرى فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفني وقال الحمدونى :

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا لرأيته فى دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه وهو العدو لكل عين لاحظ

قال الأصمعي رحمه الله : دخلت يوما على جعفر بن يحيى فقال لى هل لك يا أصمعى من زوجة قلت لا قال فجارية قلت للمهنة قال فهل لك أن أهب لك جارية نظيفة قلت إنى لمحتاج إلى ذلك فأمر بجارية فأخرجت وهى فى غاية الحسن والجمال والهيئة والظرف فقال لها قد وهبتك لهذا وقال لى خذ هذه فشكرته ، وبكت الجارية وقالت ياسيدى أتدفعنى لهذا الشيخ مع ما أرى من سماحتك وقبح منظره وجزعت جزعا شديدا ، فقال لى يا أصمعى هل لك أن أعوضك منها ألف دينار ؟ فقلت ما أكره ذلك ، فأمر لى بها ودخلت الجارية ، فقال لى يا أصمعى أنكرت على شيئا فأردت عقوبتها بك ثم رحمتها منك فقلت أيها الأمير أفلا أعلمتنى قبل ذلك فانى لم آتك حتى سرحت لحيتى وأصلحت وجهى وعمتى فلو عرفت الخبر لسرت على هيئتى وخلقتى فو الله لو رأتنى كذلك لما عاودت شيئا تنكره أبدا .. وما ذكرنا قبحهم مع العلم الذى زينهم الله به ، وكذا ينبغى لمن خلق قبيح الصورة أن يستعمل لها الأخلاق الحسان والأفعال الحسان لئلا يجمع بين قبيحين .. كان الأويقص المخزومى أقبح الناس خلقة وما رؤى مثله فى العفاف والزهد وكان قاضى مكة فقال يوما لجلسائه قالت لى أمى يا بنى إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجالسة الفتيان فى بيوت القيان فعليك بالدين فان الله تعالى يرفع به الخسيسة ويتم به النقيصة فنفعنى الله بكلامها فوليت القضاء . وروى أن أم مالك بن أنس اوصته بمثل هذه الوصية حين اراد ان يتعلم الغناء فى حداثته فتركه وتعلم العلم فذهب به حيث بلغ . وكان عطاء بن ابى رباح أعور أسود أفطس أشل أعرج ثم عمى وأمه سوداء تسمى بركة وقيل لأهل مكة بعد موته كيف كان عطاء ابن أبى رباح فيكم قالوا كان مثل العافية التى لا يعرف فضلها حتى تفقد ، وكان فى خلقة أبان بن عثمان كل عيب وكان يضرب بعيوبه المثل فى المدينة . وكان معن بن زائدة أمير اليمن يوما جالسا إذ أتته امرأة من بنى سهم ومعها ابن صغير يتبعها ويطأ أذيالها فقالت أصلح الله الأمير إن عمى زوجنى من ليس بكفء فقال من هو ؟ فقالت ابن ذى مناجب ، فقال على به فدخل أقبح من خلق الله واشوههم خلقا ، فقال من هذه منك ؟ قال امرأتى قال خل سبيلها ففعل فأطرق معن ساعة ثم رفع راسه فقال :

لعمرى لقد اصبحت غير محبب ولا حسن فى عينها ذا مناجب
فما لمتها لما تبينت وجهه وعينا له خوصاء من تحت حاجب
وانفا كأنف البكر يقطر ناتئا على لحية عضباء منه وشارب
اتيت بها مثل المهاة تسوقها فيا حسن مجلوب ويا شر جالب

وكان تزوجها بمكة وقدم بها اليمن والصبي هو ابن جامع المغنى المشهور . وحكى البحترى فى نوادره عن رجل سماه قال مررت بامرأة من أجمل الناس معها رجل من أقبحهم فقلت لها يا أمة الله من هذا منك قالت رجليه فقلت ومن قرنك به قالت اخيه فقلت :

جزى الرحمن عنك أخاك شرا فقد أخزاك فى الدنيا وزادا
فلم أر. مغزلا قرنت بكلب ولا خزا بطانته بجادا

وقال آخر : ألا رب بيضاء المحاجر طفلة تساق إلى وغد من القوم تنبال
يقولون جرتها إليك قرابة فويح العذار من بنى العم والخال

وقال آخر : لابن عبد النور وجه صار للقبح ملاذا
قال قرد إذا رآه لعنة الله على ذا

وقال فى بشار : تواثب أقمار وأنت مشوه وأقرب خلق الله من شبه القرد

وكان بشار ضخما قبيح الوجه جاحظ الحدقتين أقبح الناس عمى ومنظرا فقال فيه حماد :

ألا من مبلغ عنى الذى والده برد
إذا مانسب الناس فلا قبل ولا بعد
وأعمى يشبه القردا إذا ما عمى القرد

فقال بشار عند ما سمع هذا البيت ما أخطأ ابن الزانية من صفتى نقرة وجعل يبكى ويقول ما حيلتى يرانى ويشبهنى ولا أراه فأشبهه وبعده :

ولو تلقيه فى صلد صفا لا نصدع الصلد
هو الكلب إذا ماما ت لم يوجد له فقد

أنشد رجل قول حماد :

دعيت لبرد وأنت لغيره وهبك لبرد نكت أمك من برد

فقال له ههنا أحد قال لا قال أحسن والله ابن الزانية ولقد تعين له فى بيت واحد على خمسة معان من من الهجو وهى دعيت إلى برد معنى وأنت لغيره معنى ثان وهبك لبرد معنى ثالت نكت أمك شتم واستخفاف مجرد وهو معنى رابع ثم ختمها بقوله من برد فأتى بالطامة الكبرى وأوجع ما مر عليه من قول حماد :

لو طلبت جلدته عنبرا لأفسدت جلدته العنبرا
أو طلبت مسكا ذكيا ذا يتحول المسك عليه خرا

كان حفص بن أبى وردة أفطس أعفص مقبح الوجه وكان حماد صديقه فتناشدوا الشعر يوما فطعن حفص على مرقش فقال حماد :

لقد كان فى عينيك يا حفص شاغل وأنف كثيل العوذ عما تتبع
تشنع لحنا فى كلام مرقش ووجهك مبنى على اللحن أجمع
فاذناك إقواء وأنفك مكفأ وعيناك إيطاء فأنت المرقع

أخذ تشبيه الأنف بالثيل من قول كعب فى الوليد بن عبد الملك :

فقدت الوليد وأنفاله كثيل البعير أبى ان يبولا

قال ابو زيد رايت اعرابيا كأن انفه كوز من عظمه فرآنا نضحك فقال لنا ما يضحككم فو الله لقد كنت

فى قوم يسمونى الأفطس وقال الشاعر :

إذا أنت أقبلت فى حاجة إليه فكلمه من خلفه
فان أنت واجهته بالـكلا م لم يسمع الصوت من أنفه

وقال آخر : إن عيسى أنف أنفه أنفه ضعف لضعفه
لو تراه راكبا والأنـ ف قد مال بعطفه
لرأيت الأنف فى السر ج وعيسى ردف أنفه

وقال الحسن فى جعفر بن يحيى :

ذاك الوزير الذى طالت علاوته كأنه ناظر فى السيف بالطول

وقال ابو على الخليع: سابور ويحك ما أخسـ لك بل أخصك بالعيوب
وجه قبيـــح فى التبسم كيف يحسن فى القطوب

وكان جحظة البرمكى ناتىء العينين جدا قبيح الوجه فقال فيه ابن الرومى :

تبيت جحظة جتستعير حوظة من قبل شطرنج ومن سرطان
يارحمة لمنادميه تحملوا ألم العيون للذة الآذان

وكان طيب الغناء وحضر مجلسه على بن بسام فتفرق القوم المخاد فقال جحظة مالى لا أعطى مخدة فقال له ابن بسام غن فالمخاد كلها اليك تصير وقال فيه :

يامن هجوناه فغنانا أنت وحق الله أهجانا
سيان إن غنى لنا جحظة أو مر مجنون فزنانا

وله فيه أيضاً : لجحظة المحسن عندى يد أشكرها منه إلى المحشر
لما رآنى رد برذونه وصاننى عن وجهه المنكر

كان الحطيئة قبيح المنظر كثير الشر فالتمس يوما إنسانا يهجوه فلم يجد فجعل يقول

أبت شفتاى اليوم إلا تكلما بشر فما أدرى لمن انا قائله

فاطلع فى ماء فرأى وجهه فقال :

أرى لى وجها قبح الله شخصه فقبح من وجه وقبح حامله

نظر إلى هذا اسمعيل بن معمر القراطيسى فقال :

ما تنقضى من عجب فكرتى من خصلة فرط فيها الولاء
ترك المحبين بلا حاكم لم يقعد وللعاشقين القضاه
وقد أتانى خبر ساءنى مقالها فى السر واسوأتاه
أمثل هذا يبتغى وصلنا أما يرى ذا وجهه فى المراه

وقال الأصبهانى إن القراطيسى سأل العباس بن الأحنف فقال له يا أبا الفضل هل قلت فى معنى قولى هذا شيئا فقال قلت :

جارية أعجبها حسنها ومثلها فى الناس لم يخلق
خبرتها إنى محب لها فأقبلت تضحك من منطق
والتفت نحو فتاة لها كالرشا الوسنان فى قرطق
قالت لها قولى لهذا الفتى أنظر إلى وجهك ثم اعشق

وقال الصقلى فى صفة عذول قبيح :

رأى وجه من أهوى عذولى فقال لى أجلك عن وجه أراه كريها
فقلت له بل وجه حى مراءة فأنت ترى تمثال وجهك فيها

ولابن القابلة السبتى :

ووجه حبيب رق حسنا أديمه يرى الصب فيه وجهه حين ينظر
تعرض لى عند اللقاء به رشا تكاد الحيا من محياه تقطر
ولم يتعرض كى أراه وإنما أراد يرينى أن وجهك أصفر

ولبعض المصريين فى غلام يهواه :

يجرى النسيم على غلالة خده وأرق منه مايمر عليه
ناولته المرآة ينظر وجهه فعكست فتنة ناظريه اليه

وقال الرمادى: وإذا أراد تنزها فى روضة أخذ المراة بكفه فتنزها

كان للفضل بن سهل وصيفة ظريفة كثيرة الملح والنوادر وكانت سافيته وكان أبو نواس يولع بها ويمازحها فقال لها يوما إنى أحبك وتبغضينى فلم ذلك فقالت له وجهك والحرام لايجتمعان فقال :

مذكرة مؤنثة مهاة إذا برزت تشبهها غلاما
تعاف الماء والعسل المصفى وتشرب من فتوتها المداما
تقول للحظها يا سيف أبشر ستروى من دم وتشق هاما
وقائلة لها فى وجه نصح علام قتلت هذا المستهاما
فكان جوابها فى حسن ميس أأجمع وجه هذا والحراما

ومن ملح بن لنكك فى أهاجى أبى رياش :

على القبح الفظيع أبو رياش يعاشر بأخلاق ملاح
يبيح أكفنا أبدا قفاه فنصفعه على وجه المزاح

وله فيه أيضا: قل للوضيع أبى رياش لا تبل ته كل تيه بالولاية والعمل
ماازددت حين وليت إلا خسة كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

غَيْرَ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ تَعْرِيسٍ ورِحْلَه
والغَرِيبُ الدَّارِ لَوْ حَلَّ بِطُوبَى لَمْ تَطِبْ لَه

ثم قال: اللَّهُمَّ كما جَعَلْتَنا مِمَّنْ هُدِيَ وَيَهْدِي، فاجْعَلْهُمْ مِمَّنْ يَهْتَدِي وَيُهْدِي، فَساقَ إليه القَوْمُ ذَوْدًا مَعَ قَيْنَة؛ وسَأَلُوهُ أن يَزُورَهُمُ الفَيْنَةَ بَعْدَ الفَيْنَة، فَنَهَضَ يُمَنِّيهِمِ العَوْدَ، ويُزَجِّي الأَمَةَ والذَّوْدَ

قال الحارِثُ بنُ هَمَّام: فاعْتَرَضْتُهُ وقلتُ له عَهْدِي بِكَ سَفِيهًا، فَمَتَى صِرْتَ فَقِيهًا، فَظَلَّ هُنَيْهَةً يَجُول، ثم أَنْشَأَ يَقُولُ:

لَبِسْتُ لِكُلِّ زَمانٍ لَبُوسا ولابَسْتُ صَرْفَيْهِ نُعْمَى وبُوسا
وعاشَرْتُ كُلَّ جَلِيسٍ بِمَا يُلائِمُهُ لأَرُوقَ الجَلِيسا
فَعِنْدَ الرُّواةِ أُدِيرُ الكَلامَ وَبينَ السُّقاةِ أُدِيرُ الكُؤُوسا
وَطَوْرًا بِوَعْظِي أُسِيلُ الدُّمُوعَ وَطَوْرًا بِلَهْوِي أَسُرُّ النُّفُوسا
وَأَقْرِي المَسامِعَ إِمَّا نَطَقْتُ بَيانًا يَقُودُ الحَرُونَ الشَّمُوسا
وإنْ شِئْتُ أَرْعَفُ كَفِّي اليَراعَ فَساقَطَ دُرًّا يُحَلِّي الطُّرُوسا

(تعريس) أى نزول آخر الليل (يهدى) الأول يرشد ويدل على الطريق ويقال هداه يهديه هدى فى الدين وهداه يهديه هداية فى الطريق (يهدى) يعطى هدية ويقال أهداه هدية يهديها إهداء إذا أعطاها (الذود) ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل ولا تكون إلا أناثا (قينة) جارية مغنية ويقال القينة الأمة كانت مغنية أو غير مغنية (الفينة) الساعة والحين ويقال إنى لآتيه الفينة بعد الفينة وفينة بعد فينة يستعمل بالألف واللام وبتركهما أى أديم الاختلاف اليه الحين بعد الحين ولوقت بعد الوقت (يزجى) يسوق (السفيه) البطال المشتغل باللهو (هنيهة) سريعة تصغير هنة ويقال فى تصغيرها هنية وهنيهة كما تصغر سنة سنية وسنيهة (يجول) يتصرف (لبوسا) ثوبا يشاكله أخذه من قول النابغة:

البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها

(لابست) خالطت (صرفيه) حاليه من الخير والشر (عاشرت) صاحبت (يلائمه) يوافقه (أروق) أعجب والصرف إسم الحادث الدهر لأنه يصرف الأشياء عن وجوهها (طورا) مرة (أقرى المسامع) أعطى الآذان واجعل فيها البيان (إما نطقت) أى إن نطقت (الحرون) الذى يأبى المشى والانقياد (الشموس) الذى إذا نخس وثب وقيل الذى يمنع الركاب (اليراع) الأقلاع أرعفها أسألها بالمداد (يحلى) يزين (الطروس) الكتب سميت بذلك لأنها ممحوة والمطروس الممحو، قال رؤبة: كما رأيت الطلل المروسا، وعلى ذكر اليراع قال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى فى قلم.

وأهيف طاوى الكشح اسمر ناطق له جولان فى بطون المهارق
كأن اللآلى والزبرجد نطقه ونور الخزامى فى عيون الحدائق

وكم مُشكلاتٍ حَكَيْنَ السُّها خفاءً فصرنَ بكشفي شُمُوسا
وكم مُلَحٍ لى خَلَبْنَ العقول وأسأرنَ فى كلّ قلبٍ رَسِيسا
وعَذراءَ فُهتُ بِها فانثنى عليها الثناء طليقًا حبيسا

إذا استعجلته الكف أمطر خاله بلا صوت إرعاد ولا صوب بارق

وقال ابن عبد ربه :

بكفه ساحر البيان إذا أداره فى صحيفة سحرا
مهفف تزدهى به صحف كأنما حليت به دررا
يكاد عنوانها لروعتـــه ينبيك عن سرها الذى استترا

وقال التهامى :

يلقى العدا من كتبه بكتائب يجررن من زرد الحروف ذيولا
فترى الصحيفة حلية وجيادها أقلامها وصريرهن صهيلا
فى كفه قلم أتم من القنا طولا وهن أتم منه طولا

وله أيضا :

وإذا راش بالأنامل منه قلما واستمد ساء وسرا
قلمـــا دبر الأليم حتى قال فيه أهل التناسخ أمرا
يتبع الرمح أمره فابن عشريـ ن ذراعا بالرأى يخدم شبرا

(السها) نجم خفى (حلبن) خدعن (أسأرن) أبقين والسؤر البقية وفى الحديث إذا أكلتم فاسئروا وأخذت سائره معناه بقيته (الرسيس) أول برد الحمى يريد أن هذه الملح لعذوبتها إذا حلت فى القلب أحدثت فيه حركة وهزة وإذا سمع ذو الذكاء كلاما مستظرفا من نثر أو نظم وجد له دبيبا وقشعريرة وأخذ ... «وكم مشكلات» من قول على رضى الله عنه :

إذا المشكلات تصدين لى كشفت حقائقها بالنظر
وإن برقت فى مخيل الصوا ب عمياء لايجتليها البصر
مقنعة بغيوب الأمور وضعت عليها صحيح الفكر
لسانا كشقشقة الارحبى أو كالحسام اليمان الذكر
وقلبا إذا استنطقته الفتو ن ثر عليها نداه درر

(عذراء) قصيدة بكر لم يسبق اليها (فهت) نطقت (انثنى) رجع (طليقا) منتشرا فى الناس (حبيسا) موقوفا عليها لايتعداها لغيرها .. ومدح الشعراء للشعر باب شأوه بعيد وسنذكر لحبيب وهو المبرز فيه ولغيره مايستحسن ويستجاد قال حبيب :

جاءتك من نظم اللسان قلادة سمطان فيها اللؤلؤ المكنون
حذيت حذاء الحضرمية أرهفت فأجادها التحصين والتبيين
انسية وحشية كثرت بها حركات أهل الارض وهى سكون
اما المعانى فهى ابكار إذا فضت ولكن القوافى عون

وقال أيضا :

فو الله لا أنفك أحدو قصائدا | اليك يحملن الثناء المجلا
يحاك بها برد عليك مجـــدد | وتحسبه در عليك مفصلا
ألذ من السلوى وأطيب نفحة | من المسك مفتوقا وأيسر محملا
أخف على سمع وأثقل قيمة | وأقصر فى سمع الجليس وأطولا

وقال البحترى :

تطوف القوافى فيكم فكأنما | يطير اليكم من علو قصيرها
وكم لى من محبوكة الوشى فيكم | إذ أنشدت قام امرؤ يستعيرها

وقال أيضا :

ألست الموالى فيك نظم قصائده | هى الانجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناء كأن الروض منه مروض | ضحى وكان الوشى فيه مسهما

وقال أيضا :

اليك القوافى نازعات قواصد | يسير ضاحى وشيها وينمنم
ومشرقة فى النظم غرا يزيدها | بهاء وحسنا أنها لك تنظم
ضوامن للحاجات إما شوافعا | مشفعة أو حاكمات تحكم

وقال على بن الجهم :

ولـكن إحسان الخليفة جعفر | دعانى إلى ماقلت فيه من شعر
فسار مسير الشمس فى كل بلدة | وهب هبوب الريح فى البر والبحر

ولابن الرومى يهجو :

خذها اليك منيحة سيارة | فى الناس من باد ومن متحضر
تغدوا اليك بحاصب وبتارب | وعلى الرواة فلؤلؤ متخير

وقال السرى الموصلى :

أتتك يجول ماء الطبع فيها | مجال المـاء فى السيف الصقيل
قواف إن ثنت للمرء عطفا | ثنى الأعطاف فى برد جميل

وقال أيضا :

شرقت بماء الطبع حتى خلتها | شرقت لرونقها بتبر ذائب
ويقول سامعها إذا ما أنشدت | أعقود حمد أم عقود كواكب

وقال أيضا :

ألفاظها كالدر فى ألفاظه | لا بل تزيد عليه فى لألائه
من كل رائعة الجمال كأنما | جاد الشباب لها برونق مائه
والشعر بحر حزت أنفس دره | وتنافس الشعراء فى حصبائه

وقال أيضا :

لفظ صقلت متونه فكأنه | فى مشرقات النظم در سحاب
وكأنمـا أجريت فى صفحاته | حر اللجين وخالص الزرياب
أغربت فى تحبيره فرواته | فى نزهة منه وفى استغراب
وقطعت منه شبيبة لم تشتغل | عن حسنه بصبا ولا بتصاب
وإذا ترقرق فى الصحيفة ماؤه | عبق النسيم فذاك ماء شباب
يصغى الليب له فيقسم لبه | بين التعجب منه والإعجاب

عَلَى أَنِّي مِنْ زَمَانِي خُصِصْتُ ... بِكَيْدٍ وَلَا كَيْدَ فِرْعَوْنِ مُوسى
يُسَعِّرُ لِى كُلَّ يَوْمٍ وَغًى ... أَطَا مِنْ لَظَاهَا وَطِيساً وَطِيسا
وَيَطْرُقُنِى بِالْخُطُوبِ الَّتِى ... يُذِبْنَ الْقُوَى وَيُشِبْنَ الرُّؤُوسا
وَيُدْنِى إِلَىَّ الْبَعِيدَ الْبَغِيض ... وَيُبْعِدُ عَنِّى الْقَرِيبَ الأَنِيسا
وَلَوْلَا خَسَاسَةُ أَخْلَاقِهِ ... لَمَا كَانَ حَظِّى مِنْهُ خَسِيسا

جد يطير شراره وفكاهة ... تستعطف الاحبات للاحباب

قال يحيي بن أكثم لمحمد بن حازم مافى شعرك شيء غير أنك لاتطيله فقال :

أبى لى أن أطيل الشعر قصدى ... إلى المعنى وعلمى بالصواب
فأبعثهن أربعة وخمسا ... مثقفة بألفاظ عذاب
خوالد ما حذا ليل نهارا ... وماحسب الصبا بأخى الشباب
وهن إذا وسمت بهن قوما ... كاطواق الحمائم فى الرقاب
وهن إذا أقمن مسافرات ... تهاداها الرواة مع الركاب

(عل انى) أى مع انى (ولا كيد فرعون موسى) أضاف فرعون إلى موسى لأن الفراعنة كانوا جماعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن لكل أمة فرعونا وفرعون هذه الأمة أبو جهل وفرعون موسى كان أكبر الفراعنة كيدا وأطولهم عمرا وأعتاهم على الله وأسراهم مملكة ، ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : قال موسى عليه الصلاة والسلام يارب أمهلت فرعون أربعمائة سنه وهو يقول أنا ربكم الأعلى ويكذب بآياتك ويجحد رسلك فأوحى الله تعالى اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافئه ، وأما عذابه لبنى اسرائيل فقد قدمناه فى الخامسة ، ومما يحكى عنه أنه كان يأمر بالقصب فيشق ويجعل أمثال الشفار ثم يضيف بعضه إلى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيقفن عليه فيحز أقدامهن حتى ان المرأة لتضع ولدها فيقع بين رجليها فتظل فتطؤه تتق به حد القصب عن رجليها ، قال وهب بن منبه بلغنى أنه ذبح فى طلب موسى تسعين ألف ولد ونسب الثعالبي المفسر فرعون فقال هو أبو العباس الوليد بن مصعب بن الريان بن أراشة بن ثروان بن عمرو بن قازم بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام (يسعر) أى يهيج (وغى) حرب (لظاها) حرها (وطيسا) شدة وحمى الوطيس اشتدت الحرب وأصله تنور من حديد يطبخ فيه فشبهت شدة الحرب وحرارتها به وقيل هو حفرة يختبز فيها والوطيس الوطء الشديد والبلاء الذى يطس الناس أى يدقهم ويقتلهم (يطرقنى) يقصدنى ليلا (الخطوب) الأمور الشداد (خساسة) حقارة (حظى) نصيبى . ومما قيل فى معنى قوله : ويدنى إلى البعيد البغيض ــ البيت ، قول الزاهد بن عمران .

المام كل ثقيل قد أضربنا ... نروم نقصهم والشيء يزداد
ومن يخف علينا لايلم بنا ... وللثقيل مع الساعات ترداد

فقلت له : خَفِّضِ الأحزان ، وَلا تلم الزّمان ، واشكُرْ لِمَنْ نَقَلَكَ عَنْ مَذْهَبِ إبليس ، إلى مَذْهَبِ ابنِ ادْريس ،

ويقرب منه قول الشاعر :

وكيف يود القلب من لا يوده　　بلى قد تريد النفس من لا يريدها

وقال عدى بن الرقاع :

نبلتك أخت بنى لؤى اذ رمت　　وأصاب نبلك إذ رميت سواها
وأعارها الحدثان منك مودة　　وأعار غيرك ودها وهواها
علقتها عرضا وعلقت رجلا　　غيرى علق أخرى غيرها الرجل

وقال مسلم بن الوليد وهو صريع الغوانى وكان خاملا فولاه بنو سهل جرجان فشرف فقال :

أهل الصفاء نايتم بعد قربكم　　فما انتفعت بعيش بعدكم صافى
وقد قصدت ندى من لا يوافقنى　　فكان سهمى عنه الطائش الطافى
أردت عمرا وشاء الله خارجة　　أما كفى الدهر من خلفى واخلافى

ولهذا أشار ابن شرف بقوله :

سل عن رضاى عن الزمان فانه　　كرضا الفرزدق عن بنى يربوع
لله حال قد تنقل عهدها　　كخلاف نقل الدهر حال صريع
دارت درارى الخطوب قواصدا　　حتى نظرن إلى من تربيع

وله أيضا يتشكى :

مالى أجاذب ذى الدنيا مولية　　فكل ثوب عليها قد من دبر
أنى الزمان على يأس به لبنى الدنا　　يا كبشرى بمولود على كبر

وقال أيضا :

إنى وإن عزنى نيل المنى لأرى　　حرص الفتى خله زيدت على العدم
تقلدتنى الليالى وهى مدبرة　　كأنى صارم فى كف منهزم

وقال جحظة :

ضاقت على وجوه الرأى فى نفر　　يلقون بالجحد والكفران إحسانى
أقلب الطرف تصعيدا ومنحدرا　　فمالى أقابل انسانا بانسانى

وقال أيضاً :

لقد مات اخوتى الصالحون　　فمالى صديق ومالى عماد
إذا أقبل الصبح ولى السرور　　وإن أقبل الليل ولى الرقاد

(خفض) أى سكن (ابن إدريس) هو الامام الشافعى محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف يلتقى نسبه مع بنى هاشم وبنى أمية فى عبد مناف وقال صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى مضمومتين ، وحاصرت قريش بنى المطلب مع بنى هاشم فى الشعب .. وكان الشافعى أعلم الناس وأروعهم وأعبدهم وأجودهم فان أردت أن تقف على حفظه ومبلغ علمه فانظر رحلته .. ووصفه بعض أهل العلم فقال هو شقيق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسبه وشريكه فى حسبه ، زوج المطلب ابنه هاشما الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف أخيه فولدت له

عبد يزيد جد الشافعي رضى الله عنه فكان يقال لعبد يزيد المحض لا قذى فيه فولد الشافعي رضى الله تعالى عنه هاشمان هاشم بن المطلب وهاشم بن عبد مناف فالشافعي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمته لأن الشفاء أخت عبد المطلب فهي عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم السائب جده يوم بدر وكان صاحب راية بني هاشم ابن عبد مناف أسر وفدى نفسه فأسلم فقيل له لم لم تسلم قبل أن تفتدى فقال ما كنت أحرم المؤمنين طمعا لهم فى قال أبو ثور ما رأيت ولا رأى الراؤن مثله وقال أحمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو الله للشافعي ، وقال له ابنه أى رجل كان الشافعي حتى تدعو له هذا الدعاء فقال يا بنى كان كالشمس للدنيا أو كالعافية للناس ، وحدث صالح بن أحمد بن حنبل قال مشى أبي مع بغلة الشافعي فى ركابه فبعث اليه يحيى بن معين فقال له يا أبا عبد الله أما رضيت إلا أن تمشى مع بغلته فقال يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لكان أنفع لك وما يمس أحد محبرة إلا وللشافعي فى عنقه منة .. وقال الشافعي رضى الله عنه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة ، وقال ما حلفت بالله لا صادقا ولا كاذبا وقال ما نظرت أحدا قط فاحببت أن يخطىء وما كلمت أحدا إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه من الله رعاية وحفظ وما كلمت أحدا إلا وأنا لا أبالى أن الله يبين الحق على لسانه أو لسانى وما أوردت الحجة على أحد فقبل منى إلا هبته واعتقدت محبته ولا ثابرنى على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته ، وكان يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة ، وقال الكرابيسى : بت معه غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل الله ولجميع المسلمين ولا بآية عذاب إلا تعوذ منها وسأل النجاة منها لنفسه ولجميع المسلمين ، وقال عمر بن عبد الله البلوى جلسنا يوما نتذاكر الزهاد والعباد والعلماء وما بلغ من زهدهم وفصاحتهم وعلمهم فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا عمر بن نباتة وقال فيم تتحاورون فأعلمناه فقال عمر والله ما رأيت رجلا قط أورع ولا أخشع ولا أصبح ولا أسمح ولا أعلم ولا أكرم ولا أجمل ولا أجل ولا أفضل من محمد بن إدريس الشافعي خرجت أنا وهو . الحرث بن اللبيد إلى الصفا وكان الحرث صاحب صالح المرى وكان من من المتقين الخاشعين وكان حسن الصوت فقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعي رضى الله عنه قد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا ثم خر مغشيا على وجهه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين اللهم خضعت لك قلوب العارفين وذلت لك قلوب المشتاقين اللهم هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ثم قمنا وتفرقنا ، وقال الربيع ابن سليمان سمعت الشافعي رضى الله عنه يقول أتى على عيد وليس عندى نفقة فاستسلفت سبعين دينارا لنفقة أهلى فبينما أنا كذلك إذ أتانى رجل من قريش يشتكى إلى الحاجة فأخبرته خبرى وقلت له خذ ما تحب فقال لى ما يقنعنى إلا أكثر من هذه الدنانير فقلت له خذها وبت وما معى دينار ولا درهم فبينما أنا فى منزلى إذ أتانى رسول جعفر بن يحيى البرمكى يقول أجب الوزير فأجبته فقال ما شأنك فى هذه الليلة يهتف بى هاتف كلما دخلت فى النوم يقول الشافعي الشافعي فأخبرته بالخبر فأعطانى خمسمائة دينار ثم قال أزيد فأعطانى خمسمائة أخر فلم يزل يزيدنى حتى اعطانى الفى دينار . . ومن جوده ان سوطه وقع من يده فأعطى من ناوله

إياه خمسين دينارا وورد مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه خارجها فأتاه الناس فما برح من موضعه حتى فرقها ، وكان شاعرا مجيدا قال أبو القاسم بن الازرق دخلت عليه فقلت له يا أبا عبد الله أما تنصفنا لك هذا الفقه تفوز بفوائده ولنا هذا الشعر وقد جئت تداخلنا فيه فاما أفردتنا أو أشركتنا فى الفقه وقد أتيت بأبيات إن أجزتها بمثلها تبت من الشعر وإن عجزت تب منه فقال لى إيه يا هذا فأنشدته هذا الكلام :

ما همتى إلا مقارعة العدا ... خلق الزمان وهمتى لم تخلق
والناس اعينهم إلى سلب الغنى ... لا ينظرون لمل الحجا والأولق
لكن من رزق الحجا حرم الغنى ... ضدان مفترقان أى تفرق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتنى ... بنجوم أقطار السماء تعلق

فقال الشافعى رضى الله عنه ألا قلت كما أقول ارتجالا :

إن الذى رزق اليسارة فلم ينل ... حمدا ولا أجرا لغير موفق
فالجد يدنى كل أمر شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بأن مجدودا حوى ... عودا فأثمر فى يده فحقق
وإذا سمعت بأن محروما أتى ... ماء ليشربه فغاض فصدق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ ... ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

فقلت لا قلت شعرا بعدها... قال المبرد كان الشافعى رضى الله عنه أشعر الناس وآدب الناس وأعرفهم بالفقه والقرآن ولقد أخبرنى بعض أصحابى أنه قد مات ولد لعبد الرحمن بن مهدى فكتب اليه الشافعى رضى الله عنه يا أخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من غيرك واعلم أن أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف إذا اجتمع مع اكتساب وزر فتناول حظك يا أخى إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ألهمك الله عند المصائب صبرا وأحرز لنا ولك بالصبر أجرا وكتب اليه :

إنى أعزيك لا أنى على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى وإن عاشا إلى حين

وقال أيضاً : علمى معى حيثما يممت ينفعنى ... قلبى وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت فى البيت كان العلم فيه معى ... أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

وقال أيضاً : ومنزلة السفيه من الفقيه ... كمنزلة الفقيه من السفيه
فهذا زاهد فى قرب هذا ... وهذا فيه أزهد منه فيه
إذا غلب الشقاء على سفيه ... تقطع فى مخالفة الفقيه

وناظر الشافعى محمد بن الحسن الكوفى بالرقة فقطعه الشافعى فبلغ ذلك هرون الرشيد فقال أما علم محمد بن الحسن إذا ناظر رجلا من قريش أنه يقطعه سائلا أو مجيبا والنبى صلى الله عليه وسلم يقول قدموا قريشا ولا تقدموا عليها وتعلموا منها ولا تعلموها فان علم العالم منها يسع طباق الأرض ، وكان الشافعى يعظم محمد بن الحسن

لعلمه ، واستعاره شيأ من كتبه فلم يسعفه بذلك فكتب اليه الشافعي رضى الله تعالى عنه :

قل للذى لم ترعينـــا من رآه مثله ... ومن كان من رآه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله ... لعله يبذله لأهله لعله

فبعث اليه بما سأل وقال الفقيه ابن عبد الحكم وقد اعتل فعاده :

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذرى عليه
شفى الحبيب فعـــادنى ... فشفيت من نظرى اليه

وقال أبو سعيد سمعت الشافعي رضى الله عنه يقول بيتين وهما :

إنى أرى نفسى تتوق إلى مصر ... ومن دونها عرض المهامه والقفر
فوالله ما أدرى أللخفض والغنى ... أقاد اليها أم أقاد إلى القـــبر

قال فوالله ما كان إلا قليلا حتى سيق اليهما جميعا ، ورأيته بعد وفاته فقلت له مافعل الله بك فقال! جلسنى على كرسى من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب ، وقال المزنى دخلت عليه غداة وفاته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبدالله قال أصبحت من الدنيا راحلا ولا خوانى مفارقا ولكاس المنية شاربا ولا أدرى إلى الجنة تصير نفسى فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك اعظما

وكانت وفاته فى رجب ليلة الجمعة سنة أربع ومائتين ودفن صبيحتها وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السرى ابن الحكيم أمير مصر ودفن بها نحو قبور الشهداء فى مقبرة بنى عبدالحكيم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وفيه مكتوب هذا قبر محمد بن إدريس الشافعي أمين الله ، وقال الشافعي اظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب فى مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه ، وقال من غلبت عليه شدة الشهوة بحب الدنيا لزمته العبودية لأهلها ومن رضى بالقنع زال عنه الخضوع وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول :

وانزلنى طول النوى دار غربه ... يجاورنى من ليس مثلى يشاكله
أحامقه حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

قال وسمعته ينشد :

صن النفس واحملها على مايزينها ... تعش سالما والقول فيك جميل
ولا تولين الناس إلا تجملا ... نابك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ... عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خير فى ود امرىء متلوم ... إذا الريح مالت مال حيث تميل
وما اكثر الاخوان حين تعدهم ... ولكنهم فى النائبات قليل

قال وسمع رجلا يسفه على رجل من أهل العلم فقال لأصحابه نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل فان السفيه ينظر إلى إخبث شىء فى وعائه فيحرص على أن

فقالَ : دَعِ الهِتَر ، ولا تَهْتِكِ الأَسْتَار ، وانهضْ بِنَا لِنَضْرِب ، إلى مَسْجِدِ يَثْرِب ، فَعَسَى أَنْ نَرْحَضَ بالمَزَار ، دَرَنَ الأَوْزَار ، فقلتُ هَيْهَاتَ أَنْ أَسِير ، أَوْ أَفقَه التَّفْسِير ، فقَال : تاللهِ لَقَدْ أَوْجَبْتَ ذِمَما وطلبْتَ

يفرغه فى أوعيتكم . نظم بعضهم هذا المعنى فقال :

فسمعك صن عن سماع الخنى ... كصون اللسان عن النطق به
فانك عنـــد استماع الخنى ... شريك لقائله فانتبه

وكان الحسن البصرى رحمه الله إذا خطب الحجاج وذكر السلف يتكلم تشاغلا عن خطبته فقيل له فى ذلك فقال إن السامع والمتكلم شريكان ألم تسمع قول الشاعر :

فجـاء به ناطق منهم ... بليغ ومستمـع صامت
فكل له حظه أنه ... أعان مع الناطق الساكت

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

إن كنت لاترهب ذمى لمـا ... تعلم من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى إذا أنا منصت ... فيك لمسموعى خنى القائل
فالسامع القول كمن قاله ... والموكل المأكول كالآكل

وذكر الفنجديهى الشافعى فقال : هو إمام الأنام ونظام الاسلام أحد الأئمة الأربعة الأطواد الشامخة فى الدين الأجواد رضيع لبـان النبوة أفضل العلماء وأعلم الفضلاء وصور البدور وبدر الصدور وهادى الدعاء وداعى الهداة اكسير العلوم واكاليل الرسوم علم العلمـاء شظية من علمه وحلم الحلماء جذوة من حلمه وعقائد الأصول مقتدحة من ذناد كلماته وقواعد الفروع مقترحة من عداد نغماته فارس هيجاء المشكلات ومقوم عوجاء المعضلات منبع السنن ومتبع السنن فاز بغلبات الاقران وحاز قصبات الرهان بطهـارة الأعراق ودماثة الأخلاق وفخامة شرف الامومة وكرامة طرفى الابوة والعمومة درة الاصداف من صميم آل عبد مناف كشف الظلمة عن الأمة وصرف عنهم المظلمة المدلهمة بعلم كالبحر اللجى ورأى كالبدر فى الليل الدجى مذهبه مؤيد بنصوص القرآن وفصول الفرقان أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان فهو بين المذاهب والأديان كالناظر فى الأجفان والسمع فى الاذان والعقل فى الإنسان والعدل للسلطـان أحله الله محل القدس وادلى اليه سحاب الانس .. فى كلام أكثر من هذا (دع الهتار) أي اترك تمزيق العرض وفلان يها ترفلانا أى يسابه بالباطل من القول والقبيح من اللفظ وأصل الهتر سقط الكلام والباطل والمهاترة القول الذى ينقض بعضه بعضا واهتر الرجل فهو مهتر إذا أولع بالقول فى الشيء واستهتر فهومستهتر ذهب عقله فيه وانصرفت اليه همته (تهتك) تخرق وتكشف يريد أنه لما عرض له بنقائصه قال له دع الضير وكشف العيب فليس هذا موضعه (انهض) تقدم لنضرب لنمشى فى الأرض (نرخض) نغسل (المزار) زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم (دون) الأوزار وسخ الذنوب (هيهات) معناه بعد ذلك عنك (أفقه) أفهم (ذمما) جمع

إذ طلبت أَمَما ، فهاكَ ما يَشْفِي النَّفس ، وَ يَنْفِي اللَّبس ، قال فلمَّا أوضح لِيَ المُعَمَّى ؛ وَكَشَفْتُ عَنِّي الغُمَّى ؛ شَدَدْنا الأَكْوار ، وَسِرتُ وَسار ، وَلم أزَلْ مِنْ مُسامرَته ، مُدَّةَ مُسايَرتِهِ ، فيما أنساني طَعْمَ المَشَقَّة ؛ وَوَدِدْتُ مَعَهُ بُعْدُ الشُّقَّة ، حتى إذا دَخَلْنا مَدِينَةَ الرَّسُول ، وَفُزْنا مِنَ الزيارة بالسُّول ، أَشامَ وَأَعْرَقْت ، وَغَرَّبَ وَشَرَّقْت

ذمة وهى العهد (أمما) شيأ قريبا والأم القصد (هاك) أى خذ (المعمى) المغطى المشكل المعنى وأراد به شرح المائة الفتيا الملغزة ويقال لمن يطالب ما يمكن ولم يشتط طلب أمما قال قيس الرقيات :

كوفية نازح محلتها لا أمم دارها ولا صقب

الصقب القرب (الغمى) هى الغمة التى تغطى على الذهن والمعمى الأمر المتلبس (الأكوار) ماهو للابل كالبراذع للدواب (الشقة) السفر البعيد (السول) المراد والمسئول (أشام وأعرقت) قصد الشام وقصدت العراق .

ونذكر هنا فصلا فى زيارة القبر المعظم وتوديع زائره لهووصف الروضة والمسجد وذكر يثرب وهى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ومهاجره سماها طيبة لما كان اشتقاقها من التثريب وكان صلى الله عليه وسلم يغير الأسماء التى تدل على الاستقباح إلى ضدها وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى . ابن عمر رضى الله عنهما : يثرب أرض مدينة الرسول فى ناحية منها ، وقال شيخنا ابن جبير فى روضته صلى الله عليه وسلم : شاهدنا الروضة المكرمة وقد وقع الأذان بوصول صدر الدين رئيس الشافعية الأصبهانى الذى ورث النباهة والوجاهة فى العلم كابر المعروف برئيس العلماء توارثه عن أب فأب وقد غص الحزم بالمنتظرين وقد أعدله كرسى بإزاء الروضة المقدسة فصعد وحصر قراؤه أمامه فابتدأوه بالقراءة بنغمات عجيبه وتلاحين مطربة بهيجة وهو يلحظ الروضة المقدسة ويلعن بالبكاء ثم أخذت فى خطبة من إنشائه سحرية البيان وسلك فى أساليب من الوعظ باللسان وأنشد أبياتاً بديعة من قوله كان يردد منها هذا البيت ويشير إلى الروضة المعظمة المطهرة :

هاتيك روضة تفوح نسيما صلوا عليه وسلموا تسليما

وتمادى فى وعظه إلى أن أطار النفوس من خشية ورقة وهو يعتذر من التقصير لهول ذلك المقام ويقول عجبا لألكن العجم كيف ينطق عند أفصح العرب وتهافتت الأعاجم عليه معلنين بالتوبة وقد شاطت البابهم ودهشت عقولهم فيلقون نواصبهم بين يديه فيستدعى الجلمين ويجزها ناصية ناصية وكلما جز ناصية كساها عمامته فتوضع عليه للحين عمامة اخرى ثم ختم مجلسه بأن قال معشر الحاضرين قد تكلمت لكم ليلة بحرم الله وهذه الليلة بحرم رسوله ولابد للواعظ من كديه وانا أسألكم حاجة إن ضمنتموها لى ارقت لكم ماوجهى فى ذكرها فاعلن الناس بالاسعاف وشهيقهم قدعلا فقال حاجتى ان تكشفوا رؤوسكم وتبسطوا ايديكم ضارعين لهذا النبى الكريم فى ان يرضى عنى ويسترضى الله عز وجل لى ثم اخذ فى تعداد ذنوبه والاعتراف بها فأطار الناس عمائمهم وبسطوا ايديهم للنبى صلى الله عليه وسلم داعين له باكين متضرعين فما رأيت ليلة اكثر دموعا ولا اعظم خشوعا من تلك الليلة ثم انفض المجلس ، قال ابن جبير رحمه الله ثم كان فى اليوم التالى لهذه الليلة وداعنا للروضة المكرمة فياله وداعا ذهلت له النفوس ارتياعا حتى طارت شعاعا وما ظنك بموقف ينادى بالتوديع فيه سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين إنه لموقف تنفطر له الأفئدة وتطيش له الالباب المتئدة

فوا أسفاه وأسفاه كل يبوح لديه بأشواقه ولايجد بدا من فراقه فما تستطيع إلى الصبر سبيلا ولا تسمع فى ذلك المقام إلا رنة وعويلا وكل بلسان الحال ينشد :

محبتى تقتضى مقامى وحالتى تقتضى الرحيلا

بوأنا الله بزيارة هذا النبى الكريم منزل الكرامة وجعله شفيعا لنا يوم القيامة وأحلنا بفضله فى جواره الكريم دار المقامة ، ثم ذكر الروضة المقدسة مع المسجد العتيق الذى احتوى على الروضة فقال : المسجد المبارك مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مستطيل وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستطيلة ووسطه كله صحن مفروش بالحصى والرمل وفى الصحن خمس عشرة نخلة فالجهة القبلية لها خمس بلاطات مستطيلة من غرب إلى شرق والجنوبية كذلك على الصفة المذكورة والشرقية لها ثلاث بلاطات والغربية لها أربع بلاطات وطول المسجد مائة خطوة وست وتسعون خطوة وسعته مائة وست وعشرون خطوة وعدد سواريه مائتان وتسعون وهى أعمدة متصلة بالسمك دون قصى تنعطف عليها فكأنما دعائم قوائم وهى من حجر منحوت قطعا قطعا مململة مثقوبة توضع أنثى فى ذكر ويفرغ بينهما الرصاص المذاب إلى أن يتصل عمودا قائما وتكسى بغلالة جير ويبالغ فى صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض وتحف بالبلاط المتصل بالقبلة من البلاطات الخمس مقصورة تكتنفه من غرب إلى شرق ، والمحراب فيها . وعلى رأس المحراب حجر مربع أصفر قدر شبر فى شبر ظاهر البريق يقال إنه كان مرآة كسرى وفى أعلى داخل المحراب مسمار مثبت فى جداره فيه شبه حق صغير لا يعرف من أى شىء هو ويزعمون أنه كان كأس كسرى ونصف جدار القبلة الأسفل رخام موضوع إزارا على إزار مختلف الصنعة واللون مجزع أبدع تجزيع والنصف الأعلى من الجدار مزين كله بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفسا قد نتج الصانع فيه نتائج غريبة من الصنعة تضمنت تصاوير أشجارا مختلفة الصفات مائلة الأغصان بثمرها والجدران الشرقى والغربى الناظران إلى الصحن مجردان أبيضان مقرفصان قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الأصبغة ، إلى مايطول وصفه من الاحتفال فى هذا المسجد المبارك ، وفى الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود لمبيت بعض سدنته وسدنته فتيان أحابيش صقالب ظراف الهيآت نظاف الملابس والمؤذن الراتب فيه أحد أولاد بلال ، وفى جوف الصحن قبة كبيرة تعرف بقبة الزيت هى مخزن لجميع آلات المسجد وله تسع عشر بابا لم يبق منها مفتوحا سوى أربعة اثنان فى الغرب ويعرفان بباب الرحمة وباب الخشية واثنان فى الشرق باب جبريل ويقابله دار عثمان التى استشهد بها وباب الرخاء ، وفى الشرق خمسة مغلقه وفى الغرب كذلك وفى الجنوب أربعة وفى القبلة واحد صغير وله ثلاث صوامع إحداها فى الركن الشرقى على هيئة الصوامع واثنتان فى ركنى الجهة الجنوبية صغيرتان على هيئة برجين والروضة المقدسة مع آخر الجهتين القبلية مما يلى الشرق وقد انتظمت من بلاطاته مما يلى الصحن فى السعة اثنين وتيفت إلى البلاط الثالث بمقدار أربعة أشبار ولها خمسة أركان بخمس صفحات وشكلها شكل عجب لا يكاد يتأتى تصويره ولا تمثيله والصفحات الأربع محرفة عن القبلة تحريفا بديعا لا يتأتى لاحد معه استقبالها فى صلاته لأنه ينحرف عن القبلة والذى اخترع ذلك فى تدبيرها مخافة أن يتخذها الناس مصلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه واخذت من الجهة الشرقية سعة بلاطتين وانتظم داخلها من اعمدة الأبلطة ستة وسعة الصفحة القبلية منها اربعة واربعون شبرا وسعة الصفحة الشرقية ثلاثون شبرا ومن الركن الشرقى إلى الركن الجنوبى

صفحة سعتها خمسة وثلاثون شبرا ومن الركن الجنوبي إلى الركن الغربي صفحة سعتها تسعة وثلاثون شبرا ومن الركن الغربي إلى القبلة صفحة سعتها أربعة وعشرون شبرا وفى هذه الصفحة صندوق آبنوس مختم بالصندل مصفح بالفضة مكوكب بها طوله خمسة أشبار وعرضه ثلاثة اشبار وارتفاعه أربعة وهو قبالة رأس النبي صلى الله عليه وسلم لجميع سعة الروضة من جميع جهاتها مائة شبر واثنان وسبعون شبرا وهى مؤزرة بالرخام البديع النحت الرائع النعت وينتهى الإزار منها إلى نحو الثلث أو أقل يسيرا وعليه من الجدار المكرم ثلث آخر وقد علاه تضميخ المسك والطيب مقدار نصف شبر مسودا متراكبا متشققا مع طول الأزمنة والأيام والذى يعلوه من الجدار شبابيك عود متصلة بالمسك الأعلى لأن أعلى الروضة متصل بسمك المسجد وإلى حيز إزار الرخام تنتهى الاستار وهى لازوردية اللون مختمة بخواتم مثمنة ومربعة وفى داخل الخواتيم دوائر مستديرة ونقط بيض تحف بها فمنظرها منظر بديع الشكل وفى أعلاها رسم هائل إلى البياض وفى الصفحة القبيليه أمام وجه النبي صلى الله عليه وسلم مسمار فضة هو قبالة الوجه المكرم فيقف الناس أمامه للسلام وإلى قدميه صلى الله عليه وسلم رأس أبى بكر رضى الله عنه ومما يلى كتفى أبى بكر رأس عمر رضى الله عنهما فيقف المسلم مستدير القبلة ومستقبل الوجه الكريم فيسلم ثم ينصرف يمينا لوجه أبى بكر إلى وجه عمر رضى الله تعالى عنهما وأمام هذه الصفحة مرخم فى نحو العشرين قنديلا معلقة من الفضة فيها اثنان من الذهب وفى جوفى الروضة المكرمة حوض صغير قبلته شكل محراب قيل إنه بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها ويقال هو قبرها وعن يمينه الروضة المكرمة المنبر الكريم ومنه اليها اثنتان وأربعون خطوة وهو فى الحوض المبارك الذى طوله أربع عشرة خطوة وعرضه ست خطا وهو مرخم كله وارتفاعه شبر ونصف وارتفاع المنبر نحو القامة أو أزيد وسعته خمسة أشبار وطوله خمس خطوات وأدراجه ثمانية وبابه على هيئة الشباك مقفل يفتح يوم الجمعة وطوله أربعة أشبار ونصف شبر والمنبر مغشى بعود الابنوس ومقعد النبي صلى الله عليه وسلم من أعلاه ظاهر وقد طبق عليه لوح من الابنوس غير متصل به يصونه من القعود عليه يدخل الناس أيديهم اليه ويمسحونه تبركا بلمس ذلك المقعد الكريم وعلى رأس رجل المنبر اليمنى حيث يضع الخطيب يده حلقة فضة مجوفة مستطيلة تشبه حلقة الخياط لكنها أكبر لاعبة تستدير فى موضعها يزعمون أنها كانت لعبة للحسن والحسين فى حال خطبة جدهما صلوات الله عليهم أجمعين وفى الروضة الصغيرة التى بين القبر والمنبر جاء الأثر أنها روضة من رياض الجنة وقدرها ثمان خطا ويتزاحم الناس فى هذه الروضة للصلاة وبازائها لجهة القبلة عمود يقال إنه مطبق على بقية الجذع الذى حن للنبى صلى الله عليه وسلم وقطعة منه فى وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس ويمسحون خدودهم فيها وعلى حافتها فى القبلة منها صندوق كبير للشمع والانوار التى توقد أمام الروضة كل ليله ومصلى الإمام فى الروضة الصغيرة المذكورة إلى جانب الصندوق وبينها وبين الروضة الكبيرة محمل كبير مدهون عليه مصحف كبير فى غشاء مقفل هو أحد المصاحف الأربعة التى وجه بها عثمان إلى البلاد وبازاء المقصورة لجهة المشرق خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد ويليها فى البلاط الثانى لجهة الشرق ودقة مطبقة على وجه الارض إلى سرداب يهبط اليه على أدراج تحت الارض يفضى إلى خارج المسجد إلى ادار أبى بكر وهو كان طريق عائشة رضى الله عنهما اليها وذلك الموضع هو موضع الخوخة المفضية لدار أبى بكر رضى لله عنه التى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بابقائها وبازاء دار أبى بكر دار عمر وابنه عبد الله ابن عمر رضى الله عنهم أجمعين ... وفيما ذكرناه كفاية والله تعالى أعلم .

المقامة الثالثة والثلاثون التفليسية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال : عاهدتُ اللهَ تعالى مُذْ يَفعتُ ، أنْ لا أُؤخِرَ الصَّلاةَ ما استطعتُ ، فكُنتُ مع جَوْبِ الفَلَوَاتِ ، وَلَهْوِ الخَلَوَاتِ ، أراعي أوقاتَ الصَّلاةِ ، وأحاذِرُ مِنْ مأثَمِ الفَواتِ ، وإذا رافقتُ في رِحْلَةٍ ، أو حَلَلْتُ بِحِلَّةٍ ، مَرحَبْتُ بِصَوتِ الدَّاعي إليها ، واقتديتُ بمَنْ يُحافِظُ عليها ، فاتفقَ حِينَ دَخَلْتُ

شرح المقـــامة

(يفعت) شببت وألم أبلغ العلم وقاربت ذلك . ابن ابى الخير : يفع الغلام إذا كان ابن سبع سنين فاذا ناهز الحلم قبل مراهغ وكوكب فاذا أدرك قيل فيه حزور ... غيره : غلام يفعة غض الشباب وجارية يفعة والجمع أيفاع وأيفع فهو يافع على غير قياس قال ابن سعيد رحمه الله ولم يقل أحد منهم يفع الغلام ولا وفع ومثله أبقل الموضع وأورس والورس نبت أصفر (جوب) قطع (الخلوات) حيث يخلو للذاته (أراعى) أحفظ (مأثم) اثم (الفوات) فوت الوقت (رافقت فى رحله) صاحبت فى ارتحال وسفر (حللت بحلة) نزلت ببلدة والحلة جماعة البيوت والحلة القوم الحلول والجمع حلال (مرحبت) قلت مرحبا (الداعى) هو المؤذن وجاء من الأثر فى تأخير الصلاة قوله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليصلى الصلاة وما فاته وقتها ولما فاته من وقتها أعظم أو أفضل من أهله وماله فهذا وقد أدرك آخر الوقت سيندم على فوات أوله وقال عليه الصلاة والسلام الوقت الأول من الصلاة رضوان الله والثانى عفو الله فقال أبو بكر رضى الله عنه رضوان الله احب إلى من عفوه وإنما قال ذلك لان عفو الله لا يتصور إلا عند اكتساب خطيئة . وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة من النار ومن لم يحافظ عليها كان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف وقال عليه الصلاة والسلام إن الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله وكتب عمر رضى الله عنه إلى عماله ان اهم اموركم عندى الصلاة من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع وجاء فى القرآن فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وفى التفسير لم يتركوا الصلاة وإنما أضاعوا وقتها وقال صلى الله عليه وسلم لا تفريط فى النوم وإنما التفريط فى الذى لا يؤخر الصلاة إلى وقت الاخرى وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، ومما من يستظرف هذا الباب أن المنصور قيل له إن ابا دلامة لا يحضر الصلاة لانه معتكف على الخمر وقد أفسد فتيان العسكر فلو أمرته بالصلاة معك لاصلحته وغيره فلما دخل عليه قال أبو دلامة الماجن قال يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد ساورت باب قبرى فقال دعنى من استكانتك وتضرعك وإياك وان تفوتك صلاة الظهر والعصر فى مسجدى فان فاتتك لاحسنن ادبك ولاطيلن حبك فوقع فى اشر امر فلزم المسجد ايا ما ثم كتب رقعه ودفعها إلى المهدى فاوصلها إلى ابيه وفيها :

ألم تعلم أن الخليفة لزنى لمسجده والقصر مالى وللقصر
أصلى به الأولى جميعا وعصرها فويلى من الأولى وويلى من العصر
أصليهما بالكره فى غير مسجدى فمالى فى الاولى وفى العصر من أجر
يكلفنى من بعد ماشبت توبة يحط بها عنى الثقيل من الوزر
ووالله مالى نية فى صلاتها ولاالبر والإحسان والخير من أمرى
لقد كان فى قومى مساجد جمة ولم ينشرح يوما لغشيانها صدرى
وما ضره والله يغفر ذنبه ولو أن ذنوب العالمين على ظهرى

فقال صدق وعده يضل من يشاء وما يضرنى ذلك والله لا يفلح هذا أبدا فدعوه يفعل مايشاء . وكان الجماز منقطعا إلى أبى جزو الباهلى فتناسك أبو جزو فقال للجماز لا أحب أن تخالطنى إلا أن تتنسك فأظهر النسك ثم كتب اليه :

قد جفانى الأمير كى أتقرى فتقريت مكرها لجفائه
والذى انطوى عليه المعاصى علم الله نيتى من سمائه
ماقراة لمكره بقراة قد رواه الأمير عن فقهائه

ومن مجون أبى نواس أن الأمير لما نهاه عن الخمر وحبسه فكلمه فيه الفضل بن الربيع وأخرجه كتب اليه :

أنت يا ابن الربيع علمتنى الخير وعودتنيه والخير عاده
فارعوى باطلى وراجعنى الحلم فأحدثت رهبة وزهاده
لو ترانى ذكرت بى الحسن البصرى فى حال نسكه أو قتاده
فاذا شئت أن ترى طرفة تعجب منها مليحة مستفاده
فادع بى لاعدمت تقديم مثلى فتأمل بعينك السجاده
لو رآها بعض المرائين يوما لاشتراها يعدها للشهاده
أثر لاح للصلاة بوجهى توقن النفس أنه من عباده

وأذن بشار لأصحابه والمائدة بين يديه فأكل ولم يدعهم لطعامه ثم دعا بطشت وكشف عن سوأته فبال ثم حضر الظهر والعصر والعشاء الأولى والآخرة فلم يصل فقالوا له أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها عليك قال وما هى قالوا دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا اليه قال إنما أذنت لكم لتأكلوا ثم ماذا ، قالوا دعوت بالطشت ونحن حضور فبلت ونحن نراك فقال أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغض البصر دونى ثم ماذا قالوا حضرت الصلاة فلم تصل فقال ان الذى يقبلها تفاريق جملة يقبلها هذا على انه القائل :

الم تر أن الدهر يقدح فى الصفا وأن بقائى ان حييت قليل
خليلى ما قدمت من عمل التقى وليس لأيام المنون خليل
فعش خائفا للموت أوغير خائف على كل نفس للحمام دليل

تَفليس ، أنْ صَلَّيتُ مع زُمْرةٍ مَفَالِيس ، فلمَّا قَضَينا الصَّلاة ، وأزْمَعْنا الانْفِلات ، بَرَزَ شَيْخٌ بادِي اللَّقْوَة ، بالِي الكِسْوةِ والقُوَّة فقال عَزَمْتُ عَلَى مَنْ خُلِقَ مِنْ طِينَةِ الحُرِّيَّة ، وتَفَوَّقَ دَرَّ العَصَبيَّةِ ، إلَّا ما تَكلَّفَ لِي لُبْثَةً ؛ واستَمَعَ منِّي نَفْثة ، ثم له الخِيارُ مِنْ بَعْد ، وبيَدِهِ البَذْلُ والرَّدّ ، فَعَقَدَ له القَوْمُ الحُبا ، ورَسَوْا أَمْثالَ الرُّبا ، فلمَّا آنَسَ حُسْنَ إنْصاتِهم ؛ ورَزَانَةَ حَصاتِهم ، قال يا أُولي الأَبْصارِ الرَّامِقَة ، وَالبَصائِرِ الرَّائِقَة ؛ أَما يُغْني عَنِ الخَبَرِ العِيَان ، ويُنْبِيءُ عَنِ النَّارِ الدُّخَان ، شَيْبٌ لائِح ، وَوَهْنٌ فادِح ، وَداءٌ وَاضِح ، وَالباطِنُ فاضِح ، وَلَقَدْ كُنْتُ وَاللهِ مِمَّنْ مَلَكَ ومال ، وَوَلِيَ وآل ،

وقال الحسن رحمه الله تعالى :

وندمان يرى عيبا عليه	بأن يمسى وليس له انتشاء
إذا نبهته من نوم سكر	كفاه مرة منك النداء
إذا ما أدركته الظهر حيا	فلا ظهر عليه ولا عشاء
يصلى هذه فى وقت هذى	فكل صلاته أبدا قضاء

(تفليس) مدينة بأرمينية بينها وبين قالى قلا ثلاثون فرسخا ومن قالى قلا ابتداء الأنهار العظام أولها الفرات وقد تقدم يأخذ من قالى قلا فرسخين ثم يشق مغربا إلى دبيل إلى ورثان ثم يصب إلى بحر الحزر والثانى الكثير يخرج من مدينة قالى قلا ثم يشق إلى مدينة تفليس مشرقا إلى مدينة بردعة وأرضها ثم يقرب من بحر الخزر فيلتق مع الرس وبصيران نهرا واحدا ويقال أن خلف الرس ثلثمائة مدينة خراب وهى التى ذكرها الله تعالى وأصحاب الرس بعث اليهم حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكوا وقيل فى أصحاب الرس غير ذلك وأرمينية مقسومة على ثلاثة أقسام فالقسم الأول مدينة دبيل ومدينة قالى قلا ومدينة خلاط ومدينة شمشاط ومدينة السواد والجزء الثانى مدينة بردعة ومدينة البيلقان ومدينة قبلة ومدينة الباب والأبواب والثالث مدينة خزران ومدينة تفليس والمدينة التى تعرف بمسجد ذى القرنين وافتحت أرمينية فى خلافة عثمان افتتحها سليمان بن ربيعة الباهلى فى سنة أربع وعشرين (عصبة) جماعة (مفاليس) فقراء وأفلس الرجل صار صاحب فلوس بعد أن كان صاحب دنانير (أزمعنا الانفلات) عزمنا على الخروج (اللقوة) داء يأخذ فى الوجه (الفواق) مابين الحلبتين (در العصبية) لبن الحمية وهو مثل (نفثة) كلمة (البذل) العطاء (الرد) المنع (الحبا) عقد اليدين على الركبتين (رسوا) ثبتوا (الربا) الكدى (آنس) أبصر (انصاتهم) سوتهم (رزانة حصاتهم) رجاحة عقولهم والحصاة يكنى بها عن العقل ، قال طرفة :

وان لسان المرء مالم يكن له حصاة على عوراته لدليل

(الأبصار الرامقة) العيون الناظرة (البصائر) جمع بصيرة وهى المفتقد (الرائقة) المعجة (العيان) لمعاينة يقول معاينتك الشيء تغنى عن خبرته وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة (ينبىء) يخبر (لائح) ظاهر (وهن) ضعف (فادح) مثقل بين (فاضح) أى صاحبه فى شهرة وفضيحة (ملك) كان ملكا أو ملك الأموال العظام فصار ملك (مال) صار ذا مال (ولى) صار وليا (آل)ساس

ورَفَدَ وأنال ، ووصَلَ وصال ، فلم تزَلِ الجوائح تَسحت والنَّوائبُ تنحَت ، حتى الوَكْرُ قفر ، والكفُّ صِفر ؛ والشِّعار ضُر والعَيْشُ مُرّ ، والصِّبْيَةُ يتضاغَوْنَ مِنَ الطَّوَى ، ويتمنَّوْنَ مُصاصَةَ النَّوَى ؛ ولم أقِمْ هذا المَقامَ الشَّائن ، وأكْشِفْ لكُمُ الدَّفائنَ ، إلَّا بَعْدَ ما شُقِيتُ ولُقيت ، وشِبْتُ مِمَّا لَقِيتُ ؛ فَلَيْتَني لم أكُنْ بَقِيت ؛ ثم تأوَّهَ الأسِيف ، وأنْشَدَ بصَوْتٍ ضعيف :

أشكُو إلى الرَّحمنِ سُبْحانَهُ ... تقلُّبَ الدَّهرِ وعُدْوانَهُ

وحادِثاتٍ قَرَعَتْ مَرْوَتِي ... وقَوَّضَتْ مَجْدِي وبُنْيانَهُ

واهْتَصَرَتْ عُودي ويا وَيْلَ مَنْ ... تَهْتَصِرُ الأحْداثُ أغصانَه

وأمْحَلَتْ رَبْعِيَ حتى جَلَتْ ... مِنْ رَبْعِيَ المُمْحِلِ جِرْذانَه

وغادَرَتْنِي حائرًا بائرًا ... أُكابِدُ الفقرَ وأشْجانَه

مِنْ بَعْدِ ما كُنْتُ أخا ثَرْوَةٍ ... يَسْحَبُ في النِّعْمَة أرْدانَه

يَخْتَبِطُ العافُونَ أوْراقَهُ ... ويَحْمَدُ السَّارُونَ نيرانَه

فأصْبَحَ اليَوْمَ كأنْ لم يكنْ ... أعانَهُ الدَّهْرُ الذي عانَهُ

وازْوَرَّ مَنْ كانَ له زائرًا ... وَعافَ عافِي العُرْفِ عِرْفانَهُ

فَهَلْ فَتًى يَحْزُنُهُ ما يَرَى ... مِنْ ضُرِّ شَيْخٍ دَهْرُهُ خانَهُ

أى صار يسوس الناس أى يكون عليهم أميرا قال عمر رضى الله عنه النا وايل علينا (رفد) وهب الرفد (أنال) أعطى النيل والنوال يقال منه نلته وأنلته (وصل) أعطى صلة والرفد والنوال العطاء والايالة الساسة (آل) الأمير رعيته أحسن سياستهم وآل ماله يؤوله أصلحه (صال) بطش وهدد وصال الفحل هدر فى قطيعه (الجوائح المصائب (تسحت) تستأصل الأموال (تنحت) تنجر وتأخذ (النوائب) النوازل (الوكر) قعر المنزل (صفر) خالية من الدراهم (الشعار) اللباس (يتضاغون) يصيحون والضغاء صاح الذئب إذا جاع والضعفاء البكاء بذل وخشوع (الطوى) الجوع (مصاصة) مايمص منه (الشائن) العائب صاحبه (شقيت) أدركنى الشقاء (لقيت) أصابتنى لقوة (تأوه) توجع وقال أوه (الاسيف) الحزين (عدوانه) ظلمه (قرعت مروتى) ضربت صخرتى وأراد بها نفسه (قوضت) نقضت وهدمت (اهتصرت) كسرت وحنت وهصر الغصن تعطفه وانحناؤه وضرب المروة والعود أمثالا وهو يريد جسده وماله (أمحلته) جعلته محلا (جلت) ثقت (الممحل) الذى لانبات فيه ولا رزق (جرزانه) فئرانه وقد تقدم فائدة هذا المعنى (بائر) هالكا (أكابد) أقاسى (أشجانه) أحزانه (أخاثروة) صاحب غنى (يسحب) يجر (اردانه) أذياله (يختبط) يطلب (العافون) الطالبون للرزق وخبطت الورق ضربتها بالعصا فتسقط فتعلفها الابل فيضرب بها المثل لعطية الكريم ؛ قال وأنشد زهير :

وليس مانع ذى قربى وذى رحم ... يوما ولا معدما من خابط ورقا

(السارون) الماشون بالليل (عانه) أصابه بالعين (ازور) انقبض (عاف) كره (عافى العرف) طالب

فَيَفرِج الَّذِي هَمَّهُ وَيُصلِحُ الشَّأنَ الذى شَأنَهُ

المعروف (عرفانه) معرفته (همه) أذابه (شانه) عابه. ومن كلام العرب فى هذا الباب ما حكى الأصمعى رحمه الله أن الاعراب أصابتهم سنوات كثير جدبة فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابى يقول أيها الناس اخوانكم فى الدين وشركاؤكم فى الاسلام عابر وسبيل وفلال بؤس وصرعى جدب تتابعت علينا سنوات ثلاث غيرت النعم وأكلت النعم فما كانا مابق من جلودها فوق عظامها فلم نزل نعلل بذلك نفوسنا ونمنى بالغيث قلوبنا حتى عاد مختارا وعاد اشراقنا ظلا مافأقبلنا اليكم يصرعنا الوعر وينكبنا السهل وهذه آثار مصائبنا لائحة فى قسماتنا فرحم الله متصدقا من كثير أو مواسيا من قليل فلقد عظمت الحاجة وكسف البال وبلغ المجهود والله يجزى المتصدقين، وقف أعرابى على حلقة يونس التحوى فقال الحمد لله واعوذ به ان أذكر به وأنساه إنا أناس قد قد قدمنا هذه المدينة ثلاثون رجلا لا تدفن ميتا ولا تتحول عن منزل وان كرهناه فرحم الله عبدا تصدق على ابن سبيل ونضو طريق وفل سنة فانه لا قليل من الأجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت يقول الله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له، ان الله لا يستقرض من عوز ولكن ليبلو أخبار عباده. قال الأصمعى رحمه الله وقف أعرابى علينا فقال تتابعت علينا سنون بتغيير وانتقاص فما تركت لنا ضيعا ولا ربعا ولا نافطة ولا عافطة ولا ثاغية ولا راغبة فأماتت الضرع وأفنت الزرع وعندكم من فضل الله نعمة فأعينوا من عطية الله إياكم وارحموا أبا أيتام وأنضاء زمان فلقد خلفت أقواما لا يمرضون مريضهم ولا يكفنون ميتهم ولا ينتقلون من المنزل وإن كرهوه ولقد مشيت اليكم حتى انتعلت الدماء وجعت حتى أكلت النوى المحرقة، وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقالت إنى أتيت من أرض شاسعة تهبطنى هابطة وترفعنى رافعة فى ملحات من البلايا برين لحمى وهضن عظمى وتركتنى والهة وقد ضاق بى البلد بعد الأهل والولد وكثرة العدد لا قرابة تؤوينى ولا عشـــيرة تحمينى فسألت أحياء العـــرب من المرتجى سيبه المأمون عيبه الكثير نائله المكفى سائله فدللت عليك وأنا امرأة من هوزان فقدت الوالد والرافد فاصنع فى أمرى واحدة من ثلاث إما أن تحسن صفدى وإما أن تقيم أودى وإما أن تردنى إلى بلدى فقال بل أجمعهن لك ففعل بها ذلك، خرج المهدى يطوف بالبيت بعد هداة من الليل فسمع أعرابية من جانب المسجد وهى تقول قوم متظلمون نبت عنهم العيون وفدحتهم الديون وعضتهم السنون بادرت رجالهم وذهبت أموالهم أبناء سبيل وأنضاء طريق ووصية الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم فهل من آمر بخير كلاه الله فى سفره وخلفه فى أهله فأمر لها بخمسمائة درهم . . . ومما جاء فى ذم السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيه اهون من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه او منعه وقال صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر وقال أكثم بن صيفى كل سؤال وإن قل أكثر من كل نوال وإن جل وقال ابن عباس رضى الله عنهما المساكين لا يعودون مريضا ولا يشهدون جنازة ولا يحضرون جمعة وإذا اجتمع الناس فى أعيادهم ومساجدهم يسألون الله من فضله اجتمعوا يسألون الناس ما بأيديهم سأل سائل بمسجد الكوفة فلم يعط شيأ فقال اللهم إنك بحاجتى عالم لا تعلم أنت الذى لا يعوزك نائل ولا يلحفك

قال الراوى : فصبت الجماعة إلى أن تستثبته ، لتستنجش خبأته ، وتستنفض حقيبته ، فقالت له : قد عرفنا قدر رتبتك ، ورأينا در مزنتك ، فعرفنا دوحة شعبتك ، واحسر اللثام عن نسبتك ؛ فأعرض إعراض من منى بالإعنات ، أو بشر بالبنات ، وجعل يلعن الضرورات ، ويتأفف من تغيض المروآت ؛ ثم أنشد بلفظ صادع ، وجرس خادع

لعمرك ما كل فرع يدل جناه اللذيذ على أصله

فكل ما حلا حين تؤتى به ولا تسأل الشهد عن نحله

سائل ولا يبلغ مدحك قائل أسألك صبرا جميلا وفرجا قريبا وبصرا بالهدى وقوة فيما تحب وترضى فتبادروا اليه بالعطية فقال لا والله لا أرزؤكم الليلة شيئا ثم خرج وهو يقول

ما نال باذل وجهه بسؤال عوضا ولو نال الغنى بسؤال

وإذا النول مع السؤال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال

وإذا بليت ببذل وجهك سائلا فابذله للمتكرم المفضال

وقال بعض الأدباء : المخذول من كان له الى اللئام حاجة وأنشد الجاحظ فى نوادره لاعرابى

سير النواعج باللبيعة فى الضحى يمشى الذليل بها على بلبال

خير من الطمع الدنىء ومجلس بفنـاء لاطلق ولا مفضال

فابثت حوائجك المليك فانه يغنيك قبل تخشع بسؤال

(تستثبته) تحقق من هو (تستنجش) تستخرج والنجش استخراج الشىء المجهول المستور وقيل تنفير الوحش وهو من الأول لأن تنفير المطمئن كاظهار الكامن (خبأته) سره الذى أخبرهم بظاهره حيث قال كيت وكيت (الحقيبة) وعاء يعلقه الرجل خلف رحله يجعل فيه ما يعز عليه ما يحتاج أن يتناوله متى شاء واراد بها ههنا موضع سره (تستنفض) تنثر ما فيه (رتبتك) قدرك ومنزلتك (در مزنتك) ماء سحابك واراد ما أبدى لهم من البلاغة (دوحة) شجرة (شعبتك) فرعك وغصنك (احسر) ازل واكشف (اللثام) ما يجعل على الأنف والفم يريد عرفنا أصلك ومن اين أنت (منى) بلى (الاعنات) المشقة وعنته وأعنته كلفته ما يشق عليه (وبشر بالنبات) أخبر بولادتهن وقد أخبر الله تعالى أن من بشر بالأنثى ظل وجه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به وقد تقدم وأد البنات وهو دسهن فى التراب وقال النبى صلى الله عليه وسلم من طريق عقبة بن عامر لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات الغاليات وقال عليه الصلاة والسلام أحبوا البنات فانى أبو البنات وإن الرجل إذا ولدت له ابنة هبط اليها ملكان فسحا على ظهرها وقالا ضعيفة خرجت من ضعيف من أعان عليك لم يزل يصاب إلى يوم القيامة (يتأفف) يقول أف أف وهو من فعل المهموم الملهوف (تغيض المروآت) ذهاب الأفعال الحسان (صادع) شديد يشق الأذن (جرس) صوت (جناه) ما يجتنى منه (الشهد) العسل اى كل العسل ولا تسل عن النحل التى صنعته ولا من اين هو ضربه مثلا لترك سـؤالهم عنه

ومَيْز إذا ما اعتصرتَ الكرومْ ... سُلافةَ عَصرِ منْ خبه

إتغـلِي ورخِصَ عَنْ خبرةْ ... وتَشرى كلاً شِـرا مِـثله

فَـارَ على الفَـطِـنِ اللَّـوذَعى ... دُخُـولُ الغميزةِ فى عَقْلِه

قال فازدهى القومَ بذكائه ودهائه، واختلبهمْ بحُسْنِ أدائه مع دائه، حتى جمعُوا له خبايا الخُبَن، وخفايا الثُّبَن، وقالوا له يا هذا إنَّكَ حُمْتَ على رَكيَّةٍ بَكيَّة؛ وتعرَّضْتَ لخليَّةٍ خليَّة، فخذْ هذه الصُّبابةَ، وهبْها لا خطأً ولا إصابة، فنزلَ قُلُّهم منزلةَ الكُثْر، ووصلَ قبولَه بالشكر، ثم تولَّى يجُرُّ شِقَّه؛ ويَنهبُ بالخبْط طرْقَه، قالَ المُخبرُ بهذه الحكاية: فصوَّرلى أنَّه محيلٌ لحِليته، مُتصنِّعٌ فى مِشيته، فنهضتُ أُنهِجُ منهاجه؛ وأقفو أدراجه، وهو يلحظنى شزرًا ويوسِعُنى هَجْرًا، حتى إذا خلا الطريق، وأمكن التحقيق نظرَ إلىَّ نظرَ منْ هشَّ وبشَّ وما حضَ بعدَ ما غشَّ، وقال إنى لإخالُكَ أخا غُربة، ورائدَ صُحْبة، فهلْ لكَ فى رفيقٍ ترْفُقُ بكَ ويرْفقُ ويُنفقُ عليكَ ويُنفقُ، فقلتُ له لو أتانا هذا الرَّفيقُ، لو أتانى التوفيق، فقال لى قدْ وجدْتَ فاغتبطْ ولتستكرمْ فارتبطَ

اذا أفادهم (سلافة) خمر لم تعصر (عصرك) تعصيرك (خبرة) معرفة وتجربة (اللوذعى) الذكى (الغميزة) ضعف التدبير والنظر لأن الذى لا يحسن التدبير والنظر إذا سقط غمزه الناس وعابوه (ازدهى) دعاهم إلى الزهو والاعجاب به (ذكائه) حدة ذهنه (اختلبهم) خدعهم (الخبن) أطراف الثوب كالكم وغيره (والثبن) أطراف الرداء وشبهه أو الخبنة فى الثوب المخيط وقد خبنته عطفته وكففته بالخياطة وقيل الخبن القبض والخبنة لمايلى البطن من حجزة السراويل والازار والجمع خبن والثبنة مايلى الظهر من السراويل والازار (حمت) حلقت (ركية) بئر (بكية) قليلة الماء (خلية) جبح النحل حيث كان من حجر أو شجر وقيل الخلية الخشبة المنقورة لها خاصة والخلية فى غير هذا السفينة فشبهت خلية النحل بها (خلية) فازعة (الصبابة) الشيء القليل إذا أخذ منه بكثرة (الخبط) أراد به أخذ الأموال بالسؤال يقال خبطت الشجرة خبطا نفضت ورقها أراد انه كان يجر جانبه المعل فكل من مر به وسأله رحمه (محيل) مغـير (حليته) خلقته وصفاته (نهضت) تقدمت للمشى (أنهج منهاجه) أمشى فى طريقه (أقفوا أدراجه) أتبع آثاره (يلحظنى) ينظرنى (شزرا) أى فى جهة مؤخر عينة قال ابن الانبارى نظر إلى شزرا اى نظر إلى من جانب عينه من شدة العداوة والبغضاء يقال شزر يشزر إذا نظر من جانب عينه من العداوة او من الفرق (ريوسعنى هجوا) اى يكثر تجنبي ومبا عدتى (هش) خف واهتز (بش) حسن اللقاء ويقول بش فلان بفلان إذا سر به وفرح وانبسط اليه ويقال تبشبش به بمعنى بش به والبشاشة والمشاشة الطلاقة والتبسم (ما حض) أخلص وده (غش) ضد أخلص ويقال غشه أى عمل فيما يحبه شيأ قليلا وخلطه بما يسوءه أخذ من الغشش وهو الشراب الكدر (اخالك) أحسبك (رائد) طالب (يرفق بك) يلاطفك ويكون بك رفيقا (يرفق) يوليك مرافقة أى يعنيك بماله حتى يجد معها الرفق (لو اتانى) الوفقنى (اغتبط) أى كن به مغتبطاً أى محبا فى بقائه والغبطة حسن الحال (استكرمت فارتبط) أى كن كريما وجاء هذا اللفظ

ثم ضَحِكَ مَلِيا ، وَتَمَثَّلَ لى بَشَرًا سَوِيًّا ؛ فإذا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ لا قَلَبَةَ بِجِسْمِه ، ولا شُبْهَةَ فى وَسْمِه ، فَفَرِحْتُ بِلُقْيَتِهِ ، وَكَذِبَ لَقْوَتِهِ ، وهَمَمْتُ بِمَلامَتِهِ على سُوءِ مَقَامَتِه ، فَشَحَافَاه ، وأَنْشَدَ قَبْلَ أَنْ أَلْحَاه :

ظَهَرْتُ بِرَثَّ لِكَيْمَا يُقَالَ فَقِيرٌ يُزَجِّى الزَّمَانَ الْمُزَجَّى
وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنْ قَدْ فُلِجْتُ فَكَمْ نَالَ قَلْبِى به ما تَرَجَّى
ولوْلا الرَّثَاثَةُ لم يُرْثَ لى ولوْلاَ التَّفَالُجُ لم أَلْقَ فُلْجَا

ثم قال : إِنَّهُ لم يَبْقَ لى بِهَذِهِ الأَرْضِ مَرْتَعٌ ، ولا فى أَهْلِهَا مَطْمَعٌ .. فإِنْ كُنْتَ الرَّفِيقَ ، فَالطَّرِيقَ الطَّرِيقَ فَسِرْنَا مِنْهَا مُتَجَرِّدَيْن ، وَوَافَقْتُه عامَيْنِ أَجْرَدَيْن ، وكُنتُ على أَنْ أَصْحَبَه مَا عِشْتُ فَأَبَى الدَّهْرُ الْمُشِتُّ

فى حكاية ذكرها أبو على وهى أن فتى من العرب جاء إلى أمه وقد عميت فقال لها يا أمه إنى اشتريت فرسا فقالت صفه لى قال إذا استقبل فظبى ناصب وإذا استدبر فهقل هاضب وإذا استعرض فسيد قارب موالى المسمعين طامح الناظرين مد علق الطبيين قالت أجودت إن كنت أعربت قال إنه مشرف التليل سبط الخصيل وهواه الصهيل قالت أكرمت فارتبط (مليا) أى طويلا (قلبة) علة قال الكسائى رحمه الله مابه قلبه أى شىء يقلقه فينقلب من أجله على فراشه لغمه وقال الفراء رحمه الله مابه من وجع يخاف عليه منه من قولهم قلب الرجل إذا أصابه وجع فى قلبه فلا يكاد ينقلب منه ، وقال الأصمعى رحمه الله معناه مابه داء مأخوذ من القلاب وهو داء يصيب الابل فى رؤوسها فيقلبها إلى فوق (شبهة) التباس وتغير (وسمه) صفاته (اللقية) المرة الواحدة من اللقاء وقال فى الدرة العرب تقول لقيته لقية ولقاءة ولقاية إذا أرادوا المرة الواحدة فان أرادوا المصدر قالوا لقيته لقاء ولقى ولقيا . هذا وأنشد :

وإن لقاها فى المنام وغيره وإن لم تجد بالبذل عندى لرابح

وخطأ من يقول لقيته لقاءة واحدة وأغفل أن سيبويه قال فى كتابه أتيته إتيانة ولقيته لقاءة واحدة (اللقوة) استرخاء اللحى وعوجه (مقامته) مجلسه الذى كدى به (شحافاه) فتحه قال جرير :

وضع الخزير فقيل ابن مجاشع فشحا جحافله جراف هبلع

الخزير بنقط الخاء ثم زاى : دقيق يلبك بشحم ، وجراف الشىء سخونه (الحاه) ألزمه (يزجى) يسوق (المزجى) القليل الخير وهذا كما قال لبست الخنيصة أبغى الخبيصة (فلجت) أصبت بفالج (الرثاثة) سوء الحال (التفالج) استعمال الفالج وهو خدر يصيب الجسد (فلجا) فوزا وظفرا (مرتع) موضع يرعى فيه (منجردين) مسرعين وانجرد الرجل فى سيره إذا جد فى الذهاب (اجردين) تامين كاملين وسرت يوما وشهرا وحولا أجرد وجريدا أى تاما ، قال سويد بن كراع :

وجشمنى خوف ابن عفان ردها فثقفتها حولا جريدا ومربعا

(المشت) المفرق .

المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية

أَخْبَرَ الحارثُ بنُ هَمَّامٍ قال: لما جُبْتُ البيدَ، إلى زَبِيد، صَحِبَني غُلامٌ قد كُنْتُ رَبَّيْتُهُ إلى أنْ بَلَغَ أَشُدَّهُ وَثَقَّفْتُهُ حتى أَمَّلَ رُشْدَهُ، وكانَ قدْ أَنِسَ بأَخْلاقِي، وخَبَرَ مَجالِبَ وِفاقِي، فلم يَكُنْ يَتَخَطَّى مَرامِي؛ ولَا يُخْطِئُ في المَرامِي، لاجَرَمَ أنْ قَرُبَهُ التاطَتْ بِصَفَرِي وأَخْلَصْتُهُ لحَضَرِي وسَفَرِي؛ فَأَلْوَى به الدَّهْرُ المبيد

شرح المقـــامة

(جبت) قطعت (البيد) الصحارى (زبيد) بلدة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخا وليس فى اليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أغنى من أهلها ولا أكثر خيرا واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه من الموز وغيره وهى برية لا ساحلية (بلغ أشده) أى بلغ الحلم وقيل ثلاثين سنة، قال الأزهرى رحمه الله تعالى: الأشد فى كتاب الله تعالى على ثلاثة معان أما قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما فبلوغه مبلغ الرجال وكذا فى اليتيم حكمه أن يحفظ عليه ماله حتى يبلغ أشده وبلوغه أشده أن يؤنس الرشد منه مع أن يكون بالغا وأما قوله تعالى فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام ولما بلغ أشده واستوى فقرن بلوغ الأشد بالاستواء وهو أن تجتمع قوته ويكتهل وذلك من ثمان وعشرين إلى ثلاث وثلاثين سنة وذلك منتهى الشباب، وأما قوله تعالى، حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، فهى نهاية بلوغ الأشد وعندها بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقد اجتمعت حكمته وتمام عقله فبلوغ الأشد محصور البداية محصور النهاية ما بين ذلك (ثقفته) قومته وحذقته (خبر) أى جرب وعرف (مجالب وفاقى) أى عرف من أين يجلب ما يوافقنى (يتخطى) يتجاوز (مرامى) مرادى ومقصدى (لاجرم) أى لامحالة ولابد ثم صارت بمعنى حقا (قربه) ما يتقرب به إلىّ من المبرة (التاطت) لصقت (بصفرى) بنفسى وقلبى والصفر دود فى البطن إذا جاع الانسان عضت شراسيفه وهى رقيق البطن قال أعشى باهلة:
ولا يعض على شرسوفه الصفر، فيريد أن هذا الغـــلام مهذب يأتى بمحاولاته على الوفاق ويقرب الطعام من مولاه وقت الحاجة، ومن حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: نعما للمملوك ان يتوفاه الله بحسن عبادة ربه وطاعة سيده نعما له وقال عليه الصلاة والسلام إذا نصح العبد لسيده واحسن عبادة ربه فله اجران (اخلصته) افردته (الوى) ذهب به وأهلكه (المبيد) المهلك وننشد هنا أبياتا لابن الحضرمى فى غلام هلك للمتوكل بيطليوس:

غالته أيدى المنايا   وكن فى مقلتيه
وكان يسقى الندامى   بطرفه ويديه
غصن ذوى وهلال   جاء الكسوف عليه

ويستحسن لابن همام أن ينشد فى وصف هذا الغلام:

حِينَ ضَمَّتْنَا زَبِيد ، فلما شَالَتْ نَعَامَتُهُ ، وسَكَنَتْ نَأْمَتُه ، بَقِيتُ عاما ، لا أُسِيغُ طَعاما ، ولا أُرِيغُ غُلاما حتى أَلْجَأَتْنِي شَوَائِبُ الوَحْدَة ، ومَتَاعِبُ القَوْمَةِ والقَعْدَة ؛ إلى أنْ اعْتَاضَ عَنِ الدُّرِّ الخَرَزَ ، وأرْتَادَ مَنْ هُوَ سِدَادٌ مِنْ عَوَز ، فَقَصَدْتُ مَنْ يَبِيعُ العَبِيدَ ، بِسُوقِ زَبِيد ، فَقُلْتُ أُرِيدُ غلاما يُعْجِبُ إذا قُلِّبَ ، ويُحْمَدُ إذا جُرِّبَ ، ولْيَكُنْ مِمَّنْ خَرَّجَهُ

حين تمت آدابه وتردى ... برداء من الشباب جديد
وسقاه ماء الشبيبة فاهتز ... اهتزاز الغصن الندى الأملود
وسمت نحوه العيون وماكا ... ن عليه لزائد من مزيد
وكأنى أدعوه وهو قريب ... حين أدعوه من مكان بعيد

وأنشد بعضهم :

نأى آخر الأيام عنك حبيب ... فللعين سح دائم وغروب
كان لم يكن كالغصن فى ميعة الضحى ... سقاه الندى فاهتز وهو رطيب
وريحان صدرى كان حين أشمه ... ومؤنس قصرى كان حين أغيب
وكانت يدى ملآنة ثم أصبحت ... بحمد إلهى وهى منه سليب

(شالت نعامته) أى ارتفع نعشه ويقال فى المصلوب شالت نعامته أى ارتفعت خشبته وشالت نعامة القوم أى ولوا منهزمين وهو مثل يضرب للانهزام وللهلاك وللتفرق ، وأنشد الشاعر :

نلقى خصاصة بيننا أوماحنا ... شالت نعامة أينا لم يفعل

يخاطب أعداءه وقد وافقهم يقول هل نلقى فى الفرجة التى بيننا أرماحنا ونضرب بالسيوف هلك وانهزم من لم يفعل يدعو عليه ، وينسب ذلك للنعامة لأن النعام موصوف بالسخف والرق والشراد فاذا قالوا شالت نعامتهم وخفت نعامتهم ورق رأيهم فمعناه إذا تركوا مواضعهم بجلاء أو بموت ويقال أحمق من نعامة لأنها تنتشر للطعام فربما رأت بيضة نعامة أخرى وحدها فتحضنها وتنسى بيضتها ثم تجىء الأخرى فترى على بيضتها غيرها فتمضى لوجهها وإياها عنى ابن هرمة بقوله :

كتاركة بيضها بالعرا ... وملبسة بيض أخرى جناحا

قاله الجاحظ وأما أبو عبيدة فقال عنى الحمامة وقال ابن الأعرابى بيضة البلد التى سار بها المثل هى بيضة النعامة التى تتركها فلا تهتدى إليها فتفسد فلا يقربها شىء ، قال الراعى :

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم ... ياابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاعة أن ترضى لكم نسبا ... وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

(نأمته) أى حركته التى تنمو بحياته وزعموا أن النامة بوزن العامة عرق اليافوخ (أسيغ طعاما) استسهل بلعه (أريغ غلاما) أطلبه (السداد) اسم ما يسد به الشىء مثل سداد القارورة وهو صمامها وسداد الفقر ما يذهبه ويكتفى به من المال وسداد الثغر ما يذهب خوفه من الخيل والرجال والسداد بالفتح الاصابة فى المنطق وقال يعقوب : السداد والسداد بمعنى واحد وسنعيد ذكرها فى أخبار العرجى (العوز) فقد الشىء فانه أراد عبدا يسد به فقد غلامه الميت (إذا قلب) أى إذا قلبت خلقته وجدت كل جزء منها حسنا (خرجه) حذقه

الأَكْيَاس وأَخْرَجَهُ إِلى السُّوقِ الإِفلاس ، فاهتزَّ كلٌّ مِنهُمْ لِمَطْلَبِي وَوَثَبَ ، وبَذَلَ تَحْصِيلَه ، عَنْ كَثَب ، ثم دَارَت الأَهِلَّةُ دَوْرَهَا ، وتَقَلَّبَتْ كَوْرَهَا وحَوْرَهَا وما نَجَزَ مِنْ وُعُودِهِمْ وعدَ ، ولاَ سَحَّ لَهَا رَعْد فلما رَأَيْتُ النَّخَّاسِين ، نَاسِينَ أو مُتَنَاسِين ، عَلِمْتُ أَنْ لَيْسَ كلُّ مَنْ خَلَقَ يَفْرِي ، وأَنْ لَنْ يَحُكَّ جِلْدِي مِثْلَ ظُفْرِي ، فَرَفَضْتُ مَذْهَبَ التَّفْوِيض ؛ وبَرَزْتُ إِلى السُّوقِ بِالصُّفْرِ والبِيض ، فَإِنِّي لَأَسْتَعْرِضُ الغِلْمَان وأَسْتَعْرِفُ الأَثْمان ، إِذْ عارَضَنِي رَجُلٌ قَدِ اخْتَطَمَ بِلِثَام ، وقَبَضَ زَنْدَ غُلَام ، وقال :

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي غُلاماً صَنَعا ... فِي خَلْقِهِ وخُلْقِهِ قَدْ بَرَعا
بِكُلِّ ما نِيطَ بِهِ مُضْطَلِعا ... يُشْفِيكَ إِنْ قالَ وإِنْ قلتَ وَعَى
وَإِنْ تُصِبْكَ عَثْرَةٌ يَقُلْ لَعا ... وإِنْ تَسُمْهُ السَّعْيَ فِي النَّارِ سَعَى
وإِنْ تُصَاحِبْهُ ولو يَوْماً رَعَى ... وإِنْ تُقَنِّعْهُ بِظِلْفٍ قَنِعا

ورباه (الأكياس) أهل الفطنة والحذق (الافلاس) الفقر (وثب) قفز وعجل إلى المشى (بذل) أعطى (تحصيله) وجوده وحصوله (كثب) قرب يريد أنه أعطى من نفسه القدرة على حصوله فى أقرب مدة (دارت الأهلة دورها) أى كملت السنة وكملت الأهلة فيها بالطلوع (كورها وحورها) زيادتها ونقصانها وقد تقدم الكور والحور (نجز) حضر (سح) أمطر (النخاسين) الدلالين للعبيد والدواب . ثعلب : أخذ من النخس وهو الدفع فمعنى النخاسين الذين يشترون العبيد ليدفعوهم إلى غيرهم (ليس كلّ من خلق يفرى) مثل ، وخلق قدر يقال خلق الصانع الجلد إذا قدر مايقطع منه ، وقيل الخلق القطع والفرى القطع أيضا ولكن تقديرا فمعنى المثل لبس كل من قطع شيئا قدر ما يقطع به ويفرى أيضا يحسن القطع على جهة الاصلاح قال زهير :

ولأنت تفرى ماخلقت وبعـ ... ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ويقال أيضا خلق الشيء صنعه وفراه أفسده وأراد ليس كل الناس يحسن شراء العبيد (يحك جلدى مثل ظفرى) هومثل يضرب فى ترك الاتكال على الناس قال الامام الشافعي رضى الله عنه :

ما حك جلدك مثل ظفرك ... فتول أنت جميع أمرك
وإذا قصـــدت لحاجة ... فاقصد لمعترف بقدرك

(رفضت) تركت (التفويض) أن يتكل الرجل على غيره ويسلم أمره إليه (الصفر والبيض) الدنانير والدراهم (أستعرض) أطلب أن يعرض على (عارضنى) قابلنى (استعرف) أطلب معرفته (اختطم) جعل اللثام على طرف الأنف وهو الخطم والخرطوم للسباع واللثام ما كان على الأنف من النقاب (الزند) طرف عظم الساعد المتصل بالكف فهو قد قبض على أرق موضع فى الذراع (الصنع) الحاذق بالصناعة والمرأة صناع (برع) فضل وفاق غيره (نطت) علقت (مضطلعا)مكتفيا قويا عليه (وعى) حفظ (لعا)كلمة تقال للعاثر يعنى أقال الله عثرتك وسلمك الله (تسمه للسعى) تكلفه المشى (رعى)حفظ الصحبة (الظلف) للشاة بمنزلة الحافر

وهوَ على الكَيْسِ الذى قدْ جَمَعَا ... مَا فاهَ قطُّ كاذباً ولا ادَّعَى
ولا أجابَ مَطْمَعًا حينَ دَعَا ... ولا استجازَ نَثَّ سِرٍّ أُودِعَا
وَطالمَا أبدَعَ فيمَا صَنَعَا ... وفاقَ فى النَّثرِ وفى النَّظمِ معا
واللهِ لوْلا ضنكُ عَيشٍ صَدَعَا ... وصِبْيَةٌ أضحَوْا عُراةً جُوَّعَا
مَا بِعْتُهُ بِملكِ كِسْرَى أجْمعا

قال: فلما تأمَّلتُ خَلْقَهُ القَويم، وَحُسْنَهُ الصَّمِيم، خِلْتُهُ من وِلْدانِ جَنَّةِ النَّعِيم، وقلتُ مَا هذا بَشَرًا إنْ هَذَا إلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ،

للدابة (الكيس) الحذق (فاه) تكلم، ثم قال لم يدعه الطمع قط فأجابه (استجاز) استحل (نث) نشر وإفشاء (أبدع) أغرب وأتى بما لم يسبق إليه (ضنك) ضيق (صدع) كسر، وأنشدوا فى هذا المعنى:

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... علائق من رب بهن ضنين

(خلقه القويم) المعتدل القامة (الصميم) الخالص وهو فعيل من صم الشيء إذا لم يكن فيه فرجة ولا خلل (خلته) حسبته. وننشد فى هذه المقامة فى الغلمان ماله سبب وتعلق بذكر يوسف عليه السلام أو يكون الغلام مملوكا حتى يوافق غرض المقامة... كان شفيع غلام المتوكل أحسن الفتيان وأظرفهم وكان المتوكل يجن به جنونا فأحب يوما ان ينادم حسين بن الضحاك وأن يرى ما بقى من شهوته وكان قد أسن فأحضره وسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب من موردة فمد حسين يده إلى ذراع شفيع فقال المتوكل أتخمش أخص خدمى بحضرتى فكيف لو خلوت به ما أحوجك إلى الأدب وكان قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب:

وكالوردة الحمراء حيا بوردة ... من الورد يمشى فى قراطق كالورد
له عبثات عند كل تحية ... بكفيه تستدعى الحليم إلى الوجد
تمنيت أن أسقى بعينيه شربة ... تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة ... خليا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفعها لشفيع فأعطاها المتوكل فاستملحها وقال أحسنت والله يا حسين ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لو هبته لك ولكن بحياتى ياشفيع إلا كنت ساقيه بقية يومنا وأمر له بمال كثير، وكان لمعز الدولة غلام تركى وكان وضيء الوجه منهمكا فى الشراب ولفرط ميل مولاه إليه جعله رئيس سرية جردها لحرب بنى حمدان وكان المهلبى يستظرفه ويستحسنه فقال:

ظبيٌ يرق الماء فى ... وجناته ويرق عوده
ويكاد من شبه العذا ... رى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره ... سيفا ومناطقة تؤوده

جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده

فكانت الدائرة على جيش الغلام كما أشار إليه ولو غزاهم بالسلاح الذى أمر به البيبغا غلاما غاويا وهو :

ياغازيا أنت الأحزان غازية إلى فؤادى والأحشاء حين غزا

إن بارزتك رماة الروم فارمهم بسهم عينيك تقتل كل من برزا

لكان الظافر الغالب ، وكان بديع غلام عمير المأمورى أحسن خلق الله وجها ، وكان الوزير بن الزيات مفتونا به فاجتاز عليه راكبا بآلة الحرب فقال فيه :

راح علينا راكبا طرفه أغيد مثل الرشا الآنس

قدلبس القرطس واستمسكت كفاه من ذى بدن مائس

وقلد السيف على غنجه كأنه فى وقعة الداحس

أقول لما أن بدا مقبلا ياليتنى فارس ذا الفارس

وقال ابن الرقاق :

ومهند عضب براحة أغيد فى جفنه عضب يقد مفاصلى

يسطو بذاك وذا فيغدو قرنه بهما صريع لواحظ ومناصل

ماض كلا السيفين لكن لحظه أمضى وإلا فاسألن مقاتلى

وكان لأبى عيسى بن الرشيد غلام اسمه بشير وكان آية فى الجمال وكان صالح أخوه يتعشقه فبلغت لأبى عيسى قصة جرت بينهما فحجبه ومنعه أن يخرج من داره إلا بحافظ وكاد حسين بن الضحاك يموت فيه عشقا فقال فيه :

ظن من لا كان ظنا بحبيبى فحماه أرصد الباب رقيبين له فاكتنفاه

فاذا ما اشتاق قربى ولقائى منعاه جعل الله رقيبيه من السوء فداه

وقال فيه :

إن من لايرى وليس يرانى نصب عينى ممثل بالأمان

بأبى من ضميره وضميرى أبدا بالمغيب ينتحيان

نحن شخصان إن نظرت وروحا ن إذا ما اختبرت ممتزجان

فاذا ماهممت بالأمر أو هـم بشىء بدأته وبدانى

كان وفقا ما كان منه ومنى فكانى حكيته وحكانى

خطرات النفوس منا سواء وسواء تحرك الأبدان

وجاء يوما فتحدث معه فأشار لتقبيله فقال بشير إياك والتعرض لى وانج بنفسك وكانت فيه عزبدة فقال فيه حسين :

أيها النفاث فى العقد أنا مطوى على الكبـد

إنما زخرفت لى خدعا قدحت فى الروح والجسد

مالانس كان مبتذلا منك بالأمس لم يعد

يوم تعطينى وتأخذها دون ندمانى يدا بيد

ذاك يوم كان حاسدنا فيه معذورا على الحسد

ثم اسْتَنْطَقْتُهُ عَنِ اسْمِه ، لا لِرَغْبَةٍ فى عِلْمِه ، بل لأنظُرَ أَيْنَ فَصَاحَتُهُ مِنْ صَباحَتِهِ وكَيْفَ لَهْجَتُهُ مِنْ بَهْجَتِهِ ؛ فلم يَنْطِقْ بِحُلْوَةٍ ولا مُرَّةٍ ، ولا فاهَ فَوْهَةَ ابْنِ أَمَةٍ ولا حُرَّةٍ ، فَضَرَبْتُ عنه صَفْحا ، وقلتُ له قُبْحًا لِعِيِّكَ وشقحا ، فغار فى الضَّحِكِ وأنجدَ ، ثم أَنْغَضَ رأسَهُ إلىَّ وأنشد :

يا مَنْ تَلَهَّبَ غَيْظُهُ إذْ لم أَبُحْ ... باسْمِى له ما هكَذا مَنْ يُنْصِفُ

نْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا كَشْفُه ... فَأَصِخْ له أنا يوسُفٌ أنا يوسُفُ

ولقد كَشَفْتُ لكَ الغِطاءَ فإنْ تَكُنْ ... فَطِنًا عَرَفْتَ وما إخالُكَ تَعْرِفُ

قال فَسَرَّى عَنِّى بِشِعْرِه ، واسْتَبَى لُبِّى بِسِحْرِه ؛ حتى شُدِهْتُ عَنِ التَّحْقِيقِ ، وأُنسيتُ قِصَّةَ يوسُفَ الصِّدِّيقِ ، ولم يَكُنْ لِى هَمٌّ إلَّا مُساوَمَةَ مَوْلاهُ فيه ، واسْتِطْلاعَ طِلْعِ الثَّمَنِ لأُوَفِّيه ، وكُنْتُ أَحْسِبُ أنه سَيَنْظُرُ شَزْرًا إلىَّ ، ويُغْلِى السِّيمَةَ عَلَىَّ ، فما حَاقَ إلى حَيْثُ حَلَّقْتُ ، ولا اعْتَلَقَ بِمَا به اعْتَلَقْتُ ، بل قال إنَّ الغُلامَ إذا نَزُرَ ثَمَنُهُ ، وخَفَّتْ مُؤْنَتُه ، تَبَرَّكَ به مَوْلاه ، والتَحَفَ عليْهِ هَواه ، وإنِّى لأُوثِرُ تَحْبِيبَ هذا الغُلامِ إليْكَ بأَنْ أُخَفِّفَ ثمنَهُ عليك ؛ فَزِنْ مِائَتَىْ دِرْهَمٍ إنْ شِئتَ ، واشْكُرْ لى ما حَبِيتُ فَنَقَدْتُهُ المَبْلَغَ فى الحالِ ، يُنْقَدُ فى الرَّخِيصِ الحَلالِ ، ولَمْ يَخْطُرْ بِبالٍ ، أَنَّ كُلَّ مُرْخَصٍ غالٍ ، فلما تَحَقَّقَتِ

(استنطقته) أى سألته أن ينطق (صباحته) حسنه (هجته) لفظه وأصلها طرف اللسان فكنى بها عن حلاوته (بهجته) حسنه ونضارته وأصلها حسن اللون (لم ينطق بحلوة ولا مرة) أى بكلمة جيدة ولا ردیئة (فاه) نطق (ضربت عنه) أعرضت عنه (صفحا) أى أو نطق صفحة وجهى وهى جانبه (شقحا) اتباع القبح وقيل ليته هى من شقح البسر إذا تغيرت خضرته بحمرة أو صفرة وهو أقبح مايكون فى رأى العين وقيل هو من شقحت العود إذا كسرته وقيل هو من أشقاح الكلاب وهى ادبارها ويقال قبحا وشقحا بضم أولهما وفتحه (غار) أتى الغور وهو المنخفض من الأرض (أنجد) أتى نجدا ومعناه بالغ فى الضحك وذهب فى جهاته (أنغض رأسه) أى حركه كانه يهدده ويستخف به (تلهب) اشتعل (أبح) أتكلم (اصخ) استمع (أنا يوسف) أى انا حر مثل يوسف صلوات الله عليه إذ باعه اخوته (سرى عنى) أزال لومى (استبى لبى) أى تملك عقلى بسحره وحلاوة كلامه (شدهت) تحيرت وهو مقلوب دهشت (التحقق) التميز ، وهذا كما قال الشاعر :

والله مافتنت نفسى محاسنه ... إلا وقد سحرت ألفاظه أذنى

ماتصدر العين معه لحظة مللا ... كأنه كل شىء مرتضى حسن

(استطلاع طلعه) استخبار خبره والسؤال عن قدره (لاوفيه) إلا عطيه له كاملا وافيا (شررا) نظر فيه اعراض (السيمة) السوم وهو السؤال عن الثمن (ماخلق إلا حيث خلقت) أى مادار إلى حيث درت أى ما كان عنده شىء مما ظننت به من طلبه سوما غاليا ويروى الأمكان إلى (نزر) قل (مؤنه) لوازمه ومايحتاج اليه (تبرك) رآه مباركا والبركة الكثرة والسعة (التحف) انضم (هواه) حبه (أوثر) أفضل (تحققت الصفقة) تم البيع

الصَّفْقَة ، وحَقَّتِ الفُرْقَة ، هَمَلَتْ عَيْنا الغُلام ، ولا هُمولَ دَمْعِ الغَمَام ، ثم أَقْبَلَ عَلَى صاحِبه ، وقال :

لحاكَ اللهُ هَلْ مِثْلِي يُبَاع ... لِكَيْمَا تَشْبَعَ الكَرِشُ الجِيَاعُ
وهَلْ في شِرْعَةِ الإنصافِ أَنِّي ... أُكلفُ خُطَّةً لا تُسْتَطاع
وأَنْ أُبْلَى بِرَوْعٍ بَعْدَ رَوْعٍ ... ومِثْلِي حِينَ يُبْلَى لا يُرَاعُ
أَمَا جَرَّبْتَنِي فَخَبَرْتَ مِنِّي ... نَصَائِحَ لم يُمَازِجْهَا خِدَاعُ
وكَمْ أَرْصَدْتَنِي شَرَكًا لِصَيْدٍ ... فَعُدْتُ وفي حَبَائِلِيَ السِّبَاعُ
ونُطْتَ بِيَ المَصَاعِبَ فاسْتَقَادَتْ ... مُطاوِعَةً وكَانَ بِهَا امْتِنَاعُ
وأَيُّ كَرِيهَةٍ لم أُبْلِ فِيهَا ... لِ غُنْمٍ لم يَكُنْ لِي فيه بَاعُ
ومَا أَبْدَتْ لِيَ الأَيَّامُ جُرْمًا ... فَيُكْشَفُ في مُصَارَمَتِي القِنَاعُ
ولم تَعْثُرْ بِحَمْدِ اللهِ مِنِّي ... عَلَى عَيْبٍ يُكَتَّمُ أو يُذَاعُ
فَأَنَّى سَاغَ عِنْدَكَ نَبْذُ عَهْدِي ... كَما نَبَذَتْ بُرَايَتَهَا الصَّنَاعُ

(هملت) سالت (الغمام) السحاب (لحاه) الله لعنه وأبعده ولحيت الرجل لمته وأصله من لحوت العود ألحوه ولحيته ألحاه إذا قشرته وأنشد ابن الاعرابى فى نوادره :

لحيت شماسا كما تلحى العصا ... سبا لو ان السب يدمى لدمى

ويقال لاحاه ملاحاة ولحاء وأصلها المبالغة ثم كثرت حتى جعلت كل ممانعة ومدافعة ملاحاة (الكرش) العيال وكرش الرجل عياله وصغار ولده ويقال فى المعيل عليه كرش منثورة وإذا اكثرت المرأة أولادها قيل نثرت كرشها وقد قدم أن صبيته جوع (الشرعة) الطريق (الخطة) مثل القصة الأمر يقع بين القوم (ابلى) امتحن (الروع) الفزع لأنه يصيب الروع وهو القلب (يمازجها) يخالطها (أرصدتنى) جعلتنى رصدا والرصد من يرقبك وأنت لا تعلم فاذا جئته هجم عليك (والشرك) آلة الصيد (حبائلى) شباكى (نطت) علقت (المصاعب) الأمور الشاقة (استقادت) انقادت (ابل) أبالغ وأجهد نفسى فيه (غنم) غنيمة (جرم) ذنب (مصارمتى) مقاطعتى وكشفت فى الأمر القناع إذا جاهدت فيه وبالغت (تعثر) تطلع (يكتم) يستر (يذاع) يفشى وبحمد الله فى البيت وقعت اعتراضا بين العامل والمعمول كما وقعت فى التاسعة والأربعين اعتراضا بين المبتدأ وخبره فى قوله وأنت بحمدالله ولى عهدى وتعلقها بمحذوف تقديره ابتدىء بحمد الله وافتتح بحمد الله الذى خلصنى من عيب يعثر لى عليه أو الذى جعلك ولى عهدى ومنه سبحان الله وبحمده معناه أنزه الله وابتدىء بحمده أو افتتح بحمده ودخلت الواو هنا لغير معنى العطف ألا ترى أنك لو قلت سبحان الله وحمده لكان المعنى أسبحه تسبيحا واحمده حمدا هكذا يقتضى ماجاء من المصادر منصوبا فى هذا الباب ، وفى قولنا وبحمده لا يكون المعنى ما تقدم فى المنصوب ولكن الباء آذنت بمعنى ابتدأت أو ابدأ بحمد الله كأنك قلت حمدت الله على الهامه اياى تسبيحه وتأمل قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم (ساغ) أى سهل (نبذ) ترك (البراية) ما يتساقط من العود إذا نجر ومن القلم إذا برى وكذا

ولم سَمَحتْ قَرونُكَ بامتهانى | وأنْ أُشرَى كما يُشرَى المَتاعُ
وهَلَّا صُنتَ عِرْضِى عَنهُ صَونى | حَديثَكَ يَوْمَ جدّ بنا الوَداعُ
وقُلتَ لِمَنْ يُساوِمُ فى هذا | سَكابِ فما يُعارُ ولا يُباعُ
فما أنا دُونَ ذاكَ الطِّرْفِ لكنْ | طِباعُكَ فَوْقَها تلكَ الطِباعَ
عَلَى أنّى سأُنشِدُ عِندَ بَيْعى | أضاعونى وأىَّ فَتًى أضاعوا

يأتى فى مثل البرادة والنحاتة ونحوها (الصناع) الحاذقة بالصنعة والرجل صنع بغير ألف (قرونك) نفسه (سمحت) جادت (أشرى) أباع (عنه) أى عن البيع (صونى حديثك) أى صيانتى للحديث الذى أحدثه من بيعى وأنا حر (يوم جدبنا الوداع) أى فى هذه الساعة التى تريد أن تودعنى فيها (سكاب) اسم فرس لرجل من العرب من بنى تميم سأله بعض الملوك أن يبيعها منه فأبى عليه وقال :

أبيت اللعن أن سكاب علق | كريم لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا | يجاع لها العيال ولا تجاع

(الطرف) الفرس الكريم يقول لست أنا دون ذلك الفرس لكن طباع مالكه أفضل من طباعك حيث كان يجيع عياله ويشبعه ولم يهنه بالبيع كما أهنتنى به وعجز البيت الأخير صدر بيت لعبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان رضى الله عنهم ، وهو العرجى سمى بذلك لأنه ولد بالعرج من مكة وقيل بل كان له بها مال وكان يكثر الاختلاف اليه فنسب اليه يكنى أبا عمرو وهو شاعر مطبوع بالغزل مجيد ويشبه فى غزله ومقصده بعمر بن أبى ربيعة وكان يهوى جيداء أم ابراهيم بن هشام المخزومى ولها يقول :

أبصرت وجها لها فى جيده تلع | تحت العقود وفى القرطين تشهير
وجه تحير فيه الماء فى بشر | صاف له حين أبدته لنا نور

ولها يقول :

إلى جيداء قد بعثوا رسولا | ليخبرها فلا صحب الرسول
كأن العام ليس بعام حج | تغيرت المواسم والشكول

ولها يقول :

عوجى علينا ربة الهودج | إنك إن لا تفعلى تحرجى
فالحج إن حجت وماذا منى | وأهله إن هى لم تحجج
فما استطاعت غير أن أومأت | نحوى بعينى شادن ادعج

وقال أيضاً :

باتا بأنعم ليلة حتى بدا | صبح يلوح كالأغر الأشقر
فتلازما عند الفراق صبابة | اخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فلما شاع نسيبه بها قبض عليه ابنها محمد عند ولايته الحجاز بسبب طلبه عليه فضربه بالسياط والقى الزيت على راسه واوقفه فى الشمس حتى غشى عليه وسجنه بضع سنين حتى مات فى سجنه فقال فى السجن :

اضاعونى واى فتى اضاعوا | ليوم كريهة وسداد ثغر

وخلونى ومعترك المنايا وقد شرعت أسنتهم لنحرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتى فى آل عمرو
أجرر فى الجامع كل يوم فيالله مظلمتى وقسرى
عسى الملك المجيب لمن دعاه ينجينى ويعلم كيف شكرى
فأجزى بالكرامة أهل ودى وأجزى بالعداوة أهل وترى

فلما أفضت الخلافة إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك قبض على محمد بن هشام وأخيه إبراهيم ودعا لهما بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة قال وأى قرابة بينى وبينك قال فاسألك بصهر عبد الملك فقال لم تحفظه فقال يا أمير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يضرب قرشى إلا فى حد فقال فنى حد أضربك وقود قال وماذاك قال أنت أول من سن ذلك على العرجى وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان فما رعيت جده ولا نسبه بهشام من قبل أمه اضربهما ياغلام فضربهما ضربا مبرحا وأثقلا بالحديد ووجههما إلى يوسف بن عمر وأمره بتعذيبهما فضربهما حتى ماتا ... وغنى اسحق الموصلى الرشيد قوله : أضاعونى وأى فتى أضاعوا ، فسأل عن سبب هذا الشعر فأخبره بحديث العرجى قال اسحق فرأيته يتغيظ فلما أخبرته بما فعل بابنى هشام جعل وجهه يسفر وغيظه يسكن ثم قال يا أسحق لولا ماحدثتنى به من فعل الوليد لما تركت أحدا من أمثال بنى مخزوم إلا قتلته بالعرجى . ومن جيد شعر العرجى :

فهل أنت آت أهل ليلى فناظر لذنب جفونى أم جفونى نجرما
فان يك من ذنب فنى ذاك حكمهم وحسب امرىء فى حقه أن يحكما
كمثل شهاب النار فى كف فارس إذا الريح هبت وهو كرار أضرما

ومن جيده :

أخبرت أنك قلت نقتله لا تفعلين فدتكم نفسى
والله لا آتى لكم سخطا حتى أغيب فى ثرى رمسى
والله لا أنسى تطوفها تهتز بين كواعب خمس
كالبدر صوتها إذ أسفرت وإذا تنقب فهى كالشمس

ومنه

حور بعثن رسولا فى ملاطفة ثبتا إذا أسقط المنساءة الوهم
فجئت أمشى على هول أجشمه تجشم المرء هولا فى الهوى كرم
أمشى كما حركت ريح يمانية غصنا من البان رطبا بله رهم
حتى جلست إزاء البيت مكتتما وطالب الحاج تحت الليل يكتتم
فبت أسقى بأكواس أعل بها من بارد طاب منه الطعم والنسم

وفى معنى قوله امشى كما حركت البيتين يقول ابن دعبل :

قالت لقد اعييتنا حجة فأت إذا ماهجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناه ولا آمر

وقال الواثق : قالت إذا الليل دجا فأتنا فجئتها حين دجا الليل

خفى وطء الرجل من حارس ولو دنا حـــل به الويل

ومن ظرف العرجى أنه اوعد هوى له أن تزوره فى منتزه فجاءته على إتان ومعها جارية لها ؛ وجاء العرجى على عير ومعه غلام فواقعها العرجى ثم خرج فرأى الغلام يواقع الجارية والعير على الاتان فلما نظر الحال قال هذا يوم غاب عذاله ... ويسمى أخذ الحريرى شطر بيت العرجى التضمين وليس بسرقة ، والتضمين يكون فى بيت وفى شطر بيت ، والشعراء تتولع به كثيرا وهو من صنعة البديع فمن الثانى قول الأخطل :

ولقد سما للخيرمى فلم تقل بعد الونى : لـكن تضايق مقدمى

ومثله قول الآخر :وجرت على باب الأمير كأننى قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومن تضمين بيت بكماله قول الحسن بن هانىء :

إنى عجبت وفى الأيام معتبر والدهر يأتر بألوان اعاجيب

من صاحب كان دنياى وآخرتى عدا على جهارا عدوة الذيب

قد كان لى مثل لو كنت أعقله من رأى غالب أمر غير مغلوب

لا تمدحن امرأ حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب

فضمن هذا البيت وقال ابن حجاج :

قد قلت لما أن رجعت موليا ومعى مزامير من الـكتاب

نحن الذين يقال عنا كلنا فل العصا وطريدة الحجاب

قوم إذا قصدوا الملوك لمطلب نتفت شواربهم على الأبواب

وقال ابن رشيق : سألنى بعض أصحابنا أن أضمن له قول الشاعر :

فإن فخرت بآباء لهم شرف قلنا صدقت ولـكن بئس ما ولدوا

ولا أزيد على بيت واحد فقلت :

أصبحت من جملة الاشراف إن ذكروا كواحد الآس لا يزكوا له عدد

والتضمين كثير ، وعلى بيت العرجى : « أضاعونى وأى فتى أضاعوا »حديث النضر بن شميل قال كنت أدخل على المأمون فى سمره فدخلت ذات ليلة وعلى أطمار أخلاق فقال يا نضر ما هذا التقشف تدخل على أمير المؤمنين فى هذه الخلقان فقلت أنا شيخ ضعيف وحرمرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولـكنك قشف فيحمل منك هذا على التقشف ثم أجرينا الحديث فقال حدثنا هشيم عن بشر عن مجاهد عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكا لها كان فيها سداد من عوز فأورده بفتح السين ، قلت يا أمير المؤمنين : حدثنا عوف بن أبى جميلة الاعرابى عن الحسن عن على بن أبى طالب رضوان الله عليهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج الرجل المرأة لدينها ولجمالها وكما لها كان فيها سداد من عوز ، وكان متكئا فاستوى جالسا وقال كيف قلت يا نضر سداد قلت سداد لأن السداد هنا لحن قال أو تلحننى قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه فقال فما الفرق بين السداد والسداد ؟ قلت السداد القصد فى الدين والسبيل والسداد بالـكسر البلغة فى الشىء وكل ما سددت به شيأ

فهو سداد ، قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجى من ولد عثمان يقول :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ثم أطرق مليا وقال :قبح الله من لا أدب له، ثم تجارينا الحديث فقال كيف روايتك للشعر قلت قد رويت الكثير منه ، قا : فأنشدنى أحسن ما قالته العرب فى الحلم فانشدته :

إذا كان دونى من بليت بجهله أبيت لنفسى أن أقابل الجهل
وإن كان مثلى فى محل من العلا هويت إذا حلما وصفحا عن المثل
وإن كنت أدنى منه فى الفضل والحجا رأيت له حق التقدم والفضل

فقال ما أحسن ما قال ، فانشدنى أحسن ما قالته العرب فى الحزم فانشدته :

على كل حال فاجعل الحزم عدة لما أنت باغيه وعونا على الدهر
فان نلت أمرا نلته عن عزيمة وإن قصرت عنه الحقوق فمن عذر

قال فما أحسن ما قال فانشدنى أحسن ما قالته العرب فى إصلاح العدو حتى يكون صديقا فانشدته :

وذى غيلة ساءلته فقهرته فأوقرته منى بعبء التحمل
ومن لا يدافع سيآت عدوه باحسانه لم يأخذ الطول من عل
ولم أر فى الاشياء أسرع مهلكا لضغن قديم من وداد معجل

فقال ما أحسن ما قال فانشدنى أحسن ما قالته العرب فى السكوت فانشدته :

انى ليهجرنى الصديق تجنبا فاريه أن لهجره أسبابا
وأراه ان عاتبته أغريته فيكون تركى للعتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متحكم يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته منى السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جوابا

فقال ما أحسن ما قال ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة بمرو الرود أتصابيها وأتمزها قال افلا نفيدك الامعها؟ قلت ان رأى ذلك امير المؤمنين فانى لذلك لمحتاج فاخذ القرطاس وكنت وانا لا أدرى ما يكتب ثم قال كيف تأمر اذا أردت ان تترب الكتاب قلت يا غلام اترب الكتاب قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن السحاة قلت يا غلام اسح الكتاب قال فهو ماذا قلت مسحى قال فمن الطين قلت يا غلام طن الكتاب قال فهو ماذا قلت مطين ومطان فقال هذه احسن من الأولى ثم قال يا غلام اتربه واسحه وطنه ثم صلى بنا العشاء ثم قال لغلامه امض معه الى الفضل بن سهل بهذا الكتاب فلما قراه قال بم استأهلت أنْ يأمر لك امير المؤمنين بخمسين ألف درهم وما سبب ذلك فأخبرته الحديث على جهته فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين ألفاظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الأخبار فعجل لى ما فى الكتاب وأمر لى من عنده بأربعين ألف درهم فانصرف بتسعين ألف درهم بحرف استفاده منى ، وهذا الخبر جاء فى أخبار النحويين وذكره الحريرى فى درة الغواص بأخصر مما ذكرناه ، ثم قال باثر الخبر :الخبر . وقد أذكرنى فى هذا المثل أبياتا أنشدنيها أحد أشياخى رحمهم الله لابن أبى الهيدام :

لى صديق هو عندى عوز من سداد لاسداد من عوز
وجهه يذكرنى دار البلى كلما أقبل نحوى وضمز
وإذا جالسنى جرعنى غصص الموت بكرب وعلز
يصف الود إذا شاهدنى وإذا غاب وشى بى وهمز
كحمار السوء يبدى مرحا فاذا سيق إلى الحمل غمز
ليتنى أعطيت منه بدلا بنصيبى شر أولاد المعز
قد رضينا بيضة فاسدة عوضا منه إذ البيع نجز

وكان لأبى حنيفة رحمه الله جار إسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا أجنه الليل رجع إلى منزله بالخمر ولحم أوسمك فيطبخ اللحم أو يشوى السمك حتى إذا دب الشراب فيه رفع عقيرته ينشد:

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يغلبه النوم وكان أبو حنيفة رحمه الله يصلى الليل كله ويسمع جلبته وإنشاده ففقد صوته ليالى فسأل عنه فقيل له أخذه العسس منذ ثلاث ليال وهو محبوس فصلى الفجر وركب بغلته ومشى فاستأذن على الأمير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل بهذلك فوسع له الأمير مجلسه وقال له ما حاجتك فقال لى جار إسكاف اخذه العسس منذ ثلاث ليال فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من اخذه من تلك الليلة إلى يومنا هذاثم أمر بتخليتهم اجمعين فركب ابو حنيفة وتبعه جاره فلما اوصله داره قال ابو حنيفة اترانا يافتى أضعناك قال لا بل حفظت وعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعاية الحق ولله على أن لا اشرب الخمر ابدا فتابولم يعد إلى ماكان .. ومما يوافق هذ الموضع فى المقامات من ظرف الحكايات التى تضمنت بيع الممالك عند الضرورات وما للاجواد من جزيل الهبات ، مما ذكروا من احسن أخبار الغلمان ابن جعفر بن يحيى عرض عليه فى بعض متوجهاته مملوك من مماليك رجل جفاه السلطان فقبض ماله وامر ببيع مماليكه فعرض عليه من جملتهم غلام كاطر شاربه اجمل الناس يدير بين فكيه لسانا ابين من الصبح قال جعفر فقلت له ما اسمك قال ماهر فقلت له وما صنعتك قال الأدب والغناء والشعر وما شئت من بعد فسألته عن ثمنه فقال خمسمائة دينار على الضررة قال فأديت ثمنه وسألته أن يسمعنى شيئا من غنائه فأخذ العود وغنى

حمل جبال الحب فوقى وإننى لاعجز عن حمل القميص وأضعف
ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم بكتمان عين دمعها الدهر يذرف

فأطربنى غناؤه وشجانى فأجزته ووهبت له وخلعت عليه وأمرته بمعادلتى فلما اجتزت منزل مولاه بمقدار ميل أنشأ يقول:

وما كنت أخشى معبداان يبيعنى بشى ولو أضحت اناملهصفرا
أخوهم ومولاهم وحامل سرهم ومن قد ثوى فيهم وعاشرهمدهرا
أشوقا ولما تمض لى غير ساعة فكيف إذا خب المطى بناشهرا

قال : فلما وَعَى الشَّيخُ أبياتَه ، وعَقَلَ مُناغاتَه ، تنفَّسَ الصُّعَداء ، وبَكَى حتى أبكَى البُعَداء ، ثم قال لى إنِّى أحِلُّ هذا الغُلامَ مَحلَّ وَلَدِى ولا أميِّزُهُ عَنْ أفلاذِ كَبِدِى ، ولَوْلا خُلُوُّ مُراحِى ، وخُبُوُّ مِصْباحى ، لمَّا دَرَجَ عَنْ عُشِّى ، إلى أنْ يُشيِّعَ نَعْشِى ، وقد رأيتَ ما نَزَلَ به مِنْ لَوْعَةِ البَيْنِ ، والمُؤمِنُ هَيْنٌ لَيْن ؛ فَهلْ لكَ فى تَسْلِيَةِ قَلْبِه ، وتَسْلِيَةِ كَرْبِه ، بأنْ تُعاهِدَنى عَلَى الإقالَة فيه مَتى استَقَلْتُ ، وأنْ لا تَسْتَثْقِلَنى إذا ثَقُلْتُ ؛ فَفِى الآثارِ المُنْتَقاة المَرْوِيَّة عَنْ الثِّقَاتِ ، مَنْ أقالَ نادِمًا بَيْعَتَه ، أقالَهُ اللهُ عَثْرَتَه .

قال الحارثُ بنُ همَّام : فوَعَدْتُه وَعْدًا أبْرَزَهُ الحَياء ، وفى القَلْبِ أشياء ، فاستَدْنَى حِينَئِذٍ الغُلامَ إليه ، وقَبَّلَ ما بينَ عَيْنَيْه ، وأنشَدَ والدَّمْعُ يَرْفَضُّ مِنْ جَفْنَيْه :

فقلت ياغلام أتعرف منزل مولاك من ههنافقال هيهات وهل تخفى معالم الصب فقلت اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ووهب له ألف دينار فقال لى زميلى أمثل هذا يعتق فقلت أو مثله يملك فولى وهو يقول :

لا يوجد الخير إلا فى معادنه … والشر حيث طلبت الشر موجود

وحدث ابن عائشة قال كان لرجل من قيس عيلان جارية وكان بها معجبا ولها مكرما فاصابته حاجة وجهد فقالت له لو بعتنى فان نلت طائلا عدت به عليك فعرضها للبيع فعرضت على عمر بن الله بن معمر المذحجى فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم فلما مضت لتدخل القصر ودعت مولاها وأنشدته :

هنيئا لك المال الذى قد أصبته … ولم يبق فى كفى الا تفكرى
أقول لنفسى وهى فى كرب غشية … أقلى فقد بان الحبيب أو اكثرى
إذا لم يكن للوصل عندك حيلة … ولم تجدى بدا من الصبر فاصبرى

فأجابها مولاها :

فلولا قعود الدهر بى عنك لم يكن … لفرقتنا شىء سوى الموت فاعذرى
أؤوب بحزن من فراقك موجع … أناجى قلبا طويل التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا … ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذ بيدها فهى لك وثمنها (عقل مناغاته) أى فهم كلامه والمناغاة تكليم الطفل بما يهوى ويفرح به فاذا رد الصبى كلامك أو حاكاك فقد ناغاك (الصعداء) ارتعاع نفس المهموم (أفلاذ) قطع يريد أولاده والفلذة قطعة من الكبد ولفرط الاشفاق به والمحبة فى الولد يخاطبه أبواه بقلبى وكبدى ، وقال : أولادنا اكبادنا : وقال الشاعر

وإنما أولادنا بيننا … أكبادنا تمشى على الأرض

(مراحى) موضع ابلى ودوابى وكنى بخلو المرح عن الفقر وذهاب المال (درج) مشى (لوعة البين) حرقة الفراق (هين لين) هما الازدواج مخففتان فان افردتا شددتا (لما درج عن عشى) يقول لولا الفقر مابعته ما دمت حيا (وتسرية كربه) إزالة همه (المنتقاة) المختارة المدونة المكتوبة المجموعة والحديث معروف من طريق أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أقال نادما بيعته أقاله الله عثرته أى عفا عن زلته (أبرزه) أظهره ويريد بقوله (وفى القلب أشياء) أنه اضمر ان لا يقبله أبدا (يرفض) يسقط

خفِّضْ فَدَتْكَ النَّفسُ ما تُلاقي ... مِنْ بُرَحاءِ الوَجْدِ وَالإشفَاقِ
فما تَطولُ مُدَّةُ الفِــرَاقِ ... ولَا تَنِي رَكَائِبُ التَّلاقِي
بحُسْنِ عَوْنِ القَادرِ الخَلَّاقِ

ثم قال له أستَوْدِعُكَ مَنْ هُوَ نِعْمَ المَوْلَى، وَشَمَّرَ ذَيْلَهُ وَوَلَّى ؛ فَلَبِثَ الغُلامُ فى زَفِيرٍ وَعَوِيلٍ ، رَيْثَمَا يَقطَعُ مَدَى مِيلٍ ؛ فلما استَفاق ، وَكَفْكَفَ دَمْعَهُ المُهراق ، قالَ أتَدْرِي لِمَ أعْوَلْتُ ، وعلامَ عَوَّلتَ ، فقُلتُ أظُنُّ فِراقَ مَوْلاكَ ، هُوَ الذِي أبكاكَ ، فقال إنَّكَ لَفِي وَادٍ ، ولَكَمْ بَيْنَ مُرِيدٍ ومُرادٍ ، ثم أنشَدَ :

لم أبْكِ واللهِ عَلَى إلفٍ نَزَحْ ... ولا عَلَى فَوْتِ نَعِيمٍ وفَرَحْ
وإنَّمَا مَدْمَعُ أجْفَانِي سَفَحْ ... عَلَى غَبِيٍّ لَحْظُهُ حِينَ طَمَحْ

متفرقا (خفض) سكن (برحاء) شدة (الوجد) الحزن (الاشفاق) الخوف (تنى) تفتر (زفير) انفاس مرتفعة (عويل) بكاء (ريث) قدر (مدى) غاية (والميل) قدر مد البصر من الأرض ويقال انه ألف خطوة من خطا البعير والفرسخ ثلاثة وأميال والبريد أربعة فراسخ (استفاق) استراح وخف مايجده. (كفكف) رد وأذهب (المهراق) المصبوب (أعولت) بكيت بصوت عال وأعول اعوالا صاح ورفع صوته وعولت على كذا اتكلت عليه وعلى الله معولى اتكالى وقال الشاعر : ... وليس على ريب الزمان معول

(كم بين مريد ومراد) يريد أنهما متقاربان فى اللفظ متباعدان فى المعنى لأن المريد فى الشيء المحب فيه والمراد الشيء المطلوب وهو المحبوب فأنت قد تريد الشيء فتمنعه وغيرك قد يراد له فيأباه ولا يريده فاللفظان متضادان فيقول التبس عليك سر بكائى فظننت أنه على فراق مولاى فتفطن الآن أنه على سخف عقلك كما التبس اللفظان على غير ناقد فاذا تفطن لهما تباعدا عليه والمريد عند أهل الارادة المبتدى والمراد المنتهى فالمريد هو الذى نصب للتعب والمقاساة والمراد الذى لقى الأمر من غير مشقة فهو مرفوق به مرفه ، وقيل المريد متحمل والمراد محمول .. الجنيد : المريد تتولاه سياسة المعلم والمراد تتولاه رعاية الحق لأن المريد يسير والمراد يطير فمتى يلحق السائر الطائر .. القشيرى : كل مريد فى الحقيقة مراد لأنه إذا أراده الحق للخصوصية وفقه للإرادة ولكنهم فرقوا بينهما (الف) أى صاحب (نزح) بعد (سفح) جرى (غبى) جاهل (لحظه) نظره (طمح) ارتفع (ورطه) انشبه والورطة اهوية تكون فى رأس الجبل يشق على من وقع فيها الخروج منها وورطت الماشية وقعت فى الورطة ، قال طفيل :

تهاب طريق الحق تحسب أنه ... وعور وراط وهو بيداء بقطع

وقيل الورطة الوحل تقع فيه الغنم فلا يمكنها التخلص ثم ضرب مثلا فى كل شدة يقع فيها الانسان وأورطت فلانا فتورط هو أى وقع فيما يعسر التخلص منه ، أبو عمرو : الورطة الهلكة قال الراجز :

إن تأت يوما مثل هذى الخطه ... تلاق من ضرب نمير ورطه

وَرِّطْهُ حَتَّى تَعَنَّى وافْتَضَحْ … وَضَيَّعَ المَنْقُوشَةَ البِيضَ الوُضَّحْ
وَيْكَ أَمَا نَاجَتْكَ هَاتِيكَ المُلَحْ … بِأَنَّنِي حُرٌّ وَبَيْعِي لَمْ يُبَحْ
إِذْ كَانَ فِي يُوسُفَ مَعْنًى قَدْ وَضَحْ

قال: فَتَمَثَّلَتْ مَقَالَهُ فِي مِرْآةِ المَدَاعِبِ، وَمَعْرِضِ المُلَاعِبِ، فَتَصَلَّبَ تَصَلُّبَ المُحِقِّ وَتَبَرَّأَ مِنْ طِينَةِ الرِّقِّ، فَجُلْنَا فِي مُخَاصَمَةٍ، اتَّصَلَتْ بِمُلَاكَمَةٍ، وَأَفْضَتْ إِلَى مُحَاكَمَةٍ، فلما أَوْضَحْنَا لِلْقَاضِي الصُّورَةَ وَتَلَوْنَا عليه السُّورَةَ، قال إِنَّ مَنْ أَنْذَرَ، فَقَدْ أَعْذَرَ، وَمَنْ حَذَّرَ، كَمَنْ بَشَّرَ؛ وَمَنْ بَصَّرَ، فَمَا قَصَّرَ، وإِنَّ فيما شَرَحْتُمَاهُ لَدَلِيلاً عَلَى أَنَّ هذا الغُلَامَ قَدْ نَبَّهَكَ فَمَا ارْعَوَيْتَ، وَنَصَحَ لَكَ فِيمَا وَعَيْتَ؛ فَاسْتَرْدَّ بَلَهَكَ وَاكْتُمْهُ، وَلُمْ نَفْسَكَ وَلَا تَلُمْهُ، وَحَذَارِ مِنَ اعْتِلَاقِهِ، والطَّمَعِ فِي اسْتِرْقَاقِهِ، فَإِنَّهُ حُرُّ الأَدِيمِ؛ غَيْرُ مُعَرَّضٍ لِلتَّقْوِيمِ، وقد كَانَ أَبُو أَحْضَرَهُ أَمْسِ، قُبَيْلَ أُفُولِ الشَّمْسِ، وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ قَرَعَهُ الذي

(تعنى) أى تعب (افتضح) اشتهر (الوضح) الشديدة البياض النقية أى ضيع الدراهم المنقوشة البيض والوضح البيان والضوء والغرة والفضة والدرهم الصحيح وقيل إنه وصف الدراهم بالمصدر كمايقال امرأة زور وكرم (ويك) عجبا لك (هاتيك) يقال للمذكر ذا وهو للقريب وذاك لماهو أبعد وذلك لابعد الثلاثة وللمؤنث ذه وذى وذبلاياء وتاوتى وهى للقريبة وتيك للتى هى أبعد منه وتلك وتانك لأبعدهن وتدخل ها التنبيه على كل ماليس فيه لام لأن اللام موضعة للبعيد وها موضوعة للقريب فلايجمع بينهما نحو هذا وهذاك وهاتا وشاهده:

وليست درانا هاتا بدار ... وهذه وهذى وهذ وهاتيك وشاهده قول ذى الرمة:

قد احتملت مى فهاتيك دارها … بها السحم تروى والحمام المطوق

(لم يبح) أى لم يجعل مباحا. أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته رجل عاهد ثم غدر ورجل باع حرا ورجل استأجر أجيرا فلم يوفه أجره (وضح) تبين (تملت) تصورت (المداعب) الممازح (المعرض) بفتح الميم الموضع الذى تعرض فيه الأشياء والمعرض الثوب تعرض فيه الجارية (تصلب) تقوى وهو تفعل من الصلابة وهى الشدة والأرض الصلبة القوية ولا أعلم أحد خالف فى هذه الرواية إلا ابن ظفر فانه رواه تصلت بالتاء بنقطتين وفسره بتجرد وجد وكل جاد مجاهد مسرع فى أمره فهو متصلت فيه فذكروا أنه تصحف عليه اللفظ فشرحه على تصحيفه (المحق) صاحب الحق (الرق) العبودية وذكر الطينة لأنها أصل الخلق (وتبرأ) منها تباعد (جعلنا) تصرفنا (ملاكمة) مدافعة ومضاربة واللكم الضرب بجمع الكف (أفضت) اتصلت (أوضحنا) بينا (الصورة) القصة (تلونا) قرأنا وذكرناها له (أنذر) أعلم (أعذر) أتى بعذر ويقال قد أعذر من أنذر أى قد أبلغ أقصى العذر من أنذرك وعذر الرجل فهو معذر إذا اعتذر ولم يأت بعذر ومنه قوله تعالى وجاء المعذرون من الأعراب (ارعويت) رجعت عن جهلك وانكففت (بلهك) غفلتك وجهلك (حذار) أى أحذر أن تتعلق به (استرقاقه) تملكه وتعبده ومنه قولهم سوق الرقيق ومنه سمى العبد رقيقا لأنهم يرقون لمالكهم ويخضعون له ويذلون (الأديم) الجلد (للتقويم) لمعرفة قيمته (أفول) غروب

أَنْشَاه ، وَأَن لا وَارِثَ سِواه ، فقلتُ لِلقَاضي أَو تَعرِفُ أَباه، أَخزَاهُ الله ، فقَال وَهلْ يُجْهَلُ أَبو زَيْد الذى جُرْحُهُ جبار وعِنْدَ كلِّ قاضٍ له أَخبارٌ وإِخبار ، فَتَحرَّقْتُ حِينَئِذٍ وحَوْلَقْتُ ، وأَفَقْتُ ولَكِنْ حِينَ فاتَ الوَقْت ، وأَيْقَنْتُ أَنَّ لِثامَهُ كانَ شَرَكَ مَكيدَتِهِ ، وبَيْتَ قَصيدَتِه ، فَنَكَّسَ طَرْفِى ما لَقِيت ، وآلَيْتُ أَن لا أُعامِلَ مُلَثَّماً ما بَقِيت ، وَلم أَزَلْ أَتأَوَّهُ لِخُسرِ صَفْقَتى ، وَافْتِضاحِى بَينَ رُفْقَتى ، فقال لِيَ القاضى حِينَ رَأى امْتِعاضى ، وَتَبَيَّنَ حَرَّ ارْتِماضى ، يا هذا ما ذَهَبَ مِنْ مالِكَ ما وَعَظَك ؛ وَلا أَجْرَمَ إِلَيكَ مَنْ أَيقَظك فاتَّعِظْ بِما نابَكَ ، وكاتِمْ أَصْحابَكَ ما أَصابَكَ وَتَذَكَّرْ أَبَدًا ما دَهمك، وَتَخَلَّقْ بِخُلُقِ مَنِ ابْتُلِىَ فَصَبر ، وَتَجلَّتْ له العِبَرُ فاعْتَبَر .

قال الحارِث هَمَّام : فَوَدَّعْتُهُ لابِساً ثَوْبَ الخجَلِ وَالحزَن ، ساحِباً ذَيْلَي الغَبْن وَالغَبَن ، وَنَوَيْتُ مُكاشَفَةَ أَبِى زَيد بالهَجْر ، ومُصارَمَتَهُ يَدَ الدَّهْر ، فجعلتُ أَتنَكَّبُ عَنْ ذَراه ، وَأَتجنَّبُ أَنْ أَراه ، إِلى أَنْ غَشِيَنى فى طَريقٍ ضَيِّق ، فحَيَّانى تحِيَّةَ شَيِّق ، فما زِدْتُ عَلَى أَنْ عَبَسْتُ ، وَما نَبَسْتُ ، فقال ما بالُكَ شَمَخْتَ بأَنْفِكَ على إِلْفِكَ ، فقلتُ أَنَسِيتَ أَنكَ خَتَلْتَ وخَتَلْت ، وفَعلْتَ فَعلَتَكَ التى فَعلت ، فأَضْرَطَ بِى

(أنشاه) أحدثه وولده (جبار) باطل (إخبار) إعلام (أخبار) جمع خبر وأخبره أعلمه (تحرقت) عضت اللسان حتى صوتت من شدة الغيظ (حولقت) قلت لاحول ولاقوة إلا بالله (أفقت) انتبهت وأنشد الفنجديهى فى معنى هذا :

يفتضح الجاهل لكنه … من بعد ما غر به الناصح
ويصلح ابن السوء لكنه … من بعد ما مات الأب الصالح

(أيقنت أن لثامه كان شرك مكيدته) أى شبكة حيلته (وبيت القصيدة) أحسن بيت فيها فاراد أن حيلته كانت لثامة (نكس طرفى) أى كسر عينى و آمال نظرى (أتأوه) أتوجع (رفقتى) أصحابى (امتعاضى) توجعى (ارتماضى) حرقة قلبي من شدة الهم ولا يكون المتعض كاظما فلا بد من ظهور الكرب عليه وأمر بمعض وما عض أى ممض كارب (ما ذهب من مالك ما عظك) هو مثل ومعناه إذا ذهب من مالك شىء حذرك أن يحل بك مثله فتأديبه إياك عوض من ذهابه (أجرم) أذنب (نابك) نزل بك (دهمك) غشيك (تجلت) ظهرت (العبر) العلامات المخوفة واعتبرت بالشىء إذا اتعظت به (الخجل) الحياء (ساحبا) جارا (الغبن) بسكون الباء فى البيع وبفتحها فى الرأى يريد انه غبن فى رأيه وبيعه قال فى الدرة الغبن باسكان الباء فى المال وبفتحها فى الراى والعقل (نويت) اضمرت (مصارمته) مقاطعته وصرمت فلانا قطعت ما بينى وبينه من المودة والصرم القطع وقيل لليل صريم لانقطاعه عن النهار وهو فى تأويل مصروم أى مقطوع وكذلك الصريم من الرمل وهو الذى انقطع من معظمه (يد الدهر) أى أبد الدهر أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام (شيق) شديد الحب (ما نبست) ما تكلمت (شمخت) رفعت أنفك كبرا وشمخ تكبر (ختلت) خدعت وخائل فى معنى ختل وأصل المخاتلة المشى للصيد قليلا قليلا خفية لئلا يسمع حسبك ثم جعلت مثلا لكل شىء ورى به وستر

مُتهازِياً ، ثم أنشدَ متلافِيا :

يامَنْ بَدا مِنْهُ صُدو ... دٌ مُوحِشٌ وتَجَهُّمُ
وغدَا يَرِيشُ مَلاوِماً ... مِنْ دُونِهِنّ الأسْهُم
ويَقُولُ هَل حرٌّ يُبا ... عُ كما يُباعُ الأدْهَمُ
أَقصِرْ فما أنا فيهِ بِدْ ... عاً مِثْلَ ما تَتَوَهَّمُ
قد باعَتِ الأسْباطُ قَبْـــلِي يُوسُفاً وهُمُ هُمُ

على صاحبه (متلافيا) متداركا للالفة (تجهم) عبوس (ملاوما) جمع ملام أو ملاومه وهى اللوم والعتاب يريد أن لومه أنفذ من السهام (الأدهم) قيل أراد به الفرس وقصد لونه للقيافة وقيل أراد العبد الاسود (بدعا) أى أولا أى أنا ما أول من فعل ذلك (الأسباط) أخوة يوسف عليه السلام (وهم هم) أى وهم أنبياء لم يتغيروا عن مراتبهم ويقال هو هو أى هو كما عهدته لم يتغير ؛ وقد جرى ذكر يعقوب والأسباط فى المقامات فى مواضع ،وبنى هذه المقامة على ذكر يوسف وجماله وبيع إخوته إياه ونريد أن نلم بطرف من أخبارهم على شرط الكتاب ..ذكر أهل الأخبار أن يعقوب وهو إسرائيل عليه السلام تزوج بنت خاله ليا بنت ليان بن توبيل فولدت له روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وغيرهم ثم توفيت وخلف على أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وكان يوسف وأمه قد قسم لهما من الحسن شطره فكفلت يوسف عمته وكانت أكبر ولد إسحق وكانت عندها منطقة لاسحق يتوارثونها على قدر أسنانهم فلما ترعرع يوسف أراد يعقوب أخذه منها وقال لها والله لا أقدر على الصبر عنه فقالت له والله لا أقدر على صرفه اليك فلما رأت عزمه على أخذه حزمت المنطقة تحت ثياب يوسف وهو نائم ثم ادعت فقدها فطلبت فوجدت عنده وكان من سنتهم أن من سرق شيأ أخذ فيه فتركه لها حتى ماتت فلما رجع إلى أبيه شغل به عن سائر بنيه فحسدوه فسألوا أباهم إرســـاله معهم للنزهة بعد أن ضمنوا حفظه فأخرجوه إلى البرية وأخذوا يضربونه وكلما ضربه واحد استغاث بآخر فيضربه الآخر فلما كادوا يقتلونه منعهم يهوذا وذكرهم بما ضمنوا لأبيه من حفظه فانطلقوا فأدلوه فى الجب وهو يقول ياأباه لو تعلم مايصنع بابنك بنو الاباء وكانوا بعض إخوته لأمه فجعل يتعلق بشفير الجب فربطوا يديه وألقوه فيه فقالوا له ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا ينجوك ثم أرادوا أن يرضخوه بصخرة فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام خفية منهم ثم مرت سيارة فأدلى واردهم دلوه فتعلق به فلما رآه بشر به السيارة ، وقال السدى إن الذى أخرجه إنما دعا صاحبا له اسمه بشرى فأتى إخوته الذين أخرجوه وقالوا إنه عبد لنا فباعوه منهم بعشرين درهما على أن يخرجوه من أرض الشـــام فشرطوا لاخوته أن يغربوه ويذهبوا به إلى مصر فحينئذ رجعوا إلى أبيهم عشاء يبكون ، فهذه قصة بيع الأسباط يوسف على اختصار . ثم إنه لمـا بلغ مصر بيع من العزيز وكان فرعون وهو الريان بن الوليد قد ولاه خزائنها فكان من قصته مع امرأة العزيز ومن حبها فيه ومن دعائها إيـاه لنفسها ومن تأبيه من ذلك واستنزالها إياه حتى هم بها ورؤيته برهان ربه وهو رؤيته صورة يعقوب يعض على اصبعه وقيل إنه رأى فى الحائط مكتوبا ولاتقربوا

هذا وأُقسِمُ بالتي يَسْرِي إليها الْمُتْهِمُ
والطَّائفين بها وهُمْ شعْثُ النَّواصِي سُهَّمُ
ماقُمتُ ذاك المَوقِفَ الا مُخزِي وعِندِي دِرْهمُ

الزناو مبادرته الباب فارا منها وقدها قميصه من دبر ووجود العزيز على باب الدار جالسا مع ابن عم له وهو الشاهد من أهلها ، وقيل إنه كان صبيا فى المهد واشتهر أمرهما بمصر حتى تحدث به نسوة فى المدينة وقلن إمرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه وإحضارها لهن وإعدادها لهن مايتكئن عليه وقيل المتكأ ألا ترج وأمرها له أن يخرج عليهن واعظامهن اياه حتى شغلن به عن أنفسهن وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا تنزيها له عن أن يأتى مثله ربيه فكان من هذا الخبر ما قص الله فى القرآن ونطقت به التفاسير والأخبار ثم إن إمرأة العزيز قالت للعزيز ان عبدك فضحنى فى الناس فاما سجنته وإما برزت للناس أعتذر عن نفسى فحبسه فدخل معه رجلان أحدهما خباز الملك والآخر نديمه وكان لما بلغ الحلم آتاه الله حكما وعلما من العبارة فكان فى السجن يفسر الرؤيا للمسجونين ويمرض مرضاهم ويوسع على من ضاق عليه مكانه فقال أحد الفنيين لصاحبه هلم نجرب هذا العبد فسألاه من غير أن يريا شيئا وقالا له أنا نراك من المحسنين فى معاشر تلك أهل السجن فقال لهما أما احدكما فينادم الملك واما الاخر فيصلب فقالا له ما راينا شيأ فقال لهما قضى الأمر فيكما ثم قال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك واخبره انى محبوس ظلما فأوحى الله تعالى اليه ان اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن سجنك فعوقب بالسجن حيث هم بامرأة العزيز وباطالته حيث اتكل فى امره على غير ربه ثم كان من رويا الملك وجهل اهل دولته وتفسير يوسف لها وقول الملك ائتونى به وتأبيه من الخروج حتى يسأل النسوة عن شأنه وشهادتهن عند الملك بتبرئته واعتراف امرأة العزيز بأنها راودته وقوله فى العزيز ليعلم انى لم أخنه بالغيب ويقال ان جبريل قال له عند ذلك ولا يوم هممت بما هممت به ، فقال وما ابرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء الامارحم ربى الآية واستخلاص الملك اياه لنفسه وجعله على خزائن ارضه ما اشتهر قرآنا وتفسيرا ويقال ان العزيز مات فى تلك المدة وان يوسف تزوجها وقال لها اليس هذا خيرا فقالت لا تلمنى كنت امرأة حسناء فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك فغلبتنى نفسى على مارايت فيزعمون انه وجدها عذراء وانها ولدت له ابنين ثم اجدبت الأرض فاتاه اخوته منتجعين فكان من امره معهم وإحسانه اليهم فى الكيل وطلبه لهم أن يأتوه بشقيقه بنيامين ورجوعهم موقورين ورعبته إياهم فى إرساله معهم وأخذه بسرقة الصواع وتأذيهم بذلك ورجوعهم إلى أبيهم وتوالى الحزن على يعقوب يفقد أبنيه وأمر لبنيه أن يرجعوا طالبين ليوسف وأخيه ودخولهم على يوسف أذلاء صاغرين وتعريفه إياهم بمكانه وبعثه بالقميص على أبيه وجمع شملهم بعد طول مدة الفراق ما نص الله تعالى أنه عبرة لأولى الألباب ولولا أن الأمر فى كتب التفسير أشهر من أن يجهل لفسرناه فصلا فصلا (وأقسم بالتى يسرى اليها المتهم) يعنى مكة والمتهم الاتى تهامة وتهامة اسم مكة قال الأصمعى سمعت العرب تقول اذا انحدبت من ذات عرق فقد اتهمت (شعث سهم) أى متغيرة ألوانهم وشعورهم

فاعْذُرْ أَخاكَ وكُفَّ عَنْـ ـهُ مَلامَ مَنْ لا يَفْهَم

ثم قال أَمّا مَعْذِرَتى فقد لاحَتْ ، وأمّا دَراهِمُكَ فقد طاحَتْ ، فإنْ كانَ اقْشِعْرارُكَ مِنّى ، وازْوِرارُكَ عَنّى لِفَرْطِ شَفَقَتِكَ عَلَى غُبَّرِ نَفَقَتِك ، فَلَسْتُ مِمَّن يَلْسَعُ مَرَّتَيْن ، واوطِىء على جَمْرَتَيْن ، وإنْ كُنتَ طَوَيْتَ كَشْحَكَ ، وأَطَعْتَ شُحَّك ، لِتَسْتَنْفِذَ ما عَلِقَ بأَشْراكى ؛ فَلْتَبْكِ عَلَى عَقْلِكَ البَواكى .

قال الحارثُ بنُ هَمّام : فاضطَرَّنى بلَفْظِهِ الخالِب ، وسِحْرِهِ الغالِب ، إلى أنْ عُدْتُ له صَفِيًّا ؛ وبه حَفِيًّا ، ونَبَذْتُ فَعْلَتَهُ ظِهْرِيًّا ، وإنْ كانتْ شَيْئًا فَرِيًّا.

(اعذر أخاك) قال زيد بن على ثلاثة لا يجتمعن الا فى كريم حسن المحضر واحتمال زلات الاخوان وقلة الملالة للصديق (لاحت) ظهرت (طاحت) هلكت (اقشعرارك) انقباضك قال والقشعزيرة رعدة وانقباض (ازورارك) انقباضك وميلك (لفرط شفقتك) لكثرة خوفك(غير نفقتك)أى تخاف على مابقى من نفقتك وان آخدها (يوطىء) أى يجعل غيره بطأ الجمر أى لا أضر مرتين (الكشح) الخضر وقيل الجنب وقيل هو اسم لما بين الأضلاع ورأس الورك وكلها متقاربة وطوى كشحه على أمر استمر عليه وطوى كشحه مثل يضرب للمجانية والمكاتمة قال الشاعر :

طوى كشحا خليلك والجناحا لبين منك ثم غدا وراحا

(الشح) البخل مع الحرص(اضطرنى) ألجأنى (الخالب) الخادع (صفيا) صاحبا مخاصا (حفيا) معينا كريما مكرما(نبذت) رميت وطرحت (ظهريا) أى خلف ظهرى واتخذه ظهريا أى عدة يستظهر بها أى يجعلها خلف ظهره حتى متى احتاجها استعملها(فريا) عجبا ومنكرا والفرى الأمر العظيم والفرى الكذاب ومما جاء فى الشعر على أخبار يوسف عليه السلام قال ابن الرقاق :

بأبى وغير أبى أغن مهفهف مهضوم ماخلف الوشاح خميصه
ليس الفؤاد فزقته جفونه فأتى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضاً : وسافر عن قمر مبتسم عن درر
لو لاح للحور وقد سل حسام الحور
لقد منه شغفا قميصه من دبر

ومن الملح فى ذلك قول ابن حجاج فى بختيار :

فديت وجه الأمير من قمر يجلو الفدى نوره عن البصر
ان زليخا لو أبصرتك لما ملت الى الحشر لذة النظر
بل وحياتى لوكنت يوسفها لم تلك من تهمه العزيز برى
فاننى عالم بأنك لو شممت ريا نسيمها العطر
سبقتها واندلقت تتبعها من بين تلك البيوت والحجر

ولم تزل بالكدين تنقرها من قبل وقت العشالى السحر
طبعك كالماء فى سهولته لكن أبو الزبر قان من حجر
إن الملوك الشباب ما خلقوا الاصلاب الفياش والكمر

وقال آخر : قميص يوسف لما قد من دبر كانت براءته فيه من الكذب
وفى قميصك لمد قد من دبر مما يدل على الفحشاء والريب

وقال آخر فى الحسن بن وهب :

إذا لقيت بنى وهب بمنزلة لم تدر أيهما الانثى من الذكر
مؤدبون على الفحشاء من صغر مدربون على النكراء من كبر
قميص أنثاهم ينشق من قبل وقميص ذكرانهم تنقد من دبر
مخنكون ولم تقطع سرائرهم بين الحواضن والديات بالكمر

المقامة الخامسة والثلاثون الشيرازية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال : مررتُ في تطوافي بشيراز ، على نادٍ يستوقفُ المجتاز ، ولو كانَ على أوفاز ، فلم أستطعْ تعدِّيه ، ولا خطتْ قدمي في تخطِّيه ، فعجتُ إليهِ لاسبُكَ سرَّ جوهرِه ، وأنظرَ كيف ثمرُهُ من زهرِه ، فإذا أهلُهُ أفراد ؛ والعائجُ إليهم مُفاد ؛ وبينما نحنُ في فكاهةٍ ، أطربَ من الأغاريد ،

شرح المقـــامة

(التطواف) مصدر طوفت حول الشيء إذا أكثرت المشي حوله وقد طفت به وأطفت وإذا درت وأكثرت ذلك قلت طوفت (شيراز) مدينة فارس العظمى وهي مدينة جليلة عظيمة ينزلها الولاة ولها سعة حتى أنه لبس فيها من منزل إلا وفيه لصاحبه بستان فيه جميع الثمار والرياحين والبقول وكل ما يكون في البساتين وشرب أهلها من عيون تجرى في أنهار تأتى من جبال يسقط عليها الثلج (ناد) مجلس (يستوقف) يحبس ويجعله يقف (المجتاز) خاطر الطريق المار عليه (أوفاز) احفاز وعجلة ومنه قولهم قعد مستوفزا معناه قعد على وفز من الأرض والأوفاز جمع وفز وهو أن لا يطمئن في قعوده قال الجوهري رحمه الله تعالى تقول نحن على أوفاز ولا تقول على وفز ومعناه أن لا تلقاه معدا ، الأزهري : الوفزة الوثبة بعجلة وقعد مستوفزا إذا رفع أليتيه ووضع ركبتيه ولم يطمئن (تعديه) تخطيه وجوازه (خطت) مشت (عجت) ملت (أسبك) أجرب (سر جوهره) أراد باطن أهله إذ كانوا في الظاهر ذوى مناظر فاراد أن يعرف هل هم أهل علوم وآداب حتى يكملوا في الظاهر والباطن أم أمرهم على خلاف ذلك وبين ذلك بقوله (كيف ثمره من زهره) فكنى بالزهر عن ظاهرهم وبالثمر عن سرهم الباطن وسر كل شيء باطنه وخالصه ، وقال المعرى :

فلا يغرنك سر من سواه بدا ولو أنار فكم نور بلا ثمر

(أفراد) أى كبراء لا نظير لهم فمن مال اليهم استفاد وأفراد نجوم الدرازى (والعائج) المائل (فكاهة) حديث مطرب (الأغاريد) أصوات الطير ويطلقون على ما كان فيه حنان ورقة منها اسم التغريد والغناء إلا الحمام فانهم يسمون أصواتها غناء وتغريدا وبكاء ونياحا ويأخذونه من حال السامع لها وقرىء على أبى الحسن ابن السراج قول سويد بن الأعلم :

لقد تركت فؤادك مستجنا مطوقة على فنن تغنى
يميل بها وتركبه بلحن إذا ما عن للمحزون أنا

فقال إنما تكون أصوات الحمام على ما في نفس المستمع فاذا سمعها من يطرب سماها غناء وإذا سمعها من يحزن سماها بكاء وقال ابن قاضى ميلة مصدقا لما قاله ابن السراج :

لقد عرض الحمام لنا بسجع إذا أصغى له ركب تلاحى
شجا قلب الخلي فقال غنى وبرح بالشجي فقال ناحا

وَأطيَبَ من حَلَبِ العناقيد ، إذِ احْتَفَّ بِنَا ذو طِمْرَيْن ؛ قد كَادَ يُناهِزُ العُمُرَيْن ، فَحَيَّا بِلِسَانٍ طَلِيق وأبان إبَانَة مِنْطِيق ، ثم احتبى حُبْوَةَ المُنتدين ، وقال اللهم اجْعلنا من المُهْتَدِين ، فَازْدَرَاهُ القَوْمُ لِطِمْرَيْه ونسُوا أنَّ المَرْءَ بأصْغَرَيه ، وَأخَذُوا يَتَدَاعَوْن فَصْلَ الخطاب ، ويَعْتَدُّونَ عُودَهُ مِنَ الأحْطَاب ، وهُوَ لا يُفِيضُ بِكَلِمَة ، ولا يُبِينُ عَنْ سِمَة ، إلى أنْ سَبَرَ قَرَائحَهُم ، وخَبَرَ شَمَائِلَهُم ورَاجِحَهُم فَحِينَ

وسبقه المعرى بقوله :

بأرض للحمامة أن تغنى ... بها ولمن تأسف أن تنوحا

وقد قدمنا فى شرح الصدر فصلا للحمام وما أحسن قول البحترى :

حيتك عنا شمال طاف طائفها ... فى جنة نفحت روحا وريحانا
غنت سحيرا فناجى الغصن صاحبه ... سرا بها وتداعى الطير إعلانا
ورق تغنى على غصن مهدلة ... تسموبها وتمس الأرض أحيانا
تخال طائرها نشوان من طرب ... والغصن من هزه عطفيه نشوانا

وهذه ديباجة أبى عبادة (وحلب العناهيد) الخمر (احتف) انتظم (طمرين) أى ثوبين خلقين (يناهز) يقارب (العمرين) ثمانين سنة وذلك أن الإنسان من الشبيبة إلى الأربعين فى نماء وزيادة وقوة ومن الأربعين إلى الثمانين فى نقص فالبالغ الثمانين قد استوفى عمرى الزيادة والنقص وسئل ذو الرمة عن سنه فقال بلغت نصف عمر الهرم أربعين سنة وقيل العمر ستون سنة لقوله عليه الصلاة والسلام أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين ومن حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله اليه فالعمران على هذا مائة وعشرون سنة والحكماء يزعمون أنه منتهى ما يبلغ عمر ابن آدم ، والأظهر من سياق المقامة أنه أراد الأول لأن من قارب مائة وعشرين سنة لا يلتذ بخمر ولا بغيره وهو يزعم فى المقامة أنه يحاول شربها لغناء وغير ذلك (أبان) بين (منطيق) فصيح (احتبى حبوتهم) أى جلس مثل جلوسهم (المنتدين) أهل المجلس (ازدراه) احتقره (أصغريه) قلبه ولسانه وقيل لهما الأصغران لصغر حجمهما من بين الأعضاء لفضلهما وشرفهما على الأعضاء قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ولكنى مدرب الأصغرين وجلبهما القيام والكمال كأنه قال المرء يقوم أموره بلسانه وقلبه ويكمل المرء بهما قال الأصمعى رحمه الله تعالى كان ضمرة بن أبى ضمرة قصيرا وكان يقول المرء باصغريه بقلبه ولسانه (يتداعون) يدعو بعضهم بعضا إلى ذكر الفصاحة والأشبه أن يكون من الأدعية وهى الاحجية والاغلوطة كأنهم يتحاجون (وفصل الخطاب) كناية عن الفصاحة (يعتدون) يحسبون (الاحطاب) جمع حطب ولا يقال للعود حطب حتى يجف ماؤه وييبس فأراد أنهم حسبوا أبا زيد من جنس الحطب لا نضارة فيه كأنه لا علم عنده وقال الشاعر :

إذا العود لم يثمر وإن كان شعبة ... من المثمرات اعتده الناس للحطب

(يفيض) يتكلم ويندفع فى القول وفاض لسانه أفاض أى أبان (يبين) يبين (سمة) علامة (سبر) قاس وجرب (قرائحهم) أذهانهم (خبر) جرب (شائلهم) ناقصهم (راجحهم) وافيهم والشائل من الدراهم الناقص الذى

اسْتَخْرَجَ دَفَائِنَهُم ، وَاسْتَنْثَلَ كَنَائِنَهُم ، قالَ يَا قَوْمِ لو عَلِمْتُمْ أنَّ وراءَ الفِدَام صَفْوَ المُدام لما احْتَقَرْتُمْ ذا أخلاق ، وقُلْتُمْ مَالَهُ مِنْ خَلاق ، ثُمَّ فَجَّرَ مِنْ يَنَابِيعِ الأدب ، والنُّكَتِ النُّخَب ، مَا جَلَبَ به بَدائِعَ العَجَب ، واسْتَوْجَبَ أنْ يُكْتَبَ بِذَوْبِ الذَّهَب ، فلمَّا خَلَبَ كلَّ خِلْب، وقلبَ إليه كلَّ قَلْب ، تَحَلْحَلَ لِيَرْحَل ، وَتَأَهَّبَ لِيَذْهَب ، فَعَلِقَتِ الجَمَاعَةُ بِذَيْلِهِ وعَاقَتْ مَسْرَبَ سَيْلِهِ ، وقَالَتْ لهُ قَدْ أَرْوَيْتَنَا وَسْمَ قِدْحِكَ فَخَبِّرْنَا عَنْ قَيْضِكَ وَمُحِّك ، فَصَمَتَ صُمُوتَ

يشول به الميزان أى يرتفع والراجح ضده وقال فى الدرة الشائل المرتفع وأنشد :

يا قوم من يعذر من عجرد القاتل المرء على الدانق
لما رأى ميزانه شائلا وجاء بين الأذن والعاتق

(استنثل كنائنهم) استخرج ما عندهم والكنانة جعبة السهام (الفدام) خرقة تجعل على فم الإبريق ليصفوا الخمر (أخلاق) ثياب بالية (خلاق) نصيب وافر من الخير (ينابيع) مخارج الماء من العيون (النكت) المعانى الغامضة والنكتة نقطة فى شىء تخالف لونه فاذا كانت فى الكلام فهى عيونه (النخب) المختارة (بدائع) غرائب (ذوب الذهب) ما ذاب منه ولو أنشدهم شعرا وافق مجلسهم لم يكن إلا أبيات الناسىء :

كأنهم فى صدور الناس أفئدة تحس ماأخطروا فيها وما اعتمدوا
يبدون للناس ما تخفى ضمائرهم كأنهم وجدوا منها الذى وجدوا
دلوا على باطن الدنيا بظاهرها وعلم ما غاب عنهم بالذى شهدوا
مطالع الحق مامن شبهة غسقت إلا ومنهم لديها كوكب يقد

أو أبيات ابن شهيد حيث قال :

وفتيــة كالنجوم حسنا كلهم ساعر نبيل
متقد الجانبين ماض كأنه الصارم الصقيل
راموا انصرامى عن العوالى والقرب من دونها كليل
فاشتد فى اثرها مسح كل كثير به قليل
فى مجلس شأنه التصافى تطيش فى وصفه العقول

(خلب) أى خدع (الخلب) الحجاب الذى بين وسواد القلب سوادالبطن (تحلحل) تحرك وأصله للبعير إذا حركته للقيام تقول له حل حل (عاقت) منعت وحبست (مسرب) طريق مسيل الماء وسرب يسرب سروبا مضى على وجهه فى سفر بعيد وسرب الماء يسرب سربا ومسربا فهو سرب سال والمعنى منعته المشى (وسم قدحك) علامة سهمك والقدح السهم قبل أن يراش ويركب نصله (وأرويتنا من نضحك) أى أسقيتنا من بللك والنضح الرش الخفيف (قيضك ومحك) أى ظاهرك وباطنك لأن القيض قشرة البيضة العليا وقلبها الأصفر هو المح بحاء غير منقوطة . الفنجديهى : عن قيضك ومحك أى عن نسبك وبلدك (صمت) سكت

مَنْ أُفحِمَ ثمَّ أعْوَلَ حتى رُحِمَ

قال الراوى : فلما رأيتُ شَوْبَ أبى زَيْدٍ ورَوْبَه ، وأُسْلوبَهُ المألوفَ وصَوْبَه ، تأمَّلْتُ الشَّيخَ عَلَى سُهُومَةِ مُحيَّاه وسُهُوكَةِ رَيَّاهُ ، فإذا هُوَ إيَّاه

(أفحم) غلب وقطع عن الكلام (أعول) بكى (شوب أبى زيد وروبه) أى تخليطه فى حيله والشوب الخلط تقول شبت الماء باللبن أى خلطتهما والروب اتخاذ الرائب والشوب اللبن الممزوج بالماء هنا والروب الخالص ويقال ماعنده شوب ولا روب أى لا مرق ولا لبن ، وقيل الشوب العسل والروب اللبن وفلان يشوب ويروب أى يخلط ويصفى ، وأصله يريب قلبت يروب طلبا للازدواج ، يضرب مثلا لمن يخلط فى القول والعمل والشوب والروب جميعا الخلط وراب الرجل روبا اختلط عقله ورأيه (أسلوبه) طريقه (المألوف) الملتزم (صوبه) قصده وجانبه وصوابه (سهومة محياه) تغير وجهه (سهوكة رياه) نتن رائحته من البخر وغيره (فاذا هو إياه) استعمل إياه وهو ضمير منصوب فى موضع الرفع وهو غير جائز عند سيبويه وجوزه الكسائى فى مسئلة مشهورة جرت بينهما قال الفنجديهى سألت شيخنا العلامة إمام النحاة جمال العلماء أبا محمد عبدالوهاب بن برى عبد الجبار المقدسى عن شرحها فقال أيده الله : سألت شرح الله صدرك وأعلى فى منازل الشرف قدرك عن المسئلة التى جرت بين سيبويه والكسائى وهى قول كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو إياه وسألت عن وجه النصب فى إياه عند من اجاز ذلك فاعلم أن مذهب النحويين البصريين فى مثل هذه المسئلة أن تكون ما بعد ذا مرفوعا بالابتداء والخبر فيقال فاذا هو هى على حد مافى الكتاب العزيز فاذا هى بيضاء للناظرين وقوله فاذا هى ثعبان مبين، فاذا هنا ظرف مكان وليست كالزمانية وسأفرق بينهما وتقديرها فى نحو خرجت فاذا زيد قائم وإن شئت نصبت قائما على الحال وجعلت الخبر فى إذا كما تقول خرجت فاذا زيد القائم والقائم فالقائم بالرفع على الخبر والنصب على الحال ومذهب الكوفيين فى الحال أن تكون نكرة ومعرفة ومن هنا منع سيبويه من إياها فى المسئلة لأن المضمر لا يقع حالا لتعريفه وعدم الاشتقاق فيه والحال تكون نكرة مشتقة والكوفيون يجيزون النصب على معنى خرجت فاذا زيد قائما والأقرب عندى أن يريدوا فاذا هو موجود لدلالة الكلام عليه ومثل هذا عندهم لئن ضربته ليضربنه السيد الشريف فينصبون السيد باضمار فاذا حملته على هذا تخرج

وحكى عن أبى زيد أنه سمع هذه المسئلة من العرب بنصب اياها فان صح أنه سمعها فهذا وجه ويجوز فى قياس قولهم أن يكون على إسقاط الكاف وهم يروون فى الخبر ذكاة الجنين ذكاة أمه بنصب يقدرون كذكاة أمه فتقديرها فاذا هو كها أى فاذا الزنبور كالعقرب وهم يجيزون إدخال الكاف على الضمير وسيبويه يمنعه إلا فى الشعر كقول العجاج : وأم أوعال كها أو قربا ، وقال رؤبة :

فلا أرى بعلا ولا حلائلا   كهن ولا كهن إلا حاظلا

واجاز بعض النحويين ان يكون إياها كناية عن الجملة لتقدير فاذاهو لسعته كلسعتها فكنى عن الجملة بقوله إياها وينصب على الحال لأنها كناية عن الجملة وهى نكرة فتصير فى حكم النكرة كما صارت الهاء فى ربه رجلا نكرة فى المعنى لكونها كناية عن نكره ولذا دخلت رب عليها وهى لا تدخل إلا على نكرة

فَـكَتَمْتُ سِرَّهُ، كما يُـكْتَمُ الدَّاءُ الدَّخِيل، وسَتَرْتُ مَـكْرَهُ وإنْ لم يَـكُنْ يُخِيل، حتى إذا نَزَعَ عَنْ إعْوالِهِ؛ وقد عَرَفَ عُثُورِى عَلَى حالِه، رَمَقَنى بِعَيْنِ مِضْحاك، ثم طَفِقَ يُنْشِدُ بِلِسانٍ مُتَباك:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَعْنُو له　　مِنْ فَرَطاتٍ أَثْقَلَتْ ظَهْرِيَهْ
يا قَوْمِ كَمْ مِنْ عاتِقٍ عانِسٍ　　مَمْدُوحَةِ الأَوْصافِ فى الأَنْدِيَهْ
قَتَلْتُها لا أَتَّقِى وارِثاً　　يَطْلُبُ مِنِّى قَوَداً أَوْ دِيَهْ
وكُلَّما اسْتُذْنِبْتُ فى قَتْلِها　　أَحَلْتُ بالذَّنْبِ عَلَى الأَقْضِيَهْ

فهذاما يقتضيه وجه النصب فى إياها على ذكره الكوفيون، والفرق بين إذا الزمانية والمكانية من أوجه أحدها ان الزمانية تقتضى الجملة الفعلية لما فيها من معنى الشرط والمكانية تقع بعدها الجملة الابتدائية او المبتدا وحده والثانى أن الزمانية تقضى جوابا والمكانية لا تقتضيه، والثالث أن الزمانية مضافة إلى الجملة التى بعدها والمكانية ليست مضافة إلى ما بعدها بدلنل خرجت فاذا زيد فريد مبتدأ وإذا خبره، والرابع أن الزمانية تكون فى صدر الكلام نحو إذا جاء زيد فأكرمه والمكانية لا يبتدأ بها إلا أن تكون جوابا للشرط كالفاء فى قوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون، الخامس أن الزمانية تقتضى الاستقبال والمكانية تقتضى معنى الحضور لأنها للمفاجأة والمفاجأة للحاضر دون المستقبل . . انقضى الكلام عليها على جهة الاختصار (الداء الدخيل) هو الذى لا يتكلم به استقباحا له أو لمحله (يخيل) يشتبه ويشكل وخال يخيل اشتبه (نزع) كف (اعواله) بكائه (عثورى) أطلاعى (رمقنى) نظر إلى (بعين مضحاك) أى كثير الضحك (متباك) مستعمل للبكاء بتكلف (أعنو) أذل (فرطات) سقطات وزلات (عانق) شابة قد أدكت ولم يبن بها زوجها بل هى بكر ويريد بها الخمر التى لم يفض أحد خاتمها (عانس) طالت إقامتها فى بيت أبيها (الأندية) المجالس (القود) قتل النفس بالنفس (استذنبت) نسبت إلى الذنب (الاقضية) جمع قضاء أى كلما قيل لى فعلت هذا الذنب قلت إنما هو قضاء الله وقدره وأخذ هذه المعنى من قول الحسن بن الضحاك:

واتركى العذل على من قاله　　وانسبى جورى إلى حكم القضا

ولهذا البيت حكاية أدبية قال الحسن لى نوبة فى دار الواثق فبينا أنا نائم ذات ليلة إذ جاءنى خادم من خدم الحرم فقال لى إن امير المؤمنين يدعوك فقلت له وما الخبر قال انه كان نائما إلى جنب حظيته فقام وهو يظنها نائمة فلم يجدها وإذا هو بجارية أخرى فعاد إلى فراشه فغضبت حظيته وتركته حتى نام ثم قامت ودخلت حجرتها فانتبه وهو يظنها عنده فطلبها فلم يجدها فقال من اختلس كريمتى ويحكم أين هى فأخبرناه أنها قامت غضبى ودخلت حجرتها فدعا بك قال فمضيت مع الرسول ورويت أبياتا فى طريق فلماجئته أخبرنى القصة وقال لى قل فى هذا شيئا ففكرت هنيهة كأنى أقول شعرا ثم أنشدته الأبيات:

غضبت أن زرت أخرى غضبة　　فلها العتبى علينا والرضا
يا فدتك النفس كانت هفوة　　فاغفريها واصفحى عما مضى
واتركى العذل على من قاله　　وانسبى جورى إلى حكم القضا
فلقد نبهتنى من رقدتى　　وعلى قلبى كنيران الغضى

وَلم تزَلْ نَفسِي فِى غَيِّهَا   وَقَتلِهَا الأبكارَ مُسْتَنشرِيَهْ
حتى نَهاني الشَّيْبُ لمَّا بَدَا   فِي مَفرِقي عَن تِلْكُمُ المَعْصِيَهْ

فقال أحسنت بحياتى أعدها على ياحسن فأعدتها عليه حتى حفظها وأمر لى بخمسمائة درهم فقام ومضى إلى الجارية فأنشدها الأبيات فتراضيا فكان بعد إذ رآنى تبسم لمواقع الأبيات ونجحها عند الجارية والاحالة على القضاء بالذنب هو مذهب الجبرية فمن فعل منهم ذنبا قال لاذنب لى إنما قدر على ومذهب القدرية خلافه قال الشاعر فى رده :

إذا أذنبوا قالوا مقادير قدرت   وما العار إلاماتجر المقادير

(غيها) أى فسادها (مستنشرية) لاحية مصممة واستشرى الشيء انتشر واستشرى فى أمره لج فيه ، والقتل الذى ذكره للبنات هو الوأدى الذى كانت تفعله الجاهلية ، قال الله سبحانه وتعالى « وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت » ، والموؤدة التى تدفن حية فتثقل بالتراب والوأد القتل ،وورد قيس بن عاصم المنقرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الأنصار عن وأده البنات فقال قيس ماولدت لى بنت إلا وأدتها ومارحمت منهن إلا واحدة ولدتها أمها وأنا فى سفر فدفعتها إلى أخوالها وقدمت فسألت عن الحمل فاخبرت أنها ولدت ميتا ومضت سنون حتى ترعرعت فزارت أمها ذات يوم فدخلت فرأيتها ضفرت شعرها وجعلت فى قرونها شيئا من الخلوق ونظمت عليها ودعا وألبستها قلادة وجعلت فى عنقها مخنقة فقلت من هذه الصبية فقد أعجبنى حسنها فبكت ثم قالت هذه ابنتك كنت أخبرتك أنى ولدت ميتا وهذه التى ولدت فجعلتها عند خالها وبلغت هذا المبلغ فأسكت عنها حتى اشتغلت أمها ثم أخرجتها يوما فحفرت حفرة فجعلتها فيها وهى تقول يا أبت أتغطينى بالتراب حتى واريتها وانقطع صوتها فما رحمت واحدة منهن ممن وأدت غيرها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وإن من لا يرحم لا يرحم .. وذكر أن قيسا وأد بيده بضع عشرة ابنة وكان السبب فى وأد البنات أن المستمرج اليشكرى أغار على قوم قيس فسبى نساء فيهن ابنته وابنة أخيه فدخل قيس اليهم فسألهم أن يهبوهما له فوجد المستمرج قد اصطفاهما لنفسه فسأله إياهما فقال قد جعلت أمرهما اليهما فان اختارتاك فخرهما فاختارتا المستمرج فانصرف فوأد كل ابنة له خوفا من الفضيحة فاقتدت به العرب فى ذلك ، قال الهيثم : إن الوأد كان مستعملا فى قبائل العرب قاطبة وكان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الإسلام وقد قل إلافى تميم وقيل كان الوأد فى تميم وقيس وبكر وهو ازن وأسد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم ولهذا جاء تحريم الدم وهذا خبر بين ان الوأد كان للحاجة لا للانفة وبه نزل القرآن ، قال الله تعالى : ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاق ؛ وقال : ولا يقتلن أولادهن ، ومن ذكر أنه كان أنفة وأنه كان فى تميم ومن جاورهم فيحتج بحديث أبى عبيدة ان تميما منعت النعمان الاتاوة فوجه اليهم اخاه الرتان وجل من معه من بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذرارى وفى ذلك بقول المستمرج اليشكرى :

لما رأوا راية النعمان مقبلة قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن
ياليت أم تميم لم تكن عرفت مرواوكانت كمن أودى به الزمن

قال النعمان فى جوابه :

لله بكر غداة الروع لوبهم يرمى ذرا حصن زالت بهم حصن
إذلاأرى أحدا فى الناس يشبههم إلا فوارس حامت عنهم اليمن

فوفدت اليه تميم فأناب اليهم وأحب البقيا وقال :

ما كان ضر تميما لو تعهدها من فضلها ماعليه قيس عيلان

فسألوه النساء فقال كل امرأة اختارت أباها ردت اليه وإن اختارت صاحبها تركت عنده فكلهن اخترن آباءهن إلا ابنة قيس بن عاصم اختارت صاحبها عمرو بن المستمرج فنذر قيس لا نولد له ابنة إلا قتلها فهذاشىء يعتل به من وأد البنات ويقول فعلناه أنفة وقد كذب بما أنزل الله تعالى فى القرآن المجيد وأين فعل قيس فى الوأد وقساوة قلبه من فعل صعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق فانه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى كنت أعمل عملا فى الجاهلية لنفسى أينفعنى ذلك اليوم قال وما عملك قال أضالت ناقتين عشراوين فركبت جملا ومضيت فى بغائهما فرفع لى بيت فقصدته فاذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عنهما فقال هما عندى وقد أحيا الله تعالى بهما قوما من أهلك مضر فجلست عنده لتخرجا إلى فاذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقالت لها ما وضعت فان كان ذكرا شاركناه فى أموالنا وإن كان أنثى وأدناها فقالت وضعت أنثى فقلت أتبيعنيها فقال وهل تبيع العرب أولادها فقلت إنما أشترى حياتها لا رقها فقال بكم فقلت احتكم قال بالناقتين والجمل قلت ذلك لك على أن يبلغنى وإياها الجمل ففعل فآمنت بك يارسول الله وقد صارت لى سنة فى العرب أشترى كل موؤدة بناقتين وجمل فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائة موؤدة قد انقذتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعك ذلك لأنك لم تبغ وجه الله وان تعمل فى إسلامك عملا صالحا تثب عليه ، وقال الفرزدق يفتخر بفعل جده على جرير :

ألم تر أنا بنو دارم زرارة منا أبو معبد
ومنا الذى منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوأد
أيطلب مجد بنى دارم عطية كالجعل الأسود
قريب يحك قفا مفرق لئيم مآثره قعدد
ومجد بنى دارم دونه مكان السماكين والفرقد

وعطية هو أبو جرير ويأتى فى الأربعين ؛ وجاء فى الحديث الترغيب فى إكرام البنات ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلى بشىء من هذه البنات فأحسن اليهن كن له سترا من النار وفى طريق آخر من كان له ثلاث بنات أو ثلاث اخوات اوبنتان اواختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة ، ولبعضهم تهنئة بمولودة : اتصل بى خبر المولودة كرم الله غرتها وانبتها نباتا حسنا وقد علمت انهن اقرب إلى القلوب وان الله عز وجل قدبدا بهن فى الترتيب فقال سبحانه يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور وماسماه الله هبة فهو بالشكر

فلم أُرقْ مُذ شابَ فَوْدِي دَماً   منْ عاتِقٍ يَوْمًا ولا مُصْبِيَه
وهَا أنَا الآنَ عَلَى ما يُرَى   مِنِّى ومن حِرْفَتِيَ المُكْدِيَهْ
أرُبُّ بِكْرًا طَالَ تَعْنيسُهَا   وحَجْبُهَا حتى عَنِ الأَهْوِيَه
وهِيَ عَلَى التَّعْنِيس مَخْطُوبَةٌ   كَخِطْبَة الغَانِيَــــة المُغْنِيهْ

أولى وبحسن التقبل أحرى ، وقال بعض الشعراء :

أحب البنات وحب البنا   ت فرض على كل نفس كريمه
فان شعيبا من أجل ابنتيه   أخدمه الله موسى كليمـــه

وفى الحديث دفن البنات من المكرمات ، عزى رجل يحيى بن خالد فى حرمة له فقال أيها الوزير دفن الحرم من النعم ثم قال :

تعز إذا رزئت بخير درع   يسر بل للمصائب درع صبر
فلم أرنعمة شملت كريمـا   كعورة مسلم سترت بقبر

وقال عمرو بن أبى علقمة المرى :

إنى وإن سيق إلى المهر   ألف وعبدان وذود عشر   أحب أصهاوى إلى القبر

وقال أبو اسحق بن خلف :

لولا أميمة لم أجزع من العدم   ولم أجب فى الليالى حندس الظلم
تهوى حياتى وأهوى موتها شغفا   والموت أكرم نزال على الحرم

وقال عبيد الله بن عبد الله طاهر :

لـكل أبى بنيت يراعى شؤونها   ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها وبعل يصونها   وقبر يواريها وخيرهم القبر

وقال آخر :

لا تيأسن منها فقد زوجتها   كفؤا وضمنت الصداق مليكا

(فودى) أى ناحية رأسى (مصبية) لها صبوه اليها من رآها وجعل الخمر مصبية لأنها تغلب شرابها فتصيرهم سكارى عقولهم عقول الصبيان فهى تلعب بهم كما تلعب الأم بصبيانها (حرفتى) صنعتى (المكدية) الصعبة وأكدى الحافر بلغ كدية فرفع عن الحفر آيسا من الماء ثم استعير لغير ذلك (أرب) أصلح (تعنيسها) إقامتها لغير زوج قال عمر رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب فى التوراة من بلغت ابنته اثنتى عشرة سنة فلم يزوجها فأصابت اثما فاثم ذلك عليه وقال عليه الصلاة والسلام من بلغ له ولد النكاح وعنده ماينكحه به فلم ينـكحه فأصاب اثما فالاثم بينهما ، ويعنى بها خمرا قديمة حجبها عن الاهوية لئلا يفسدها الهواء (مخطوبة) مطلوبة (الغانية) البارعة الجمال التى غنيت بحسنها عن الزينة قال الرستمى أصلهـا فى ذات الزوج التى استغنيت بزوجها ثم قيل فى غير ذات الزوج فقال عمارة هى الشابة التى تعجب الرجال ويعجبونها (المغنية) التى نشأت فى الغنى وأغنى بمعنى اسغنى والمغنية أيضا التى تغنى زوجها عن غـــيرها لـكمال خصالها

وليسَ يكفيني لتجهيزها عَلَى الرِّضا بالدُّونِ إلَّا مِيَهْ
واليَدُ لا توكى على دِرْهَمٍ والأرضُ قَفْرٌ والسَّما مُصْحِيَهْ
فَهلْ مُعينٌ لِي عَلَى نَقْلِها مصْحُوبةً بالقَيْنةِ المُلْهيَهْ
فَيَغْسِلَ الهَمَّ بِصـــابُونِهِ والقَلْبُ مِنْ أفكارِهِ المُضْنِيَهْ
ويَقْتَنِي مِنِّي الثَّناءَ الذي تَضُوعُ رَيَّاهُ مَعَ الأَدْعِيَه

قال الراوي : فلم يَبْقَ في الجماعةِ إلَّا مَنْ نَدِيَتْ له كَفُّه ، وانباعَ إليهِ عُرْفُه ، فلما نَجَحَتْ بُغيتُهُ ، كَمُلَتْ مِئتُه ، أخَذَ يُثني عليهمْ بِصالحٍ ، ويُشَمِّرُ عَنْ ساقِ سارحٍ ، فَتَبِعْتُهُ لأَسْتَعْرِفَ رَبيبَةَ خِدْرِه ؛ ومَنْ قَتَلَ في حِدْثانِ أَمْرِه ؛ فَكانَ وَشْكَ قيامي ، مَثَّلَ لهُ مَرامِي ؛ فازدَلَفَ مِنِّي ، وقال افْقَهْ عَنِّي :

(توكا) تشد وتربط والوكاء الخيط يشد به فم الوعاء ، وراود عبد فى الجاهلية ابنة سيده عن نفسها فامكنته حتى بلغ أربه منها ثم عمدت اليه فجبته فقال لها أبوها فى ذلك فقالت من وردت غير مائة صدر بمثل حالة أن العبد لمن نوكه قد ايتذل إناء لم يوكه فقال أبوها يابنية لاشللا ولا عمى (ميه) محذوفة اللام ولا يدرى أو ولامها أم ياء قاله صاحب العين وقال ابن الأعرابى مأيت القوم وأمأيتهم صاروا بى مائة ففى مأيت دليل قاطع على أن اللام ياء قال الفراء رحمه الله تعالى وكراع أصلها مئية وأنشد :

فقلت والركب قد تخطيه منيته أدنى عطيات آبائى مئيات

(قفر) غير عامرة (مصحية) زال سحابها ضربه مثلا للخلو من المال فلا فى أرضه خصب فتعمر من أجله ولا فى سمائه سحاب فيرجى خيرها وقد تقدم لغيمى مطر (القينة الملهية) الجارية المغنية وهى فى كلام العرب الأمة مغنية كانت أو غير مغنية ، قال زهير : رد القيان جمال القوم فاحتملوا . . . واشتقاقها من قنت الشيء أقينة قينا إذا لممته قال الشاعر :

ولى كبد مجروحة قد بدا بها صدوع الهوى لو أن قينا يقينها

ولهذا سمى الصواغ والحداد قينا والماشطة قينة (فيغسل الهم بصابونه) يعنى فينفى همى بالخمر لأنها تنفى الهم والحزن والغم كما يعسل الصابون وسخ الثوب (المضنية) الممرضة (يقتنى) يكتسب (تضوع رياه)تتحرك رائحته يريد انه يكتسب منه السامع الدعاء فيثنى عليه ثناء حسنا فى الدنيا ويدعو له بالآخرة ويقال ضاع ضاالمسك يوع أى انتشرت رائحته ، وقال الشاعر :

وماهو إلا المسك عند ذوى الحجا يضوع وعند الجاهلين يضيع

(نديت) كرمت (انباع) سال (عرفه) معروفه(نجحت) انقضت وتمت (نئيته) طلبته (طفق)أخذ وجعل (سارح)ذاهب يريد أنه شمر للسير وأضاف ساقا لسارح وهو يريد عن ساق رجل سارح أى ذاهب (ربيبة خدره) أى التى رباها فى بيته وربيتة الرجل بنت امرأته من غيره قيل لها ذلك لأنه يربها فهى فعيلة بمعنى مفعولة فاصلها مربة ويقال رب فلان فلانا ورباه وربيه وتربيه بمعنى واحد (حدثان) أول (وشك) سرعة (مرامى) مرادى ومطلبي (ازداف) قرب وتقال قتلت الخمر إذا مزجتها وقد فسره بقوله مزج المدام قال

الأخطل : فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها وأحبب بها مقتولة حين تقتل

وكان الأخطل خليعا فاثنى هنا على الممزوجة وقال فى التى لم تمزج :

وكأس مثل عين الديك صرف تنسى الشاربين لها العقولا
إذا شرب الفتى منهـا ثلاثا بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشيـة لا شك فيها وأرخى من مآزره الفضولا

وأصبح عبد الملك يوما فى غداة باردة فانشد هذه الأبيات ثم قال كأن الاخطل الآن فى حانوت خمار محلل الازار مستقبل الشمس ثم بعث من يطلبه بدمشق فوجده كما وصف وقال له يوما ألا تسلم فنفرض لك فى الفىء ونعطيك عشرة آلاف درهم قال فكيف بالخمر فقال له عبد الملك وما تصنع بها وإن أولها مر وآخرها سكر قال الاخطل وفيما بين هاتين منزلة ما يسرنى ملكك بها ، وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه وقد أعطى خمر ممزوجة :

إن التى ناولتنى فرددتهـا قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطنى بزجاجة ارخاهما للمفصل

فدعا بالقتل على الذى أعطاها له ممزوجة ، وذكر الحريرى فى الدرة البيتين وقال فى قوله أرخاهما القياس أشدهما ارخاء للمفصل لأن أصل هذا الفعل أرخى فبناؤه ليس مقيسا كما قالوا ما أحوجه إلى كذا فبنوه من حوج وإن كان قياسه ما أشد حاجته . ولهذين البيتين حكاية يحسن أن نعقبهما بروايتها ونضوع نشرهما بنشر ملحها وهى ما رواه أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى عن أبيه قال حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعى قال حدثنا أحمد بن عبد الملك ابن السماك السعدى قال حدثنا أحمد بن ظبيان الحائز قال اجتمع قوم على شراب لهم فغناهم مغنيهم بشعر حسان « ان التى البيتين » فقال بعضهم امرأتى طالق إن لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضى عن علة هذا الشعر لم قال إن التى فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فاشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا إلى بنى شقرة وعبيد الله بن الحسن يصلى فلما فرغ من صلاته قالوا قد جئناك فى أمر قد دعتنا اليه ضرورة وشرحوا له خبرهم وسألوه الجواب فقال : « إن التى ناولتنى فرددتها » عنى بها الممزوجة بالماء ثم قال من بعد كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المحتلبة من العنب والماء المحتلب من السحاب المكنى عنها بالمعصرات فى قوله تعالى « وأنزلنا من المعصرات » ، قال الشيخ الإمام الأجل الأوحد العالم أبو محمد أدام الله سعادته فهذا ما فسره به عبيد الله بن الحسن وقد بقى فى الشعر ما يحتاج إلى كشف سره وتبيان نكتته أما قوله « إن التى ناولتنى فرددتها ... قتلت قتلت » ، فانه خاطب به الساقى الذى كان ناوله كأسا ممزوجة لأنه يقال قتلت الخمر إذا مزجتها فكأنه أراد أن يعلمه أنه قد فطن لما قد فعله ثم ما اقتنع منه بذلك حتى دعا عليه بالقتل فى مقابلة المزج وقد أحسن كل الاحسان فى تجنيس اللفظ ثم إنه عقب الدعاء عليه بان استعطى منه مالم تقتل يعنى الصرف التى لم تمزج وقوله أرخاها للمفصل يعنى اللسان وسمى مفصلا بكسر الميم لأنه به يفصل بين الحق والباطل وليس فيما اعتمده عبيد الله بن الحسن من الإسماح وخفض الجناح ما يقذف فى نزاهته أو يغض من نبله وبراعته ويضارع هذه الحكاية فى وطأة القضاء المتقشفين للمستفتين وتلاينهم فى مواطن اللين ما يحكى أن حامد بن العباس سأل على بن عيسى فى ديوان الوزارة عن داء الخمار وعن دوائه فاعرض عن كلامه وقال ما أنا وهذه

المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت إلى قاضى القضاة أبى عمرو فسأله عن ذلك فتنحنح القاضى لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال النبى عليه الصلاة والسلام استعينوا على الصناعات بأهلها والأعشى هو المشهور فى الجاهلية بهذه الصناعة وقد قال :

وكأس شربت على لذة   وأخرى تداويت منها بها
لكى يعلم الناس أنى امرؤ   أتيت المروءة من بابها

ثم تلاه أبو نواس فى الإسلام فقال :

دع عنك لومى فان اللوم أغراء   وداونى بالتى كانت هى الداء

فاسفر حينئذ وجه حامدوقال لعلى بن عيسى ماضرك يا بارد أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضى القضاه وقد استظهر فى جواب المسئلة بقوله سبحانه أولا ثم بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ثانيا وبين الفتياوأدى المعنى ونفضى من العهدة فكان خجل على بن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من خجل حامد منه لما ابتدأه بالمسئلة وتبع حسان مسلم بن الوليد فقال وأحسن :

إذا شئتما أن تسقيانى مدامة   فلا تقتلاها كل ميت محرم
خلطنا دما من كرمة بدمائنا   فاظهر فى الألوان منا الدم الدم

وقال أبو نواس فى الصرف :

وكميت أرقها وهج الشمس   وصيف يفنى بها وشتاء
لم يشنها الطاهى بطبخ ولا غير   ها عن طبيعة الكرماء

وقال فيه أيضاً.   تورات عن الأبصار من عهد آدم   حذاراً لكون الماء يوما قرينها
فصنها عن الماء القراح وأسقنى   فانك إن لم تسقنى مت دونها

على أنه القائل: ألا دارها بالماء حتى تلينها   فلن تكرم الصهباء حتى تهينها

وقال أبو انوس لإخوانه فى مرض موته إياكم والخمر صرفا فانها أحرقت كبدى وقال ابن رشيق :

قدر المدامة فوق، قدر الماء   فارغب بكاسك عن سوى الاكفاء
مالى ومزج الراح إلا فى فمى   بالريق من فم قادة حسناء
ذاك المزاج وإن تعدانى الذى   فى المزن من ذى رقة وصفاء
أشهى وأبلغ فى الفؤاد مسرة   من غيره وأدب فى الأعضاء
لى الصرف إن مزج النديم ولم أكر   مستأثرا فيها عن الندماء

وقال أيضاً:   قلت لمن ناولنى مرة   ما بى حب الغيد بل حبها
لا تسقنى للراح ممزوجة   واشرب فما يمكننى شربها
ما راحتى فى الراح أن غيرت   دعنى كما جاء بها ربها

ونصل بهذا النمط ما قيل فى نبيذ الزبيب قال أبو الاسود الدؤلى :

دع الخمر يشربها الغواة فاننى   رأيت أخاها مغنيا بمكانها
فان لا يكنها أو تكنه فانه   أخوها غذته أمه بلبانها

قَتلُ مِثْلِي يا صاحِ مَزجُ المُدامِ ❊ لَيسَ قَتلي بِلَهْذَمٍ أَوْ حُسامِ

والتى عنَسَتْ هى البِكرُ بنتُ الـ ❊ ـكَرْمِ لاالبِكْرُ من بَناتِ الـكِرامِ

ولِتَجْهِيزِها إلى الـكاسِ والطا ❊ سِ قِيامى الذى تَرَى ومُقامِي

يقول إن لا يكن الزبيب الخمر أو الخمر الزبيب فانهما أخوان غذيا بلبن واحد وهى الحبة التى هى أصل العنب والزبيب فاحدهما ينوب مناب الآخر وأنشد الحامضى :

تركت الحيا لست أختار شربها ❊ وما حاجتى فى أن أسر الأعاديا

ولـكن أخرى من نبيذ معتق ❊ يمنيك إن أكثرت منه الأمانيا

أخو الخمر من عنقودها غير أنهم ❊ إذا قطعوه جففوه لياليا

قال المأمون نقلت هذا المعنى بأبيات ملوكية لا تحضر السوقة بمثلها :

صلى النـدمان يوم المهرجان ❊ بكاس من معتقة الدنان

وجنبنى الزبيبين طرا ❊ كشأن ذوى الزبيب خلاف شان

فأشربها وأزعمها حراما ❊ وأرجو عفو رب ذى امتنان

ويشربها ويزعمها حلالا ❊ وتلك على الشقى خسارتان

سأل رجل شريحا القاضى هل النبيذ حلال أم حرام فقال حلال فقال قليله خير أم كثيره قال قليلة قال الرجل ما رأيت حلالا وقليله خير من كثيره إلا هذا ، وقال قتيبة بن مسلم لقاضى مرو بلغنى أنك شربت النبيذ قال نعم أصلحك الله أشرب منه ما يسلى العقل ويطيب النفس ويغنى عن الماء ويهضم الطعام قال فما أبقيت قال أبقيت أخبثه وأرداه الاتكاء على الشمال ومنادمة الرجال والاختلاف إلى المبال .. وترك رجل النبيذ فقيل له لم تركته وهو رسول السرور إلى القلب قال بئس الرسول يبعث إلى الجوف فيذهب إلى الرأس (لهذم) هو سنان الرمح (بنت الـكرم) الخمر (تجهيزها) حملها (الطاس) إناء الخمر كالابريق يصب منه الشراب فى الـكاس وجمعه طاسات قال الناشى :

وكأنما الطاسات مما حولها ❊ من نورها يسبحن فى ضحضاح

لو بث فى غسق الظلام ضياؤها ❊ طلع المساء بغرة الأصباح

وقدم فى المقامة أنه لا يجهزها إلا مصحوبة بالقينة أى لا يشربها إلا بالغناء ... وقد ذموا الغناء ومدحوه فأما ذمه فقال الـكندى الغناء برسام حاد لأن المرء يسمع فيطرب فيسمع فيفتقر فيغتم فيمرض فيموت وقال يزيد ابن الوليد إياكم والغناء فانه يسقط المروءة وينقص الحياء ويبدى فى العورة ويزيد فى الشهوة وأنه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنع به السكر وإن كان ولا بد فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا وأما مدحه فقال ربيعة بن عبد الرحمن : السماع مطربة وهى من نتيجة العقل فمن كره السماع دل بذلك على قلة عقله وقال بعض

فتفهَّمْ ما قُلتُـــه وتحكَّمْ في التَّغاضي إنْ شئتَ أوْ في المَلامْ

ثم قال: أنا عِرْبِيد، وأنتَ رِعْدِيد، وبيننا بَوْن بَعيد، ثم ودَّعني وانطلق، وزوَّدني نظرةً مِنْ ذِي عَلَق

الفلاسفة جعلت اللذات خمسا فى خمس فجعل اللمس لليدين والشم للمنخرين والسمع للاذنين والذوق للسان واللون للعينين وعلى كل جارحة تعب من اللذات إلا النغمة فانه لا تعب على الآذنين فيها ولذلك صار الناس كلهم عربيهم وعجميهم صغيرهم وكبيرهم مشتركين فى الاصاخة إلى النغمة الحسنة والصوت المستمتع متباينين فى غير ذلك وقد يوجد أكثرها فى أكثر الحيوان كالخيل يصفر لها عند الشرب فتشرب والابل يحدى لها فتنقاد قال الشاعر:

فليس الشرب إلا بالملاهى وبالحركات فى بم وزير
فلا تشرب بلا طرب فانى رأيت الخيل تشرب بالصفير

وقال آخر: فانظر إلى الابل التى هى ويك أغلظ منك طبعا
تصغى إلى صوت الحدا فتقطع الفلوات قطعا

(التغاضى) أى التغافل (عربيد) سيء الأخلاق عند سكره وهو الذى يؤذى بيده ولسانه أصحابه (رعديد) جبان فزاع (بون) فضل ومزية (من ذى علق) أى من صاحب محبة هو مثل يضرب لمن ينظر بود ومحبة، ابن ظريف: العلق الحب وعلق فلان فلانة أى أحبها .. والله الموفق.

المقامة السادسة والثلاثون الملطية

أَخْبَرَ الحارثُ بنُ هَمَّامٍ قال: أَنخْتُ بِمَلَطْيَة مَطِيَّةَ البَيْن، وحَقيبَتِي مَلْأَى من العَيْن، فَجَعَلْتُ هِجِّيرَاي، مَذْ أَلْقَيْتُ بها عَصَاي، أَنْ أَتَوَرَّدَ مَوارِدَ المَرَح، وأَتَصَيَّد شَوَارِدَ المُلَح، فلم يَفُتْنِي بها مَنْظَرٌ ولا مَسْمَع؛ ولا خَلا مِنِّي مَلْعَبٌ ولا مَرْتَع، حتى إذا لم يَبْقَ لي فيها مَأْرَبٌ؛ ولا في الثَّوَاء بها مَرْغَبٌ، عَمَدْتُ لأَنْفَاقِ الذَّهَب، في ابْتِيَاعِ الأُهَب؛ فلما أَكْمَلْتُ الإِعْدَاد، وتَهَيَّأَ الظَّعْنُ منها أَوْ كَاد، رَأَيْتُ تِسْعَةَ رَهْطٍ قد سَبَؤُوا قَهْوَة، وارْتَبَؤُوا رَبْوَة

شرح المقامة

(أنخت المطية) صيرتها باركة الأرض (ملطية) بلد بالجزيرة ذات أنظار وقرى بينها وبين الرقة خمسون فرسخا والرقة أم قرى الجزيرة وذكرها المسعودى فى شعره فقال:

ولم يجلبوها من ورا ملطية تصدع أجبال بها وأكام

وقيل ملطية فى ثغر الشأم قال اليعقوبى ملطية هى المدينة العظمى وكانت قديمة فأخربها الروم فبناها المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وجعل عليها سورا واحدا ونقل اليها عدة قبائل من العرب قال وهى فى مستو من الأرض يحيط بها جبال الروم وماؤها من عيون وأودية من الفرات وخففها المتنبى ضرورة فقال:

وكرت فمرت فى ذرا ملطية وملطية أم البنين ثكول

(مطية البين) يريد ناقة السفر أى أقام بها وترك السفر (الحقيبة) وعاء الرجل (العين) الذهب (هجيراى) عادتى (وألقى بها عصاه) أى أقام بها وترك السفر (أتورد) أطلب وأدخل وتوردت الإبل الماء دخلته قطعة قطعة (المرح) النشاط (شوارد) نوافر وأراد أنه أتبع نفسه جميع اللذات بملطية وشاهدها (مرتع) موضع خصيب كثير الطعام (مأرب) حاجة (الثواء) الإقامة (عمدت) قصدت (ابتياع الاهب) اشتراء العدد للسفر (الظعن) الارتحال (الرهط) الجماعة من ثلاث إلى عشرة (سبؤا قهوة) اشتروا خمرة (اتبؤا ربوة) طلعوا كدية وقال الحسن:

وفتيان صدق قد صرفت مطيهم	إلى بيت خمار نزلنا به ظهرا
أتينا يهوديا تجمل ظاهرا	ويضمر فى المكنون من سره الشرا
فجاء بها غانيـــة ذهبية	فلم نستطع دون السجود لها صبرا
خرجنا على أن المقام ثلاثة	فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا

وقال فى شراء الخمر بثيابه:

نجوت من اللص المغير بسيفه	إذا مارماه بالنجار سبيل
وأصلت خمـار على بخمرة	فراح بأثوابي ورحت أميل

ودَماثَتُهم قَيْدُ الأَلحاظ ، وفُكاهَتُهُمْ حُلوَةُ الأَلفاظ ، فَنَحوتُهُمْ طَلَباً لِأَدمَتِهم لا لِمُدامَتِهم ، وشَغَفاً بِمُمازَجَتِهم ، لا بِزجاجَتِهم ، فلمَّا انتَظَمَتْ عاشِرَهُم ، وأَضْحَتْ مُعاشِرَهُم ، أَلفَيْتُهُمْ أَبناء عَلَّات ، وقَذائِفَ فَلوات ؛ إلَّا أَنَّ لُحْمَةَ الأَدَب ، قد أَلَّفَتْ شَمْلَهُمْ أُلفَةَ النَّسَب ، وساوَتْ بَيْنَهُمْ

وقال الأمير تميم بن المعز :

شربنا على نوح المطوقة الورق ... وأردية الروض الملففة البلق

معتقة أفنى الزمان وجودها ... فجاءت كفوت اللحظ أو رقة العشق

كأن السحاب الغر أصبحن أكؤسا ... لنا وكان الراح فيها سنى البرق

فبتنا نحث الكأس حثا وإننا ... لنشربها بالحث صرفا ونستقى

إلى أن رأيت النجم وهو مغرب ... واقبال رايات الصباح من الشرق

كان سواد الليل والفجر طالع ... بقية لطخ الكحل فى الأعين الزرق

وأحسن فى هذا المعنى ماشاء إلا أنه جعل شربه فى الروض على نوح الحمام ولو عوض من لفظ النوح لفظ الغناء أو التغريد لكان أتم للذته كما قال ابن الرومى :

واذكى نسيم الروض ريعان ظله ... وغنى مغنى الطير فيه فرجعا

وكانت أهازيج الذباب هناكم ... على شدوات الطير صوتا موقعا

وقال آخر :

وكأس كريق الألف شعشعها به ... وعيشى من هذا الشراب المشعسع

إذا شربنا كأسها صب فضلها ... على روضنا للمسمع المتخلع

المسمع المغنى يعنى به الذباب الذى ذكره عنترة فى قوله :

فترى الذباب به يغنى وحده ... هزجا كفعل الشارب المترنم

وإنما ذكر الحريرى الربوة لأن النبات فيها أحسن وأسلم من نبات الانخفاض لأن نبات الانخفاض وخم قال الله تعالى كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين وقال المتنبى :

نحن نبت الربا وأنت الغمام

(دماثتهم قيد الالحاظ) أى سهولة أخلاقهم تقيد عيون الناظرين اليهم حتى لاينظروا إلى غيرهم قال ابن المعتز :

منظره قيد عيون الورى ... فليس خلق يتلقاه

(نحوتهم) قصدتهم (شغفا) حبا (انتظمت) سرت معهم فى نظام واحد النظام الجوهر (معاشرهم) مصاحبهم (الفيتهم) وجدتهم (أبناء علات) أى غرباء من بلاد مختلفة وبنو العلات الذين أبوهم واحد وأمهاتهم شتى (قذائف فلوات) أى قدرمت بهم القفار والطرق المختلفة واحدتها قذيفة وهى التى يقذف أى يرمى بها (لحمة) أى قرابة (ألفت شملهم) أى جمعت متفرقهم وجعل للأدب لحمة مجازا وجعل الأدب يجمعهم كما يجمع بنى العلات الأدب والبلاد تفرقهم كما تفرق بنى العلات الأمهات . وهذا نحو مايحكى أن دعبلا ذكر عند على بن الجهم فكفره ولعنه وقال كان يظهر على أبى تمام وهو خير منه دينا وشعرا فقال له بعض من حضر لو

فى الرُّتَب ، حتى لاحُوا مِثْلَ كَوَاكِبِ الجوْزَاء ؛ وَبدَوْا كالجُمْلَةِ المُتَنَاسِبَةِ الأجْزاء ، فأَبْهَجَنى الاهْتِداء إلَيْهِم ، وَأَحْمَدْتُ الطَّالِعَ الذى أطْلَعَنى عَلَيْهِم ؛ وَطَفِقْتُ أُفِيضُ بِقِداحِى مَعَ قِداحِهم ، وأسْتَشْفِي بِرِياحِهِم لَا بِراحِهِم ،

حتى أدّتنا شُجون المُفَاوَضَة ؛

أن أبا تمام أخوك مازدت على مدحك فقال إن لم يكن أخى فى النسب فهو أخى فى المودة والأدب أما سمعت ماخاطبنى به وأنشد لأبى تمام :

إن كان يجمعنا الإخاء فإننا　　تغدوا ونسرى فى إخاء تالد
أو نفترق نسبا يؤلف بيننا　　أدب أقمناه مقام الوالد

وكرر ابو تمام هذا المعنى فأحسن بقوله :

ذوالولدمنى وذوو القربى بمنزلة　　وإخوتى أسوة عندى وخلانى
عصابة جاورت آدابهم أدبى　　فهم وإن فرقوا فى الأرض جيرانى
أرواحنا فى مكان واحد وغدت　　أجسامنا فى عراق أو خراسان

وأنشد إسحق الموصلى :

يقولون لى هل من أخ أو قرابة　　فقلت لهم إن الشكول أقارب
نسيبى فى رأيى وعزمى ومذهبى　　وإن باعدتنا فى الولاء المناسب
وليس أخى إلا الصحيح وداده　　ومن هو فى وصلى وقربى راغب

وكان لسليمان بن وهب نديم يأنس به فعربد عليه ليلة فطرحة وجفاه فوقف له بالطريق فلما مر به وثب إليه ثم قال أيها الوزير لاتكن فى أمرى إلا كما قال على بن الجهم :

القوم اخدان صدق بينهم نسب　　من المودة لم يعدل به نسب
تراضعوا درة الصهباء بينهم　　فأوجبوا الرضيع السكاس مايجب
لا يحفظون على السكران زلته　　ولا يريبك من اخلاقهم ريب

فقال قد رضيت عنك رضا صحيحا فعد لشأنك (الرتب) أى المنازل الرفيعة (مثل كواكب الجوزاء) أى فى الإضاءة والرفعة (الجملة المتناسبة الأجزاء) أى المتفقة يعنى مقاديرهم فى الفضل وغيره متساوية لاتفاضل بينهم كالجملة التى لا مزية لبعضها على بعض وأقل جملة حسابية أجزاؤها متناسبة لاكسر فى بعضها ولها النصف والثلث والربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر هى ألفان وخمسمائة وعشرون نصفها ألف ومائتان وستون وثلثها ثمانمائة وأربعون وربعها ستمائة وثلاثون وخمسها خمسمائة وأربعة وسدسها أربعمائة وعشرون وسبعها ثلثمائة وستون وثمنها ثلثمائة وخمسة عشر وتسعها مائتان وثمانون وعشرها مائتان واثنان وخمسون (ابهجنى) أى أفرحنى (أحمدت) وجدته محمودا (الطالع) النجم الذى يسعد به صاحبه وينحس على زعمهم (طفقت) أخذت (أفيض بقدحى) أضرب بسهمى وهذا من فعل الميسر وأراد أنه يمشى كلامه مع كلامهم ويدخل مداخلهم (أدتنا) أوصلتنا (شجون المفاوضة) طرق المراجعة فى الكلام والشجون فى الكلام

إلى التّحاجي بالمقَايَضَة ، كَقَوْلِكَ إذا عَنيتَ به الكرامات ، ما مِثْلُ النَّوْمُ فات ، فأنشأنا نجْلُو السُّهى وَالقمر ، ونجْني الشَّوْكَ والثَّمَر ، وَبَيْنما نحن نَنْشُرُ القَشيبَ والرَّثّ ، ونَنْشُلُ السَّمينَ والغَثّ ، وغَلَ عَلَينا شَيْخٌ قد ذَهَبَ حِبْرُهُ وسِبْرُهُ ، وبَقِيَ خُبْرُهُ وسَبْرُهُ ، فمَثَلَ مُثُولَ مَنْ يَسْمَعُ وينظر ، ويَلْتَقِطُ ما ننثر ، إلى أنْ نُفِضَتِ الأكياس ؛ وحَصْحَصَ اليأس ، فلما رأى إجْبالَ القَرائح ؛ وإكْداء الماتِح والمائِح ،

تداخله واختلاط بعضه ببعض والتفاوض الاندفاع فى الحديث وفى المثل الحديث ذو شجون أى ذو فنون وأصله من الشجر المشجون وهو الشجر الذى التف بعضه ببعض (التحاجى) التفاطن (المقايضة) المعاوضة والمقارضة (الكرى) النوم (فات) بمعنى مات وأراد أن هذا النوم من الألغاز هو أن يؤتى بلفظ عوضا من لفظ آخر يتوارد معه على معنى واحد والمماثلة التى بينهما إنما هى موافقة المعنى (نجلو) نكشف (السها) نجم خفى وقرن السها فى خفائه مع القمر فى ظهوره وإنما يشير إلى قولهم فى المثل أريها السها وتريني القمر وأراد أنهم يأتون بلفظة ظاهرة المعنى وأخرى خفية فلا يتم لهم شىء (القشيب) الثوب الجديد (الرث) الخلق (ننشل) نخرج النشيل وهو لحم يطبخ بلا تابل ثم ينشل أى يخرج بالمنشل وهو حديدة معقفة (ذهب حبره وسبره) هيئته ولونه قال الفراء من قولهم جاءت الإبل حسنة الأحبار والأسبار قال الأصمعى رحمه الله : هى الجمال والبهاء وآثار النعمة يقال فلان حسن الحبر والسبر إذا كان جميلا حسن الهيئة وفى الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أى قد ذهب جماله وبهاؤه ، وسمى الحبر حبرا لأنه يزين الكتاب ويحسن القرطاس وحبرت الشىء زينته وقيل إنه سمى حبرا لأنه يؤثر فى القرطاس فيكون علامة فيما يقع فيه ويقال للأثر حبرة وحبار والسبر الأصل واللون والهيئة والمنظر والسبر ما يدل به على لون الدابة وكرمها ويروى حبره وسبره بكسر أولها وفتحه فاذا كسرا كانا اسمين وإذا فتحا كانا مصدرين وحبره علمه وسبره قياسه (مثل) تمثل قائما (الأكياس) أوعية الدراهم (نفضت) ألقى ما فيها وأراد فراغ كلامهم (حصحص) تبين (اليأس) ضد الرجاء (اجبال القرائح) انقطاعها عن الكلام (اكداء) صعوبة وأصل هذا فى البئر فأول ما يرشح من مائها هو القريحة ثم نقل إلى الطبيعة والذهن وأجبل الحافر إذا حال بينه وبين الماء جبل وأكدى حال بينه وبين كدية والجبل والكدية حجارة وصلابة تعرض فى البئر لا يمكن حفرها معها ثم يقال أكدى أى قل خيره وأجبل الشاعر أى انقطع شعره وأكدى فلان عطائى أى قطعه وقلل خيره ومنه قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى (المائح) المستسقى على فم البئر (المائح) النازل إلى قعرها ليملأ الدلاء ويفرق بينهما بنقطتى الحرف الذى قبل آخرهما فمتى كانتا فوق الحرف فالمستسقى فوق البئر لكثرة الماء ومتى كانتا تحته فالمستسقى فى قعر البئر ليملأ الدلو بيده وذلك لقلة الماء وإذا تكاثرت الدلاء عليه وكثر صياح الناس عليه من رأس البئر وكل يرغبه ليملأ دلوه فيأخذ دلو من لا مال له فيضرب به رجا البئر وجانبه ليرتدع الناس عنه ثم يضرب مثلا للبهان قال الشاعر :

فلا يرمى بى الراجون إنى　　أقل القوم من يغنى مكانى

وقالت جارية من العرب تستعطفه :

جَمَعَ أذيالَه ، وولَّانا قَذَالَه ، وَقالَ ما كلُّ سَوْداء تَمْرَة ، ولا كلُّ صَهْباء خَمْرَة ؛ فاعْتَلَقْنا به اعْتِلاقَ الحِرْباء بالأَعْوَاد ، وَضَرَبْنا دُونَ

يا أيها المائح دلوى دونكا إنى رأيت الناس يحمدونكا

ومن أمثالهم أبصر من المائح باست المساح وأنشد الفنجديهى :

يا مائح العين عدمت الردى من حوض هذى العين كم تستقى
من شبمة المـاء انحدار فلم ماء جفـــونى أبدا يرتقى

(جمع أذياله) شمر ثيابه للقيام (قذاله) قفاه (ماكل سوداء تمرة) مثل ، والسوداء تستعمل للتمرة والفحمة فيقول ماكل الكلام سهل فتتعاطونه وماكل ما جئتم به بفنائق فيدخل باب المقايضة وهو مثل يضرب فى موضع التهمة (الصهباء) الخمر والصهبة أن تعلو الحمرة شقرة وأصوله سود (الحرباء) دويبة تستقبل الشمس بوجهها إذا استوت فى كبد السماء وإن لم يتأت لها الفرصة بوجهها تململت وتقلبت ولم تزل فى قلق حتى تميل الشمس فتستقبلها أعنى قرصها بوجهها حتى تغرب وهى فى طول يومها لا تأكل شيئا فاذا جاء الليل ذهبت تبغى ما تأكل والأنثى منها حرباءة ، وقال أبو عبيدة : الحرباء تستقبل الشمس برأسها أبدا يقال إنما تفعل ذلك لتقى جسدها برأسها ، وقيل الحرباء ذكر أم حبين وفى صدره استرخاء وقرب من الأرض فاذا حميت الأرض بالشمس خاف على صدره أن تحرقه الأرض للزوقه بها فيصعد على عود شجرة فيلتزمه بيديه ويجعله بينه وبين الشمس ، ويضرب به المثل فى التشبث بما تعلق به ، وذلك أنه إذا تعلق بعود التزمه وقبض عليه فلا يفلرقه حتى يستوثق من آخر فيضرب المثل به فيقال أحزم من الحرباء ، وقال قيس بن الحدادية :

بانت سعاد فأمسى القلب مشتاقا وأقلقتها نوى الازماع إقلاقا
واحتث حاديهم بزلا مخيسة كوم الذرا مددا الأعضاد أفياقا
ألا أتيح لها حرباء تنضبه لايرسل الساق إلا ممسكا ساقا

والساق ساق الشجر والتنضب شجر يتعلق بأعواده الحرباء فيقال حرباء تنضبة كما يقال ذئب غضى وقال الأزهرى رحمه الله تعالى الحرباء دويبة على خلقة سام أبرص ذات أربع قوائم دقيقة الرأس مخططة الظهر وأكثر الشعراء من ذكر الحرباء وتشبيهها ومن جيد ذلك قول ذى الرمة :

ودوية جرداء جداء خيمت بها هفوات الصيف من كل جانب
كأن يدى حربائها متشمسا يدا مذنب يستغفر الله تائب

وقال آخر :

وقد جعل الحرباء يصفر لونه ويخضر من لفح الهجر عباعبه
ويسبح بالكفين حتى كأنه أخو فجوة عال به الجزع صالبه

وقال أيضا :

يظل بها الحرباء للشمس ماثلا على الجذع إلا أنه لا يكبر
إذا حول الظل العشى رأيته حنيفا وفى قرن الضحى يتنصر
غدا أكهب الأعلى وراح كأنه من الضح واستقباله الشمس أخضر

وَجْهَتِهِ بِالاسْتِداد ، وَقُلْنا له إنَّ دواءَ الشَّقِّ أنْ يُحاص ، وإلَّا فالقِصاصَ القِصاص ، فلا نَطْمَعْ فى أنْ تَجْرَحَ وَتَطْرَح ، وَتُنْهِرَ الفَتْقَ وتَسْرَح ، فَلَوى عِنانَهُ راجِعا ، ثم جَثَمَ بِمَكانِهِ راصعا ، وقال أمَّا إذا اسْتَثَرْتُمُونى بالْبَحْثِ ؛ فلأحْكُمَ حُكْمَ سُلَيْمانَ فى الحَرْثِ ؛

أخبر أنه يدور مع الشمس فى وقت الزوال حتى تكون الشمس فى حذاء القبلة فكأنه باستقباله لها فى ذلك الوقت مسلم يصلى لها وفى الضحى تكون فى وجه المشرق فكانه نصرانى فيستقبلها بصلاته ، وقال ابن الرومى:

ما بالها قد حسنت ورقيبها أبدا قبيح قبيح الرقباء
ماذاك إلا أنها شمس الضحى أبدا يكون رقيبها الحرباء

(وجهته) أى جهته (والسد) الحاجز بين الشيئين (يحاص) يخاط ويقال حاص ثوبه وعين صقره وشقوق رجليه حوصا وحياصة خاطها وقيل الحوص الخياطة بعد رقعة ولا يكون إلا فى جلد وأنشد يعقوب :

ترى برجليه شوقا فى كلع من بادىء حيص ودام منسلع

(الكلع) الوسخ ومنسلع منشق (القصاص) أخذ الحق فى الجنايات (وتنهر) توسع فترده كالنهر (الفتق) الخرق (وتسرح) تذهب (لوى عنانه) أماله وعطفه (جثم) برك (راصعا) لاصقا بالأرض والرصع تباعد ما بين الركبتين ورصع بالشىء يرصع رصوعا إذا لازمه (استثرتمونى) طلبتمونى واستخرجتم ما عندى (البحث) المناقشة فى السؤال وأصله الصيد تقول استثرت الصيد إذا بحثت عليه حتى تقيمه من مرقده (حكم سليمان فى الحرث) كان سليمان عليه السلام فيما ذكروا أبيض وضيئا جسيما كثير الشعر يلبس من الثياب البياض فلما بلغ مبلغ الرجال كان أبوه فى أيام ملكه يشاوره فى أموره وكان هذا الحكم فيما ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث يانبى الله انفلتت غنم هذا فى زرعى ليلا فرتعت فى حرثى فلم تستبق منه شيأ فقال له داود أذهب فان الغنم لك فملكه رقابها بما أكلت من حرثه فلما خرجا من عنده خطرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بقضاء أبيه فقال لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فأخبر داود عليه السلام فدعاه وقال له كيف كنت تقضى بينهما فقال أدفع الغنم إلى صاحب الحرث فيكون له رسلها ونسلها وصوفها ويبذر صاحبها لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الزرع كهيئته يوم أكل أخذ غنمه فقال داود القضاء ما قضيت به وحكم بقضاء سليمان عليه السلام ، وقال ابن مسعود وشريح ومقاتل أراد بالحرث الكرم وإن الغنم أكلت قضبانه فأفسدته فحكم بها داود لصاحب الكرم ولم يكن بين الغنم والكرم تفاوت فمروا بسليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة فقال يعمل الراعى فى إصلاح الكرم حتى يعود كهيئته ثم يأخذ غنمه ، ومن عجائب حكم سليمان عليه السلام ما رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بينما امرأتان معهما ابناهما إذ جاء الذئب فذهب بأحدهما فقالت هذه إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فاختصما إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فمرتا على سليمان فأخبرتاه فقال عليه السلام ائتيانى بسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى لا ويرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال أبو هريرة رضى الله عنه والله إن كنت سمعت بالسكين قبل ذلك ما كنت أقول إلا المدية

اعْلَمُوا يا ذَوِى الشمائِلِ الأَدَبِيَّة ، وَالشَّمُولِ الذَّهَبِيَّةِ ؛ أنَّ وضعَ الأُحْجِيَّة لامتِحانِ الأَلْمَعِيَّة ؛ واسْتِخْرَاجِ الخَبِيئَةِ الخَفِيَّة ، وشَرْطها أنْ تَكُونَ ذاتَ مُماثَلَةٍ حَقِيقِيَّة ؛ وأَلْفاظٍ معنوية ، ولَطِيفَةٍ أَدَبِيَّة ؛ فَمَتى نافَتْ هذا النَّمط ، ضاهَتِ السَّقَط ، ولم تَدْخُلِ السَّفَط ، وَلم أَرَاكُمْ حافَظْتُمْ على هذهِ الحُدُود ،

(الشمائل) الخلائق والطبائع (والشمول الذهبية) الخمر الحمراء وذكر فى هذه المقامة أنهم سبأوا قهوة وذكر هنا أنها فى لونها حمراء والعرب تتمدح بشرب الخمر السبيئة وتصفها بالحمرة كقول الأعشى وهو فى أوصافها فى الجاهليين كالحسن فى الاسلاميين وحبه فيها صده عن الإسلام :

وسبيئة مما تعتق بابل ... كدم الذبيح سلبتها جريالها

وقوله أيضا:

فقمنا ولما يصيح ديكنا ... إلى خمرة عند جدادها
فقات له هذه هاتها ... بالدماء فى حبل مقتادها
فقام فصب لنا قهوة ... تسكننا بعد ارعادها
كميت تكشف عن حمرة ... إذا صرجت بعد ازبادها
فجال علينا باريقة ... مخضب كف بفرصادها
فرحنا تنعمنا نشوة ... تخور بنا بعد قصادها

وقال أبو ذؤيب:

ولا الراح راح الشام جاءت سبيئه ... لها غاية تهدى الكريم عقابها
عقار كماء التبر ليست بمحضة ... ولا خلة يكوى الشروب شهابها

وقال الحسن:

وخمار أنحت عليه ليلا ... قلائص قد تعين من السفار
فترجم والكرى فى مقلتيه ... كمخور شكا ألم الخمار
ابن لى كيف سرت إلى حريمى ... وثوب الليل مصبوغ بقار
فقلت له ترفق بى فانى ... رأيت الصبح من خلل الديار
فكان جوابه أن قال كلا ... وماصبح سوى صبح العقار
وقام إلى الدنان فسد فاها ... فعاد الليل مسدول الازار

وقال عبد الصمد:

وخيمة ناطور تحف بروضة ... يحيك منها وردها والبنفسج
وأشمط أعلى وسطها بعد هجعة ... تراه بها من قره ايشنج
دعوت فلبى وهو بالصوت عارف ... وأقبل نحو الباب بزهو ويهرج
فقلت له المصباح إن كنت مسرجا ... فقال قفوا فالخمر فى الكاس تسرج

(لامتحان الالمعية) أى لاختبار الفطنة (نافت) باعدت (النمط) النوع يقال لزم هذا النمط أى هذا المذهب والفن والطريق (ضاهت) شابهت (السقط) ردىء المتاع ومالا يعبأ به (السفط) وعاء لجميع الثياب الرفيعة

ولامِزْتُمْ بينَ المَقْبول والمَرْدُود ، فقُلنا له صَدَقْت ؛ بالحَقّ نَطَقْت فَكِلْ لنا مِنْ لُبابك ، وأفِضْ عَلينا مِنْ عُبابك ، فقال أَفعَلُ لِئلّا يَرْتابَ المُبطِلون ، ويَظُنّوا بِىَ الظُّنُون ، ثم قابلَ ناظُورَةَ القَوْمِ وقال :

يا مَنْ سَما بِذَكاء   فى الفَضْلِ وارِى الزِناد
ماذا يُماثِلُ قَوْلى   جُوعٌ أَمَدٌ بزادِ

ثم ضحِكَ إلى الثانى وأنشَد :

يا ذا الذى فاقَ فَضْلا   ولم يُدَنِّسْهُ شَيْنُ
ما مِثْلُ قَول المحاجى   ظَهْرٌ أصابَتْهُ عَيْنُ

ثم لحظَ الثالِثَ وأنشأ يقول :

يا مَنْ نَتائِج فِكْرِه   مِثْلُ النُّقُودِ الجائزَه
ما مِثْلُ قَوْلكَ للّذى   حاجَيْتَ صادَفَ جائزَه

ثم أَتلَعَ إلى الرّابِعِ وقال :

أيا مُسْتَنْبِطَ الغامِضِ مِنْ لُغزٍ وإضْمارِ
ألا اكْشِفْ لِىَ ما مِثْلُ تَغاوَلَ أَلْفَ دِينارِ

ثم رَمَى الخامِسَ بِبَصَرِه وقال :

يا أيُّهذا الأَلْمَعِىُّ   أخُو الذَّكاء المُنجلِى
ما مِثْلُ أَهْمِلْ حِلْيَةً   بَيْن هُدِيت وعَجِّل

ثم الْتَفَتَ لِفتَ السادِسِ وقال :

يا مَنْ تُقَصِّرُ عَنْ مَداهُ خُطَى مُجارِيه وتَضْعُفْ
ما مِثْلُ قَوْلكَ للّذى أضْحَى يُحاجِيكَ اكْفُفِ اكْفُفْ

وسفط العلوم الكتب أى لم تكتب ولم تدون فى الكتب (مزتم) فرقتم (لبابك) خالص ماعندك (أفض) صب (عبابك) بحرك وعب البحر عبابا هاج واضطرب (يرتاب) يشك (ناظورة القوم) كبيرهم الذى ينظرون اليه (سما) ارتفع (ذكاء) جودة الذهن (وارى) مبدى النار أى زنده متى ضرب أورى نارا (فاق) فضل غيره (النتائج) مايولده الفكر من الكلام (النقود) الدراهم (اتلع) مهد عنقه ونصبه وتلع الرجل يتلع تلعا أحرج رأسه من شىء كان فيه (مستنبط) مستخرج (الغامض) الخفى وغمض غموضا دق وأحوج إلى النظر (الألمعى) هو الذكى أى صاحب الفطنة (التفت لفت) أى قصد قصده بالنظر ولفت عنقه إلى أى لواها ناظرا إلى (مداه) غايته (خلج) غمز وقال الراجز : قد خلجت بحاجب وعين (تجلت) ظهرت

ثم خَلَجَ السَّابعَ بحاجبِه وقال :

يا مَنْ له فِطْنَةٌ تجلَّتْ ورُتْبَةٌ فى الذَّكاء جلَّتْ
بَيِّنْ فما زِلْتَ ذا بيانٍ ما مِثْلُ قَوْلى الشَّقيقُ أفلت

ثم اسْتَنْصَتَ الثامِنَ وأنشد :

يا مَنْ حَدائقُ فَضْلِهِ مَطْلُولَةُ الأزهارِ غَضَّه
ما مِثْلُ قَوْلِكَ للمحا جى ذِى الحِجَى مااختارَ فِضَّه

ثم حَدَجَ التَّاسعَ ببَصَرِهِ وقال :

يا مَنْ يُشارُ إليهِ فى الـ ـقَلْبِ الذَّكِيِّ وفى البَراعَه
أوْضِحْ لنا ما مِثْلُ قَوْ لِكَ للمُحاجِى دُس جَماعَه

قال الراوى : فلما انتهى إلىَّ ، هَزَّ مَنْكِبِيَّ ، وقال :

يا مَنْ لهُ النُّكَتُ التى يُشْجِى الخُصُومَ بها ويَنْكُتْ
أَنْتَ المُبِينُ فَقلْ لَنا ما مِثْلُ قَوْلِى خالِيَ اسْكُتْ

ثم قال : قد أنْهَلْتُكُمْ وأمْهَلْتُكُمْ ، وإنْ شِئْتُمْ أُعَلِّكُمْ عَلَلْتُكُمْ ، قال : فألْجأنا لَهَبُ الغُلَل ، إلى استِسْقاء العَلَل ، فقال لَسْتُ كَمَنْ يَسْتأْثِرُ على نَدِيمِه ولا مِمَّنْ سَمْنُهُ فى أدِيمِه ، ثم كَرَّ على الأوَّلِ وقال :

يا مَنْ إذا أشْكَلَ المُعَمَّى جَلَتْهُ أفكارُهُ الدَّقيقَه
إنْ قالَ يوماً لكَ المُحاجِى خُذْ تِلْكَ مامِثْلُهُ حَقيقَه

ثم ثَنَى جِيدَهُ إلى الثانى وقال :

يا مَنْ بَدا بيانُهُ عَنْ فَضْلِهِ مبيِّنا
ما ذا مِثالُ قولهم حِمارُ وَحْشٍ زُيِّنا

ثم أوْحَى إلى الثالثِ بلَحْظِه وقال :

يا مَنْ غَدا فى فَضْلِهِ وذَكائِه كالاصْمَعِى
مامِثْلُ قَوْلِكَ للَّذى حاجاكَ أنفِقْ تَقْمَعِ

(جلت) عظمت (استنصت) سكت (حدائق) بساتين (مطلولة) أصابها الطل (غضة) ناعمة (الحجا) العقل (حدج) رمى (البراعة) الفصاحة ووفور العقل (يشجى) يغص والغصيص الاختناق (ينكت) قلبهم على رؤسهم وطعنه فنكته ألقاه على رأسه وعند القضاغي يشجي وينكت أى يسكت على ذلك (أنهلتكم) أسقيتكم والنهل الشرب الأول والعلل الشرب الثانى (أعلكم) أسقيكم عللا (لهب الغلل) أى حر العطش (يستأثر) أى يخص نفسه بشيء دون أصحابه (سمنه فى أديمه) أى خيره موقف عليه والأديم هنا زق السمن وأصل المثل سمنكم

ثم حَملَقَ إلى الرَّابعِ وأنشدَ :

يا مَنْ إذا ما عَوِيصٌ دَجا أنارَ ظَـلامَهْ
ماذا يُمـاثلُ قَوْلى إستَنْشِ رِيحَ مُدامَهْ

ثم أوْمَضَ إلى الخامِسِ وقال :

يا مَنْ تَنزَّهَ فَهْمُـه عَنْ أنْ يُرَوِّىَ أو يَشُكاَّ
ما مِثْـلُ قَوْلِكَ للذى أضْحَى يُحاجِى غطَّ دَلْكَى

ثم أقبلَ قِبَلَ السَّادِسِ وأنشدَ :

يا أخا الفِطْنَةِ التى بانَ فيها كَمالُهُ
سارَ بالَّليلِ مُدَّةً أىُّ شَىْءٍ مِثالُهُ

ثم نَحا بَصَرَهُ إلى السَّابعِ وقال :

يا مَنْ تَحَلَّى بِفَهْمٍ أقامَ فى النَّاسِ سُوقَه
لَكَ البَيانُ فَبَيِّنْ ما مِثْلُ أخْبِبْ فَرُوقَه

ثم قَصَدَ الثامنِ إليهِ وأنشد :

يا مَنْ تَبوَّأَ ذِرْوَةً فى الْمجدِ فاقَتْ كلَّ ذِرْوَهْ
ما مِثْلُ قَوْلِكَ أعْطِ إبْـ ـرِيقاً يَلُوحُ بِغَيْرِ عُرُوَه

ثم ابْتَسَمَ إلى التَّاسعِ وقالَ :

يا مَنْ حَوَى حُسْنَ الدِّرا يَةِ والبَيانِ بِغَيْرِ شَكّْ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحا جِى ذِى الذَّكاءِ الثَّوْرُ مِلْكِى

ثم قَبَضَ بجُمْعِهِ على رُدْنى وقالَ :

يَا مَنْ سَما بِثُقوبِ فِطْنَتِهِ فى المُشْكِلاتِ ونُورِ كَوْكَبِهِ
مَاذَا مِثالُ صَفِيرِ حَجْفَلَةٍ بَيِّنْهُ تِبْيَانًا يُنَمُّ بِهِ

هريق فى أديمكم أى خبركم موقف عليكم قاله أبو عبيدة وخطأ البكرى فى تفسير الأديم بالزق وقال إنما الأديم هنا طعامكم المأدوم فعيل بمعنى مفعول أى خيرهم راجع اليهم وهو قول الأزهرى رحمه الله ولم ينكر الأول وهو مثل يضرب للبخيل ولمن لايتعداه خبره وينفق على نفسه دون غيره.. وقمعه يقمعه ضربه بالمقمعة أى قهره وكفه وقمع الشراب واقمع مر فى الحلق مرا بغير جرع (كر) عطف (جيده) عنقه (أ.حى) أشار (حملق) أحد النظر (عويص) صعب (دجا) اسود (أنار) جعل فيه النور (تنزه) تباعد (يروى) يفكر وقد روأت الحديث إذا دبرته وهيأته (بان) تبين (تحلى) تزين (تبوأ) نزل (الذروة) أعلى الشىء (ثقوب)

قال الحارثُ بنُ همّام : فلما أطربَنا بما سمعْناهُ ، وطالَبنا مُكاشفةَ معْناه ، قلنا لهُ لَسنا منْ خيلِ هذا المَيدان ، ولا لَنا بحلِّ هذه العُقدِ يدان ، فإنْ أبنْتَ ، مَنَنْت ؛ وإنْ كتَمْتَ غمَمْت ، فظَلَّ يُشاورُ نفسَيْه ويُقلِّبُ قدحَيْه ، حتى هانَ بذلُ الماعونِ عليه ، فأقبلَ حينَئذٍ على الجماعةِ ، وقال يا أهلَ البلاغةِ والبَراعة ، سأعلِّمُكم ما لم تكونوا تعلَمون ، ولا ظنَنْتُم أنكمُ تعلَمون ، فأوْكوا عليهِ الأوعيَة ، وروِّضوا بهِ الأنديَة ، ثم أخذَ في تفسيرٍ صَقلَ به الأذهان ، واستفرَغَ معَهُ الأردان ، حتى آضَتِ الأفهامُ أنورَ منَ الشمسِ ، والأكمامُ كأنْ لم تغنَ بالأمس ؛ ولمّا همَّ بالمفرّ ، سُئِلَ عنِ المَقرّ ، فتنفَّسَ كما تتنفَّسُ الثَّكول ، ثم أنشأ يقول :

كلُّ شِعْبٍ لِيَ شِعْبُ ... وبهِ رَبْعِيَ رَحْبُ

غيرَ أني بِسَروجٍ ... مُسْتهامُ القلْبِ صَبُّ

نفوذ (أبنت) بينت (مننت) أفضلت علينا (نفسيه) أراد أنه يردد رأيه هل يفعل أولا يفعل فكأن له نفسين يردد المشهورة عليهما حتى يظهر لها الرأى الارجح فيهما فيبنى عليه وقال حويرث العبدى :

لكل امرىء نفسان نفس كريمة ... ونفس يعاصيها الفتى أو يطيعها

وقد تقدم معنى يقلب قدحيه (الماعون) المعروف وقال يونس الماعون فى الجاهلية كل عطية ومنفعة فى الاسلام الزكاة والطاعة وقال ابن عباس الماعون المعروف كله حتى ذكر القدر والقصعة والفأس وحكى الفنجديهى عن ابن عباس الماعون العارية وقال الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس والماء والملح ونحوها وقال الأعشى : بأجود منه بماعونه إذا ماسماؤهم لم تغم

والأظهر فيه أنه من العون وأصله معوون بوزن مفعول فقدمت الواو التى بعد العين فصار موعون ثم قلبت ألفا كما قيل ياجل وحكى الفراء عن بعض العرب الماعون الماء فيكون على هذا مفعولا من العين ويعل كما عل من العون أو يكون فاعولا من معن الماء إذا سال وهو أيضا قول من اشتقه من قولهم ممعن هربا أو من قولهم عين معين قال قطرب ماعون فاعول من المعن وهو الشىء اليسير ومنهم من قال أصله معونة والألف بدل من الهاء (أوكوا) أى شدوا (روضوا) زينوا واجعلوها مثل الرياض (الاردان) الأكمام (آضت) رجعت أذهانهم مضيئة بالفهم وزال عنها الالتباس (تغن بالأمس) يريد أن أكمامهم كانت بالامس ممتلئة بالدراهم فتفرغت اليوم إذ وهبوا له ما فيها (المفر) المهرب (المقر) المنزل والبلد (الثكول) المرأة الثكلى الفاقدة لاحبابها (شعب) أى طريق أى كل بلد لى بلد (ربعى رحب) أى منزلى متسع (المستهام) الذى غلب الحب على قلبه فخرج هائما على وجهه لايدرى أين يتوجه وهام يهيم ذهب عقله فخرج فى غير الطريق وقيل الهائم العليل القلب على الذى يجد فى قلبه هياما وهو وجع يجده البعير فلا يروى من شرب الماء قال عروة بن حزام :

بى اليأس أوداء الهيام أصابنى ... فاياك عنى لا يكن بك ما بيا

هى أرضى البِكْرُ والجوُّ الذى منْـــهُ المَهبُّ
وإلى رَوْضتِها الغَنَّـ ـاءِ دُون الرَّوْضِ أصْبُو
ما حَلالِى بَعْدَها حُلْـ ـوٌ ولا اغذَوْذَبَ عَذْبُ

قال الراوى : فقلتُ لأصْحابى هذا أبو زَيدِ السَّرُوجى ؛ الذى أدْنى مُلَحِهِ الاحاجى ، وأخذْتُ أصِفُ لَهُمْ حُسْنَ تَوْشِيَتِهِ ؛ وانْقيادَ الـكلامِ لِمَشِيَّتِهِ ؛ ثم الْتفَتَ فإذا بِهِ قدْ طَمَر ؛ ونَاءَ بِنا قَمَر ، فَعَجِبْنا مِمَّا صَنَعَ إذْ وَقَع ، ولم نَدْرِ أيْنَ سَكَعَ وصَقَع

أو يكون من التهويم وهو هجوم النوم وهو فى الأوجه الثلاثة اسم مفعول وكان قياسه مستهيما إلا أنه لما كان كأنهمغلوب على ذلك جاء على هذا وحذف به لدلالة المعنى (الصب) العاشق (البكر) التى ولدت بهما (الجو) اسم لنواحى السماء (مهب الريح) موضع هبوبها من الجو واراد بلدته التى يجىء منها ويخرج عنها للبلاد (الغناء) الكثيرةالاشجاروتقدمت علتها (أصبو)أميل (أدنى) أقل (توشيته) تزيينه كلامه(مشيئته)ارادته (طمر) وثب وهو من الاضداد يقال طمرت الشىء سترته وطمر الجرح سفل وعلا أيضا ومنه قيل للبرغوث طامر لنزوه وارتفاعه (ناء) نهض (قمر) حازه بالقمار (سكع) مشى مشىالمتعسف (صقع)ذهب وقيل لم يدر أين صقع أى أين ذهب والسكع الذهاب على غير هداية والصقع الناحية من الأرض وما أدرى أين صقع أى أى ناحية قصد من الأرض .

فصل فى تفسير الأحاجى

إذا أردت أن تعرف المماثلة فى هذه الاحاجى فتنظر جوع أمد بزاد فتقابله بطوامير فتقسم هذه اللفظة فتقابل القسم الأول وهو طوا بقولك جوع فتجده مثله فى المعنى وتقابل بالقسم الثانى وهو مير قولك أمد بزاد فتجده مثله فى المعنى والمير الامداد بالزاد ومير الرجل أعطى نفقة وقوتا لعياله فهذه المماثلة الحقيقية التى قدم وكذلك تقابل ظهر إصابته عين بقولك مطاعين فتجد المطا الظهر وعين الرجل أصيب بالعين وكذلك صادف جائزة هى ألفى صلة وألفى هى صادف والجائزة هى الصلة تصل بها من قصدك وإن تركت الالفاظ منظومة بغير تقسيم ينتج منها معنى آخر فيقال لك ما الطوامير فتقول الكتب الواحدة طومار والمطاعين جمع الطعان وهو الكثير الطعن والفاصلة التى تقع بين شيئين فتفصل هذا من هذا والفاصلة فى العروض توالى أربعة أحرف أوثلاثة متحركة بعدها ساكن وهكذا هى المقايضة فى هذه المقامة تصل اللفظة فيكون لها معنى وتفصلها فيكون لهامعنى آخر .

المقامة السابعة والثلاثون الصعدية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال: أصعَدتُ إلى صَعْدة، وأنا ذو شَطاطٍ يَحكي الصَّعْدة؛ واشتدادٍ يَبذُرُ بَناتِ صَعْدة، فلمّا رأيتُ نَضرتَها، ورعَيتُ خُضرتَها؛ سألتُ نَحاريرَ الرُّواة، عمّن تَحويه مِنَ السَّراة، ومعادِنِ الخيرات، لأتّخذَه جَذْوةً في الظلمات؛ ونَجدةً في الظلامات فنُمِيَ لي قاضٍ بها رَحيبُ الباع، خَصيبُ الرِّباع؛ تَميميُّ النَّسَبِ والطِّباع

شرح المقامة

(أصعدت) طلعت وارتفعت قال يعقوب الاصعاد إلى نجد واليمن والحجاز والانحدار الى العراق والشام وعمان وقال الاخفش أصعد فى البلاد سار فيها ومضى وأصله الذهاب فى الصعود وهو الارتفاع ثم توسعوا فى ذلك قال الفراء رحمه الله الاصعاد فى الابتداء الاسفار والمخارج تقول أصعدنا من مكة إلى بغداد وأصعدنا من بغداد إلى خراسان فاما فى السلم فتقول صعدت فيه لا أصعدت قال يعقوب رحمه الله تعالى صعد فى الجبل وأصعد فى البلاد انحدر فيها وصعد وارتقى (صعدة) مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء ستون فرسخا وتحكم فيها صنعة الجلود والجلد الصعدى فى غاية الجودة ويضرب المثل بحسن نسائها (الشطاط) طول القامة (الصعدة) الرمح (اشتداد) جرى (يبذر) يسبق (بنات صعدة) حمر الوحش (نضرتها) خصبها ونعمتها والنضرة صفاء اللون وبريقه (نحارير) علماء والنحرير الماهر والحاذق الذى جرب الامور وعرفها وهو اسم يحمل وجوها من المدح فيفسر النحرير بالعالم والمفلق والحاذق والماهر والعادل (السراة) السادة وهو جمع سرى وهو السيد الشريف وجمع فعيل على فعلة عزيز لا يعرف غير هذا (الجذوة) الجمرة الغليظة العظيمة وجيمها بثلاث حركات ويجمع ثلاثيها نحو جذا وجدا وجذا (نجدة) قوة وعونا (الظلامات) جمع ظلامة وهو ما يشتكيه المظلوم (رحيب الباع) واسع العطاء فكنى بالباع عن ذلك والعرب إذا وصفت الرجل بالسخاء قالوا هو رحيب الباع وطويل الباع وكريم الباع والباع والبوع بسط اليد بالمعروف وقد باع يبوع منه ويقال للبخيل قصير الباع (خصيب الرباع) أى هو كثير المال فجمع له مع كرمه كثرة ماله فالناس يجدون فى كنفه الخصب وقد يراد بخصيب الرباع نافق سوق الاحكام فالمتعلق به يجد الخصب (تميمى النسب) أى من بنى تميم وشرط الطباع مع النسب وهو يريد أنه كامل تام فى خلقه فنسب قبيلته لتميم وطباعه للتمام والكمال فغلب أحدهما وشرك بينهما للقرب قال ابن شرف فيما يلم بهذا التشريك ويحسن أن يمدح قاضى المقامة به لجوده :

جاور عليا ولا تحفل بحادثة   إذا ادرعت فلا تسأل عن الاسل
اسم حكاه المسمى فى الفعال فقد   حاز العليين من قول ومن عمل
فالماجد السيد الحر الكريم له   كالنعت والعطف والتوكيد والبدل
زان العلا وسواه شانها وكذا   تميز الشمس فى الميزان والحمل

فلم أزَلْ أتقرّبُ إليهِ بالإلمام وأُتَنفَّقُ عليهِ بالإجْمَام ، حتى صِرتُ صَدَى صَوتِهِ ، وسَلْمَانَ بَيْتِه

وربما عابه ما يفخرون به يشنا من الخصر مايهوى من الكفل
سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملء المسامع والأفواه والمقل

فانه أراد بقوله حاز العليين أى حاز عليا بالاسمية والعلو بالفعلية وهذا مثل ما تقدم للحريرى :

جاد بالعين حين أعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين

فقد أوقع التشبيه على شيئين يتفقان فى اللفظ ويختلفان فى المعنى وقد أنشدنا فيم تقدم لبعض المتأخرين :

فكيف أصبر عنها اليوم إذ جمعت طيب الهواءين ممدود ومقصور

فالمقصور هوى النفس والممدود الهواء الذى بين السماء والأرض وقد قدمنا فى تفسير قول الحريرى وحيا المسجد بالتسليمتين أن السلام الواحد على من فى المسجد عند دخوله والثانى تحليل الصلاة وقوله هنا تميمى النسب والطباع من هذا القبيل وأكثره فى كلام المولدين وهو مستعمل فى كلام العرب ، ولا يبعد أن يكون من هذا قولهم التقى الثريان فانهم يريدون بذلك كثرة المطر وأنه يبلغ فى الأرض إلى التراب الندى فالثرى الواحد المطر والثانى التراب الندى على أنه يحتمل أن يريد بذلك أن التراب اليابس لما بله المطر حتى لحق بالتراب الندى صار اليابس منهما يسمى ثرى فقيل الثريان ، وقال النابغة :

وقدأبقت صروف الدهر منى كما أبقت من السيف اليمانى
يصمم وهو مأثور جرار إذا جمعت بقائمه اليدان

فسره أبو عبيدة البكرى وغيره بأنه أراد بذلك الخارجين والأيد الذى هو القوة فجمع على الأخف ؛ فهذا من قبيل ما قدمناه ، ولا يحضرنى الآن غـــير هذا من كلام العرب (الإلمام) أى تخفيف الزيارة (أتنفق) أتخرج والنفاق ضد الكساد (الاجمام) الزيارة (صدى صوته) أى متى دعاه وجد حاضره مجيبا له والصدى صوت الجبل الذى يرد عليك إذا صحت وابن همام فى هذه المقامة شرطى القاضى (وسلمان) الذى ذكره هو سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه ويعرف بسلمان الخير . قالت عائشة رضى الله عنها : كان لسلمان رضى الله عنه مجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفرد به فى الليل حتى كاد يغلبنا عليه، وقال عليه الصلاة والسلام : أمرنى ربى بحب أربعة وأعلمنى أنه يحبهم : على ، وأبو ذر ، والمقداد ؛ وسلمان رضى الله تعالى عنهم ؛ وأتى أبو سفيان على سلمان وصهيب وبلال فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها ، فقال أبو بكر رضى الله عنه أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ وأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فقال يا إخوتاه أغضبتكم فقالوا لا ويغفر الله لك ، وكان من أبناء أساورة فارس وأصله من رام هرمز وقيل كان من أصبهان وكان يطلب دين الله ويتبع من يرجو ذلك عنده فدان بالنصرانية وغيرها وقرأ الكتب وصبر فى ذلك على مشقات نالته وكلها مذكورة فى إسلامه فى كتب السير وقيل تداوله فى ذلك بضع عشر ربا حتى أفضى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فاشتراه من قوم من اليهود ؛ وأول مشاهده الخندق وهو الذى أشار بحفره فقال أبو سفيان وأصحابه هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها وسئل على عنه فقال علم علم الأول بحر

وكُنْتُ مَعَ اشْتِيارِ شُهْدِهِ ، وانْتِشاقِ رَنْدِهِ ، أَشْهَدُ مَشاجِرَ الْخُصُومِ ، وأَسْفِرُ بَيْنَ الْمَعْصُومِ مِنْهُمْ والْمَوْصُومِ ؛ فَبَيْنَما القاضِي جالِسٌ لِلإِسْجالِ ، فِي يَوْمِ الْمَحْفِلِ والاحْتِفالِ ، إِذْ دَخَلَ شَيْخٌ بالِي الرِّياشِ ، بادِي الارْتِعاشِ ، فَتَبَصَّرَ الْحَفْلَ تَبَصُّرَ نَقّادٍ ؛ ثُمَّ زَعَمَ أَنَّ لَهُ خَصْماً غَيْرَ مُنْقادٍ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَضَوْءِ شَرارَةٍ ، أَوْ وَحْيِ إِشارَةٍ ، حَتَّى أُحْضِرَ غُلامٌ ، كَأَنَّهُ ضِرْغامٌ ، فَقالَ الشَّيْخُ أَيَّدَ اللهُ القاضِيَ ، وعَصَمَهُ مِنَ التَّغاضِي ؛

لا ينزف منا أهل البيت، وفى رواية هو مثل لقمان الحكيم وكان فاضلا حبرا زاهدا عالما متقشفا وتعلم الخوص فقيل له لم تعمل هذا وأنت امير وقد أجرى عليك رزق فقال إنى أحببت أن آكل من عمل يدى وكان يتصدق بما يرزق من بيت المال وكانت له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها ، وقال صلى الله عليه وسلم لو كان الدين فى الثريا لناله سلمان . . أبو هريرة رضى الله عنه : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ سورة الجمعة فلما قرأ « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم » وفينا سلمان وضع يده على سلمان ثم قال : لو كان الايمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء ، وتوفى فى آخر خلافة عثمان رضى الله عنه وماترك شيئا يورث عنه وفضائله كثيرة وعلى قولهم لابى بكر لا ويغفر الله لك قال أبو محمد فى الدرة : وربما أجاب المستخبر بلا النافية ثم عقبها بالدعاء له فيستحيل الكلام إلى الدعاء عليه كما روى أن أبا بكر رضى الله عنه رأى رجلا بيده ثوب فقال أتبيع هذا فقال لا عافاك الله فقال أبو بكر رضى الله عنه لقد علمتم لو تعلمون فهلا قلت لا وعافاك الله ؛ قال أبو محمد والمستحسن ما قال يحى بن أكثم للمأمون وقد سأله عن أمره فقال لا وايد الله أمر أمير المؤمنين ، وحكى أن الصاحب بن عباد لما سمع هذه الحكاية قال والله لهذه الواو أحسن من واوات الأصداغ فى خدود المرد الملاح (اشتيار شهده) أى استخراج عسله وأراد اجتناء منفعته (انتشاق) شم ، يقال نشق الريح الطيبة نشقا وانتشق وتنشق شمها (الرند) شجر طيب الرائحة ، قال ابن دريد رحمه الله هو الآس وقال الجوهرى رحمه الله : ربما سمى العود رندا (مشاجر الخصوم) مواضع الخصام التى يتشاجر فيها الخصمان ، أى يمتزج كلام هذا بكلام هذا ، من الشجر واحدها مشجر وقد يراد بها المصدر وجمع لاختلاف أنواعه (أسفر) مشى بينهم بالصلح (المعصوم) المحفوظ من الوقوع فيما يحذر ، وأصل العصمة فى كلامهم المنع وعصمته من كذا إذا منعته والله يعصمك من الناس أى يمنعك (الموصوم) ذو الوصم وهو العيب فأراد أنه يصلح بين أهل الخير والشر (للاسجال) للحكم وأسجل القاضى على نفسه بالحكم وسجل إذا كتب على نفسه فأراد أنه جلس للحكم فى العقود والسجلات (محفل) القوم مجتمعهم (الاحتفال) كثرة الناس واجتماعهم ومعنى احتفل الرجل جمع وأراد يكثر من الشىء الذى قصد وجمع المحفل محافل ومنه الشاة المحفلة وهى التى يحبس لبنها أياما فى ضرعها لاتحلب (الرياش) الثياب (تبصر الحفل) نظر الجميع وشخص فيهم (نقاد) مفتش كأنه ينقد ببصره الرجال ويريد أنه نظر من شرط القاضى أهل الحزم والجراءة فأخبرهم بقصة ابنه فانطلقوا فأتوا به ، ونقاد الدراهم الذى يمعن النظر فيها والتقليب لها ليميز جيدها من رديئها (وحى إشارة) يريد إشارة العين إذا غمزت من تريد أن يفهم إشارتك دون غيره والوحى الإيمان الخفى (ضرغام) أسد فى عظم خلقته وشدته (التغاضى) التغافل والسكوت عن الظلم

إنَّ ابني هذا كالقلمِ الرَّدِي ، والسَّيفِ الصَّدِي ، يَجْهَلُ أوصافَ الإنصاف ، ويَرْضَعُ أخلافَ الخِلاف ، إنْ أقْدَمْتُ احْجَم ، وإذا أعْرَبْتُ أعْجَم ، وإنْ أذْكَيْتُ أخْمَد ، وَمتى شَوَّيْتُ رَمَّدَ ، مَعَ أنِّي كَفَلْتُه مُذْ دَبَّ ، إلى أنْ شَبّ ، وكُنْتُ لهُ ألطفَ مَنْ رَبّي ورَبّ ، فأكبَرَ القاضي ما شَكا إليْه ، وأطْرَفَ بهِ مَنْ حَوالَيْه ، ثم قال أشْهَدُ أنَّ العُقوقَ أحَدُ الثُّكْلَين ،

(الصدى) الذى علاه الصدأ وهو وسخ السيف (الأخلاف) جمع خلف وهو ما يحلب منه اللبن ويقبض عليه الحالب ، قال ابن دريد وقيل الخلف للناقة كالضرع البقرة (أحجم) تأخر (أعربت) أوضحت (أعجم) أبهم ولبس (أذكيت) أوقدت (أخمد) أطفأ وخمدت النار طفىء لهبها (كفلته) ربيته (دب) مشى مشى صغير على يديه ورجليه (شب) صار شابا (ألطف) اشفق وراق (رب) أصلح يريد أنه اصلح أحواله واحسن تربيته تحرزا من أن ينسبه القاضى إلى تقصير (أكبر) رآه كبيرا (أطرف) اعجب وجعلهم يتطرفون خبره (الثكلين) الفقدين يريد أن الرجل إذا عقه ولده ولم يبره فكأنه قد فقده . ومما جاء فى العقوق : كان جرير الشاعر أعق الناس بأبيه وكان بلال ابنه كذلك فراجع جرير بلالا فى الكلام فقال بلال الكاذب بينى وبينك ناك امه عليه وقالت ياعدو الله تقول هذا لأبيك فقال جرير دعيه فكأنه سمعها منى وأنا أقولها لأبى . . . وممن شهر عنه العقوق بو الديه الحطيئة الشاعر ، قال يهجو أباه :

لحاك الله ثم لحاك حقا ... أبا ولحاك من عم وخال
فبئس الشيخ أنت لدى المخازى ... وبئس الشيخ أنت لدى المعالى
جمعت اللؤم لا حياك ربى ... وأبواب السفاهة والضلال

وقد تقدم هجو نفسه وأمه ، وممن هجا أباه غيرُه على بن بسام وما سلم من هجائه أمير ولا وزير ولا كبير ولا صغير ، ومما قال فى أبيه

هبك عمرت عمر عشرين نسرا ... اترى انى اموت وتبقى
فلئن عشت بعد موتك يوما ... لأشقن جيب مالك شقا

وقال فيه أيضا : بعثت لأستهديك عيرا ولم اكن ... علمت بأن العير صار لنا صهرا
فوجه به كى نشترك فى ركوبه ... فتركبه بطنا وأركبه ظهرا

وقال فيه ايضا : شدت دارا خلتها مكرمة ... سلط الله عليها الغرقا
وارانيك صريعا وسطها ... وأرانيها صعيدا زلقا

وقال فيه أيضا : بنى ابو جعفر دارا فشيدها ... ومثله لخيار الدور بناء
فالجوع داخلها والذل خارجها ... وفى جوانبها بؤس وضراء
ماينفع الدار من تشييد حائطها ... وليس داخلها خبز ولا ماء

وكذب ، كان ابو جعفر محمد بن نصر بن منصور بن بسام فى نهاية السؤدد والمروءة والنظافة ، رجل مترف نبيل المركب مليح الملبس ظريف الغلمان له همة فى تشييد البنيان ومارثاه ابن الرومى به يدل على كذب ابنه قال ابن الرومى فيه

وَرُبَّ عُقْمٍ أَقَرُّ لِلْعَيْن، فقال الغلام، وقد أمْعَضَهُ هذا الكلام: والذى نَصَبَ القُضَاةَ للعَدْل، ومَلَّكَهم أعنةَ الفَضْل والفَصْل، إنَّما دَعا قَطُّ إلاَّ أمَّنْتُ، ولا ادَّعى إلاَّ آمَنْت، ولا لَبَّى إلا وأحْرَمْت، ولا أوْرَى إلاَّ وَأضْرَمْت، بَيْدَ أنَّهُ كَمَنْ يَبْغِى بَيْضَ الأَنُوق، وَيطلبُ الطَّيَرَانَ مِنَ النُّوق ؛ فقال له القاضى وبِمَ أعْنَتَك

أودى محمد بن نصر بعدما ... ضربت به فى جوده الأمثال
ملك تنافست العلا فى عمره ... وتنافست فى موته الآجال
من لم يعاين سير نعش محمد ... لم يدر كيف تسير الأجبال
وذخرته للدهر أعلم أنه ... كالحصن فيه لمن يؤول مآل
وتمتعت نفسى بروح رجائه ... زمنا طويلا والتمتع مال
ورأيته كالشمس إن هى لم تنل ... فالرفق منها والضياء ينال
لهفى لفقدك يا محمد إنه ... فقدت بك النجعات والايغال
بالله أقسم ان عمرك ما انقضى ... حتى انقضى الاحسان والاجمال

ولابن القاسم يعزى أبا القاسم بن وهب فى ابن مات له :

قل لأبى القاسم بن وهب ... أتى بك الدهر للعجائب
مات لك ابن وكان زينا ... وعاش ذو الشين والمعايب
حياة هذا كموت هذا ... فليس تخلو من المصائب

وقد تقدم هجوه فى أخيه، ومن حسن التعطف على الابن العاق قول ابراهيم الصابى وكان ابنه يعقه:

أرضى عن ابنى إذا ماعقنى حذرا ... عليه أن يغضب الرحمن من غضبى
ولست ادرى بم استحققت من ولدى ... إسخان عينى وقد أقررت عين أبى

(عقم) العقم أن لاتلد المرأة (أمعضه) أوجعه وأغضبه وأمتعض من ذلك وامتعض غضبه وشق عليه وأوجعه (ادعى) نسب لنفسه ماشاء وفلان مدع وفعله الدعوى (آمنت) صدقت ماادعاه (لبى) من تابية الحاج إذا صاح لبيك (أحرمت) صرت محرما (أورى) أظهر له النار من الزند (أضرمت) أو قدت (بيد) غير (الانوق) ذكر الرخم ولا بيض له فكأنه طلب أمرا لا يكون أبدا ومثله طلب الابلق العقوق والابلق الذكر والعقوق من الخيل التى امتلأ بطنها من حملها يقال للانثى قد أعقت وهى معق وعقوق فكأنه طلب أمرا لايكون أبدا لأنه لا يكون الأبلق عقوقا ويقال إن رجلا سأل معاوية أن يزوجه أمه هندا فقال أمرها اليها وقد أبت أن تتزوج قال مكان كذا وكذا فقال معاوية متمثلا :

طلب الأبلق العقوق فلما ... لم ينله أراد بيض الأنوق

والأنواق طائر أبيض فى شواهق الجبال فبيضها فى حرز لايطمع فيه فمعناه طلب مالا يكون وأما طلب الطيران من النوق فمثل الأول وهو لا يمكن (أعنتك) أتعبك وكلفك ما يشق عليك من عنت البعير يعنت عنتا إذا حدث فى رجله كسر فلم يمكنه التصرف إلا بمشقة، قال أبو عبيد رحمه الله : أعنته أضربه والعنت

وامْتَحنَ طَاعَتكَ، قال إنَّه مُذْ صَفِرَ مِنَ المَال، ومُنِىَ بالإمْحَال؛ يَسُومُنِى أنْ أتَلَمَّظَ بالسُّؤال، وأَسْتَمْطِرَ سُحُبَ النَّوَال، لِيَفِيضَ إشْرُبُهُ الذى غاض، ويَنْجَبِرَ مِنْ حَالِهِ ما انْهاض، وقَدْ كَانَ حينَ أَخَذَنى بالدَّرْس، وعَلَّمَنى أدَبَ النَّفس، أشْرَبَ قَلْبى أنَّ الحِرْصَ مَتْعَبَة، والطَّمَعَ مَعْتَبَة، والشَّرَهَ مَتْخَمَة، والمَسْئَلَة مَلأَمَة، ثم أنْشَدَنى مِنْ فَلْقِ فيه، ونَحْتِ قَوَافِيه:

إرْضَ بِأدْنَى العَيْشِ واشْكُرْ عَلَيْهِ — شُكْرَ مَنِ القُلُّ كَثيرٌ لَدَيْه
وجَانِبِ الحِرْصَ الذى لم يَزَلْ — يَحُطُّ قَدْرَ المُتَرَاقِى إلَيْه
وحامِ عَنْ عِرْضِكَ واسْتَبْقِهِ — كما يُحَامِى اللَّيْثُ عَنْ لِبْدَتَيْه
واصْبِرْ عَلَى ما نَابَ مِنْ فَاقَةٍ — صَبْرَ أولِى العَزْمِ وأَغْمِضْ عَلَيْه
ولا تُرِقْ مَاءَ المُحَيَّا وَلَوْ — خَوَّلَكَ المَسْؤُولُ مَا فى يَدَيْه
فالحُرُّ مَنْ إنْ قَذِيَتْ عَيْنُهُ — أخْفَى قَذَى جَفْنَيْهِ عَنْ نَاظِرَيْه
ومَنْ إذَا أخْلَقَ دِيبَاجُهُ — لم يَرَ أنْ يُخْلِقَ دِيبَاجَتَيْه

الضرر قال وأعنته ايضا أهلكه وقال أحمد بن عبيد أعنته شدد عليه والعنت التشديد .. ابن عزيز: عنت هلاك وأصله المشقة والصعوبة ومنه قولهم أكمة عنوت إذا كانت صعبة المسلك وقوله تعالى لأعنتكم أى لأهلككم ويجوز أن يكون المعنى لشدد عليكم وتعبدكم بما يصعب أداؤه عليكم كما بمن قبلكم (امتحن) ابتلى (صفر) خلا (منى) بلى (الامحال) الجدب والفقر (يسومنى) يكلفنى (أتلمظ بالسؤال) أى أكثر الكلام به والتلمظ تتبع مابقى فى الفم من الطعام باللسان بعد الأكل (سحب) جمع سحابة (النوال) العطاء قال ابن الانبارى رحمه الله النول والنوال المنفعة والحظ ونلت الرجل إذا نفعته وأنلته حظا ونالنى فلان نفعنى وقولهم ما كان نولك أن تفعل كذا أى ما كان لك منفعة فى هذا الفعل ونولك منصوب خبر كان وأن وما دخلت عليه اسم كان أو بالعكس (يفيض) يسيل ويكثر (شربه) ماؤه وأراد به ماله (غاض) جف (انهاض) انكسر (أشرب) روى وسقى (الحرص) كثرة الطمع والطلب للدنيا (الشره) الحرص الكثير (متخمة) مفسدة (المسئلة) سؤال مافى أيدى الناس (ملامة) لؤم (فلق) شق ما بين شفتيه (نحت) نجر أراد إنشاء قصائدة (القوافى) من قفوت الشىء إذا تتبعته وسميت بذلك لا تباع بعضها بعضا (القل) القلة (المتراقى) المرتفع (لبدتيه) شعر متلبد على كفله وبين كتفيه (ناب) نزل (فاقة) فقر (أغمض) أى استره واغفل عنه (المحيا) الوجه (خولك) ملكك (الناظر) سواد العين فيريد أنه إذا وقع فى عينيه قذى وهو السقط على شدة إذا يته احتمله الكريم وصبر عليه وأخفاه من ناظريه تجلدا أى أخفى أذى بعض العينين عن بعض وهذا غاية فى المبالغة (ديباجه) ثوبه والديباج ثوب رفيع (ديباجتيه) خديه وقيل ديباجة الخد حسن بشرته (أخلق) الشىء وأخلقه غيره لازم ومتعد يقول إذا افتقرت وبلى ثوبك فلا تبذل وجهك لأحد ولا تهنه بالسؤال وهذا من قول حبيب:

ذل السؤال شجا فى حلق معترض　　من دونه شرق من خلفه حرض
ماماء كفك إن جادت وإن بخلت　　من ماء وجهى إذا أفنيته عوض

وقال فى ابن الزيات :

أعطى ونطفة وجهى فى قرارتها　　يصونها الوجنات الغضة القشب

يقول لم يخلق وجهى سؤال فوجهى غض جديد والنطفة ماء الوجه الذى نهى الحريرى عن إراقته حين قال :

ولا ترق ماء المحيا ولو　　خولك المسؤول مافى يديه

قال الصولى كان حبيب رحمه الله لا يجيب هاجيا ترفعا عنه فانحدر إلى البصرة والاهواز يمدح من بهما فكتب اليه عبد الصمد بن المعذل :

أنت بين اثنين تبرز للنا　　س بكلتيهما بوجه مذال
لست تنفك طالبا لوصال　　من حبيب أوطالبا لنوال
اى ماء لحر وجهك يبقى　　بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما قرأ الشعر قال قد شغل هذا سابليه ولا ارب لنافيه .. وحكى الأصبهانى قال جمع مجلس ابا تمام وعبدالصمد وكان عبد الصمد سريع القول وفى ابى تمام بطء فأخذ عبدالصمد قرطاساوكتب : انت بين اثنتين الأبيات ورمى بها إلى ابى تمام فأخذه وخلا به طويلا وجاء وقد كتب فيه :

أفى تنظم قول الزور والفند　　وانت انزر من لاشىء فى العدد
اسرجت قلبك من بغض على حرق　　كأنها حركات الروح فى الجسد

فقال عبد الصمد ياماص بظر امه اخبرنى عن لا شىء فى العدد كيف يكون وعن قولك « اسرجت قلبك » اوخرج فأسرجه عليك لعنة الله فلنقطع ابو تمام انقطاعا مارئى مثله ، وحكاية الصولى اولى بالصحة من هذه وليس عبد الصمد من رجال ابى تمام ولاله من التصرف فى انواع الشعر ما لأبى تمام وصنع البديع وقف عليه ولو صحت الحكاية فلا يحكم بالندرة لكن يحكم بالجملة واستعمال ديوان حبيب فى مجالس العلماء شاهد على فضله على ان ماجمعنا لعبد الصمد فى هذا الكتاب غاية فى بابه .. فلنرجع إلى ما قيل فى ذل السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وعنده مايغديه او يعشيه فانما يستكثر من جمر جهنم وقال الحسن بن على رضى الله عنهما حسبك من السؤال انه يضعف لسان المتكلم ويكسر قلب الشجاع البطل ويوقف الحر الكريم موقف العبد الذليل ويذهب بنضرة اللون ويمحو الحسب ويحبب الموت ويمقت الحياة ... الأصمعى رحمه الله : سمعت أعرابيا يقول المسئلة طريق المذلة تسلب الشريف عزه والحسيب حسبه وقال معاوية لعبد الله بن الزبير انشدنى ثلاثة ابيات غريبة فقال انشدكها بثلاثين الفا تدفعها إلى فقال حتى تنشد فاسمع فانشده ابيات الافوه الأودى .

بلوت الناس قرنا بعد قرن　　فلم ارغير ختل اوقتال
ولم ار فى الخطوب اشد ضرا　　وآذى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الأشياء طرا　　فما شىء امر من السؤال

ثم قال له قد اسمعتك وانت الحكم فحكم له وامر له بثلاثين الفا . وينظر إلى مانسبه ابن المعذل لحبيب من

قال فَعَبَسَ الشَّيخُ واكْفَهر ، واندَرأَ على ابنِه وهَرّ ، وقال له صَهْ ياعُقَق ، يا مَنْ هُوَ الشَّجى والشَّرَق ، وَيكَ أتعلَمُ أُمَّكَ البضَاع ، وظئرَكَ الإرضَاع ، لَقَدْ تَحَكَّكَتِ العَقرَبُ بالأفعى ، واستَنّتِ الفِصَالُ حتى القَرعَى ، ثم كأنَّهُ ندِمَ على ما فَرَط مِنْ فِيه ، وحَدَتْهُ المِقَةُ على تلافِيه ، فرَنا إليه بعَيْنِ عاطِف ؛ وخَفَضَ لهُ جَنَاحَ مُلاطِف ، وقال له ويك يا بُنَيَّ إنَّ مَنْ أمِرَ بالقَنَاعَة ، وزُجِرَ

إضافة ذل الهوى لذل السؤال ماأضافه له على بن الجهم من ذل الاعتذار وقال يتعذر للمتوكل :

إن ذل السؤال والاعتذار	خطة صعبة على الأحرار
ليس من باطل يرددها المر	ء ولكن سوابق الاقدار
فارض للسائل الخضوع وللقا	رف ذنبا بذلة الاعتذار
إن تجافيت منها كنت اولى	من تجافى عن الذنوب الكبار
اوتعاقب فانت اعرف بالله	وليس العقاب منك بعار

وقال ايضا :

هى النفس ما حملتها فتحمل	وللدهر ايام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة	واكمل اخلاق الرجال التفضل
ولاعارا في زالت عن المرء نعمة	ولكن عارا أن يزول التجمل
وما المال إلاحسرة إن تركته	وغنم إذا قدمته متعجل

(اكفهر)اشتد عبوسه ووجه مكفهرمنقبض كالح لايرى فيه أثر بشر ولا فرح (اندرأ) اندفع (على ابنه) بالشتم (هر)كشر وجهه وعبسه (صه) اسكت (ياعق) ياكثير العقوق ويقال عق أباه يعقه عقوقا فهو عاق ويعدل إلى عقق للمبالغة كعامر وعمر وعق أباه لم يطعه وقطع رحمه ولما قتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عن عمه مر به أبو سفيان فطعنه بالرمح فى شدقه وقال دق عقق أى ذق جزاء فعلك ياعقق والعق القطع والشق وقال عليه الصلاة والسلام ثلاثة لايدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء (الشجا) الاختناق بالطعام (الشرق) بالماء ، والطعام والشراب بهما قوام العيش فاذا عرض فيهما ذلك فقدعرضت مشقة وأذية فى موضع الالتذاذ وكذلك الولد العاق وهو أذية فى موضع راحة وما أحسن قول القائل :

قرابة السوء داء سوء	فاحمل أذاهم تعش حميدا
فمن تكن قرحة بفيه	يصبر على مصه الصديدا

(البضاع)النكاح والجماع(ظئرك)مرضعتك(تحككت)لصقت بهاوحلقت حواليها (استنت)جرت متتابعة فى سنن وهو الطريق والمذهب ومنه فلان يستن أى يجرى على أى أمر شاء لا يزجره عنه زاجر وقيل استنت أى سمنت من قولهم سن الراعى ابله إذا أحسن رعيها فاسمنها فكأنه حسنها وصقلها (القرعى) التى يصيبها القرع فى رأسها والقرعى جمع قريع مثل مرضى ومريض وهذه أمثال تضرب لمن يتشبه بغيره ولا يقوى قوته (فرط)سبق(حدته)ساقته(المقة)المحبة(تلافيه) تداركه بالعطف عليه (رنا)نظر (عاطف) راحم(ملاطف) أى رقيق به أى حسن كلامه وأنسه (خفض الجناح) يكنى به عن لين الجانب (ويك) عجبا لك (زجر) نهى

عَنِ الضَّرَاعَة ، هُمْ أَرْبَابُ البِضَاعَة ، وَأُولوا المَكْسَبَةِ بالصِّنَاعَة ، فَأَمَّا ذَوُوا الضَّرُورَات ، فَقد اسْتُثْنِيَ بِهِم فى المَحْظورَات ، وَهَبْكَ جَهِلْتَ هَذا ، ولم يَبْلغكَ مَا قيل ، أَلَسْتُ الذى عارض أَبَاه ، فيما قال وما حاباه :

لا تَقْعُدَنَّ على ضُرٍّ وَمَسْغَبة	لِكَيْ يقَالُ عَزِيزُ النفسِ مُصْطَبِر
وَانظرْ بِعَيْنِكَ هل أَرْضٌ مُعَطَّلَةٌ	مِنَ النَّبَاتِ كَأَرْض حَفَّهَا الشَّجَر

(الضراعة) التذلل وضرع ضراعة فهو ضارع وتضرع تذلل وتخشع (البضاعة) التجارة (المحظورات) الممنوعات وأراد بالاستثناء ما أحل الله من المحرمات لأهل الضرائر ويروى سوغوا فى المحظورات أى رخصوا لهم فيها (هبك) احسبك (التأويل) التفسير (ولم يبلغك ماقيل) يعنى إباحة السؤال للمضطر وهو قول الناس الضرورات تبيح المحظورات ويصدقه قوله تعالى فمن اضطر فى مخمصة الآية وقال عليه الصلاة والسلام إنما المسئلة كدوح يكدح بها أحدكم وجهه إلا مسئلة من ذى سلطان أو فى أمر لابد منه (عارضه) قابله بنقيض ما قاله (حاباه) اختصه بهذه الوصية أى جعل هذا الشعر وصية لمن سمعه ويقال حابى فلان فلانا إذا مال اليه واتصل به أخذ من حبي السحاب وهو السحاب الذى يدنو بعضه من بعض وقيل حباه خصه بالميل أخذه من الحبوة وهى العطية يحبوها الرجل صاحبه ويخصه بها قال اليزيدى ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك ابنك وزوجك وخادمك (مسغبة) جوع (حفها) حلقها يريد أن الأرض ذات الخصب تقصد لما فيها من من الأرزاق والأرض المعطلة من النبات وهى الجدبة يفرعنها وكذلك الغنى يكرم لماله والفقير يهجر ويهان . ومما جاء فى فضل المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمجاشعى إن كان لك مال فلك حسب وإن كان لك خلق فلك مروأة وإن كان لك دين فلك كرم وقال حكيم لابنه يابنى أوصيك عليك بطلب المال فلو لم يكن إلا أنه عز فى قلبك وذل فى قلب عدوك لكفاك وقال آخر لابنه يابنى أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك وكان سعد بن عبادة يقول اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه إلا بفعال ولافعال إلا بماله وقالوا المال آلة للمكارم وعون على الزمان ومتألف للاخوان ومن فقده قلت الرغبة اليه والرهبة منه قال سفيان الثورى المال سلاح المؤمن فى هذا الزمان وكان لأحيحة بن الجلاح بالزوراء ثلثمائة ناضح فدخل بستانا له فمر بتمرة فلقطها فليم على ذلك فقال تمرة تمرات وجمل إلى جمل ذود ثم أنشد يقول :

إنى مقيم على الزوراء أعمرها	إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال
استغن أومت ولا تغررك ذو نسب	من ابن عم ومن عم ومن خال
كل النداء إذا ناديت يخذلنى	إلا النداء إذا ناديت يا مالى

وقال عروة بن الورد :

ذرينى للغنى أسعى فانى	رأيت الناس شرهم الفقير
وأدناهم وأهونهم عليهم	وإن أمسى له حسب وخير
يباعده القريب وتزدريه	حليلته ويقهره الصغير

فَعَدِّ عَمَّا تُشِيرُ الأَغْبِيَاءُ بِهِ ... فَأَىُّ فَضْلٍ لِعُودٍ مَالَهُ ثَمَرُ
وَارْحَلْ رِكَابَكَ عَنْ رَبْعٍ ظَمِئْتَ بِهِ ... إِلَى الجَنَابِ الَّذِى يَهْمِى بِهِ المَطَرُ
وَاسْتَنْزِلِ الرِّىَّ مِنْ دَرِّ السَّحَابِ فَإِنْ ... بُلَّتْ يَدَاكَ بِهِ فَلْيَهْنِكَ الظَّفَرُ
وَإِنْ رُدِدْتَ فَمَا فِى الرَّدِّ مَنْقَصَةٌ ... عَلَيْكَ قَدْ رُدَّ مُوسَى قَبْلُ وَالخَضِرُ

ويلقى ذو الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد لاقيه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ... ولكن للغنى رب غفور

ومن أمثال بغداد المال المال وما سواه محال (الأغبياء) الجهال وأراد بهم الذين يأمرون بالبخل (ظمئت) عطشت (الركاب)الابل (والجناب) الجانب والناحية (يهمى) يسيل (الرى) الشبع من الماء والصوب وقع الماء (الظفر) الفوز بالحاجه يقول فارق أرضك واغترب فى طلب المال واسأل الكرماء يعطوك وقال الشاعر:

سأعمل نص العيس يوما ليكفنى ... غنى المال يوما أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى بها ... على المرء بالأقلال وسم هوان
إذا قال لم يسمع لحسن مقاله ... وإن لم يقل قالوا عديم بيان
كأن الغنى فى أهله يجعل الفتى ... بغير لسان ناطقا بلسان

وأشار بقوله (قد رد موسى قبل والخضر) إلى قوله تعالى حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما . وفى نسب الخضر اختلاف منهم من جعله من قابيل بن آدم ومنهم من يجعل بينه وبين سام بن نوح خمسة آباء ويجعله من ذرية سام وقال عليه الصلاة والسلام إنما سمى خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز خضرة والفروة الأرض البيضاء. وقصته مع موسى مشهورة وقيل إن موسى صاحبه غير موسى بن عمران وقال موسى للخضر حين فارقه عظنى فقال لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك فكما تذهب بأمل صادق فتخيب قد تذهب بأمل كاذب فتصيب وتذهب للحقير وتدرك الجليل وقد ذهب موسى ليقتبس نارا فكلمه ربه وقد تقدم هذا ، قال ابن عبد ربه مما جبل عليه الحر الكريم أن لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشىء مما انبسط له من أمر الدنيا بل يكون فيما هو أسنى درجة وأرفع مرتبة ولذلك قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو عامل بالمدينة لرعين الراجز إن لى نفسا تواقة فاذا بلغك أنى صرت إلى أشرف من منزلى فأتنى فلما صار خليفة أتاه فقال أعلمتك أن لى نفسا تواقة وان نفسى تاقت إلى اشرف الدنيا منزلة فلما بلغتها وجدتها تتوق إلى اشرف الآخرة منزلة . ومن الشاهد أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه تكليما سأله النظر اليه إذ كان ذلك لو وصل اليه اشرف من المنزلة التى نالها فالحر الكريم لا يقنع بمنزلة إلا رجا اشرف منها قال ومن قولنا فى هذا المعنى

لا يكتفى ابدا من نيل منزلة ... حتى ينال التى من دونها العطب
سعى له امل من دونه اجل ... إن كفه رهب يدعو به رغب
كذاك ما سأل موسى ربه أرنى ... انظر اليك وفى تسآله عجب

قال: فلما أن رَأى القَاضى تَنافِىَ قَوْل الفَتَى وفِعْلِه ، وتَحَلِّيَهُ بما لَيْسَ مِنْ أَهْلِه ، نَظَرَ إليه بِعَيْنِ غَضْبَى وقال أَتَمِيمِيًّا مَرَّةً وقَيْسِيًّا أُخْرَى ، أُفٍّ لِمَنْ يَنْقُضُ ما يَقُول ، وَيَتَلَوَّنُ كما تَتَلَوَّنُ الغُول ، فقال الغُلامُ :

يبغى التزيد فيما نال من كرم ... وهو النجى لديه الوحى والكتب

وقال حبيب : ذرينى وأهوال الزمان اقاسها ... فأهواله العظمى تليها رغائبه

(تحليه) تزينه (أتميميا مرة وقيسيا أخرى) مثل يضرب لمن يتناقض فيما يقول تقديره أتنسب مرة لتميم وتنسب مرة لقيس وتميم وقيس قبيلتان عظيمتان وبينهما أبدا مكافحات ومقاتل وتميم هذا ابن مرة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وقيس بن الياس قال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا الدرداء إذافاخرت ففاخر بقريش وإذا كاثرت فكاثر بتميم وإذا حاربت فحارب بقيس ألا إن وجهها كنانة ولسانها أسد وفرسانها قيس ألا إن لله فرسانا فى سمائه وهم الملائكة وفرسانا فى الأرض وهم قيس وإن آخر ما يقاتل على الاسلام حين لا يبقى إلا ذكره ومن القرآن إلا رسمه رجل من قيس قلت يا رسول الله من أى قيس قال من سليم ، وفى البديعية :

ان حالى مع الزما ... ن كحالى مع النسب
أنا أضحى مع النبيـ ... ط وأمسى مع العرب
نسبى فى يد الزما ... ن إذا ساقه انقلب

وقال رفر بن الحرث لعمران بن حطان: أزيديا مرة وأوزاعيا أخرى.. وقال عمران بن حطان:

فاعذر أخاك ابن زنباع فإن له ... فى النائبات خطوبا ذات الوان
يوما يمان إذا لاقيت ذايمن ... وان لقيت معديا فعدنانى

وقال آخر : أفى الولائد أولاد لواحدة ... وفى العيادة أولاد لعلات

(يتلون) أى يتغير ويتنوع (الغول) ساحرة الجن وهو يتصور فى صور شتى وأخذه من قول كعب بن زهير

فما تدوم على حال تكون به ... كما تلون فى أثوابها الغول

وتزعم العرب أنه إذا انفرد رجل فى الصحراء ظهرت له فى خلقة إنسان ولا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فتدنو منه وتتمثل فى صور مختلفة فتهلكه روعا وإذا أرادت أن تضل الناس أو قدت نارا فيبصرها السارى فيقصدها فتفعل ذلك وتروعه فان كان الذى يأتيها شجاعا مقداما تحامل وتبعها فاذا رأت ذلك لم تضره وجلس يصطلى بنارها وهى معه وقال تأبط شرا :

وأدهم قد جبت جلبابه ... كما اجتابت الكاعب الخيعلا
إلى ضوء نار تنورتها ... فبت لها مدبرا مقبلا
فأمسيت والغول لى جارة ... فيا جارتا أنت ما أهولا
فمن يك عن جارتى سائلا ... فان لها باللوى منزلا

قال أبو عمرو رحمه الله بات تأبط شرا ليلة ذات ظلمة ورعد وبرق بواد يقال له رحى بطان فلقيه الغول وهو

والذى جَعَلَكَ مِفْتَاحاً لِلحَقِّ ، وفَتَّاحاً بَيْنَ الخَلْقِ ، لَقَدْ أُنسِيتُ مُذْ أُسِيتُ ، وصَدِىءَ ذِهْنِي مُذْ صَدِيتُ ، على أَنَّهُ أَيْنَ البَابُ الفُتُحُ ، والعَطَاءُ السُّرُحُ ، وَهَلْ بَقِيَ مَنْ يَتَبَرَّعُ بِاللُّهَا ، وإِذَا استُطْعِمَ يَقُولُ هَا ، فقال له القاضى مَهْ فَمَعَ الخَوَاطِىءِ سَهْمٌ صَائِبٌ ، ومَا كُلُّ بَرْقٍ خَالِبٌ ، فَمَيِّزِ البُرُوقَ إِذَا شِمْتَ ، وَلَا تَشْهَدْ إِلَّا بِمَا عَلِمْتَ ، فلما تَبَيَّنَ لِلشَّيْخِ أَنَّ القَاضِيَ قَدْ غَضِبَ لِلكِرَامِ

سبع من سباع الجن فما زال يقاتلها حتى قتلها فقال :

ألا من مبلغ فتيان فهم ... بما لاقيت عند رحى بطان
فانى قد رأيت الغول تهوى ... بسهب كالصحيفة صحصحان
فشدت شدة نحوى فاهوى ... لها كفى بمصقول يمان
لها عينان فى رأس قبيح ... كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وسوار كلب ... وثوب من عباه أو شنان

قالوا وخلقتها خلقة إنسان ورجلاها رجلا حمار فاذا صاح بها الرجال رجلى حمار نهقت نهيقا لا تخطىء السبب والطريق وفرت منه وانظر فى التاسعة والأربعين ذكر القرطب وفيه شىء مستظرف (فتاحا) أى حاكما وافتح بيننا أى احكم بيننا والفتاح الناصر والفتح النصر والحاكم ينصر المظلوم (أنسيت) حزنت (صدى ذهنى) أى تغطى بالغفلة من الصدا وهو ما يعلوه من الدرن (صديت) غير مهموز أصدى صدى وأراد مذ افتقرت علانى الوسخ وصحبنى النسيان (الفتاح) الكثير الفتح الواسع الذى لا يغلق فى وجه قاصده (السرح) الكثير الذى يسرح صاحبه فى أنواع الجود والسرح السهل السريع وناقة سروح مسرعة فى سيرها (يتبرع) يتفضل بجوده متطوعا وتبرع تطوع (اللهى) العطايا (ها) معناها خذ وتناول وذكر أبو محمد هذه اللفظة فى الدرة فقال ويقولون لمن تناول شيأ بقصر الألف فيلحنون فيها لأن الألف ممدودة كما جاء فى الحديث الذهب بالذهب ربا الاهاء وهاء ويجوز فيه فتح الهمزة وكسرها مع المد ولا تقصر إلا إذا اتصلت بها كاف الخطاب فيقال هاك يروى أن عليا رضى الله عنه آب إلى فاطمة رضى الله عنها من بعض مواطن الحروب وسيفه يقطر دما فقال:
أفاطم هاك السيف غير مذمم .. وعند النحويين أن المد فيها بدل من كاف الخطاب لأن أصل وضعها أن تقترن كاف الخطاب بها فساقها أبو محمد هنا مقصورة بغير كاف ووقع فيما زعم أنه لحن فان قيل لعلها لما وقعت فى فقرة موقوف عليها يحتمل فيها ذلك فنقول إنه قد أردفها على فقرة قبلها مقصورة بإجماع وهى اللهى فسواها معها على أن أهل اللغة حكوا فى اللفظة أربع لغات ها مقصورة كما فى المقامة وهاء ساكن الهمزة وهاء بالمد مع فتح الهمزة وكسرها وسمع رجل أبا العتاهية ينشد

فانظر بطرفك حيث شئـ ... ـت فلن ترى إلا بخيلا

فقال قد بخلت الناس كلهم فقال كذبنى أنت بواحد منهم سخى (مه) اكفف (الخواطىء) السهم تخطىء الغرض وهذا مثل يضرب لمن يكثر الخطأ ويأتى أحيانا بالصواب (خالب) خادع (شمت) البرق نظرت سحابه

وأعظَمَ تبْخِيلَ جميع الأنام ، عَلِم أنَّه سيَنْصُرُ كلِمتَه ، ويُظهِرُ أُكْرُومَته ، فما كَذَّبَ أنْ نصب شبكَته ، وشَوَى فى الحَرِيق سَمَكَتَه ؛ وأنشأَ يقُول :

يا أيُّها القاضِي الذى علمُه | وحِلمُه أرسَخُ مِنْ رَضْوَى
قد ادعَى هذا عَلَى جَهْلِهِ | أنْ لَيْسَ فى الدُّنيا أخُوجَدْوَى
ومادَى أنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ | عَطاؤُهُمْ كالمَنِّ والسَّلْوَى
فَجُدْ بِمَا يَثْنِيهِ مُسْتَخْزِياً | مِمَّا افْتَرَى مِنْ كَذِبِ الدَّعْوَى
وأَثْنَى جَذْلانَ أُثْنِي بِمَا | أوْلَيتَ مِنْ جَدْوَى ومِنْ عَدْوَى

قال : فَهَشَّ القاضِى لِقَوْلِهِ ، وأَجْزَلَ له مِنْ طَوْلِه ، ثم لَفَتَ وجْهَهُ إلى الغلام ، وقد نَصَّلَ له أسهم المَلام ؛ وقال له : أرأيتَ بُطلَ زَعْمِكَ ، وخَطَأَ وهْمِك ، فلا تَعْجَلْ بعدَها بذَم ، ولا تنْحَتْ عُوداً قَبْلَ عَجْم ، وإيَّاكَ وتأبِّيكَ ، عَنْ مُطاوَعَةِ أبِيك ، فإنَّكَ إنْ عُدْتَ تَعُقُّه ،

أين يمطر (أعظم) جعله عظيما (الحريق) ما تحرقه النار من الحشيش والعيدان وناره ضعيفة لا تدوم (السمك) كبش الماء فلا يستوى إلا على نار قوية فربما شوى سمكته ما دام لهب النار موجودا فاذا سكن اللهب لم يتمكن من شيها لعدم الجمر فى الحريق فيريد أنه حرض القاضى بالشعر على الكرم حين اهتز للكرام وغضب من تبخيلهم فهزه بهذا الشعر ليجود عليه قبل أن يسكن فربما يبدو له أن لا يجود (أرسخ) أثبت (رضوى) جبل بالمدينة سهل من الرضوان كأن الذى يصعده راض عنه لقلة المشقة فى صعوده (أخوجدوى) صاحب عطية وكرم (المن والسلوى) طعام كان ينزل على بنى إسرائيل وقيل المن الترنجبين والسلوى السمانى وهو طائر (يثنيه) يرده (مستخزيا) صاغرا خاضعاً ويروى مستخذياً والخذية الاستحياء أو يكون بمعنى مهانا والخزى الهوان (افترى) كذب واستبعد (انثنى جذلان) أرجع فرحا (أوليت) أعطيت جدوى إعانة أى ارجع بالجدوى وبإعانتك لى عليه حتى يتوب من عقوقه (هش) فرح (أجزل) أكثر (طوله) أفضاله وهباته (لفت) رد (نصل) جعل له نصالا وأنصلها نزع نصالها والنصل حديدة السهم (بطل زعمك) أى بطلان قولك (وهمك) ظنك (تنحت) تنجر (عجم) اختبار أى حتى تعلم هل هو قوى أو ضعيف يقول لا تعتب أحدا حتى تجربه (إياك وتأبيك عن مطاوعة أبيك) أى احذر أن تمتنع عن مطاوعة والدك فانك ومالك لأبيك ، جابر رضى الله عنه : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن أبى أخذ مالى فقال له اذهب فأتى به فأوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن يسأل الشيخ عن شىء فى نفسه قاله فى شأن ابنه فلما جاء الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله فقال سله يا رسول الله هل نفقته إلا على نفسى أو على إحدى عماته أو خالاته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم دعنى من هذا أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك فقال يارسول الله مازال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت

حلقَ بِكَ مِنّي ما تَسْتَحِقُّه ، فَسُقِطَ الفَتَى فى يَدِهِ ، ولاذَ بِحَقْوِ والِدِه ، ثم نَهَضَ يَحْفِد ، وَتَبِعَهُ الشَّيْخُ يُنْشِد :

مَنْ ضامَهُ أو ضارَهُ دَهْرُهُ فَلْيَقْصِدِ القاضِىَ فى صَعْدِه
سَماحُه أَزْرَى بِمَنْ قَبْلَهُ وَعَدْلُهُ أَتْعَبَ مَنْ بَعْدَه

قال الراوى : فَحِرْتُ بَيْنَ تَعْرِيفِ الشَّيْخِ وتَنْكِيرِه ، إلى أن احْرَوْرَفَ لِمَسِيرِه ، فَناجَيْتُ النَّفْسَ باتِّبَاعِه ؛ ولَوْ إلى رِباعِه ، لَعَلّى أَظْهَرُ عَلَى أَسْرارِه ، وأَعْرِفُ شَجَرَةَ نارِه ، فَنَبَذْتُ العُلَقَ ، وانْطَلَقْتُ حَيْثُ انْطَلَق ، ولم يَزَلْ يَخْطُو وأَعْتَقِب ، ويَبْعُدُ وأَقْتَرِب ، إلى أَنْ تَراءَى الشَّخْصان ، وحَقَّ التَّعارُفُ عَلَى

فى نفسى شيأ ما سمعته أذناى ثم أنشد يقول :

غذوتك مولودا وعلتك يافعا تعل بما أحنى عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك الأساهرا أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى طرقت به دونى فعيناى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وأنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى إليها مدى ماكنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حتى أبوتى فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه فقال أنت ومالك لأبيك (حاق). أى نزل تقول حاق به المكروه والشؤم يحيق حيقا نزل به ، ابن عرفة : وجبا عليه وألزماه قال الأزهرى رحمه الله الحيق ما يحيط بالانسان من سوء عمله ومكروه فعله وقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله أى لا ترجع عاقبة مكرهم إلا عليهم (سقط فى يده) يقال ذلك للنادم المتحير ويقال سقط فى يده وأسقط فى يده إذا ندم على فعله وتحسر عليه واليد هنا الندم وقوله سقط الفتى فى يده قال جماعة من أهل اللغة صوابه سقط فى يده من غير تسمية الفاعل لأن الفعل مسند إلى المجرور وقال الأزهرى رحمه الله إنما حسن سقط فى يده بضم السين غير مسمى فاعله الصلة وهى فى يده ومثله قول امرىء القيس : دع عنك نهبا صيح فى حجراته ، أى صاح المنتهب فى نواحيه وكذلك المراد سقط الندم فى يده وقال أبو القاسم الزجاجى سقط فى أيديهم نظم لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب فيوجد فى أشعارها وخفى على الاسلاميين قال أبو نواس : ونشوة سقطت منها فى يدى — وأخطأ فى استعمالها لأن فعلت لا يبنى إلا مما يتعدى لا يقال رغبت ولا غضبت إنما يقال رغب فى وغضب على (لاذ) لجأ وتستر ولاذ فلان بفلان تستر به ودار حوله وبعضهم يقول ألاذ والأولى هى الغالبة واللواذ مصدر لاوذ ولذا وأثبت الواو ولو كان مصدر لاذ لقلت لياذا كقمت قياما (بحقو) بخصر وجمعه أحقاء وحقاء ، وحفد يحفد أسرع (ضامه) أذله (ضاره) ضره (أزرى) قصر وتقدم معنى البيت فى الرسالة السادسة والعشرين (احرورف) مال وانحرف (ناجيت) حدثت (رباعه) دياره (شجرة ناره) يريد أصل جبلته (اعتقب) أمشى خلفه وأتبع عقبه

الْخُلصَان ، فَأَبْدَى حِينَئِذٍ الاهْتِشَاش ، ورَنَعَ الارْتِعَاش ، وقالَ مَن كَاذَبَ أَخا. فَلاَ عَاشَ ، فعرفتُ عِنْدَ ذلكَ أَنَّهُ السُّرُوجِيُّ بلاَ مُحَالَة ، ولا حُؤُولُ حَالَة ، فَأَسْرَعْتُ إليه لأُصَافِحَه ، وأَسْتَعْرِفَ سَانِحَهُ وَبَارِحَه ، فقالَ دُونَكَ ابنَ أَخِيكَ الْبَرَّ ، وَتَرَكَنِي وَمَرَّ ، فلم يَعْدُ الفتى أَنِ افْتَرَّ ، ثم فَرَّ كما فَرَّ ، فَعُدْتُ وقد استَبَنْتُ عَيْنَهُمَا ، وَلكن أَيْنَ هُمَا ؟

(تراءى) ظهر (خلصان) الرجل صديقه الذى خلصت له مودته (الاهتشاش) الطرب والبشر (الارتعاش) الرعدة يريد ان داءه كذب لا حقيقة له (محالة) حيلة (حؤول) تغير (أصافحه) اعانقه واسلم عليه (أستعرف سانحه وبارحه) أى اطلب منه أن يعرفنى بخيره وشره والسانح من الطير والوحش ما مر على ناحية يمينك والبارح ما مر على ناحية يسارك وقيل السانح ما أولاك ميامنه والبارح ما اولاك مياسره واكثر العرب تتبرك بالسانح وتتشاءم بالبارح وبعضهم يتبرك بالبارح ويتشاءم بالسانح والسانح الذى يمر عليك عن ميامنك إلى مياسرك فيمكن للطاعن طعنه والرامى رميه فالذى يتيمن به يرى أنه رزق حاصل والذى يتشاءم به يرى انه عاطب وهالك والبارح بالضد فالأول يرى انه فائت ورامیه خاسر فيتشاءم به والثانى يرى انه سالم غير عاطب فيتيمن به والذين يتيمنون بالبارح ويتشاءمون بالسانح اهل نجد والذين يضادونهم اهل العالية (قوله دونك) أى خذه واقصده (البر) والبار الكثير الإكرام لأبويه (افتر) ضحك (استبنت) عرفت (عينهما) شخصهما وجعله آخر المقامة برا له لموافقته له فى الحيل وجرت العادة بأن الأب إذا كان نجيبا فالابن بالضد ولهذا قال الشاعر : إذا أطلع الدهر حرا نجيبا فكن فى ابنه سيء الاعتقاد

فلست ترى من نجيب نجيبا وهل تترك النار ألا الرماد

استدراك

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢٥	٢٧	اصبجت	أصبحت
٢٥	٢٧	هنيا	هشيا
٥٠	١١	يدانى الهوى	يدنى الهوى
١١٩	٩	استحلفه	استخلفه
١١٥	٢٥	شعرة	وشعره
١٥٥	٧	أقار	أقمارا
١٩٧	٩	وقمص	وقميص
١٢٤	٦	عشية ،رأيت بمجالسه	عشية بمجالسه

تفسير لبعض النكت العربية

المذكورة في المقامة الرابعة والعشرين

أما الكلمة التى هى حرف محبوب أو إسم لما فيه حرف حلوب فهى نعم إن أردت بها تصديق الأخبار أو العدة عند السؤال فهى حرف وإن عنيت بها الإبل فهى اسم والنعم تذكر وتؤنث وتطلق على الإبل وعلى كل ماشية فيها بل وفى الإبل الحرف وهى الناقة الضامرة سميت حرفا تشبيها لها بحرف السيف وقيل إنها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل .. وأما الإسم المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم فهو سراويل قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد ، وكنى عن ضمه الخصر بأنه حازم ، وقال آخرون بل هو جمع واحده سروال مثل شملال وشماليل وسربال وسرابيل فهو على هذا القول جمع ، ومعنى قوله ملازم أى لا ينصرف وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه ألف وبعدها حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن الثقله وتفرده دون غيره من الجموع بأن لا نظير له فى الأسماء الآحاد وقد كنى فى هذه الأحجية عما لا ينصرف بالملازم كما كنى فى التى قبلها عما ينصرف باللازم .. وأما الهاء التى إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل فهى الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صيارفة وصياقلة فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء به لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية نخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة . وقد كنى فى هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى فى التى قبلها عما لا ينصرف بالملازم .. وأما السين التى تعزل العامل من غير أن تجامل فهى التى تدخل على الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين أن التى كانت قبل دخولها من أدوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصير المخففة من الثقيلة وذلك كقوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون . . . وأما المنصوب على الظرف الذى لا يخفضه سوى حرف فهو عند إذ لا يجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت إلى عنده لحن .٠. وأما المضاف الذى أخل من عرى الإضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة فهو لدن ولدن من الأسماء الملازمة للاضافة وكل ما يأتى بعدها مجرور بها إلا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم إياها فى الكلام ثم نونتها أيضا ليتبين بذلك أنها منصوبة لا أنها من نوع المجرورات التى لا تنصرف . وعند بعض النحويين أن لدن بمعنى عند والصحيح أن بينهما فرقا لطيفا وهو أن عند يشتمل معناها على ما هو فى ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب .. منك وأما العامل الذى يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسها أى وكلتاهما من حروف النداء وعملهما فى الإسم المنادى سيان وإن كانت يا أجول فى الكلام وأكثر فى الاستعمال وقد اختار بعضهم أن ينادى بأى القريب فقط كالهمزة . . . وأما العامل الذى نائبه أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا فهو باء القسم وهذه الباء هى أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فى قولك أقسم بالله ولدخولها أيضا على المضمر كقولك بك لأفعلن . وإنما أبدلت الواو منها فى القسم لأنهما جميعا من حروف الشفة ثم لتقارب معنييهما لأن الواو

تفيد الجمع والباء تفيد الإلصاق وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان . ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور فى الكلام وأعلق بالأقسام ولهذا ألغز بأنها أكثر لله تعالى ذكرا . ثم إن الواو أكثر موطنا من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على الإسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنتظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر .. وأما الموطن الذى يلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال فهو أول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام والهاء فى غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس فى هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما فى ضد قالبه وبرز فى بزة صاحبه..وأما الموضع الذى يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أو فى أحدهما وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى أو من أسماء الإشارة نحو ذاك وهذا فيجب حينئذ لإزالة اللبس إقرار كل منهما فى رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره .. وأما الإسم الذى لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين فهو مهما وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التى هى بمعنى اكفف ومن ما والقول الثانى وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيدت عليها ما أخرى كما تزاد ما على أن فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالى كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا مهما . ومهما من أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولاعقل المعنى إلا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل أفعل وتكون حينئذ ملتزما للفعل . وإن اقتصرت منها على حرفين وهما مه التى بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ملزما من خاطبته أن يكف . . . وأما الوصف الذى إذا أردف بالنون نقص صاحبه فى العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهو ضيف إذا لحقته النون استحال إلى ضيفن وهو الذى يتبع الضيف ويتنزل فى النقد منزلة الزيف .

للعلامة الزمخشرى صاحب الكشاف

أقسم بالله وآياته	ومشعر الحج وميقاته
أن الحريرى حرى بأن	نكتب بالتبر مقاماته
معجزة تعجز كل الورى	ولو سروا فى ضوء مشكاته

نشأة الشريشى وألوان من حياته

مندية « شريش » المنسوب إليها أديبنا الشريشى شارح المقامات هى إحدى القرى الجميلة القديمة فى الأندلس ويصف ابن ليال الشاعر منتزها فيها يسمى « إجانه » فيقول[1] :

أيا حبذا إجانة كيفما اغتدت زمان ربيع أو زمان عصير
مذانب ماء كاللجين على حصى كدر بلا ثقب أغر نثير
ورمل إذا ما ابتل بالماء عطفه غنينا به عن عنبر وذرور
وتين كما قامت على حلماتها نهود عذارى الزنج فوق صدور
كأن القباب الخز فيها عرائس على سرر مفروشة بحرير

ويذكر الشريشى فى هذا الكتاب عرضا أسماء بعض شيوخه ، ومنهم ابن جبير[2] الرحالة الأندلسى المشهور الذائع الصيت ... وهذه قصة أدبية يشير فيها إلى أستاذه أبى عبد الله بن زرقون ، وفيها شىء من تاريخ صباه وبداهته الحاضر ، قال الشريشى[3] حدثنى الفقيه أبو عبد الله بن زرقون فى بستانه بطريانة أيام قراءتى عليه النوادر والكامل ، وكان رحمه الله ذاكرا بالطريقة الأدبية مع تميزه بالطريقة الفقهية ، فدارت بينى وبينه فى إحدى العشيات أنواع من المذاكرات فى فنون أدبيات فاهتز رحمه الله وهش وأظهر السرور بى وأنا يومئذ غلام ما بقل عذارى فقال لقد علمت أن بينى وبينك أخوة قلت وكيف ذاك ياسيدى فقال إنى ولدت ببلدك شريش فزدت بالحديث غبطة واستزدت منه فقال لى ومع ذلك ثم قصة مستطرفة : اعلم أنى كنت اجتزت بشريش قافلا من العدوة مع الفقيه أبى بكر عبد الله بن العربى رحمه الله فلما صرنا فى بطاحها وبين كرماتها وجنانها أخذ الفقيه أبو بكر يثنى عليها بكل لسان على كثرة ما رأى من البلدان ويقول إن الأشياء التى جمعت فيها لا تكاد تجتمع فى بلدة من كثرة الزرع والضرع والزيت والعصير والملح وغير ذلك فقلت له أعلمت أنى ولدت بها فقال لى أبو بكر أتقول أنت الآن مسقط الراس شريش ؟ فقلت له مجيزا : وبها كنت أعيش ، فقال أبو بكر : بلدة يوجد فيها ، فقلت : كل شىء وبريش ، فقال أبو بكر : وردها من سلسبيل ، فقلت : وصحاريها عريش . ثم سرنا فى طريقنا على قوا فى السروجية فزدناها شريشية وقدمنا بها الطريق ونحن لا نشعر فكانت أسر عشية بمجالسة مثل هذا الفاضل وسنه قد نيف على الثمانين بسنتين يحدثنى عن ابن العربى وابن عبدون الكاتب ونظرائهم فى رياض كلها نزهة على نهر أشبيلية وهى أمامنا على بهجتها وجمالها مادحا لى ولبلدى ليدخل على بذلك مسرة نسأل الله تعالى أن يبلغه غاية السرور فى دار البقاء .

وكتاب « شرح المقامات للشريشى » مجموعة علم وأدب ، ودائرة معارف ثقافية واسعة ، ومصدر من مصادر الأدب العربى القديمة ، وهو بحق ثروة علمية ثمينة ، وهو جدير بعناية الأدباء والعلماء به واهتمامهم بدراسته والاطلاع عليه ، فوق أنه عظيم الأهمية فى دراسة الأدب العربى القديم فى الأندلس وبلاد المغرب : لما تضمنه من طرائف وفصول قيمة وإشارات لطيفة » عن الأدب الأندلسى وأعلامه :

---

(١) راجع صفحة ٦٥ من هذا الجزء - الثالث - كتاب شرح المقامات .

(٢) راجع ١٢٦ ج ٣ من هذا الكتاب ومواضع أخرى . (٣) ١٢٣ و ١٢٤ ج ٣ من هذا الكتاب .

ترجمه السيوطى للشريشى شارح المقامات :

نقلا عن كتاب بغية الوعاة للسيوطى صفحة ١٤٣ ، قال السيوطى : أحمد بن المؤمن بن موسى بن عيسى ابن عبد المؤمن القيسى الشريشى ، أبو العباس النحوى ، شارح المقامات . قال عبد الملك : كان مبرزا فى المعرفة بالنحو ، حافظا للغات ، ذاكرا للآداب ، كاتبا بليغا فاضلا ثقة ، غنى بالرحلة فى طلب العلم ، وروى عن أبى الحسن ومصعب بن أبى ركب وابن خروف وخلق ، وعنه : ابن الأبار وابن فرتون وأبو الحسن الرعينى ، وتصدر لأقراء اللغة والأدب والعربية والعروض ... وله ثلاثة شروح على المقامات ، وشرح الإيضاح ، وشرح عروض الشعر ، وعلل القوافى ، وشرح الجمل ، ومختصر نوادر القالى (١) ، وغير ذلك ، مات بشريش فى ذى الحجة سنة ٦١٩ هـ .

ترجمة صاحب نفح الطيب للشريشى :

وترجم له المقرى فى الجزء الاول من كتاب نفح الطيب صفحه ٣٧٦ فقال :

الكمال أبو العباس أحمد الشريشى ، وهو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن القيسى من أهل شريش ، روى عن أبى الحسن بن ليال ، وأبى بكر بن أزهر ، وابى عبد الله بن زرقوق ، وابى الحسن ابن جبير ، وغيرهم..وقرأ العربية ، وله تواليف أفاد بما حشد فيها ، منها شرح الإيضاح للفارسى ، والجمل للزجاج وله فى العروض تواليف ، وجمع مشاهير قصائد العرب ، واختصر نوادر أبى على القالى .. قال ابن الابار : لقيته بدار شيخنا أبى الحسن بن حريق من بلنسية قبل توجهى إلى أشبيلية فى سنة ٦١٦ وهو إذ ذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات ، فسمعت عليه بعضه ، وأجاز لى سائره مع رواياته وتواليفه ، وأخذ عنه أصحابنا ، ثم لقيته ثانية مقدمه من مرسية : ومن بديع نظمه وهو بمصر يتشوق إلى الشام :

ياجيرة الشام هل من نحوكم خبر	فإن قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم	ما لذ للعين لا نوم ولا سهر
إذا تذكرت أوقاتا نأت ومضت	بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأننى لم أكن بين النير ضحى	والغيم يبكى ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد والأغصان راقصة	والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفح أين عشياتى التى سلفت	لى منه فهى لعمرى عند العمر
سقاك ياسفح سفح الدمع منهملا	وقل ذاك له إن أعوز المطر

وله شروح لمقامات الحريرى .كبير ووسط وصغير ، وفى الكبير من الآداب مالا كفاء له . وكان رحمه الله معجبا بالشام . وقال ابن الابار عند ماذكره إنه شرح مقامات الحريرى فى ثلاث نسخ ، كبراها الادبية (هى هذا الشرح) ، ووسطا اللغوية ، وصغراها المختصرة ... وتوفى بشريش بلده سنة ٦١٩ هـ .

والله ولى التوفيق ؟ محمد عبد المنعم خفاجى

---

(١) يذكر الشريشى هذا الكتاب فى الجزء الثالث من شرحه على المقامات باسم « اختصار نوادر أبى على »

﴿ فهرست الجـــزء الثـالث ﴾

صفحة	الموضوع
٢١٥	الحرباء فى الشعر
٢١٦	حكم سليمان الحرث
٢١٧	أبيات فى الخز
٢٢٣	شرح المقامة السابعة والثلاثين
٢٢٤	سلمان الفارسى
٢٢٥	واو العطف وبلاغتها
٢٢٦	ذم العقوق

صفحة	الموضوع
٢٢٩	ذل السؤال
٢٣١	المال عز لمن لا عز له
٢٣٢	الخضر عليه السلام
٢٣٣	القول فى الشعر العربى
٢٣٥	أمية بن أبى الصلت وابنه
٢٣٦	معنى «سقط فى يده»
٢٣٨	تفسير لكنت فى المقامة ٢٤
٢٤٠	نشأة الشريشى وألون من حياته

انتهى الجـــزء الثالث
ويليه الجزء الرابع
واوله المقامة الثامنة والثلاثون

شرح
مقامات الحريري البصري

للامام الأديب الشيخ العلامة

ابى العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى

المتوفى ٦٢٠ هـ — ١٢٢٢ م

أشرف على نشره وطبعه وتصحيحه

محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف

الجـــزء الرابع

الطبعة الاولى

١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨

المراسلات : مصر صندوق بوستة الغورية رقم ١٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والســـلام على نبيه الذى اصطفى

المقامة الثامنة والثلاثون المروية

حكى الحَارث بن هَمَّام قال : حُبِّبَ إِلَيَّ مُذ سَعَتْ قَدمي، ونَفَثَ قَلَمي ، أَنْ أَتَّخِذَ الأَدَبَ شِرْعَة ، والاقْتِبَاس مِنْهُ نُجْعَة ، فَكُنْتُ أَنْقِّبُ عَنْ أَخْبَارِهِ ، وَخَزَنَةِ أَسْرَارِه ، فَإِذا أَلفيتُ مِنْهُم بُغيَةَ المُلْتَمِس ، وجَذْوَةَ المُقْتَبِس ، شَدَدْتُ يَدِي بِغَرْزِهِ ، واسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ زَكَاةَ كَنْزِه عَلى أَنِّي لم أَلْقَ كالسَّرُوجِيِّ في غَزَارَةِ السُّحُب وَوَضْعِ الهِنَاءِ مَوَاضِعَ النُّقَب ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسْيَرَ مِنَ المَثَل ، وأَسْرَعَ مِنَ القَمَرِ في النُّقَل ،

شرح المقامة

(نفث) أى كتب والنفث ما تلقيه من فيك من البصاق الغليظ فشبه ما يلقيه القلم من المداد بالنفث ، هذا ظاهر اللفظ وإنما أراد في المعنى بالقلم ذكره ونفثه منيه فكنى عن البلوغ بذلك فهو يريد وقت الحلم وهو الذى يقوى فيه على المشى فى الأسفار والتصرف ، كذا فسره لنا بعض حذاق أشياخنا ، وفسره الفنجديهى على ظاهره فقال معنى مذ سعت قدمى ونفث قلمى مذ قدرت على المشى والكتابة والنظم النثر (شرعة) طريقة وشريعة وعادة ومعناه أصرف همتى إلى علم اللغة والعربية ، وقال الشافعى رضى الله عنه من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر فى الفقه نبل مقداره ومن تعلم اللغة رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه (الاقتباس) الاكتساب وهو افتعال من القبس (نجعة) طلب المرعى أى جعلت طلب الأدب لى غذاء ورزقا (أنقب) أبحث (أحباره) علمائه (ألفيت) وجدت (بغية) حاجة (الملتمس) الطالب للشيء باللمس (جذوة) جمرة عظيمة (المقتبس) الطالب للنار (الغرز) للرحل كالركاب للسرج ومعنى شددت بغرزه أى تمسكت بركابه وبالغت فى خدمته روى ابن عباس رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من أخذ بركاب رجل لا يرجوه ولا يخافه غفر له (غزارة) كثرة (السحب) جمع سحابة كنى بها عن كثرة العلم (الهناء) القطران (النقب) جمع نقبة وهو أول ما يبدو من الجرب وهو مثل لمن وضع الشيء فى موضعه أراد أنه ماهر أى حاذق يعطى كل طالب ما يستحقه ويشفيه من سؤاله لأن الجهل فى القلب بمنزلة الداء فهذا يوقع بيانه بموضع الجهل فيبرأ صاحب ذلك من دائه ووضع الهناء مواضع النقب عجز بيت لدريد بن الصمة وكان خرج فرأى الخنساء الشاعرة تهنأ ذودا لها ثم نضت ثيابها واغتسلت وهو يراها ولا تراه فقال :

حيوا تماضر واربعوا صحبي ... وقفوا فإن وقوفكم حسبي

ما ان رأيت ولا سمعت به ... كاليوم طالى أينق جرب

متبذلا تبدو محاسنه ... يضع الهناء مواضع النقب

وتماضر اسم الخنساء (أسير من المثل) أى انه لا يستقر ببلد (النقل) يريد انتقاله فى المنازل فلا يقيم

وكُنتُ لِهَوَى مُلاقَاته ، واسْتحْسَانِ مَقَامَاته ، وَأَرغَبُ فى الاغْترَاب ، وَأَسْتَعْذِبُ السَّفَرَ الذى هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَاب ، فَلَمَّا تَطَوَّحْتُ إلى مَرْو ، ولَا غَرْو ، بَشَّرنى بِمَلْقَاهُ زَجْرُ الطَّيْر ، والفَأْلُ الذى هُو بَرِيدُ الخَيْر ؛

بمنزلة سوى ليلة وينتقل فى الثانية إلى أخرى فاراد أن أبازيد لا يستقر ببلد إلا ما يستقر القمر بمنزلة وهى ليلة واحدة بل هو أسرع من القمر فى ذلك وإنما خص القمر به لأنه أسرع الكواكب نقلة من برج إلى برج إذ لا يمكث فى البرج إلا يومين أو ثلاثا والبرج منزلتان وثلث والشمس تمكث فى البرج ثلاثين يوما وعطارد يمكث فيه سبعة عشر يوما والمشترى اثنى عشر شهرا وزحل ثلاثين شهرا والمريخ شهرا ونصفا والزهرة ستة وعشرين يوما والرأس والذنب ثمانية عشر شهرا ذلك تقدير العزيز العليم (واستعذب السفر الذى هو قطعة من العذاب) هو حديث صحيح رواه مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه فاذا قضى أحدكم نهمته من وجهته فليعجل الرجوع إلى أهله ، النهمة بلوغ الهمة والشهوة والحاجة ورجل منهوم بكذا مولع به (تطوحت) يقال تطوح فى البلاد ذهب به ههنا وهہنا فأراد بقوله تطوحت أى رميت بنفسى إليها (مرو) بلدة بخراسان جليلة لها قرى ومحلات وتسمى أم خرسان وهى دار خلافة المأمون ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة ينسب إليها ، الثوب مروى والرجل مروزى وهو من شاذ النسب ومن مرو إلى مروز خمس مراحل وعلى مرو نهر فوهته بالسابيان وهو جبل عظيم الارتفاع تسيل منه أنهار تخترق بلاد خراسان منها وادى خورازم مسيرته أربعون يوما وواد القندهار مسافته شهر ونهر سجستان مسافته شهر ونهر مرو مسافته شهر ونهر هراة مسافته عشرون يوما ونهر بلخ مسافته اثنا عشر يوما وبلخ هى متوسطة خراسان منها إلى فرغانة ثلاثون مرحلة مغربا وإلى سجستان مما يلى القبلة كذلك والى كابول وقندهار كذلك والى خورازم كذلك وأهل مرو أطبع الناس على البخل ثم أهل خراسان قال ثمامة ما رأيت الديك يأكل فى بلد قط الا وهو يدعو الدجاجة إلى الحب ويلفظ الحب إليها إلا بمرو فانى رأيته يأكل وحده فعلمت أن لؤمهم كثير جدا وهو فيهم طبع ورأيت بها طفلا صغيرا بيده بيضة فقلت له أعطنيها فقال لى ليست تسعها يدك فعلمت أن المنع طبع مركب فيهم (لا غرو) لا عجب (زجر الطير) التفاؤل بها وفسر الشافعى رضى الله عنه قول النبى صلى الله عليه وسلم أقروا الطير على مكناتها بأن الرجل كان فى الجاهلية إذا اراد الحاجة اتى الطائر فى وكره فنفره فان اخذ ذات اليمين مضى لحاجة وإن اخذ ذات الشمال رجع فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل قيل وما الفأل قال كلمة طيبة وزجر الطير التيامن بها والتشاؤم وكان عند العرب قوة زائدة وادراك فينظر الزاجر منهم للطائر ولما يفعل فيستقرى من ذلك يتيامن به ويتشاءم منه مثل ما يحكى عن أمية بن ابى الصلت أنه كان يشرب مع اخوان له فى قصر غيلان بالطائف إذ سقط غراب على شرف القصر فنعب نعبة فقال له امية بفيك الكثكث وهو التراب فقال له اخوانه ما يقول قال يقول إذا شربت الكأس الذى فى يدك مت ثم نعب نعبة فقال أمية نحو ذلك فقالوا له وما يقول قال زعم أن علامة ذلك ان يقع على هذه المزبلة تحت القصر فيستثير عظما فيشجى به فيموت فبينما هم يتكلمون اذ وقع الغراب على هذه المزبلة ليلتقط فاستثار عظما

فأراد ان يبتلعه فشجى فمات فانكسر أمية ووقع الكأس من يده وتغير لونه فجعلوا يعيرونه عليه ويقولون ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلا فألحوا عليه حتى شرب الكأس فبال فى شق فأغمى عليه ثم أفاق، وقال لابرىء فأعتذر ولا قوى فأنتصر ثم زهقت نفسه ، وحكى المدائنى قال : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ليزور عزة فلما قرب منها رأى غرابا على شجرة ينتف ريشه فتطير من ذلك فلقيه رجل من بنى لهب فقال يا أخا الحجاز ما كاسف اللون فذكر له ما رأى فقال إنك تطلب حاجة لا تدركها فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة فقال :

رأيت غرابا ساقطا فوق بانة ينتف أعلى ريشه ويطايره
فقلت ولو أنى أشاء زجرته بنفسى للهى فهل أنت زاجره
فقال غراب لاغتراب من النوى وفى البان بين من حبيب تجاوره
فما أعيف اللهى لادر دره وأزجره للطير لا طار طائره

وممن زجر لنفسه بشر ذو الرمة فقال :

رأيت غرابا ساقطا فوق قضبة من القضب لم ينبت لها ورق خضر
فقلت غراب لاغتراب وقضبة لقضب النوى تلك العيافة والزجر

وممن زجر بخير أبو حية حين قال :

وقال صحابى هدهد فوق بانة هدى وبيان بالنجاح يلوح
وقالو دم دامت مواثيق بيننا فدام لنا حلو الصفاء ضريح
وقالوا حمامات فحم لقاؤها وطلح فزيرت والمطى طلوح

ومن ملح الزجر زجر أبى نواس وذلك أنه استخفى عنده أصحابه وكان لا يفارقهم ووجهوا رسولا إليه فرمى له ظهر قرطاس من وراء الباب غير مكتوب وحرموه بزيز وختموه بقار وأمروا الرسول أن يرمى اليه الكتاب من وراء الباب فاستعلم موضعهم وتعرف حالهم وكتب إليهم :

زجرت كتابكم لما أتانى بمر سوانح الطير الجوارى
نظرت إليه مخروما بزيز على ظهر ومختوما بقار
فعفت الظهر أهيف قرطقيا يحار الطرف منه باحورار
وكان الزيز ذا شدو مصيب وقار الختم من قار العقار
فطرت إليكم يا أهل ودى بقلب من هواكم مستطار
فكيف ترونى وترون زجرى ألست من الفلاسفة الكبار

وما أحسن قول ابن قاضى ميلة وجمع الوصفين .

ولما التقينا محرمين وسيرنا بلبيك يطوى والركائب تعسف
فقلت لتربيها أبلغاها بأننى بها مستهام قالتا نتلطف
تفاءلت فى أن يطو طارق الهوى بأن عن لى منها البنان المطرف

فلم أزَلْ أنشُدُهُ فى المحافِلِ ، وعِنْدَ تلقِّى القوافِلِ ، فلَا أجدُ عَنْهُ مُخبِرًا ، ولا أرَى لهُ أثرًا ولا عِثيرًا ؛ حتى غَلَبَ اليأسُ الطَّمَعْ ، وانزَوَى التَّأْميلُ وانقَمَع ، فإنِّى لذاتَ يوْمٍ بحضْرةِ والِى مرْو ، وكَانَ مِمَّنْ جمعَ الفَضْلَ والسَّرْو ؛ إذْ طَلَعَ أبُو زَيْدٍ فى خَلَقٍ مِمْلاق ، وخُلُقٍ مَلَّاق ، فحَيَّا الوَالِىَ تحيَّةَ المُحْتاج ، إذا لَقِىَ ربَّ التَّاج ، ثم قال له : اعْلَمْ وُقِيتَ الذَّمّ ، وكُفِيتَ المَهَمّ ، أنَّ مَنْ عُذِقَتْ به الأعْمال ؛ أُعْلِقَتْ به الآمال ، ومَنْ رُفِعَتْ لهُ الدَّرجات ، رُفِعَتْ إليهِ الحاجات ، وأنَّ السَّعيدَ مَنْ إذا قَدَر ، وواتَاه القَدَر ، أدَّى زَكَاةَ النِّعَمِ ، كما يُؤَدِّى زَكَاةَ النَّعَم ، والتزَمَ لأهْلِ الحُرَم ، ما يلتزِمُ للأهْلِ والحَرَم ، وقدْ أصْبحْتَ بحمْدِ اللهِ عَميدَ مِصْرِك ؛ وعِمادَ عَصْرِك ، تُزْجَى الرَّكَائِبُ إلى حَرَمِك ؛ وتُرْجَى الرَّغائِبُ مِنْ كَرَمِك ، وتُنْزَلُ

وأما دماء الهدى فهو تواصل ... يدوم ورأى فى لهوى يتألف
وفى عرفات ما يخبر أننى ... بعارفة من نيل وصلك أسعف
وتقبيل ركن البيت أقبال دولة ... لنا وزمان بالمودة يعطف
وأبلغتها ما قلته فتنهدت ... وقالت أحاديث العيافة زخرف
ائن كنت ترجو فى منى الفوز بالمنى ... فبالخيف من أعراضنا تتخوف
وقد أنذر الأحرام أن وصالنا ... حرام وأنا عن مرادك نصرف
فهذا وقذف بالحصا لك منذر ... بان النوى لى عن ديارك يقذف
فبـادر نفارى ليلة النفر إنه ... سريع وقل من بالعيافة أعرف

(أنشده) أى أطلبه (المحافل) الجوع (القوافل) الرفاق الرواجع (عثيرا) غبارا (اليـأس) قطع الرجاء (انزوى) انقبض (التأميل) الترجى وهو مصدر أمل الخير أى ترجاه (انقمع) انكف (السرو) السيادة (مملاق) فقير (ملاق) متلف فى كلامه (عذقت) علقت وشددت به وعذق شاته يعذقها إذا ربط فى صوفها خرقة تخالف لونها (الدرجات) المنازل الشريفة ... وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله وهما السخاء والسماحة وخلقان يبغضهما الله وهما البخل وسوء الخلق وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس ، وقال خالدبن صفوان : لاتسأل الحوائج ثلاثة لاتسألها كذوبا فيقرب بعيدا ويبعد قريبا ولا أحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ولا رجلا له إلى صاحبك حاجة فانه يصير حاجتك بطانة لحاجته (واتاه) وافقه وطاوعه (أدى) أعطى (زكاة النعم) الإبل والشاه أى أعطى الصنائع والمعروف (الحرم) جمع حرمة أراد بذلك أهل الصيانة والعفاف .. الفنجديهى الحرم أقوام محترمون والحرم الثانى الأهل والقرابة ومن يحرم على الإنسان نكاحه أو تركه لضياعه (عميد) سيد (مصرك) بلدك والمصر الحد ويكتب اهل تجد اشترى فلان من فلان الدار بمصورها اى بحدودها . . قطرب : هو مأخوذ من مصرت الناقة امصرها مصرا إذا حلبتها وجعلت ضرعها بين اصبعين نخرج من اللبن شىء قليل فيسمى مصرا لأن الناس يجيئون اليه ثم يثبتون اول فأول وقيل المصر العلامة (العماد) مايقول عليه الخباء شبهه فى قيامه بالأمور بالعماد (تزجى) تساق (الركائب) الإبل (حرمك) بلدك وموضعك الذى تحميه (الرغائب) العطايا (ساحتك) فناء دارك

اَلمطالِبُ بِساحَتِكَ ، وتُسْتَنزَلُ الرَّاحَةُ مِنْ رَاحَتِك ، وكَانَ فَضْل اللهِ عَلَيْكَ عَظِيما ، وإحْسَانُهُ لَدَيْكَ عَمِيما ،

(راحتك) كفك .. ونذكر من الأحاديث مايوافق هذا الفصل الذى قدمنا تفسيره ، قال النبى صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤونة الناس اليه فان لم يقم بتلك المؤونة عرض النعمة للزوال .. عمرو ابن العاص : والله لرجل ذكرنى ينام على شقه مرة وعلى الأخرى أخرى يرانى موضعا لحاجته لهو أوجب على حقا إذا سألها منى أقضيها له .. وقف العتابى بباب المأمون فجاء يحيى بن أكثم فقال له إن رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بموضعى قال لست بحاجب قال لقد علمت ولكنك ذو الفضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير طريق قال إن الله تعالا الحقك بجاه ونعما فهما مقيمان عليك بالزيادة إن شكرت وبالغير إن كفرت وأنا اليوم لك خير منك لنفسك أدعوك إلى مافيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك ولكل شىء زكاة وزكاة الجاه بذله للمستعين ... وأما قوله تزجى الركائب إلى حرمك فهو كثير فى الشعر ، ونذكر منه شيأ يبين حالة القصد لهذا الاسم ، قال الحسن (أبو نواس) يمدح الأمين :

أقول والعيس تعرورى الفلاة بنا	صفر الأزمة من مشى ووخدان
ياناق لا تسأمى أو تبلغى ملكا	تقبيل راحته والركن سيان
محمد خير من يمشى على قدم	ممن برا الله من إنس ومن جان
محمد بين أملاك تفضله	ولادتان من المنصور ثنتان
تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها	خلقا وخلقا كما قد الشرا كان
سيان لافرق فى المعقول بينهما	مغناهما واحد والعدة اثنان

وقال حبيب :

الى أحمد الممدوح أمت بنا السرى	نواعب فى عرض الفلا ورواسم
إلى سالم الأخلاق من كل عائب	وليس له مال من الجود سالم
جدير بأن لا يصبح المال عنده	جدير بأن يبقى وفى الأرض غارم

وقال آخر :

سأجهد عزمى والمطايا فاننى	أرى العفو لا يمتاح إلا من الجهد
سرين بنا زهو تجد وإنما	يظل ويمسى النجح فى كنف الوجد
قواصد بالسير الحثيث إلى أبى الـ	غيث فما تنفك ترقل أو تخدى
إلى مشرق الأخلاق للجود ماحوى	ويحوى ومايخفى من الأمر أو يبدى
فتى لم يزل تفضى به طاعة الندى	إلى العيشة الغراء والسودد الرغد

وقال فيها معتذرا :

أتانى مع الركبان ظن ظننته	لففت له رأسا حياء من الوجد
ومن زمن البستنيه كأنه	إذا ذكرت أيامه زمن الورد
أسربل هجر القول من لو هجرته	إذا لهجانى منه معروفه عندى
كريم متى أمدحه أمدحه والورى	معى ومتى لمته لمته وحدى

وقال أبو الطيب :

فلم تلق ابن إبراهيم عيسى	وفيها قوت يوم للقراد

ثم إلى شَيْخٌ تَرِبَ بَعْدَ الإتْرَاب ، وعَدِمِ الإعْشَابَ حينَ شاب ؛ قَصَدْتُك مِنْ مَحَلَّةٍ نازِحَة ، وحالةٍ رَازِحَة ، آمُلُ مِنْ بَحْرِكَ دُفْعَة ، ومن جاهِكَ رِفْعَة ،

فلما جئته أعلى محلى — وأجلسنى على السبع الشداد
تهلل قبل تسليمى عليه — وألقى ماله قبل الوساد
كأن الهام فى الهيجا عيون — وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الأسنة من هموم — فلم يخطرن إلا فى فؤادى

وقال أبو الهندى :

سألناه الجزيل فما تأبى — وأعطى فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا — فأحسن ثم عدت له فعادا
مرارا ماقصدت اليه إلا — تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

وقال أبو الطيب:

ولما قلت للابل امتطينا — إلى ابن أبى سليمان الخطوبا
مطايا لا تزل بمن عليها — ولا يبغى لها أحد ركوبا
وترفع دون نبت الأرض فينا — فما فارقتها إلا جريبا
إذا نكبت كنانتها استبنا — بأنصلنا لأنصلها ندوبا
نصيب لبعضها أفواق بعض — فلولا الكسر لاتصلت قضيبا
الست ابن الأولى سعدوا وجادوا — ولم يلدوا امرأ الا نجيبا
ونالوا ما اشتهوا بالحزم هونا — وصاد الوحش نملهم دبيبا
وما ريح الرياض لها ولكن — كساها دفنهم فى الترب طيبا

ومن المدح قول السرى فى أبى الحصين القاضى :

لقد أضحت خلال أبى الحصين — حصونا فى الملمات الصعاب
كسانى ذيل نائله وآوى — غرائب منطق بعد اغتراب
فكنت كروضة سقيت سحابا — فأثنت بالنسيم على السحاب

وقال بديع الزمان وشاعر الأوان :

ياسيد الأمراء فخرا فما ملك — الا تمناك مولى واشتهاك أبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا — لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت — والليث لو لم يصل والبحر لو عذبا

هذه الجملة كافية وكأنها تفسير ماأجمل من ذكر ممدوحه (ترب) افتقر فلم يبق له مايقعد عليه غير التراب (الاتراب) الاستغناء وأتراب صار له من المال بكثرة التراب (الاعشاب) إصابة العشب وأراد به المال (محلة) منزل يحل فيه (نازحة) بعيدة (رازحة) كالة من الهزال ورزح رزوحا كل من العمل . ابن الأنبارى: رزح فلان ضعف وذهب مافى يده وأصله من رزحت إبل فلان وكلابه إذا ضعفت ولرقت بالأرض وقيل هو من المرزح وهو المطمئن من الأرض فكأن الرازح قد لزمه وضعف عن الارتقاء إلى العلو (آمل) أرجو (جاهك) عزك

وَالتَّأْمِيلُ أَفْضَلُ وَسَائِلِ السَّائِلِ ، وَنَائِلِ النَّائِلِ ، فَأَوْجِبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيْكَ ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْوِيَ عِذَارَكَ ، عَمَّنِ ازْدَارَكَ وَأَمَّ دَارَكَ ، أَوْ تَقْبِضَ رَاحَكَ عَمَّنِ امْتَاحَكَ ، وَامْتَارَ سَمَاحَكَ ، فَوَاللهِ مَا مَجَدَ مَنْ جَمَدَ ، وَلَا رَشَدَ مَنْ حَشَدَ . بَلِ اللَّبِيبُ مَنْ إِذَا وَجَدَ جَادَ ، وَإِنْ بَدَأَ بِعَائِدَةٍ عَادَ ، وَالْكَرِيمُ مَنْ إِذَا اسْتُوهِبَ الذَّهَبَ ، لَمْ يَهَبْ أَنْ يَهَبَ ، ثُمَّ أَمْسَكَ يَرْقُبُ أُكُلَ غَرْسِهِ ، وَيَرْصُدُ مَطِيَّةَ نَفْسِهِ ؛ وَأَحَبَّ الْوَالِي أَنْ يَعْلَمَ هَلْ نُطْفَتُهُ ثَمَدٌ ؛ أَمْ لِقَرِيحَتِهِ مَدَدٌ ؛ فَأَطْرَقَ يُرَوِّي فِي اسْتِبْرَاءِ زَنْدِهِ ، وَاسْتِشْفَافِ فِرِنْدِهِ ؛ وَالْتَبَسَ عَلَى أَبِي زَيْدٍ سِرُّ صَمْتِهِ ، وَإِرْجَاءُ صِلَتِهِ فَتَوَغَّرَ غَضَبًا وَأَنْشَدَ مُقْتَضِبًا

لَا تَحْقِرَنَّ أَبَيْتَ اللَّعْنَ ذَا أَدَبٍ ... لِأَنْ بَدَا خَلَقَ السِّرْبَالِ سُبْرُوتَا

(والوسائل) جمع وسيلة وهو الشفيع فجعل تأميله أفضل وسيلة (نائل) عطاء (النائل) المعطى ونلت له بالعطاء أنول وأنلت أنيل ورجل نال ورجلان نالان ورجال أنوال ونلته أنوله نولا أعطيته قال الأعشى :

ينول العشـــيرة ما عنـــده ... ويغفر ما قال جهـالهـــا

(تلوى عذارك) تعرض بوجهك (ازدارك) بمعنى زارك واستعمل قصدك (راحك) جمع راحة وهى باطن الكف (امتاحك) استسقاك وأراد طلب معروفك قال الراجز :

أفلح ساق بيدك امتاحا ... وقر عينا ورجا الفلاحا

(امتار) استجلب منك الرزق (سماحك) جودك (مجد) كرم وصار ماجدا أى شريفا ومجد يمجد مجدا فهو ماجد ومجد مجادة فهو مجيد وقيل المجد تكرم الآباء خاصة وقيل الأخذ من الشرف والسودد ما يكفى وقيل كرم الفعل (جمد) بخل (حشد) جمع المال (اللبيب) العاقل (وجد) استغنى (جاد) تكرم (عاد) فعلها مرة بعد أخرى وقد تقدم منظوما (لم يهب) لم يخف (أن يهب) أن يعطى وهذا كله قصد فيه التجنيس فجاء منه بكل بديع (نطفته ثمد) أى ماؤه قليل . الأزهرى : النطفة تقال للماء القليل والكثير ورأيت أعرابيا شرب من ركية غزيرة الماء فقال والله إنها لنطفة باردة والثمد الماء القليل لا مدد له (قريحته) ذهنة (أطرق) أى أمال رأسه للفكرة (فى استبراء زنده) فى استخراج ناره وأراد طلب ما عنده من العلم (الاستشفاف) الاستقصاء فى النظر والتأمل فيما يبصر واستشف الثوب جعله طاقا واحدا أو رفعه فى ظل حتى ينظر اكثيف هو أم رقيق واستشفه رأى ما وراءه والاستشفاف النظر إلى كل شىء صقيل (الفرند) جوهر السيف وأراد أن الوالى أعجب بكلامه فأراد أن يعلم هل كان حفظه لغيره أو ارتجله لنفسه (صمته) سكتته (ارجاء) تأخير (توغر) توقد (مقتضبا) مرتجلا (أبيت اللعن) تحية ملوك الجاهلية قال ابن الأنبارى رحمه الله فى تفسيرها قولان أحدهما ابيت أن تأتى من الأشياء ماتستحق اللعن عليه فاللعن منصوب والآخر هو أردأ القولين أن تكون الألف بمعنى ياوبيت من البيوت مضافا إلى اللعن لأن بعضهم يخفض اللعن وتقديره يابيت اللعن سمة للملك نقل من الوجه الأول لكثرة الاستعمال ألا ترى انها تعطى معنى النداء فى البيت وتقديره يا ملك او ياامير

وَلَا تُضِعْ لِأَخِي التَّأْمِيلِ حُرْمَتَهُ　　أَكَانَ ذَا لَسَنٍ أَمْ كَانَ سِكِّيتَا
وَانْفَحْ بِعُرْفِكَ مَنْ وَافَاكَ مُخْتَبِطًا　　وَانْعَشْ بِغَوْثِكَ مَنْ أَلْفَيْتَ مَنْكُوتَا
فَخَيْرُ مَالِ الفَتَى مَالٌ أَشَادَ لَهُ　　ذِكْرًا تَنَاقَلَهُ الرُّكْبَانُ أَوْ صِيتَا
وما عَلَى المُشْتَرِي حَمْدًا بِمَوْهِبَةٍ　　غَبْنٌ ولوْ كَانَ مَا أَعْطَاهُ يَاقُوتَا

ويتضمن معناه لدعاء. أي جعلك الله ممن يكره اللعن ولذا وقع اعتراضا بين اللفظين الأول طالب الثانى كماقال ابن محلم : إن الثمانين وبلغتهـا　قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
(سبروتا) فقيرا محتاجا والسبروت الفقير الذى لاثياب له (ذا لسن) أى فصيحا (سكيتا) عييا كثير السكوت (أنفح بعرفك) أى ارم بمعروفك (وافاك) أتاك (مختبطا) سائلا لمعروفك (أنعش بغوثك) أى أرفع بعطيتك والغوث الإغاثة وهى المبادرة بالنصرة لمن جاء يستغيثك والانعاش أن ترى رجلا قد أهوى للسقوط فترفعه أو افتقر فتجبره (منكوتا) ملق على رأسه ونكت الرجل فهو منكوت إذا ضرب فأسقط على رأسه (أشاد) أى رفع (صيتا) ذكرا حسنا وقال النبى صلى الله عليه وسلم إذا أردتم أن تعلموا ماللعبد عند الله فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء وقيل لبعض الحكماء ما أحمد الأشياء قال أن يبقى للانسان أحدوثة حسنة . أكثم بن صيفى : إنما أنتم خبر فطيبوا أخباركم ، أخذه حبيب فقال :

وما ابن آدم إلا ذكر صالحة　　أو ذكر سيئة يسرى بها الكلم
أما سمعت بدهر باد أمته　　جاءت بأخبارها من بعدها أمم

الأحنف : ما ادخرت الاباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء شيأ أفضل من أصطناع المعروف عند ذوى الأحساب وقيل لمعاوية أى الناس أحب اليك قال من كان له عندى يد صالحة قيل فان لم تكن قال فمن كانت لى عنده يد صالحة . قال برزجمهر إذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لاتفنى وإذا أدبرت عنك فانفق منها فانها لاتبقى أخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

لا تبخلن بدنيا وهى مقبـلة　　فليس ينقصها التبذير والسرف
فإن تولت فأحرى أن تجودبها　　فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وقال آخر :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها　　على الناس طرا قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها إذا هى أقبلت　　ولا الشح يبقيها إذا هى ولت

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر من رزقه الله حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به فإنما يترك لأحد رجلين أما لمصلح فلا يقل عنده شىء وأما لمفسد فلا يبقى له شىء أخذه الشاعر فقال

اسعد بمالك فى الحياة فإنما　　يبقى خلافك مصلح أو مفسد
فاذا جمعت لمفسد لم تغنه　　وأخو الصـلاح قليلة يتزيد

(لولا المروءة) المروءة هى الأفعال الشريفة التى يجب أن يقال للرجل بها امرء مثل الرجولة للافعال التى يستحق الرجل ان يقال له بها رجل وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا دين إلا بمروءة وقال عمر رضى الله عنه

لولا المُرُوءَةُ ضاقَ العُذْرُ عن فَطِنٍ إذا اشرأَبَّ إلى ما جاوَزَ القُوتا
لكنّهُ لابتِغاءِ المَجْدِ جَدَّ ومِنْ حُبِّ السّماحِ ثَنى نحوَ العُلَى لِيتا
وما تَنَشَّقَ نَشْرَ الشُّكرِ ذُو كَرَمٍ إلّا وأَزْرَى بِنَشْرِ المِسْكِ مَفْتُوتا
والحَمْدُ والبُخْلُ لم يُقْضَ اجْتِماعُهُما حتى لقدْ خِيلَ ذا ضَبًّا وذا حُوتا

المروءة مروءتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة الرياش والباطنة العفاف . وقدم وفد على معاوية رضى الله عنه فقال لهم ماتعدون المروءة قالوا العفاف وإصلاح المعيشة قال اسمع يايزيد ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم تجاوزوا لذوى المروءات عثراتهم فوالله إن أحدهم ليعثر وإن يده بيد الله . عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : انا معشر قريش نعد الحلم والجود سوددا ونعد العفاف وإصلاح المال مروءة ، أنوشروان : المروءة ان لاتعمل عملا فى السر تستحى منه فى العلانية . غيره : المروءة اسم جامع للمحاسن كلها وقالوا المروءة العفة والحرفة (اشرأب) تشوف والتشوف ان تسمع بالشىء وتتطلع ان تراه وتمتد ان تنظر اليه يقول لولا الأفعال الجميلة كان عذر الفطن الحاذق يضيق عليه إذا سئل وقيل له قد جاوز مالك قوتك وفضل عن مؤونتك فلم تجهد فى طلب المال وترغب فى الزيادة منه قال فى المروءة توسع عليه عذره فيقول ذو المروءة إنما أكتسبه لانفقه فى البر وبين هذا بقوله (ثنى نحو الغنى ليتا) والليت صفحة العنق فيقول إنما ثنى عنقه وأمالها حبا فى السماح وقد سبقه إلى هذا التهامى بقوله :

ولولا العطايا أنها سنة له لما قال للدنيا إذا عثرت لعا
فان باشر الدنيا فللجود نالها وإن هجر الدنيا فعنها ترفعا

فزاد بقوله وإن هجر الدنيا معنى حسنا ، وقالوا نعم العون على المروءة المال وقال الأحنف بن قيس

فلو مد سروى بمال كثير لجدت وكنت له باذلا
فان المروءة لاتستطـــاع إذا لم يكن مالها فاضلا

وقال آخر :

لولا شماتة اعداء ذوى حسد أو أن أنال بنفع من يرجينى
لما خطبت الى الدنيا مطالبها ولا بذلت لها عرضى ولادينى

(تنشق) أى شم (نشر) رائحة (أزرى) عاب (مفتوتا) مدقوقا ، يقول : لشكر المعروف عند أهل الجود أعطر من الريح المسك إذا فت فانتشرت رائحته . وقال ابراهيم الشيبانى كنت أرى رجلا من وجوه أهل الكوفة لايجف لبده ولا يستريح قلبه فى طلب حوائج الناس وادخال المرافق على الضعيف فقلت له أخبرنى عن الحال التى هونت عليك هذا التعب فى القيام بحوائج الناس ماهى ؟ قال قد والله سمعت تغريد الأطيار بالأسحار فى فروع الاشجار وسمعت خفوق أوتار العيدان وترجيع أصوات القيان فما طربت من صوت قط طربى من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن وماسمعت أحسن من شكر حر لرجل حر ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر فقلت له لله ابوك لقد حشيت كرما ، فلذة السمع هنا بمنزلة الشم فى البيت (خيل) حسب والضب والحوت

والسَّمْحُ فى النَّاسِ مَحْبُوب خَلائِقُهُ　　والجامِدُ الكَفِّ ما يَنفَكُّ مَمْقُوتا
ولِلشَّحِيحِ عَلَى أمْوالِهِ عِلَلٌ　　يُوسِعْنَهُ أبَدًا ذَمًّا وتَبْكِيتا
فَجُدْ بما جَمَعْتَ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ　　حتى يُرَى مُجْتَدِى جَدْواكَ مَبْهُوتا
وخُذْ نَصِيبَكَ مِنْهُ قَبْلَ رائِعَةٍ　　مِنَ الزَّمانِ تُرِيكَ العُودَ مَنْحوتا

قد تقدما فى الثامنة عشرة (الجامد الكف) هو البخيل وهو ضد السمح (ممقوتا) مبغوضا (علل) اعذار (يوسعنه ذما) أى يكثرن ذمه (التبكيت) الهوان والتوبيخ (جد) تكرم (نشب) مال (مجتدى جدواك) طالب عطياك (مبهوتا) متحيرا يريد أنه يعجب من كثرة ماتعطيه فيتحير ومايدرى كيف يشكرك. ومن مدح الكرم وذم البخل قالوا لولم يكن فى الكرم إلا أنه من صفات الله عز وجل لكفاك وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الجود ومكارم الأخلاق ويذم سفسافها وقال لقوم من العرب من سيدكم فقالوا فلان على بخل فيه فقال عليه الصلاة والسلام وأى داء أدوأ من البخل وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال المأمون لمحمد بن عباد أنت متلاف فقال منع الجود سوء ظن بالمعبود يقول الله عز وجل وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال كسرى عليكم بأهل السخاء والشجاعة فانهم أهل حسن الظن بالله ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضر بخلهم ومذمة الناس لهم وإطباق القلوب على بغضهم الاسوء ظنهم بربهم فى الخلف لكان عظيما أخذه محمود الوراق فقال :

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا　　والبخل من سوء ظن المرء بالله

وخوف بخيل سخيا الأملاق والفقر فرد عليه السخى يقول الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا وقال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر إنك قد أسرفت فى بذل المال فقال بابى أنتما وأمى إن الله عودنى أن يتفضل على وعودته أن تفضل على عبيده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى عادته (وخذ نصيبك منه قبل رائعة) الرائعة الشيبة لأنها تروع الإنسان أى تفزعه وتعلمه أنها تأتيه بالكبر والهرم (العود المنحوت) أراد به الجسم اليابس لأن الهرم يذهب نعمة الجسم وأصل المنحوت المنجور وأراد بقوله خذ نصيبك قوله عليه الصلاة والسلام يقول ابن آدم مالى مالى وماله من ماله إلا ما أكل فأفنى أو لبس فابلى أو أعطى فامضى ، وقال الشاعر فى الرائعة :

أهلا برائعة للشيب واحدة　　تنهى الشباب وتنهانا عن الغزل

وقال أبو الطيب المتنبي :

راعتك رائعة المشيب بعارضى　　ولوانها الأولى لراع الاسحم
لو كان يمكننى سفرت عن الصبا　　فالشيب من قبل الأوان يلثم

فى رواية ابن جنى رائعة البياض وقال هى أول شعرة تطلع من الشيب وانشد ابن الأعرابى أهلا برائعة الشيب وأنشد غيره برائعة بيضاء أى بشعرة تطلع من المشيب بيضاء تروع الناظر وهذا أصوب من الوجه

الآخر وقال كثير: كذب العواذل بل أردن خياتى وبدت روائع لمتى وقتوم

وقال الألبيرى: بصرت بشيبة وخطت بليلى فقلت لها تأهبي للرحيل

ولا يهن القليل عليك منها فما للشيب ويحك من قليل
فكم قد أبصرت عيناك مزنا أصابك طلها قبل النزول
فلا تحقر بنور الشيب واعلم بأن القطر يبعث بالسيول

وقال أبو بكر البلوى: نكبت فى شعرى وشعرى واما نفسى فى صبرى بمنكوبة
إذا دنت بيضا مكروهة منى نأت سوداء محبوبة

وقال كشاجم فأحسن:

نظر إلى المراة فروعتنى طلائع شيبتين لدى المتاب
فأما شيبة ففزعت منها إلى المقراض من حب التصابى
وأما شيبة فصفحت عنها لتشهد بالبراءة من خضابى
فيالك من مشيب قد تبدى أقمت به الدليل على شبابى

وقال البحترى: وأبت ترك الغديات والآ صال حتى قضين بالمقراض

شعرات أقصهن ويرجعـ ـن رجوع السهام فى الأغراض

وقال ابن المعتز: ألست شيبا برأسى شاملا ونت حيلتى عنه وضاق به ذرعى
كأن المقاريض التى يعتورنه مناقير طير ينتقى سنبل الزرع

وقال رجل من الأزد:

ولقد أقول لشيبة أبصرتها فى مفرق فنحتها إعراضى
عنى اليك فلست منتهيا لقد عممت منك مفارقى ببياض
هل لى سوى عشرين عاما قد مضت مع ستة فى إثرهن مواضى
ولقلما أرتاع منك وإننى فيما هويت وإن وزعت لماضى
فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى وعلى أن ألقاك بالمقراض

وقال أبو نواس: وإذا عددت السن كم هى لم أجد للشيب عذار أن يلم براسى

وقال أبو دلف: فى كل يوم أرى بيضاء قد طلعت كأنما نبتت فى ناظر البصر
لئن قرضتك بالمقراض عن بصرى لما قرضتك عن همى وعن فكرى

وقال كشاجم: أخى قم فعاونى على شيبة بغت فانى منها فى عذاب وفى حرب
إذا ما مضى المنقاش يأتى بها أتت وقد أخذت من دونها جارة الجنب
كجان على السلطان يجزى بذنبه تعلق بالجيران من شدة الرعب

ولأبى الفضل الدارمى:

شيبة نغصت على شبابى فتعمدت نتفها غير وان

فالدَّهرُ أنكَدُ مِنْ أن تَستَمِرَّ به ... حالٌ تَكَرَّهتَ تلكَ الحالَ أمْ شِئتا

فقال له الوالى : تاللهِ لقدْ أحْسَنْت ، فأَىُّ ولَدِ الرَّجُلِ أنت ، فَنَظَرَ إليه عَنْ عُرْض ، وأنْشَدَ وهوَ مُغْض :

لا تَسْأَلِ المَرْءَ مَنْ أبوهُ ورُزْ ... خِلالَهُ ثم صِلْهُ فاصْرِمِ

قلت ماذا كذا لعمر التصابى ... لشبابى أجل عند الحسان

فاجابت جرى من الرسم للسلـ ... ـطان أخذ البراء مثل الجانى

فان ازددت فى الجفا فلا تنـ ... ـكر قدومى عليك مع إخوانى

هذا مثل قول الاخر :

وزائرة للشيب لاحت بعارضى ... فبادرتها بالقطف خوفا من الحتف

فقالت على ضعفى استطلت ووحدتى ... رويدك حتى يلحق الجيش من خلفى

فلم يك الا عن قريب فاقبلت ... وعمت جميع الرأس رغما على أنفى

فوا أسفا لو كان يغنى تأسفى ... على زمن ولى ونحن على حرف

وقال الرمانى: وثلاث شيبات طلعن بمفرقى ... فظننت أن نزولهن رحيلى

فعزلننى عن صبوتى فلئن ذللت ... لقد سمعت بذلة المعزول

وفى معنى قول أبى نواس ، وإذا عددت السن كم هى ، قال المعرى

عجبت هند من تسرع شيبى ... قلت هـذا عقبى فطام السرور

عوضتنى يد السفاسف من مسـ ... ـك عذارى ريشا من الكافور

كان لى فى انتظار شيبى حساب ... غالطتنى فيه صروف الدهور

وقال ابن الملح الشبلى: طلع المشيب بلمتى ... فتعجبوا من كده وتعجبوا من مهلته

ما شبت من كبر ولكن من يبت ... دنفا ومشتاقا يشب من ليلته

وقال أبو عثمان الخالدى: فديتك ما شبت من كبرة ... وهذى سنى وهـذا الحساب

ولكن هجرت فحل المشيب ... ولو قد وصلت لحل الشباب

وهذا القدر كاف (فالدهر أنكد) البيت يقول إن كنت غنيا أو فقير فتلك حال لا تدوم كرهت حالتاو رضيتها (أى ولد الرجل انت) هذا الكلام إنما يقع فى باب النفى قال يعقوب تقول العرب لا ادرى اى ولد الرجل هو يعنون بالرجل آدم وولده الناس فكأنه قال ما ادرى اى الناس هو (عرض) جانب (مغض) مغمض عينيه يريد انه لم يعجبه سؤاله فلم يقبل عليه بنظره ولا بانشاده (ورز) بالراء قبل الزاى معناه اختبر واطلب قال ابن الأنبارى رزت ما عنده اى طلبته واردته قال الزبيدى الروز قريب من التحقيق والروز أن تأخذ الصنجة بيدك فترفعها لتختبر ثقلها قال الشاعر

وإن الله راز حلوم قيس ... فلما ذاق خفتها قلاها

فما يَشِينُ السُّلَافَ حينَ حَلَا مَذاقُها كَوْنُها ابنَةَ الحِصْرِمِ

قال فقرَّبَهُ الوالى لِبَيانِهِ الفاتِنِ ، حتى أحلَّهُ مَقعدَ الخاتِنِ ، ثم فَرَضَ له منْ سُيُوبِ نَيْلِه ، ما آذَنَ بِطُولِ ذَيْلِه ، وقِصَرِ لَيْلِه ،

وقال الأعشى : فمشى ولم يخش الأنيس فرازها وخلا بها

(اصرم) اقطع الصحبة (السلاف) الخمر الخالصة (الحصرم) الحامض لأن عود العنب حامض ويتولد عنه شيء لذيذ وتقدم معنى البيتين ، وأما وجود الأشياء مع أضدادها مثل الحلاوة مع ما أصله مرفله نظائر قال حبيب : والنار قد تنتصى من ناضر السلم ، وقال المتنبى :

فان الماء يخرج من جماد وإن النار تخرج من زناد

قد يجرى أيضا خلاف العادة فى الأشياء فقد يتشابه الشيئان من جهة ويتباعدان من أخرى قال المعرى :

قد يبعد الشيء من شيء يشابهه إن السماء نظير الماء فى الزرق

قال المتنبى وقدسبقه اليه:وقد يتقارب الوصفان جدا وموصوفا هما متباعدان

وما أحسن قول ابن صادرة:

يا من يعذبنى لما تملكنى ماذا تريد بتعذيبى وإضرارى
تروق حسنا وفيك الموت أجمعه كالصقل فى السيف أو كالنور فى النار

وقال ابن عبدون أستاذ بلنسية :

يا من محياه جنات مفتحة وهجره لى ذنب غير مغفور
لقد تناقضت فى خلق وفى خلق تناقض النار بالتدخين والنور

(مقعد الخاتن) كناية عن القرب كما أن مزجر الكلب كناية عن البعد (سيوب) عطايا وأصلها الكنوز والمعادن (نيله) ماله الموهوب ، وفى العين : أنلت المعروف ونلته ونولته واسم ماتهب النوال والنيل(آذن)أعلم (طول ذيله) كثرة ماله (قصر ليله) يريد قلة همه لأن المهموم لاينام فيطول ليله ، ووصف الليل بالطول والقصر له باب مشهور فى كتب الأدب تركنا ذكره لشهرته وكثرته وعلته راجعة لما ذكر من أن ليل السرور قصير وليل الهم طويل . وحدث اسحق الموصلى قال دخلت عل الرشيد وهو مستلق على قفاه وهو يقول أحسن والله فتى قريش وظريفها وشاعرها قلت فيم ذلك يا أمير المؤمنين قال فى قوله :

لا أسأل الله تغييرا لما فعلت نامت وقد أسهرت عينى عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

ثم قال أفتعرفه قلت بصوت ضعيف لا قال بحق عليك قلت نعم هو الوليد بن يزيد فقال استر ما سمعته منى وإنه ليستحق أكثر مما وصفته به ، ولبعضهم وأجاد :

إن الليالى للانام مطية تطوى وتنشر بينها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

فَنَهَضَ عنهُ بِرُدْنٍ مَلْآن ، وَقَلْبٍ جَذْلان ؛ وَتَبِعْتُه حاذِياً حَذْوَه ؛ وقافِياً خَطْوَه ، حتى إذا خَرَجَ مِنْ بابِهِ ؛ وفَصَلَ عن غابه ، قلتُ له : هُنِّئْتَ بِمَا أُوتِيتَ ومُلِّيتَ بِمَا أُولِيت ، فأسْفَرَ وجْهُه وتَلالا ، ووالَى شكْراً للهِ تعالى ، ثم خَطَرَ اخْتِيالا ، وأنشد ارْتِجالا :

مَنْ يَكُنْ نالَ بالحَماقَةِ حَظًّا ... أَوْ سَما قَدْرُهُ لِطِيبِ الأُصُولِ
فَبِفَضْلِي انْتَفَعْتُ لا بِفضُولِى ... وبقَوْلي ارْتَفَعْتُ لا بِقُبُولِى

وأنشد الفنجديهى للطرافى :

أخو الهوى يستطيل الليل من سهر ... والليـل فى طوله جار على قدر
ليل الهوى سنة فى الهجر مدته ... لكنه سنة فى الوصل من قصر

وأنشد السلامى رحمه الله :

ليلى وليلى سواء فى اختلافهما ... قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا
يجود بالطول ليـلى كلما بخلت ... بالطول ليلى وإن جادت به بخلا

وقال ابن أبى دياكل :

يطول اليوم لا ألقاك فيه ... وحول نلتقى فيـه قصير

وتبعه بشار فقال وأحسن :

لا أظلم الليــل ولا أدعى ... أن نجوم الليل ليست تغور
ليلى كما شاءت فان لم تزر ... طال ، وإن زارت فليلى قصير
تصرف الليـل على حكمها ... فهو على ما صرفته يدور

وزاد بن العريف الزاهد على هذا المعنى فقال وأحسن :

لست أدرى أطال ليـلى أم لا ... كيف يدرى بذلك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى ... ولرعى النجوم كنت مخلا
إن للعاشقين عن قصر الليــل وعن طوله من الهم شغلا

(ردن) أى كم (جذلان) مسرور (حاذيا حذوه) أى متبعا له جاعلا قدمى موضع قدمه فيتسع فيه فيقال حذوت حذوه أى فعلت مثل فعله وأصله فى حذو النعل بالنعل وقد تقدم (قافيا) متبعا (فصل) زال وخرج (غابه) موضعه والغاب الشجر الملتف يتخذ الأسد فيه بيتا (مليت) أطيل لك ومتعت به من الملاوة وهو الحين (أوليت) أعطيت (أسفر) أضاء ومثله (تلألأ) إلا أن معناه أبلغ وأصل تلألأ ابيض فأشبه بياض اللؤلؤ وصفاءه يريد أنه انبسط وجهه وحسنت خلقته لما دعا له (والى) كرر (خطر اختيالا) جر أثوابه إعجابا بنفسه (سما قدره) ارتفعت منزلته (طيب الأصول) شرف الجدود (الفضول) الحمق والدخول فيما لا يعنى (القبول) من دون الملك واحدهم قيل وأراد بهم الأجداد الأشراف وطابق بين الحماقة والفضول وبين طيب الأصول والقبول وسلخه من قول المتنبي :

ثم قال تَعْسًا لِمَنْ جَدَبَ الأدَب، وَطُوبَى لِمَنْ جَدَّ فيه وَدَأَب، ثم وَدَّعَنِي وَذَهَب وَأَوْدَعَنِي اللَّهَب

مابقومى شرفت بل شرفوابى ... وبنفسى ارتفعت لابجدودى

أشار إلى نسبه من ملوك كندة وقال آخر :

أيها الفاخر جهلا بالحسب ... إنما الناس لأم وأب
إنما الفخر بعقل راجح ... وبأخلاق حسان وأدب
ذاك من قد فاخر الناس به ... فاق من فاخر منهم وغلب

وقال الحكيم بن قنبر :

لاخير فيمن له أصل بلا أدب ... حتى يكون على مانابه حدبا
كم من حسيب أخي عي وطمطمة ... فدم لدى القوم معروف إذا انتسبا
فى بيت مكرمة آباؤه نجب ... كانوا الرؤوس فأضحى بعدهم ذنبا

وقد تقدمت نظائره (تعسا) أى هلاكا (جدب) عاب وفى الحديث جدب عمر السمر أى عابه وقال ذو الرمة:

إذا نازعتك القوم مية أوبدا ... لك الوجه منها أونضا الدرع سالبة
فيالك من خد أسيل ومنطق ... رخيم ومن خلق تعلل جادبه

(دأب) أى دام عليه (يودعنى) ضمننى وجعله فى قلبي (اللهب) جمر النار ، ومما يتعلق بما قدمناه من الشعر قول جحظة :

أرى الأعياد تتركنى وتمضى ... وأوشك أنها تبق وأمضى
علامة ذاك شيب قد علانى ... وضعفى عند أبرامى ونقضى
وماكذب الذى قد قال قبلى ... إذا مر يوم مر بعضى
أرى الأيام قد ختمت كتابى ... وأحسبها ستتبعه بفض

وعلى قوله : « إذا مر يوم مر بعضى » ، قال بعض بنى حمدان :

المرء وقت وله تناه ... مقدر طوله وعرضه
فكلما مر منه يوم ... فانما مر منه بعضه

وجحظه مطبوع الشعر وهو القائل فى أبى بكر بن دريد :

فقدت بابن دريد كل فائدة ... لما غدا ثالث الأحجار والترب
وكنت أبكى لفقد الجود مجتهدا ... فصرت أبكى لفقد الجود والأدب

أين هذا من قول الفرزدق يرثى سائسا أنشده أبو محمد فى الدرة :

ليبك أبا الخنساء بغل وبغلة ... ومخلاة سوء قد أضيع شعيرها
ومجرفة مطروحه ومحسة ... ومقرعة صفراء بال سيورها

أخذه من قول زيد الخيل يرثى عبدا له :

أما تعاورتك الرماح فلا ... أبكيك إلا للدلو والمرس

وقدمنا فصلا في التشاؤم بالأدب في قوله فقد دهاني شؤمه وأثنى عليه بقوله تعسا لمن جدب الأدب وطوبى لمن وجد فيه ودأب ... ونذكر هنا فصلا مقنعا في مدحه حسبما شرطنا من الجرى معه على أغراضه قال العلاء بن أيوب : كان يقال مثل الأديب ذى القريحة مثل دائرة تدار من خارجها فهى فى كل دارة تدار تتسع وتزداد عظما ومثل الأديب غير ذى القريحة مثل دائرة تدار من داخلها فهى عن قليل تبلغ إلى باطنها . أوصى بعض الحكماء بنيه فقال لهم الأدب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة ويغنى من غير عشيرة ويكثر الأنصار من غير رزية فالبسوه حلة وتزينوا به حلية يؤنسكم فى الوحشية ويجمع القلوب المختلفة ، وقال شبيب بن شيبة اطلبوا الأدب فانه مادة للعقل دليل على المزوءة صاحب فى الغربة مؤنس فى الوحشة حلية فى المجلس وقال الخليل من لم يكتسب بالأدب مالا اكتسب به جمالا وأنشد الأصمعى رحمه الله :

إن يك للعقل مولود فلست أرى ذا العقل مستوحشا من حادث الآدب
إنى رأيتهما كالماء مختلطا بالترب تظهر عنه زهرة العشب

وقال عبد الملك لبنيه عليكم بالأدب فانكم إذا احتجتم اليه كان لكم مالا وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا .. ابن المقنع : إذا أكرمك الناس لما أو لدنيا فلا يعجبنك فان تلك كرامة تزول بزوالها ولكن ليعجبنك إذا أكرموك لدين أو أدب وقال ابن عباس رضى الله عنهما كفاك من علم الدين أن تعرف مالا يسع جهله ومن علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل وقال بزر جمهر ماورثت الآباء الأبناء خيرا من الأدب لان به يكسبون المال وبالجهل يلفونه ، وقال : حسن الخلق خير قرين والأدب خير ميراث والتقوى خير زاد ، وقالوا ثلاث لاغربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الأذى وقال بزر جمهر من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا وبعد صيته وإن كان خاملا وساد وإن كان غريبا وكثرت الحاجة اليه وإن كان فقيرا ، وقال عمر رضى الله عنه من أفضل ما أعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم ، وقالوا الادب أدبان أدب الغريزة وهو الاصل وأدب الرواية وهو الفرع ولا يتفرع الشىء إلا عن أصله ولا ينمو الأصل إلا باتصال المادة ، وقال حبيب فاحسن :

وما السيف إلا زبرة إن تركته على الخلقة الاولى لما كان يقطع

وقال آخر

ما وهب الله لامرىء هبة أفضل من عقله ومن أدبه
هما كمال الفتى فان فقدا ففقده للحياة أحسن به

وقالوا : إذا كان الرجل ظاهر الادب طاهر المنبت تأدب بادبه وصلح بصلاحه أهله وولده ، وقال الشاعر :

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ويعديهم عند الفساد إذا فسد
يعظم فى الدنيا لأجل صلاحه ويحفظ بعد الموت فى الأهل والولد

المقامة التاسعة والثلاثون العمانية

حدَّثَ الحارثُ بنُ همّام قال: لَهِجْتُ مُذِ اخضَرَّ إزارِي، وبَقَلَ عِذارِي، بأنْ أجُوبَ البَرارِي، على ظُهورِ المَهارِي، أُنجِدُ طَوْرا وأسْلُكُ تارَةً غَوْرا، حتى فَلَيْتُ المَعالِمَ والمَجاهِلَ وبَلَوْتُ المَنازِلَ والمَناهِلَ، وأدْمَيْتُ السَّنابِكَ والمَناسِمَ

شرح المقامة

(لهجت) اى اشتد حبى وأصله فى الفصيل اذا رضع أمه يقال لهج بضرع أمه إذ لزمه ليرضعه (اخضر إزارى) كنى به عن الشباب وكانت العرب إذا بلغ منها الغلام الحلم وأشعر لبس الازار ليستر عورته (بقل عذارى) اخضر شاربى وبدا الشعر فى وجهى أخضر مثل البقل ونذكر هنا شيأ مما قيل فى العذار قال أبو نواس

من أين للرشأ الأغن الأحور في الخد مثل عذاره المتحير
قمر كأن بعارضيه كليهما مسكا تساقط فوق ورد أحمر

وقال أيضا :

قد كان بدر السماء حسنا فالناس فى حبه سواء
فزاده ربه عذارا ثم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير يزيد فى الخلق ما يشاء

وقال ابن رشيق

همت عذاراه بتقبيله فاستل من عينيه سيفين
فذلك الحمر من خده دم جرى بين الفريقين

قال غيره :

قمر كأن قوامه من قد غصن مسترق
وكانما قلم الزمر د فى عوارضه مشق

ولأبى الفضل الدارمى : ياذا الذى خط الجمال بوجهه خطين هاجا لوعة وبلابلا
ماصح عندى ان لحظك صارم حتى رأيت بعارضيك حمائلا

وقال أيضا :

قلت للملقى على الخدين من ورد خمارا
أسبل الصدغ على خديك من مسك عذارا
أم أعان الليل حتى غلب الليل النهارا
قال ميدان جرى الحسن عليه فاستدارا
ركضت فيه عيون فأثارته غبارا

اجوب) أى اقطع (البرارى) الصحارى (المهارى) ابل كرام (انجد) أطلع والنجد المرتفع (والغور) ضده قد انجد وغار (اسلك) أدخل وامشى (فليت) قطعت (المعالم) المواضع المعلومة (والمجاهل) ضدها (بلوت) ربت (المناهل) مواضع المياه (السنابك) أطراف الحافر (المناسم) جمع منسم وهو مقدم خف

وأنضيتُ السَّوابقَ والرَّواسِمَ ، فلما مَلِلتُ الإصْحَار ، وقد سَنَحَ لي أربٌ بصُحَار ، مِلتُ إلى اجتياز التَّيَّار ، واختيار الفُلْكِ السَّيَّار ، فنقلتُ إليه أساوِدِي ، واستصحبتُ زادي ومَزَاودِي ، ثم ركبتُ فيه ركوبَ حاذِرٍ ، نَاذِرٍ عاذِلٍ لنفسه عاذِرٍ ، فلما شرعْنَا في القَلْعَة ، ورفعنا الشُّرُعَ للسُّرْعَة سمعنا من شاطئ المَرْسَى ، حين دَجَا اللَّيْلُ وأغْسَى ، هاتفًا يقولُ يا أهلَ ذا الفُلكِ القويم ، المُزجَّى في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل أدُلُّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم ، فقُلْنا له أقبسْنا نارَك أيُّها الدليل ، وأرشِدْنا كما يُرشِدُ الخليلَ الخليلُ فقال أتستصحِبُون ابن سَبيل ، زادُه في زَبِيل ، وظلُّه غيرُ ثقيل ، وما يَبغي سِوى

البعير (انضيت) أهزلت (السوابق) الخيل (الرواسم) الابل السريعة ورسمت الناقة فهى راسمة إذا أثرت فى الأرض من شدة وطئها قال أبو عبيدة رحمه الله إذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الزميل ثم الرسيم (الاصحار) الدخول للصحراء يريد مللت من سفر البر (سنح) ظهر وعرض (أرب) حاجة (صحار) سوق عمان وهى مدينة كبيرة على ساحل البحر مرساها فرسخ فى فرسخ و بلاد عمان ثلاثون فرسخا ماولى البحر سهول ورمال وما تباعد عنه حزون وجبال وهى مدن منها مدينة عمان وهى حصينة على الساحل ومن الجانب مياه تجرى إلى المدينة وفيها دكاكين التجار مفروشة بالنحاس مكان الآجر وهى كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه والحنطة والشعير وقصب السكر وفى الأمثال من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان وفى أحوازها مغاص اللؤلؤ وعمان من أحواز اليمن سميت بعمان بن سبأ . الفنجديهى : صحار اسم بلدة بكورة عمان وهى قصبتها مما يلى الجبل (التيار) البحر (الفلك) السفينة (السيار) الكثير المشى الفلك يكون واحدا وجمعا ويذكر ويؤنث (أساودى) أمتاعى لأنها تسود الارض بظلها وهى جمع أسودة وأسودة جمع سواد وسواد الأمير ثقله . . عبيدة :كل شخص سواد من متاع أو إنسان أو غيره (الحاذر) الخائف (ناذر) حالف وأراد به الذى ينذر بخير أن سلمه الله تعالى من هول البحر (عاذل وعاذر) يريد أنه يعذل نفسه عن التغرير بدخول البحر ومقاساة أهواله ويعذرها لكثرة المتاجر (شرعنا فى القلعة) أخذنا فى قلع المراسى ورفع القلع وهى الشرع (أغشى) أى أظلم (هاتفا) أى صائحا (القويم) المستقيم(المزجى)المسوق المسير قال الله تعالى ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر أى يسيرها وأزجاه إذا ساقه(أقبسنا) أعطنا (أرشدنا)دلنا قال الأزهرى رحمه الله (ابن السبيل) هو المسافر الذى انقطع به وهو يريد الرجوع إلى بلده ولا يجد ما يتبلغ به فله سهم فى الصدقات (زبيل)قفة من جلود وألغز به بعضهم فقال

وذى أذنين لايقتات قوتا ... وجوف للحوائج واحتمال
يكلف شغل أهل البيت طرا ... وتحمل فيه أقوات العيال
تسر اليه فى الاسواق طرا ... فلا يفشيه إلا فى الرحال

(ظله غير ثقيل) أى هو خفيف الروح وقد تقدم معنى استثقال ظله فى الثانية والعشرين ويريد بظله شخصه كما يسمى الشخص سوادا لأنه يسود الأرض بظله قال زياد بن عبد الله قيل للشافعى رضى الله عنه هل تمرض

مَقيل ، فَأَجْمَعْنَا عَلَى الْجُنُوحِ إليه ، وأنْ لا نَبخَل بالماعُون عليه ، فلما استَوَى عَلَى الْفُلْك ، قال أعُوذُ بمَالِكِ الْمُلْك من مَسَالِكِ الهُلْك ، ثم قال رُوِينا فى الأَخْبار ، المَنْقُولَة عَنِ الأحبار ، أنَّ اللهَ تعالى ما أخَذَ عَلَى الْجُهَّالِ أنْ يَتعلَّمُوا ؛ حتى أخَذَ عَلَى الْعُلَماء أنْ يعلِّمُوا ، وأنَّ معِى عُوذَة ، عن الأنبياء مأخُوذَة ؛ وعِنْدِى لكم نَصيحَة بَرَاهِينُها صَحِيحَة ، وَما وَسِعَنِى الْكِتْمَان ، ولا من خِيمِى الحِرْمَان ، فتَدَبَّرُوا الْقَوْلَ وتَفَهَّمُوا ، وَاعْمَلوا بمَا تَعلَّمُونَ وعَمِّمُوا ، ثم صَاحَ صَيْحَة المُبَاهِى ؛ وقالَ أتدْرُونَ ما هى ، هِىَ واللهِ حِرزُ السَّفْر ، عِنْدَ مَسيرِهِمْ فى البَحْر ، والجُنَّةُ مِنَ الغَم ، إذا جاشَ مَوْجُ اليم وبها استَعْصَمَ نُوحٌ مِنَ الطُّوفان ، ونَجا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الحيوان ، على ما صَدَعَتْ به آىُ القُرآن ، ثم قرَأ بَعْدَ أساطِيرَ تَلاها ؛ وزَخارِفَ جَلاها ؛ وقال ارْكَبُوا فيها بِسْمِ اللهِ مُجْراها ومُرْساها ، ثم تنفَّسَ تنفس المُغْرَمِين ، أوْ عِبادِ اللهِ المُكْرَمِين ، وقالَ أمَّا أنَا فقد قُمْتُ فِيكُم مَقَامَ المُبَلِّغين ، ونَصَحْتُ لَكُم نُصْحَ المُبَالِغِين ؛ وسَلَكْتُ بِكُم مَحَجَّةَ الرَّاشِدِين ، فاشْهَدِ اللهُمَّ وَأنْتَ خَيْرُ الشَّاهِدِين

الروح قال نعم من ظل الثقلاء قال فمررت به يوما وهو بين ثقيلين قلت كيف الروح قال فى النزع وقال الهيثم ابن عدى : النظر الثقيل حمى الروح (مقيل) موضع فى القائلة (الجنوح) الميل (الماعون) المعروف والماعون اسم للمضطر وأنشد أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه

يمج صبيره الماعون مجا　　إذا نسم مر الهيف اعتراه

والماعون الزكاة قال الراعى :

قوم على الاسلام لما يمنعوا　　ماعونهم ويضيعوا التهليلا

(مسالك) طرق . ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمان لأمتى من الغرق إذا ركبوا فى السفن أن يقولوا بسم الله الملك وما قدروا الله حق قدره الآية بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم » (إن الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا) قيل معنى أخذ أوجب وأراد قوله تعالى: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ...أبو هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ما آتى الله تعالى عالما علما إلا أخذ عليه الميثاق أن ولا يكتمه ، قال الحسن بن عمر أتيت الزهرى بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت إما أن تحدثنى وإما أن أحدثك قال حدثنى فقلت حدثنى الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار قال سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا قال فحدثنى بأربعين حديثا (عوذة) أى ما يتعوذ به الإنسان من الحرز وشبهه (براهينها) حججها (خيمى) طبعى (الحرمان) منع الفوائد (المباهى) المفاخر الكثير الاعجاب (السفر) المسافرون (الجنة) الستر (جاش) تحرك وهاج (اليم) البحر (استعصم) امتنع (الطوفان) الماء العام (صدعت) نطقت (آى) جمع آية وتقدمت (الأطاطير) هى الأباطيل (زخارف) اشياء مزينة (المغرمين)

قال الحارثُ بنُ همَّام: فأَعْجبَنا بيانُهُ البادِي الطلاوَة ، وَعَجّتْ له أصواتُنا بالتّلاوَة ، وآنسَ قلْبِي مِنْ جَرْسِه ، معْرِفةَ عَيْنِ شَمْسِه ، فقلتُ له بالذى سخَّرَ البَحْرَ اللُّجِّيّ ، ألسْتَ السَّرُوجِيَّ ، فقال لى بلَى، وَهَلْ يخْفَى ابنُ جَلا ، فأَحْمَدْتُ حِينئِذِ السَّفَر ، وَسَفَرْتُ عَنْ نَفْسِى إذْ سَفَر ، وَلم نَزَلْ نَسِيرُ وَالبَحْرُ رَهْوَ ؛ والجَوُّ صَحْو ، وَالعَيْشُ صَفْو والزَّمانُ لَهْو ، وأنَا أجِدُ لِلقِيانَة ، وَجْدَ المُثْرِى بِعِقْيانِهِ، وَأفْرَحُ بِمُناجاتِهِ ،

المعذبين والمغرم المولع بالحب وغيره (الراشدين) الهادين للطريق (الطلاوة) الحسن والقبول (عجبت) ارتفعت (آنس) أحسن وأدرك .(جرسه) صوته الخفى (عين شمسه) حقيقة نفسه ومعرفته (اللجى) العظيم اللجة وهى معظم الماء ... ونذكر هنا بعض ماحدث من طوفان نوح عليه السلام ، ذكر أهل الأخبار فدعاهم إلى الله فكانوا يبطشون به ويستخفون به وهو يقول اللهم أغفر لقومى فانهم لايعلمون فلما كثر استخفافهم قال رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا فأوحى الله اليه أن اصنع الفلك فانهم مغرقون فأقبل على قطع الخشب وضرب الحديد وتهيئه العود بالقار وغيره فصنعه من خشب الساج وجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثين ذراعا وكان قومه فى خلال صنعه السفينة يأتونه أفواجا يستخفون عقله ويعدون فعله من جنونه ويقولون له عملت سفينة فى البر فيقولون لهم سوف تعلمون فلما اطمأنوا فى الفلك فار التنور من الهند ، وقال للشعبى رحمه الله من الكوفة ، وفتحت أبواب السماء بماء منهمر وتفجرت الأرض عيونا فكان بين إرسال الماء وارتفاعه أربعون يوما فلما بلغ الماء إليهم أووا إلى الجبال فكانت الجبال تستقبلهم بالحجارة وتغرقهم فى الماء فماتوا غرقى وارتفع الفلك وجعل يجرى فى موج كالجبال ودار الأرض كلها فى ستة أشهر وعشر ليال ويقال إنهم ركبوها لعشر ليال مضين من رجب ونزلوا يوم عاشوراء من المحرم فلذلك صام الناس يوم عشوراء وأتت السفينة الحرم فدارت به أسبوعا ولم يبق شىء من الخلائق ولا من الشجر إلا هلك إلا نوح ومن معه والأعوج بن عنق فيما يزعم أهل الكتاب وانتهت آخرا إلى الجودى وهو جبل بالحصنين من الموصل فنزلت عليه (ابن جلا) أى المشهور المعروف يقال للرجل إذا كان عالى الشرف واضح الأمر لايخفى مكانه هو ابن جلا أى هو الذى جلا الأمور بنفسه وأوضحها قال سحيم بن وثيل :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفونى

وكان صاحب غارات يطلع فيها من ثنية الجبل على قومه قال ثعلب العمامة تلبس فى الحرب وتوضع فى السلم قال ابن الاعرابى يقال للنبيد ابن جلا قال سيبويه رحمه الله جلا فعل ماض كأنه يعنى الذى جلا أى أوضح وكشف (أحمدت) أى وجدته محمودا (سفرت) كشفت وأزلت الهم (سفر)عرفنا بنفسه ويقال سفرت عن نفسى كاسفر أى عرفته شخصى كما عرفنى هو شخصه ونفسه (رهو) ساكن ويقال فعل ذلك رهوا أى ساكنا من غير تشدد قال تعالى واترك البحر رهوا والرهو عند العرب الساكن يقال جاءت الريح رهوا أى ساكنة ويجوز أن يكون رهوا من نعت موسى عليه السلام أى اتركه على هينتك أو يكون من نعت البحر أى دعه ياموسى ساكنا واقفا ماؤه واعبره (الجو) ناحية السماء (صحو) نقى من السحاب (المثرى) الغنى (العقيان) الذهب ينبت نباتا

فَرَحَ الغَرِيقِ بِمَنجَاتِهِ ، إلى أَنْ عَصَفَتِ الجَنُوب ، وعَسَفَتِ الخُبُوب ؛ ونَسِيَ السَّفْرُ ما كَانَ ، وجاءَهُمُ المَوْجُ مِن كلِّ مَكَان ، فمِلْنَا لهذا الحَدَثِ الثَّائِر ؛ إلى إِحْدَى الجَزائِر ؛ لِنُرِيحَ ونَسْتَرِيحَ ، رَيْثَمَا تُوَاتِي الرِّيح ؛ فتمادَى اعْتِيَاصُ المَسِيرِ ، حَتَّى نَفِدَ الزَّادُ غَيْرَ اليَسِير . فقال لى أبو زَيْدٍ إنَّه لن يُحْرَزَ جَنَى العُودِ بالقُعُود ، فَهَلْ لَكَ فى اسْتِثَارَةِ السُّعُودِ بالصُّعُودِ ، فقلتُ له إنِّى لأَتْبَعُ لَكَ من ظِلِّكَ ، وأَطْوَعُ من نَعْلِك ، فنَهَدْنا إلى الجَزِيرَةِ ، عَلَى ضَعْفٍ مِنَ المَرِيرَة ؛ لِنَرْكُضَ فى امْتِرَاءِ

(عصفت) الريح اشتدت (الجنوب) الريح القبلية (عسفت) جاءت من كل جانب والعسف ركوب الأمر على جهالة (الخبوب) بخاء معجمة جمع خب وهى الرواية الصحيحة عن ابن جهور وغيره وهو هيج البحر واضطراب الماء وهو الذى صححه الفنجديهى كان أبا عمرو القسطلى شاهد هذه الحالة من هول البحر فوصفه بقوله :

اليك شحنا الفلك تهوى كأنها ... وقد ذعرت من مغرب الشمس غربان
على لجج خضراء إذا هبت الصبا ... ترامى بنا فيها ثبير وثهلان
موائل يرعى فى ذراها موائل ... كما عبدت فى الجاهلية اوثان
تقاتل موج البحر واليم والدجى ... تموج بنافيها عيون وآذان
ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنا ... سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

وقال آخر :

وسماء فى الثرى مخضلة ... لا زوردية ما فيها صفا
غصت الأرض فيها فلم تترك لنا ... من فضاء الأرض إلا طرفا
فكأن الأرض فيها عائم ... غاب إلا هامـة أو كتفا
وكأن الموج فيها عسكر ... لبسوا لأما وغالوا حجفا
خافق راجفة أحشاؤه ... كحشا المهجور يهفو أسفا

(نسى السفر ما كان) أى نسوا ما كان من طيب العيش بصفو الصحو (الحدث الثائر) أى الأمر الطارىء (لنريح) أى لنريح أنفسنا من تعب الهول والخوف وأراح الرجل استراح وأراح غيره وأراح الريح وأروحها واستروحها وجدها (ريث) قدر والريث والبطء (توانى) توافق (اعتياص) التواء وتصعب (نفد) فنى (استثارة) استخراج يقول هل لك فى إدراك الحظ بالخروج من السفينة إلى البرية (نهدنا) تقدمنا (المريرة) قوة النفس (نركض) بفتح أولها وأصل الركض تحريك القوائم ومنه اركض برجلك ولهذا قيل للجنين إذا اضطرب فى بطن أمه قد ارتكض ومن مشكل أبيات المعانى

قد سبق الحلبة وهو راكض ... فكيف لا يسبق وهو رابض

المراد أن أمه سبقت الجياد وهى حامل به فأضاف السبق اليه لاتصاله بها وأراد براكض تحريكه قوائمه فى مقره والركض يستعمل فى الخيل وغيرها فيقال ركض البعير برجله والطائر بجناحه (امتراء) أى استخراج

الميرَة ، وكلانا لا يَملِكُ فَتيلا ، ولا يَهتَدِي فيها سَبيلا ، فَأَقبَلنا نَجُوس خلالَها وَنَتفَيَّأ ظِلالَها ، حتى أَفضَينا إلى قصرٍ مَشيدٍ ، له بابٌ مِن حَديد ، ودُونَه زُمرَةٌ من عَبيد ، فناسَمناهُم لنَتَّخذَهم سُلَّما إلى الارتِقاء ، وأَرشِيَةً للاستِقاء ، فَأَلقَينا كلا منهم كَئيباً حَسيراً ، حتى خِلناه كَسيراً أو أَسيرا ، فَقُلنا أَيَّتُها الغِلمَة ، ماهَذِي الغُمَّةُ ، فلم يُجيبُوا النِّداء ، ولا فاهُو بِبَيضاءَ ولا سَوداء ، فلما رَأَينَاهُم نارَ الحُباحِب ، وخُبْرَهُم كَسَرابِ السَّباسِب ، قُلنا شاهَتِ الوُجوه ،

(الميرة) جلب للرزق ومار الرجل على أهله ميرا جلب لهم القوت (نجوس خلالها) نطوف فى طرقها قال الليث وابن سيده : الجوس والجوسان التردد فى خلال الدور والبيوت وقال الاصمعى والازهرى وأبو عبيدة: جاسوا الموضع وطئوه وفلان يجوس بنى فلان أى يطؤهم يطلب فيهم وقال الطبرى والنقاش والزجاج والثعالبى فجاسوا خلال الديار أى طافوا بين بيوتهم يقتلونهم ويطلبونهم ذاهبين وجائين والخلل الفرجة بين الشيئين والجمع خلال (نتفيأ) نستظل وتفيأ به استظل به وتفيأ تقلب (أفضينا) وصلنا (مشيد) مرتفع البناء والشيد الجص (زمرة) جماعة (ناسمناهم) قربنا منهم وناسمه ساره وشامه ونامت الرجل قربت نسمتك من نسمته وتحدثت معه سرا (أرشية) حبالا (الارتقاء) الصعود (المسك) الجلد يريد أنه شديد التوجع وهذا كما تقول لقيت فلانا فى ثوب نمر أو فى جلد أسد أى لقيته بادى الشر قال

فطورا ترانا فى مسوك جيادنا وطورا ترانا فى مسوك الثعالب

قال البكرى . الخيل توصف بالاقدام والثعالب بالروغان فيريد أنهم مقدمون على أعدائهم يوما ورائغون عنهم يوما وقال الاستاذ أى أسروا فاكتفوا بجلود خيلهم المعقورة وفى جلود الثعالب كناية عن خبث الأسير (فاهوا) نطقوا (سوداء) كلمة رديئة (نار الحباحب) ما تطاير من الشرر فى الهواء بتصادم حجرين أو بضرب حافر فى حجر وتلك نار لا منفعة فيها وقيل الحباحب رجل بخيل كان يوقد نارا ضعيفة لئلا يقصد فان أحس بإنسان أطفأها لئلا يقتبس أحد من ناره وقيل نار الحباحب نار سراجه ولبخله كان إذا جاء أحد يوقد منه اطفأها

وقال عبد الصمد بن المعذل فى اخيه

ليت لى منك يا أخى جارة من محارب
نارها كل شتوة مثل نار الحباحب

يريد جارة القطامى التى يقول فيها

إلى حيزبون توقد النار بعد ما تلفعت الظلماء من كل جانب
فلما تنازعنا الحديث سألتها عن الحى قالت معشر من محارب
الا إنما نيران قومى إذا شتوا لطارق ليل مثل نار الحباحب

وقيل الحبب ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج (خبرهم) الخبر بضم الخاء مصدر خبرت أخبر إذا امتحنت (والسباسب) والبسابس الارض المستوية وأحدها سبسب وبسبس (شاهت الوجوه) قبحت الوجوه وفى الحديث أخذ عليه الصلاة والسلام قبضة من تراب يوم بدر فحثاها فى وجوه المشركين وقال شاهت

وَقُبحَ اللُّكَعُ ومَنْ يَرْجُوه ، فابْتدَرَ خادِمٌ قَدْ عَلَتْهُ كِبْرَة ؛ وعَرَتْهُ عَبْرَة ، وَقال ياقَوْم لا تُوسِعُونا سَبًّا ، ولا تُوجِعونا عَتْباً ، فَإِنَّا لَفِي حُزْنٍ شامِل ، وشُغْلٍ عَنِ الحَدِيثِ شاغِل ، فقال له أبو زَيد نَفس خِناقَ البَث ، وانفثْ إِنْ قَدَرْتَ على النَّفْث ، فَإِنَّكَ سَتجدُ مِنِّي عَرَّافاً كافيا ، ووصَّافا شافِيا ، فقال لهُ اعْلَمْ أَنَّ رَبَّ هذا القصْرِ هُوَ قُطْبُ هذِهِ البُقعَة ، وَشاه هذِهِ الرُّقعَة ، إلاَّ أَنه لم يَخْلُ من كَمَد ، لِخُلُوِّهِ مِنْ وَلَد ، ولم يَزَل يَسْتَكْرِمُ المَغَارِس ، ويَتخَيَّرُ مِنَ المَفَارِشِ النَّفائس ، إِلَى أَنْ بُشِّرَ بِحَمْلِ عَقِيلة ، وَآذَنَتْ رَفْلَتُهُ بِفَسِيلة ؛ فَنُذِرَتْ له النُّذور ، وَأُحصِيَت الأَيَّامُ وَالشُّهُور ، وَلمَّا حانَ النِّتاج ، وَصِيغَ الطَّوق والتَّاج ،

الوجوه يقال شاه وجه الرجل يشوه شوها وشوهة قبح ووجه مشوه أى مقبح ورجل أشوه وامرأة شوهاء (اللكع) اللئيم وقد لكع لكعافهو ألكع ولكع ولكيع إذا لؤم وحمق وامرأة لكاع ولكيعة (علته كبرة) أى أسن وكبر (وعرته عبرته) أى غشيته دمعة (الخادم) الخصى موصوف بطول العمر وسرعة العبرة قال الهيثم بن عدى وفى الخصى عشر خصال لاتجتمع فى غيره التهمة والنميمة والشره وسرعة الدمعة وطول العمر وكبر القدم والتبرى من الصلع والاجارة فى الصغر والقيادة فى الكبر والاسترخاء فى المقعدة وسعة الحجر (لاتوسعوانا سبا) أى لاتكثروا شتمنا (عتبا) لوما وموجدة وعتبت عليه أعتب عليه عتبا وعتابا وأعتبه أرضاه والعتبى الرضا واستعتبته طلبت اليه أن يعتب وقال النابغة : وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب : وقال حبيب

سرت تحمل العتبى إلى العتب والرضا ... إلى السخط والعذر الجميل إلى الحقد

(الخناق) الحبل يخنق به كالعقال للجمل يعقل به (نفس) روح وحل عن المخنوق (البث) الحزن (انفث) تكلم وأصله أبصق (عرافا) كثير المعرفة والعراف العالم بالشىء وأصله الكامن (قطب هذه البقعة) أى رئيس هذه الأرض وقطب القوم سيدهم الذى يلجؤون اليه (وشاه هذه الرقعة) ملك هذه الجزيرة وأراد بالرقعة سفرة الشطرنج وشاهها ملك جيشها الذى يتصرف فى بيوتها كيف شاء وقد أحسن من قال فيها :

أرض مربعة حمراء من أدم ... مابين خلين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لهاشبها ... من غير أن يسعيا فيها لسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على ... هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر إلى فطن جاشت بمعرفة ... فى عسكرين بلا طبل ولا علم

(كمد) أى حزن (المغارس والمفارش) النساء كأن النطف تغرس فيهن فيكثر الولد منها (النفائس) الكرائم (عقيلة) خيرة والعقيلة درة البحر وبه سميت المرأة لكرمها وشرفها وكل كريمة من النساء والإبل والخيل فهى عقيلة (الرقلة) النخلة الطويلة (الفسيلة) نخيلة تكبر فى أصل النخل أراد أن المرأة حملت بولد (نذرت النذور) أى وعدت بفعل خير أن سلم الحلم (أحصيت) عددت وعلم مابقى منها (حان النتاج) قرب وقت الولادة (صيغ) صنع (الطوق) الثوب يلبسه المولود بغير جيب ولما سيق إلى جذيمة ابن أخته عمرو وكان له طوق يلبسه فى الصغر فقال له البسه فلم يسعه فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلا ؟ قال ابن القبطرية فى الحكم

عُسرَ مَخاضُ الوضْع ؛ حتى خِيفَ على الأصْلِ والفَرْعَ ، فما فينا مَنْ يَعْرِفُ قَرارا ، وَلا يَطعَمُ النَّوْمَ إلّا غِرارا ، ثم أجْهَش بالبُكاء وَأعْوَل ، وَرَدَّدَ الاسْتِرْجاعَ وطَوَّل ، فقال له أبو زَيْدٍ اسْكُنْ باهذا واسْتَبْشِرْ ، وأَبْشِرْ بالفَرَجِ وَبَشِّر ، فَعِنْدِي عَزِيمةُ الطلقِ ، التي انْتَشرَ سَمْعُها في الخَلق ، فَتَبادَرَت الغِلْمَةُ إلى مَوْلاهُمْ ، مُتَباشِرِينَ بانْكِشافِ بَلْواهُم ، فلم يَكُنْ إلا كَلا وَلا حتى بَرَزَ مَنْ هَلُمَّ بِنا إليه ، فلما دَخَلْنا عليه ، ومَثَلْنا بينَ يَدَيه ، قال لأبى زَيْدٍ لِيَهْنِكَ مَنالُكَ ، إنْ صَدَقَ مَقالُكَ ، ولَمْ يَفِلْ فالُكَ ، فاسْتَحْضَرَ قَلَما مَبْرِيًّا ؛ وزَبَداً بَحْرِيًّا ، وزَعْفَرانًا

ابن حزم وكافه ذلك ابن سراج :

رأى صاحبي عمرا فكلف وصفه ... وحملني من ذاك ماليس فى الطوق

فقلت له عمرو كعمرو فقال لى ... صدقت ولكن شب هذا عن الطوق

(عسر) صعب (مخاض) تحرك الولد عند الولادة وقيل وجع الولادة (القرار) السكون (الغرار) النوم القليل وهو من غر الطائر فرخه يغره إذا أطعمه شيئا بعد شيء وأخذه من قول الشاعر :

لاأذوق النوم إلا غرارا ... مثل حسو الطير ماء الثماد

(ولا يطعم النوم) أى لايذوقه ويقال طعمه وتطعمه ذاقه وفى المثل تطعم تطعم أى ذق تشته (اجهش) أى تهيأ للبكاء والاجهاش تغير الوجه عند إرادة البكاء (أعول) رفع صوته بالبكاء (الاسترجاع) قد تقدم (الطلق) وجع الولادة سمى طلقا على التفاؤل للمرأة بالانطلاق بالولد (سمعها) ذكرها الجميل (تبادرت) تسابقت ، وجمع غلام غلمة وغلمان (البلوى) البلاء (كلا ولا) أى كاللفظ بهاوهى كناية عن قلة اللبث وسرعة الأمر ويضرب بلا المثل فيقال أخف من لا على اللسان وأقل من لا فى اللفظ ، وقال جرير :

يكون نزول القوم فيها كلا ولا ... عشاشا ولا يدنون رجلا الى رجل

عشاشا أى قليلا ويقال لقيه على عشاش أى على عجلة وقال الكميت :

كلا وكذا تغميضهم ثم هجتم ... لدى حين أن كانوا الى النوم أفقرا

يقول كان نومهم فى القلة والسرعة كقول القائل لاوذا وقال الحسن رحمه الله :

ياعاقد القلب منى هلا تذكرت حلا

تركت منى قليلا من القليل أقلا

يكاد لا يتجزأ أقل فى اللفظ من لا

وفى أبيات البديع : وأروع أهداه لى الليل والفلا ... وخمس تمس الأرض لكن كلا ولا

جعل قوائم فرسه وهى الخمس تمس الأرض فى المشى كلا ولا على اللسان (برز) أى خرج (هلمم) دعانا وقال لنا هلم (مثلنا) وقفنا ومثل بين يديه انتصب قائما (منالك) عطاؤك (ولم يفل فالك) يخطىء رأيك وفال رأيه فيولة ضعف وأخطأ (الزبد) حجر معروف شديد البياض دقيق الثقب جدا يوجد عائما على وجه الماء يصرف فى الأكحال وقالت الحكماء من خصائص الزبد البحرى أنه إذا علق على امرأة ماخض سهل عليها

قَدْ دِيفْ ، فى ماءِ وَرْدٍ نَظِيف ؛ فما إنْ رَجعَ النَّفَس ، حتى أَحْضرَ ماالْتَمس ، فَسَجَدَ أبُو زَيْدٍ وعَفَّر ، وسَبَّحَ واسْتَغْفَر ، وأَبْعدالحاضِرينَ ونَفَّر ، ثمَّ أَخَذَ القلَمَ واسْحَنْفَرَ ، وَكَتَبَ عَلَى الزُّبدِ بالمُزْعَفر :

أَيُّهَذا الجنينُ إنِّى نَصِيحٌ ... لَكَ وَالنُّصْحُ مِنْ شُرُوطِ الدِّين

أَنتَ مُسْتَعْصِمٌ بِكِنٍّ كَنِينٍ ... وقَرارٍ مِنَ السُّكُونِ مَكِين

ماتَرَى فيه مايَرُوعُكَ من أَلْـ ... ـفٍ مُداجٍ وَلا عَدُوٍّ مُبِين

فَمَتَى مابَرَزْتَ منه تَحوَّلْـ ... ـتَ إلى مَنْزلِ الأَذى والْهُون

وَتراءَى لك الشَّقاءُ الذى تَلْـ ... ـقَى فَتَبْكِى له بِدَمْعٍ هَتُون

فاسْتَدِمْ عَيْشَكَ الرَّغِيدَ وحاذِرْ ... أَنْ تَبِيعَ المَحْقُوقَ بِالْمَظْنُون

واحْتَرِسْ من مُخادعٍ لكَ يَرْقِيـ ... ـكَ لِيُقْلِيكَ فى العَذابِ المُهِين

ولَعَمْرِى لَقَدْ نَصَحْتُ ولَكِنْ ... كَمْ نَصِيحٍ مُشَبَّهٍ بِظَنِين

ثم إنَّهُ طَمَسَ المَكْتُوبَ على غَفْلَة ، وتفلَ عَلَيه مائَةَ تَفْلَة ، وشَدَّ الزُّبْدَ فى خِرْقَةِ حرير ، بَعْدَ ماضَمَّخها بِعَبِير ، وأَمرَ بِتَعْلِيقِها على فَخِذِ الماخِض ، وَأَنْ لا تَعْلَقَ بها يَدُ حائِض ، فلمْ يَكُنْ إلَّا كَذَواقِ شارِب ،

الولادة ويكون فى بحر اليمن (ديف) خلط (التمس) طلب (عفر) جعل وجهه على الأرض والعفر التراب (اسحنفر) جد وشمر للكتابة ويقال اسحنفر فى الأمر إذا تحفز فيه وقالت جارية من العرب :

يا أمتا أبصرنى راكب ... مسحنفر فى مسرب لاحب

مازلت أحثو التراب فى وجهه ... عمدا وأحمى حوزة الغائب

فأجابتها أمها : الحصن أولى لو تأبيته ... من حثيك الترب على الراكب

مسرب طريق لاحب بين ، الغائب زوجها ، الحصن العفة تأبيته تعمدته وقصدته (المزعفر) المداد من الزعفران (الجنين) الولد فى بطن أمه (النصح) ضد الغش قال الخطابى النصيحه كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح وقيل اصلها من نصح الرجل ثوبه اى خاطه والنصاح الخيط شبهوا فعل الناصح بالخيط الذى يلائم الخلل والفتوق والتوبة النصوح كأنها ترقع ماخرقته المعصية (مستعصم) مستمسك ممتنع واستعصم فى ذكر يوسف امتنع وتأبى (كن) موضع يكن (كنين) ساتر والكنين المستور (القرار) المكان المطمئن الذى يستقر فيه الماء وأراد به الرحم (يروعك) يفزعك (الف) صاحب (مداج) يظهر الحب ويضمر خلافه وداجاه ساتره بالعداوة (برزت) خرجت (الأذى) الضرر (الهون) الهوان (تراءى) تظاهر (هتون) كثير السيلان وهتنت السماء صبت (الرغيد) الوسع (المحقوق) الذى لايشك فيه (المظنون) المشكوك فيه فهو يشير على الصبى أن يقيم فى بطن أمه ولا يخرج للدنيا (ظنين) متهم (طمس) غطى وطمست الدار غطى التراب آثارها ومحاها (التفل) نفخ يخرج معه بصاق متفرق وأوله البزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ (ضمخها) لطخها (عبير) أخلاط من الطيب (الماخض) الحامل (ولا تعلق بها يد حائض) تمويه بأن مكتوبه من القرآن والحائض لاتمسه (الذواق) مس

أَوْ فُوَاقِ حَالِب ، حتى انْدَلَق شَخْصُ الْوَلَد ، بِخِصِّيصَى الزَّبَد ، بِقُدْرَةِ الوَاحِدِ الصَّمَد ؛ فَامْتَلأَ القَصْرُ حُبُورَ ، وَاسْتُطِيرَ عَمِيدُهُ وَعَبِيدُهُ سُرُورا ، وَأَحَاطَتِ الْجَمَاعَةُ بِأَبِي زَيْدٍ تُثْنِي عَلَيْه ، وَتُقَبِّلُ يَدَيْهِ ؛ وَتَتَبَرَّكُ بِمَسَاسِ طِمْرِيه ، حتى خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهُ القَرَنِيُّ أُوَيْسٌ

الطعام أو الشراب بلسانك (الفواق) ما بين الحلبتين من الوقت لأن الناقة تحلب ثم تترك ساعة يرضعها فصيلها لتدر ثم تحلب (اندلق) خرج بسرعة وكل شيء يدر خارجا بسرعة فقد اندلق واندلق السيف من غمده إذا سقط من غير أن يسل (خصيصى الزبد) أى خاصيته التي ينفرد بها عن الأحجار واختصصت بالشيء انفردت به وجاءني خصيصى القوم مقصورا أى خاصتهم وخصصته بالشيء خصوصا وخصوصيه وخصيصى ... ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ولد فى أهل بيت غلام إلا أصبح فيهم عز لم يكن وقال صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فاذن فى أذنه اليمنى وأقام فى اليسرى دفعت عنه أم الصبيان (حبورا) سرورا (استطير) داخله السرور (عميده) سيده (طمريه) ثوبيه ... وذكر ابن قتيبة بسند متصل بابن عباس رضى الله عنهما أنه قال مر عيسى بن مريم عليه السلام على بقرة قد اعترض ولدها فى بطنها فقالت ياكلمة الله ادع الله أن يخلصنى فقال يا خالق النفس من النفس ويامخرج النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس خلصها فالقت مافى بطنها ، فاذا عسرت على المرأة ولادتها فيكتب على مكيال ثم تعطاه المرأة ... الفنجديهى بسند متصل بأبى هريرة رضى الله عنه قال . بينما عيسى ويحيى عليهما السلام فى البريه إذ رأيا وحشية ماخضا فقال عيسى ليحيى قل تلك الكلمات حنة ولدت مريم ومريم ولدت عيسى الأرض تدعوك يا ولد اخرج يا ولد اخرج ، قال حماد بن زيد فما يكون فى الحى امرأة ما خض فيقال هذا عندها إلا ولدت حتى الشاة التى يتعسر وضعها فيقال هذا عندها فلا تبرح حتى تضع ... يونس بن عبيد الله : اللهم أنت عدتى عند شدتى وأنت صاحبى عند كربتى وأنت ولى نعمتى ، من لها عند النفساء إذا عسر عليها ولدها أبو على بهيمة أذن الله تعالى فى خروجه ... وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب لها بسم الله لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون . قال سفيان يكتب هذا فى جام وتسقاه . وذكر عن أبى الزناد قال كنت مئناثا فقال لى استغفر الله إذا جامعت ففعلت فوضع لى بضعة عشر ذكرا (خيل) أى شبه (أويس) القرنى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم وهو من التابعين وفى صحيح مسلم أن أهل الكوفة وفدوا على عمر رضى الله عنه وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر رضى الله عنه هل ههنا أحد من قرن فجاء ذلك الرجل فقال عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له وقد كان فيه بياض فدعا الله فأذهبه الله عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم ، وفيه عن أسيد بن جابر قال كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أتاه أمداد أهل اليمن سأل أفيكم أويس ابن عامر حتى اتى على اويس فقال انت اويس بن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن قال نعم قال فكان بك برص فبرئت منه إلا موضع الدرهم قال نعم قال الك والدة قال نعم .. قال سمعت رسول الله صلى الله

أو الأَسَدِيُّ دُبَيْس ،

عليه وسلم يقول يأتى اليكم أويس بن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن وكان به بياض فبرىء منه إلا موضع الدرهم له والدة هو بها بار لو أقسم على الله لأبره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لى فاستغفر له فقال عمر رضى الله عنه أين تريد فقال الكوفة قال ألا أكتب لك إلى عاملها قال أكون فى غبر الناس أحب إلى قال فلما كان فى العام القابل حج رجل من أشرافهم فوافى عمر رضى الله عنه فسأله عن أويس فقال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى عليكم أويس بن عامر مع إمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن وكان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بار لو أقسم على الله لأبره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل فأتى أويسا فقال استغفر لى فقال أنت أحدث عهد بسفر صالح قال نعم قال له لقيت عمر قال نعم فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه قال أسيد وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال من أين لاويس هذه البردة وفى كتاب الاحياء أنه لما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أيها الناس من كان من أهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا ثم قال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا قال اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا إلا رجلا واحدا فقال له عمر رضى الله عنه قرنى أنت قال نعم قال أتعرف أويسا قال نعم وما تسأل عن ذلك ياأمير المؤمنين والله مافينا أحمق ولا أجن ولا أحول منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ما قلت إلا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر ولما كان عند أهله كالمجنون بنوا له بيتا على باب دارهم فكان تأتى عليهم السنة لايرون وجهه كان يخرج أول الأذان ويأتى بعد العشاء الآخر وكان طعامه أن يلقط النوى فكلما أصاب حشفة خبأها لافطاره فان أصاب منه مايقوته باع النوى وتصدق به وإلا اشترى منه مايقوته وكان لباسه قطع الاكسيه من المزابل يلفق بعضها إلى بعض ثم يلبسها وإذا مر بالصبيان رجموه يظنون أنه مجنون ولهذا عظم النبى صلى الله عليه وسلم حرمته فقال إنى لأجد نفس الرحمة من قبل اليمن إشارة اليه (دبيس) هو الأمير سيف الدولة بن مزيد الاسدى وقيل دبيس بن صدقة بن مزيد وذكر أبو الحسن على بن الحسين بن أبى طالب الباخرزى الأمير أبا الاغر دبيس بن على فقال : خدمته ببغداد وعبرت اليه أخت يده الجواذ يعنى دجلة وهى زاخرة الامداد فاذا باحة للطارقين مباحة وراحة فى كفها للعفاة راحة وقباب التفت بها غاب القنا واشترك مع أسودها الناس فى فرائس الغنى . قال الفنجديهى سمعت بعض أهل الفضل يقول ببغداد لما سمع الامير دبيس أن الرئيس أبا محمد الحريرى ذكر فى مقاماته وأورد فيها بعض صفاته أنفذ اليه من الخلع السنية والجوائز الهنية ومزية العطية ما عجز عنه الوصف وكل عنه الطرف واقتضاه علو همته وسمو قدرته ثم عصى دبيس على الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين أبى منصور الفضل بن المستظهر بالله وسعى فى إراقة دمه وجمع العساكر وحشد وقصد بغداد فى عسكر عظيم وعاث فى أطرافها وأفسد فى أكنافها فخرج المسترشد بالله أمير المؤمنين من دار الخلافة واجتمعت اليه الاجناد وظهر اليه وحمل عليه فهزم دبيس وعسكره وانتهى إلى الحلة المزيدية فانتهبها وذلك فى المحرم فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وانهزم دبيس فى خواص من أصحابه وغلمانه خوفا من الخليفة

ثم انثالَ عليه مِنْ جوائزِ المُجازَاة وَوَسَائِل الصِّلاَت ، مَا قَيضَ له الغِنَى ، وَبيَّض وجهَ المُنَى.ولم يزَلْ يَنْتَابُه الدَّخْل ، مُذْ نُتِجَ السَّخْل ، إلى أنْ أعطَى البحرُ الأمَان ، وَتَسنَّى الإتمَامُ إلى عُمَان، فاكْتَفَى أبو زَيْدٍ بالنِّحْلَةِ ، وتَأَهَّبَ لِلرِّحْلَةِ ؛ فلَمْ يَسْمَحِ الوَالِي بِحَرَكَتِهِ ، بعد تجربة بَرَكَتِه، بَلْ أوْعَزَ بِضَمِّهِ إلى حُزَانَتِهِ وأنْ تُطلَقَ يَدُهُ في خزَانتهِ

قال الحارثُ بنُ همَّام : فلما رأيْته قدْ مَالَ ، إلى حَيْثُ يَكْتَسِبُ المال ، أنحَيْتُ عليه بالتَّعْنيفِ ، وهَجَّنْتُ لهُ مُفَارَقَةَ المَألَفِ والأَلِيفِ . فقال إليكَ عنى ، واسْمَعْ منِّى:

لاَ تَصْبُوَنَّ إلى وطَن ... فيه تُضَامُ وتَمْتَهن

ومر نحو الشام ثم قتل الامير دبيس بن صدقة بن مزيد فى سنة ثلاثين أو فى سنة تسع وعشرين قتله السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه لأمور أنكرها وأسباب امتعض لها نسبت اليه (انثال) أى انصب (جوائز) عطايا (وصائل) متصلات غير منقطعه والوصائل ثياب حمر مخططة تصنع باليمن يلبسها النساء قال الشاعر لها -حبك كانها من وصائل . (قيض) قدر وساق (ينتابه) اى يقصده ويأتيه مرة بعد أخرى (الدخل) العطايا التى تدخل اليمن قبل الامير وغيره ورجل كثير الدخل إذا كثرت دخول الرزق عليه (السخل) الولد ومما يستحسن فى التهنئة بمولود قول الحلوانى :

نجم تولد من شمس ومن قمر ... وأين من أبواه الشمس والقمر

شمس العفاف ومجدالبدر بينهما ... تولد النور إلا أنه بشر

أخذه من قول ابن الرومى :

شمس وبدر ولدا كوكبا ... أقسمت بالله لقد أنجبا

وجاء الرمادى يهنىء الفقيه ابن العطار بمولود فقال :

يهنيك مازادت الأيام فى عددك ... من فلذة برزت بالاسعد من كبدك

كأنما الدهر كان دهر مكتئبا ... من انفرادك حتى زاد فى عددك

لاخالفتك الليالى تحت ظل ردى ... حتى ترى ولدا قدشب من ولدك

(تسنى الإتمام) أى تيسر إتمام المشى والاقلاع (اكتفى) اقتنع (النحلة) العطية (أوعز) ووعز تقدم، يعقوب لايقال وعز بالتخفيف (حزانته)جماعته وعياله الذين يتحزنون لنكبته ولفقده ويحزن هو لضيعتهم (أنحيت) ملت عليه وقصدته به (النعنيف) اللوم والأخذ باللسان (المألف) البلدة وموضع الالفة (الاليف) الصاحب (اليك عنى) تباعد عنى (تصبون) تميلن وصبوت اليه ملت بالمحبة (تضام) تذل (تمتهن) تحتقر وقال محمد بن بشر فى هذا المعنى

إنما أزرى بقدرى أننى ... لست من بابة أهل البلد

ليس منهم غير ذى مقلية ... لذوى الالباب أوذى حسد

يتحامون لقائى مثل ما ... يتحامون لقاء الاسد

مطلعى أثقل فى أعينهم ... وعلى أنفسهم من أحد

وارْحَل عَنِ الدَّارِ التى ... تُعْلى الوِهادَ على القُنَنْ
واهْرَبْ إلى كُنٍّ يَقى ... ولو أنَّهُ حِضْنًا حَضَنْ
وارْبأ بِنَفْسِكَ أنْ تُقِيـ ... ـمَ بحَيْثُ يَغْشاكَ الدَّرَنْ
وجُبِ البِلادَ فَأَيُّها ... أرْضاكَ فاخْتَرْهُ وطَنْ
ودَعِ التَّذَكُّرَ للمَعا ... هِدِ والحَنينَ إلى السَّكَنْ
واعْلَمْ بِأَنَّ الحُرَّ فى ... أوْطانِهِ يَلْقَى الغَبَنْ
كالدُّرِّ فى الأَصْدافِ يُسْـ ... ـتَزْرَى ويُبْخَسُ فى الثَّمَنْ

لو رأوانى وسط بحر لم يكن ... أحد يأخذ منهم بيدى

وقال البحترى :

أشرق ام أغرب ياسعد ... وأنقص من زماعى أم أزيد
عدتنى عن نصيبين العوادى ... فبختى أبله فيها بليد
وأخلفنى الزمان على رجال ... وجوههم وأيديهم حديد
لهم حلل حسن فهن بيض ... وأخلاق سمجن فهن سود

وممن نبا به بلده القاضى ابو محمد عبد الوهاب خرج من بغداد يريد مصر فشيعه اكابرها ومن اصحاب محابرها جملة موفورة فقال لهم والله لو وجدت بين اظهركم رغيفين كل يوم ماعدلت ببلدكم بلوغ امنية والخبز عندهم يومئذ ثلثمائة رطل بدينار ، وقال :

سلام على بغداد منى تحية ... وحق لها منى السلام المضاعف
لعمرك ما فارقتها قاليا لها ... وإنى بشطى جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت على برحبها ... ولم تكن الاقدار ممن يساعف
فكانت كخل كنت أهوى دنوه ... وتأبى به أخلاقه فيخالف

وقال أيضاً :

بغداد دارا لأهل المال واسعة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق
قد صرت أمشى مهانا فى أزقتها ... كأننى مصحف فى كف زنديق

(الوهاد والقنن) الانخفاض والارتفاع والقنة أعلى الجبل والوهدة القعدة من الأرض تجرى اليها مياه من جهاتها (حضنا) جانبا حصينا مانعا (أربأ) أى ارتفع (يغشاك) يغطيك (الدرن) الوسخ (المعاهد) منازل سكنناه (الحنين) الشوق (السكن) الأهل (الأصداف) محال الجوهر (يستزرى) يستحقر (يبخس) ينقص ومعنى هذه الأبيات يقول : ارحل عن بلد يعلوفيها قدر أصاغر الناس قدر أكابرهم ولاتقم فيه على الهوان وارفع قدر نفسك من أن تقيم بموضع توسخك فيه الاهانة فان المرء حيث يضع نفسه وطف بالبلاد واختر وطنا ما أرضاك فان الحر يضيع فى وطنه ولا يعرف قدره . الأصمعى : سمعت بعض العرب يقول الفقر فى الوطن غربة والغنى الغربة وطن ونظر أبو الحرث إلى برذون يستقى عليه فقال المرء حيث يضع نفسه لو هملج هذا لم يبل بما ترون . الزبير

ثم قال حَسْبُكَ ما استمعت ، وحَبَّذا أنتَ لو اتَّبعت ، فأوضحتُ له مَعَاذِرى وقلتُ له كُنْ عذِيرى ، فَعذَرَ واعْتذَرَ وزوَّد حتى لم يَذر ، ثم شَيَّعَنى تَشْييعَ الأقارِب ، إلى أنْ رَكِبْتُ فى القارِب ، فودَّعتُهُ وأنا أشكُوا الفِرَاقَ وأذِمُّهُ ، وأودُّ لو كَانَ هَلَكَ الجنينُ وأمُّهُ

رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فحيثما وجدت خيرا فأقم واحمد الله ، وقال هلال بن العلاء الرقى :

لاتجزعن وإن نأت أرض تنال بها المحبة
وطن الغريب يساره والفقر فى الأوطان غربة

وقال آخر :

أشد من فاقة الزمان مقام حر على الهوان
فاسترزق الله واستعنه فانه خير مستعان
فإن نبا منزل بحر فمن مكان إلى مكان

وقال آخر :

شرق وغرب تجد من غادر بدلا فالارض من تربة والناس من رجل

وقال آخر :

من ضاق عنك فأرض الله واسعة عن وجه كل مضيق وجه منفرج
خير المذاهب فى الحاجات أنجحها وأضيق الامر أدناه من الفرج

(حسبك) يكفيك (أوضحت) بينت (معاذيرى) أعذارى (العذير) العذر يقال عذيرك من كذا بمعنى هلم معذرتك منه ، وقيل العذير بمعنى عاذر فعيل بمعنى فاعل أى لمن يعذرك منه . ثعلب : العذير مصدر بمعنى النكير ومعنى عذيرى منه أى من أى يعذرنى منه وعذر قبل العذر ... والله أعلم .

المقامة الأربعون التبريزية

أَخْبَرَ الحارثُ بنُ هَمَّامٍ قال : أزمَعْتُ التَّبرِيزَ منْ تَبريز ، حين نَبَتْ بالذَّليلِ والعَزِيز ، وَخَلَتْ منَ المُجير المَجيز ، فَبَيْنَا أنَا في أعْدَادِ الاهْبَة ، وَارْتيادِ الصُّحْبَة ، أُلْفِيتُ بِهَا أبازَيْدِ السَّرُوجيَّ مُلْتَفًّا بكِسَاء ومُحْتَفًّا بنِسَاء فَسأَلتُه عَنْ خَطْبِهِ ، وإلى أينَ يَسْرُبُ مع سِرْبِه ، فأَوْمَأَ إلى امْرَأَة مِنْهنَّ بَاهِرَةِ السُّفُور ، ظَاهِرَةِ النُّفور ، وقال تَزَوَّجْتُ هَـذه لِتُؤْنِسَني في الغُرْبَة ، وتَرْحَضَ عَنِّي قَشَفَ العُزْبَة ، فَلَقِيتُ مِنها عَرَقَ القِرْبَة تَمطُلُني بِحَقِّي ، وتُكَلِّفُني فوْقَ طَوْقِي ، فأنا منها نِضْوُ وَجًى ، وحِلْفُ شَجْوٍ وَشَجًى ، وها نَحْنُ قَدْ تَسَاعَيْنَا إلى الحاكِم ، لِيَضْرِبَ عَلَى يَدِ الظَّالِم ، فَإِنِ انْتَظَمَ بَيْنَنَا الوِفَاق ، وإلاَّ فالطَّلاَق ، والانْطلاَق ، قال فَمِلْتُ إلى أنْ أخْبُرَ لِمَنِ الغَلَب ؛ وكَيفَ يَكُونُ المُنْقَلَب ، فجعَلْتُ شُغْلي دِبْرَ أُذُني وصَحِبْتُهُمَا وإنْ كُنْتُ لا أُغْني ، فلما حَضَرَا القاضي وكان مِمَّنْ يَرَى فَضْلَ الإمْسَاك ، وَيضِنُّ بِنُفَاثَةِ السِّوَاكِ

شرح المقامة

(ازمعت) عزمت والزماع العزم (التبريز) االخروج إلى البراز وهى الارض الفضاء بلا شجر (تبريز) قرية من كور اذربيجان من عمل خراسان بينها وبين المراغة عشرون فرسخا (نبت) قلعت وارتفعت (المجير) الذى يجيرك من الناس ويكفيك شرهم (المجيز) الواهب الجائزة وهى الصـــلة (ارتياد) طلب (محتفا) محاقا (خطبه) أمره (يسرب) يذهب (سربه) جماعة نسائه (اومأ) اشار (باهرة) ظاهرة (السفور) كشف النقاب عن الوجه (ترحض) تغسل ورحض الثوب يرحضه غسله (قشف) تغير ورجل متقشف لا يتعهد الغسل والنظافة والقشف سوء العيش . ومطله حقه كناية عن جماعة لها والمطل فى الاصل المد يقال مطل القين الحديد يمطله مطلا إذا مده وطوله فمعنى تمطلنى تطول على (الطوق) الطاقة (نضو وجى) هزيل من الجفاء وأراد به شرها وما يلقاه منها (حلف شجو) صاحب حزن (الشجا) الاختناق بالعظم وهو شىء صعب (ليضرب على يده) ليكفه ويمنعه (لاأغنى) أى لا أنفع (الامساك) الشح (يضن) يبخل (النفاثة) ما تطرحه من فيك من السواك بعد الانتفاع به ، وهذا وإن كان غاية فى البخل منتزع من قول الشاعر :

لقد بخلت حتى لوانى سألتها ... قذى العين من ضاحى التراب لضنت

وقال آخر فى معناه: يبخل بالمال ولو أنه ... منغمس فى وسط النيل

شحا فلا تطمع فى خيره ... ولو توسلت بجبريل

وقال آخر : ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة ... حتى نزلت على أوفى بن منصور

يا حابس الروث فى أعقاب بغلته ... خوفا على الحب من لقط العصافير

وهذا الباب مستوفى فى الرابعة والأربعين ، ومما يستظرف من لفظ السواك قول بعض الظرفاء.

جَثَا أُبو زَيْدٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وقال أَيَّدَ اللهُ القاضِىَ وَأَحْسَنَ إِليهِ ، إِنَّ مَطِيَّتِى هذه أَبِيَّةُ القِيَاد ، كَثِيرَةُ الشِّراد ؛ مَعَ أَنِى أَطْوَعُ مِنْ بَنَانِهَا ، وأَحْنَى عَلَيهَا مِنْ جَنَانِهَا ، فقال لها القاضى : وَيْحَكِ أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ النُّشُوزَ يُغضِبُ الرَّب ، ويُوجِبُ الضَّرْب ، فقالتْ إِنَّهُ مِمَّنْ يدورُ خَلْفَ الدَّار ، وَيَأْخُذُ الجارَ بالجار ، فقال له القاضى تَبًّا لكَ أَتَبْذُرُ فى السِّبَاخ ، وتَسْتَفْرِخُ حَيْثُ لا إِفْرَاخ ، اعْزُبْ عَنِّى لا نَعِمَ عَوفُكَ ، ولا أَمِنَ خَوْفُكَ فقال أبو زَيْدٍ إِنَّهَا ومُرْسِلُ الرِيَاح ، لَأَكْذَبُ مِنَ مِنْ سَجَاحِ ، فقالتْ بلْ هُوَ ومَنْ طَوَّقَ الحمامةِ ، وَجَنَّحَ النَّعامة ؛ لَأَكْذَبُ مِنْ أَبِى ثُمَامَةَ

قد هجرت السواك من أجل أنى ... إن ذكرت السواك قلت سواكا
وأحب الاراك من أجل أنى ... إن ذكرت الاراك قلت أراكا

(جثا) برك (أيد) قوى (مطيتى) زوجتى (أبية) صعبة ممتنعة على قائدها (الشراد) النفور (أحنى) أعطف وأرحم (جنانها) قلبها (النشوز) عصيان الزوج ومخالفته والنشوز أصله الارتفاع (ويح) معناها التوبيخ والتقبيح وتستعمل أيضا للترحم (ويوجب الضرب) من قوله تعالى واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فنشوزهن عصيانهن .. الأزهرى : النشوز كراهة كل واحد من الزوجين صاحبه ونشزت تنشز فهى ناشز .. ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا النساء الغرف فيشرفن ولا تعلموهن الكتابة واستعينوا عليهن بالضرب .. ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ووصى بعض أهله فقال أنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم وأخفهم فى الله فمعنى لا ترفع عصاك أى لا تترك تأديبهم فى الله تعالى (ويأخذ الجار بالجار) العرب تسمى فرج المرأة بالجار ودبرها جار الجار وأخذه الحريرى من قول أعرابى جاء لا مرأته وقد اغتلم واشتدت شهوته فأنعظ فلما قرب منها وهجم عليها قالت إنى حائض قال لها فأين الهنة الأخرى ثم حمل عليها وهى تدافعه وتسبه وهو ماض فى شغله ينشدها :

كلا ورب البيت ذى الاستار ... لاهتكن حلق الحتار ... قد يؤخذ الجار بذنب الجار

قال الخليل الحتار ما استدار من طوق الجفن وكذلك حتار الظفر والدبر ، ومما يبين هذا المعنى قول الشاعر :

جارك قد يجنى عليك وقد ... تعدى الصحاح مبارك الجرب
ولرب مأخوذ بذنب قرينه ... ونجا المقارف صاحب الذنب

(أتبذر) أتزرع والبذر الحبوب تزرع (السباخ) الأرض ذات الملح والرشح وهى لاتنبت شيأ لملوحتها وقلة حفافها وأراد أتزرع نطفتك فى موضع لا يقبل الولد (تستفرخ) تلتمس عمل الفرخ (اعزب) غب (طوق الحمامة) جعل لها طوقا والحمام عند العرب ذوات الاطواق نحو الفواخت والوراشين والقمارى ودخلت الهاء على أنه واحد للجنس لا للتأنيث ، الليث : تقول العرب حمامة ذكر وحمامة أنثى والجميع الحمام ، الشافعى : كل ماعب وهدر فهو حمام يدخل فيه القارى والوراشين سواء كانت مطوقة أو غير مطوقة آلفة او وحشية وهذا القول كأنه

حينَ تَخرّق باليمَامة ،

الأكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بأخذ الحمام التى تستفرخ فى البيوت وليست ذوات أطواق وكان يسميها حماما وكان فى منزله حمام احمر اسمه وردان ، وقد قدمنا فصلا فى الحمام فى الصدر (مخرق) الرجل أوهم أنه على حق وصواب وهو على خلافه ، وأورد هنا فى شرح تزويج مسيلمة لسجاح مابين سخف نبوتهما وإن كان الحريرى قد أشار إلى هذه المقامة ، كان مسيلمة بن حبيب الحنفى ثم أحد بنى الديل قد تسمى بالرحمن فى الجاهلية وكان من المعمرين ... ذكر وثيمة بن موسى أن مسيلمة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قريش تقول إنما يعلم محمدا رجل يقال له الرحمن فنزلت وهم يكفرون بالرحمن ، وكانت بنو تميم قد تخاذلت فى أمر الردة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى ذلك اختلافا شديدا فبينما هم على ذلك إذ فاجأتهم سجاح بنت الحرث مقبلة من الجزيرة تقود بنى ربيعة فأتاهم أمر كان أعظم مما هم فيه من الاختلاف وكانت سجاح تميمية وبنو أبيها فى تغلب وادعت النبوة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الجزيرة فاجتمعت عليها بنو تميم ورؤساء تغلب فادعت أنها انزلت عليها يا أيها المؤمنون المتقون لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يبغون فاجتمعت تميم كلها تنصرها فكان فيهم الأحنف وحارثة بن بدر ووجوه بنى تميم وكان مؤذنها شبيب بن ربعى الرياحى فقالت أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم اغدوا على الرباب فليس من دونهم حجاب فصمدت اليهم فقتلت فيهم قتلا كثيرا ثم قالت لاجنادها اقصدوا اليمامة فقيل لها إن شوكة أهل اليمامة قوية شديدة وقد غلظ أمر مسيلمة فقالت يامعشر تميم اقصدوا اليمامة فاضربوا فيها كل هامة واضرموا نارا ملهامة حتى تتركوها سوداء كالحمامة وإن الله تعالى لم يجعل هذا الأمر فى ربيعة تعنى نبوة مسيلمة وإنما جعلها فى مضر واقصدوا هذا الجمع فاذا قصد تموه عكرتم على قريش فسارت فى قومها وهم عدد لايحصى وبلغ مسيلمة الخبر فضاق به ذرعا وتحصن فى حجر حصن اليمامة وأحاطت به جيوشا فأرسل فى وجوه قومه وقال ما ترون قالوا نسلم هذا الأمر لها فان لم نفعل فهو البوار فقال لهم بدهائه سننظر ثم بعث اليها وقال إن الله قد أنزل عليك وحيا وعلى فهلمى نجتمع فنتدارس ما أنزل الله فمن عرف الحق تبعه واجتمعنا فأكلنا العرب أكلا بقومى وقومك فانعمت له فأمر بضرب قبة من أدم فضربت وأمر بالعود المندلى فبخرت به وقال أكثروا من الطيب فان المرأة إذا شمت رائحته ذكرت الباه وأتته إلى القبة وقالت له هات ما أنزل عليك ربك فقال ألم تركيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى من بين ذكر وأنثى وأمات وأحيا إلى ربكم المنتهى قالت وماذاك قال ألم تر أن الله خلقنا افوجا وجعل لنا النساء ازواجا فنولج فيهن قعسا إيلاجا ونخرجه منهن إذا شئنا اخراجا قالت فبأى شىء أمر ربك قال :

ألا هي إلى المخدع   فقد هي لك المضجع
فان شئت البيت   وإن شئت ففى المخدع
وإن شئت سلقناكى   وإن شئت على اربع
وإن شئت بثلثيه   وإن شئت به أجمع

قالت بل أجمع قال كذلك أوحي إلى فواقعها فلما قام عنها قالت إن مثلى لا ينكح هكذا فيكون وصمة على قومى ولكنى مسلمة لك النبوة فاخطبنى إلى أولياتى يزوجوك ثم أقود معك تميما فخرج وخرجت معه واجتمع الحيان حنيفة وتميم فقالت سجاح إنه قرأ ما أنزل عليه فوجدته حقا فتبعته ثم خطبها فزوجوه منها وقال الاغلب العجلى فى ذلك :

قد لقيت سجاح من بعد العمى	ملوحا فى العين مشدود القوى
كأن عرق أيره إذا بدا	حبل عجوز ضفرت سبعا قوى
ما زال عنها بالحديث والمنى	والخلق السفساف يردى فى الردى
قال ألا أدخله قالت بلى	فشام فيها مثل محراب العصا
تقول لما غاب فيها واستوى	لمثل هذا كنت أحسيك الحسى

واليمامة بلد الزرقاء وسيأتى ذكرها فى الخمسين فعلى نحو ما ذكرنا من أمر سجاح ذكرها أكثر أهل الأخبار ، وقال الفنجديهى : سجاح بنت الحرث بن سويد بن عقيان من بنى يربوع كنيتها أم صادر ادعت النبوة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الجزيرة فى بنى تغلب فاستجابوا لها وتبعها قوم من تميم وظهر أمرها حتى هابتها العرب وصالحتها لتجوز فى بلادهم حيث شاءت فسمعت بمسيلمة فى اليمامة فقالت لقومها عليكم باليمامة دفوا اليها دفيف الجماعة فانها غزوة صرامة لاتلحقكم بعدها لامة وبلغ مسيلمة خبرها بها وخاف إن هو شغل بها غلبه ثمامة بن إثال وشر حبيل على حجر اليمامة إذهما من قبل أبى بكر رضى الله عنه فأرسل اليها يستأمنها على نفسه فأمنته فجاءها فى أربعين من بنى حنيفة فقا لها نصف الارض لى والنصف الذى كان لقريش صار لك فقالت لايرد النصف إلا من جنف فاحمل النصف فصالحها على أن يحمل اليها نصف غلات اليمامة من تلك السنة وعلى أن يسلفها ثمن غلات السنة المقبلة فقتلت منه وقدم لها مغل تلك السنة ورجعت إلى الجزيرة فلم تزل فى بنى تغلب حتى نقلهم معاوية عام انفراده بالملك إلى الكوفة فانتقلت معهم وحسن إسلامها ... وأظن أن الحريرى صور تخاصم زوجة أبى زيد معه على تخاصم أبى الاسود الدؤلى مع زوجته عند معاوية، حديث أهل الإخبار قالوا : كان أبو الأسود كبيرا عند معاوية وكان معاوية يجالسه ويدنيه ويسأله فيجيبه فيما يعلم فبينما هو ذات يوم عند معاوية وقد قدم المدينة إذ دخلت عليه امرأة برزة فقالت : أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به إن الله جعلك خليفه فى البلاد ورقيبا على العباد يستسق بك المطر ويستنبت بك الشجر ويؤمن بك الخائف ويردع بك الخائف ، أنت الخليفة المصطفى والأمير المرتضى فنسأل الله لك النعمة فى غير تغيير والبركة من غير تقتير، فقدر ألجأنى اليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق بى عنه المخرج من أمر كرهت عاره لما أردت إظهارة فليكشف عنى ألير المؤمنين ولينصفنى من الخصم وليكن ذلك على يدية فانى أعوذ بك وبحقويك من العار الوبيل والأمر الجليل الذى يشتد على الحرائر ذوات البيوت الأخاير ، فقال لها معاوية من هذا الذى أشعرك شناره قالت أمر طلاق خاثر من بعل غادر لا تأخذه من الله مخافة ولا يجد يأحذ رافة قال ومن بعلك قالت هو أبو الاسود فالتفت معاوية اليه فقال : احق ماتقول هذه المرأة ؟ فقال إنها تقول من الحق بعضا وليس أحد يطيق عليها نقضا أما ما ذكرت من أمر طلاقها فحق وسأخبرك عن ذلك بصدق ، أنا والله ماطلقها لريبة ظهرت ولا

فَزَفَرَ أُبو زَيْدٍ زَفِيرَ الشَّواظ ، واسْتَشَاطَ اسْتِشَاطَةَ المُغْتَاظ . وقال لها وَيْلَكِ يَادَفارِ يافجَار ، يَا غُصَّةَ البعْل

من هفوة حضرت ولكن كرهت شمائلها فقطعت حبائلها قال فأى شمائلها كرهت قال أنك تهيجها على بجواب عتيد ولسان شديد قال لا بد من جوابها قال هى يا أمير المؤمنين كثيرة الصخب دائمة الضرب مهينة للأهل ومؤذية للبعل إن ذكر خيرا دفنته وإن ذكر شرا أذاعته تجبر بالباطل وتطير مع الهازل لا تنكل عن عتب ولا يزال زوجها معها فى تعب فقالت أما والله لولا حضور امير المؤمنين ومن حضر من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك بنوادر تردع كل سهامك ؛ فقال معاوية عزمت عليك لما أجبته فقالت هو والله يا أمير المؤمنين سؤول جهول ملحاح بخيل إن قال فشر قائل وإن سكت ففدم غائل ، ليث حين يأمن ، ثعلب حين يخاف شحيح حين يستضاف ، إن التمس الجود عنه انقمع لما يعلم من لؤم آبائه وقصر رشائه ضيفه جائع وجاره ضائع لايحمى ذمارا ولا يضرم نارا ولا يرعى جوارا أهون الناس عليه من أكرمه وأكرمهم عليه من أهانه ، فقال معاوية ما رأيت أعجب منها انصرفى رواحا فلما كان العشى جاءت فلما رآها أبو الاسود قال اللهم اكفنى شرها فقالت كفاك الله شرى وأرجو أن لا يعيذك من شر نفسك قال ناولينى هذا الصبى حتى أحمله قالت ماجعلك الله بأحق من يحمل ابنى منى فوثب فانتزعه منها فقال معاوية مهلا يا أبا الاسود قال يا أمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه وأنا أقوم عليه فى أدبه وانظر فى أوده أمنحه علمى وألهمه حلمى حتى يكمل عقله ويستحكم قيله قالت كلا أصلحك الله حمله خفا وحملته ثقلا ووضعه شهوة ووضعته كرها ، حجرى فناؤه ، وبطنى وعاءه وثدىي سقاؤه اكلؤه إذا نام واحفظه اذا قام ، فقال معاوية ما رأيت أعجب من هذه المرأة فقال أبو الاسود يا أمير المؤمنين أنها تقول من الشعر أبياتا فتجيدها قال فتكلف أنت لها أبياتا أن تقهرها بالشعر فقال أبو الاسود :

مرحبا بالتى تجور علينا ثم أهلا بحامل محمول
أغلقت بابها على وقالت إن خير النسا ذوات البعول
شغلت قلبها على فرغا هل سمعتم بفارغ مشغول

فقالت :

ليس من قال بالصواب وبالحق كمن حاد عن منار السبيل
كان حجرى فناءه حين يضحى ثم ثديي سقاؤه بالأصيل
لست أبغى بواحدى يا ابن حرب بدلا ما رأيته والجليل

فقال معاوية رضى الله عنه :

ليس من قد غذاه طفلا صغيرا وسقاه من ثديه بالجدول
هى أولى به وأقرب رحما من أبيه فى قضاء الرسول

ثم دفعه معاوية اليها (زفر) أى تنفس بغيظ والزفر والزفير رد النفس فى جوفه حتى تنتفخ عروقه قال ابن عرفة الزفير من الصدر والشهيق من الحلق (الشواظ) النار بغير دخان (ذفيره) صوت اتقاده (استشاط) اشتد غيظه وانتشر فى جسده (يافجار) ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : من قذف امرأته جلد يوم القيامة مائة جلدة بسياط من نار (الفصه) مايختنق به (البعل) الزوج وأراد أنها مؤذية يشقى بها زوجها

والجار ، أتعمدين في الخلوة لتعذيبي ، وتبدين في الحفلة تكذيبي ، وقد علمت أني حين بنيت عليك ، ورنوت إليك ، ألفيتك أقبح من قردة ، وأيبس من قدة ، وأخشن من ليفة ، وأخشن وأنتن من جيفة وأثقل من هيضة ، وأقذر من حيضة ، وأبرز من قشرة وأبرد من قرة ، وأحمق من رجلة ، وأوسع من دجلة ، فسترت عوارك ، ولم أبد عارك ؛ على أنه لو حبتك شيرين بجمالها ، وزبيدة بمالها

وجارها كما يشني صاحب الغصة (تعمدين) تقصدين (الخلوة) الانفراد (الحفلة) الاجتماع (بنيت عليك) أي تزوجتك وكانت العرب إذا تزوج الرجل بنى على أهله قبة فيسمى دخول الزوج بناء لذلك (رنوت) نظرت (الفيتك) وجدتك (قدة) شركة تقد من جلد غير مدبوغ (الليفة) واحدة ليف النخل وهي التي تكون بين الجرائد (هيضة) هي التخمة تؤول إلى القيء والاسهال (قشرة) الشيء ماعلا عليه (ودجلة) نهر العراق وعليه بغداد والبصرة وواسط على جرفها ويجرى على وجه الأرض أربعمائة فرسخ ، ولم يحمل الحريري مبالغة السعة على هذه وإنما أراد دجلة العوراء وهي التي انتشر ماؤها في البطاح حتى صارت سعتها هنالك ثلاثين فرسخا في مثلها وقال ابن سكرة يهجو امرأة بالسعة :

لاتعذليني على ما كان من ملل ... من ذا يراك ولا يصبو إلى الملل
إن كنت أبصرت أشنى منك في بصرى ... فلا بلغت الذى أهواه من أملي
البحر أنت وأيرى ليس من سمك ... وليس بيني وبين البحر من عمل

قال هشام بن عبد الملك للابرش الكلبي زوجني امرأة من كلب فزوجه فقال له ذات يوم يهزل معه تزوجنا إلى كلب فوجدنا في نسائهم سعة فقال الأبرش يا أمير المؤمنين إن نساء كلب خلقن لرجال كلب وسمع رجل من كندة رجلا يقول وجدنا في نساء كندة سعة فقال إن نساء كندة مكاحل فقدت مراودها ، قيل لامرأة تطلق كثيرا ما بالك تطلقين أبدا قالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم (فسترت عوارك) ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم اطلع على عورة مسلم فاذاعها عليه شماتة وعدوانا إلا كان حقا على الله أن يفضحه عاجلا أو آجلا ومن سترها عليه كان حقا على الله أن يدخله في ستره وحجابه يوم تبلى السرائر وتخرج المخبآت (حبتك) أي خصتك (شيرين) هي بنت أبرويز بن هرمز وكانت آية في الجمال وغاية في الحسن والكمال فاقت نساء زمانها صيانة وظرفا وبهرتهن ملاحة ولطفا وخلفت في العراق آثارا منها قصر شيرين ولها قصة منظومة مشهورة بالعجمية (زبيدة) هي بنت جعفر بن عبد الله بن أبي جعفر المنصور زوجها هرون الرشيد وجدها المنصور وعمها المهدى وابنها الأمين فكانت الخلافة قد اكتنفتها وليس في بني هاشم عباسية ولدت خليفة إلا هي ، ولدت في حياة المنصور فسميت أمة العزيز وكان المنصور يرقصها ويقول يا زبيدة أنت زبيدة فغلب ذلك على اسمها وكانت أموالها لاتحصى وأنفقت في سبيل الله وفي الحج وفي بناء المساجد والقناطر مالم ينفقه أحد قبلها فمن ذلك ما أنفقت في حفرها للعين المعروفة بعين المشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لهافي كل رفع وخفض حتى أجرتها من مسافة اثني عشر ميلا فأحصى ما أنفقت فيها فوجد ألف ألف وسبعمائة ألف دينار دون ما كان في وقت الشغل بها في البذل وما عم أهل الفاقة ولها في طريق مكة من العراق آثار

كثيرة فى مصانع حفرتها وبرك أحدثتها تنزل وفود الحج عليها فلا تجد ماء إلا فيها فيشربون ويسقون إبلهم ويتزودون وهم فى الكثرة أعداد لايحصيهم إلا خالقهم والكل داعون لزبيدة إلى زماننا هذا ، واما آثارها الملوكية فانها اول من اتخذت الآلات من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وبلغ ثوب وشى اتخذ للباسها خمسين الف دينار وهى اول من اتخذ القباب من الفضة والآبنوس وكلاليبها من الذهب ملبسة بالوشى والديباج وانواع الحرير الملون وهى اول من اتخذ الخفاف المرصعه بالجوهر وشماع العنبر ولما أفضى الأمر إلى ابنها الأمين رفع منازل الخدم ككوثر وغيره فلما راحبه فيهم اتخذت له الجوارى المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤسهن وجعلت لهن الطر والاصداغ والاقفية والبستهن الأقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت خصورهن وبعثت بهن اليه فاستحسنهن وابرزهن للناس فسموهن الغلاميات ، واخبارها كثيرة وعند ما قتل الأمين دخل عليها بعض خدمها فقال لها مايجلسك وقد قتل امير المؤمنين فقالت ويلك وما اصنع قال تخرجين وتأخذين بدمه كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان فقالت اخسألا أم لك ماللنساء وطلب الدماء ثم امرت بثيابها فسودت ودعت بدواة فكتبت إلى المأمون :

اخير إمام قام من خير عنصر ... وأفضل راق فوق أعواد منبر
ووازت علم الأولين وفخرهم ... إلى الملك المأمون من ام جعفر
كتبت وعينى تسهل دموعها ... اليك ابن عمى من جفونى ومحجرى
اصبت بأدنى الناس منك قرابة ... ومن زال عن عينى فقل تصبرى
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا ... فما طاهر فى نعله بمطهر
فابرزنى مكشوفة الوجه حاسرا ... وانهب اموالى وحرق أدورى
يعز على هرون ما قد لقيته ... وما نالنى من ناقص الخلق أعور
تذكر أمير المؤمنين قرابتى ... فديتك من ذى قربة متذكر
فان كان ما أبدى لأمر أمرته ... صبرت لأمر من قدير مقدر
وإن كان ما قد كان منه تعديا ... على أمير المؤمنين فغير

فلما قرأها المأمون بكى بكاء شديدا ثم قال إنى لا أقول كما قال على أمير المؤمنين حين بلغه قتل عثمان رضى الله عنهما والله ما أمرت ولا رضيت اللهم خلل قلب طاهر حزنا قال ابراهيم الجونى رأيتها فى المنام فقلت لها مافعل الله بك فقالت غفر لى بما أنفقت فى طريق مكة فقالت أما النفقات فرجعت أجورها إلى أربابها وغفر لى بنيتى

وأما بوران فهى خديجة بنت الحسن بن الحسن بن سهل تزوجها المأمون على يد اسحق الموصلى وفى هذا التزويج قصة الزنبيل وهى طويلة ظريفة نذكرها على جهة الاختصار .. حدث اسحق الموصلى قال بينا أنا ذات يوم عند المأمون وقد خلا وجهه وطابت نفسه فقال يا اسحق هذا يوم خلوة وطيب فقلت طيب الله عيش أمير المؤمنين وأدام سروره وفرحه فأخذ بيدى وادخلنى فى مجالس غير التى كنا فيها فأخذنا من لذتنا وشرابنا حتى غربت الشمس فقال قد عزمت على دخلة إلى دار الحرم فلا ترم حتى آتيك فنهض وبقيت إلى عامة

الليل وكان المأمون اشغف خلق الله بالنساء وأشدهم ميلا اليهن فقلت فى نفسى هو فى لذة وأنا فى غير شيء وتذكرت صبية اشتريتها وكنت عزمت على افتضاضها فنهضت إلى الباب فقال الحاجب أين تريد فقلت الانصراف قال فان طلبك قلت هو من لذة السرور فى شغل عن طلبى فقيل لى إن غلمانك استبطؤوك وانصرفوا فجيء بدابة فركبتها ومشيت فأحسست بالبول فعمدت إلى زقاق لأبول فبلت وقمت لأتمسح الحيطان إذا أنا بشيء معلق من تلك الدور فنهضت فاذا بزنبيل كبير بأربع آذان ملبس ديباجا فقلت إن لهذا سببا وبقيت أتروى فى أمره ثم قلت والله لأجلسن فيه كائنا ما كان فجلست فلما أحس بى الذين يرقبونه جذبوه إلى رأس الحائط فاذا أربع جوار يقلن لى انزل بالرحب والسعة فمشت بين يدى جارية بشمعة حتى نزلت إلى دار نظيفة إلى مجالس مفروشة لم أرمثلها إلا فى دار ملك فجلست فما شعرت إلا بعد ساعة حتى أزيلت ستور كانت فى ناحية الدار وإذا بوصائف يتماشين فى أيديهن الشمع وبعضهن بمجامر يحرق فيها العود وبينهن جارية تتهادى كأنها البدر الطالع فنهضت قائما فقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم استطردت إلى سؤالى أبدع استطراد فقلت انصرفت من عند بعض إخوانى وغرنى الوقت وحركنى البول فعدلت إلى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا معلقا فحملنى النبيذ أن جلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ أكسبنيه قالت لاضير أرجو أن تحمد عاقبة أمرك قالت فما صناعتك قلنا بزاز من بغداد قالت هل رويت من الأشعار شيئا قلت شيئا ضعيفا قالت فذاكرنا قلت إن للداخل حشمة ولكن تبدئين قالت صدقت فأنشدتنى لجماعة من القدماء والمحدثين من أجود اقاويلهم وأنا مستمع لا أدرى مم أعجب أمن حسنها أم من أدبها ام من حسن روايتها وجودة ضبطها للغريب ام من اقتدارها على النحو ومعرفة اوزان الشعر ثم قالت اذهب ما كان عندك من الحصر قلت إى والله قالت فان رأيت ان تنشدنا فأنشدتها لجماعة من القدماء ما مافيه مقنع فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ماظننت أن يوجد فى ابناء السوقة هذا ثم أمرت بالطعام فأحضر وقالت المعالجة اول الرضاع فدونك وجعلت تقطع وتضع بين يدى وفى المجلس من صنوف الرياحين وغرائب الفواكه مالا يكون إلا عند سلطان ودعت بالشراب فشربت قدحا ثم سكبت لى قدحا فشربت ثم قالت هذا اوان المذاكرة بالأخبار وايام الناس فاندفعت فقلت بلغنى انه كان كذا وكان رجل يقال له كذا حتى اتيت على عدة اخبار حسان فسرت بذلك وقالت كثر تعجبى ان يكون احد من التجار يحفظ مثل هذا وإنما هذه احاديث ملوك فقلت كان لى جار ينادم الملوك فاذا تعطل حضرت معه فربما حدث بما سمعت فأخذتها عنه فقالت لعمرى لقد احسنت الحفظ وما هذا إلا لقريحة جيدة واخذنا فى المذاكرة إذا سكت ابتدأت هى واذا سكتت ابتدأت انا حتى قطعنا عامة الليل وبخور العود يعبق وانا فى حالة لو توهمها المأمون لطار فرحا فقالت إنك من الرجال وضيء الوجه بارع الأدب وما بقى عليك الا شيء واحد قلت وماهو فقالت لو كنت تترنم ببعض الأشعار فقلت والله لقديما كلفت به ولم ارزقه فأعرضت عنه وفى قلبى منه حزازة وكنت احب ان اسمع فى مجلسى هذا منه شيأ لتكمل ليلتى قالت كأنك عرضت بنا قلت والله ماهو تعريض قد بدأت بالفضل وانت جديرة باستتمامة فأحضر عود بأمرها فغنت بصوت ما سمعت كحسنة مع حسن ادائه وجودة الضرب فقلت والله لقد اكمل الله فيك خلال الفضل وحباك بالكمال الراجح والعقل الوافر والأخلاق الرضية والأفعال السنية قالت هل

تعرف هذا الصوت ومن غنى فيه قلت لا والله قالت الشعر لفلان وكان سببه كذا والغناء لاسحق قلت واسحق هذا جعلت فداك فى هذا الحال قالت بخ بخ اسحق بارع هذا الشأن قلت سبحان الله لقد أعطى هذا مالم يعطه أحدقالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه فلم تزل كذلك حتى إذا انشق الفجر أقبل عجوز كأنها داية لها قالت أى بنية إن الوقت قد حضر فنهضت عند قولها فقالت مصباحا لتستر ماكنا فيه فان المجالس بالأمانات فقلت جعلت فداك أفأحتاج إلى وصية فى ذلك وودعتها وجارية بين يدى إلى باب الدار ففتح لى وخرجت إلى دارى فصليت الصبح ونمت فأنبهنى رسول المأمون فسرت اليه فلما رآنى قال يااسحق تشاغلنا عنك فما كان حالك قلت اشتريت صبية وكنت معلق القلب بها فمضيت لها وشربت معها ونمت فقال يتهيأ مثل هذا فهل لك فيما كنا فيه أمس فقلت وما يمنع من ذلك فنهضت الى مجلس أمس فلما كان العشاء قال لا ترم فانى أجيئك ونهض فتأملت ماكنت فيه البارحة فاذا هو شىء لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت فقال الغلمان الله الله فانه أنكر علينا تخليتك فوعدتهم ان آتى قبل أن يجىء وأن خروجى لعذر وفى الحين أرجع فنهضت الى الزميل فجلست فيه فوقع بى إلى موضع البارحة فاذا هى قد طلعت فقالت لقد عاودت فقالت ولا أظن إلا انى قد ثقلت فقالت مادح نفسه يقرئك السلام قلت فهفوة منى بالفضل قالت قد فعلنا ولا نعد فأخذنا فى مثل الليلة السالفة من المذاكرة والمناشدة وغريب الغناء منها إلى الفجر فانصرفت إلى منزلى وصليت ونمت فأنبهنى رسول المأمون فلما رآنى قال أبيت إلا مكافأة لنا فقلت والله يا أمير المؤمنين ماذهبت إلى ذلك ولكن ظننت أن امير المؤمنين قد تشاغل عنى بلذته واغفل امرى وجاء الشيطان فذكرنى امر تلك الملعونة فبادرت قال فما كان منك قلت قضيت الحاجة منها قال فقد انقضى ماكان بقلبك منها وواحدة بواحدة والبادى أظلم قلت بل أنا أظلم واليك المعـــذرة قال لاتثريب عليك فهل لنا فى مثل حالنا أمس قلت أى والله فقمنا إلى موضعنا إلى الوقت فقال يا اسحق ماعزمك قلت لاعذرلى قال فعزمت عليك لتجلس حتى أجىء فانى عازم على الصبوح وقد نغصت على منذ يومين قلت فالليلة إن شاء الله فما هو وإلا أن غاب وحالت وسواسى فلما تذكرت ماكنت فيه البارحة هان على مايلحقنى من سخطه فوثبت مبادرا فوثب إلى جند الدار وحبست فقلت الله الله إنى معلق البال ببعض مافى منزلى فقالوا اما إلى تركك من سبيل فلم أزل أرغب هذا وأقبل يد هذا ووهبت خاتمى لهذا وردائى لهذا وخرجت اعدو حاسرا حتى وافيت الزنبيل فقدمت فيه فرفعت إلى موضعى واقبلت فقالت صديقنا قلت أى والله قالت اجعلتها دار مقام فقلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاث فان رجعت نأنتم فى حل من دمى قالت والله لقد اتيت بحجة ثم جلسنا فى مثل تلك الحال فلما قرب الوقت علمت أن المأمون لابد أن يسألنى ولا يقنع منى إلا بشرح القصة فقلت لها أراك ممن يعجب الغناء ولى ابن عم أحسن منى وجها وأظرف قدا واكثر ادبا وأنا حسنة من حسناته وهو أعرف خلق الله بغناء اسحق الموصلى قالت طفيلى وتقترح قلت لها أنت المحكمة قالت إن كان ابن عمك على ماتصف فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت فلم أصل إلى دارى الاورسل المأمون قد هجموا على وحملونى حملا عنيفا فوجدته على كرسى وهو مغتاظ فقال يا أسحق اخروجا عن الطاعة قلت لا والله قال فما قصتك وماهذا الانحراف فاصدقنى قلت فى خلوة فأومأ إلى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت قد وعدتها فى أمرك قال قد أحسنت ولولا ذلك لنكلت بك فقلت قد سلم الله فأخذنا فى لذتنا فى ذلك اليوم وهو لا يسمع منى غير حديثها فلم يتم النهار إلا والمأمون

معلق القلب فلما جاء الوقت سرنا وأنا أوصيه واقول تجنب ان تظهرنى بحضرتها ودعنى من نخوة الملك وكن لى تبعا وهو يقول نعم وويلك وإن قالت غن كيف اصنع قلت أنا أدفعها عنك ثم سرنا إلى زنبيلين فقعدنا فيهما فرفعنا إلى الموضع فاقبلت فسلمت فما تملك إذ رآها إن بهت فى حسنها وقالت لى والله ما انصفت ابن عمك إذلم ترفع منزلته وكان قد قعد دونى فقالت ارتفع فديتك انت جديد وهذا قد صار من أهل البيت فنهض إلى صدر البيت واقبلت تذاكره وتناشد وتمازحه وهو يظهر عليها فى كل فن ثم أحضر النبيذ فشربنا وهى مقبلة عليه ومسرورة به وهو اكثر واخذت العود فغنت صوتا وقالت وابن عمك هذا من التجار قلت نعم قالت إنكما لغريبان فلما شرب المامون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب ثم رايته ينظر إلى نظر الاسد إلى فريسته فصاح يا اسحق فنهضت وقلت لبيك يا أمير المؤمنين قال غن هذا الصوت فلما علمت انه الخليفة نهضت إلى كلة مضروبة فدخلتها فلما فرغت من الصوت قال انظر من رب هذه الدار فسألت عجوزا فقالت هو الحسن بن سهل فقال على به فغابت العجوز ساعة وإذا الحسن قد حضر فقال له ألك ابنة قال نعم بوران قال فزوجنها قال لا والله قال فانى أخطبها اليك قال هى أمتك وأمرها اليك قال قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألفا نحملها اليك صبيحة يومنا فاذا قبضت المال فاحملها إلينا قال نعم ثم خرجنا فقال يا سحق لا يقف على ماوقفت عليه أحد فسترت الحديث إلا أن مات المامون فما اجتمع لأحد ما اجتمع لى فى تلك الأربعة الأيام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة بوران بالليل والله ما رأيت أحدا من الرجال فى ملوكهم مثل المأمون ولا شاهدت امرأة تقارب بوران فهما وعقلا وما أظن أحدا وقف من العلوم على ماوقفت عليه : وفى المسعودى : انحدر المأمون إلى فم الصلح فى شعبان سنة تسع ومائتين وأملك بخديجة بنت الحسن بن سهل ونثر الحسن فى ذلك الأملاك مالم ينثره قط ملك فى جاهليه ولا إسلام نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بناق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وجوار وأسماء ديار ودواب وغير ذلك فاذا وقعت البندقية بيد الرجل فتحها فيجدها على قدر سعده ثم ينثر بعد ذلك الدنانير والدراهم ونوافج المسك على عامة الناس واتفق على المأمون وعلى جميع قواده فلما اراد المأمون الانصراف إلى مدينة السلام قال له يا أبا محمد سل حوائجك قال نعم يا أمير المؤمنين أسالك أن تحفظ على مكانى من قبلك فأمر المأمون أن يحمل له خراج فارس والأهواز لسنة . وذكر الحريرى فى الدرة ان المأمون لما بنى على بوران فرش له حصير منسوج بالذهب مامسه احد عليه منثور فوجه الحسن إلى المأمون إن هذا نثار يجب أن يلتقط فقال المأمون لمن حوله من بنات الخلفاء شرفن أبا محمد فمدت كل واحدة منهن يدها فاخذت درة وبقى باقى الدر يلوح على الحصير المذهب فقال قاتل الله أبا نواس لقد شبه بشيء ما رآه قط فأحسن فى وصف الخمر والحباب الذى فوقها فقال :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

فكيف لو رأى هذا معاينة ويقال إن الحسن بن سهل نثر فى ذلك العرس على المأمون ألف حبة جوهر وأشعل بين يديه شمعة عنبر وزنها مائة رطل فأمر له المأمون بمائة ألف ألف درهم واقطعه مدينة فم الصلح وهى قريبة من واسط وكان العرس بها . وذكر المبرد أن الملاحين الذين تصرفوا فى هذا العرس نيفوا على السبعين الفا وكانت جراية السلطان عليهم ولما بنى المأمون على بوارن واراد غشيانها حاضت فقالت انى أمر الله فلا تستعجلوه فنام فى فراش آخر فلما أصبح دخل عليه أفاضل ندمائه يهنئونه ويدعون له فانشدهم بديها :

وبلقيسُ بعَرْشِهَا ، وبُوْران بِفَرْشِهَا،

فارس فى الحرب منغمس عارف بالطعن فى الظلم
رام أن يدمى فريسته فاتقتــه من دم بدم

وأكبر الشعراء فى ذلك الاملاك واستظرف منها قول ابن أبى حازم الباهلى :

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن سيدابن هرون قد ظفر ت لـكن ببنت من

فلما وصلت إلى المأمون قال لا والله ماندرى أخيرا أراد أم شرا .. ويشبه هذا أن رجلا أتى رجلا خياطا بثوب ليقطع له منه قميصا فقال والله لأفصلنه لك تفصيلا لا يدرى أقميص هو أم قباء ففعل ذلك فقال له صاحب الثوب وأنا والله لأدعون لك دعاء لايدرى ألك هو أم عليك وكان الخياط يسمى بشرا وكان أعور فقال :

خاط لى بشر قبـاء ليت عينيـــه سـواء

وأتت المأمون بجهاز لم يسمع بمثله قط كان فيه الفرش منسوجة بالذهب ، وقال إبراهيم بن العباس الصول يهنى الحسن بصهارة المأمون .

هنتك أكرومة جللت نعمتها أعلت وايك وا جئثت أعاديكا
ما كان يحيابهاإلاالإمامولا كانت إذا قرنت بالخلق تعدوكا

ومات بوران فى سنة إحدى وسبعين ومائتين وقد بلغت ثمانين سنة.وثم بوران أخرى وهى بنت كسرى وأمها مريم بنت قيصر ملكت سنة ونصفا وليست المعنية فى المقامة (وأما بلقيس) فهى ابنة شراحيل ابن أبى سرح بن الحرث بن قيس بن عيسى بن سبا وكان سبب مراسلة سليمان اليها أنه فقد الهدهد وبه يعرف قرب الماء من بعده فنزل سليمان عليه السلام بمفازة فدعا بالهدهد فلم يوجد فقال وهو غاضب مالى لا أرى الهدهد الآيات وكان الهدهد قد مر بعرش بلقيس وبساتينها فلما رجع تلقته الطير فقالوا توعدك رسول الله بنتف ريشك أو بذبحك فينقطع نسلك فقال وما استثنى قالوا بلى قال أوليأتينى بسلطان مبين أى بعذر مبين فاتى سليمان فقال ماغيبك عنى قال أحطت بما لم تحط به حتى بلغ فانظر ماذا يرجعون قال سننظر أصدقت الآيات فوجه بالكتاب فوافقها فى قصرها فسد عليها بالكتاب ضوء طاق فالتفتت فالقى اليها الكتاب فاخذته وغطته بثوب ونادت فى قومها فقالت يا أيها الملأ الآيات فقالوا لها نحن أولو قوة الآيات ثم قالت إن قبل الهدية فهو ملك من ملوك الدنيا وأنا أعز منه وإن لم يقبلها فهو نبى من عند الله فلما رجع بالهدية قال سليمان أتمدوننى بمال إلى وهم صاغرين فلما رجع اليها بالخبر خرجت فزعة فى قومها قال ابن عباس رضى الله عنهما ومعها ألف قيل وأهل اليمن يسمون القائد القيل مع كل قيل عشرة آلاف وكان سليمان مهيبا لا يبدؤه أحد بشىء حتى يسأل عنه فخرج فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس قال وقد نزلت منا بهذا المكان ثم قال أيكم يأتينى بعرشها فأتاه به الذى عنده علم من الكتاب قيل ما قطع كلامه وصرف بصره فرآه مستقرا عنده فقال هذا من فضل ربى ثم جاءت بلقيس وقعدت إلى سليمان فقيل لها أهكذا عرشك فنظرت اليه وقالت كأنه هو ثم قالت تركته فى قصرى والجنود محيطة به فكيف جىء به وكانت شعراء الساقين فقالت الجن إن نكحها سليمان فولدت له غلاما ماننفك من العبودية أبدا فهلم نبنى له بنيانا فيرى شعرها فلا يتزوجها فبنوا له

والزَّبَّاء بِمُلْكِهَا، ورابِعَةُ بِنُسُكِهَا ،

صرحا أخضر من قوارير كأنه الماء وجعلوا فى باطن طرائقه كل شىء من الدواب والسمك وغيره وألق لسليمان كرسى فى أقصاه فلما راى منه ما رأى قعد عليه ودعا بها فلما رأت صور السمك فيه حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فابصر شعرها سليمان فصرف بصره عنها وقال إنه صرح ممرد من قوارير فقالت ربى إنى ظلمت نفسى الاية فقال سليمان للجن ما يذهب الشعر فقالوا له النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام وذكر ابن اسحق انها لما اسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك أزوجكه فقالت ومثلى ينكح وقد كان لى من الملك والسلطان ما كان فقال لها ما ينبغى أن تحرمى ما احل الله فزوجها ذا تبع ملك همدان وملكه اليمن وردها معه فلم يزل ملك اليمن حتى مات سليمان وكانت بلقيس من بيت المملكة قيل إنها ولدها أربعون ملكا واختلف فى أمها فقيل إنسية وقيل جنية (وأما عرشها) وهو سريرها فقيل كان طوله ثمانين ذراعا وعرضه كذلك وكان عرشها صفائح من ذهب وفضة قد ركبت فيه فصوص الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والدر واللؤلؤ وكان له قائمتان من ياقوت وقائمتان من زبرجد والملك لله وحده الذى سخر لسليمان هذا الملك العظيم ومن أحضر له هذا العرش العظيم قبل رجع الطرف . وذكر الحريرى فى الدرة أن صواب لفظ بلقيس أن تكسر باؤه لأن كل أعجمى يعرب فقياسه ان يلحق بامثله كلام العرب قال وعلى ذلك بلقيس وقرأت فى اخبار سيف الدولة أن الخالديين مدحاه فبعث اليهما وصيفا ووصيفة مع كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر والشام فكتبا إليه :

لم يغد شكرك فى الخلائق مطلقا	إلا ومالك فى النوال حبيس
خولتنا شمسا وبدرا اشرقت	بهما لدينا الظلمة الحنديس
رشأ أتانا وهو حسنا يوسف	وغزالة هى بهجة بلقيس
هذا ولم تقنع بذاك وهذه	حتى بعثت المال وهو نفيس
أتت الوصيفة وهى تحمل بدرة	وأتى على ظهر الوصيف الكيس
وكسوتنا مما أجادت حوكه	مصر وزادت حسنه تنيس
فغدا لنا من جودك الماكول	والمشروب والمنكوح والملبوس

فلما قرأها سيف الدولة قال أحسنا إلا فى لفظ المنكوح إذا ليست مما يخاطب بها الملوك وهذا من بديع نقده المليح وشواهد ذكائه الصريح (واما الزباء) فقد تقدم ملكها فى الرابعة والعشرين (واما رابعة) فى بنت اسمعيل العدوية وكانت قد بلغت من النسك والفضل والزهد منزلة شريفة وكانت منورة البصيرة مطهرة السريرة حظيت بالمكاشفات الربانية وكان سفيان الثورى يذهب اليها ويسألها عن مسائل دينية ويعتمد عليها وخطبها عبد الواحد بن زيد فقالت له بعد ان حجبته اياما ثم اذنت له باشهوانى اى شىء رايته فى من آيات الشهوة الا خطبت شهوانيه مثلك وقال أبو سليمان الدارانى بت ليله عند رابعة العدوية فقامت إلى محراب لها وقمت إلى ناحية من البيت فلم تزل قائمة إلى السحر فقلت ماجزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان تصوم له غدا .. وزارها اصحابها فذكروا الدنيا واقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذمها فلولا موضعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره ، واحتاجت رابعة إلى شىء فقيل لها لو بعثت إلى فلان

وخِنْدف بفَخْرِ ها،

قريب لها فقالت والله لاأطلب الدنيا ممن يملكهافكيف ممن لا يملكها وحدث جعفر بن سليمان قال أخذ بيدى سفيان الثورى فقال لى سر بى إلى المؤدبة التى لا أجدنى أستريح إذافارقتها يعنى رابعة قال فلما دخلت عليهارفع يديه وقال اللهم إنى أسألك السلامة فبكت رابعة فقال لها ما يبكيك فقالت أنت عرضتنى للبكاء فقال لها وكيف ذلك فقالت أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت متلطخ بها وقال سفيان الثورى لرابعة رحمة الله عليهما ما حقيقة إيمانك قال ما عبدته خوف النار ولا رجاء الجنه فأكون كالأجير السوء بل عبدته حباله وشوقا اليه وقالت فى معنى ذلك :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواك
وأما الذى أنت أهل له فكشفك الحجب حتى أراك
فلا الحمد فى ذا ولا ذا ليا ولكن لك الحمد فى ذاوذاك

وقال لها كيف حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت شغلنى حب الخالق عن حب المخلوقين ، ودخل سفيان عليها وهى قائمة تصلى فلم تعرج عليه ودخل جعفر وكان يخدمها فقال لسفيان أى شىء دار بينك وبينها قال ماكلمتنى فقال لها ياسبحان الله الشيخ جاءاليك فما كلمتيه فقالت إن العبد إذا كان مقبلا على وجه الله عز وجل كان الله مقبلا عليه وقد كنت مقبلة على الله عز وجل ولست أشك فى إقباله على فأيما أحب اليك أن أكون مقبلة على الله ويكون مقبلا على أو أقبل على هذا ثم قالت الله أكبر وقال لها رجل إنى أحبك فى الله فقالت فلا تعصى الذى أحبتنى له وأنشدت :

أتضمن يافتى ترك المعاصى وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا ولم يتجرعوا غصص المعاصى

(وأما خندف) فهى ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهى امرأة الياس بن مضر ولدت منه عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو قمعة فندت لهم إبل فخرجوا فى طلبها فأدركها عمرو فسمى مدركة واقتنص عامر أرنبا فطبخها فسمى طابخة وانقمع عمير فى بيته فسمى قمعة فلما أبطأوا عليها خرجت فى أثرهم فقالت مازلت أخندف فى أثركم فلقبت خندف والخندفة الهرولة ، وهى أم عرب الحجاز وجميع ولد الياس من خندف والخندف ينسبون وجميع ولد مضر من الياس وخندف فمن مدركة كنانة واسدابنا خزيمة ومن طابخة ضبة بن طابخة ومزينة والرباب وهم عدى وتيم بن مر بن أد بن طابخه وثور وعكل بن مدركة وقريش وهو كناية . . ومنها سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى مافى كنانة من الشجعان المشاهير فى الجاهلية ومن طابخة تميم وهى أكبر قبيلة فى العرب وأشجعها وهى عدد لايحصى وعز لايدرك وقال المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وفود قبائل العرب ودعا ببردين فقال ليلبس هذين البردين أكرم العرب وأشرفهم حسبا واعزهم قبيلة فأحجم الناس فقام الأحمر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعيد بن زيد مناة بن تميم فلبس احدهما وارتدى الآخر فقال له المنذر ما حجتك فيم ادعيت قال الشرف من نزار فى مضر ثم فى تميم ثم فى سعد

والخنساء بشعرها ، فى صخرها ،

ثم فى بهدلة قال هذا أنت فى أصلك فكيف أنت فى عشيرتك قال أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة قال هذا أنت فى عشيرتك فكيف أنت فى نفسك فقال شاهد العين شاهدى ثم قام فوضع قدمه فى الأرض وقال من أزالها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد وفى ذلك يقول الفرزدق :

فما ثم فى سعد ولا آل مالك غلام إذا ما قيل لم يتبهدل
لهم وهب النعمان بردى محرق بمجد معد والعديد المحصل

فلخندف هذا الفخر فى الجاهلية ثم الملك إلى يوم القيامة وفيها يقول الراجز : وخندف هامة هذا العالم

(وأما الخنساء) فهى تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس عيلان قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بنى سليم واسليم فى الإسلام سابقة حسنة حضر منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحرب حنين ألف رجل وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنساء ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه ياخنساء ونظرتها عائشة رضى الله عنها وعليها صدار من شعر فقالت ياخنساء أتلبسين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لم أعلم بنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان للصدار سبب كان زوجى رجلا متلافا فأملق وأراد أن يسافر فقلت له أقم حتى آتى صخرا فأتيته فشاطرنى ماله فأتلفه زوجى فعدت اليه فعاد بمثل ذلك فأتلفه زوجى فعدت اليه فى الثالثة والرابعة فقالت له زوجته إن هذا المال متلف فامنحها شرار مالك فقال :

والله لا أمنحها شرارها وهى حصان قد كفتنى عارها
ولو هلكت خرقت خمارها واتخذت من شعرها صدارها

فلما هلك اتخذت هذا الصدار وقيل لجرير من أشعر الناس قال أنا لولا هذه الفاعلة يعنى الخنساء قيل له فبم فضلتك قال بقولها :

إن الزمان وما تفنى عجائبه أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراس
أبقى لنا كل مجهول وفجعنا بالحالمين فهم هام وأرماس
إن الجديدين فى طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

فأجمع علماء الشعر أنه لم تكن قط امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها وكان النابغة الذبيانى يجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسى ينشدونه فيفضل من يرى تفضيله فانشدته فى بعض المواسم فاعجب بشعرها وقال لها والله لولا أن هذا الأعمى انشدنى قبلك يعنى الأعشى لفضلتك على شعراء الموسم وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا إلا ظهر الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى ، ومن جيد مارثت به صخرا قولها :

ألا ياصخر إن أبكيت عينى لقد أضحكتنى دهرا طويلا
بكيتك فى نساء معولات وكنت أحق من أبدى العويلا
دفعت بك الجليل وأنت حى فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومنه : يؤرقني التذكير حين أمسى ويرد عني الأخزان نكسى
على صخر وأي فتى كصخر ليوم كريهه وطعان حلس
ولم أر مثله رزأ الجن ولم أر مثله رزأ لانس
يذكرني طلوع الشمس صخرا وأبكيه لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى على إخوانه لقتلت نفسى
ومايكون مثل أخي ولكن أعزى عنه بالتأسى

ومنه أيضاً : أبعد ابن عمرو من آل الشريد خلت به الأرض أثقالها
لعمر أبيه لنعم الفتى إذا النفس أعجبها مالها
فان تك مرة أودت به فقد كان يكثر تقتالها
فخر الشوامخ من فقده وزلزلت الأرض زلزالها

ومنه أيضاً : أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرىء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيرته أمردا

ومنه أيضاً : تعرقنى الدهر نهشا وحزا وأوجعنى الدهر قرعا وغمزا
وافنى رجالى فبادوا معا فأصبحت من بينهم مستفرا
كأن لم يكونوا حمى يتقى إذا الناس إذ ذاك من عر بزا
وكانوا سراة بنى مالك وفخر العشيرة مجدا وعرا
جرزنا نواصى فرسانها وكانوا يظنون ان لاتجرا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب أن لايصاب فقد ظن عجرا

ومنه أيضاً : ياصخر وارد ماء قد تبادره أهل المياه وما فى ورده عار
مشى السبنتى إلى هو جاء معضلة له سلاحان أنياب وأظفار
وما عجول على بوتحن له لها حنينان إعلان وإسرار
ترتع ماغفلت حتى إذا أدركت فانما هى إقبال وإدبار
يوما بأوجع منى حين فارقنى صخر فللدهر إحلاء وإمرار
وإن صخرا لوالينا وسيدنا وإن صخرا إذ نشتو لنحار
وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

وحدث المفضل قال كنت جالسا يوما على باب منزلى أحتاج إلى درهم واحد وعلى دين عشرة آلاف درهم إذ جاءنى رسول المهدى فقال أجب أمير المؤمنين فقلت فى نفسى وما بعثه إلى لعل ساعيا سعى بى عنده ثم دخلت منزلى ولبست ثيابى وسرت اليه فلما مثلت بين يديه أو ما إلى بالجلوس فاسكن جاشى قال لى يا مفضل ماأفخر

بيت قالته العرب فارتج على ساعة ثم قلت يا أمير المؤمنين قول الخنساء فاستوى جالساوكان متكئاً فقال أى؟ فقلت قولها: وإن صخر التأميم الهداة به البيت فقال قد قلت له فابى على وأوما إلى أسحق بن بزيغ قلت الصواب مع أمير المؤمنين ثم قال يامفضل حدثنى فحدثته حتى انتصف النهار قال أنشدنى فانشدته قول الحسن بن مطير الأسدى:

وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها — فقيرا ويثرى بعد بؤس فقيرها
وكم قد رأينا من تغير عيشه — وأجرى صفاء بعد كدر غديرها
فلا تقرب الأمر الحرام فانه — حلاوته تفنى ويبقى مريرها

وكان المهدى رقيقا فبكى وقال يامفضل كيف فقلت كيف يكون حال من عليه عشرة آلاف درهم وليس معه منها درهم واحد قال يااسحق اعطه عشرة آلاف درهم قضاء لدينه وعشرة آلاف درهم يستعين بها على حاله وعشرة آلاف درهم يصلح بها من شأنه .. ورأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الخنساء تطوف بالبيت محلوقة الرأس تبكى وتلطم خدها وقد علقت عليه نعل صخر فى خمارها فوعظها فقالت انى رزقت فارسا لم يرزأ أحد مثله فقال إن فى الناس من هو أعظم مرزأة منك وان الاسلام قد غطى ماكان قبله وإنه لايحل لك لطم وجهك وكشف رأسك فكفت عن ذلك وقالت:

هريقى من دموعك واستفيقى — وصبرا ان أطلقت ولن تطيقى
وقولى ان خـــير بنى سليم — وأكرمهم بصحراء العقيق
ألا هل ترجعن لنا الليالى — وأيام لنا بلوى الشقيق
وإذ فينا معاوية بن عمرو — على ادماء كالجمل الفنيق
فنبكيه فقـد أودى حميدا — أمين الرأى محمود الصديق
فلا والله لاتسلوك نفسى — لفاحشة أتيت ولا عقوق
ولكنى رأيت الصبر خيرا — من النعلين والرأس الحليق

وأما أبو العباس المبرد فقال وقالت الخنساء ترثى أخاها معاوية بن عمرو وكان اخاها لأبيها وكان أحبهما اليها واستحق ذلك للأمور منها أنه كان موصوفا بالحلم مشهورا بالجود معروفا بالتقدم والشجاعة محفوظا فى العشيرة ثم أنشد الأبيات المتقدمة وكان صخر أجمل رجل فى العرب وكان سبب قتله أنه جمع جمعا وأغار على بنى أسد ابن خذيمة فنذروا به والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فارفض أصحاب صخر عنه ربيعة بن ثور الأسدى فأدخل جوفه حلقا من الدرع فاستعل منها وسار إلى أهله فاندمل عليه الجرح ونتأ منه مثل اليد فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يقول لامرأته كيف صخر اليوم فقالت لاحى فيرجى ولا ميت فينعى ولقد لقينا منه الأمرين وامرأته بديلة الأسدية وكان سباها من بنى أسد واتخذها لنفسه فلما سمع قولها علم أنها برمت منه ورأى تحزن أمه عليه فقال:

أرى أم صخر لاتجف دموعها — وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة — عليك ومن يغتر بالحدثان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه — وقد حيل بين العير والنزوان

لأنفتُ أنْ تَـكُونى قَعِيدَةَ رَحْلِى ، وطَرُوقَةَ فحلى ؛ قال : فَتَذَمَّرَتِ المَرْأةُ وتَنَمَّرَتْ، وحَسَرَتْ عن ساعِدِها وشَمَّرَت ، وقالت ياألأمَ من مادِرٍ وأشْأمَ من قاشِرٍ ؛ وأجبَنَ من صافِرٍ ؛ وأطْيَشَ من طامِرٍ ، أتَرْمِينى بِشَنارِك

لعمرى قد نبهت من كان نائما وأسمعت من كانت له أذنان
فأى امرىء ساوى بأم حليلة فلا عاش إلا فى شقا وهوان

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فقال :

أجارتنا إن الخطوب قريب على الناس كل المخطئين تصيب
أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

فلما مات دفن فى أرض بنى سليم بقرب عسيب ،وحضرت الخنساء القادسية مع بنيها وهم أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل : يابنى إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله تعالى للمؤمنين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا لقتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة فلما ضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة . وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنيها الأربعة وكان لكل منهم مائتا درهم حتى قبض رضى الله تعالى عنه (قعيدة رحلى) أى امرأة بيتى (ناقة طروقة) بلغت أن يطرقها الفحل (أنفت) استنكفت وكرهت (تذمرت) غضبت وتذمر الرجل إذا رأى ما يكرهه فغضب وتهدد والذمر اللوم والحض وذمر قائد الجيش أصحابه يذمرهم إذا لامهم وأسمعهم ما يكرهون ليجدوا فى القتال (تنمرت) تغيرت وتشبهت بالنمر ولا يوجد النمر إلا مستنكرا غضبانا ونمر الرحل وتنمر تنكر وتغير (حسرت عن ساعدها) شمرت عن ذراعها (أطيش) أخف والطيش خفة العقل (والطامر) البرغوث يقال له طامر بن طامر . قال الأصمعى كنت بالبادية فرأيت أعرابيا قد بسط كساءه ليفليه فى الشمس فوقفت أنظر اليه فجعل يأخذ البراغيث ويدع القمل فقلت له لم تأخذ بعضا وتدع بعضا فقال أبدأ بالفرسان ثم أكر على الرجالة . سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه نبه نبيا من الأنبياء لصلاة الفجر . أبو الدرداء رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آذاك البراغيث فخذ قدحا من ماء واقرأ عليه سبع مرات ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا إلى قوله المتوكلون فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم ترش الماء حول فراشك فانك تبيت الليلة آمنا من شرها (شنارك) عيبك وعارك (تفرى) تقطع وفرى يستعمل فى القطع على جهة الإصلاح وقد جاء هنا فى الأفساد ومنه قول الشاعر :

وتَفرِى عِرْضِي بِشِفارِك ، وأنتَ تعلمُ أنك أحقَرُ من قُلامة ، وأعْيَبُ من بَغلةِ أبى دُلامة ،

فرى نائبات الدهر بيني وبينها   وصرف الليالى مثل ما فرى الجلد

ابن سيده : فرى الشيء يفريه فريا وفراه يفريه كلاهما شقة وأفسده وأفراه أصلحه والمتقنون من أهل اللغة يقولون فرى شق للافساد وأفرى للاصلاح وقيل أفراه أفسده وفراه قطعه للاصلاح قال الأصمعى رحمه الله أفرى الجلد مزقه وأفسد يفريه إفراء وفرى المزادة يفريها فريا خرزها (القلامة) ما يقص من الظفر وبها يتعلق وسخه فهى مع حقارتها مستقذرة . (أبو دلامة) اسمه زند بالنون ابن الجون وهو كوفى أسود مولى لبنى أسد أدرك آخر ايام بنى أمية ونبغ فى أيام بنى العباس ومدح السفاح والمنصور والمهدى وكان صاحب نوادر وملح وكان خليعا فاسد الدين ردىء المذهب وقد تقدم له شيء من ذلك فى الصلاة والحج ونذكر له هنا شيئا فى الصيام ونضيف له فنونا من سائر ملحه . واما بغلته فكانت جامعة لعيوب الدواب كلها وكانت اشوه الدواب خلقة فى منظر العين واسوأها خلقا فى مخبرها فكان إذا ركبها تبعه الصبيان يتضاحكون به وكان يقصد ركوبها فى مواكب الخلفاء والكبراء ليضحكهم بشماسها نظم فيها قصيدته المشهورة وهى :

أبعد الخيل أركبها كراما   وبعد الفره من حضر البغال
رزقت بغيلة فيها وكال   وليتك لم يكن غير الوكال
رأيت عيوبها كثرت وليست   وإن أكثرت ثم من المقال
ليحصى منطق وكلام غيرى   عشير خصالها شر الخصال
فأهون عيبها انى إذا ما   نزلت وقلت امشى لا تبالى
تقوم فما تبت هناك شبرا   وترمحنى وتأخذ فى قتال
وانى إن ركبت اذيت نفسى   بضرب باليمين وبالشمال
وبالرجلين اركضها جميعا   فيالك فى الشقاء وفى الكلال
اتانى خائب يستام منى   عريق فى الخسارة والضلال
وقال تبيعها قلت ارتبطها   بحكمك إن بيعى غير غال
فاقبل ضاحكا نحوى سرورا   وقال اراك سهلا ذا جمال
هلم إلى يخلو بى خداعا   وما يدرى الشقى بمن يخالى
فقلت بأربعين فقال احسن   إلى فان مثلك ذو سجال
فأترك خمسة منها لعلمى   بما فيه يصير من الخبال
فلما ابتاعها منى وبتت   له فى البيع غير المستقال
اخذت بثوبه ابرأت مما   اعد عليه من سوء الخلال
برأت اليك مشى يديها   ومن جرد ومن بلل المال
ومن فتق بها فى البطن ضخم   ومن عقالها ومن انفال
ومن قطع اللسان ومن بياض   بعينيها ومن قرض الحبال

ومن عض الغلام ومن حراط ... إذا ماهم صحبك بارتحال
وأقصى من فريخ الذر مشيا ... بها عرن وداء من سلال
وتكسر شرحها أبد شماسا ... وتقمص للاكاف على اغتيال
ويدبر ظهرها من مس كف ... وتهزم فى الجمام وفى الجلال
تظل لركبة منها وقيذا ... يخاف عليك من روم الطحال
ومشغار تقــدم كل سرج ... تصير دفتيه على القذال
وتحفى لو تسير على الحشايا ... ولو تمشى على دمث الرمال
إذا استعجلتها عثرت وبالت ... وقامت ساعة عند المبال
وتضرط أربعين إذا وقفنا ... على أهل المجالس للسؤال
فتقطع منطقى وتحول بينى ... وبين حديثهم فيما توالى
وتذعر للدجاجة إذ تراها ... وتنفر للصغير وللخيال
وأما القت فأت بالف وقر ... باعظم حمل احمال اجمال
فلست بعالف منها ثلاثا ... وعندك منه عود للخلال
وإن عطشت فأوردها جيلا ... إذا أوردت أو نهرى بلال
فذاك لريها سقيت حميا ... وإن مد الفرات فللنهال
وكانت قارحا أيام كسرى ... وتذكر تبعا عند الفصال
وقد دبرت ونعمان صبى ... وقبل فصاله تلك الليالى
وتذكر إذ نشا بهرام جور ... وعامله على خرج الجوالى
وقد مرت بقرن بعد قرن ... وآخر عهدها لهلاك مالى
فأبدلنى بها يارب طرفا ... يزين جمال مشيئته جمالى

وأنشدها المهدى فقال لقد أقلت من بلاء عظيم فقال والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها فقال المهدى لصاحب دوابه خيره بين مركبين فى الاصطبل فقال إن كان الاختيار إلى فقد وقعت فى شر من البغلة ولكن مره يختر لى ففعل .. وفى القصيدة ألفاظ من الغريب أبينها ، فمنها يقال وأكلت الدابة وكالا أساءت السير ورمحت ترمح ضربت برجليها والمشش داء فى قوائمها والجرد استرخاء العصب والعقال أن تنقبض القوائم ولا تنبعث والخراط الجماح والعرن حكة وشقاق فى القوائم وقد عرن عرنا وقمص يقمص قمصا وقماصا رفع يديد وطرحهما معا وعجن بيديه وقطا يقطو قارب الخطو .. وكان لأبى دلامة برذون أعجف محطم هرم فدخل على المهدى يوما وبين يديه سلمة الوصيف فقال يا أمير المؤمنين إنى جلبت لبابك مهرا ليس لأحد مثله وأحببت أن أهديه لك فان أحببت أن تشرفنى بقبوله فأمر بادخاله فخرج وادخل برذونة فقال له المهدى أى شىء هذا ويلك ألم تزعم أنه مهر فقال له أبو دلامة أوليس هذا سلمة الوصيف قائما بين يديك تسميه

الوصيف وله ثمانون سنة فان كان سلمة وصيفا فهذا مهر فجعل المهدى يضحك وسلمة يشتمه فقال له المهدى ويلك إن لهذا إخوات والله ليضحكن بك فى المحافل فقال والله يا أمير المؤمنين لأفضحنه فليس فى مواليك أحد إلا وقد وصلنى غيره فما شربت الماء له قط فحكم عليه المهدى أن يشترى نفسه بثلاثة آلاف درهم فقال له سلمة على أن لا تعاود فقال أبو لامة أفعل فحملها اليه .. ومما ينتظم بهذا النمط أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمل أبا العيناء على فرس فكتب إلى أبيه الأمير أعزه الله أن أبا محمد أراد أن يبرنى فعقنى وأن يركبنى فارجلنى أمرلى بدابة تقف للنبرة وتعثر بالبعرة كالقضيب اليابس عجفاء وكالمهر البائس دنفاء قد أذكر الرواة عروة العذرى والمجنون العامرى مباعدا أعلاه لأسفله حباقة مقرون بسعاله فلو أمسك لترجيت ولو افرد لتعزيت ولكنه يجمعها فى الطريق المعمور والمجلس المشهور كأنه خطيب مرشد أو شاعر منشد يضحك من فعله النسوان ويتناعى من أجله الصبيان فمن صائح يصيح دواه بالطباشير ومن قائل يقول نق له الشعير قد حفظ الأخبار وروى الاشعار ولحق العلماء فى الأمصار فلو بنين أعطق لروى بحق وصدق على جابر الجعفى وعامر الشعبى ولم أوت من أمر الأمير أعزه الله وإنما أتيت من كاتبه الأعور الذى إذا اختار لنفسه أصاب وأكثر وإذا اختار لغيره اخبث وأنزر فان راى الأمير ان يبدلنى ويريحنى بمركوب يضحكنى كما اضحك منى يمحو بحسنه وفراهته ما سطره العيب بقبحه ودناءته ولست اذكر سرجه ولجامه لأن الأمير اكرم من ان يسلب مايهديه وينقص مايمضيه فوجه اليه ببرذون بسرجه لجامه ثم اجتمع بابنه محمد عنده فقال له عبيدالله شكوت دابة محمد وقد اخبرنى أنه يشتريه الآن منك بمائة دينار وهذا ثمنه لا يؤخر عنك فقال اعز الله الوزير لولم اكذب مستزيد المذاهب مستفيدا وإنى وإياه لكما قالت امراة العزيز انا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ، وقال ابن رشيق فى بغل :

اوصيك بالبغل شرا فانه ابن الحمار لا يصلح البغل إلا للكد والاسفاز
كالعبد إن لم تهنه جنى على الاحرار ماعتاض بغلا بطرف إلا اخو إدبار

وله ايضا فيه :

فاوصيكمو بالبغل شرا فانه من العصير فى سوء الطباع قريب
وكيف يجىء البغل يوما بجلمة يسر وفيه للحمار نصيب

وله من قصيدة :

او بغله سفواه تعرض للفتى فتخال تحت السرج ام غزال
سألت إلى الأم النجابة من أب وزهت على الأعمام والاخوال
وكأنها قد افرغت فى قالب لا أنها خلقت على تمثال

وله من قصيدة أيضا :

كأنى بعض نجوم السماء تصعد فى الجو ثم انحدر
على رسلة من هبات الملو ك سفواء سلمومة كالحجر
تعاون فى جدل اعضائها بنو احذر وبنات الاغر

ولمحمد بن بشر الخارجى فى بغلة :

نزعت عن الخيل العتاق نجارها منها وعتق سوالف ولبان
ولها من الأعيان عند مسيرها قحة وطول صبارة ومران

رجعنا إلى اخبار أبي دلامة .. يحكى ان المهدى أو المنصور انشده ماأعجبه فكساه طيلسانا وأمرله بمال وعاهده أن لايشرب الخمر فحلف له وخرج إلى بنى داود بن على فضحكوا به وقص عليم خبره فسقوه حتى اسكروه وأخرجوه فأعلم المهدى الخبر فأرسل فيه وأمر الرسول يسجنه وتخريق ساجه وأن لا يمكن من قرطاس ولا مداد ففعل به الرسول ذلك فانتبه فى جوف الليل فنادى جاريته فقال له السجان طعنة فى كبدك فقال له ويلك من أنت وأين أنا فقل له سل نفسك أين كنت عشاء أمس فاستحلفه من أنت فقال أنا السجان بعث بك أمير المؤمنين وأنت سكران فأمرنى أن أحبسك مع الدجاج ، فقال أحب أن تسرج لى سراجا وتأتينى بدواة وقرطاس ولك عندى صلة فقال له أما السراج فنعم وأما القرطاس والدواة فقد أمرت أن لا أمكنك منهما فلما أتاه بالسراج وجد ساجه مخرقا ملطخا بأزبال الدجاج ورأى نفسه جالسا بينها فقال له ادع لى ابنى دلامة فدعاه فأمره أن يجيد حلاقة رأسه وأن يأتيه بفحمة ففعل فكتب على رأس ابنه :

أمن صهباء صافية المزاج ... كأن شعاعها لهب السراج
تهش لها القلوب وتشتهيها ... إذا برزت ترقرق فى الزجاج
أقاد إلى السجون بغير جرم ... كأنى بعض عمال الخراج ؟
ولو معهم حبست لكان خيرا ... ولكنى حبست مع الدجاج
أمير المؤمنين فدتك نفسى ... ففيم حبستنى وخرقت ساجى
على أنى وإن لاقيت شرا ... لخيرك بعد ذاك الشر راجى

قال يم يا أمير المؤمنين هذه أمانة فاذا قرأتها فزق الرقعة ثم أمر دلامة أن يدخل على أمير المؤمنين ويقرئه ما فى رأسه فأتى الباب وصاح دعوة المظلوم فعلم أمير المؤمنين بمكانه فأمر بادخاله فكشف رأسه وقال إن ظلامتى مكتوبة فى رأسى فأدنى منه حتى قرأها فاشتد ضحكه وعجب من حيلته وأمر باخراجه وقال ما كان أحوج هذه الرقعة أن تمزج ثم وصله بصلة ونهاه أن يوجد سكران . . وخرج المهدى يتصيد ومعه على بن سليمان فسنح له قطيع من الظباء فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل فرمى المهدى سهما فصرع ظبيا ورمى على بن سليمان سهما فصرع كلبا فقال أبو دلامة :

قد رمى المهدى ظبيا ... شق بالسهم فؤاده
وعلى بن سليمان ... رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل ... امرىء يأكل زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط . . ومن ملحه أنه دخل على المهدى وعنده وجوه بنى هاشم فقال أنا أعطى الله عهدا لئن لم تهج واحدا ممن فى البيت لأقطعن لسانك فنظر إلى القوم فكلما نظر إلى واحد غمزه بأن عليه رضاه قال فعلمت أنى وقعت وأنها عزمة من عزماته لا بد منها فلم أر أدعى إلى السلامة من هجاء نفسى فقلت :

ألا بلغ لديك أبا دلامة ... فليس من الكرام ولا كرامه
إذا لبس العمامة قلت قردا ... وخنزيرا يكون بلا عمامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما ... كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فان تك قد أصبت نعيم دنيا ... فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحكوا ولم يبق أحد إلا أجازه .. وخرجت له صبية فأخذها على كتفه فبالت عليه فرمى بها وقال :

بللت علي لاحييت ثوبي ... فبال عليك شيطان رجيم
فما ولدتك مريم أم عيسى ... ولا رباك لقمان الحكيم
ولكن قد تضمك أم سوء ... إلى لباتها وأب لئيم

ولما خرجت الخيزران إلى الحج تلقاها فصاح : الله الله فى أمرى فسألته عن أمره فقال إنى شيخ كبير وأجرك فى عظيم تهبين لى جارية تؤنسنى وترفق بى وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى وأطالت كدى وقد مزق جلدها جلدى وتمنيت بعدها وتشوقت فقدها فوعدته بها فلما جاءت من الحج دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهرون فدفع إليها رقعة فدفعتها إلى الخيزران وفيها :

ابلغى سيدتى إن شئت يا ام عبيده ... انها ارشدها الله وإن كانت رشيده
وعدتنى قبل ان تخرج للحج وليده ... إننى شيخ كبير ليس فى بيتى قعيده
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديده ... وجهها اقبح من حوت طرى فى عصيده
ما حياتى مع انثى مثل عرسى بحميده

فضحكت واستعادت حوتا فى عصيدة وهى تضحك ثم قالت لجارية خذى ما عندك فى قصرى وامشى إليه فلما بلغها الرسول منزله لم يجده فدفعه إلى امراته ودخل دلامة وامه تبكى فسألها فأخبرته وقالت إن اردت برى يوما من الدهر فاليوم : قال لها قولى ما شئت افعله قالت تدخل إليها وتعلمها انك مالكها فتطؤها ومد يده إليها وذهب ليقبلها فرأت شيخا محطما قبيح الوجه فقالت نح وإلا لطمتك لطمة دققت بها انفك فقال وبهذا اوصتك سيدتك فقالت إنها بعثتنى إلى فتى من صفته كذا وكذا وقد نال حاجته منى آنفا ، فعلم انه دهاء من دلامة وامه فخرج ولطمه ولببه وحلف ان لا يفارقه إلا إلى المهدى فمضى على تلك الحالة حتى دخل إلى المهدى فقال له ما بالك ويحك فقال له عمل بى هذا ابن الخبيثة مالم يعمله احد بابيه ولا يرضينى إلا ان تقتله واخبره الخبر فضحك المهدى حتى استلقى وابو دلامة يقول يعجبك فعله فتضحك منه فقال على بالسيف والنطع فقال دلامة اسمع حجتى يا أمير المؤمنين كما سمعت حجته فقال هات فقال هذا الشيخ اصفق الناس وجها وهو ينيك امى منذ اربعين سنة فما غضبت ونكت جاريته مرة واحدة فغضب فضحك المهدى اشد من ضحكه الأول فقال دعها له وانا اعطيك خيرا منها فقال على ان تخباها بين السماء والأرض وإلا ناكها كما ناك هذه وحلف لدلامة إن عاد ليقتلنه ... وجاء دلامة لأبيه فى محفل وجلس بين يديه وقال للجماعة إن شيخى كما ترون وقد كبر سنه ورق جلده ودق عظمه وبنا إلى حياته حاجة وانا لاازال اشير عليه بشىء يمسك رمقه ويبقى قوته فيخالفنى وارغب إليكم ان تسالوه قضاء حاجة فيها صلاح جسمه فقالوا حبا وكرامة فاخذوا ابادلامة بألسنتهم فقال قولوا له الخبيث فليقل ما يريد فستعلمون انه لم يات إلا ببلية فقال إنما يقتله كثرة النيك ولا يدفعه إلا الخصاء فتعاونونى عليه حتى أخصيه فضحكوا منه كثيرا وقالوا لأبيه قد سمعت فما عندك فقال قد عرفتكم انه لم يات بخير وقد جعلت امه حكما بينى وبينه فقوموا إليها ، فدخلوا عليها وقصوا القصة عليها

فاقبلت على الجماعة وقالت إن ابنى ، ابقاه الله ، قد نصح اباه وبره وانا إلى بقاء إلى ابيه أحوج منه إليه إلا أن هذا الأمر لم تقع فيه تجربة عندنا ولا جرت به عادة وهو قد ادعى معرفة ذلك فليبدأ بنفسه فليخصها فاذا عوفى ورأينا ذلك قد أبقى عليه أثرا محمودا استعمله أبوه على علم فجعل القوم يضحكون ويعجبون من اتفاقهم فى الخبث .. وأمره المهدى أن يلزم المسجد فى رمضان وقال له إن تأخرت فاشرب الخمر ولئن علمت ذلك لأقتلنك فشق عليه ذلك وتشفع اليه بكل إنسان فلم يشفعه فادخل إلى ريطة رقعة وكان المهدى لا يخالفها وفيها

أبلغا ريطة أنى كنت عبدا لأبيها
فمضى يرحمه الله وأوصى بى اليها
جاء شهر الصوم يمشى مشية لا أشتهيها
قائد إلى ليلة القدر كأنى أبتغيها
تنطح القبلة شهرا جبهتى لا تأتليها
فاطلبى لى فرجا منها وأجرى لك فيها

فضحكت وقالت يصبر حتى تمضى ليلة القدر فقال إذا مضت ليلة القدر فى الشهر وكتب اليها :

خافى إلهك فى نفس قد احتضرت قامت قيامتها بين المصلينا
ما ليلة القدر من همى فاطلبها إنى أخاف المنايا قبل عشرينا
لا بارك الله فى خير أؤمله فى ليلة بعد ما قمنا ثلاثينا
ياليلة القدر كم قد كسرت أرجلنا يا ليلة القدر حقا ما تمنينا

فلما قرأتها ضحكت ودخلت إلى المهدى فشفعها فيه .. وأخباره كثيرة وعلى قوله « شهر الصوم » قال أبو القاسم الثعالبي أنشدنيه الفقيه أبو الحسين بن زرقون:

أشهر الصوم ما مثلك عند الله من شهر
على أنك حرمت علينا لذة السكر
وقروع الكأس بالكأس ورشف الثغر الثغر
وإنى والذى شرف أوقاتك بالذكر
وما أمسى يصلى فيك من شفع ومن وتر
لمسرور بان تفنى على أنك من عمرى

وقال ابن المعتز : تجلى عشاء هلال الصيام بنحس على الكأس والبربط
وكم من فتى راح بين القيان نشوان ذا فرح مفرط
وكان نشيطا فلما رآه هم بهم ولم ينشط
فأعرض عنه كما أعرضت فتاة عن الجانب الأشمط

وقال ابن رشيق : لاح لى حاجب الهلال عشاء فتمنيت أننى من سحاب
قلت أهلا وليس أهلا لما قاه ت ولكن أسمعتها أصحابى

وأفضَحُ من حَبْقة ، فى حَلْقَة ، وأخيَرُ من بَقَّة ، فى حُقَّة ، وهَبْكَ الحسَنَ فى وعظِهِ ولَفْظه ،

مظهرا حبه وعندى بغض   لعدو الكئوس والأكواب

(الحبقة) الضرطة (الحلقة) جماعة الناس وربما تؤدى فضيحتها أمام القوم أن يموت صاحبها غما وقد وجد ذلك وحبق أعرابى فى جماعة فاستحيا فأشار نحو استه وقال انها خلف نطقت خلفا .. وذكر الحريرى أن مطيع ابن إياس ويحيى بن زياد وحماد الراوية كانوا يشربون ذات يوم ومعهم نديم لهم فبرزت منه فلتة فخجل وغاب عنهم أياما فكتب اليه مطيع :

أمن قلوص غدت لم يودها أحد   إلا تذكرها بالرمل أوطانا
خان العقال لها فانبت إذ نفرت   وإنما الذنب فيه للذى خانا
أظهرت منك لناهجرا ومعتبة   وغبت عنا ثلاثا لست تغشانا
هون عليك فما فى الناس ذو إبل   إلا وأينقه يشردن أحيانا

دخل أبو الفضل بديع الزمان على الصاحب بن عباد ففرح به وأجلسه معه على سريره فحبق البديع حبقة منكرة ثم أراد أن ينفى عن نفسه التهمة فقال يامولانا هذا صرير التخت فقال له بل صفير التحت فخرج البديع خجلا وانقطع عن الوصول اليه فكتب اليه الصاحب :

قلت للصفير لاتذهب على خجل   من ضرطة أشبهت نايا على عود
فانها الريح لاتستطيع تدفعها   إذ لست أنت سليمان بن داود

تزوج أعرابى امرأة فلما دخل عليها عابثها فضرطت فخرجت غضبى إلى أهلها وقالت والله لا أرجع اليه أو يفعل ما فعلت فقال لها عودى لأفعل فعادت فعابثها فضرطت أخرى فقال :

طالبتنى دينا قديما فلم   أقضك حتى زدت فى قرضك
فلا تلومينى على مطله   إن كان ذا دأبك لم أقضك

قيل لاعرابى ماتقول فى الضرطة فقال لا بأس بها وربما سبسبت الضرطة وأنا راكع فى الصلاة قدم أبو علقمة الأزدى على الفضل بن عبد الرحمن الهاشمى بالبصرة فقال الفضل لجلسائه إذا جلسنا على المائدة وأبو علقمة معنا فليضرط أحدكم ثم الآخر ثم الآخر وليكن بين كل ضرطتين فرجة فلما وضعت المائدة فعلوا ذلك فأخذ أبو علقمة المائدة وقام بها فقيل له إلى أين يا أبا علقمة قال إلى الكنيف فمن أراد منكم أن يخرأ كان قريبا .. وجلس ثقيل إلى بشار فضرط بشار ضرطة منكرة فظن الرجل أنها فلتة فمشى فى حديثه فضرط بشار ثانية وثالثة فقال له ماهذا يا أبامعاذ قال رأيت أو سمعت قال بل سمعت قال كل ماسمعت ريح لاتصدق حتى ترى (حقة) أى وعاء الطيب ويقال له حق والجمع حقاق وتبدل عامتنا من قافه كافا والروائح العطرة مضرة بهذه الهوام المنتنة وهد قال المتنبى :

بذى الغباوة من إنشادها ضرر   كما تضر رياح الورد بالجعل

(هبك) أى احسبك (واما الحسن) فهو أبو سعيد بن الحسن البصرى وهو من التابعين ولد بالمدينة لسنتين

بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأمه اسمها خيرة وكانت مولاة لأم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فكانت تعطيه ثديها إذا اشتغلت أمه فدر ثديها له باللبن قد أظهر الله تعالى بركة ذلك اللبن عليه وأبوه مولى لامرأة من الأنصار وقيل إن أبويه كانا مملوكين لرجل من بن النجار فتزوج امرأة فى بنى سلمة من الأنصار فساقهما اليها من مهرها فأعتقتهما وكان أحسن الناس لفظا وأبلغهم وعظا وكان زاهدا عالما مقدما فى العلم والدين على نظرائه من التابعين وكان الحجاج له معظما ومتعجبا من فصاحته ولم ينفك من مجلس وعظ أو تدريس علم إلى أن مات رحمه الله تعالى . وقال أبو عمرو بن العلاء ما رأيت قط أوعظ ولا أفصح من الحسن البصرى وقال أبو أيوب السجستانى ما سمع أحد كلام الحسن البصرى الاثقل عليه كلام الرجال قال حميد قال لى الشعبى ونحن بمكة أحب أن أحتلى بالحسن فقلت ذلك للحسن فقال إذا شاء فجاء الشعبى فقلت له ادخل عليه فانه فى البيت وحده فقال أحب أن تدخل معى فدخلنا فاذا الحسن قبالة القبلة يقول يا ابن آدم لم تكن فكونت وسألت فأعطيت وسئلت فمنعت فبئس ما وضعت ثم يذهب فيرجع يعيد ذلك حتى أعادها مرارا فقال لى الشعبى ياهذا انصرف فان الشيخ فى غير ما نحن فيه ولما دخل على الحجاج فقال له ما تقول فى على وعثمان قال أقول فيهما كما قال هو خير منى بين يدى من هو شر منك قال ومن ذلك قال موسى وفرعون حيث قال له فرعون فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب .. الشعبى قال قدمنا على الحجاج فى البصرة فى جماعة من قراء الشام والعراق فى يوم صائف شديد الحر وهو فى آخر ثلاثة أبيات فدخلنا الأول فاذا فيه الثلج والماء قد أرسل فيه وفى الثانى أكثر وفى الثالث أكثر والحجاج قاعد على سريره وعنبسة بن سعيد إلى جانبه فجلسنا على الكراسى ودخل الحسن آخر من دخل فقال له الحجاج مرحبا بابى سعيد اخلع قميصك فجعل الحسن يعالج زر القميص فأبطأه فطأطأ له الحجاج رأسه تلطفا به حتى حله وجاءت جارية بدهن فوضعته على رأس الحسن وحد فقال له الحجاج يا أبا سعيد مالى اراك منهوك الجسم لعل ذلك من قلة نفقة وسوء ولاية ألا نأمر اك بنفقة توسع بها على نفسك وخادم لطيف فقال إنى من الله تعالى لنى سعة ونعمة منه لنى عافية ولكن الكبر والحر . فأقبل الحجاج على عنبسة وقال لا والله بل العلم بالله والزهد فيما نحن فيه فلم يسمعها الحسن وسمعتها أنا القربى من عنبسة وجعل الحجاج يسأله حتى ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه فنال منه ونلنا منه مرضاة له وفرقا من شره والحسن عاض على إبهامه فقال له مالى أراك ساكتا فقال وما عسى أن أقول فقال أخبرنا برأيك فى أبى تراب قال إنى سمعت الله عز وجل يقول وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم فعلى ممن هدى الله ومن أهل الايمان وابن عم نبى الله صلى الله عليه وسلم وختنه على بنته أحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله عز وجل لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها فتغير وجه الحجاج وقام مغضبا عن سريره ودخل بيتا خلفه وخرجنا وأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير واغرت صدره فقال اليك عنى ياعامر ألست شيطانا من الشياطين إذا توافقه فى رأيه لا أصدقت إذ سئلت او سكت فسلمت فقلت قلتها والله وأنا أعلم بما فيها قال الحسن فذلك أعظم فى الحجة عليك وأشد فى التبعة ثم خرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفانا فكان أهلا لما أتى اليه وكنا أهلا

والشَّعْبِيّ فى علمه وحِفْظه ،

لما أتى الينا فما رأيت مثل الحسن بين العلماء إلا مثل الفرس العربى فيما بين المقارف وماشهدنا بعدمشهدا الابرز علينا بفضله وقال لله وقلنا موافقة للولاة وكان يقول جددوا هذه الانفس فانها سريعة الدثور واقرعوها فانها طامحة وإنكم إن لم تقرعوها تنزع بكم إلى شرغاية وقال لمطرف بن عبد الله الشخير عظ اصحابك فقال له إنى اخاف ان اقول مالا افعل فقال له يرحمك الله وأينا يقول مايفعل يود الشيطان انه ظفر بهذه منكم فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر . ونظر إلى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيدفقال إن الله تعالى جعل الصوم مضمارا لعبيده ليستبقوا إلى طاعته ولعمرى لوكشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسىء باساءته عن تجديد ثوب اوترجيل شعر ومات فى سنة عشرة ومائة وله تسعون سنة وتقدم موت سيرين بمائة يوم ومات فى رجب ليلة الجمعة وقال عبد الواحد بن زيد رأيت ليلة مات الحسن فى النوم أبواب السماء كأنها مفتحة وكأن الملائكة صفوف فقلت إن هذا لأمر عظيم فقال لى قائل ألا أن الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض . وسمع بعض أصحابه فى منامه ليلة مات كأنه مناديا ينادى فى السماء إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه (الشعبى) إسمه عامر بن عبد الله بن شراحيل ابن عبيد بن ذى كبار الشعبى من شعب همدان وكنيته أبو عمرو ، وهومنسوب إلى شعبان بن عمرو وهو من حمير فمن كان منهم باليمن فهو حميرى ويقال له شعبانى ومن كان بالعراق فهو همدانى ويقال له شعبى ، وولد لست سنين من خلافة عمر رضى الله عنه سمع على بن أبى طالب رضى الله عنه والحسن والحسين وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهو كوفى وبه يضرب المثل فى الحفظ فيقال احفظ من الشعبى وقال الزهرى العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام وقال ابن شبرمه سمعت الشعبى يقول ماكتبت سوداء فى بيضاء إلى يومى هذا ولا حدثنى رجل قط بحديث إلا حفظته ولا أحببت أن يعيده على . وقال الشعبى لأصحابه ما أروى شيأ أقل من الشعر ولو شئت لأنشدتكم شهرا لا أعيد وكان الشعبى فقيها عالما حافظا أديبا . وقال لولا ما زوحمت فى الرحم ما قامت لأحد معى قائمة . وكتب عبد الملك إلى الحجاج أن أبعث إلى رجلا يصلح للدين والدنيا أتخذه سميرا وجليسا فبعث اليه بالشعبى فلما دخل عليه وجده مغتما فقال مابال أمير المؤمنين قال ذكرت قول زهير :

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة … خلعت بها عنى عذار لجامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى … فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أننى أرمى بنبل رميتها … ولكننى أرمى بغير سهام
على الراحتين تارة وعلى العصا … أنوء ثلاثا بعدهن قيامى

فقال له الشعبى ليس كذلك ولكن كما قال لبيد بن ربيعة

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة … خلعت بها عن منكبى ردائيا

فلما بلغ سبعا وسبعين قال :

باتت لتبكى إلى الموت مجهشة … وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فان تراخت ثلاثا تبلغى أهلا　　وفى الثلاث وفاء للثمانينا

فلما بلغ التسعين قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها　　وسؤال هذى الناس كيف لبيد
وعنيت ستا قبل مجرى داحس　　لو كان للنفس اللجوج جلود

فلما بلغ عشرين ومائة قال:

أليس ورائى إن تراخت منيتى　　لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التى مضت　　أنوء كأنى كلما قمت راكع

فلما بلغ ثلاثين ومائة حضرته الوفاة فقال :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما　　وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذى أنا أهله　　ولا تخمشا خدا ولا تحلقا اشعر
وقولا هو المرء الذى لاصديقه　　أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما　　ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال الشعبي فلقد رأيت السرور فى وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها ، وقال الحريرى فى الدرة : حدثنى أحد شيوخى أن ليلى الأخيلية كانت تتكلم بلغة بهراء فتكسر حرف المضارعة فتقول أنت تعلم فاستأذنت يوما على عبد الملك ابن مروان وبحضرته الشعبى فقال أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى الغض منها فقال افعل فلما استقر بها المجلس قال لها الشعبي يا ليلى ما بال قومك لا يكتنون فقالت ويحك أما نكتنى بكسر النون فقال لا والله لو فعلت لاغتسلت فخجلت عندذلك استغرق عبد الملك فى الضحك . الأصمعى وجه عبد الملك الشعبي إلى مالك الروم فى بعض الأمور فاستكبر الشعبي فقال له من أهل بيت الملك أنت قال لا فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حمله رقعة لطيفة وقال له إذا بلغت صاحبك جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا فادفع اليه هذه الرقعة فلما رجع إلى عبد الملك ذكر له ما احتاج الى ذكره ونهض فلما خرج ذكر الرقعة فرجع فقال يا أمير المؤمنين انه حملنى اليك رقعة أنسيتها فدفعها اليه ونهض فقرأها عبد الملك وامر برده فقال اعلمت مافى الرقعة قال لا قال فيها عجب من العرب كيف ملكت غير هذا افتدرى لم كتب الى بهذا قال لا قال حسدنى عليك فأراد أن يغرينى بقتلك فقال الشعبي لو رآك ياامير المؤمنين ما استكبرنى فبلغ ذلك ملك الروم فذكر عبد الله وقال لله ابوه والله ما أردت الا ذلك ، وكان الشعبي خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج فلما هزم عبد الرحمن اتى به موثقا مع الأسرى وكان حكم الحجاج فيهم من اقر انه كافر ابقاه ومن اقر انه مسلم قتله قال فلما جئت باب القصر لقينى يزيد بن مسلم كاتبه فقال انا لله يا شعبي لما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة فقلت له وما المخرج فقال بؤ للامير بالشرك والتفلق وبالحرى ان تنجو فلما دخلت على الحجاج قال لى وانت ياشعبي ممن خرج علينا قلت اصلح الله الأمير احزن بنا المنزل وأجدب بنا الجناب واستحلفنا الخوف وضاق المسلك وخطبتنا فتنة لم تكن فيها بررة أولياء ولا فجرة أقوياء قال لله أبوك لقد صدقت والله ما بررتم بخروجكم علينا ولا قويتم خلوا سبيله ، وكلم ابن هبيرة فى قوم حبسهم فقال إن كنت حبستهم بباطل فالحق يطلقهم وإن كنت حبستهم بحق لعفو يسعهم ، ودخل عليه رجل من النوكى

والخَلِيلَ فى عَرُوضِهِ ونحوه ؛

وهو جالس مع امرأة فقال أفكما الشعبي يقال له هذا فقال ماتقول أصلحك الله فى رجل شتمنى فى اول يوم من رمضان هل يؤجر فقال له الشعبي أما إن كان قال لك يا أحمق فارجوله الأجر وسأله آخر ما تقول فى رجل أدخل أصبعه فى أنفه فى الصلاة فخرج عليها دم أترى له ان يحتجم فقال الحمد لله الذى نقلنا من الفقه إلى الحجاجة وسأله آخر كيف كانت تسمى امرأة بليس قال ذلك نكاح لم نشهده ، ودخل الحمام فراى داود الأودى بلا مئزر فغمض عينيه فقال له داود متى عميت يا أبا عمرو فقال مذهتك الله سترك ومات فى سنة اربع ومائة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة (الخليل) رحمه الله هو ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصرى الفراهيدى ينسب إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبدالله بن عبدالملك بن نصر الأزدى ويقال اليحمدى واليحمد بطن من الأزد وكان الخليل من أزهد الناس واعلاهم نفسا واشدهم تعففا ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرفون اليه لينال منهم فلم يكن يفعل وكان يعيش من بستان له خلفه عليه والده وكان يغزو سنة ويحج أخرى حتى جاءه الموت محمد بن حميد قال تزوجت إلى جيران الخليل فنزلت عليهم فكنت اسمع قرآن الخليل طول الليل فقالوا لى ماعرفنا من هذا الرجل إلا ماترى وإنه ليغيب عنا فى غزو وحج فتوحش اليه ، وقالوا لايجوز الصراط بعد الأنبياء والصحابة ادق ذهنا من الخليل وكانت تلك الفضيلة فيه ببركة اسم أبيه لأنه أول من تسمى بأحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو عاصم : دخلت عليه قبل وفاته بأيام فقال والله ما فعلت قط فعلا أخاف على نفسى منه وكان لى فضل فكر صرفته إلى جهة رددت أنى كنت صرفته إلى غيرها وما علمت انى كذبت متعمدا قط وارجو ان يغفر الله لى التأول واجتمع ادباء كل افق فجعل اهل كل بلد يرفعون علماءهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق احد إلا قال الخليل اذكى العرب وهو مفتاح العلوم ومصرفها. النصر : مارأى الراءون مثل الخليل ولا راى الخليل مثل نفسه وكان شعث الرأس شاحب اللون قشف الهيئة متخرق الثياب متقلع القدمين مغمورا فى الناس لا يعرف. محمد بن الفضل : كان بالبصرة رجل يعطى دواء لظلمة البصر فينتفع به الناس فمات فاضر ذلك بمن كان يستعمله فذكر الخليل فقال أله نسخة فقالوا لم نجدها قال فهل كان له آنية يعمله فيها قالوا نعم إناء يجمع فيه اخلاطا قال فجيئونى به فجعل يتشممه ويخرج نوعاً نوعاً حتى اخرج خمسة عشر. نوعاً ثم سأل عن جمعها ومقاديرها فعرفه من كان يعالج مثله فعمله واعطاه الناس فانتفعوا به مثل تلك المنفعة ثم وجدت النسخة فى كتب الرجل فاذا فيها ستة عشر خلطا فلم يغفل إلا عن خلط واحد . وكتب اليه هلك اليونان كتابا باليونانية فخلا به شهرا حتى فهمه فقيل له فى ذلك قال قلت لابد أن يفتتح الكتاب باسم الله تعالى وما اشبهه فبنيت اول الحروف على ذلك حتى انقاست لى ، النضر بن شميل : جاء رجل من حلقة يونس فسأل الخليل عن شيء فاطرق يفكر فقالوا له ما هذا مما يحتاج إلى فكر يفكر فيه فقال لهم فما الجواب عندكم قالوا كذا قال فانه يزيدكم فى الجواب كذا قالوا نقول كذا قال يقول كذا فانقطعوا فقال مااجبت بجواب قط إلا وانا اعرف آخر ما على فيه ، كان يخرج من منزله فلم يشعر إلا وهو فى الصحراء ولم يردها لشغله بالفكر ، وقال النضر سمعت الخليل يقول الأيام ثلاثة فمعهود وهو امس ومشهود وهو اليوم وموعود وهو غد . وقال الخليل إذا نسخ الكتاب ثلاث نسخ ولم يعارض به تحول بالفارسية وراى مع رجل دفترا وفيه خط دقيق فقال لصاحبه أيست يا هذا من طول عمرك وقال إن

لم تعلم الناس ثوابا فعلمهم لتدرس بتعليمهم علمك ولا تجزع من تفرع السؤال فانه ينبهك على علم مالم تعلم وقال أكثر من العلم لتفهم واختر قليلا منه لتحفظ وكان يقول إذا خرجت من منزل لقيت أحد ثلاثة إما رجلا أعلم بشيء منى فذلك يوم فائده أو مثلى فذلك يوم مذاكرة أو دونى فذلك يوم ثواب وقال من الناس من يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ومنهم من لا يدرى ولا يدرى انه لا يدرى فذلك جاهل فاحذروه ومنهم من يدرى ولا يدرى انه يدرى فذلك ضال فأرشدوه وكان يقول إذا اردت أن تعلم خطأ معلمك من صوابه فجالس غيره وقال انا اول من سمى الأوعية ظروفا لأنه جعل ظرفا للادب والنظافة وقال ادركت بعض ما أنا فيه باطراح الحشمة بينى وبين المعلمين ومن رق وجهه فى طلب العلم رق علمه وقال إذا خطأ بحضرتك من تعلم انه يانف بارشادك فلا ترد عليه خطأه فانك إذا نبهته على خطئه أسرعت افادته واكتسبت عداوته وقال اجعل ماتكتب بيدك مال ومافى صدرك للنفقة وقال العلوم أقفال والسؤالات مفاتيحها وقال الناس فى سجن مالم يتمازحوا وقال الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال وقيل له أن استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو فقال نعم كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه وقيل له ما الجود فقال بذل المجهود قيل له فما الزهد قال أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود وقال الدنيا أمد والاخرة أبد وقال حسب امرىء من الشر أن يرى فى نفسه فسادا لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح التحول ان يتحول المرء من ذنب إلى غير نوبة ولا إقلاع عنه وقال الدنيا اضداد متجاورة واشباه متباينة واقارب متباعدة واباعد متقاربة وقال ثلاثة اشياء انا احبها لنفسى ولمن احب رشده : احب ان اكون بينى وبين ربى من افضل عباده واكون بينى وبين الخليقة من اوسطهم واكون بينى وبين نفسى من شرهم وقال عبد الله بن داود لوكتب شىء بالذهب لكتب هذا ، ونظر فى فقه لأبى حنيفة فقيل له كيف ترى فقال أرى جدا وطريق جد ونحن فى هزل وطريق هزل ، وقاله عبد الله بن داود لقد نال الناس بالخليل وعلمه الرغائب وانه لبين اخصاص البصرة يزهد فيما يرغب فيه وقال ثلاث ينسين المصائب مر الليالى والمرأة الحسناء ومحادثة الرجال ، النضر : سمعت الخليل يقول التوانى إضاعة والحزم بضاعة والانصاف راحة واللجاج وقاحه وكان له غلام كثير الخلاف عليــــه فقال له يوما قم فقال لا أقوم فقال أقعد فقال لا أقعد قال فأى شىء تصنع قال لا أصنع شيئا . ويشبه هذا قول الشاعر فى إمرأته :

سكت فقالت لم سكت عن الحق ... وقلت فقالت ما دعاك إلى النطق
فأومأت هل من خالة بين ذا وذا ... فقالت وذا الايماء أيضا من الحمق
فلم أرلى إذ حلت الغرب راحة ... من الشر فى الهروب إلى الشرق
فلما أتيت الشرق ألفيتها به ... وقد قعدت لى منه فى ضيق الطرق

وإنما أكثرنا من أخباره لأنها آداب وحكم من اقتدى بها اهتدى وماتركناه من أخباره أكثر . وذكر النحو والعروض مؤخر إلى الخمسين إن شاء الله تعالى ولتقدمه فى العلم ضربت الشعراء به المثل فمن ذلك قول ابى تمام يهجو عباش بن لهيعة :

ولو نشر الخليل له لعمت ... بلادته على فطن الخليل
فما أدرى عمائى عن رشادى ... دهانى أم عماك عن الجميل

وجَرِيرًا فى غَزَلِهِ وهَجْوِه ،

وقال آخر : يامن يزيد تمقتا وتبغضانى كل لحظه
والله لو كنت الخليـ ـل لماروينا عنك لفظه

وأنشد المبرد : لم تدرما علم الخليل فتقتدى ببيان ذاك ولا حدود المنطق

وقال المعرى إذا قيل نسك فالخليل بن آزر وإن قيل فهم فالخليل أخو الفهم

ابن مزاحم الشاعر : كان الخليل صديقا لى فدخلت عليه يوما فقال أجز :

رأيت غنى الإنسان نفسا زكية فقلت مطهرة من كل رجس و باطل

فقال : فنى عاجل الدنيا مديح ورفعة فقلت : وخير عظيم عاجل بعد آجل

فقال والله جئت بما فى نفسى ... ثم قال :

كأنك كنت قد خامرت قلبى فجئت بما شفيت به الغليلا
رأيت براعة الايجاز أشفى فصار كثير غيرك لى قليلا

وله : العلم يذكى عقولا حين يصحبها وقد يزيدهما طول التجاريب
وذو التأدب فى الجهال مغترب يرى ويسمع ألوان التعاجيب

وكان صديق سليمان بن حبيب وأنشد الشعراء فتشاغل عنهم سليمان فذكروا ذلك الخليل فكتب إليه :

لاتقبلن الشعر ثم تعقه وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بأنهم إذا لم ينصفوا حكموا لأنفسهم على الحكام
وجناية الجانى عليهم تنقضى وكلومهم تبقى على الأيام

(جرير) هو ابن عطية بن الخطفى شاعر من فحول العرب واتفقت العلماء على أن أشعر الاسلاسيين جرير والفرزدق والأخطل وأكثرهم على تفضيله عليهما وساذكر لك شيئاً من غزله وهجوه تستدل به على منزلة شرفه فى الشعر ورأت أمه وهى حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود فلما سقط جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة فانتبهت فازعة فأولت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاما شاعرا ذا أسر وشدة وشكيمة وبلاء على الناس فلما ولدته سمته جريرا باسم الحبل الذى رأته ، فهجاه ثمانون شاعرا فغلبهم وقال جرير ماعشقت ولو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكى على مافاتها من شبابها قالوا وأرق ماجاء فى النسيب قوله :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك له وهن أضعف خلق الله أركانا
اتبعتهم مقلة إنسانها غرق هل ما ترى تاركا للعين إنسانا

ومثل هذا أوجب على الحريرى ان يذكر حريرا بالغزل وإلا فقد أخذ عليه فى ذكر جرير بالغزل وإنما الذى اشتهر فى زمانه بالغزل مثل عمر بن ابى ربيعة وكثير عزة وجميل وقيس بن ذريح وامثال هؤلاء وإنما اشتهر جرير بالمدح والهجو ولانطباعه قد جاء فى شعره من الغزل الرقيق كثير وان كان تكلفا اذ لم يعشق قال الجاحظ كان الفرزدق مشتهرا بالنساء ومع ذلك فليس له بيت واحد فى النسيب وجرير عفيفا لم يعشق امرأة قط ومع ذلك فهو أغزل الناس شعرا وسئل الفرزدق عنه فتنفس حتى كادت حيازيمه تنشق ثم قال قاتله الله فما احسن

ناحيته وأشرد قافيته والله لو تركوه لأبكى الشابة على احبابها والعجوز على شبابها ولكنهم هزوه فوجدوه عند الهراش نابحا وعند الجراء قارحا ولقدقال بيتا لأن اكون قلته احب إلى مما طلعت عليه الشمس وهو :

إذا غضبت على بنو تميم   حسبت الناس كلهم غضابا

وقال مسعود بن بشر فقلت لابن مناذر من اشعر الناس قال من إذا شئت جد وإذا شئت لعب وإذ شئت اطمعك لعبه وإذا رمته بعد عليك وإذا جد فيما قصد له آيسك من نفسه قلت مثل من قال مثل جرير إذ يقول حين لعب :

إن الذين غدو وبلبك غادروا	وشلا بعينك لايزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى	ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ثم قال حين جد :

إن الذى حرم المكارم تغلبا	جعل الخلافة والنبوة فينا
مضرابى وابو الملوك فهل لكم	ياخزر تغلب من اب كأبينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة	لو شئت قادكم إلى قطينا

فلما بلغ عبد الملك هذا قال ما زاد ابن المراغة ان جعلنى شرطيا له اما إنه لو قال لو شاء ساقكم لسقتهم إليه كما قال ونزل الفرزدق حين قدم على الأحوص فقال ماتشتهى قال شواء وظلا وغناء قال ذلك لك ومضى به إلى قينه فغنته :

الا حى الديار بسعد إنى	احب لحب فاطمة الديارا
إذا ماحل اهلك ياسليمى	بدارة صلصل شحطوا مزارا
أراد الظاعنون ليحرمونى	فهاجوا صدع قلبى فاستطارا

فقال لا أرق أشعاركم ياأهل الحجاز قال أوتدى لمن هذا قال لا والله فالهو لجرير يهجوك قال ويل ابن المراغة المراغة ماكان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعرى واحوجنى مع فسوقى إلى رقة شعره وفى الفردق منها :

وكنت اذا نزلت بدار قوم	رحلت بخزية وتركت عارا

وقال جرير :

لقد طال كتمانى امامة حبها	فهذا أوان الحب تبدوا شواكله
وانى وإن لام العواذل مولع	بحب الغضى من حب من لايزايله
ولما استقر الحب القت بى العصا	ومات الهوى لما اصيبت مقاتله
وقلن تروج لايكن لك حاجة	وقلبك لاتشغل وهن شواغله

وقال ايضا :

يا اخت ناجية السلام عليكم	قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لو كنت اعلم ان آخر عهدكم	يوم الفراق فعلت مالم يفعل

وقال ايضا :

بنفسى من تجنبه عزيز	على ومن زيارته لمام
ومن امسى واصبح لا اراه	ويطرقنى اذا هجع النيام
أتذكر اذا تودعنا سليمى	بفرع بشامه سقى البشام

وقال أيضا :

لا تكثرن اذا جعلت تلومنى	لايذهبن بفعلك الاكثار

وقسًّا فى فَصَاحَتِه وخطابَتِهِ

كانوا الخليط هم الخليط فزايلوا ولقد تبدل بالديار ديار
لايلبث القرناء أن يتفرقوا ليلى يكر عليهم ونهار

ومن هجوه فى الراعى :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعند ماقال هذا البيت وثب قائما حتى أصاب السقف رأسه وقال أخزيته والله وغصصته وقدمت اخويه عليه والله لايفلح بعدها وكان كما قال وما أفلح بعدها هو ولا نمير وقال جندل ابن الراعى :

اجندل ماتقول بنو نمير إذا ما الاير فى است أبيك غابا

وأنشد القصيدة والفرزدق واقف فلما بلغ إلى قوله : ترى برصا بأجمع اسكتيه وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته فقال : كعنفقة الفرزدق حين شابا فانصرف الفرزدق وهو يقول اللهم اخزه ولقد علمت حين بدأ البيت أن لا يقول غيرها ولكن طمعت أن لا تأتيه وقال فى ابن لجأ :

تعرضت تيم لى عمدا لاشتمها كما تعرض لاست الخارىء الحجر
ياتيم تيم عدى لا أبالكم لا يلقينكم فى سوءة عمر

وقال يذكره :

تقول والعبد مسكين يدحرها رفقا فدالك أنت الناكح الذكر

وبينا جرير ينشد فى زوجته :

لولا الحياء لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
كانت إذا هجر الضجيع فراشها كتم الحديث وعفت الأسرار
لايلبث القرناء أن يتصدعوا ليل يكر عليهم ونهار

إذ طلع الأحوص فقطع إنشاده ورفع صوته يقول :

عوى الشعراء بعضهم لبعض على فقد أصابهم انتقام
إذا أرسلت صاعقة عليهم رأوا أخرى تحرق فاستداموا
فمصطلم المسامع أو خصى وآخر عظم هامته حطام

ثم عاذ فقيل لم فعلت هذا قال إنى نهيت الاحوص أن يعين الفرزدق وإنى والله يابنى عمرو بن عوف ماتعوذت من شاعر قط ولولا حقكم ماتعوذت منه ...: الأصمعى : حدثنى أبى قال رجل جريرا فى المنام فقال مافعل الله بك قال غفر لى قال بماذا قال بتكبيرة كبرت الله فى الخر وهو ماء بالبادية قال فما فعل أخوك الفرزدق قال هيهات أهلكه قذف المحصنات قال الأصمعى لم يدعه فى الحياة ولا فى الممات وتوفى سنة أربع عشرة ومائة (قس بن ساعدة الأيادى) يضرب به المثل فى الفصاحة والخطابة فيقال أبلغ من قس وهو أسقف نجران وهو من حكماء العرب وكان مؤمنا بالله ومبشرا برسوله وهو أول من خطب متوكئا على عصا وأول من كتب من فلان إلى فلان وفيه يقول الأعشى :

وأفصح من قس وأجرى من الذى ـــ بذى العين من خفان أصبح خادرا

ولما قدم وفد أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم عن رجل كان فيهم نازلا يقال له قس بن ساعدة الأيادى قالوا هلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيته بعكاظ يخطب على جمل له أورق وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت ليل موضوع وسقف مرفوع ونجم تغور وبحر يمور أما بعد فان فى السماء لخبرا وإن فى الأرض لعبرا مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا بالإقامة فأقاموا أم تركوا كاهم فناموا أقسم بالله قس قسما حقا فما حنث ولا أثم إن لله دينا هو أرضى من ديننا هذا الذى نحن عليه ، ثم قال أبياتا ماأحفظها فقال رجل من الأنصار أنا شاهد يارسول الله بأبى أنت وأمى ، قال فأنشدنا قال سمعته يقول :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر ـــ لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومى نحوها تمضى الأصاغر والأكابر ـــ لايرجع الماضى ولا يبقى من الباقين غابر

أيقنت إنى لامحا لة حيث صار القوم صائر

وقال صاحب الأغانى فيه : هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك بن ارعان بن النمر بن وائلة بن الطمثان بن عبد مناة بن يقدم بن افصى بن دعمى بن إياد وكان يفد على قيصر زائرا فيكرمه ويعظمه فقال له قيصر ما أفضل العلم قال معرفة الرجل بنفسه قال فما أفضل العقل قال وقوف المرء عند علمه قال فما أفضل الأدب قال استبقاء الرجل ماء وجهه قال فما أفضل المروءة قال قلة رغبة المرء فى إخلاف وعده قال فما أفضل المال قال ماقضى به الحق .. ابن عباس رضى الله عنهما : وفد الجارود بن عبد الله فى وفد عبد القيس وكان سيدا فى قومه معظما فى عشيرته فآمن وآمن قومه فسر النبى صلى الله عليه وسلم بهم ثم قال ياجارود هل فى جماعة عبدالقيس من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يارسول الله وأنا كنت من بينهم أقفو أثره وأطلع خبره كان قس سبطا من أسباط العرب صحيح النسب فصيحا ذا شيبة حسنة عمره سبعمائة سنة يتقفر القفار ولا تكنه دار ولا يقره قرار يتحسى فى تقفره بعض الطعام ويأنس بالوحوش والهوام يلبس المسوح ويتبع السياح على منهاج المسيح لايعير الرهبانية مقر بالوحدانية تضرب بحكمته الأمثال وتكشف به الأهوال وتتبعه الأبدال ادرك راس الحواريين سمعان فهو اول من تأله من العرب واعبد من تعبد فى الحقب واين بالبعث والحساب وحذر سوء المنقلب والمآب ووعظ بذكر الموت وامر بالعمل قبل الفوت ، الحسن الألفاظ الخاطب بسوق عكاظ العارف بشرق وغرب ويابس ورطب واجاج وعذب كأنى انظر اليه والعرب بين يديه يقسم بالرب الذى هو له ليبلغن الكتاب اجله وليوفين كل عامل عمله ثم انشأ يقول :

هاج للقلب من هواه ادكار ـــ وليال خلالهن نهار

ونجوم يحثها قمر اللي ـــ ـل وشمس فى كل يوم تدار

ضوؤها يطمس العيون وإرعا ـــ د شديد فى الخافقين مثار

وغلام واشمط ورضيع ـــ كلهم فى التراب يوما يزار

وقصور مشيدة حوت الخ ـــ ير واخرى خوت فهن قفار

وكثير مما تقسر عنه حدسة الناظر الذى لايحار
والذى قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلك ياجارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام مونق ما أظن أحفظه فهل فيكم يامعشر المهاجرين والأنصار من يحفظ لنا منه شيأ فوثب أبو بكر قائما وقال يارسول الله أنا أحفظه وكنت حاضرا بعكاظ حين خطب فأطنب ورهب ورغب وحذر وأنذر وقال فى خطبته أيها الناس اسمعوا وعوا وإذا وعيتم فانتفعوا إنه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات وجمع وشتات وآيات بعد آيات إن فى السماء لخبرا وإن فى الأرض لعبرا ليل داج وسماء ذات أبراج وأرض ذات رتاج وبحار ذات أمواج مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا أقسم قس بالله قسما حقا لا آثما فيه ولا حانثا إن لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم أوانه وأدرككم إبانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال تبا لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية يامعشر إياد أين الآباء والأجداد وأين المريض والعواد وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد اين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأطول منكم آجالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول

فى الذاهبين الأولين — الأبيات المتقدمة ، قال جلس ابو بكر رضى الله عنه وقام رجل ذو هامة عظيمة وقامة جسيمة فقال : ياسيد المرسلين وصفوة رب العالمين فقد رأيت من قس عجبا أشرف بى جملى على وادو شجر من شجر عاد مورقة مونقة وقد تهدل أغصانها قال فدنوت منه فاذا بقس فى ظل شجرة بيده قضيب من أراك ينكت به الأرض وهو يترنم ويقول

ياناعى الموت والملحود فى جدث عليهم من بقايا خزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم فهم إذا انتبهوا من نومهم فرق
حتى يعودوا بحال غير حالهم خلقا جديدا كما من قبلها خلقوا
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وإذا بعين خرارة فى أرض خوارة ومسجد بين قبرين وأسدين عظيمتين يلوذان به ويتمسحان بأثوابه فأراد أحدهما يسبق إلى الماء وتبعه الآخر يطلب الماء فضربه قس بالقضيب وقال ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذى ورد قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت له ما هذان القبران قال هذان قبر أخوين لى كانا يعبدان الله معى فى هذا المكان لا يشركان بالله شيئا فادركهما الموت فقبرتها وها انا بين قبريهما حتى الحق بهما ثم نظر إلى السماء فتغرغرت عيناه بالدموع وانكب عليهما وجعل يقول :

خليلى هبا طالما قد رقدتما أجدكما لا تقضيان كراكما
الم تعلما انى بسمعان مفرد ومالى فيها من خليلى سواكما

وعبدَ الحميد فى بلاغَتِه وكِتَابَتِه ، وَأَبَا عَمْرٍ فى قِرَاءَتِه وإعْرَابه

مقيم على قبريكما لست بارحا طوال الليالى أويجيب صداكما
أبكيكما طول الحياة وماالذى يرد على ذى عوله إن بكاكما
كأنكما والموت أقرب غاية بروحى فى قبريكما قد أتاكما
أمن طول نوم لاتجيبان داعيا كأن الذى يسقى العقار سقاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية لجدت بنفسى أن تكون فداكما

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا إنى لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده (عبد الحميد) هو ابن يحى بن سعيد كاتب مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية وكتب أيضاً للمنصور وقيل إنه قتل مع مروان وكان رأسا فى الكتاب ومقدما فى الفصاحة والخطابة بليغا مرسلا وقال فيه ابن عبد ربه ، كتب عبد الحميد بن يحي لعبد الملك بن مروان وكتب لسليمان بن عبد الملك وليزيد بن عبد الملك ثم لم يزل كاتبا الخلفاء بنى أمية حتى انقضت دولتهم وعبدالحميد أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر وقال له مروان حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بى فان إعجابهم بآدابك يدعوهم إلى حسن الظن بك فان استطعت ان تنفعنى فى حياتى وإلا لم تعجز عن حفظ حرمتى بعد وفاتى فقال له عبد الحميد ان الذى اشرت به على انفع الأمرين لك واقبحهما لى وما عندى إلا الصبر حتى يفتح الله لى ولك او اقتل معك ثم قال :

أسر وفاء ثم أظهر غدر فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

وعبد الحميد هو صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب واستعملت بعده وهو القائل : البلاغة تقرير المعنى فى الافهام من أقرب وجوه الكلام ، ولم يزل الشعراء ومهرة الكتبة يضربون ببلاغته وكتابته الأمثال فى كتبهم واشعارهم فى القديم والحديث كفضل الصاحب وقرنائه مع طبع سمع ولفظ عذب وصلة نثر بنظم فان شاء قال أنا الوليد وإن شاء قال أنا عبيد وإن شاء قال أنا عبد الحميد وان شاء قال أنا أبا سعيد وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد (أبو عمرو) هو ابن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحرث بن جلهم بن خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم واسمه وكنيته واحد فى الأشهر . القنجديهى : اختلف فى اسمه على تسعة عشر قولا فقيل اسمه محمد أو حميد أو حماد او عثمان او سفيان او غير ذلك واصحها زبان واختلف فى مولده فقيل ولد سنة خمس وستين بمكة فى ايام عبد الملك بن مروان وقيل ولد سنة سبعين . ابو عبيدة كان ابو عمرو أسمر طويلا ضرب اليدين جاد النظر ما رأيت مثله قبله ولا بعده فى فهمه ولا علمه وكان صاحب غريب ونحو وعلم وهو أحد الأئمة فى القراءة وعنه اخذ الأصمعى وابو عبيدة وفيه يقول الفرزدق :

ما زلت اغلق ابوابا وأفتحها حتى أتيت ابا عمرو بن عمار

وقال ابن مجاهد: وكان ابو عمرو مقدماً فى عصره عالما بالقراءة ووجوهها قدوة فى العلم باللغة امام الناس فى العربية وكان مع ذلك متمسكا بالآثار ولايكاد يخالف فى اختياره ماجاء عن الأئمة قبله متواضعا فى علمه ، وقال ابو عبيدة

كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام العرب وأنسابها وشعرها وكانت دفاتره ملء بيت فلما نسك أحرقها وجعل على نفسه أن يختم القرآن فى كل ثلاث ليال فلما أسن اختلط بالناس واحتاجوا اليه فعول على حفظه فأملى من حفظه كتب الناس ووقع عليه الإجماع روى الأصمعى عن أبى عمرو قال كنت أسمر مع مسلم بن قتيبة الباهلى وكان يعجبه الروى على السين فأنشدته ليلة ستين قصيدة على السين لستين شاعراً أسمهم عمرو . الأصمعى : كان لأبى عمرو كل يوم من غلة داره فلسان فلس يشترى به كوزا وفلس يشترى به ريحانا يشرب فى الكوز يومه ويشم الريحان يومه فاذا أمسى تصدق بالكوز وأمر الجارية أن تجفف الريحان وتدقه فى الأشنان . الأصمعى : قال أبو عمرو كنت فى ضيعتى فاشتد على الحر فكنت أدور فى سدر بهافى نصف النهار فسمعت قائلا يقول : وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

فقلت : إنسى أم جنى فما أجابنى فنقشته فى خاتمى فكان نقش خاتمه . الأصمعى : واقفا بالمربد وإذا أنا بأبى عمرو فلما بصرنى مال إلىفقال ما وقوفك هنايا أصمعى قلت إنى احب المربد وأكثر الجلوس فيه فقال الزمه فانه يشد النظر ويجلو البصر ويجمع بين ربيعة ومضر ثم أردت الانصراف فقال إلى أين يا أصمعى فقلت إلى صديق لى فقال إما لفائدة أو لعائدة وإلا فلا ثم قال لى مالى أراك بلا عمامة قلت لا عمامة لى فنزع عمامته عن رأسه فدفعها إلى فكبر ذلك على فقال لى إن لى بدلها إحدى عشرة عمامة ثم قال لى الزم العمامة فإنها تشد اللامة وتحفظ الهامة وتزيد فى القامة ثم استخرج من كمه كيساً فدفعه إلى ثم قال ياأصمعى لا زلتم بخير مادمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فاذا تركتم ذلك سلط الله عليكم أقواما غلاظا فظاظا خبرتكم على قدر معرفتكم ... وأما قراءته وإعرابه المذكوران فى المقامة فان شجاع بن نصر قال قلت لأبى عمرو كيف طلبت قراءة القرآن قال لم أنزل أطلب أن اقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقلت له وكيف ذلك قال هرب ابى من الحجاج وأناشاب فقدمنا مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وغيرهم فقرأت عليهم القرآن وأخذت العربية عن العرب الذين سبقونا باللحن فهذه التى أخذت بها قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فاشدد يدك بها ، وقال خرج ابى هاربا من الحجاج إلى اليمن فانا لنسير فى الصحراء بايمن إذ لحقنا لاحق ينشد :

ربما تجزع للنفوس من الأمـ ـر له فرجة كحل العقال

فقال له ابى ما الخبر فقال مات الحجاج فانا بقوله فرجة بفتح الفاء اشد سرورا منى بموت الحجاج فقال ابى اصرف ركابنا إلى البصرة . الفنجديهى : رأيت فى بعض الفوائد أن الحجاج قال لأبى عمرو ما وجه قراءتك إلا من اغترف غرفة بفتح العين فقال أبلعنى ريقى فقال قد ابلعتك الفرات وقال قاتل الله بن أم الحجاج لئن لم تأتى بالجواب إلى خمسة عشرة يوما لأقتلك شر قتلة ووكل به موكلين فخرج أبو عمرو يطوف فى احياء العرب فلم يجد له حجة إلى يوم وعده فجره الموكلون به ليرجعوه إلى الحجاج فسمع راعيا ينشد « ربما تجزع النفوس » البيت فقال له ابو عمرو وكيف تنشد هذا البيت « له فرجة او فرجة » فقال فرجة وكذلك كل ماجاء على فعلة قلنا فيه ثلاث لغات فقال له ابو عمرو فما سبب انشادك هذا البيت فى هذا الوقت فقال أنا كنا خائفين من الحجاج وقد بلغنا نعيه قال والله لأدرى بأيهما كنت اشد فرحا بوجدانى الجواب والحجة لقولى واختيارى أم بموت الحجاج . سفيان

وابنَ قُرَيْبٍ في روايتِهِ عن أعرابه ،

ابن عيينة : رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له يارسول الله قد اختلفت على القراءات فبقراءة من تأمرني ان أقرأ فقال بقراءة ابى عمرو بن العلاء ؛ وقال ابو العباس بن سريج من اراد أن يتظرف فعليه بمذهب الشافعي وقراءة ابى عمرو بن العلاء وشعر ابن المعتز فقيل له قد عرفنا مذهب الشافعي وقراءة أبى عمرو بن العلاء فانشدناه من شعر ابن المعتز ما يوجب الظرف فانشد :

كنت صباحي قرير عين فصرت امسى صريع بين
بين نفسى اصبت نفسى فالله بينى وبين عينى

وكان يقول انما نحن فيمن مضى كبقل فى اصول نخل طوال وقال ابو عمرو ناظرت عمرو بن عبيد فى الوعيد قال إن الله تعالى لا يوعدنا بشيء فيخالفه فقلت يا اباعثمان ليس لك علم باللغة ان خلف الوعيد عند العرب ليس بخلف وانشد : وانى وان اوعدته او وعدته ليكذب إيعادى ويصدق موعدى

وقال أبو عمر وكنت رأسا والحسن حي ، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ست وثمانين وعلى قبره مكتوب هذا أبو عمرو بن العلاء مولى بنى حنيفة وإنما قيل هذا لأن أمه كانت من بنى حنيفة .. أبو عبيدة: دخل أبو عمرو على سليمان بن عبد الملك فسأله عن شيء فصدقه فيه فلم يعجبه ما قال فخرج أبو عمرو وهو يقول:

أنفت من الذل عند الملوك وإن أكرمونى وإن قربوا
إذا ما صدقت لهم خفتهم ويرضون منى بأن يكذبوا

وقال أبو بكر بن مجاهد رأيت أبا عمرو فى المنام فقلت ما فعل الله بك فقال دعنى مما فعل الله بى من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة إلى جنة (ابن قريب) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن على بن اصمع وإلى أصمع هذا ينسب وأصمع فخذ من بنى قتيبة بن معد بن أعصر بن سعيد بن قيس بن عيلان وبنو معن هم بنو باهلة وباهلة امرأة من همدان تزوجت معنا فنسب ولده اليها ، والاصمع فى اللغة الضامر الذى ليس بمنتفخ ومنه الصومعة لضمرها وتدقيق رأسها ومثله قولهم جاء بثريدة مصمعة إذا رققها وأخذ رأسها وسهم متصمع متلطخ بالدم فضمرت قذذه ، وكان الأصمعى حافظا عالما فطنا عارفا باشعار العرب وأخبارها كثير التطوف بالبوادى لاقتباس علومها وتلقى أخبارها فهو صاحب غرائب الاشعار وعجائب الأخبار وقدوة الفضلاء وقبلة الأدباء قد استولى على الغايات فى حفظ اللغات وضبط العلوم الأدبيات صاحب دين متين وعقل رصين وكان خاصا بالرشيد آخذا لصلاته كثيرا ، وقد تقدم فى هذا الكتاب من الحكايات المسندة إلى الأصمعى ما يدل على تبحره وحفظه ،ومن حكاياته عن اعرابه على ما أشار له الحريرى هنا: حدث الاصمعى رحمه الله قال أعرابى: حسن التدبير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الاسراف ، الاصمعى : سمعت أعرابيا يقول من كساه الحياء ثوبه أخفى على الناس عيبه ، الاصمعى : قال أعرابى :من اقتصد فى الغنى والفقر فقد استعد لنائبات الدهر قال وقال اعرابى : عداوة الحكيم أقل عليك ضررا من مودة الجاهل منهم قال وقال اعرابى : أعجز الناس من قصر فى طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم ،وقال: تزوج أعرابى الى بعض الحاضرة فلما كان ليلة دخوله بها إذا هى

أدماء بجدورة فخرج من البيت وهو ينشدويقول :

زوجتى أدماء مجدورة كأنها من خشب البيت
قبيحة الوجه لها منظر يفر منه ملك الموت

قال : وجرى بين اعرابى وبين امرأة كلام بالمربد فشتمته فقال لها اسكتى فوالله ما شعرك بوارد وما فوك ببارد ولا ثديك بناهد ولا بطنك بوالد ولا الخير فيك بزائد ولا الشر فيك بواحد وأنا لك بحامد ولا بعد موتك بواجد . . ونذكر بعد ذلك حكايته المشهورة مع الرشيد ووزرائه ونحتمل طولها لما احتوت عليه من غرائب الآداب وكان مجلس مذاكرة بين أفراد فاظهر كل رجل منهم أفضل ما يذكر ... حدث الاصمعى قال: استدعانى الرشيد فى بعض الليالى وقد تصرمت قطعة من الليل فراعتنى رسله ولم أفتأ أن مثلت بين يديه وإذا فى المجلس يحيى بن خالد وجعفر والفضل فلما لحظنى الرشيد استدنانى فدنوت منه فتبين ما لبسنى من الوجل فقال لى ليفرخ روعك فما أردناك إلا لما يراد له مثلك فمكثت هنية إلى أن ثابت إلى نفسى بعد أن كادت تطير شعاعا فقال إنى نازعت هؤلاء القوم فى أشعر بيت قالته العرب فى التشبيه ولم يقع اجماعنا على بيت فأردناك لفصل هذه القضية واجتناء ثمرة الخطار فيها فقلت يا أمير المؤمنين إن التعيين على بيت واحد فى نوع واحد ـ قد وسعت العرب فيه وجعلته معلما لأفكارها ومستراحا لخواطرها ـ لبعيد أن يقع النص عليه ولكن أحسن الناس تشبيها امرؤ القيس فى قوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

وفى قوله : كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

وفى قوله : ولو عن نثا غيره جاءنى وجرح اللسان كجرح اليد

وفى قوله : سموت اليها بعد ما نام اهلها سمو حباب الماء حالا على حال

فالتفت إلى يحيى وقال هذه واحدة قد نص على امرىء القيس إنه ابدعهم تشبيها قال يحيى هى لك يا أمير المؤمنين، ثم قال لى الرشيد فما أبدع تشبيهاته عندك قلت قوله يصف فرسا :

كأن تشوفه بالضحى تشوف ازرق ذى مخلب
إذا قرعته حلال له تقول سلبت ولم تسلب

فقال هذا حسن وأحسن منه قوله .

فرحنا بكاس الماء يجنب وسطنا تصوب فيه العين طورا وترتقى

فقال جعفر . ياأمير المؤمنين ما هذا التحكم قال الرشيد وكيف ؟ قال يذكر أمير المؤمنين ماوقع اختياره عليه ونذكر ما اخترناه ويكون الحكم واتعا بعد ، فقال الرشيد أمرضت فاستحسنها ـ يقال امرض الرجل إذا قارب الصواب ـ ثم قال الرشيد بل تبدأ يا يحيى فقال يحيى . أحسن الناس تشبيها النابغة فى قوله .

نظرت اليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود

وفى قوله : فانك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى منك أوسع

وفى قوله : من وحش وجرة موشي أكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

فقال تشبيه الأصمعى : أما تشبيه مرض الطرف فحسن إلا أنه هجنه بذكره العلة وتشبيهه المرأة بالعليل وأحسن منه قول عدى بن الرقاع العاملى :

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم

وأتشبيه الإدراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه وإنما كان سبيله أن يأتى بما ليس له قسيم حتى يأتى بمعنى ينفرد به ولو قال قائل إن قول النمرى فى هذا أحسن لوجد مساغا إلى ذلك حيث يقول :

فلو كنت بالعنقاء أو بسنامها لخلتك إلا أن تصد ترانى

وأما قوله : « طاوى المصير كسيف الصقيل الفرد » فالطرماح أحق بهذا المعنى لأنه أخذه فجوده وزاد عليه وإن كان النابغة أخترعه وقول الطرماح :

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرف يسل ويغمد

فقد جمع فى هذا البيت استعارة لطيفة بقوله «تضمره البلاد» وتشبيه اثنين بقوله « يبدو وتضمر ويسل ويغمد » وجمع حسن التقسيم وصحة المقابلة ، قال الأصمعى فاستبشر الرشيد وبرقت أسارير وجهه حتى خلت برقا يومض منها ، وقال ليحيى فضلتك ورب الكعبة فانتقع يحيى فكان الرماد ذر على وجهه . قال الفضل لا تعجل يا امير المؤمنين حتى أمر ماقلته بسمعه فقال قل ، قال أحسن الناس تشبيها طرفة فى قوله :

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها عليه نقى اللون لم يتخدد

وفى قوله : يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد

قال فقلت هذا حسن وغيره أحسن منه قد شركه فى هذا المعنى جماعة من الشعراء ، وبعد فطرفة صاحب واحدة لا يقطع بقوله مع التجوز وإنما يعد من أصحاب الواحدة . قال ومن أصحاب الواحدة ؟ قلت الحرث ابن حلزة فى قوله: آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

الاسعر الجعفى فى قوله :

هل دان قلبك من سليمى فاشتفى ولقد عنيت بحبها فيما مضى

والافوه الأودى فى قوله :

إن ترى رأسى فيه نزع وشواتى خلة فيها دوار

وعلقمة فى قوله : طحا بك قلبك فى الحسان طروب

وسويد بن أبى كاهل فى قوله :

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها فاتسع

وعمر بن كلثوم فى قوله :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الاندرينا

وعمرو بن معد يكرب فى قوله :

أمن ريحانة الداعى السميع يؤرقنى وأصحابى هجوع

فاستخف الرشيد الاريحية وقال ادنه فانك جحيش وحدك وزد فى عينى نبلا ، فقال جعفر : لبثا قليلا يدرك الهيجاء جمل يعرض بأنه قد يجوز أن يدرك مايحاوله ، فقال له الرشيد والله فاتتك السوابق وجئت سكيتا ذا زوائد أربع ، قال : ورأيت الحية فى وجهه فقال جعفر على شريطة جلك قال أتراه يسع غيرك ويضيق عنك فقال جعفر لست أنص على شاعر واحد أنه أحسن الناس فى بيت تشبيها ولكن قول امرىء القيس :

كأن غلامى إذ علا حال متنه على ظهر باز فى السماء محلق

وقول عدى بن الرقاع : يتعاوران من الغبار ملاءة غير محكمة هما نسجاها

تطوى إذا وردا مكانا خاشنا وإذا السنابك أسهلت نشراها

وقول النابغة: بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدو منهن كوكب

قال الأصمعى : قلت هذا حسن كله بارع وغيره أحسن منه وإنما يجب أن يقع التعيين على مااخترعه قائله فلم يتعرض له أو تعرض له شاعر فوقع دونه، فاما قول امرىء القيس : « على ظهر باز فى السماء محلق » فمن قول أبي دؤاد : إذا شاء راكبه ضمه كما ضم باز السماء الجناحا

وأما قول عدى : « يتعاوران من الغبار ملاءة » فمن قول الخنساء :

جارى أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحضر

وأول من نطق به جاهلى ومن بنى عقيل قال :

ألا يا ديار الحى بالبردان عفت حجج بعدى لهن ثمانى

فلم يبق منها غير نؤى مهدم وغير أثاف كالركى دفان

وآثار هاب أوراق اللون سافرت به الريح والأمطار كل مكان

قفار مريرات يحارىها القطا ويضحى بها الجنان يعتركان

يثيران من نسج الغبار عليهما قميصين أسمالا ويرتديان

وشارك عديا أبو النجم وأورده فى أحسن لفظ قال يصف عيرا واتانا وما أثاره من الغبار بعدوهما :

ألقى بجنب القاع من حيالها سرباله وانشام فى سربالها

وأما قول النابغة : « بأنك شمس والملوك كواكب : » فقد تقدمه فيه شاعر قديم من شعراء كندة يمدح عمرو بن هند وهو أحق به من النابغة إذا كان أبا عذرته فقال :

كادت تميد الأرض بالناس إذا رأوا لعمرو بن هند غضبة وهو عاتب

هو الشمس وافت يوم سعد فافضلت على كل ضوء والملوك كواكب

قال : فكأنى والله ألقمت جعفرا حجرا فاهتز الرشيد فوق سريره وكاد يطير عجبا وطربا وقال : والله لله درك يا أصمعى الآن ما كان وقع عليه اختيارى فقال ليقل أمير المؤمنين أحسن الله توفيقه فقال عينت على ثلاثة أشعار أقسم بالله إنى أملك السبق بأحدها فقال يحيى خفض على هينتك فابى الله ألا أن يكون لك الفضل ثم قال الرشيد أتعرف يا أصمعى تشبيها أخر وأعظم فى أحقر مشبه وأصغره فى أحسن معرض من قول عنترة الذى لم يسبقه اليه سابق ولا نازعة منازع ولا طمع فى مجاراته طامع حين شبه ذباب الروض العازب فى قوله

وخلا الذباب بها فليس بنازح غردا كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الأجذم

ثم قال يا أصمعى هذا من التشبيهات العقم التى لا تنتج ؛ شبهت بالريح العقيم التى لا تنتج ثمرة ولا تلقح شجرة فقلت كذلك هو يا أمير المؤمنين وبمجدك آليت ما سمعت قط أحداً يصف شعراً بأحسن من هذه الصفة ولا استطاع بلوغ هذه الغاية فقال مهلا لا تعجل أتعرف أحسن من قول الحطيئه يصف لغام ناقته أو تعلم أحداً قبله أو بعده شبه تشبيهه حيث يقول :

ترى بين لحييها إذا ما ترغمت لغاما كنسج العنكبوت الممدد

فقلت والله ما علمت أحداً تقدمه إلى هذا التشبيه وأشار اليه بعده ولا قبله قال أتعرف بيتاً أبدع وأوقع من تشبيه الشماخ لنعامة سقط ريشها وبقى أثره فى قوله :

كأنما منثنى أقماع ما مرطت من العفاء بليتيها الثآليل

فقلت لا والله يا أمير المؤمنين فالتفت إلى يحى فقال أوجب فقال وجب فقال أزيدك فقال وأى خير لم يزدنى منه أمير المؤمنين ، قال وقول النابغة الجعدى :

رمى ضرع ناب فاستهل بطعنة كحاشية البرد اليمانى المسهم

ثم التفت إلى الفضل فقال : أوجب قال وجب قال أزيدك قال ذلك لأمير المؤمنين قال قول الاعرابى :

به ضرب انداد العطايا كأنه ملاعب ولدان تحت وتمضغ

ثم التفت إلى جعفر فقال أوجب قال وجب قال أزيدك قال لأمير المؤمنين علو الرأى قال قول عدى بن الرقاع

تزجى أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

فقلت يا أمير المؤمنين هذا بيت حسد عديا عليه جرير قال وكيف ذلك قلت : زعم أبو عمرو بن العلاء أن جريرا قال لما ابتدأ عدى ينشده « عرف الديار توهما فاعتادها » ، فقلت فى نفسى ركب والله مركبا صعبا سيبدع فيه فما زال يتخلص من حسن إلى حسن إلى أن قال « تزجى أغن كأن إبرة روقة » ، فرحمته وظننت إن مادته تقصر به فلما قال « قلم أصاب من الدواة مدادها » ، حالت رحمة حسدا فقال ولله أبوك يا أصمعى ثم أطرق ورفع رأسه وقال أتراك تعيننى فى انحطاطك فى هواى فقلت كلا يا أمير المؤمنين إنك لتجل عن ذلك قال انظر خمسا قلت قد نظرت قال فالسبق لمن قلت لأمير المؤمنين قال فقد أسهمت لك فى العشر والعشر كثير ثم رمى بطرفه إلى يحى وقال المال الساعة وأولى لك فما كان ساعة حتى حضرت البدر بينى وبينه ورأيت ضوء الصبح قد غلب على ضوء الشمع فاشار إلى خادم على رأسه كم هى فقال ثلاثة آلاف ألف درهم فقال دونك احتمل ثلاثين ألفاً إلى منزلك ونهض عن مجلسه وأمر الخدم بمعاونتى على حمله فكانت أسعد ليلة ابتسم فيها الصباح عن أحد بالغنى ... فهذه الحكاية تدلك على تبحره فى علوم العربية وسعة حفظه .. تبع ابن الرمادى عنترة فى قوله « وخلا الذباب بقوله :

وكأس كريق الألف شعشعها به وعيشى من هذا الشراب المشعشع
إذا ماشربنا كأسنا صب فضلها على روضنا للسمع المتخلع

أتغلُّنى أرضاكَ إماماً لمحرابى

وقال ابن الرومى : وأذكى نسيم الروض ريعان ظله وغنى مغنى الطـير فيـه فرجعا
وكانت أهازيج الذباب هنا كم على شدوات الطير صوتا موقعا

وكان أبوه قريب بخلافه كان نذلا خسيسا وكان عطاء الملك أتى بجماعة من البصرة إلى قريب فوجدوه ملتفا بكساء نائما للشمس فوكزه برجله وصاح به قم يا قريب ويلك قال ألقيت أحدا من أهل العلم قط أو من أهل اللغة أو الفقهاء أو من المحدثين قال لا والله قال لمن حضر اشهدوا على ما سمعتم لا يقول لكم غدا الأصمعى أو بعد غد أنشدنى والدى أو حدثنى ففضحه . ومن حكاية عن أبيه قال الأصمعى حدثنى أبى قال أتى عبد الملك بن مروان برجل مع بعض من خرج عليه فقال اضربوا عنقه فقال يا أمير المؤمنين ما هذا جزائى منك قال وما جزاؤك قال والله ما خرجت مع فلان إلا بالتطير لك وذلك أنى رجل مشؤوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم وقد بان لك صحة ما ادّعيت به وكنت عليك خيرا لك من مائة ألف معك فضحك منه وخلى سبيله وكان للاصمعى ابن ظريف فقيل له يوما أين أبوك فقال فى بيته يكذب على الأعراب ومرض الأصمعى فعاده أبو ربيعة وكان يحب أهل الأدب فقال له أقرضنى خمسة آلاف درهم ففعل وقال أتشتهى غير هذا فقال نعم فصا حسنا وسيفا قاطعا وبرذونا حسنا وسرجا محلى فبعث بذلك اليه ، وكان إسحق الموصلى يعظمه ويقرأ عليه فدخل الأصمعى يوما على الفضل بن يحيى وإسحق ينشده فى صفة فرس :

كأنه فى الجل وهو سـام مشتمل جاء من الحمام
يسور بين السرج واللجام سـور القطامى إلى الحمـام

فقال الأصمعى هات بقيتها فقال له اسحق ألم تقل لى ما بقى منها شىء فقال ما بقى إلا عيونها ثم أنشد بعد ذلك ثلاثين بيتا فغضب اسحق وعرف الفضل قلة شكره لعارفيه وبخله بما عنده وأخذ يصف فضل أبى عبيدة ونزاهته وبذله لما عنده واشتماله على علوم العرب فانفذ اليه الفضل مالا جليلا واقدمه من البصرة وسعى بالأصمعى عند الرشيد حتى حط منزلته وقال اسحق يهجوه :

أليس من العجائب أن قردا اصيمع باهليا يستطيل
ويزعم انه قد كان يفتى ابا عمرو ويسأله الخليل
إذا ما قال قال ابى عجبنا لما يأتى به ولما يقول
وجلله عطاء الملك عارا تزول الراسيات ولا يزول
فقل لأبى ربيعة إذ عصانى وحاد به عن القصد السبيل
لقد ضاعت برودك فاحتسبها وضاع الفص والسيف الصقيل
فأما الخمسة آلاف فاعلم بأنك غبها لا تستقيل

والأصمعى لا يقدح هذا القدر فى جانبه لأن بعض محاسنه يغطى على كل مساويه وكان منشؤه بالبصرة وبها توفى سنة تسع عشرة ومائتين وبلغ ثمانيا وثمانين سنة (محرابى) وما بعده فى معناه يعنى فرجها (الامام) وما

وحُساماً لِقِرابِي ، لَا واللهِ وَلَا بَوّاباً لبابي ولَا عَصاً لجِرابي ؛ فقال لَهُما القاضي : أَرَاكُما شَنا وطَبَقَة ، وحِدأَةً وبُنْدُقَة ؛ فاترُكْ أَيُّها الرجُلُ اللَّدَد ، واسْلُكْ في سيرِكَ الجَدَد ، وأمّا أنتِ فكُفِّي عن سِبابِه ، وقِرِّي إذا أَتى البَيْتَ من بابِه ، فقالتِ المَرْأَةُ واللهِ ما أَسْجُنُ عنه لِساني ، إلاّ إذا كَساني ، ولا أَرْفَعُ له شِرَاعي ، دُونَ إشْباعي ، فحَلَفَ أَبُو زيد بالمُحَرِّجات الثّلاث ،

بعده يعني به ذكره وسمي محراب المسجد محرابا لأنه يباعد من ليس من أهله أن يقربهُ إذ هو أرفع ما في المسجد وفلان حرب لفلان أي مباعد له (القراب) وعاء من جلد يجعل فيه السيف مع غمده والقراب وعاء الزاد (اللدد) شدة الخصومة (الجدد) الأرض الصلبة والمعنى في قوله « اسلك في سيرك الجدد » جامعها في الفرج لا غير وفي المثل من سلك الجدد من العثار (قري) اسكني (البيت) كناية عن فرجها (من بابه) يريد أن لا يأخذ الجار بالجار (إلا إذا كساني) قال النبي صلى الله عليه وسلم اعروا النساء يلزمن الحجال (السراع) قلع السفينة وأراد برفعه كشف ثيابها ورفع رجليها حين يطؤها وقال أبو نواس في معناه :

ترفق قليلا قد أوجعتني وألحقت قرطي بخلخاليه

والقرط في الأذن والخلخال في الرجل فانظر متى يجتمعان قال ابن الرومي في ذلك :

يا أحمد بن سعيد لو بصرت بها إذا الاكف لساقيها خلاخيل

وقال البحتري : لم تخط باب الدهليز خارجة إلا وخلخالها مع الشنف

وقال ابن الرومي لو أن رجلي عرسها يداها ما أخطأتها رحمة تغشاها

قد خلقت مرفوعة رجلاها كأنما يستغفران الله

وقال أيضا : شيخ لنا يكنى أبا حفص أقرن مثل الأبل الأثول

تبيت في منزله نسوة يلبسن ثوب الليل كالمنزل

يعملن فيــه عملا صالحا يرفعه الله إلى اسفل

يستغفر النـاس بأيديهم وهن يتغفرن بالأرجل

قال الاصمعي : قلت لامة ظريفة ياجارية هل في يديك عمل قالت لا ولكن في رجلي (المحرجات الثلاث) هي الطلاق والعتق والمشي إلى مكة وقيل هي الطلاق الثلاث ومحرجات فيها حرج أي إثم وضيق ... وحدث أبو حاتم عن الاصمعي عن عيسى بن عمر قال اشتكى رجل امرأته فقال له شيخ من بني نصر كان أسن منه: ألا تكشفها بالمحرجات يعني الطلاق قال قاتلك الله فما أغرك ، وعلى الطلاق ثلاثا حدثنا ابو بكر محمد بن أسد الديلي قال سمعت ابا فتان الدراع يقول الطلاق الثلاث البت لازم لي لقد سمعت ابا عبيدة معمر بن المثنى يقول الطلاق الثلاث البت لازم لي لقد سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول الطلاق الثلاث البت لازم لي إن كانت العرب قالت أحكم من هذه الأبيات :

أنه لا يَملكُ سِوَى أطمارِهِ الرِّثاث ، فنظر القاضي في قَصَصِهما نظرَ الألمعي ، وأفكرَ فِكرةَ اللوذعي ، ثم أقبلَ عليهما بوجهٍ قد قطّبه ، ومِجَنٍّ قد قلبه ، وقال ألم يكفكما التسافه في مجلس الحكم ، والإقدامُ على هذا الجُرْمِ ، حتى تراقيتما في فُحشِ المُقاذعة ، إلى خُبثِ المُخادعة ، وايمُ اللهِ لقد أخطأت استُكما الحُفرة ، ولم يُصِبْ سهمُكما الثُّغرة ، فإنَّ أميرَ المؤمنين أعزَّ اللهُ ببقائه الدِّين ، نصبني لأقضي بين الخُصَماء ، لا لأقضي دَينَ الغُرَماء ، وحقِّ نعمته التي أحلَّتني هذا المحل ، وملَّكتني العقدَ والحل ، لئن لم توضحا لي جليَّة خطبِكما ، وخبيئة خِبِّكما ، لأُنددنَّ بكما في الأمصار ولأجعلنَّكما عِبرةً لأولي الأبصار ، فأطرقَ أبو زيد إطراقَ الشُّجاع ، ثم قال له سماعِ سماع :

أنا السَّروجيُّ وهي عِرْسي ولَيس كُفْوَ البدرِ غيرُ الشمس

وما تنافى أُنسُها وأُنسي ولا تناءى ديرُها عن قَسِّي

ولا عدتْ سُقياي أرضَ غرسي لكنّنا مُنذُ ليالٍ خمسِ

نُصبحُ في ثوبِ الطَّوى ونُمسي لا نعرفُ المَضغَ ولا التحسّي

حتى كأنَّا لخفوتِ النَّفْسِ أشباحُ موتى نُشروا من رَمْسِ

كن للمكاره بالعزاء مقنعا فلعل يوما لا ترى ما تكره

فلربما استتر الفتى فتنافست فيه العيون وإنه لمموه

ولربما خزن الكريم لسانه حذر الجواب وإنه لمفوه

ولربما ابتسم الكريم من الأذى وفؤاده من حره يتأوه

(اطماره الرثاث) أى ثيابه الخلقة (الألمعى) المتوقد الحاضر الذهن .. ابن الاعرابى : الالمعى الذى إذا لمع له أول الأمر عرف آخره فيكتفى بظنه دون تعيينه (اللوذعى) الفطن الذكى الظريف الحديد الفؤاد (قطبه) عبسه (مجن) ترس (قلبه) كناية عن ابداء الشر بعد الخير وقد تقدم (التسافه) الافحاش والشتم (الجرم) الذنب (المقاذعة) المشاتمة بما فاحش (الثغرة) الحفيرة فى أصل العنق (خبكما) خداعكما وغشكما (أنددن) أسمع الناس بما ينالكما عندى من المكروه وندد به شتمه وأسمعه القبيح (الامصار) البلاد (عبرة) موعظة (أولى الابصار) أهل العقول (أطرق) أمال رأسه ساكنا (الشجاع) الحية (سماع سماع) أى اسمع منى (كفء البدر) أى نظيره والكفء النظير والمثل (دبرها) فرجها (قسى) ذكرى وأصل الدير للنصارى والقس والقسيس عالمهم وعابدهم (عدت) جارت وخرجت عن طريقها (والسقيا) الشرب وهى هنا مصدر بمعنى السقى (التحسى) شرب الحسوة وأراد بالمضغ والتحسى أكل الخبز واللحم وحسو مرقه وقيل المضغ فى الرخاء والحسو فى الشدة كاستعمالهم فيها حسوا السخينة وغيرها (عز) قل (التأسى) الاقتداء بالغير وقد تأسى تأسيا إذا اقتدى بفعل غيره وتصبر وهذا باب غلبت عليه الخنساء بقولها :

فحينَ عَزَّ الصَّبْرُ والتَّأَسّى ... وشفَّنا الضُّرُّ الأَليمُ المَسّ
قمنا لسَعْدِ الجد أو للنَّحْس ... هذا المَقامَ لاجتِلابِ فَلْس

ولو لا كثرة الباكين حولى ... على إخوانهم لقتلت نفسى
ومايكون مثل اخى ولكن ... أعزى النفس عنه بالتأسى

فزاد عليها ابن العباس الرومى فى المعنى وبينه حتى استحقه حيث قال :

رأيت الدهر يخرج ثم يأسو ... يؤسى أو يعوض أو ينسى
ابت نفسى الهلاع لرزء شيء ... كفى رزأ لنفسى رزء نفسى
اتجزع وحشة لفراق إلف ... وقد بوأتها لحلول رمسى

فذهب فى هذه الأبيات كل مذهب ثم اراد ان يظهر ماعنده من فضل المنة وحسن التصرف فقال :

ياشبابى واين منى شبابى ... آذنتنى ايامه بانقضاب
ومعز عن الشباب مؤس ... بمشيب اللذات والأصحاب
قلت لما انتحى بعد اساه ... بمصاب شبابه بمصاب
ليس تأسو كلوم غيرى كلومى ... مابه ومابه ومابى ومابى

وكرر هذا المعنى فاحسن ماشاء وذهب فيه مذاهب اخرى فقال :

خليلى قد عللتمانى بالمنى ... وانعمتما لو اننى اتعلل
اللناس إيثارى وإلا فما الأسى ... وعيشكما إلا ضلال مضلل
وماراحة المرزوء فى رزء غيره ... ايحمل عنه بعض ما يتحمل
كلا حاملى او فى الرزية مثقل ... وليس معينا مثقل الدهر مثقل
وضرب من الظلم الخفى مكانه ... تعزيك بالمرزى حين تأمل

ولابن رشيق :

رايت التعزى مما يهيج ... على المرء ساكن او صابه
وما نال ذو أسوة سلوة ... ولكن اتى الحزن من بابه
تفكر فى مثل ارزائه ... فذكره مابه مابه

وقال ابن رشيق اخذته من قول عمر بن ابى ربيعة

وذو الشوق القديم وإن تعزى ... مشوق حين يلقى العاشقينا

واخذه عمر من قول متمم بن نويرة :

وقالوا ا تبكى كل قبر رايته ... لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقالت لهم إن الاسى يبعث البكا ... دعونى فهذا كله قبر مالك

(خفوت) ضعف النفس من شدة الجوع وخفت خفوتا ضعف وسكن ومات (الأشباح) الأشخاص واصل الشبح الشخص تبصره على بعد فلا تعرف ماهو ويقع الشبح على كل شخص مرئى (نشروا) احيوا

والفقرُ يُلْجِي الحرَّ حين يُرْمِى إلى التجلى فى لِباسِ الألبسِ
فَهذه حالى وهـــذا دَرْسى فانظرْ إلى يومى وسَلْ عن أمسى
وأْمُرْ بِجَبْرِى أنْ تشا أو حَبسى فَفى يدَيْكَ صِحَّتى ونُــكْسى

فقال له القاضى : لِيثُبْ أُنسُك ، ولْتطِبْ نفسُك ، فقد حقَّ لكَ أنْ تُغفَرَ خطيئتُك ؛ وتُوفَرَ عطيَّتُك ، فَثارَتِ الزَّوْجَةُ عند ذلك واستَطالتْ ، وأشارتْ إلى الحاضرين وقالت :

يا أهْلَ تبريزَ لَــكُم حاكمٌ أوْفَى على الحُــكَّامِ تبْرِيزا
مَا فيه مِنْ عَيْبٍ سِوَى أنه يومَ النَّدَى قِسْمتُــهُ ضِيزَى
قَصَدْتُهُ والشَّيْخُ نبغى جَنَى عُودٍ له مازَالَ مَهْزُوزا
فَسَرَّحَ الشَّيْخَ وقد نالَ مِن جَــدْوَاهُ تخْصيصاً و تمييزا
وردَّنى أخْيَبَ من شَائِمٍ بَرْقاً خَفا فى شَهْرِ تَمُّوزا
كأنَّهُ لم يَدْرِ أنِّى التى لقَّنْتُ ذا الشَّيْخَ الأراجيزا
وأنَّنى إنْ شِئْتُ غادَرْتُهُ أُضْحُوكَةً فى أهْلِ تبْرِيزا

قال : فلما رأى القاضى : اجْتِراءَ جنانِهما ، وانْصِلاتَ لِسانِهما ، عَلِمَ أنه قدْ مُنِىَ مِنْهُمَا بِالدَّاءِ العَياء، والداهيَةِ

(رمس) قبر (المس) لصوق جارحة بأخرى (الجد) الحظ و بالنصيب (يرسى) يثبت ويقيم (التجلى) البروز والظهور (اللبس) التخليط (درسى) ثوبى الخلق (الجبر) أن تغنى الزجل من فقر أو تصلح عظمه من كسر وجبره الله سد مغافره (والنكس) بضم النون عود المرض بعد القوة ونكس نكسا (ليثب) أى ليرجع (توفر) تكثر (ثارت) ظهرت وأفشت سرها (استطالت) جرحت بلسانها وأعلت كلامها (أوفى) أشرف عليهم وزاد (تبريزا) ظهورا وسبقا (ضيزى) غير مستوية فيها بخس ونقصان وقد ضاز الحاكم إذا جار وضازه يضيزه ضيزة إذا نقصه ومنعه حقه ويحكى أن مزيدا المدنى ويكنى أبا اسحق صلى يوما فلما فرغ من صلاته قالت امرأته اللهم اشركنى فى دعائه فقال مزيد اللهم اصلبنى فقالت امرأته أما على هذا فلا فقال ياضراطة تلك إذا قسمة ضيزى (الشيخ) منصوب على المفعول معه (تبغى) تطلب (الندى) الكرم (جنى العود) مايجنى من ثمره وأرادت كرم القاضى (مازال مهزوزا) أى مازال القاصدون يهزون عوده فيتساقط عليهم جناه فمعنى مازال مهزوزا أنه مطلوب منه العطايا (جدواه) عطاياه (تخصيصاً) وترفيعاً (تمييزاً) تعييناً وقد تخصص الرجل تشبه بالخواص وتعين تشبه بالأعيان (شائم) ناظر للبرق (خفى) لمع (تموز) يوليه بالسريانية وهو أشد الشهور حرا (لقنت) فهمت وحفظت (غادرته) تركته (أضحوكة) يضحك به من رآه (اجتراه) أقدام وتشجع (اجنانهما) قلبهما يريد أنهما لم يهاباه (انصلات لسانهما) خروجه بالكلام وطلاقته بالشر وانصلت السيف تسلل من غمده وخرج (منى) بلى (الداء العياء) الذى يعيى الطبيب (والداهية) كل أمر فظيع لا يطاق (الدهياء) مبالغة وتأكيد لمعنى

الدَّهْياء ، وَأنَّه مَتى مَنَح أحدَ الزَّوْجين ، وصَرفَ الآخرَ صِفْرَ اليَدَيْنِ ، كانَ كَمَنْ قَضى الدَّيْنَ بالدَّيْن ؛ أوْ صَلَّى المَغربَ رَكْعَتَيْن ، فَتَلَدَّم وطَرْسَم ، واخرنْطَم وبرْطَم ؛ وهَمْهَم وغَمْغَم ، ثم الْتفت يَمْنَةً وشامَةً وتَمَلْمَلَ كآبَةً ونَدامَةً ، وأخذَ يَذُمُّ القَضاء ومَتاعِبَهُ ويُعَدِّدُ شَوائِبَه ، ونَوائِبَه ، ويُفَنِّدُ طالِبَهُ وخاطِبَه، ثم تَنَفَّسَ كما يَتَنفسُ الحَريب ، وانتحبَ حتى كادَ يَفْضَحُهُ النَّحيب ، وقال إنَّ هذا لَشيْءٌ عَجيب ، أأُرْشَقُ في مَوْقِفٍ بِسَهْمَيْنِ ، أأُلْزَم في قَضِيَّةٍ بِمَغْرَمَين ؛ أأُطيقُ أنْ أُرضي الخصمين ، ومِنْ أين ومَنْ أين ثم عَطَفَ إلى حاجِبِه ، المُنْفِذِ لِمآرِبِه ، وقال ماهَذا يَوْمُ حُكْمٍ وقَضاء ، وفَصْلٍ وإمْضاء ، هذا يَوْمُ البُحْران ، هَذا يوم الخُسْران ، هـــذا يومٌ عَصيب ؛ هذا يومٌ نُصابُ فيه ولا نُصيب ، فأرِحْني من هَذَيْنِ المِهْذارَيْن ، واقطعْ لِسانَيْهِما بِديناريْن ، ثمَّ فرِّقِ الأصْحاب ، وأغْلِقِ البابَ ؛ وأشِعْ أنَّهُ يَوْمٌ مَذْمُوم ، وأنَّ القاضي فيه مَهْمُوم ، لِئَلَّا يَحْضرني خُصُوم ، قَال فأمَّنَ الحاجِبُ عَلَى دُعائِهِ ، وتَباكَى لِبُكائِهِ ،

الداهية أى الداهية الشديدة (منح) أعطاء (صفر) فارغ . ومن قضى الدين بالدين فكأنه ماقضاه وأنشدوا

إذا كنت تقضى الدين بالدين لم يكن قضاء ولكن كان غرما على غرم

(تململ) توجع وتقلب (كآبة) حزن وهم (شوائب) ما يكره ويختلط به (نوائبه) نوازله (يفند) يخطى (الحريب) المحزون المسلوب ماله وقد حربه إذا سلبه فعيل بمعنى مفعول (انتحب) بكى (يفضحه) يشهره (أرشق) أرمى والرشق جملة السهام ترمى مجتمعة وقال لبيد :

فرميت القوم رشقا صائبا ليس بالطيش ولا بالمفتعل

وإذا وقعت السهام مجتمعه عند الغرض سميت رشقا (القضية) القضاء والحكومة (المغرم) والغرامة واحد (مآربه) حوائجه (البحران) كاليوم السابع من المرض والبحران عند الأطباء مدافعة عظيمة تقع بين الطبيعة والعلة وبحر الرجل بحرا إذا اجتهد فى العدو طالبا أو مطلوبا فانقطع وضعف ورجل بحر مسلول ذاهب اللحم (عصيب) شديد (المهذارين) الكثيرى الكلام بلافائدة (اقطع لسانهما) أى صلهما حتى ينقطع بالدينارين كلامهما وهذا اللفظ الذى هو قطع اللسان بالصلة قد نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اعطى المؤلفة قلوبهم من نفل حنين مائه مائة وأعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها وقال :

أتجعل نهبى ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
وماكان حصن ولا حابس يفوقان مرادس فى مجمع
وما أنا دون امرىء منهما ومن يخفض اليوم لم يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه فاعطى حتى رضى ، وقد جاءت فى النوادر فى حكاية ليلى الأخيلية حين قال الحجاج ياغلام اذهب إلى فلان فقل له يقطع لسانها فأمر باحضار الحجام فقالت ثكلتك أمك إنما أمرك ان تقطع لسانى بالصلة وهى لفظة مستعملة عند من له أمرونهى (أمن) قال آمين ومعناه الرغبة فى الإجابة (تباكى) استعمل البكاء (الثقلين) الأنس والجن والواحد ثقل وثقل كثل ومثله وأصله ما يحمل من الشىء

ثم نَقَدَ أَبَازَيْدٍ وعِرْسَهُ المِثْقَالَين ، وقال أَشْهَدُ أَنَّكُمَا لأَخْيَلَ الثَّقَلَيْن ؛ لَكِنِ اخْتَرِمَا مَجَالِسَ الحُكَّام ، وَاجْتَنِبَا فِيهَا فُحْشَ الكَلَام ، فما كلُّ قاضٍ قاضي تَبْرِيز ؛ وَلَا كلُّ وقتٍ تُسْمَعُ الاراجيز ، فقالا له مِثْلُكَ مَنْ حَجَبَ ، وشُكْرُكَ قَدْ وَجَبَ ؛ وَنَهَضَا وقد حَظِيَا بِدِينَارَيْن ؛ وأَصْلَيَا قَلْبَ القاضي نارَيْن .

الثقل فقيل لهما ثقلان لأنهما كالثقل على الأرض (والفحش) فى القول كالفاحشة فى الفعل (نهضا) تقدما (شكرك قد وجب) يقال وجب البيع والحق معناه وقع ومنه قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها أى وقعت على الأرض وسقطت ووجب الحائط سقط ووجب قلبه فزع وخفق (حظيا) سعدا (أصليا) أوقدا و لصقا به :

تفسير ماأودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

(لقيت منها عرق القربة) هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة من الامر الذى يزاوله كما أن حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق (جعلته دبر أذنى) يعنى طرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم (أكذب من سجاح) يعنى التى تنبأت فى عهد مسيلمة الكذاب وسارت اليه لتناظره وتختبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا الإسم مبنى على الكسر مثل حذام وقطام لكونه من الأسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهى السهولة ومنه قولهم ملكت فأسجح (أكذب من أبى ثمامة) هذه كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة ومخرق بها إلى أن سار اليه خالد بن الوليد رضى الله عنه فقتله (لانعم عوفك) العوف الحال والعوف أيضا الذكر ويدعى للبانى على أهله فيقال له نعم عوفك (يادفار ياجار) هذان الأسمان معدولان عن دافرة وفاجر والدفر النتن وبه سميت الدنيا أم دفر وكل ما سمى بصفة غالبة ثم عدل بها إلى فعال بنى على الكسر عند النداء كقولك يالكاع يا خباث يادفار ياجار ولا يجوز استعمال ذلك فى غير النداء إلا فى ضرورة الشعر كقول الحطيئة :

أطوف ما أطوف ثم آوى ⠀⠀ إلى بيت قعيدته لكاع

(أحمق من رجلة) هى ضرب الحمض تنبت فى مجارى السيل فيجترفها (ألأم من مادر) رجل من بنى هلال ابن عامر كان اتخذ حوضا لسقى إبله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده (أشأم من قاشر) فحل كان فى بعض قبائل سعد بن زيد مناة بن تميم ما طرق إبلا إلا ماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمى قاشر لقشرة ما على وجه الأرض من النبات (اجبن من صافر) اختلف فى تفسيره فقال بعضهم عنى به كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الأرض وقيل إنه طائر بعينه إذا جنه الليل تعلق ببعض الأغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفا على نفسه من أن ينام فيؤخذ وقيل إنه الذى يصفر بالمرأة لريبه وهو يجبن وقت صفيره مخافة أن يظهر على أمره وقيل إن المراد به فى المثل المصفور به وهو الذى ينذر بالصفر ليهرب فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق أى مدفوق وكقول راحلة بمعنى مرحولة وهو كثيرا فى كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا أى ساترا وكقوله تعالى إنه كان وعده مأتيا (اطيش من طامر) المراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه

(أراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة) أراد به أن كلا منكما كفء اصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه ، أما شن وطبقة فان العلماء مختلفون فى معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الأكثرون إنهما قبيلتان فشن هو ابن افصى بن دعمى بن جديلة بن أسـد بن ربيعة بن نزار وطبقة حى من إياد وكانت طبقة لا تطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها ، وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب وكان ألزم نفسه أن لا يتزوج إلا بامرأة تلائمه فكان يجوب البلاد فى ارتياد طلبته فصاحبه رجل فى بعض أسفاره فلما أخذ منهما السير قال له شن أتحملنى أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل وهل يحمل الراكب الراكب فأمسك وسارا حتى أتيا على زرع فقال له شن أترى هذا الزرع أكل أم لا فقال له يا جاهل أما تراه فى سنبله فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة فقال له شن أترى صاحبها حيا أم لا فقال مارأيت أجهل منك أتراهم حملوا إلى القبر حيا ، ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل فصار به إلى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق إلا بالصواب ولا استفهمك إلا عما يستفهم عن مثله ذوو الألباب ، أما قوله أتحملنى أم احملك فانه أراد اتحدثنى أم أحدثك حتى تقطع الطريق بالحديث ، وأما قوله اترى هذا الزرع أكل أم لا فانه أراد هل استسلف أربابه ثمنه أم لا : وأما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فانه أراد به أخلف عقبا يحيا ذكره به أم لا . فلما خرج إلى الرجل حدثه بتأويل ابنته كلامه فخطبها اليه فزوجه إياها فلما سار بها إلى قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة فسار مثلا . وحكى أن الأصمعى سئل عن تفسير هذا المثل فقال أظن الشن وعاء من ادم كان قد استشن فلما اتخذ له غطاء وافقه ضرب فيه هذا المثل .. وأما حدأة وبندقة فانه يقال فى المثل المضروب لمن يفزع بعدوه او يبلى بنظيره حدأ حدأ وراءك بندقة . وكان الأصل حدأة باثبات الهاء فى النداء . وقد اختلف فى المراد بهما فقيل الحدأة هو الطائر المعروف وبندقة الرامى وقيل إنهما قبيلتان من سعد العشيرة فاغارت حدأة وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت بندقة على حدأة فانحت عليهم . وروى بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز على مثال عصا وقفا وزعم انه اسم القبيلة (اخطأت استكما الحفرة) مثل يضرب لمن يخطىء فى مقصد ويضع الشىء فى غير موضعه . (طلسم وطرسم) فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم اطرق . . (اخرنطم وبرطم) اى غضب وقطب وجهه وقيل معنى آخر نطم غضب مع تكبر ومعنى برطم غضب مع تعبس (همهم وغمغم) أى لم يبين الكلام .

المقامة الحادية والأربعون التنيسية

حدث الحارثُ بنُ همّامٍ قال : أطعتُ دَواعِيَ التَّصابي ، في غُلواء شَبَابي ، فلم أزلْ زِيرًا للغِيدِ ؛ وأُذُنًا للأغاريد ؛ إلى أنْ وَافَى النَّذِير ، وولَّى العَيْشُ النَّضِير

شرح المقامة

(أطعت دواعى التصابى) يقال أطعت كذا وطعت له أى انقدت والمطيع المنقاد والتصابى التظاهر بالصبا والتشاغل به ودواعيه مايدعوه اليه (غلواء الشباب) أوله وسرعته أراد : ملت إلى اللهو واللعب فى أول شبابى فلما أتى الشيب أحببت الرجوع إلى الخير (زيرا) كثير الزيارة (الغيد) جمع غيداء وهى اللينة العنق والمفاصل من النعمة (أذنا للاغاريد) أى كثير الاستماع للغناء وفلان أذن إذا كان يستمع من كل قائل ويقيل منه (وافى) أتى (النذير) الشيب لأنه منذ الإنسان بتمام العمر أى يعلمه (ولى) رجع وزال (النضير) الناعم يريد زمن الشباب . ويؤخر ذكر الشيب فانه يؤدى إلى تغيير شرح المقامة وتتكلم على ذهاب الشباب قال أبو عمرو ابن العلاء ما بكت العرب شيئاً ما بكت الشباب وما بلغت به ما يستحقه ، الأصمعى : من أحسن ألفاظ الشعر المراثى والبكاء على الشباب ، قال ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا العافية والشباب الصحة ومن ألفاظ أهل العصر الشباب باكورة الحياة وروائع الجنة فى الشباب أطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكرها ، قال الصولى قد أكثر فى ذكر الشباب القدماء وأهل الاسلام وأجمع الحذاق بالشعر وتمييز الكلام وألفاظه أنه لم يقل فيه أحسن من قول المنصور النمرى ووقع الاجماع عليه فاضر تأخره وهو :

ما تنقضى عبرة منى ولا جزع ... إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بأن الشباب وفاتنى مسرته ... صروف دهر وأيام لها خدع
ماكنت أوفى شبابى كنه عزته ... حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
إن كنت لم تطعمى ثكل الشباب ولم ... تشجى بغصته فالعذر لا يقع
أبكى شبابا سلبناه وكان ولا ... توفى بقيمته الدنيا ولا تسع
ماوجه الشيب من عين وان رمقت ... إلا لهـا نبوة عنه ومرتدع

وقال أبو نواس : كان الشباب مطية الجهل ... ومحسن الضحكات والهزل

كان الجمال إذا ارتديت به ... وخرجت أخطر صيت النعل
كان البليغ إذا نطقت به ... وأصاخت الآذان للمملى
كان المشفع فى مآربه ... عند الحسان ومدرك النبل
والباعثى والناس قد رقدوا ... حتى أكون خليفة البعل

وقال جحظة : واها لأيام الشبا ... ب وما لبسن من الزخارف

وزوالهن بما عرفت من المناكر والمعارف
أيام ذكرك فى دوا وين الصبا صدر الصحائف

وقال ابن أبى حارثة :

ولى الشباب فخلى العين تنهمل فقد الشباب بفقد الروح متصل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل

وقال آخر : شيآن لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم أبلغ المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الأحباب

إعرابى : ياطيب أيام الشباب وعصره لو يستعار جديده فيعار
ما كان أقصر ليله ونهاره وكذاك أيام السرور قصار

وقال ابن عبدربه : قالوا شبابك قد مضت أيامه بالعيش قلت وقد مضت أيامى
لله أية نعمة كان الصبا لو أنها وصلت بطول دوام
حسر الشباب قناعه عن رأسه وصحا العواذل بعد طول ملام
فكأن ذاك العيش ظل غمامة وكأن ذاك اللهو طول منام

وقال أيضاً : صباى كيف صرت إلى نفاد وبذلت البياض من السواد
فما أبقى الحوادث منك إلا كما أبقت من القمر الدآدى
فراقك عرف الأحزان قلبى وفرق بين عينى والرقاد
زمان كان فيه الرشد غيا وكان الغى فيه من الرشاد
يقتلنى بدل من قتول ويسعدنى بوصل من سعاد
وأجنيه فيعطينى قيادا ويجنبنى فأعطيه قيادى

قال الفرزدق : إن الملامة مثل ما بكرت بها من تحت ليلتها عليك نوار
قالت وكيف يميل مثلك للصبا وعليك من سمة الحليم عذار
والشيب ينهض فى الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار
إن الشباب لرابح مبتاعه والشيب ليس لبائعيه تجار

قال اسحق الموصلى قال لى المعتصم لقد فضحك الشيب فى عارضيك فقلت نعم يا سيدى وبكيت ثم قلت :

تولى شبابك إلا قليلا وحل المشيب فصبرا جميلا
كفى حزنا بفراق الصبا وأن أصبح الشيب منه بديلا
فلما رأى الغانيات المشيب أغضين دونى طرفا كحيلا
سأندب عهدا انقضاء الصبا وأبكى الشباب بكاء طويلا

وغنيتها فبكى المعتصم وقال لو قدرت على رد شبابك لفعلت بشطر ملكى فلم يكن لكلامه عندى جواب إلا أن قبلت البساط بين يديه ، وأبكى بيت ورد فى فقد الشباب قول أبى الغصن الأسدى :

فَقَرِمْتُ إلى رُشْدِ الانْتِباه ، وَنَدِمْتُ عَلَى مَافَرَّطْتُ فى جَنْبِ الله ، ثم أَخَذْتُ فى كَسْعِ الهنَاتِ بِالحَسَنَاتِ ، وتَلافِى الهَفَوات قَبْلَ الفَوَات ، فَمِلْتُ عن مُغاداةِ الغادات إلى مُلاقاةِ التُّقات ، وعن مُقاناةِ القَيْنات ، إلى مُداناة أهْلِ الديانات ،

أتأمـل رجعة الدنيا سفاها   وقـد صار الشباب إلى ذهاب
فليت الباكيات بكل أرض   جمعن لنا فنحن عـلى الشباب

وقال سلامة بن جندل وهو جاهلي :

اودى الشباب حميدا ذو التعاجيب   أودى وذلك شاوغير مطلوب
ولى حثيثا وهـذا الشيب يطلبه   لو كان يدركه ركض اليعابيب
أودى الشباب الذى مجد عواقبه   فيه نلذ ولا لذات للشيب

وقال سلامة أيضاً :

ياخذ أمسى سواد الرأس خالطه   شيب القذال اختلاط الصفو بالكدر
ياخذ أمست لبانات الصبا ذهبت   فلست منها على عين ولا أثر
كان الشباب لحاجات وكن له   فقد فرغت إلى حاجاتى الأخر

وأنشد أبو العيناء:

ما فى يدى من الصبا   إلا الصبابة والأسف
جاء الشباب فما أقا   م ولا ألم ولا وقف
كان الشباب كزائر   مل الزيارة وانصرف

والباب لايحصى كثرة (قرمت) لكذا أى اشتدت شهوتى اليه وأصله شدة الشهوة إلى اللحم (الرشد) والرشد واحد (فرطت) ضيعت وفرط فى الشيء قدم فيه التقصير والعجز وهو من قولهم فرط الفارط فى طلب الماء أى تقدم القوم اليه وقرىء يا حسرتنا على مافرطنا بتخفيف الراء ومثله يا حسرتا على مافرطت فى جنب الله ومعنى القراءتين التقصير فى جنب الله أى فى حقه وقيل فى أمر الله وقيل فى طاعته.. ابن الاعرابى : فى قرب الله، الفراء : الجنب القرب والجنب معظم الشيء وأكثره ومنه هذا قليل فى جنب مودتك.. الزجاج : أى على مافرطت فى الطريق الذى هو طريق الله الذى دعانى اليه (كسع الهنات) أى طرد القبائح والقاذورات والهنات كناية عن الفواحش والأفعال القبيحة مأخوذ من الهن وهو الفرج وكسعها دفعها وإزالتها والكسع أن تضرب بيدك على دبر الشيء وكسعتهم بالسيف إذا اتبعت أدبارهم فكأنه أزال القبائح عن نفسه ثم اتبعها بالدفع والضرب حتى نفاها بحسناته والكسع أيضا أن تضرب الشيء بصدر قدمك وقد كسعته.. الاصمعى : الكسع سرعة المر وكسعته بكذا جعلته تابعا له (تلافى) تدارك (الهفوات) السقطات والزلات وقد هفا الرجل إذا فعل المنكر وما يكره (الفوات) الموت (مغاداة) مباكرة وقد غاداه أتاه بالغدو (الغادات) النواعم من النساء الواحدة غادة (التقاة) الخائفون الواحد تقى وقوله تعالى إلا أن تتقوا منهم تقاة يجوز أن يكون الاتقياء ويجوز أن يكون مصدرا وهو أجود القولين تقيته واتقيته تقى وتقية وتقاء وتقاة أى حذرته والاسم التقوى (مقاناة) مخالطة وملازمة وهى مفاعلة من القينة وهى الجارية المغنية والجمع قينات (مداناة) مقاربة (ديانات) هى من الدين

وآلَيْتُ أنْ لاأُصْحَبَ إلَّامَن نَزَعَ عَنِ الغَيّ ؛ وفاءَ مَنْشَرُه إلى الطَّيّ ، وإنْ أَلْفَيْتُ مَنْ هُوَخَلِيعُ الرَّسَن مَدِيدُ الوَسَن ؛ أَنأَيْتُ دارى عَنْ داره ، وَفَرَرْتُ عَنْ عَرِّه وعاره ، فلما أَلقتنِى الغُرْبَةُ بِتِنِّيس ؛ وأحلّتنِى مَسْجِدَها الأَنِيس ، رَأَيْتُ به ذا حَلْقَةٍ مُلتحمَة ، ونَظَّارَةٍ مُزْدَحِمَة ، وهو يقُولُ بجاشٍ مَكِين ، ولِسانٍ مُبِينٍ مِسْكِين ، ابنُ آدَمَ وأىُّ مِسْكِينٍ ؛ رَكَنَ من الدُّنْيَا إلى غَيْرِ رَكِين ، واسْتَعْصَمَ منها بغَيْرِ مَكِين ،

أراد بها الطاعة (آليت) حلفت (نزع) زال وكف (الغى) الضلال (فاء) رجع (منشره) انتشاره فى الصبا واللهو (ألفيت) وجدت (خليع الرسن) مسيب فى المعاصى لا يكفيه عن اتيانها عقل ولادين وخلعت رسن الدابة تركتها ترعى حيث شاءت سائبة ومثله خالع العذار وخلع عذاره أصله فى الدابة إذاخلع عذارها نسيت فان انفلت رسنها الذى تمسكها به ففرت قيل جرت رسنها وفلان يجر رسنه وبابه فى الاستعارة أنه مسيب فى الشهوات مجاهر بها (مديد الوسن) طويل النوم أى فارغ البال من ذكر أو صلاة بالليل أو قراءة (أنأيت) أبعدت (عره) جربه وداؤه يريد أنه حلف ان لا يصاحب إلا من كف عن الصبا واللهو والنساء ومتى وجد أهل اللهو والغزل فر عنهم وتركهم ، وقال الالبيرى فأحسن:

من حاد عن نهج الهدى ... فأضل قصد سبيله
فتوق خلته فدينُ ... المرء دين خليله

وله ايضا:

الاحبر بمنتزح النواحى ... أطير اليه مقصوص الجناح
وأساله وألطفه عساه ... سيأسو مابدينى من جراح
ويجلو مادجى من ليل جهلى ... بنور هدى كمنبلج الصباح
فأبصق فى محيــا أم دفر ... وأهجرها وأدفعها براحى
وأصحو من حمياها وأسلو ... عفافا عن جآذرها الملاح
وأصرف همتى بالكل عنها ... إلى دار السعادة والنجاح

(تنيس) بلدة كبيرة وهى فى جزيرة قد أحدقت بها بحيرة يتصل بها النيل فتعذب عند زيادته سته أشهر وتملح ستة أشهر وينصل بها خليج دمياط وخليجها ينقسم على شرقيها وغربيها ويلتقيان فى البحيرة فيسيرون بسفنهم من دمياط إلى تنيس دخولهم لها وخروجهم بريح واحدة محكمة ، وأهل تنيس ذو يسار واكثرهم حاكة ، وثياب الشروب التى تصنع بها وبدمياط لا يصنع مثلها فى الدنيا وليس فى الدنيا طراز كتان يبلغ الثوب منها دون أن يعين بذهب مائة دينار غير طراز تنيس ودمياط ويكتفى ثوبها بقصارة يوم واحد فى البحيرة فيبيض قال اليعقوبى مدينة تنيس يحيط بها البحر الأعظم الملح ولها بحيرة يأتى ماؤها من النيل وهى مدينة قديمة بها تعمل الثياب الرفيعة الصفاق والرقاق والعصب والبرود والوشى وبهـــا مرسى المراكب الواردة من الشام والمغرب (ملتحمة) أى منضمة ملتصقة (ذا حلقة) يريد واعظاقد حلقه الناس (النظارة) الناظرون اليه (جاش) تنفس (مكين) شديد (مبين)مفصح (أى مسكين) ترحم عليه لكثرة مسكنته وتعجب منه (ركن) سكن (ولجاركين)شديد قوى يركن اليه ورجل ركين أى وقور بين الركانه والركين الثابت (مكين) عزيز له مكانة اي منزلة رفيعة

وَذَبِيحَ من حُبِّهَا بِغَيْرِ سِكِّين ، يَكْلَفُ بِهَا لِغَبَاوَتِه ، وَيَكْلَبُ عليها لِشَقَاوَتِه ، وَيَعْتَدّ فيها لِمُفَاخَرَتِه ، ولا يَتَزَوَّد منها لآخِرَتِه ، أُقْسِمُ بِمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ، وَنَوَّرَ الْقَمَرَيْن ، وَرَفَعَ قَدْرَ الْحَجَرَيْن ، لَوْ عَقَلَ ابْنُ آدَم ، لما نادَم ،

(ذبح من حبها بغير سكين) إشارة لعذابه فيها ومحنته لأن السكين تذبح المذبوح من ساعته ومن يذبح بحجر أو عود أو غير ذلك فهو فى تعذيب . أبو موسى : قال النبى صلى الله عليه وسلم من احب دنياه أضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثر ما يبقى على ما يفنى وقال سفيان بن عيينة ويلكم ياعلماء السوء لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب فيمر ويمسك النخالة فكذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل فى صدوركم ويحكم ان الذى يخوض النهر لا بد أن يصيب ثوبه الماء وان جهد أن لا يصيبه كذلك من يحب الدنيا لا ينجو من الخطايا (يتكلف) أى يولع بها ويشتد حبه فيها (غباوته) جهله (يكلب) يشتد حرصه وكلب على الشيء ألح فى طلبه وأصله من الكلب وهو السعر فى الكلاب (يعتد) يستعد (مرج) خلط وقيل أرسلهما وخلاهما كما تسرح الدابة فى مرعاها (القمرين) الشمس والقمر غلب لفظه القمر لخفته بالتذكير وان كانت الشمس أنور وهى أصل لنور القمر ولهذا قال المتنبى

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

أراد أن الشمس أنور واضوأ فما يضرها تأنيث اسمها وما ينفع الهلال تذكير اسمه وهو ناقص عنها فلخفة لفظ القمر غلب كما قالوا العمران لأبى بكر وعمر وأبو بكر افضل من عمر باتفاق من اهل السنة فغلب لفظ عمر لخفته بافراده وقلة حروفه . ومما يحسن موقعه مع قوله و نور القمرين أن اعرابيا اضل الطريق فمات جزعا وايقن بالهلاك فلما طلع القمر اهتدى ووجد الطريق فرفع اليه راسه ليشكره فقال له والله ما أدرى ما أقول لك ولا ما اقول فيك أقول رفعك الله فالله قد رفعك ام اقول نورك الله فالله قد نورك ام اقول حسنك الله فالله قد حسنك ولكن ما بقى إلا الدعاء ان ينسىء الله فى أجلك وان يجعلنى من السوء فداءك : وضلت ناقة لاعرابى فى ليلة مظلمة فأكثر فى طلبها فلم يجدها فلما طلع القمر وانبسط نوره وجدها الى جانبه ببعض الأدوية وقد كان اجتاز بموضعها مرارا فلم يرها لشدة الظلام فرفع راسه الى القمر وقال :

ماذا اقول وقولى فيك ذو خطر وقد كفيتنى التفصيل والجملا
ان قلت لا زلت مرفوعا فأنت كذا أو قلت زانك ربى فهو قد فعلا

ومما قيل فى ذمه ، عربد بعض المجان على القمر فقال والله انك لتفتت الكتان وتغير الألوان وتصفر الأسنان وتختر الأبدان وتسدد الآذان وتفضح السكران وتظهر الكتمان وتقلق الصبيان وتبيض الأرجوان وتلحس الزعفران وتهزل الأدمغة بالنقصان وقال ابن المعتز يذمه :

ياسارق الأنوار من شمس الضحى يا مثكلى طيب الكرى ومنغصى
أما ضياء الشمس فيك فناقص وأرى حرارة نارها لم تنقص
لم يظفر التشبيه فيك بطائل متسلخ لونا كاون الأبرص

(الحجرين) اى الذهب والفضة وقيل الحجر الأسود ومقام ابراهيم عليه السلام (نادم) صاحب النديم

وَلَوْ فَكَّرَ فيما قَدَّمَ لَبَكَى الدَّمِ؛ ولو ذَكَرَ المُكافَات، لاسْتَدْرَكَ مافات، ولوْ نظرَ فى المآل، لَحَسَّنَ قُبحَ الأعمال، يَا عَجَبًا كلَّ العَجَب، لِمَن يَقتحِمُ ذاتَ اللَّهب، فى اكْتِناز الذَّهَب، وَخَزْنِ النَّشَب إذ وى النَّسب ثم مِنَ البِدَعِ العَجِيب، أنْ يَعظَكَ وَخْطُ المَشِيب، وَتُؤذِنَ شَمْسُكَ بالمَغِيب، وَلَسْتَ تَرَى أنْ تُنِيب، وُتَهذِّبَ المَعِيب، ثم اندفعَ يُنْشِدُ إنْشادَ مَنْ يُرْشِدُ

الصاحب على الخز (المكافات) المجازاة (المآل) المرجع (ذات اللهب) صاحبة النار يعنى جنهم (يقتحم) يترامى فيها وهذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لآخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها كما تقتحم الفراش والجنادب (الحزن) الجمع (البدع) الحدث لم يكن ثم كان وقد ابتدعت الشيء أحدثته وسقت الناس إلى فعله (وخط) اختلاط وقد وخط الشيب الشعر إذا خالطه وفشا فيه (توذن) تعلم (شمسك بالمغيب) نفسك بالذهاب (تنيب) ترجع وتتوب (تهذب) تخلصه من العيب (المعيب) الكثير العيب (يرشد) يهدى ويدل الطريق. ونذكر هنا شيأ مما قيل فى الدنيا موافقة للحريرى ثم نعود إلى ذكر الشيب، من خطبة قطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا: ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعمارا وأعد عديدا وأوضح آثارا وأكثر جنودا وأعد عتادا وأطول عمادا تعبدوا للدنيا أى تعبد وآثروها أى إيثار وظعنوا عنها بالكره والصغار فهل بلغكم أن الدنيا أسمحت لهم نفسا وأغنت عنهم بحيلة بل أرهقتهم بالحوادث وضعضعتهم بالنوائب ودهمتهم بالمصائب أرأيتم مكرها بمن دان لها وآثرها وأخلد إليها يقول الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها إلى قوله وباطل ما كانوا يعملون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة رضى الله عنه ألا أريك الدنيا جمعاء بما فيها قال قلت بلى فأخذ بيدى وأتى واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رؤوس الناس وعذرات وخرق فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل أملكم ثم هى اليوم عظام ثم غدا رماد وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها فقذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها والريح تصفقها وهذه عظام دوابهم التى كانوا بها ينتجعون أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك، فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا. مر أبو عثمان الدباغ برجل على كنيف فقال له إلى هذا انتهت دنيا القوم، وقال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم فتبسمت عجبا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى أموالهم ونوالهم عندى

ويروى أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مر بجمجمة فضربها برجله وقال: تكلمى باذن الله فقالت ياروح الله أنا ملك زمن كذا فبينما أنا جالس فى ملكى على تاجى وحولى حشمى وجنودى على سريرى إذ بدالى ملك الموت وظهر فزال عنى كل عضو من موضعه ثم خرجت اليه نفسى، ولبعض الزهاد:

دنيا تخادعنى كأنى لست أعرف حالها
مدت إلى يمينها فقطعتها وشمالها
منع الاله حرامها وأنا لمجتنبت حلالها
ورأيتها محتاجة فوهبت جملتها لها

ولبعضهم . هب الدنيا تساق اليك عفوا أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنيـــاك إلا مثل فىء أظلك ثم آذن بالزوال

أبو العتاهية : يا من ترفع بالدنيا وزينتها ليس الترفع رفع الطين بالطين
إذا أردت شريف القوم كلهم فانظر إلى ملك فى زى مسكين
أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال التهامى : حكم المنية فى البرية جارى ما هـــذه الدنيـا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا حتى يرى خبرا من الأخبار
طبعت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقذار والأكدار
ومكلف الأيام ضـــد طباعها متطلب فى المـاء جذوة نار

وقال أبو حاتم : إنما بينى وبين الملوك يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذته وأنا وإياهم فى غد على وجل إنما هو اليوم فما عسى أن يكون اليوم ، أخذه أبو العتاهية فقال

حتى متى نحن فى الأيام نحسبها وإنما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم نحن نأمله لعـــله أجلب الأيام للحين

ولحاتم : هل الدهر إلا اليوم أو أمس أوغد كذا الدهر فيما بيننا يتردد
ترد علينا ليلة بعـــد يومها فلا عمرنا يبقى ولا الدهر ينفد

وللفقيه الباجى : إذا كنت أعلم علما يقينـا بأن جميع حيـاتى كساعة
فلم لا أكون ضنينـــا بها وأجعلها فى صلاح وطاعة

وله أيضاً : تبلغ من الدنيا بأيسر زاد فانك عنها راحـل لمعاد
وغض عن الدنيا وزخرف أهلها جفونك واكحلها بطيب سهاد
وجاهد عن اللذات نفسك جاهدا فان جهاد النفس خير جهاد
وما هى الادار لهو وفتنة وإن قصارى أهلها لنفاد

وقال آخر: وما أهل الحياة لنا بأهـل ولا دار الفناء لنا بدار
وما أموالنا إلا عوار سيأخذها المعير من المعار

ولأبى العتاهية: قطعت منك حبائل الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالى
ووجدت برد اليأس بين جوانحى فأرحت من حطى ومن ترحالى
فالآن يادنيا عرفتك فاذهبى يا دار كل تنقـل وزوال
والآن صار لى الزمان مؤدبا فغـــدا وراح على بالأمثال
يا أيها البطل الذى هو من غد فى قبره متفرق الأوصـال
حيل ابن آدم فى الأمور كثيرة والموت يقطع حيلة المحتال

يَاوَيْحَ مَنْ أَنْذَرَهُ شَيْبُهُ وهو على غَيِّ الصِّبَا مُنْكمِشْ

وللقاضى أبى حفص بن عمران :

أيها المغتر بالزمن فى هواه خالع السن حبك الدنيا وزينتها فتنة عمتك بالفتن
ظلت والحالات شاهدة عاكفا منها على وثن فاهجرنها إن زينتها زينة شائت ولم تزن
خدعتك إنها قبحت باطنا فى ظاهر حسن واسل عن حرص وعن طمع أملا يردى وعن وعن
ولتقدم ما تسر به قبل طول البث والحزن فكأن أخراك مابرحت وكأن دنياك لم تكن

(ياويح من أنذره شيبه)ويح كلمة ترحم (أنذره) أبلغه وحذره (غى) ضلال(منكمش) مسرع اليه ملازم له وقد كمش الرجل وانكمش فى امره استمر ومضى فيه مسرعا . ومن قولهم فى الشيب فى ذا المعنى ما قال أكثم ابن صيفى الشيب عنوان الموت وقال العتابى الشيب نذير الموت قال النمر هو عنوان الكبر ، قيس بن عاصم : هو خطام المنية ، محمود الوراق : الشيب أحد الميتتين ، المعتز بن سليمان : الشيب موت الشعر وموت الشعر علة لموت البشر ، أعرابى : كنت أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء فياخير مبدول ويا شر بدل ، أخذه حبيب فقال :

شاب رأسى وما رأيت مشيب الرأ س إلا من فضل شيب الفؤاد
وكذا الرؤس من كل بؤس ونعيم طلائع الأجساد
طال إنكارى البياض وإن عمر ت شيئا أنكرت لون السواد
زارنى شخصه بطلعة ضيم عمرت مجلسى من العواد

قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : عجل عليك الشيب يارسول الله فقال شيبتى هود وأخواتها ، وقيل لعبد الملك عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين فقال شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن وقيل لشاعر عجل عليك الشيب فقال كيف لا وأنا أعصر قلبى فى عمل لا يرجى ثوابه ولا يؤمن عقابه وقال محمود الوراق رحمه الله :

بكيت لقرب الأجل وبعد فوات الأمل
ووافد شيب طرا بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل

وقال حبيب :

غدا الشيب مختطا بفودى خطة طريق الردى منها إلى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى وذو الألف يقلى والجديد يرقع
له منظر فى العين أبيض ناصع ولكنه فى القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على السخط والرضا وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وقال ابن عبد ربه :

شباب المرء تنفده الليالى وإن كانت تصير إلى نفاد
فأسوده يعود إلى بياض وأبيضه يعود إلى سواد

أخذا هذا من قول المستوغر بن ربيعة حين دخل على معاوية وهو ابن ثلثمائة سنة فقال كيف تجدك يامستوغر قال أجدنى قدلان منى ماكنت أحب أن يشتض منى ماكنت أحب أن يسود

يَعشُو إلى نَارِ الْهوَى بَعْدَمَا ... أَصْبحَ مِنْ ضَعْفِ القُوى يَرْتَعِشْ
وَيَمتَطِى اللَّهوَ وَيَعْتَدُّهُ ... أَوْطَأَ مَا يَفْتَرِشُ المفتَرِشْ
لَمْ يَهبِ الشَّيْبَ الذى ما رَأَى ... نُجُومَهُ ذُو اللُّبِّ إلَّا دَهِشْ
ولاَ انْتَهَى عَمَّا نَهَاهُ النُّهَى ... عنهُ ولا بَالَى بِعِرضٍ خُدِشْ
فَذَاكَ إنْ مَاتَ فَسُحقًا له ... وإنْ يَعِشْ عُدَّ كأَنْ لَمْ يَعِشْ
لاَ خَيْرَ فى مَحْيَا امْرِىءٍ نَشْرُه ... كَنَشْرِ مَيْتٍ بعدَ عَشْرٍ نُبِشْ
وحَبَّذَا مَنْ عِرضُهُ طَيِّبٌ ... يَرُوقُ حُسنًا مِثْلُ بُرْدٍ رُقِشْ
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ شَاكَهُ ذَنْبُهُ ... هَلَكْتَ يَا مِسْكِينُ أوْ تَنْتَقِشْ

وقال ابن عبدربه : أطلال لهوك قد أقوت مغانيها ... لم يبق من رسمها إلا أثافيها
هذى المفارق قد قامت شواهدها ... على فنائك والدنيا تزكيها
للدوت سفنجة فيها معنونة ... لم يبق للموت إلا أن يسجيها

(يعشو)أى ينظر ببصر ضعيف (يمتطى) يركب (يعتده) يحسبه (المفترش) المضطجع على الفراش يريدأنه يركب اللهو فيلتذه ويجده وطيئا (يهب) يخف (اللب) العقل (دهش) تحير (انتهى) جمع نهية وهى العقل ينهى عن القبيح وينتهى به إلى حسن الرأى فى الأمور ويقال نهاه عن ذلك نهاه أى عقله وأنشد أبو طاهر السلفى قال أنشدنى القاضى أبو محمد بن الحسن بن نصر بن مرهف النهاوندى قال أنشدنى الأديب المدنى لنفسه فى نفسه :

لى على الناس فضل نظم ونثر ... من أباه هجوته وأباه
وإذا ما أتى صفعت قفاه ... وقفا من أعانه وقفاه
رحم الله من أرداد محالا ... فنهاه عن المحال نهاه

(خدش) أى ذم وسب وأصل الخدش الأثر فى الجلد ثم اتسع فيه فجعل للعرض (سحقا) بعدا (النشر) الريح طيبة كانت أو خبيثة (نبش) أخرج وكل مدفون أخرجته فقد نبشته وأخذا هذا البيت من قول ابن المعتز

تبحث عن آثاره فكأنما ... نبشت عليه بعد ثالثة الدفن

وأخذ هذا من قول عمر بن عبد العزيز لو رأيتنى بعد ثالثة وتقدم فى الحادية عشرة (يروق) يعجب (برد) ثوب (رقش) رقم وزين تقول رقشت يد المرأة بالحناء والحائط بالأصباغ والقرطاس بالمداد وشبه هذا (شاكه ذنبه) يقال شاكه يشوكه إذا دخل فيه شوكة قال الشاعر :

لاينقشن برجل غيرك شوكة ... تبقى برجلك رجل من قدشاكها

فأَخْلِصِ التَّوْبَةَ تَطْمِسْ بِها مِنَ الخطايا السُّودِ مَا قدْ نُقِشْ
وعاشِرِ النَّاسَ بِخُلْقٍ رِضًا ودارِ مَنْ طاشَ وَمَنْ لم يَطِشْ
ورِشْ جَناحَ الحُرِّ إنْ حَصَّهُ زمانُهُ كانَ مَنْ لم يَرِشْ
وَأَنجِدِ المَوْتُورَ ظُلْماً فإنْ عَجَزْتَ عَنْ إنجادِهِ فاسْتَجِشْ
وانْعَشْ إذَا ناداكَ ذُو كَبْوَةٍ عَساكَ فى الحَشْرِ بهِ تَنْتَعِشْ
وهاكَ كَأسَ النُّصْحِ فاشربْ وَجُدْ بِفَضلَةِ الكأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ

فشاكها أدخل فيها الشوك وشاكته الشوكة دخلت فيه وشكته إذا أدخلت الشوكة فى جسمه فان اصابك الشوك قلت شاكى الشوك يشوكنى شوكا وانتقشت حقى من فلان إذا استخرجته ولم تترك منه شيأ وقال صلى الله عليه وسلم : وإن شيك فلا انتقش ، فشيك اصابه الشوك ومعناه إذا وقع فى شر فلا تخلص منه (تنتقش) تخرج الشوكة وتبحث عليها أو بمعنى إلا والمناقشة البحث والاستقصاء ومنه مناقشة الحساب وبذلك سمى المنقاش وقال ابن الرومى :

إذا رمت بالمنقاش تنف أشاهبى أتيح لها من بينهن الاباهم
يراوغ منقاشى نجوم مصابحى وهن بعينى طالعات نواجم

(تطمس) تمحو (نقش) كتب والنقش يستعمل فى مثل الخشب والحائط والصخر والنقش الفتح والتأثير فى نفس المنقوش وقال الألبيرى فى معنى هذا البيت :

من ليس يسعى فى الخلاص لنفسه كانت سعايته عليها لا لها
إن الذنوب بتوبة تمحى كما يمحو سجود السهو غفلة من سها

(عاشر) أى صاحب (دار) عامله بما يحب وامض على غرضه (طاش) خف عقله ورجل طياش غير مقتصد فى قوله وهو من طاش السهم إذا لم يصب ووقع على غير قصد ومثله قول أعرابى لبنيه عاشروا الناس معاشرة إذا غبتم حنوا اليكم وإن متم بكوا عليهم وهذا من قول الشاعر :

وأكرم كريما إن أتاك لحاجة لفاقته إن العصاة تروح

وقال الأضبط بن قريع :

لا تهين الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه

(رش الجناح) اكسه الريش والمعنى أصلح حال الحر إذا افتقر (حصه) تنفه (أنجد) قو وأعن (الموتور) المظلوم الذى قتل له أخ أو ولد أو نسيب (استجش) أجمع جيشا والمعنى إذا لم تقدر على اعانة مظلوم فتوسط من بعينه (أنعش) ارفع (كبوة) سقطة وعثرة (تنتعش) ترتفع وتقوم من عثرتك (هاك) خذ والمعنى خذ كأس

قال : فلما فَرَغَ مِنْ مُبْكِيَاتِه ، وَقَضَى إنْشَادَ أَبْيَاتِه ؛ نَهَضَ صَبِيٌّ قد شَدَن ، وأعْرَى البَدَن ، وقال يَاذَوِي الحَصَاة ، والإنْصَاتِ إلى الوَصَاة ، قدْ وَعَيْتُم الإنْشَادَ ، وفَقِهْتُم الإرْشَادَ ؛ فمَنْ نَوَى منكم أنْ يَقْبَل ، ويُصْلِحَ المُسْتَقْبَلَ ؛ فَلْيُبِنْ ببِرِّي عَنْ نِيَّتِه ، وَلَا يَعْدِلْ عَنِّي بِعطيَّتِه ؛ فوَالَّذِي يَعْلَمُ الأَسْرَار ، وَيَغْفِرُ الإِصْرَار ؛ إنَّ سِرِّي لَكَمَا تَرَوْنَ ، وإنَّ وجْهِي لَيَسْتَوْجِبُ الصَّوْن ، فَأَعِينُونِي رُزِقْتُمُ العَوْن؛ قالَ : فَأَخَذَ الشَّيْخُ فِيما يَعطِفُ عليه القُلُوب ، ويُسَنِّي له المَطْلُوب ، حتى أَنْبَطَ حَفْرُه ، واعْشَوْشَبَ قَفْرُه ، فلما أنْ تَرِعَ الكِيس ، انْصَلَتَ يَمِيس ، وبحَمْدِ تَنِيس ؛ ولم يَحْلُ لِلشَّيْخِ المُقَام ، بَعْدَ مَا انْصَاعَ الغُلَام ، فَاسْتَرْفَعَ الأَيْدِي بالدُّعَاء ، ثمَّ نَحَا نَحْوَ الانْكِفَاء

قال الراوي : فارْتَحْتُ إِلَى أنْ أعْجُمَه ، وأحَلَّ مُتَرْجَمَه ، فَتَبِعْتُهُ وهُوَ يَشْتَدُّ فى سَمْتِه ، ولاَ يَفْتُقُ رَتْقَ صَمْتِه ، فلما أمِنَ المُنَاجِي ، وأمْكَنَ التَّنَاجِي ، لَفَتَ جِيدَهُ إلَيَّ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ عَلَيَّ ، ثم قال أرَاقَكَ ذَكَاءُ ذَاكَ الشُّوَيْدِن ، فقلْتُ إيْ والمُؤْمِنِ المُهَيْمِنِ ، قال إنَّهُ فَتَى السَّرُوجِيِّ ، ومُخْرِجَ الدُّرِّ مِنَ

النصيحة فاشربها فاذا رويت فاسق غيرك ولا يقال كأس الا إذاكان فيها شراب (قضى) أى أتم (نهض) قام وتقدم (شدن) اشتد وقوى وأصله فى الظبي والصبى تقول شدن الظبي اذا اشتد وترعرع وكذلك الصبى قال عمر بن أبى ربيعة : إذا تستبيك بمقصول عوارضه ومقلتى جؤذر لم يعد أن شدنا

أراد انه ترعرع للمشى والرعى (أعرى البدن) تركه عريانا (ذوى الحصاة) أهل العقول (الانصات) السكوت وحسن الاستماع (الوصاة) بمعنى الوصية كالتقاة بمعنى التقية وأصلها وقية قلبت الواو تاء والياء ألفا والواو إذا انضمت فى اول الكلمة كنت بالخيار إن شئت تركتها وإن شئت قلبتها ولهذا تركت فى الوصاة وقيل الوصاة بفتح الواو فى الوصية وبضمها جمع واص كراع ورعاة (وعيتم) حفظتم (فقهتم) فهمتم (الارشاد) الهداية أى قد فهمتم مادللتم عليه من الخير فافعلوا (نوى) قصد وأضمر وهو من النية وأراد بالمستقبل ما يستقبله من افعاله (فليبن) فليفصح ويبين (ببرى) باكرامى (عن نيته) عن قصده وصدق باطنه (يعدل) يمل (الاصرار) الإقامة على الذنب (سرى لكما ترون) أى هو ظاهر لكم غير مستتر (الصون) الحوطة (فيما يعطف عليه القلوب) يريد أنه اخذ فى كلام تحن به للصبى قلوب الناس (يسنى) يسهل وييسر (انبط) اخرج الماء (الفقر) مالا نبات فيه (اعشوشب) تغطى بالعشب يريد أنه استغنى بعد الفقر وضرب بانبط واعشوشب المثل (ترع) امتلأ (الكيس) وعاء الدراهم (انصلت) تسلل و خرج بسهولة (يميس) يتمايل ويتبختر (انصاع) ذهب مسرعا وانفتل راجعا (استرفع) طلب رفعها (نحا نحو الانكفاء) أى قصد قصد الانصراف (ارتحت) أى اشتهيت وطربت (أعجمه) أخبره (مترجمه) ملتبسه (يشتد) يجرى (سمته) طريقه (يفتق رتق) يشق غلق (صمته) مبهم امره والفتق الخرق والرتق الاغلاق وهو ضده وذلك ان يضم المتخرق بعضه إلى بعض (التناجي) التحادث (لفت جيده) عطف عنقه (البشاشة) الخفة و إبداء السرور (أراقك) اعجبك (ذكاء) حذق والذكاء توقد الذهن (الشويدن) تفضير شادن واراد ابنه (والمؤمن المهيمن) هو الله تعالى والإيمان التصديق

وقال أبو بكر بن العربي . الباري تعالى مؤمن بتصديقة لنفسه بقوله وذلك حقيقة قال الله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو أو بتصديقه لرسله باظهار المعجزة أو لأوليائه باظهار الكرامة او هما مجازان والمهيمن الرقيب الحافظ الكسائي المهيمن الشهيد ، أبو عبيدة: الرقيب وقد هيمن هيمنة ، ابن الانباري: القائم على خلقه: قال الشاعر :

ألا إن خير الناس بعد نبيهم مهيمنه التاليه في العرف والنكر

أي القائم على الناس بعده وأصله مؤيمن فأبدلوا من الهمزة هاء كما قالوا أرقت وهرقت. وفي مثل مدح هذا الغلام بالذكاء قال الفضل بن جعفر

فان خلفته السن فالعقل بالغ به رتبة الكهل المرشح للمجد
فقد كان يحيي أوتي الحكم قبله صبيا وعيسى كلم الناس في المهد

وقال البحتري

لا تنظرن إلى العباس من صغر في السن وانظر إلى المجد الذي شادا
إن النجوم نجوم الجو أحقرها في العين أكثرها في الجو إصعادا

ولما ذكر لهذا الصبي من فصاحة اللسان وبراعة البيان ما ذكر وجب علينا أن نذكر من نوادر الولدان فصلا كافيا يؤنس بما ذكر لئلا نخل بما شرطناه ، فقد تروى للولدان نوادر ربما عجزت عنها الكهول ذوو البصائر . . . حكى الخطابي أنه قدم على عمر بن عبد العزيز وفد فيهم شاب فتحوس للكلام فقال عمر كبروا كبروا أي ليتكلم الكبراء منكم فقال الغلام يا أمير المؤمنين لو كان بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك قال عمر صدقت تكلم ، فتحوس : فتهيأ للكلام ، وفي رواية قدم وفد الحجاز على عمر فقدموا غلاما منهم للكلام فقال عمر مهلا ليتكلم من هو احسن منك فقال مهلا يا أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الحلية قال تكلم قال نحن وفود الشكر لا وفود المرزئة لم تقدمنا اليك رغبة ولا رهبة لأنا أمنا في زمانك ماخفنا وأدركنا ما طلبنا ، ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعهم وهو غلام صغير فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان درحتك أفتأذن لي في الكلام قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال أمتعنا الله بحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أقصانا وأدنانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا ويقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا هذا مقام العائذ بظلك الهارب إلى كنفك وفضلك الفقير إلى رحمتك وعدلك ثم سأل حوائجه فقضاها . . وقحطت البادية أيام هشام بن عبد الملك فوفد عليه رؤوس القبائل فجلس لهم وفيهم صبي ابن اربع عشرة سنة يسمى درواس بن حبيب في رأسه ذؤابة وعليه بردة يمانية فاستصغره هشام وقال لحاجبه ما يشاء احد ان يصل الينا إلا وصل حتى الصبيان فقال درواس يا أمير المؤمنين ان دخولي لم يخل بك ولا انتقصك ولكنه شرفني وإن هؤلاء قدموا لأمر فهابوك دونه وإن الكلام نشر والسكوت طي لا يعرف إلا بنشره فأعجبه كلامه وقال انشر لا أم لك فقال انا أصابتنا سنون ثلاثة فسنة أكلت اللحم وسنة أذابت الشحم وسنة أبقت العظم وفي ايديكم فضول أموال فان كانت لله عز وجل ففرقوها على عباده وان كانت لهم فلا تحتسبوها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين ولا يضيع اجر المحسنين وان الوالي من الرعية كالروح من الجسد لا حياة له الا به فقال هشام ماترك الغلام في واحدة

من الثلاث عذرا وأمر بمائة ألف دينار ففرقت فى أهل البادية وأمر له بمائة ألف درهم فقال اردها فى جائزة العرب فمالى حاجة فى خاصة نفسى دون عامة المسلمين . أحمد بن يحيى حدثنى السدرى أن نميرا غزت حنيفة فغنمت وتبعتهم حنيفة فهزموهم وردوا غنائمهم فلقيت غلاما منهم فقلت كيف صنع قومك فقال تبعوهم والله وقد أحقبوا كل جمالية خيفانة فما زالوا يخصفون أخفاف المطى بحوافر الخيل حتى لحقوهم بعد ثالثة فجعلوا المران أرشية الموت فاستقوا بها أرواحهم وهذا كلام فصيح كثير الاستعاره ، احقبوا أردفوا بمواضع الحقيقة والجمالية المرأة الجميلة وخصف خرز وتشبيه المران وهى الارماح بالارشية وهى الحبال حسن . . وجلس خالد القسرى يوما للشعراء على الفرات فأنشدوه وأخذوا الجوائز وانصرفوا ولم يبق إلا غلام فقال خالد ياغلام أشاعر أنت قال لا ولكنى متعلم وقد قلت شيأ قال هات فأنشأ يقول

ألا هل ترى موج الفرات كأنه جبال سرور قد أتينك عوما

وما ذاك من عادته غير أنه رأى شيمة من جاره فتعلما

وكان بقى على البساط فضلة ماله فقال له خالد اطو البساط بما عليه فأخذه الغلام بما عليه ، ورأى بعض الملوك غلاما يسوق حمارا وهو يعنف عليه فقال ارفق ياغلام فقال أيها الملك فى الرفق مضرة عليه قال وما مضرته قال يطول طريقه ويشتد جوعه وفى العنف عليه إحسان اليه يخف حمله ويطول أكله فأعجب به وقال قد أمرت لك بألف درهم قال رزق مقدور وواهب مأجور قال وامرت باثبات اسمك فى حشمى قال كفيت مؤونة ورزقت بها معونة قال لولا صغرك لا ستوزرتك قال لم يعدم الفضل من رزق العقل قال أفتصلح لذلك قال انما يكون الحمد أو الذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها فاستوزره فوجده ذا رأى صائب دخل الفرزدق وهو غلام يافع على سعيد بن العاص وقد أنشد اشعارا والحطيئة حاضر فأنشده :

ترى الغر الجحاجح من قريش اذا ما الأمر فى الحدثان آلا

قياما ينظرون الى سعيد كأنهم يرون به الهلالا

فقال الحطيئة هذا والله الشعر لاما تعلل به نفسك هذا اليوم ياغلام أدركت من قبلك وسبقت من بعدك وإن طال عمرك لتبرزن ثم قال له هل أنجدت أمك ياغلام قال لا بل أنجد أبى ، فوجده لقنا حاضر الجواب فأعجبه وكان للفرزدق نديم يسمى زيادا الا قطع فأتى بابه فخرجت له بنية له صغيرة اسمها مكية فقال لها ابنة من أنت قالت ابنة الفرزدق قال فما بالك حبشية قالت فما بال يدك مقطوعة قال فى حرب الحروبية قالت بل قطعت فى اللصوصية فقال عليك وعلى أبيك لعنة الله ثم أخبر الفرزدق بالخبر فقال أشهد أنها ابنتى حقا ثم قال

سام إذا ماكنت ذا حمية بدارمى امه صفية صمحمح مثل أبى مكية

وقرع باب عدى بن الرقاع جماعة من الشعراء فخرجت اليهم بنية صغيرة فقالت ماتريدون من أبى فقالوا جئنا لنهاجيه فقالت :

تجمعتم من كل أوب ووجهة على واحد لازلتم قرن واحد

فأفحمتهم ورجعوا بأخرى حالة ، وقال معاوية لعمرو بن سعيد وهو صغير إلى من أوصى بك ابوك فقال إن ابى اوصى إلى ولم يوص بى ، اخذه بعضهم فقال

وكنت النجيب لدى ناجلى فأوصى إلى ولم يوص بى

قال يحيى بن يزيد استنشدت غلاما فأنشدنى أرجوزة فقلت لمن هذه فقال لى فزجرته فأنشأ يقول :

إنى وإن كنت صغير السن وكان فى العين نبو عنى
فان شيطانى أمير الجن يذهب بى فى القول كل فن

الأصمعى رحمه الله: قال وقف على غلام بحمى ضرية من ماظننته يجمع بين كلمتين فقلت له ما اسمك قال حريقيص فقلت له ما كفى أهلك أن سموك حرقوصا حتى صغروا اسمك فقال إن السقط ليحرق الحرجة فعجبت من جوابه فقلت أتنشد شيئا من أشعار قومك قال نعم أنشد لمرارنا :

سكنوا شبيثا والاحص فاصبحت نزلت منازلهم بنو ذبيان
وإذا يقال أبنتم لم يبرحوا حتى تقيم الخيل سوق طعان
إذا فلان مات عن أكرومة رفعوا معاوز فقده لفلان

قال فكادت الأرض تسوخ لحسن إنشاده وجودة الشعر فحدثت الرشيد فقال : وددت يا أصمعى لو رأيت هذا الغلام فكنت أبلغه أعلى المراتب فهذا الغلام سمى بحقير مصغر وهو فى معناه جليل معظم . وينظر إلى هذا من باب الضد ما حدث أبو العباس عن الرياشى عن الأصمعى قال مر بنا أعرابى وهو ينشد ابا له فقلت له صفه فقال ديمرى فقلنا لم نره فلم نلبث أن جاء بجعل على عنقه فقلنا له لو سألت عن هذا لأرشدناك ما زال هذا اليوم بين أيدينا . الأصمعى : قيل لأبى المخش أما كان لك ابن فقال المخش قيل وما كان المخش قال أشدق خرطانيا إذا تكلم سال لعابه كأنما ينظر من فلسين وكأن ترقوته بوان أو خالفة وكأن مشاش منكبيه كركرة جمل فقأ الله عينى هاتين إن كنت رأيت أحسن منه قبله أو بعده وأنشد :

نعم ضجيع الفتى إذا برد الليل سحيرا وقرقف الصرد
زينها الله فى الفؤاد كما زين فى عين والد ولد

وقال أبو المخش : كانت لى ابنة تجلس معى على المائدة فتبرز كفا كأنها طلعة فى ذراع كأنها جمارة فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خصتنى بها فزوجتها وصار يجلس معى على المائدة ابن لى فيبرز كفا كأنها الكرنافة فى ذراع كأنها سباطة فلا تقع عينى على أكلة نفيسة إلا سبقت يده اليها قبلى ، المخش الذى ينخش فى القوم يدخل معهم وهم يأكلون ، وأراد بمثل الفلسين عور عينيه وقيل حفرتهما ، خرطانيا طويل الأنف وسيلان اللعاب يدل على قوة النفس ، البوان عمود فى مقدم البيت والكرنافة طرف الكرب العريض المتصل بالنخلة كأنها كتف . اليزيدى : أول ما ظهر من نجابة المأمون وسداده أنى كنت أؤدبه فوجهت اليه يوما ليخرج فابطأ فقلت لسعيد الجوهرى وهو فى حجره إن هذا الفتى قد اشتغل بالبطالة فقال سعيد قومه بالأدب فلما خرج ضربته ثلاث درر فانه ليبكى إذا بجعفر بن يحيى قد استأذن عليه فوثب إلى فراشه مسرعا وهو يمسح عينيه فجلس ثم قال ليدخل فدخل فقمت من المجلس وخشيت أن يشكونى إلى جعفر فألقى منه ما أكره فأقبل عليه بوجه طلق وحادثه وضاحكه فلما هم بالحركة قال يا غلام دابته ورجعت فقال ما حملك أن قمت عنا فقلت خفت أن تشكونى اليه فيوبخنى فقال انا لله يا أبا محمد ماكنت أطلع الرشيد على هذا فكيف أطلع جعفرا على أنى

اللُّجِّيّ ، فقلتُ : أشهدُ إنّكَ لشجرةُ ثمرتِه ، وشُواظُ جَمرتِه ، فصدَّقَ كَهانَتي ، واستحسنَ إبانتي ، ثم قال : هَلْ لكَ في ابتدارِ البيتِ ، لِنتنازعَ كأسَ الكُمَيتِ ، فقلتُ له ويحكَ أتأمرونَ الناسَ بالبرِّ وتنسونَ أنفُسَكم فافترَّ افترارَ مُتضاحِكٍ ، ومرَّ غيرَ مُماحِكٍ ، ثمَّ بدا له أن تراجعَ إليَّ ، وقال احفظْها عنِّي وعليَّ :

اصرِفْ بصَرفِ الرّاحِ عنكَ الأسى ... وروِّحِ القلبَ ولا تكتئِبْ
وقُلْ لِمَنْ لامَكَ فيما بِهِ ... تدفعُ عنكَ الهمَّ قدكَ اتّئِبْ

أحتاج إلى أدب يغفر الله لك فكنت أهابه بعد ذلك .. وشكى إلى معلم عبد الرحمن بن حسان بصبيان فضربهم حتى انتهى إلى عبد الرحمن فهدده فقال :

الله يعلم أني كنت معتزلا ... في دار حسان أصطاد اليعاسيبا

فتركه وبلغ حسان فضمه اليه وقال أنت والله ابني حقاً فداك أبي وأمي ودخل عليه يوما يبكي من لسعة زنبور فقال ما يبكيك فقال لسعني طائر كأنه ملتف في بردى حبرة فقال قلت والله يا بني الشعر . وجاءت سكينة بنت الحسين أمها الرباب وهي تبكي فقالت مالك فقالت سريت بي طويرة فلسعتني بأبيرة ويرى مرت بي دبيرة تصغير دبرة وهي النحلة (اللجي) البحر (شواظ) لهب النار (الكهانة) بالكسر حرفة الكاهن وبالفتح فعل الكاهن وهو المصدر والكاهن المخبر بالغيب (افتر) تبسم (متضاحك) مستعمل الضحك (مماحك) لجوج أي مشى غير غاضب (احفظها عني) أي حصلها وعها (علي) أي اكتمها واسترها وقامت الواو مقام تكرير الفعل (اصرف) أزل ونح (صرف الراح) خالص الخمر (الأسى) الحزن (تكتئب) تهتم وتحزن (قدك) حسبك (اتئب) ارتجع وكف وقيل معناه استح يقال منه وأب أو اتاب أي خزى واستحيا والأبة والمؤبة الخزى والحياة والانقباض وأوأبه واستآبه رده بخزى وعار والتاء فيها مبدلة من واو فاصل اتأب أوتاب فابدلت الواو تاء وأدغمت في التاء بعدها وهي من وأب الحافر يئب وأبا إذا انضم وحافر وأب أي خفيف والتوبة مأخوذة من اتأب وقال حبيب :

قدك اتئب أربيت في الغلواء ... كم تعذلون وأنتم سجرائي

فهذا يبين لك موقعها في المقامة ..وعلى قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت برجال ليلة أسرى بي تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم . أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرون قصبهم في نار جهنم فيقال لهم من أنتم فيقولون نحن الذين كنا نأمر بالبر وننسى أنفسنا ، قال أبو العتاهية في منصور بن عمار وكأنه يخاطب واعظ المقامة :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ... إذ عبت منهم أمورا كنت تأتيها
كالملبس الثوب من عرى وعورته ... للناس بادية ما ان يواريها
وأعظم الأمر بعد الشرك تعلمه ... في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها ... منهم ولا تبصر العيب الذى فيها

ومن لزوميات المعرى: رويدك قد خدعت وأنت كهل ... بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيك الصهباء صبحا ... ويشربها على عمد مساء
يقول لكم غدوت بلا كساء ... وفى لذاتها رهن الكساء
إذا فعل الفتى ما عنه ينهى ... فمن جهتين لا جهة أساء

ونذكر هنا من الأبيات الخمريات ما يلتقى على معنى البيتين اللذين أنشدا ، قال الحسن :

ما مثل هذا اليوم فى حسنه ... عطل من لهو ولا ضيعا
هل لك أن تغدو على قهوة ... تسرع فى المرء إذ أسرعا
ما وجد الناس ولا جربوا ... للهم شيئا مثلها مدفعا

وله أيضا : جلبت لأصحابى بهادرة الصبا ... بصفراء من ماء الكروم شمول
إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى ... دعا همه من صدره برحيل

وله : دع ذا فديتك واشربها معتقة ... صفراء تعبق بين الماء والزبد
من كف مختصر الزنار معتدل ... كغصن بان تثنى غير ذى أود
لو كان لومك نصحا كنت أقبله ... لكن لومك محمول على الحسد

وقال الصابى : كوكب الأصباح لاحا ... طالعا والديك صاحا
فاسقنيها قهوة تأ ... سو من الهم جراحا
ذات نشر كنسيم الرو ... ض غب القطر فاحا
يا غلامى ما أرى فيـ ... ـك ولا فيها جناحا

وله من أبيات يصف فيها مجلس شراب :

كأن الكؤوس بأيدى السقاة ... سيوف لها بالدماء احمرار
كأن تسكبها بالزجاج ... حريق لها من حباب شرار
فلما برزن إلى الهم فيه ... ولى بالسرور عليه اقتدار
جرى الضرب مختلفا بيننا ... فمات وعشت وقد نيل ثار

وقال أبو بكر البلوى : ومدام كست الكا ... س من النور وشاحا
ظهرت فى جنح ليل ... فكأن الفجر لاحا
لم يكن وقت صباح ... فحسبناه صباحا

وقال أبو بكر الخالدى: ما عذرنا فى تركنا الأعنابا ... سقط الندى وصفا الهواء وطابا
فادم لذاذة عيشنا بمدامة ... زادت على هرم الزمان شبابا
سفرت وغاب حبابها من لحظها ... فعلا محاسنها فصار نقابا

ولابن المعتز : ونار قدحناها سراعا بسحرة ... متى ما يرق ماء عليها توقد
يجول حباب الماء فى جنباتها ... كما جال دمع فوق خد مورد

ثم قال : أمّا أنا فسأَنطلق ، إلى حَيثُ أصْطَبِحُ وأغْتَبِق ، و إذا كُنتَ لا تصْحَب ؛ وَلا تُلائِمُ مَنْ يَطْرَب ، فَلَسْتُ لِي بِرفيق ، ولا طَريقُكَ لِي بِطَرِيق ، فَخَلِّ سَبيلِي وَنَكِّبْ ، ولا تُنَقِّرْ عَنِّي ولا تُنَقِّب ، ثمَّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلم يُعَقِّب ؛

قال الحارثُ بن هَمام : فالْتَهَبْتُ وَجداً عِنْدَ انطلاقِهِ ، وَوَدِدْتُ لَوْ لم أُلاقِه ؛

(أصطبح) أى أشرب صبوحا وهو شرب الغدو (وأغتبق) أشرب غبوقا وهو شرب العشى (تلائم) توافق (نكب) تنح عن طريقى واجعله لجهة منكبه (تنقر وتنقب) تبحث وتفتش وقد نقرت عن الأمر إذا طلبت علم باطنه وتثبت عنه إذا بحثت عليه بظنك حتى تستخرج سره وفلان نقاب أى فطن ذكى يحدث بالغائب والتنقيب فى البلاد تطلع أحوال أهلها وتخريب أمورهم (ولى) أدبر وترك طريقه الذى كان يستقبله (يعقب) ينظر (الوجد) الحزن (التهبت) اشتعلت (وددت) تمنيت . . . وبما قيل فى ترك الوداع :

صدنى عن حلاوة التشييع اجتنابى مرارة التوديع
لا يفى انس ذا بوحشة هذا فرأيت الصواب ترك الجميع

المقامة الثانية والاربعون النجرانية

حَكَى الحارث بن همام قال: ترامَتْ بى مَرامى النَّوَى، ومَسَارِى الهوَى، إلى أنْ صِرتَ ابنَ كلِّ تُربَة، وأخا كلِّ غُربَة، إلَّا أنّى لم أكُنْ أقطَعُ وادِيا، ولا أشهَدُ نادِيا، إلَّا لاقتباسِ الأدبِ المُسْلِى عَنِ الاشجَانِ، المُغْلِى قِيمَةَ الإنسان، حتى عُرِفَتْ لى هذه الشِّنْشِنَة، وتَناقَلتها عَنّى الألسِنَة، وصارَتْ أعلَقَ بى مِنَ الهوَى بِبَنى عُذرَة.

شرح المقامة

(ترامت بى) رمتنى هذه إلى هذه وهذه إلى هذه (المرامى) المواضع التى ترميه (المسارى) مواضع السرى وهو سير الليل وهو جمع مرمى ومسرى ويكون المرمى والمسرى مصدرين (النوى) الغربة والبعد عن الأهل أراد أن أهل البلاد والجهات ترميه؛ بلدة إلى بلدة وجهة إلى جهة فهو أبدا فى الجولان (ابن كل تربة) أى ينسب لكل بلدة لكثرة ما يظهر فيها (ناديا) مجلسا (الاقتباس) الاكتساب (المسلى) المذهب للهم وتسليت عن الهم نسيته (الأشجان) الأحزان وقد تقدم شرح هذه المعانى وتكرر (الشنشنة) الطبيعية (أعلق) الصق (بنو عذرة) قبيلة معروفة من قبائل العرب وهم أولاد عذرة بن سعيد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم بن الحاف ابن قضاعة ..الفنجديهى: عذرة قبيلة من العرب يستلذون مرارة العشق مثل الضرب جبلت المحبة فى طينتهم وجنيت المودة من لينتهم وصار الهوى وصفهم الذى لا ينفك ورهائن قلوبهم من حرارات الشوق لا تفك أستأسر فى العشق أسرا واستأصلهم الحب قهرا وقسرا فنهم من يموت من أوام غرامه ومنهم من يموت بهيام سقامه، ومن مشاهيرهم جميل بن عبد الله بن معمر العذرى صاحب بثينة بنت عبد الله العذرية وعروة بن حزام صاحب عفراء بنت مالك العذريين، وقال سعيد بن عتبة الهمدانى قلت لاعرابى ممن أنت قال من قوم إذا عشقوا ماتوا قلت عذرى قال عذرى ورب الكعبة قلت ومم ذاك قال فى نسائنا صباحة وفى فتياتنا عفة، وسئل إعرابى منهم فقيل له حد الحب عندكم فقال أعين تتلاحظ وألسن تتلافظ وعدات تتقضى وإشارات تدل على السخط والرضا قيل له فالمباضعة قال ذلك طلب الولد، الحب إذا نكح فسد... سفيان بن زياد: قلت لامرأة من عذرة رأيت بها هوى غالبا حتى خفت عليها الموت: ما بال العشق يقتلكم معاشر عذرة من بين أحياء العرب؟ قالت فينا جمال وتعفف فالجمال يحلنا على العفاف به والعفاف يورثنا رقة القلب والعشق يفنى آجالنا وإنا نرى محاجر لا ترونها... أبو عمرو بن العلاء: حدثنى رجل من تميم قال خرجت فى طلب ضالة لى فبينا أنا أذور فى أرض بنى عذرة وأنشدها إذا ببيت منعزل عن البيوت وفى كسره شاب مغمى عليه وعند رأسه عجوز بها بقية جمال ساهية تنظر إليه فسلمت عليها فردت السلام فسألتها عن ضالتى فلم تعلم بها فقلت من هذا الفتى فقالت ابنى فهل لك فى أجر لا مؤونة فيه فقلت والله إنى أحب الاجر وإن رزئت فقالت إن ابنى هذا يهوى ابنة عم له علقها وهما صغيران فلما كبرت خطبها غيره فأخذه شبيه الجنون فخطبها إلى أبيها فمنعه وزوجها غيره فنحل جسمه واصفر

لونه وذهب عقله فلما كان مذ خمس زفت إلى زوجها فهو كما ترى مغمى عليه لا يأكل ولا يشرب فلو نزلت اليه فوعظته قال فنزلت اليه فلم أدع موعظة إلا وعظته بها حتى قلت له إنهن الغوانى صاحبات يوسف الناقضات العهد، وقد قال فيهن كثير :

هل وصل عزة إلا وصل غانية   فى وصل غانية من وصلها خلف

قال فرفع رأسه محمرة عيناه كالمغضب وهو يقول لست ككثير إن كثيرا رجل مائق وأنا وامق ولكنى كأخى تميم حيث يقول :

ألا لا يضر الحب من كان صابرا   ولكن ما اجتاب الفؤاد يضير
ألا قاتل الله الهوى كيف قادنى   كما قيد مغلول اليدين أسير

فقلت له : فانه قد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بى ، فأنشأ يقول:

ألا ما للمليحة لم تعدنى   أبخل بالمليحة أم صدود
مرضت فعادنى أهلى جميعا   فمالك لم ترى فيمن يعود
فقدتك بينهم فبكيت شوقا   وفقد الالف يا أملى شديد
وما استبطأت غيرك فاعلميه   وحولى من ذوى رحمى عديد
ولو كنت المريض لكنت أسعى   اليك وما يهددنى الوعيد

ثم شهق شهقة وخفت خفتة فداخلنى أمر ما داخلنى مثله قط والعجوز تبكى فلما رأت ما حل بى قالت: يافتى لا ترع مات والله ولدى بأجله واستراح من تباريحه وغصصه فهل لك فى استكمال الصنيعة؟ قلت قولى ما أحببت قالت تأتى البيوت فتنعاه اليهم ليعاونونى على رمسه فانى وحيدة فركبت فرسى وأتيت البيوت رافعا صوتى بنعيه فلم ألبث أن خرجت لى جارية أجمل ما رأيت من النساء ناشرة شعرها حديثة عهد بعرس تقول بفيك الحجر المصمت من تنعى ؟ قلت أنعى فلانا قالت أو قد مات؟ قلت إى والله قد مات ، قالت : فهل سمعت له قولا قلت اللهم شعرا قالت وما هو فأنشدتها أبياته فاستعبرت وأنشأت تقول ؛

عدانى أن أزورك يامرادى   معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهى   وعابونا وما فيهم رشيد
فأما إذ ثويت اليوم لحدا   وكل الناس دورهم لحود
فلا طابت لى الدنيا فراقا   ولا لهم ولا اثرى العديد

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشيا عليها ، وخرجت النساء من البيوت فاضطربت ساعة وماتت ، فو الله مابرحت حتى دفنتهما جميعا ، هشام بن عروة : اذن معاوية للناس يوما فكان فيمن دخل عليه فتى من بنى عذرة فقام بين السماطين وانشأ يقول :

اتيتك لما ضاق فى الأرض مسلكى   وأنكرت مما قد اصبت به عقلى
ففرج كلاك الله عنى فاننى   لقيت الذى لم يلقه احد قبلى
وخذ لى هداك الله حق من الذى   رمانى بسهم كان اهونه قتلى

وكنت أرجى عدله إذ أتيته ... فأكثر تردادى مع الحبس والكبل
فطلقتها من جهد ماقد أصابنى ... فهل ذا أمير المؤمنين من العدل

فقال له معاوية : أدن بارك الله عليك ماخطبك ؟ قال أطال الله بقاء أمير المؤمنين إنى رجل من بنى عذرة تزوجت ابنة عم لى وكانت لى صرمة من الابل وشويهات فأنفقت ذلك عليها فلما أصابتنى نائبات الزمان وحادثات الدهر رغب عنى أبوها وكانت جارية منها الحياء والكرم فكرهت مخالفة أبيها فأتيت عاملك عبدالرحمن بن أم الحكم فذكرت ذلك له وبلغه جمالها فاعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوجها وأخذنى فحبسنى وضيق على فلما أصابنى مس الحديد وألم العذاب طلقتها وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحروب ومعيد المسلوب فهل من فرج ؟ ثم بكى وهو يقول :

فى القلب منى نار ... والنار فيها شرار
وفى فؤادى جمر ... والجمر فيه احمرار
والجسم منى نحيل ... واللون فيه اصفرار
والعين تبكى بشجو ... فدمعهـــا مدرار
والحب داء عسير ... فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيما ... فما عليه اصطبار
فليس ليلى ليلا ... ولا نهارى نهار

فرق معاوية له وكتب إلى ابن أم الحكم كتابا غليظا وفى آخره :

ركبت أمرا عظيما لست أعرفه ... استغفر الله من جور امرىء زانى
قد كنت تشبه صوفيا له كتب ... من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتانى الفتى العذرى منتحبا ... يشكو إلى بحق غير بهتان
أعطى الإله عهودا لا أخيس بها ... أولا فبرئت من دينى وإيمانى
إن أنت راجعتنى فيما كتبت به ... لأجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع ... وأشهد على ذاك نصرا وابن ظبيان
فما سمعت كما حدثت من عجب ... ولا فعالك حقا فعل إنسان

فلما ورد الكتاب على ابن أم الحكم تنفس الصعداء وقال وددت لو أن أمير المؤمنين خلى بينى وبينها سنة ثم عرض على السيف وجعل يؤامر نفسه فى طلاقها فلم يقدر فلما أزعجه الوفد طلقها ثم قال ياسعاد اخرجى فخرجت شكلة غنجة ذات هيئة وجمال فلما رآها الوفد قالوا ماتصلح هذه إلا لأمير المؤمنين لا للإعرابى ؛ وكتب الجواب:

لا تحنثن أمير المؤمنين وفى ... بعهدك اليوم فى رفق وإحسان
فما ركبت حراما حين أعجبنى ... فكيف سميت باسم الخائن الزانى
فسوف تأتيك شمس لاخفاء بها ... أبهى البرية من إنس ومن جان
حوراء يقصر عنها الوصف إذا وصفت ... أقول ذلك فى سر وإعلان

فلما وردت على معاوية قال : إن كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهى أكمل البرية فاستنطقهافاذا هى أحسن الناس كلاما وأكملهم شكلا ودلالا فقال ياأعرابى هل من سلوعنها بأفضل الرغبة ؟ قال نعم إذا فرقت بين رأسى وجسدى ، ثم أنشأ يقول .

لاتجعلنى والأمثال تضرب بى ... كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب ... يمسى ويصبح فى هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق ... وأسعر القلب منه أى اسعار
والله والله لا أنسى محبتها ... حتى أغيب فى رمس وأحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها ... وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية غضبا شديدا ثم قال لها اختارى من شئت أنا وابن أم الحكم أو الأعرابى فأنشأت تقول :

هذا وإن أصبح فى أطمار ... أو كان فى بعض من اليسار
أكبر عندى من أبى وجارى ... وصاحب الدرهم والدينار ... أخشى إذا غدرت حر النار

فقال له معاوية خذها لابارك الله لك فيها فأخذها وأنشأ يقول :

خلوا عن الطريق للاعرابى ... ألم ترقوا ويحكم لما بى

فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم وأدخلت لبعض قصوره حتى انقضت عدتها من ابن أم الحكم ثم دفعها للاعرابى .. وقال بعضهم : كنت سائرا فى بلاد عذرة فولجت بعض أوديتهم وإذا شاب حسن الوجه بيده زمام ناقة عليها هودج مسجف به جارية ومن وراء الناقة خمس قلائص وقدرفع عقيرته ينشد ، ويقول :

ته كيف شئت وسر على مهل ... كل الجمال عليك يا جمل
على أنك لا ترى كلا ... ما دام فوقك هذه الكلل

فسلمت عليه فرد وسألته وسألنى وتناشدنا واتصل الأنس بيننا وسرنا غير قليل فرأى قانصا فى أحبولته ظبى فلما رآه يضطرب فى الأحبولة أجهش بالبكاء وأنشأ يقول :

وذكرنى من لا أبوح بحبه ... محاجر ظبى فى حبالة قانص
فقلت وجفن العين يجرى بعبرة ... ولحظى إلى عينيه لحظة شاخص
ألا أيهذا القانص الظبى خله ... وخذ عوضاً منه جياد قلائصى
خف الله لاتحبسه إن شبيهه ... حياتى قد أرعدت منه فرائصى

فقال القانص : الله إن فعلت قال الله فأرسل الظبى واستاق القلائص .. وحدث رجل من بنى عذرة قال : كان فينا فتى ظريف غزل كثيرا مايتحدث إلى النساء فهوى جارية من الحى فراسلها فأظهرت له جفوة فوقع مضنى مدنفا وظهر أمره وتبين دنفه ولم يزل النساء من أهلها وأهله يكلمنها فيه حتى أجابت فسارت إليه عائدة ومسلمة فلما نظر إليها تحدرت عيناه بالدموع وأنشأ يقول :

أريتك ان مرت عليك جنازتى ... تروح بها أيد طوال وتسرع
أما تتبعين النعش حتى تسلمي ... على رمس ميت بالحفيرة يودع

والشَّجاعَةِ بآلِ أَبي صفرَة :

فبكت رحمة وقالت والله ماظننت أن الأمر بلغ بك هذا فوالله لأساعدنك ولأداومن على وصالك فهملت عيناه بالدموع وأنشأ يقول :

دنت وظلال الموت بيني وبينها ومنت بوصل حيث لاينفع الوصل

ثم شهق شهقة فخرجت نفسه قال فوقعت عليه تلثمه ثم رجعت عنه مغشيا عليها فما مكثت بعده إلا أياما حتى ماتت .. قال حماد الراوية : انصرفت من جنازة لبعض السكاسك فاذا بصبي من عذرة ظريف حسن الوجه صغير السن موصوف بقول الشعر فوقفنا فسلمنا فقام إعظاما لنا فقلت أنشدنا شيئا فكأنه استحيا فقلت له لابد فأنشدنا :

هل من الحب مجير من ملاح يعتدونا
قد شكونا بخضوع عذل قوم يعذلونا
فى جوى نلقاه ممن لا يبالى مالقينا
وبكينـا بدموع أغرقت منا الجفونا

قال حماد فكدت أرقص طربا وقلت فداؤك عمك وجلسنا إليه تعجبا من رقته وجماله وفصاحته فأنشدنا :

ولقد أرسلت دمعى شاهدا ثم صيرت إليها المشتكى
فتوات ثم قالت شغلى كل من شاء تبكى فبكى

قال حماد قلت له فديتك تحب هذه الجارية قال ياعم والحب عيب إن كان عتبا تركته ، ثم قال يا عم إذا قرأت أو بلغنى أحاديث قومى مثل عروة وجميل أفلا أشتهى أن أكون واحد منهم فانصرفنا عنه متعجبين

(والشجاعة بآل أبى صفرة) أبو صفرة هو ظالم بن سراقة بن كندى بن عمرو بن عدى ويتصل بعمرو مزيقيا ثم بازد دبا وازد دبا مابين عمان والبحرين وكانوا أسلموا ثم ارتدوا فى خلافة أبى بكر فبعث إليهم أبو بكر عكرمة بن أبى جهل فقاتلهم وسبى ذراريهم وبعث بهم إلى أبى بكر وأبو صفرة غلام فحبسهم أبو بكر فلما فى أطلقهم عمر فنزل أبو صفرة البصرة فشرف بها وروى بعضهم أن أبا صفرة طلب من عمر أن يوليه عملا فسأله عن أسمه فقال ظالم بن سراق فقال تظلم أنت ويسرق أبوك ولم يوله عملا تطيرا باسمه ، والمهلبية تزعم أن أبا صفرة قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وعليه حلة صفراء يسحبها خلفه ذراعين وله طول ومنظر وفصاحة فأعجب النبى صلى الله عليه وسلم ما رأى من جماله وخلقه فقال له من أنت قال أنا قاطع بن سارق من ابن ظالم بن عمرو بن شهاب بن مرة بن الهلقام بن الجلندى بن المستكبر بن الجلندى الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنت أبو صفرة ودع عنك ظالما وسارقا فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسوله حقا إن لى لثمانية عشر ذكرا ورزقت بآخرهم بنتا سميتها صفرة ، وأما أولاد أبى صفرة فكانوا كتابا شجعانا أبطالا حماة منهم أبو سعيد المهلب . وذكروا أن أبا صفرة وفد على عمر رضى الله عنه ومعه عشرة ولده والمهلب أصغرهم فتوسمهم عمر ثم قال هذا سيد ولدك ... والمهلب هو صاحب حروب الأزارقة وولاه عبد الملك خراسان بعد الأزارقة سنة تسع وسبعين ومات سنة ثلاث وثمانين واستخلف يزيد ابنه عليها فأقره عبد الملك عليها سنتين أو ثلاثا ، وغزا يزيد جرجان فى خلافة سليمان بن عبد الملك سنة سبع وتسعين

فى ثلاثين ألف مقاتل فقاتلهم أشهرا ثم صالحهم على أن يعطوا خمسمائة ألف درهم كل عام يؤدونها إليه، ثم غزا سنة ثمان وتسعين طبرستان فصالحهم على سبعمائة ألف درهم أربعمائه وقر زعفران وأربعمائة رجل مع كل رجل برنس وطيلسان وخاتم فضة وسرقة حرير وكسوة فقبل ذلك وانصرف عنهم ، ثم غدر أهل جرجان بمن خلف عليهم من المسلمين فقتلوهم فلما فرغ من طبرستان سار إليهم فقاتلهم شهرا ثم نزلوا على حكمه فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وصلبهم فرسخين وقادمنهم اثنى عشر ألفا إلى وادى جرجان فقتلهم وأجرى الماء فى الوادى على الدم وعليه ارحاء بدمائهم تطحن واختبز وأكل وكان قد حلف على ذلك . الأصمعى : قبض الحجاج على يزيد وأخذ يسومه العذاب فسأله أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم فكان دأبه أنه إذا أداها تركه وإلا عذبه إلى الليل فجمع يوما مائة ألف درهم يشترى بها عذابه فدخل عليه الأخطل ، فأنشده :

أبا خالد بادت خرسان بعدكم وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما سقى المروان بعدك قطرة ولا أخضر بالمرو ين بعدك عود
وما لسرير بعد ملكك بهجة ولا لجواد بعد جودك جود

فأعطاه المائة الألف فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال يامروزى أكل هذا الكرم وأنت بهذه الحالة قدوهبت لك عذاب اليوم ومابعده . ابن عبد الحكم : اخبرنا الشافعى قال طعن يزيد بن المهلب رجلا من الخوارج فصرعه فوثب الخارجى بالسيف وهو يقول :

وإنا لقوم لا نعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الدم حتى يحسب الورد أشقرا
وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحا ولا مستنكر أن تعقرا

قال يزيد فكرهت أن أقتل مثله فانصرفت عنه وقتل يزيد يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة وهو ابن سبع وأربعين سنة ، وقيل للمهلب بم نلت ما نلت قال بطاعة الحزم وعصيان الهوى ، وقيل لأبى إسحق الهمدانى : لم رويت عن المهلب قال لأنى لم أر أميرا أبين منه تقية ولا أشجع منه ولا أبعد مما يكره ولا أقرب مما يحب ؛ ومر المهلب بقوم فعظموه وسودوه فقال رجل : الهذا الأعور تسودون والله لو خرج إلى السوق مازادت قيمته على ألفى درهم فسمعه المهلب فقال لبعض من معه أتعرف الرجل قال نعم فلما انتهى إلى مجلسه أرسل إليه بألفى درهم فقال له لو زدتنا فى القيمة لزدناك فى العطية فخجل الرجل وعرف منزلته ؛ وللمهلب وبنيه وإخوته فى حروب الأزارقة مشاهد ماشوهدت قط فى جاهلية ولا إسلام وقتل المهلب وأولاده واخوته ومن معه من الأزارقة فى ليلة واحدة أربع آلاف وثمانمائة وانهزم بقيتهم مع قطرى فنفاهم إلى أقاصى البلاد حتى قتل قطرى ومن معه ؛ وسئل المهلب عن ابنيه أيهما أشجع أيزيد أم حبيب فقال إن الولد ربما سبق رأى أبيه فيه وقطرى قد مارسهما فسلوه عنهما فلما كان من الغد واصطفوا للقتال صاح رجل يا أبا نعامة فقال افرجوا له ثم قال قد سمعت فقل فقال إنا سألنا الأمير عن ابنيه يزيد وحبيب أيهما أشجع فقال سلوا أبا نعامة فقال على الخبير سقطت أما صاحب الكر والفر والأقدام والأحجام وصحة التدبير ومبارزة الكمى المدجج فالحرون يزيد وأما إذا التقت غياطيل الليل وخفتت الأصوات إلا الغماغم وقرع الحديد بالحديد فالخيار حبيب . الغيطلة : التباس الظلام ؛ وخفتت سكنت

والغمغمة أصوات الأبطال فى القتال . . . وسأل الحجاج كعب بن معدان الأشعرى حين وفد عليه بالفتح فقال له : أخبرنى عن بنى المهلب فقال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة وما يستحى الشجاع أن يفر من مدرك وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت ذعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة ، فقال كيف كانوا فى البأس قال حماة السرج نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها ، وحين وفد المهلب على الحجاج أجلسه إلى جانبه وأظهر إكرامه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال له أنت والله كما قال لقيط الأيادى :

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لامترفا إن رخاء الأمر ساعده ... ولا إذا عض مكروه به خشعا
مازال يحلب هذا الدهر اشطره ... يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مرارته ... مستحكم الرأى لاقحما ولا ضرعا

فقام رجل وقال اصلح الله الأمير والله لكأنى اسمع الساعة قطريا يقول : المهلب كما قال لقيط الأيادى وانشد الأبيات ، فامتلأ الحجاج سرورا وقال له الحجاج اذكر لى الذين ابلوا وصف لى بلاءهم فقدم بنيه وقال والله لو تقدمهم احد فى البلاء لقدمته عليهم ولولا ان اظلمهم لأخرتهم فقال له الحجاج نعم انهم لسيوف من سيوف الله تعالى فى الأرض . . وقال يوما عبد الملك للشعراء تشبهوننى مرة بالأسد الابخر والجبل الأوعر والبحر الاجاج وبالصقر والباز الا قلتم كما قال كعب الاشعرى فى المهلب وبنيه :

براك الله حين براك بحرا ... وفجر منك انهارا غزارا
بنوك السابقون إلى المعالى ... إذا ما اعظم الناس الفخارا
كأنهم نجوم حول بدر ... دجوجى تكمل واستدارا
ملوك ينزلون بكل ثغر ... إذا ما الهام يوم الروع طارا
رزان فى الأمور ترى عليهم ... من الشيخ الشمائل والنجارا
نجوم يهتدى بهم إذا ما ... اخو الغمرات فى الظلماء حارا

وفى ديوان الحماسة :

آل المهلب قوم خولوا شرفا ... ما ناله عربى لا ولا كادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم ... بما احتكمت من الدنيا لما حادا
إن المكارم ارواح يكون لها ... آل المهلب دون الناس اجسادا

ولبعضهم :

إذا كان المهلب من ورائى ... هدا ليلى وقر له فؤادى
ولم اخشن الدنية من اناس ... ولو صالوا بقوة قوم عاد

وتوفى المهلب بفنجديه بصحراء راغول سنة ثلاث وثمانين ، وبعد اربعمائة وثلاثين من وفاته راى بعض علماء فنجديه فى المنام كأن المهلب يقول : الله الله الحقنى قبل ان يأخذنى روذ مرو ـ وهو نهر عظيم يعبر عليه بالسفن ـ وانقلنى إلى بعض مقابر المسلمين وانا مدفون على شاطىء هذا النهر الكبير فى الموضع الفلانى وقد حفر الماء تحت قبرى وقرب ان يأخذنى فلما اصبح الرجل اخذ جماعة من اصحابه معهم المساحى والفؤوس فمضوا إلى ذلك الموضع

فلما أُلقيتُ الجِرانَ بنجْران ، واصطفيتُ بهــا الخُلاّنَ والجيرانَ ، تَخِذتُ أنديتَها مُعتَمَرِى ، ومَوْسِمَ فُكاهتى وسَمَرى ، فكُنتُ أتعهّدُها صَبــاحَ مَساء ، وأظهرُ فيها عَلَى ماسُرَّ وساء ، فبينَما أنا فى نادٍ مَحْشود ، ومَحفلٍ مَشهود ، إذ جَثَمَ لَدينَاهم ، عَليه هِدْم ، فحَيّــا تحيَّةَ مَلِق ، بلِسانٍ ذَلِق ، ثم قال يابُدُورَ المحافِل ، و بُحُورَ النَّوافِل ، قد بَيَّنَ الصُّبحُ لِذى عينَيْن ، وناب العِيانُ مَنابَ عَدْلَيْن ، فماذا تَرَوْنَ فيما تَرَوْن ، أتُحسِنُونَ العَوْن ، أمْ تَنأَوْنَ إذ تُدْعَوْن ، فقالوا تاللهِ لقــدْ غِظْتَ ، ورُمْتَ أن تُنبِط فغِضْتَ ، فناشَدَهُمُ اللهَ عَمّا ذا صَدَّهم ، حتى استَوْجَبَ رَدَّهم ، فقــالوا كُنّا نَتَناضَلُ بالألغاز ، كما يُتَناضَلُ يومَ البِراز ، فما تَمالَكَ أنْ شَعَّثَ مِنَ المَنضُول ، وأَلحقَ هذا الفَضْلَ بِنَمَطِ الفُضُول ، فلَسَنَتْهُ لُسْنُ القَوْم ، ووَخَزُوهُ بأسِنَّةِ اللَّوْم ، وأخذَ هو يَتَنصَّلُ مِنْ هَفْوَتِه ، ويَتَندَّمُ

وحفروا حتى وصلوا إلى قالبه فكشفوا التراب عنه فكانت عظامه ما بليت بعد فدفنوه بمقبرة مدونة ، قال الفنجديهى : وهى محلتنا وسمعت معنى هذه الحكاية من والدى رحمه الله (بنجران) بلد من كور نجد مما يلى بلاد اليمن سميت بنجران بن زيد بن سبا (اصطفيت) اخترت (الخلان) الاصحاب (تخذت) بمعنى اتخذت (أنديتها) مجالسها ومجتمع أهلها (معتمرى) موضع زيارتى واعتمرت الموضع قصدته وزرته (موسم) عيد (فكاهتى) ممازحتى (سمرى) حديثى بالليل (أتعدها) أتفقدها (صباح مساء) اسمان مركبان جعلا كخمسة عشر واراد يزورها فى الصباح والمساء (ناد محشود) مجلس مجموع الأهل ومثله المحفل المشهود (جثم) برك (هم) شيخ هرم وقد أذهب الكبر قوته ولحمه وتقول همت الشحم أذبته ومنه قولهم هذا الأمر لايهمنى بفتح الياء وكسر الهاء أى لايذيبنى ومن قال بضم الياء فمعناه لايقلقنى (هدم) ثوب خلق كأنه هدمه البلى (ملق) متلطف فى كلامه (ذلق) حديد (النوافل) العطايا (بين الصبح لذى عينين) مثل ويريد أن الليل يتساوى فى ظلمته الأعمى والصحيح فاذا ظهر ضوء الصبح أبصر الأشياء من له بصر وقيل معنى بين الصبح اى تبين (العيان) المشاهدة وعاينته شاهدته أى أنتم ممن لايخفى عليكم حالى يريد أن المعاينة تغنى عن الشهود العدول (فماذا ترون) فما رأيكم وهى من رؤية القلب (فيما ترون) أى فيما تنظرون وتبصرون وهو من رؤية البصر ، وقال الفنجديهى فى شرحه : فما ترون أى فما تظنون فيما ترون أى فيما تبصرون (تنأون) تبعدون (غظت) من الغيظ أى لقد حركت غيظا (رمت أن تنبط) اردت أن تخرج ماء (غضت) غيبته وجففته والغيض نقيض الفيض وغاض الماء ذهب فى الأرض (ناشدهم) حلفهم (صدهم) صرفهم وازالهم (نتناضل) نترامى (البراز) القتال (الالغاز) جمع لغز وهو الكلام المعمى واألغز إذا عمى كلامه فلم يفهم مايقصده واصله من اللغز وهو الحجر الملوى (ماتمالك) ما أبطأ ولا ملك نفسه (شعث) عبر ويروى شعب (من المنضول) أى نقصه وفرقه والمنضول المرمى أى قبح فعلهم ومراماتهم .. الفنجديهى : شعث الدهر ماله أى أخذه والمنضول المغلوب فى النضال ، والمعنى فما صبر عن تشعيث هم المغلوب ونصره وتخليصه مما أرتج عليه من اللغز ويقال شعث منه أى عابه وتنقصه وكأنه عاب المنضول كيف ارتج عليه شيء سهل ، وهذا تفسير حسن إلا أن مساق كلام الحريرى أدل على التفسير الأول (نمط) نوع (لسنه) أخذه بلسانه (لسن القوم) فصحاؤهم (وخزوه) طعنوه (يتنصل) يتبرأ ويعتذر (هفوته) سقطته (فوهته) كلمته التى

عَلَى فُوهَتِه ، وَهُمْ مُضِبُّونَ عَلَى مُؤَاخَذَتِه ، وَمُلَبُّونَ دَاعِىَ مُنَابَذَتِه ، إِلَى أَنْ قال لَهُمْ يَا قَوْمِ إِنَّ الاحْتِمَالَ مِنْ كَرَمِ الطَّبْعِ ، فَعَدُّوا عَنِ اللَّذْعِ وَالقَذْعِ ، ثُمَّ هَلُمَّ إِلَى أَنْ نُلْغِزَ ونُحَكِّمَ المُبْرِزَ ؛ فَسَكَنَ عِنْدَ ذَلِكَ تَوَقُّدُهُم ، وانْحَلَّتْ عُقَدُهُم ، وَرَضُوا بِمَا شَرَطَ عَلَيْهِمْ وَلَهُم ، وَاقْتَرَحُوا أَنْ يَكُونَ أَوَّلَهُم ، فَأَمْسَكَ رَيْثَمَا يُعْقَدُ شِسْعٌ ؛ أَو يُشَدُّ نِسْعٌ ؛ ثم قال اسْمَعُوا وُقِيتُم الطَّيْش ، وَمُلِّيتُمُ العَيْش ، وأَنْشَدَ مُلْغِزًا فى مِرْوَحَة الخَيْش

وَجَارِيَةٍ فى سَيْرِهَا مُشْمَعِلَّةٌ وَلَكِنْ عَلَى إِثْرِ المَسِيرِ قُفُولُهَا
لَهَا سَائِقٌ مِنْ جِنْسِهَا يَسْتَحِثُّهَا عَلَى أَنَّه فى الاحْتِثَاثِ رَسِيلُهَا
تُرَى فى أَوَانِ القَيْظِ تَنْطُفُ بِالنَّدَى وَيَبْدُو إِذَا وَلَّى المَصِيفُ قُحُولُهَا

فاه بها أى نطق (مضبون) مقيمون ملتزمون واضب على الشىء لازمه (مؤاخذته) إنشاب الشر معه وتواخذ الرجلان أخذ كل واحد منهما صاحبه بضرب أو شتم (ملبون) مجيبون (منابذته) متاركته ومهاجرته وقد نبذت الشىء إذا رميته من يدك (الاحتمال) الصبر على الجفاء (عدوا) انصرفوا وتنحوا (اللذع) حراق القلب باللوم والعتب (والقذع) السب (نلغز) نعمى الكلام ونلبسه على السامع (المبرز) الغالب السابق (ريث) أى بطء (شسع) شراكة النعل ... أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لن ينقع شسع أحدكم إلا من ذنب عليه فليستغفر الله وليرجع فانها مصيبة عرضت عليه (والنسع) شراكة مضفورة على هيئة النعال يشد بها الرحل وغيره (وقيتم) كفيتم (الطيش) خفة العقل (مليتم) طول لكم (الخيش) ثياب خشنة من الكتان وهذه المروحة تستعمل ببلاد العراق تكون شبه الشراع للسفينة وتعلق من سقف البيت ويشد فيها حبل ويدار بها مشيها وتبل بالماء وترش بماء الورد فاذا أراد الرجل فى القائلة أو الليل أن ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجىء فيهب ولذلك سماها جارية (مشمعلة) سريعة الذهاب (قفولها) رجوعها (السائق) الشريط الذى يسرقها اذا جذبت به (يستحثها) يستعجلها (من جنسها) أى هو من كتان مثلها أو من قنب الاحتثاث (التعجيل) (رسيلها) أى مرسلها ويرسل معها لزاوية البيت ويرجع معها والرسيل الفرس يرسل مع آخر فى السباق (أوان القيظ) وقت الصيف (تنطف) تقطر ونطف الماء سال وقطر (الندى) الرش الضعيف (قحولها) يبسها (ولى) أدبروإذا ولى الحر لم يحتج اليها فلا ترش ولا تستعمل فتيبس ، وللسرى الموصلى فيها :

ومبثوثة فى كل غرب ومشرق لها أمهات بالعراق بواطن
يحرك أنفاس الرياح حراكها كأن نسيم الروض فيهن كامن

وله أيضاً :

وخيش كما انجرت ذيول غلائل مصندلة يختال فيها الكواعب
وقد أطلعت فيها الشمائل واثنت مقيدة على جانبيها الجوانب

ومما يكتب على مروحة الكف :

أنا فى الكف لطيفة مسكنى قصر الخليفة

ثم قال: وهَاكُمْ يا أُولِى الفَضْلِ، ومَرَاكِزَ العَقْلِ وأنشدَ مُلغِزًا فى حابُولِ النَّخْلِ:

وَمُنْتَسِبٍ إلى أُمٍّ تَنَشَّأَ أَصْلُهُ مِنْهَا
يُعانِقُهَا وقَدْ كَانَتْ نَفَتْهُ بُرْهَةً عَنْهَا
بهِ يَتَوَصَّلُ الجَانِى ولا يُلْحَى ولا يُنْهَى

ثم قال: وَدُونَكُمْ الخَفِيَّةَ العَلَمِ، المُعْتَكِرَةَ الظُّلَمِ، وأنشدَ مُلغِزًا فى القَلَمِ:

ومَأمُومٍ بِهِ عُرِفَ الإمَامُ كما بَاهَتْ بِصُحْبَتِهِ الكِرَامُ
لهُ إِذْ يَرْتَوِى طَيَشَانُ صَادٍ وَيَسْكُنُ حِينَ يَعْرُوهُ الأُوَامُ
وَيُذْرِى حِينَ يُسْتَسْقَى دُمُوعًا يَرُقْنَ كما يَرُوقُ الابْتِسَامُ

وفيها أيضاً:

أنا لا أصلح إلا لظريف أو ظريفة
أو وصيف حسن القد شبيه بالوصيفة
إننى أجلب الريا ح وبى يدفع الخجل
وحجاب إذا الحبيب ثنى الرأس للقبل

(هاكم) أى خذوا (مراكز العقل) مواضعه ومحاله كأن العقل ركز فيهم (الحابول) حبل يصعد به على النخل يعمل من ليفها وهو حبل يعقد حلقة ويدخل فيها الرجل ويدرجه على النخلة شيأ شيأ عند طلوعه حتى يصير بأعلاها وحبل النخل ليس فيه شىء من الملاسة ولا فى النخلة ذلك فله بها استمساك ولذلك جعله معانقالها لأنه استدار بها وقيل له حابول لأنه لا يستعمل إلا للصعود على النخيل فرقا بينه وبين الحبل المستعمل لكل شىء ولما كان يصنع من ليف النخل جعل النخلة أمه (برهة) زمانا (والجانى) الذى يجنى الثمار وألغز به وأوهم أنه الذى يجنى جناية (يلحى) يلام ويسب (العلم) أى الرقم فى الثوب فاراد أنها خفية فى اللغز فعلمها الذى تعرف به خفى (المعتكرة) الشديدة السواد (مأموم) برأسه آمة أى شجة يريد الشق برأسه (الامام) أمير المؤمنين وجعله معروفا بالقلم لأن القلم يبدى أسرار الملك وأخباره فى كتبه وقيل الإمام الكتاب من قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم أى بكتابهم وقيل بنبيهم ولا يمتنع أن يريد بالمأموم المتبع وإمامه الذهن الذى يملى عليه أويد الكاتب به وقيل سماه مأموما لأنه يؤم القرطاس أى يقصده ويتبعه والامام كتاب الله سبحانه وتعالى لأنه يتبع ويؤتم به ويقتدى بما فيه (باهت) افتخرت (الكرام) الكتبة لقوله تعالى بايدى سفرة كرام بررة، ولا مرتبة أشرف من مرتبتهم بعد الأمرة ولذلك قال الصابى:

وقد علم السلطان أنى لسانه وكاتبه الكافى السديد الموفق
أوازره فيما عرا وأمده برأى يريه الشمس والليل أغسق
فيمناى يمناه ولفظى لفظه وعينى له عين بها الدهر يرمق

(طيشان صاد) أى جولان عاطش وطاش خف (يعروه) يقصده (الأوام) العطش يريد أن القلم إذا ارتوى

ثم قال : وعليكم بالواضحة الدَّليل ، الفاضحة ماقيل ، وأنشَدَ مُلغِزاً فى المِيل :

وما ناكِحُ أُختَيْنِ جَهْراً وخفيَةً ولَيْسَ عليهِ فى النِّكاحِ سَبِيلُ
متى يَغْشَ هذِى يَغشَ فى الحال هذه وَإنْ مالَ بَعْلٌ لم تَجِدْهُ يَميلُ
يَزِيدُهما عِندَ المَشِيبِ تَعَهُّداً وبِرًّا وهذا فى البُعولِ قليلُ

ثم قال . وهذه ياأُولى الألباب ، مِعْيار الآداب ، وَأنشَدَ مُلغِزاً فى الدُّولاب :

وجافٍ وهْو مَوْصُولٌ وَصُولٌ لَيْسَ بالجافى

بالمداد أسرع فى الكتابة وإذا جف توقف وأمسك (يرقن) يعجبن ونظر المأمون إلى جارية تكتب فقال :

وزادت لدينا حظوة حين أطرقت وفى اصبعها اسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك ينال جسيما العلا وهو أعجف

وقال العلوى : إذا ما التقينا وانتضينا صوارما يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط فى القرطاس منها بدائع كمثل اللالى نظمها ونثيرها

(الواضحه) اى البينة (الفاضحة) أى المبدية لعيب ما قيل قبلها من اللغز (الميل) المرود (الأختين) العينين (ليس عليه سبيل) مع أن الجمع بين الأختين لا يجوز (يغش) يدخل لها (مال) عدل وزال عنها (البعل) الزوج (تعهدا) تفقدا (برا) إكراما يريد أن الأبصار عند الكبر يضعف نظرها فتحتاج إلى الكحل وقيل عبر بالمشيب عن مرة العين وهو فساد من ترك الكحل (أولى الألباب) أى أهل العقول (معيار) مقياس يعبر به وتقول عايرت المكايل إذا قست بعضها ببعض وساويت بينها (الدولاب) الناعورة (الجافى) الثقيل يريد أن الدولاب جاف فى نفسه وخلقته ليس بخاف لسرعة حركته ودورانه (موصول) ليس من عود واحد (وصول) يعنى للرياض بمائة ولهذه المنفعة صنع (ليس بالجافى) يعنى إذا فارق الماء عاد اليه لا يجفوه والجفاء يكون فى الخلقة والخلق يقال رجل جافى الخلقة أى غليظ وجافى الخلق إذا كان كزا غليظ العشرة وجفا الشيء يجفو جفاء لم يلزم مكانه وجفا جنبه عن الفراش لم يطمئن ويجفوه ضد يصله جفوة مرة واحدة وجفا مصدر عام ؛ ورجل وصول كثير الوصل وقال الرصافى فى هذا المعنى فاحسن :

وذى حنين يكاد شوقا يختلس الأنفس اختلاسا
إذا غدا للرياض جارا قال له المحل لامساسا
يبتسم الروض حين يبكى بأعين ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا صار له غمده رياسا

ولأبى الفضل بن الأعلم فى قواديس الساقية :

ونسك كعبتهم حفرة من فارق الحفرة يبكيها
حتى إذا ما أنفدوا دمعهم خروا على رؤوسهم فيها

وقال أعرابى فى الساقية : بانت تحن وما بها وجدى واحن مشتاقا إلى نجد

غَرِيقٌ بارِزٌ فَأَعْجَبْ له مِنْ رَاسِبٍ طافى
يَسُحُّ دُمُوعَ مَهْضُومٍ وَيَهْضِمُ هَضْمَ مِتْلاف
وتُخْشَى منــــه حِدَّتُهُ ولـكنْ قَلْبُهُ صَافى

قال : فلما رَشَقَ ، بالخَمْسِ التى نَسَق ، قال ياقَوْمِ تَدَبَّرُوا هذه الخَمس ، واعْقِدُوا عَلَيْها الخَمْس ، ثم رَأْيـكُم وضَمَّ الذَّيل ، أو الازْديادَ من هذا الـكَيْل ، قال فاسْتَفَزَّتِ القَوْمَ شهْوَةُ الزِّيادَة ، عَلَى ما أُشرِبُوا منَ البَلادَة فقالوا له إنَّ وَقُوفَنا دُونَ حَدِّك ، لَيُفحِمُنا عن اسْتِيراءِ زَنْدِك ، واسْتِشْفافِ فِرِنْدك ، فإنْ أَتممْتَ عَشْرًا

فـدموعها تحيا الرياض بها ودموع عينى أحرقت خدى

(غريق) بارز يريد أن بعضه يغرق فى الماء وبعضه يبرز منه ، وهو معنى (راسب طافى) لأنك تقول رسب الشىء فى الماء إذا هبط فى قعره وسفل فيه وطفا إذا ارتفع على وجه الماء (يسح) يصب (مهضوم ويهضم) ينقص (متلاف) مبذر للمال يريد كثرة أخذه للماء وإراقته له (حدته) سرعة جريه لأنه إن نشب باحد فى جريه أهلكه (قلبه صافى) لأنه ليس من الحيوان فيعتقد شرا إن أحرج ولابن سعد الخير البلنسى فى دولاب :

لله دولاب يفيض بسلسل فى روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها فيجيبها ويراجع الالحانا
وكأنه دنف يدور بمعهد يبكى ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجارى دمعه عن جفنه فتفتحت أضلاعه أجفانا

ولبعض أصحابنا :

وقدة الحسن فى محاسنها للعين قيد وللحجا شرك
تبكى فتبدى حنين ذى نسك بعد التصابى وما بها نسك
إذا بكت فى الرياض من طرب بدا بوجه الأزاهر الضحك
كأن ما انهل من مدامعها رجوم شهب يقلها فلك

(رشق) أى رمى مأخوذ من رشق السهام يقال رشقت رشقا اى رميت والرشق بالكسر اسم للسهام وهو اسم للهدف الذى يرمونه (نسق) تابع واحدا بعد واحد وكل شىء تبع بعضه بعضا على السواء فهو نسق (ضم الذيل) التشمير . الفنجديهى : ضم الذين كناية عن الاكتفاء بهذه الأحاجى الخمس والسكوت عن طلب الزيادة . ويريد بالازدياد من الكيل ان يزيدهم من حسن الأحاجى (استفزتهم) استدعتهم واستخفتهم، الزجاج: فى قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك أى استدعه لتستخف به إلى إجابتك واستفزه ختله حتى ألقاه فى مهلكة (أشربوا) سقوا ودخلوا وخوالطوا وكل لون خالط لونا آخر فقد أشربه (البلادة) التحير فى الأمر والبليد المتحير الذى لا يدرى أين يتوجه . الأصمعى : البليد الذى يضرب باحدى بلدتيه على الأخرى من الغم عند المصيبة والبلدة هى الراحة يقال تبلد الرجل إذا تحير وضرب باحدى يديه على الأخرى يريد أن

فَمِنْ عِنْدِكَ فَاهْتَزَّ اهْتِزَازَ مَنْ فَلَجَ سَهْمُه ، وَانْخَزَلَ خَصْمُه ، ثم افْتَتَحَ النُّطْقَ بالبَسْمَلَة ، وَأَنْشَدَ مُلْغِزًا فى المُزَمَّلَة :

وَمَسْرُورَةٍ مَغْمُومَةٍ طُولَ دَهْرِهَا ... وَما هِى تَدْرِى مَا السُّرُورُ ولا الغَمُّ
تُقَرَّبُ أَحْيَانًا لأَجْلِ جَنِينِهَا ... وكَمْ وَلَدٍ لَوْلَاهُ طُلِّقَتِ الأُمُّ
وتُبْعَدُ أَحْيَانًا وَمَا حالَ عَهْدُهَا ... وَإِبْعَادُ مَنْ لَمْ يَسْتَحِلْ عَهْدُهُ ظُلْمُ
إذا قَصُرَ اللَّيْلُ اسْتَلَذَّ وِصَالَهَا ... وَإِنْ طَالَ فَالإِعْرَاضُ عَنْ وَصْلِهَا نُعْمُ
لَهَا مَلْبَسٌ بَادٍ أَنِيقٌ مُبَطَّنٌ ... بمَا يُزْدَرَى لكِنْ لِمَا يُزْدَرَى الحُكْمُ

ثم كَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِهِ الصُّفْرْ ، وأَنْشَدَ مُلْغِزًا فى الظُّفْرْ

وَمَرْهُوبِ الشَّبَا نَامٍ ... وَمَا يَرْعَى وَلَا يَشْرَبْ

البلادة مشت فيهم وأشربتهم (المزملة) اى الملففة وقد زملت إذا لففت وهى آنية يبرد فيها الماء شبه الخابيه تستعمل بأرض العراق وتوضع عليها لفائف ثياب خشنة وتغشى بجلد أو ثوب مزين حسن لنظر العين ومن تحته تلك الاغشيه الخشنة التى لها الشر والحكم فى تبريد الماء (مسرورة) أى محمولة على سريروهم يجعلون تحتها مرفعا من عود أو حديد ترتفع به عن الأرض فهو سريرها وكذلك رأيت خوابى الماء بسجلماسة كلها على اسرة عود وقيل مسرورة مغمومة مغطاه وسرير الكمأة ما غطاها من التراب (الغم) ضد السرور) جنينها ولدها أراد به الماء (حال) تغير (عهدها) التقاؤها وقربها (غنم) غنيمة (أنيق)معجب(يزدرى)يحتقر وأراد (بالحكم) معنى تبريد الماء وأراد أن ما بدا منها للناظر فهو عشاذ حين يعجب من رآه وهو قدبطن بلفائف غلاظ مستحقرة ولها معنى تبريد الماء وقال السرى الموصلى فى المزملة

وحافظة ماء الحياة لفتية ... حياتهم أن تستلذ المشارب
تسربلها أخفى اللباس وإنما ... تليق بها افواهـــه والسياسب
على جسد مثل الزبرجد لم يزل ... يشاكله فى لونه ويناسب
إذا استودعت حر اللجين سبائكا ... تصوب فى أحشائها وهو ذائب

فهذه القطعة وقطعة المقامة تدل على تفسيرنا وبه كان يفسر شيخنا ابن جهور رحمه الله حدثنا بذلك شيخنا أبو بكر ابن أزهر عنه وأما الفنجديهى فسر المزملة بتفسير غير مرضى وذلك أنه قال المزملة موضع يغطى ويحشى تبنا ويوضع فى وسط التبن وعاء فى القيظ يبقى الماء باردا ويترك ثقبة فى وسط الموضع لدخول الجرة فيها ولهذا قال مسرورة أى مقطوعة السرة وهو من سر الصبى إذا قطعت القابلة سرته (كشر) كشف (أنيابه) أضراسه (الصفر) يريد أنه لا يتعهدها بالسواك فلذلك أصفرت وتلك الصفرة تسمى القلح وقد قال فى السادسة والعشرين بحسن ملحه وبقبح قلحه (مرهوب) مخوف (الشبا) الحد (نام) زائد والظفر إذا ترك بغير تقليم طال (وما يرعى) يريد أن نمو الخلق وزيادته إنما هو بما يتغذى به من الأكل والشرب وهذا يكبر ويزيد من غير

يُرَى فى العَشْرِ دُونَ النَّحْـ ـرِ فَاسمَعْ وَصْفَهُ وَاعجَبْ

ثم تَخَلزَرَ تَخَازُرَ العِفْرِيت ، وَأنشَدَ مُلغِزًا فى طاقةِ الكِبْرِيت

وما مَحْفُورَةٌ تُدْنى وَتُقصَى وما منها إذا فَكَّرْتَ بدُّ

لَهَا رَأسَانِ مُشْتَبِهَانِ جِدًّا وكلٌّ منهَا لِاخيه ضِدُّ

تُعَذَّبُ إنْ هما خُضِبا وتُلغَى إذا عَدِمَا الخِضَابَ ولَا تُعَدُّ

ثم تَخَمَّطَ تَخَمُّطَ القَرْم ، وأنشَدَ مُلغِزًا فى حَلَبِ الكَرْم

وما شَىْءٌ إذا فَسَدَا تَحَوَّلَ غَيُّـــهُ رَشَدَا

غذاء (العشر) فى الظاهر عشر ذى الحجة (النحر) يوم النحر أى يوم العيد فاراد أن هـــذا المرهوب الشبا إنما يظهر فى العشر خاصة فاذا جاء يوم العيد وطول السنة بعده لم يظهر وإنما يعنى بالعشر الاصابع والنحر العنق أى أن الاظفار خلقت فى الاصابع لافى العنق أو يريد أن الظفريرى فى الاصابع العشر لافى عشر النحر من ذى الحجة (تخازر) أى نظر بمؤخر عينيه مستقلا لذلك وهو نظر المحتقر لمن ينظر المنـــكر عليه (العفريت) الشيطان المؤذى وهو الرئيس من الجن (الكبريت) معروف فارسى معرب وطاقاته قضبانه التى تجعل شيئا على شىء وهو الوقود الذى يشعل به المصباح (تقصى) تبعد (جدا) أى كثيرا يريد بالرأسين طرفى قضيت الوقيد اللذين ينغمسان فى الكبريت وجعلهما ضدين لأن هذا فى طرف و هذا فى طرف فقد تباعدا وضد الشىء بعيد عنه وجعلهما مشتبهين لأن شكل الطرفين وهما الرأسان شكل واحد (خضبا) غمسا فى الكبريت (تلغى) تهجر وتترك ، وقال ابن رشيق :

إن كنت تنكر ما منك ابتليت به فـــان برء سقامى عز مطلبه

أشر بعود من الكبريت نحوفمى وانظر إلى زفراتى كيف تلهيه

(تخمط)أى تكبر وتهيأ للقول واصل التخمط للقوم وهو فحل الابل و تخمط تهيأ للهدير وأخذ فى الصياح والهجوم على الابل (حلب الكرم) أراد الخمر لأنها تحلب من العنب والحلب اللبن المحلوب يقول الخمر إذا فسدت صارت خلا فحل استعمالها فقد صار غيها وهو فسادها رشدا أى صلاحا وقال أبو بكر بن القنطرية فى خمر له فسدت فصار خلا :

أبا حسنٍ إنى فجعت بصاحب أنيس يسلى الهم عند احتلاله

غدت بنت بسطام بن قيس بدنها وأمست كجسم الشنفرى بعد خاله

قوله غدت بنت بسام بن قيس أى صهباء لأن بسطام بن قيس يكنى أبا الصهباء وقوله وأمست كجسم الشنفرى أى خـــلا لأنه يريد قول الشنفرى « إن جسمى من بعد خالى كخل » أى مختل ، وقال آخر فى ذلك:

حسبتها بنت بسطام لها أرج ثم افتضضت ختاما من أبى سلمة

عرض بأبى سلمة الخلال ، ومن التعريض المركب على هذا المعنى قول الشاعر :

وبث مداما تسر التريفـا فاصبحت تجرع خـــلا ثقيفا

وَإِنْ هُوَ رَاقَ أَوْصَافاً أَثَارَ الشَّرَّ حَيْثُ بَدَا
زَكِيُّ العِـرْقِ وَالِدُهُ وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدَا

ثم اعْتَضَدَ التَّسْيَار ، وأَنْشَدَ مُلْغِزًا فِي الطَّيَّار :

وذِي طَيْشَـةٍ شِقُّهُ مَائِلٌ وَمَا عَابَهُ بِهَا عَاقِلُ
يُرَى أَبَدًا فَوْقَ عِلِّيَّةٍ كَمَا يَعْتَلِي المَلِكُ العَادِلُ
تَسَاوَى لَدَيْهِ الحَصَا وَالنُّضَارُ وَمَا يَسْتَوِي الحَقُّ وَالبَاطِلُ
وأَعْجَبُ أَوْصَافِهِ إِنْ نَظَرْتَ كَمَا يَنْظُرُ الكَيِّسُ الفَاضِلُ
تَرَاضَى الخُصُومِ بِهِ حَاكِمًا وَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ مَائِلُ

وصرت حجازا جديب المحل وقد كنت للطالب الخصب ريفا

وقال آخر : يا عقارا صار خـلا وملاذا للبعوض
سر فمالى فيك حظ كان ذا قبل المخيض
ما أبالى بعد أكل الزبد من طرح الحموض

(راق أوصافا) أى حسنت أوصافه وحسنها أن توصف بالرقة والصفاء والحمرة والقدم وقوة الفعل يقول فاذا كانت أوصافه معجبة أو قد الشر حيثما حضر فاذا فسدت أوصافه صلح (زكى العرق) كريم الأصل والزكاء النماء والزيادة أى كثير الفضل والخير وأراد أنها شجرة مباركة يكون منها العنب والزبيب والرب ولكنها تلد ولد سوء وهو الخمر وأخذ هذا المعنى من قول الشاعر :

فان فخرت بآباء لهم شرف قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

أو يريد لذة العنب (اعتضد) جعلها تحت عضده (التسيار) السير (الطيار) ميزان معروف عندهم يرجحه أيسر شيء فلخفته سمى الطيار وقيل الطيار ميزان الدراهم المعروف عندهم بالقارسطون . الفنجديهى : الطيار لسان الميزان (طيشة) خفة (شقه) نصفه وجانبه فيريد بالظاهر وذى حمق وخفة أصابه خدر وفالج فيبس جنبه فمال على الجانب الصحيح ومع ذلك لا يرى أبدا إلا فى مكان مرتفع عاليا كما يفعل الملك . والحجارة والذهب عنده سواء (النضار) الذهب ثم قال وإذا نظرت اليه نظر كيس حاذق رأيت فى وصفه عجبا حين كان الناس يتراضون بحكمه مع معرفتهم بأنه ناقص الخلقة لا يعدل فى حكمه إنما هو ميال مع أحد الخصمين (العلية) اليد التى يمسك عليها الميزان وقال أبو نواس يلغز .

واسم عليه جنى للصبا وضمه للوصف دوار
فضحت عنه سر كتمانه وكان من شأنى إظهار
بحذف أول مبتدأ لاسمه ثم يكون الوصف إضمار
فذاك على فى لعل وفى قولك فى حارث يا حار

فهو بحذف ذا وترخيم دا أح لمن تلذعـــه النار

الاسم راحة يحذف أول حرف وآخر حرف ويبق أح وهو قول من لذعته النار .. وقال آخر :

ويلى من الحب وويلاه ملك قلبى وتناســاه
من ثالث العنبر بعض اسمه ورابع العنبر أولاه
وقوله عنـد سؤالى له ما فى اسمه والحافظ الله

الاسم رعبلان ، وأنشد ابن اسحق النحوى :

حلف الحبيب على لا سميته فكنيته وأطعت خوف تغاضبه
ظبى إذا ما زارنى حل اسمه قلبى وذلك من عجيب عجائبه
ويكون إن رخمته وجزمته وقلبته ما تشتهى من صاحبه
ويكون بعد الجزم إن فكرت فى التصحيف مقلوبا أشد معايبه

الاسم فرحة وأشد معايبه فرج وهو مايشتهى من صاحبه إذا حذفت الهاء وقال ابن شرف:

ما آكل يعطى على أكلة إعطاء إقلال وإكثار
لقمته قيمتها وحـــدها من غير خلف ألف دينار

هو فرج المرأة ، وله فى المرآة :

ما يقول الشيخ فى شى . تراه ويراكا
ثم لا تلقــاه إلا حين لا يلقى سواكا

وله أيضاً فى الابرة: ضئيلة الجسم لها فعـــل متين السبب
حافرها فى رأسها وعينها فى الذنب

ولغيره فى الميزان: وقاض قد قضى فى الأرض عدل له كف وليس له بنان
رأيت الناس قد قبلوا قضاه ولا نطق لديه ولا بيـان

وقال العلوى الأصبهانى يلغز فى النسر الواقع :

وركب ثلاث كالأثافى تغاوروا دجا الليل حتى أومضت سنة الفجر
إذا اجتمعوا اسميتهم باسم واحد وإن فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

وأنشد الحاتمى فى الخفاش وهو طائر الليل :

أرى علماء الناس لا يعرفوننى وقد ذهبوا للعلم فى كل مذهب
بجلدة إنسان وصورة طائر وأظفار يربوع وأنياب ثعلب

وأنشد فى الطائر وظله :

عجبت لطائر فى الحوم طارا وكانا واحد فاثنين سارا
فهـذا طائر فى الجو يهوى وذا مستأنس لزم القرارا

قال : فَظَلَّتِ الأفكارُ تهيمُ فى أَوْدِيَة الأَوْهام ، وتَجولُ جَوَلانَ المُستَهامُ ، إلى أنْ طالَ الأَمد ، وحَصْحَصَ الكَمَد ، فلما رَآهُم يَزْنِدُونَ ولا سَنا ، ويَقضُونَ النهارَ بالمُنَى ،

وانشدوا فى مصراع الباب :

عجبت لمحرومين من كل لذة — يبيتان طول الليل يعتنقان
إذا أمسيا كانا على الناس مرصدا — وعند طلوع الشمس يفترقان

وأنشدوا :

فما ميت أحيا به الله ميتا — ليخبر قوما أنذروا ببيان
وعجفاء قد قامت لتنذر قومها — وأهل قراها رهبة الحدثان

الميت الأول بقرة بنى إسرائيل والميت الثانى الذى ضرب ببعضها والعجفاء نملة سليمان عليه السلام ، والألغاز أكثر من أن يأتى عليها الحصر (تهيم) أى تتحير والهائم الذى يركب رأسه ويمشى على غير هداية (الاوهام) جمع وهم وهو ما تتوهمه وتتصوره فى مسئلة مشكلة إما خطأ وإما صوابا وأراد أن أفكارهم كانت تتحير فى نظر ألغازه ولا تهتدى (تجول) تتصرف (المستهام) العاشق الذى ذهب به الحب كل مذهب (حصحص تبين) (الكمد) الحزن والهم (يزندون ولاسنا) يقدحون الزند ولا يظهر لهم ضوء أى تضرب أذهانهم الالغاز فترجع بلا فهم (ويقضون) يقطعون يومهم بامانى لا محصول لها قال على بن أبى طالب رضى الله عنه إياك والمنى فانها بضائع النوكى وتثبط عن الآخرة والاولى وأشرف الغنى ترك المنى . على بن عبيدة الزنجانى : الامانى مخايل الجهل وقال غيره : الأمانى تخدمك وعند الحقائق تدعك ؛ وفى ضده الافلاطون . التمنى حلم المستيقظ وسلوة المحروم . غيره . الامل رفيق مؤنس إن لم يبلغك فقد ألهاك ، قيل لاعرابى ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأمانى تقطع بها أيامك وأنشد الثعالبى :

ولا تكن عبد المنى فالمنى — رؤوس أموال المفاليس

وقال مسلم بن الوليد :

وأكثر افعال الغوانى إساءة — وأكثر ما تلقى الامانى كواذبا

وأنشد أبو تمام فى ضده :

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى — وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا
امانى من ليلى حسانا كانما — سقتنى بها ليلى على ظمأ بردا

ابن المعتز يصف ساقيا :

فظل يناجينى يقلب طرفه — باطيب من نجوى الامانى وألطفا

غيره

عللينى بوعد — وامطلى ما حييت به

قال يا قومِ : إلامَ تَنظُرُون ، وحتّامَ تُنظِرون ، أَلَمْ يَأْنِ لكم استخراجُ الخبِيّ ، أو استسلام الغَبِيّ فقالوا له : تالله لقد أغوصتَ ، ونصبتَ الشَّرَكَ فقنصتَ ، فتحكّم كيفَ شِيت ، وحُز الغُنْمَ والصِّيت ؛ ففَرَضَ عَنْ كلِّ مُعَمًّى فَرْضا ، واستخلَصَهُ منهم نضًّا ، ثم فتح الأقفال ، ووَسَم الأغفال ، وحاوَلَ الإجْفال ، فاعْتَاقَ به مِدْرَهُ القومْ ، وقال له : لالُبْسَةَ بعدَ اليوم ، فاستَنسِبْ قبلَ الانطلاق ، وهَبْها مُتعَةَ الطّلاق ، فأطرَقَ حتى قُلْنا مُريب ، ثم أنشَدَ والدَّمعُ مُجيب :

سَرُوجُ مَطلَعُ شَمْسِي ورَبْعُ لَهوِي وأُنسي
لكنْ حُرِمْتُ نَعيمي بها ولَذَّةَ نَفسي
واعتضْتُ عَنهـــا اغْتِراباً أمَرَّ يَوْمِي وأمسي
مالي مَقَرٌّ بأرضٍ ولا قَرارٌ لِعَنْسي
يَوماً بِنَجدٍ ويَوْماً بالشّأمِ أُضحِي وأُمسِي

ودعيني افوز منـ ـك بنجوى تطلبه
فعسى يعثر الزما ن بحظى فيتنبه

(تنظرون) أى تؤخرون (يأن) يحن ويقرب (الخبى) أى المخبوء المستور يريد ماخبأ لهم فى الشعر من اللغز (استسلام) انقياد (الغبى) أى الجاهل بالشىء (أغوصت) أتيت بعريص وهو الصعب (الشرك) آلة يصاد بها (قنصت) صدت (الغنم) الغنيمة والجائزة (الصيت) الذكر الحسن ينشر فى الناس ويشيع (فرض) قسط وأوجب وألزم (الفرض) العطية (استخلصه) جعله خالصا (نضا) حاضرا (فتح الاقفال) أى حل الفاظ الالغاز والباسها وكأنها لتعميتها كان عليها أقفالا فحلها بتفسيره (الاغفال) جمع غفل وهو الشىء المهمل ليس له علامة يعرف بها (وسمها) جعل لها علامة (حاول الاجفال) أراد الفرار وأجفل القوم انهزموا (مدره القوم) لسانهم وفصيحهم المتكلم عنهم وأصل المدره المدفاع وقد درهته إذا دفعته (لبسة) شبهة وقد التبس الامر إذا أشكل (متعة الطلاق) أن يهب الرجل لامرأته شيئا من ماله إذا طلقها يسليها بذلك عن فراقه لها ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال أكثر المتعة خادم وأقلها ثلاثون درهما وقيل أكثرها خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن (وهبها) احسبها يقول احسب انتسابك لنا متعة وتسلية لفراقك عنا (أطرق) أمال رأسه وسكت (مريب) صاحب ريبة (الدمع مجيب) يريد أن إنشاده دعا دمعه فأجابه وقد قال أبو الطيب :

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل ، يريد أنه لما وقف على الطلل - وهو أثر دار أحبابه - هيجهلهم فبكى فالطلل لما دعاه للتذكر أجابه بدموعه (مطلع شمسى) تريدان سروج هى بلده التى نشأفيها (ربع) منزل (اعتضت) استبدلت (أمر) جعله مرا (مقر) إقامه (قرار) سكون وإقامة (عنسى) ناقتى الوثيقة (نجد) ما ارتفع من الارض وأنجد أتى نجدا (الشأم) أخذ من اليد الشؤمى (أزجى) أسوق (منغص) مكدر ويقال نغص علينا فلان أى

أُزْجى الزَّمانَ بِقُوتٍ مُنَغَّصٍ مُسْتَخَسِّ
ولا أبيتُ وعندى فَلْسٌ ومَنْ بِمَلْسِ
وَمَنْ يَعِشْ لى مِثْلَ عَيْشى باعَ الحَياةَ بِبَخْسِ

ثم إنَّهُ اخْتَبَنَ خُلاصَةَ النَّضِّ ، وَنَدَرَ ضَارِباً فى الأَرْضِ ، فَنَاشَدْنَاهُ أَنْ يَعُود ، وأَسْنَيْنا له الوُعُود :
فَلاوأَبيكَ مارَجَع ، ولا التَّرْغِيبُ لهُ نَجَع .

قطع علينا ماكنا نحب الاستكثار منه وكل من قطع شيئا يحب الازدياد منه فهو منغص (مستخس) مستهجن (بخس) نقصان (اختبن) جعله فى خبنته وهو طرف ثوبه والخبنة كالحجزة للازار (الخلاصة) ما خلص له منه وصفا (ندر) سبق ، وذهب يضرب فى الأرض إذا سار فيها وأصل ندر خرج وطار مثل النواة إذا طارت من تحت المرضخ وشبهها (فناشدناه) حلفناه (يعود) يرجع (أسنينا) عظمنا وجعلناها سنية أى رفيعة(الوعود) جمع وعد وهو ما وعده به من المال (الترغيب) التطميع وقد رغبته فى الشىء إذا زينته له وطمعته فيه (نجع) نفع وقد نجع عليه الطعام إذا أصلح عليه جسمه .

المقامة الثالثة والأربعون البكرية

حكى الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال : هَفا بِي البَيْنُ المُطَوِّح ، والسَّيْرُ المبَرِّح ، إلَى أرضٍ يَضِلُّ بِها الخِرِّيت ، وتَفرَقُ فِيها المَصالِيت ، فوَجَدْتُ مايَجِدُ الحائرُ الوَحيد ، ورَأَيْتُ مَاكُنْتُ مِنْهُ أَحِيد . إلَّا أنِّي شَجَّعْتُ قلبِيَ المَزْؤُود ، ونَسَأْتُ نِضْوِيَ المَجْهُودَ ، وسِرْتُ سَيْرَ الضّارِبِ بِقِدْحَين ،

شرح المقامة

(هفا) أى طار وخف (المطوح) المبعد المشفى على الهلاك وقد طوحت الشىء إذا رميت به وألقيته القاء منكرا (المبرح) الشاق المتعب وقد برح الامر إذا عظم واشتد (يضل) يتحير ويتلف (الخريت) الدليل وقيل هو من خرت الابرة كأنه من حسن دلالته يهتدى على مثال خرت الابرة وهو ثقبها (تفرق) تفزع (المصاليت) الشجعان الماضون فى الحروب واحدهم مصلات قال الفراء المتصلت المسرع من كل شىء وجمعه مصالت ومصاليت (أحيد) أخاف وأميل عنه (المزؤود) المفزع وزئد الرجل فزع (نسأت) ضربت بالمنسأة وهى العصا (نضوى) بعيرى (المجهود) المتعب (قد حين) سهمين وكان الرجل فى الجاهلية يمسك ثلاثة أقداح على أحدها مكتوب أمرنى ربى وعلى الثانى نهانى ربى والثالث غفل لا شىء عليه وهو المنيح فاذا أراد سفرا أو أمرا ضرب بهافان خرج له أمرنى ربى مضى آمنا وإن خرج له نهانى ربى ترك ذلك الأمر وإن خرج له غفل أعاد الضرب وقيل كان يمسك قد حين مكتوب على أحدهما افعل وعلى الثانى لا تفعل فان خرج افعل مضى وإن خرج لا تفعل ترك وقيل كان لا يمضى حتى يخرج له افعل ثلاث مرات ولا يترك المضى حتى يخرج له لا تفعل ثلاث مرات فان خرج له مرة فعل ومرة لا تفعل ولم يخلص له أحدهما فان مضى فى ذلك الأمر مضى وهو يرجو ويخاف وهذا هو الذى أراد الحريرى لأنه كان بين الرجاء والخوف ، ولما قتل حجر أبو امرىء القيس أخذ امرؤ القيس أزلامه وهى القداح وأتى ذا الخلصة وهو صنم لدوس وخثعم وبجيلة فاستقسم عندها بالازلام فخرج له القدح الذى يكره فأخذ الازلام وكسرها وضرب بها وجه صنمها وقال :

لو كنت ياذا الخلصة الموتورا مثلى وكان شيخك المقبورا لم تنه عن قتل العداة زورا

وحكى الفنجديهى قال : الضارب بقد حين يعنى به قول الناس « إما الغنم وإما الغرم وإما الملك وإما الهلك » قال الشاعر : ضربت بها البيت ضرب القدا ح إما لهذا وإما لذا

والقدح السهم قبل أن يراش ويركب نصله ، وحكى ابن ظفر أن الازلام سبعة قداح مكتوب على أحدها نعم وعلى الآخر لا وعلى قدح منكم وعلى قدح من غيركم وعلى قدح ملصق وعلى قدح العقل وعلى قدح فضل العقل وكانت بيد سادن الأصنام فيأتيه ذو الحاجة بدراهم فيسأل الصنم أن يوضح له ما سأل عنه ثم يضرب بالقداح فان أتى سائل عن تزويج أو سفر أو شبه ذلك مما يستشار فى مثله ضرب له بالقدحين اللذين عليهما نعم ولا فان خرج نعم مضى على فعله وإن خرج لا ترك ذلك فان انتسب رجل إلى قبيلة ضرب له بالاقداح

المُسْتَسْلِمِ لِلْحَين ، وَلَمْ أَزَلْ بَيْنَ وَخْدٍ وَذَمِيل ، وَإِجَازَةَ مِيلٍ بَعْدَ مِيل ، إِلى أَنْ كَادَتِ الشَّمْسُ تَجِبُ وَالضِّيَاءُ يَحْتَجِب ، فارْتَعْتُ لإِظْلاَلِ الظَّلاَم ، واقْتحَامِ جَيْشِ حام ، ولم أدرِ أأَكْفِتُ الذَّيل وَأَرْتَبِط ، أَمْ أَعْتَمِدُ اللَّيلَ وَأَخْتَبِط وَبَيْنَما أنَا أُقَلِّبُ الْعَزْم ، وَأَمْتَخِضُ الْحزم

الثلاثه التى فيها منكم من غيركم ملصق فان خرج منكم أضافوا نسبه إلى أنفسهم وإن خرج من غيركم كان حليفا وإن خرج ملصق لم يكن له حلف ولا نسب فان أتى سائل عن قتيل أو جناية ضرب بالقدحين اللذين عليهما العقل فان خرج على قوم العقل برىء منه الآخرون وإن عقلوا ففضل شىء فان اختلفوا فيه ضرب بالقدح الذى عليه فضل العقل فان خرج عليه أداه ومعنى الاستقسام بها الرضا بالقسمة بينهم من الأمر والنهى والبراءة والوجوب وسهام الميسر عشرة ثلاثة يتكثر بها لا أنصباء لها وسبعة لها أنصباء فأولها الفذ وفيه فرضة واحدة وله نصيب واحد والثانى التوأم وفيه فرضتان وله نصيبان ثم الرقيب وفيه ثلاث فرض وله ثلاثة أنصباء ثم الحلس بأربع والنافس بخمس والمسبل بست والمعلى وهو أعلاها بسبع فرض وعلى عدد الفرض تكون الانصباء وقال ابن ليال لجمعها فى بيت واحد :

فذ وتوأم والرقيب ونافس والحلس تمت مسبل ثم المعل

واسم الثلاثة التى يتكثر بها الفسيح والمنيح والوغد فاذا أرادوا الضرب بها طلبوا أول رجل يلقونه فشدوا عينيه ويسمونه الحرضه وأقاموا له الرقيب وضرب فكلما خرج له قدح دفعه إلى الرقيب والرقيب هو الأمين على الضرب بالقداح قال الشاعر :

لها خلف أذنابها أزمل مكان الرقيب من الياسر

وكان أهل اليسار والجود من الجاهلية عند شدة الزمان ينحرون الجزور ويقتسمونها و يضربون عليها بالقداح فمن قمر جعل نصيبه لأهل الميسر والقمار يكنى عنه بالميسر وأصل الميسر موضع تنحر به الجزور والياسر الجازر وتقسم الجزور عشرة أجزاء العضدان فى الكفتين جزآن وهما ابنا ملاط والعجز والزور جزآن والكاهل واللحاء عليها الجنب بنصفين جزآن والوركان عليها الذراعان جزآن والفخذان وعليهما العنق مقسوما جزآن وبقى جنب وهم يستثنونه وقد لا يستثنونه فيرد منه على جزء الكاهل ضلعان وعلى سائرها ضلع ضلع فان فضلت قطعة أو عظم سمى الزيم قال الشاعر :

وكنت كعظم الزيم لم يدر جازر على أى أدنى مقسم اللحم يجعل

وقال الأصمعى فى الميسر : إنه شىء كانت الجاهلية تفعله فليس عندنا منه حقيقة (المستسلم للحين) أى المنقاد للهلاك (الوخد) نوع من السير وهو أن ترجم الأرض بقوائمها لسرعة سيرها (الذميل) سير لين (تجب) تسقط للمغيب (ارتعت) فزعت (لاظلال) لقرب ودنو (اقتحام) دخول الشىء على غرر (حام) هو ابن نوح وقد تقدم فى الحادية والعشرين وأراد بجيش حام ظلام الليل لأن حاما أبو السودان (أأكفت) أقبضه وأشمره (ارتبط) أربط بعيرى (أعتمد) أقصد (أختبط) أمشى على غير هداية وأراد أنه لا يدرى مايفعل أينزل ويبيت أم يسير فى الليل على غرر (العزم والحزم) اجتماع رأى الرجل على مايريد أن يفعله فلا يتردد فيه (أمتخض)

تراءى لى شَبَحُ جَملٍ ، مُسْتذرٍ بجبل ، فترجّيتُهُ قُعْدَةَ مُريح ، وقصدتُهُ قصدَ مُشيح ، فإذا الظنُّ كهانة ، والقُعْدَة عَيْرانة ، والمُريحُ قد ازدمل ببجاده ، واكتحل برقاده ، فجلستُ عند رأسه ؛ حتى هبَّ من نُعاسه ، فلما ازدهر سِراجاهُ ، وأحسَّ بمَن فاجاه ، نفر كما ينفرُ المريب وقال أخوكَ أم الذيب فقلتُ بل خابطُ لَيلٍ ضلَّ المَسْلكَ ، فأضِىء لى أقدحْ لك ، فقال لِيَسْرِ عنكَ هَمُّك ، فرُبَّ أخٍ لكَ لم تلِدْهُ أُمُّك

أحرك وأحلب وأراد أنه أخذ يحدث نفسه ويدير رأيه هل يسرى أو يعقد (تراءى) أى ظهر (مستذر) مستعل والذروة أعلى الشىء أراد أنه ظهر له شبح جمل أى شخصه فى أعلى جبل (قعيدة) بعير يقعد عليه عند الركوب (مريح) مستريح قد نزل بريح نفسه وبعيره (مشيح) مجد (والقعدة) المركوب (العيرانه) الناقة الصلبة تشبه بالعير وهو حمار الوحش (ازدمل) التف (ببجاده) بكسائة (هب) انتبه (ازدهر) انفتح وأضاء (سراجاه) عيناه (فاجاه) اتاه على غفلة (المرتب) الذى أتى ريبة (أخوك أم الذيب) مثل كأنه خاطب نفسه فقال أأخوك هو الذى رأيت أتى لمؤانستك أم ذئب لاذايتك وتضمن الكلام أن الاستفهام وقع بالذى رآه فكأنه قال له ياهذا أأخ أنت أم صاحب فاركن اليك أم عدو فاحذرك فاجابه بأن قال له (بل خابط ليل) أى ماش فيه على جهالة (ضل المسلك) أخطأ الطريق (أضىء لى) اكشف لى عن حالك (أقدح لك) اكشف لك عن حالى وهذا أيضا مثل وفى هذا التباس مانه أضاء له أى اعطاه ضوءه أو اظهره له فأى حاجة له فى القدح وهو الضرب بالزند ليخرج ناره وإنما معناه أن رجلا كان طلب لآخر ضوءا مثل فتيل يوقده فتخيل من صاحبه أنه لايعطيه فقال له أضىء لى أى أعطنى ضوءا فليس عليك فيه تكلف فانك أن أتيتنى فى مثلها فلم تجد لى ضوءا قدحت لك زندى وتكلفت لك ذلك ثم استعمل فيمن يطلعك على أمره فتطلعه من أمرك على ماهو أفيد مما أطلعك عليه فمعناه أطلعنى على ظاهر امرك أطلعك على باطن أمرى ويروى أكدح لك قال أبو زيد إذا طلب الرجل إلى الرجل حاجة لم يعرف وجهها قال أضىء لى أكدح لك أى بين لى فأكدح لك اى اسعى لك وكدح لمعيشته سعى واكتسب وأضىء أسرج . الفنجديهى : أضىء لى أكدح لك مثل يضرب فى المساواة بالأفعال والمعنى كن لى اكن لك واسع لى اسع لك والمراد به كن لى اكثر مما اكون لك لأن الإضاء أكثر نفعا من القدح ويقال معناه تول الأمر الهين أتول الأمر الصعب (ليسر) ليزل وليذهب سرى عرق الشجرة يسرى دب تحت الأرض وسرى يسرى سار (رب اخ لك لم تلده امك) معناه قد وجدت منى صديقا يقول لك مقام شقيقك واصل المثل ان لقمان بن عاد رأى امرأته خلابها رجل وهى تلاعبه ويلاعبها ومعها صبى صغير يبكى وهما قد أقبلا على شأنهما لايكترثان به فسألها عن الرجل فقالت له هو اخى فقال رب أخ لك لم تلده امك يكذبها فى قصدها اى هو اخوك بالمحبة والصداقة لا بالولادة ، وقال فى الدرة : حكى ابن نصر الكاتب أن ابا العباس بن ياسر دخل عليه رجل نصرانى ومعه فتى من اهل ملته حسن الوجه فقال من هذا الفتى فقال بعض إخوانى فانشد ابو العباس :

دعتنى اخاها ام عمرو ولم اكن — أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتنى اخاها بعد ماكان بيننا — من الأمر مالا يصنع الاخوان

وقال فى هذا المعنى : رب بعيد أقرب من قريب وقالوا القريب من قرب نفعه ، وقال أبو تمام :

فانْسَرى عِندَ ذَلِكَ إشفَاقِي ، وسَرَى الوَسَنُ إلى آماقِي ، فقال : عِندَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرَى ، فَهلْ تَرَى كما أَرَى ،

	ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم	وبلوت ماوصفوا من الأسباب
	فاذا القرابة لا تقرب قاطعا	واذا المودة أقرب الأنساب
وقال ابن ميادة :	وإنى لزوار لمن لا يزورنى	إذا لم يكن فى وده بمريب
	تقرب لى دار الحبيب وإن نأت	ومادار من أبغضته بقريب
	فلا تطلبن القرب والبعد بعدها	إلى غير نيـــات وغير قلوب
وقال آخر :	أخو ثقة يسر ببعض شأنى	وإن لم تدنه منى قرابة
	أحب إلى من ألفى قريب	بنات قلوبهم لى مسترابة
وقال ابن هرمة .	هش إذا وقف الوفود ببابه	سهل الحجاب مؤدب الخدام
	فاذا رأيت صديقه وشقيقه	لم تدر أيهما أخو الأرحام

(انسرى) زال وذهب وسروت الثوب عنى إذا جردته (اشفاقى) خوفى (سرى الوسن) أقبل النوم (آماقى) آخر عينى والموق طرف العين من جهة الأنف (عند الصباح يحمد القوم السرى) مثل ومعناه إذا سرى القوم بالليل قطعوا أرضا كثيرة والأرض تطوى بالليل لمن يمشيها فاذا أصبح حمدوا اسيرهم وهذا المثل بيت من رجز وقع فى شعر الشماخ وذلك أنه سافر فى قوم من بنى ثعلبة فمشوا حتى إذا كانوا قريبا من تيماء قال الشماخ لابن أخيه انزل فاحد بنا فنزل فحدا بهم ثم نزل القوم للحداء واحد بعد واحد فوقعت أراجيزهم فى ديوان الشماخ فنسبت إليه ، وأول الرجز :

طاف خيال من سليمى فاعترى بنجد أو تيماء أو وادى القرى فمنع النوم ومنى بالمنى

وفى آخره : عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلى عنهم غيابات الكرى

قال المفضل الضبى : أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث اليه أبو بكر رضى الله عنه وهو باليمامة أن ينزل إلى العراق فأراد سلوك المفازة فقال له رافع الطائى قد سلكتها فى الجاهلية وهى خمس للابل الواردة وما أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء فاشترى مائة شارف فعطشها ثم سقاها الماء حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل خشى أن يذهب مافى بطون الابل نحرها واستخرج مافى بطونها فسقى الناس والخيل ومضى فلما كان فى الليلة الرابعة قال رافع انظروا هل ترون سدرا عظيما فان رأيتموها وإلا فهو الهلاك فنظر الناس فراوها فأخبروه فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد :

لله در رافع أنى اهتدى فوز من قرار أنى سرى خمسا إذا سار بها الخيس بكى
ما سارها من قبلة أنس سرى عند الصباح يحمد القوم السرى

ويقال فوز إذا ركب المفازة ، وقراقر : اسم قرية من اليمن ، والخيس الجبان الضعيف وقيل الثقيل قال أبو عبيدة :

فقلتُ إنّي لك لأطْوَعُ مِن حِذائكَ ، وأوفَقُ مِنْ غِذائكَ ، فصَدَعَ بمحبّتي ، وبَخْبَخَ بصُحْبَتي ، ثم احتملنا مُجِدّين ، وارتحلنا مُدلجين ، ولم نزَلْ نعاني السُّرى ، ونُعاصي الكَرى ، إلى أنْ بلغَ اللَّيلُ غايتَه ، ورفعَ الفجرُ رايتَه ، فلما أسفرَ الفاضح ، ولم يَبقَ إلاّ واضح ، توسّمتُ رفيقَ رِحْلتي ، وسميرَ لَيلتي ، فإذا هُو أبو زيد مَطْلَبُ النّاشد ، ومَعْلَمُ الرّاشد ؛ فتهادَيْنا تحيَّةَ المُحبّين ، إذا التَقيا بعدَ البَيْن ، ثم تباثثْنا الأخبار ، وبعيري ينحطُ مِنَ الكلال ، وراحلتُه تزِفُ زَفيفَ الرّال ، فأعجَبني اشتدادُ أسرِها ، وامتدادُ صَبْرِها ، فأخذتُ أستَشِفُّ جوهرَها ، وأسألُه مِنْ أينَ تخيَّرَها ؛ فقال إنّ لهذه النّاقة خبَرًا حُلْوَ المَذاقة ؛ مليحَ السِّياقة ؛ فإنْ أحببْتَ استِماعَهُ فأنِخْ . وإنْ لم تشأ

الخمس أن تشرب الابل يوم وردها وتصدر يومها فتظل بعد ذلك اليوم من الماء ثلاثة أيام سوى يوم الصدر وترد اليوم الرابع فذلك الخمس (حذائك) أي نعلك (صدع) كشف وأظهر (بخبخ) قال بخ بخ وهي كلمة تقال عند الإعجاب (مجدين) مجتهدين (مدلجين) ماشين بالليل (نعاني) نقاسي (الكرى) النوم (رايته) أراد ضوءه (أسفر) أضاء (الفاضح) من أسماء الصبح سمي بذلك لأنه يفضح الأشياء أي يظهرها (واضح) بين يريد أن الصبح كشف ما ستره الليل فاستبان كل شيء (توسمت) نظرت . الفنجديهي : واضح نجم والنجم الذي يرى بعد الصبح مضيئا في كثير من الأوقات وهو الزهرة . ابن سيده : الواضح الكواكب الخمس إذا اجتمعت مع الكواكب المضيئة من كواكب المنازل والخنس الراجعة والمتأخرة والمنقبضة (رحلتي) ارتحالي (السمير) محادثك بالليل (مطلب الناشد) أي حاجة الطالب التي تلفت لها فجعل يطلبها (معلم الراشد) دليل الهادي والمعلم الجبل يعلم به الطريق (فتهادينا تحية المحبين) أي أهديته سلام محب وأهدى لي مثل ذلك (تباثثنا) تكاشفنا أي كشفت له سري وكشف لي سره (تناثثنا) اى تفاشينا أي أفشيت له خبري وأفشى لي خبره والبث أصله التفريق والنث بالنون أصله نشر الحديث وافشاؤه . الفنجديهي : تناثثنا تذاكرنا والنث الذكور وثوت الذكر وثوت الحديث أنثوه إذا أذعته وأفشيته ، ابن الأعرابي : النثاء في الحسن والقبح من الكلام وقيل النث نشر الحديث الذي كقمه أولى من نشره وفي معنى هذا اللقاء قال المعري :

ولو لم ألق غيرك في اغترابي لكان لقاؤك الحظ الجزيلا
ستحمل ناجيات العيس مني صديقا عن ودادك لن يحول
يؤمل فيك إسعاف الليالي وينتظر العواقب أن تديلا

(ينحط) يزفر ويتنفس من شدة التعب والنحط خروج النفس بصوت وهو صوت يعتري المهموم والمتعوب من صدره يتوجع وقد نحط ينحط نحطا ونحيطا والنحيط يعتري الدابة إذا كانت أو زيد في حملها فتسمع لها زفيرا بصوت فذلك هو النحيط وقد القصار إذا ضرب بالثوب على الحجر وتنفس ليكون أروح له (تزف) تسرع والذفيف مشى في سكون متتابع (الرأل) فرخ النعامة والجمع الرئال (أسرها) قوتها وشدة خلقها (امتداد) طول (أستشف) انظر (جوهرها) خلقها وجوهر كل شيء ماوضعت عليه جبلته (انخ) حط بعيرك وانزل

فلا تُصِخ ، فَأَنَخْتُ لِقَوْلِهِ نِضْوِى ، وَأَهْدَفْتُ السَّمْعَ لِمَا يَرْوِى ، فَقَالَ اعْلَمْ أَنِّى اسْتَعْرَضْتُهَا بِحَضْرَمَوْت ، وكَابَدْتُ فى تَحْصِيلِهَا الْمَوْت وَمَازِلتُ أَجُوبُ عَلَيْهَا الْبُلْدَان ، وأَطِيسُ بِاخْفَافِهَا الظِّرَّان ، إلى أَنْ وَجَدْتُهَا عُبْرَ أَسْفَار ، وَعُدَّةَ فِرَار ، لا يَلْحَقُهَا الْعَنَاء ، وَلاَ تُوَاهِقُهَا وَجْنَاء ، وَلاَ تَدْرِى مَا الهِنَاء ، فَأَرْصَدْتُهَا لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ وأَحْلَلْتُهَا مَحَلَّ الْبِرِّ السِّرِّ ، فَاتَّفَقَ أَنْ نَدَّتْ مُذْ مُدَّة ، وَمَالِى سِوَاهَا قُعْدَة فَاسْتَشْعَرْتُ الْأَسَفَ ، واسْتَشْرَفْتُ التَّلَف ، وَنَسِيتُ كُلَّ رُزْءٍ سَلَف ، وَمَكَثْتُ ثَلاثًا ، لا أَسْتَطِيعُ انْبِعَاثًا ، وَلاَ أَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا حِثَاثًا ، ثم أَخَذْتُ فى اسْتِقْرَاء الْمَسَالِك : وَتَفَقُّدِ الْمَسَارِحِ والْمَبَارِك ، وأَنَا أَسْتَنْشِى مِنْهَا رِيحًا وَلاَ أَسْتَغْشِى يَأْسًا مُرِيحًا وَكُلَّمَا ادَّكَرْتُ مَضَاءَهَا فى السَّيْرِ ، وَانْبِرَاءَهَا لِمُبَارَاةِ الطَّيْرِ لا عَنِى الادِّكَار ، وَاسْتَهْوَتْنِى الْأَفْكَار ، فَبَيْنَمَا أَنَا فى حِوَاءِ بَعْضِ الْأَحْيَاء ، إذ سَمِعْتُ مِنْ شَخْصٍ مُتَبَعِّد ، وَصَوْتٍ مُتَجَرِّد ، مَنْ ضَلَّتْ لَهُ مَطِيَّة

(تصخ) تستمع (نضوى) بعيرى المهزول (اهدفت) جعلته غرضاً يقع فى كلامه (السمع) الأذن والهدف الغرض ترمى عليه (استعرضتها) طلبت أن تعرض على للبيع (حضر موت) كورة من كور اليمن فيها مدائن وتعمل بها النعال الحضرمية وهى غاية فى الجودة (كابدت) قاسيت (اجوب) اقطع (اطس) اكسر والوطس الوطء الشديد المؤثر (الظران) ـ واحدها ظرر بظاء منقوطة وراء ين ـ وهى الحجارة العريضة وقيل المحددة (عبر أسفار) أى قوية على السفر كأنها تعبر بها المراحل أى تقطع واصله عبرت فى النهر إذا جزته من جهة إلى جهة أخرى (فرارا) اى قد استعدت للفرار والهرب (العناء) التعب (تراهقها) تدانيها وتقاربها وقد ارهقت الرجل إذا دانيته وذلك أن يذهب امامك فتتبعه فاذا قربت منه قلت رهقته فاذا أدركته قلت ارهقته ورواية ابن جهور تواهقها بالواو ومعناها تواظب على المشى معها والمواهقة المعارضة فى السير (وجناء) ناقة قوية غليظة والوجين ما صلب من الأرض وقيل الوجناء العظيمة الوجنات (الهناء) القطران أى ليس بها داء فتحتاج إليه فهى لا تعرفه (ارصدتها) اعددتها (البر) الذى يبرك ويكرمك (السر) ما يسرك (ندت) فرت وشردت (استشعرت) لبست (الأسف) الحزن (استشرفت التلف) عاينت الهلاك ونظرته واستشرفت فلانا إذا رفعت رأسك لتنظر إليه ويدك على حاجبك (الرزء) فقد الشىء (سلف) مضى (مكثت) اقمت (انبعاثا) نهوضا وخروجا إلى السفر (حثاثا) قليلا والحثاث أن يصيبك النوم ثم يزول عنك فى الحال ويوصف به فيقال يوم حثاث أى قليل الطعم الذوق (استقراء) تتبع (المسالك) الطرق (المسارح) المراعى وحيث تسرح الإبل (المبارك) مراقد الإبل حول الماء . استنشاء الريح شمها مهموز وغير مهموز (استغشى) ثوبه تغطى به (اليأس) قطع الرجاء (مريحا) يدخل على صاحبه الراحة (ادكرت) تذكرت (مضاءها) نفادها وإسراعها (انبراءها) نهوضها وقد انبرى لك فلان إذا عرض لك (مباراة) معارضة (لاعنى) أحرقنى واللوعة حرقة القلب من شدة الوجد (استهوتنى) هوت بى فى كل طريق (الافكار) تذكر الهموم (حواء) بيوت مجمعة ما ثنان أو نحوها (الاحياء) القبائل (متجرد) ماض ظاهر وقيل ضعيف لبعده (ضلت) تلفت وضاعت (مطية) يعنى بها تعلا فى المعنى وناقه فى اللفظ وقد تقدمت أشعار

حَضرَمِيَّةٌ وطِيَّة ، جِلْدُهَا قَدْ وُسِم ؛ وَعَرُّهَا قَدْ حُسِم ، وزِمَامُهَا قَدْ ضُفِر ، وظَهْرُهَا كَأَنْ قَدْ كُسِرَ ثم جُبِرَ تَزِينُ الماشِيَةَ ، وتُعِينُ النَّاشِيَةَ ؛ وتَقطَعُ المَسَافَةَ النَّائِيَةَ ، وتَظَلُّ أبداً لَكَ مُدَانِيَة ؛ لا يَعْتَوِرُهَا الوَنَى ، ولا يَعْتَرِضُهَا الوَجَى ، وَلاَ تَحُوجُ إلى العصَا ، ولا تَعْصِي فِيمَنْ عَصَى قال أبو زَيْد ؛ فَجَذَبَنِي الصَّوْتُ إلى إلى الصَّائِت ، وَبَشَّرَنى بِدَرْكِ الفَائِت ، فلما أفْضَيْت إليه ، وسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ؛ قلتُ لهُ سَلِّمِ المَطِيَّة ؛ وتَسَلَّمِ العَطِيَّةَ ؛ فقَالَ وما مَطِيَّتُك ، غُفِرَتْ خَطِيئَتُكَ ، قلتُ لهُ نَاقَةٌ جُثَّتُهَا كالهَضْبَة ، وَذِرْوَتُهَا كالقُبَّةِ ، وحَلَبُهَا مِلْءُ العُلْبَةِ وكُنْتُ أُعْطِيتُ بِهَا عِشْرِين ، إذ حَلَلْتُ يَبْرِينَ ، فَاسْتَزَدْتُ الذى أعطى ، ودَرَيْتُ أنَّهُ أخطَأ ، قال فَأَعْرَضَ عَنِّى حِينَ سَمِعَ صِفَتِى ، وقال لَسْتَ بِصَاحِبِ لُقْطَتِى ، فَأَخَذْتُ بِتَلابِيبِه ، وأَضْرَرْتُ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وهَمَمْتُ بِتَمْزِيقِ جَلابِيبِه ، وهُوَ يَقُولُ يَاهذا ما مَطِيَّتِى بِطَلَبِك ، فَاكْفُفْ عَنِّي مِنْ غَرْبِك

اللغز بهما (وطية) لاتحرك الراكب وهى الذلول وفراش وطىء وثير لا يؤذى جنب النائم عليه ، وعلى من ضلت له مطية أن يدعو بما فى حديث عتبة غزوان عن النبى صلى الله عليه وسلم إذا ضل أحدكم شيئاً وأراد غوثا وهو بأرض ليس بها أحد فليقل ياعباد الله المسلمين أعينونى ياعباد الله المسلمين أعينونى فان لله عبادا لاتراهم .. وقد جرب ذلك (وسم) خرز أى جعل الخرز فيها كالعلامة (عرها) جربها (حسم) استأصل بالقطع يريد أن آثار الجرب التى كانت فى الجلد الذى صنعت منه هذه النعل قد قطعت وأزيلت (زمامها) شركها (كسر ثم جبر) يريد أن ظهرها يبس فتكسر فوصل بجلد آخر فصح (الماشية) الرجل التى تمشى فيها وكذلك الناشية ويقال نشأ الرجل إذا نهض لحاجته وتنشأ أيضاً وسهل الناشئة لأجل الماشية وأصلها الهمز .. الفنجديهى : تعين الناشية أى تعين على السير فى ناشئة الليل قال ابن عرفة كل ساعة قامها قائم من الليل ناشئة ، الأزهرى : ناشئة الليل قيام الليل مصدر جاء على فاعلة بمعنى النشء كالعافية والخاتمة بمعنى العفو والختم وقيل الناشئة والنشيئة أن تنام من أول الليل ثم تقوم وقيل الناشئة أول النهار وأول الليل وأكثر المفسرين على أن ناشئة الليل أوله ، وعاصم يهمزه والباقون لايهمزون (جذبنى) ساقنى بعنف (الصائت) صاحب الصوت الذى سمع وقد أصات إذا رفع صوته (درك الفائت) لحوق التالف (أفضيت) وصلت (تسلم) خذ (جثتها) جسدها والجثة شخص القائم والقاعد والراكب (الهضبة) الصخرة العظيمة وقيل الجبل المنبسط الاملس (ذروتها) أعلى ظهرها والعلبة إناء من جلود (يبرين) أرض فيها رمل (أضرب) نحى وجهه (اللقطة) ماتجده قد سقط من غيرك فتلتقطه وعامة أهل اللغة على فتح قافها مثل أبى عبيدة ويعقوب والمفضل وثعلب وابن قتيبة وغيرهم وحكى ابن خالويه أن تسكينها لغة تميم وفتحها لغه أهل الحجاز فهما لغتان ، قال النبى صلى الله عليه وسلم من التقط لقطة فليشهد ذا عدل ثم لا يكتم ولا يغيب فان جاء صاحبها فهو أحق بها وإلا فهو مال الله يؤتيه من يشاء (تلابيبه) أطواق ثوبه والتلبيب الجيب وأخذت بتلبيب فلان إذا جمعت ثوبه الذى حوالى صدره وقبضت على نحره والجلباب الملحفة والرداء (اصررت) اقمت (تمزيق جلابيبه) تخريق ثيابه (بطلبك) بما تطلب والطلب اسم ماتطلب . ابن دريد : فلانة طلب

وَعَد عَنْ سَبِّك ، وإلَّا فَقاضِنى إلى حَكَمِ هذا الحَىّ ، البَرِىءِ مِنَ الغَىّ ، فإنْ أَوْجَبْها لَكَ فتَسَلَّم ، وإنْ زَواها عَنْكَ فلاَ تَتَكَلَّم ، فلم أرَ دَواءَ قِصَّتِى ، ولا مَساغَ غصَّتِى ، إلَّا أنْ آتِىَ الحَكَم ، ولوْ لَكُم ، فانْخَرَطْنا إلَى شَيْخٍ رَكِينِ النِّصْبَة ، أَنِيق العِصْبَة ، يُؤْنَسُ مِنْهُ سُكُونُ الطَّائِر ، وأَنْ لَيسَ بالجائِر ، فانْدَرَأْتُ أَتَظَلَّمُ وأَتَأَلَّمْ ، وصَاحِبِى مُرِمٌّ لا يَتَرَمْرَم ، حتى إذا انْتَثَلْتُ كِنانَتِى ، وقَضَيْتُ مِنَ القَصَصِ لُبانَتِى ، أَبْرَزَ نَعلاً رَزِينَةَ الوَزْن ، مَحْذُوَّةً لِمَسَالِكِ الحَزْن ، وقال هذه التى عَرَّفْت ، وإيَّاها وصَفْت ، فإنْ كانَتْ هِىَ التى أُعْطِىَ بها عِشْرِينَ ، وها هُوَ مِنَ المُبْصِرين ، فَقَدْ كَذَبَ فى دَعْواه ، وكَبُر ما افتَاه ، اللَّهُمَّ إلَّا أَنْ يَمُدَّ قَذالَه ، ويُبينَ مِصداق ماقاله ، فقال الحَكَم :

فلان إذا كان يطلبها ويهواها (عد) كف واصرف (سبك) شتمك (قاضنى) حاكمنى (الحى) القبيلة (الغى) الضلال والفساد (زواها) نحاها (مساغ غصتى) أى بلع ما اختنق به وساغ الطعام والشراب فى الحلق سهل نزوله فيه (لكمه) يلكمه ضربه بجمع كفه (انخرطنا) سرنا مسرعين (ركين النصبة) وقور الهيئة وفلان ركين بين الركانة أى ثقيل المجلس ثابت قوى ، الأزهرى يقال للرجل إذا كان وقوراساكنا إنه لركين وقد ركن ركانة ، الجوهرى يقال جبل ركين أى له أركان عالية فيحتمل على هذا المعنى أن يكون ركين الصبة عالى الانتصاب حسن القامة والنصبة الفعلة من الانتصاب وأراد بها هيئة انتصابه فى جلوسه وحالته (أنيق) معجب (العصبة) هيئة العمامة على رأسه تقول عصبت رأسى بالعمامة إذ شددته بها والعصبة هيئة التعمم ، يقول إن هذا الشيخ الحاكم رزين فى جلوسه حسن التعمم والهيئة (يؤنس) يبصر (سكون الطائر) كناية عن الوقار والحلم وإنما ذكر الطائر لأنه لا ينزل إلا على ساكن وإذا نزل عليه سكن هو فاذا كان عند الرجل هوج وطيش قبل طارت عصافيره فاذا كان القوم أهل وقار قيل كأن على رؤسهم الطير (اندرأت) اندفعت (أتظلم) أتشكى الظلم (أتألم) أتوجع (مرم) ساكت (لايترمرم) لايجيب ولا يتحرك وتكلم فما ترمرم أى ما أجاب وأصل ترمرم تحرك (نثلت كنانتى) أخرجت ما فيها من السهام وأراد أتممت كلامى (قضيت) أتممت (القصص) ذكر الخبر (لبانتى) حاجتى (أبرز) أظهر (رزينة) ثقيلة (محذوة) جعل عليها الحذاء وهو الجلد الذى تنعل به (مسالك) طرق (الحزن) ماغلظ من الأرض (عرفت) صحت بها ليعرفها صاحبها (ماافتراه) ما جاء به من الادعاء والكذب (قذاله) عنقه والقذال ما بين نقرة القفا إلى الأذن وجمعه قذل . يقول : فان كانت هذه النعل تساوى عشرين وها هو يبصر أن هذا باطل فقد صارت دعواه باطلة اللهم إلا أن يمد عنقه ويأتى ببيان أنها تساوى عشرين ، وإلى هذا التفسير رأيت أكثر من لقيت يذهب وهو ضعيف . ولا يكون لمدقذاله معنى ولا لما بعده والتفسير الحسن الذى فيه جلاء للمعنى ما كان يفسره به شيخى أبو بكر ابن ازهر عن ابن جهور وذلك أنه كان يفسر أعطى بمعنى صفع وضرب وكذلك كتب عليه فى طرة كتابه أن أعطى بمعنى ضرب لغة أهل الشرق وقد حدثت أنا عنهم أن الرجل إذا كلم الآخر بمالا يرضيه ثم انصرف عنه صاح الآخر فى أثره اعطه ، بمعنى اصفعه . فهى لفظه متعارفة بينهم لهذا

المعنى ، وبيان موقعها هنا أنه لما ادعى السروجى أنه أعطى بناقته عشرين فوصفها بما يصح معناه فى حقها من أنها تساوى عشرين ثم قال إن المعرف أبرز نعلا رزينة الوزن أى ثقيلة فى الميزان محذوة لمسلك الحزن أى قد جعل عليها حذاء أى رفع من الجلد طرفت بها ليسلك بها الحزن أى ليمشى بها فى أرض ذات حجارة فلا تؤثر فيها لتلك الأطراف وبتلك الأطراف صارت ثقيلة فى الوزن فلما أبرز هذه النعل التى هذه صفتها رفعها بيده إلى الحاكم قائلا له هذه النعل التى عرفت وإياها وصفت فان كانت هذه النعل التى أعطى بها عشرين أى صفع بها عشرين ، فقلب الاعطاء للنعل بمعنى يوافقها إذ عد عشرين دينارا فى ثمنها بعيد ثم بينه بقوله وهاهو من المبصرين والضرب الجافى فى العنق تدمع له العينان وإذا أفرط فيه عمى له المصفوع ، فيقول المعرف هذه النعل لو صفع بها إنسان صفعة واحدة لعمى وهذا يقول إنه صفع بها عشرين وهو سالم البصر فقد كذب فى ادعائه أنه صفع بها عشرين وكبرت فريته اللهم إلا أن يمد قفاه فيرينا فيها أثر الصفع وأثر احمراره وتعجيره فيتبين بذلك الأثر صدق قوله . فهكذا تفسير هذ الموضع ومعناه ، وابن جهور الذى شافه الحريرى بمشكلات كتابه كان أضبط لها ممن يتحكم فيها بنظره ، فيكون تخليص المعنى أن المعرف يقول هذه النعل يدعى هذا أنه أعطى بها عشرين وأنتم ترونه سالم البصر ومحال أن يصفع بها إنسان لخشنها وثقلها عشرين صفعة إلا ويعمى فقد صارت دعواه كاذبة إلا أن يمد لنا عنقه فترى فيها أثر الصفع والرزء فنصدقه فى دعواه ، وفى رواية غير ابن جهور بعد المبصرين فقال كذب دعواه وهو داخل فى قول المعرف الأول فلا يحتاج إلى ادعائه . ولو جاء هنا بثم مكان الفاء لكان أمين فكان بمعنى قوله قال ثم يمشى فى كلامه ثم ينسق عليه قال لكلام ثان ، وإنما وضع الفاء موضع ثم لأن جواب الشرط الذى هو فإن كان مضمن فى قوله وها هو من المبصرين فانه يتضمن قوله وها هو من المبصرين معنى فقد كذب وليس فيه لفظ الجواب ، فجاءت الفاء كأنها جواب لفظى ووقعت قال موطئة لقال الأولى ، ألا ترى أن فى رواية ابن جهور مكان فقال فقد والكلام بها متصل حسن . قال أبو الرقعمق يصف العمى من الصفع :

ولقد بتنا على زمن ورؤوس القوم تستلب
وكؤوس الصفع دائرة وبها اللذات والطرب
وكأن الصفع بينهم شعل النيران تلتهب
والعمى منها وإن شغلوا عنه اللذات مقترب

وله :

إن الذين تصافعوا بالقرع فى زمن القشور
أسفوا على لأنهم حضروا ولم أك فى الحضور
لو كنت ثم لقيل هل من آخذ بيد الضرير
ياللرجال تصافعوا والصفع مفتاح السرور
لاتغفلوه فانه يستل أحقاد الصدور

وقال يصف أثر الصفع فى قفاه :

فنى ماشئت من حمق ومن هوس قلبه لكثير الحمق أكسير
كم رام إدراكه قوم فأعجزهم وكيف مايدرك فيه قناطير

لا عيب فى سوى أنى إذا طربوا ۞ وقد حصرت يرى فى الرأس تعجير
والاخدعان فماز الايرى لهما ۞ لكثرة المزح توريم وتحمير

ففى هذه الأشعار يتبين لك تلك الأغراض التى قدمنا ذكرها ، وتنتظم فى سلكها حكاية ابن المغازلى وكان رجلا يتكلم ببغداد على الطرق بأخبار ونوادر منوعة وكان نهاية فى الحذق لا يستطيع من سمعه أن لا يضحك، قال : وقفت يوما على باب الخاصة أضحك الناس وانا نادر فحضر خلفى بعض خدام المعتضد فأخذت فى نوادر الخدم فأعجب بذلك فانصرف ثم عاد فأخذ بيدى وقال دخلت فوقفت بين يدى سيدى فتذكرت حكايتك فضحكت فأنكر على وقال مالك ويلك فقلت على الباب رجل يعرف بابن المغازلى يتكلم بحكايات ونوادر تضحك الثكول فأمر باحضارك ولى نصف جائزتك فطمعت فى الجائزة وقلت ياسيدى أنا ضعيف وعلى عيلة فلو أخذت سدسها أو ربعها فأبى وأدخلنى فسلمت فرد السلام وهو ينظر فى كتاب فنظر فى أكثره وانا واقف ثم أطبقه ورفع رأسه إلى وقال أنت ابن المغازلى ؟ قلت نعم يامولاى قال بلغنى انك تحكى وتضحك بنوادر عجيبة فقلت ياامير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة اجمع للناس حكايات اتقرب بها إلى قلوبهم فالتمس برهم فقال هات ماعندك فان اضحكتنى اجزتك بخمسمائة درهم وإن انا لم اضحك فمالى عليك فقلت للحين مامعى إلا قفاى فاسال ما احببت قال انصفت إن لم تضحكنى أصفعك بذلك الجراب عشر صفعات فقلت فى نفسى ملك لا يصفع إلا بشى لين خفيف والتفت فاذا بجراب من ادم معلق فى زواية البيت فقلت : ما اخطأ ظنى عسى فيه ريح إن اضحكته ربحت واخذت الجائزة وإلا فعشر صفعات بجراب منفوخ شىء هين ،ثم اخذت فى النوادر والحكايات والنعاشة والعبارة فلم ادع حكايه اعرابى ولا نحوى ولا مخنث ولا قاض ولا نبطى ولا سندى ولا زنجى ولا خادم ولا تركى ولا شاطر ولا عيار ولا نادرة ولا حكاية إلا واحضرتها حتى نفد كل ما عندى وتصدع راسى وفترت وبردت ولم يبق ورائى خادم ولا غلام إلا وقد ماتوا من الضحك وهو مقطب لا يتبسم فقلت قد نفد ما عندى ووالله ما رأيت مثلك قط فقال لى هيه ما عندك فقلت ما بقى لى سوى نادرة واحدة قال هاتها قلت وعدتنى ان تجعل جائزتى عشر صفات وأسألك أن تضعفها لى وتضيف إليها عشر صفعات اخرى فأراد ان يضحك ثم تماسك وقال تعل ياغلام خذ بيده ثم مددت قفاى فصفعت بالجراب صفعة فكأنما سقطت على قفاى قطعة من جبل وإذا هو مملوء حصا مدورا فصفعت عشرا فكادت أن تنفصل رقبتى وطنت أذناى وانقدح الشعاع من عينى فصحت ياسيدى نصيحة فرفع الصفح بعد ان عزم على العشرين فقال قل نصيحتك فقلت ياسيدى إنه ليس فى الديانة أحسن من الامانة واقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذى ادخلنى نصف الجائزة على قلها وكثرها وامير المؤمنين بفضله وكرامه قد اضعفها وقد استوفيت نصفى وبقى نصفه فضحك حتى استلقى واستفزه ما كان سمع فتحامل له فمازال يضرب بيديه الأرض ويفحص برجليه ويمسك بمراق بطنه حتى إذا سكن قال على به فأتى به وأمر بصفعه وكان طويلا فقال وإيش جنابتى فقلت له هذه جائزتى وانت شريكى فيها وقد استوفيت نيصبى منها وبقى نصيبك فلما اخذه الصفع وطرق قفاه الوقع أقبلت الومه واقول له قلت لك انى ضعيف ومعيل وشكوت إليك الحاجة والمسكنة واقول لك خذ ربعها او سدسها وانت تقول لا آخذ إلا نصفها ولو علمت ان امير المؤمنين اطال الله بقاءه جائزته

اللّهُمّ غَفْرًا ، وجعَل يُقلّبُ النّعلَ بَطنًا وظَهرًا ، ثمّ قال أمّا هذه النّعْلُ فنَعْلِي ، وأمّا مطيّتُكَ فَفِي رَحْلِي ، فانهَضْ لِتسلّمِ ناقتكَ ، وافعَلِ الخيرَ بحسَبِ طاقتكَ ، فقمْتُ وقُلتُ :

أقسِمُ بالبَيْتِ العَتيقِ ذي الحُرَمْ ... وَالطّائفينَ العاكِفينَ في الحَرمْ

إنّكَ نِعمَ مَنْ إليه يُحتَكَمْ ... وخَيرُ قاضٍ في الأعاريبِ حَكَمْ

فاسْلَمْ ودُمْ دَوْمَ النّعامِ والنّعَمْ

فأجابَ مِنْ غَيرِ رَويّةٍ ، ولا عَقْدِ نيّةٍ ، وقال :

جُزِيتَ عَنْ شُكرِكَ خَيرًا يا ابنَ عَمْ ... إذْ لستُ أستوجِبُ شُكرًا يُلتزَمْ

شَرُّ الأنامِ من إذا استَقضِي ظَلَمْ ... ثم مَنِ استُرعِي فلَم يَرْعَ الحُرَمْ

فذانِ والكلبُ سَواءٌ في القِيَمْ

ثم إنّهُ نَقّذَ بين يدَيّ مَنْ سَلّمَ النّاقةَ إليّ ، ولم يَمْتَنَّ عليّ ، فرُحْتُ نَجيحَ الأرَب ، أجُرُّ ذَيْلَ الطّرَبَ ، وأقولُ يا للعَجَب .

قال الحارثُ بنُ همّام : فقلت له تاللهِ لقَدْ أطرَفْتَ ، وهرَفْتَ بما عَرَفْتَ ، فناشَدْتُكَ اللهَ هلْ ألفَيْتَ أسْحَرَ منكَ بلاغةً ، وأحسَنَ للَفظِ صياغةً ؛ فقال اللّهمّ نعَم ، فاستمِعْ وأنعِمْ ، كُنتُ عزَمْتُ ؛ حينَ أتهمْتُ ، عَلَى أنْ أتّخذَ ظَعينةً ، لِتكونَ لي مُعِينةً ، فحِينَ تعيّنَ الخطْبُ المُلِبُّ ، وكادَ الأمرُ يستَتِبُّ ، أفكَرْتُ فِكرَ المتحرّزِ من الوَهْمِ ، المتأمّلِ كيفَ مَسقَطُ السّهمِ ، وبِتُّ ليلَتي أناجي القَلبَ المُعذّب ، وأُقلّبُ العَزْمَ المُذَبذَب ، إلى أنْ أجْمَعْتُ ؛

الصفح وهبتها لك كلها فعاد إلى الضحك من عتابى للخادم فلما استوفى نصيبه أخرج صرة فيها خمسمائة درهم وقال هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى احضرت شريكا لك فقلت وأين الأمانة فقسمها بينناوانصرفت (اللهم غفرا) أى اغفر غفرا والغفر الستر والتغطية (انهض)تقدم (لتسلم) لتقبض (العتيق) القديم (الحرم) جمع حرمة (العاكفين) المقيمين فيه للعبادة والعكوف الإقامة (الحرم) حرم مكة (اسلم) دعاء معناه سلمك الله (النعام) طير معروف (الأعاريب) الأعراب وهم سكان البادية (النعم) جمع نعمة والدوم والدوام واحد(روية) أى فكرة (عقد نية) أى تدبير (استرعى)جعل راعيا أى حكما على الناس (يرعى)يحفظ(فذان) أى فهذان (القيم) جمع قيمة (يمتن) يعتدها منة وامتن فلان عليك إذا فعل معك معروفا فمتى أنكر عليك شيئا ذكر لك معروفه وجبهك به ، وقالت الحكماء : أحي المعروف باماتة ذكره وعظمه بالتصغير له (أطرفت) أتيت بطرفة يريد بأمر عجيب غريب (هرفت بما عرفت) أى تكلمت بشيء غريب والهرف الإطناب فى المدح ، ومن كلام العرب لاتهرف بمالا تعرف (ناشدتك)حلفتك(صياغة) صنعة وسبك (أتهمت) أتيت تهامة وهى ما انخفض من أرض العرب (ظعينة)زوجة(الخطب) النكاح (تعين) تحقق (يستتب) يتم (الوهم)الغلط(المتأمل) الناظر (المذبذب)المضطرب الذى لايعتمد على رأى(ازمعت) عزمت

علی أن أسحر ، وأشاوِرَ أوّلَ مَنْ أبصِرَ ، فلما قوّضَتِ الظُّلمَةُ أطنابَها ، وَوَلّتِ الشهُبُ أذنابَها ؛ غَدَوْتُ غُدُوّ المُتعرِّف ، وابتَكَرْتُ ابتِكارَ المُتعيِّف ، فانبرى لی یافِع ؛ فی وجْهِهِ شافِع ، فتيمّنْتُ بمَنظَرِهِ البَهيج ، وَاستَقدَحْتُ رَأيَه فی التّزويج ، فقال أوَ تبغيها عوانا ، أمْ بِكراً تُعانَى ، فقُلتُ اختَرْ لی ماتَرَى فقَدْ ألقيتُ إلَيْكَ العُرَى ، فقال إلىّ التّبيين ، وَعليك التّعْيين ، فاسْمَعْ أنا أفْدِيكَ ، بَعدَ دَفْنِ أعادِيك ؛ أما البِكرُ فالدُّرَّةُ المَخزُونَة ، والبَيْضَة المَكْنُونَة ؛

(أسحر) أخرج فی السحر (قوضت) هدمت (الاطناب) حبال الخباء وتقويضها إزالتها (الشهب) النجوم وجعل لها اذنابا مجازا وأراد أن الفجر إذا طلع وانتشر غابت النجوم فكأنها قد ولت أذنابها وقال التهامی ذالك :

فظلت أعثر فی ثوب الدجى ولها والجو روض وزهر الشهب كالزهر
وللمجرة فوق الأرض معترك كأنها حبب يعلو على نهر
وللثريا ركود فوق أرحلنا كأنها قطعة من فروة النمر
كأن أنجمها والصبح يغمضها قسرا عيون غفت من شدة السهر

(المعترف) المكتسب لأنه يعرف ماجهل (المتعيف) الزاجر من عاف الشیء إذا كرهه (يافع) فتى شاب وقد أيفع إذا شب (فی وجهه شافع) أی هو حسن الوجه يشفع له حسن وجهه إذا أذنب أو أخطأ وفی وجهه شافع صدر بيت للحكم بن قنبر وقال يحيى بن علی المنجم كنت يوما بين يدی المعتضد وهو مقطب فأقبل بدر مولاه فلما رآه من بعيد ضحك وقال يا يحيى من الذی يقول فی وجهه شافع فقلت يقوله ابن قنبر المازنی البصری فقال لله دره فأنشد هذا الشعر ، فأنشدته :

ويلی على من أطار النوم فامتنعا وزاد قلبی على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس فی أعطافه لمعت حسنا أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذی يهوی وإن كثرت منه الذنوب ومعذور بما صنعا
فی وجهه شافع يمحو إساءته من القلوب وجيه حيثما شفعا

أنس : قال النبی صلى الله عليه وسلم حسن الوجه مال ، وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال الشاعر: أنت شرط النبی إذا قال يوما اطلبوا الخير من حسان الوجوه

وقال صلى الله عليه وسلم من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله فی موضع غير شائن فهو من صفوة الله من خلقه . ابن عمر رضی الله عنهما : قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة تجلو البصر ، النظر إلى الخضرة والنظر الى الماء الجاری والنظر إلى الوجه الحسن ، نظمها الشاعر فقال :

ثلاثة يذهبن للمرء الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن

(تيمنت) تبركت (البهيج) الحسن (استقدحت) طلبت وأصلها فی قدح النار (تبغيها) تطلبها (عوانا) ثيبا (تعانى) تعالج وتراضى (العرا) جمع عروة (الدرة) الجوهرة (المخزونة) التی جعلت فی الخزانة لرفعتها يريد أن البكر تحجب وتصان (البيضة المكنونة) أراد بيضة النعام ويشبه بها النساء لبياضها والصفرة التی تضرب فيها

و بها كُورَةُ الجنية ، والسلافَةُ الهنيَّة ، والرَّوْضَةُ الأُنُف ، والطَّوْقُ الذى ثَمُنَ وشَرُف ؛ لم يُدَنِّسها لامِس ، ولا استَغشَاهَا لابِس ، ولا مارَسَها عابِث ، ولا وَكَسَها طامِث ؛ ولها الوَجْهُ الحَيِّىُّ ، والطَّرْفُ الخَفِيُّ ، واللِّسانُ العَيِيُّ ، والقَلْبُ النَّقِيُّ ، ثم هِيَ الدُّمْيَةُ المُلاعِبَة ، واللُّعْبَةُ المُداعِبَة ، والغزالةُ المُغازِلَة ، والمُلْحَةُ الكامِلَة ، والوِشَاحُ الطَّاهِرُ القَشِيبَ ، والضَّجِيعُ الذى يُشِبُّ ولا يُشِيب ، وأما الثَّيِّبُ فالمَطِيَّةُ المذَلَّلَةُ ، واللُّهْنَةُ المُعَجَّلَة ، والبُغْيَةُ المُسَهَّلَة ، والطَّبَّةُ المعلِّلة ، والقَرِينَة المتَحَبِّبَة ، والحَلِيلَةُ المُتَقَرِّبَة ، والصَّناعُ المدَبِّرَة ، والفَطِنَةُ المُختَبِرَة ، ثم إنَّها عُجالَةُ الرَّاكِب ،

وقد تقدمت هذه الصفة فى العاشرة , وقال امرؤ القيس :

كبكر مقاناة البياض بصفرة   غذاها نمير الماء غير المحلل

وقال ذو الرمه : كأنها فضة قد مسها ذهب . والمكنونة المصونة والنعامة تكن بيضتها بريشها ولا تبديها للشمس والريح لئلا تتغير وقال الله تعالى كأنهن بيض مكنون (الباكورة) أول ما يأكر من التمر (السلافة) الخمر (المدخورة) المحجوبة فى آنيتها (الانف) التى لم تدخل ولارعيت (الطوق) ثوب رفيع (ثمن) كبر ثمنه (اللامس) الذى يلمس الشيء بيده ويدنسه وأراد به الذى يلاعبها ويعضها : ابن عباس : اللمس والملامسة واللماس كناية عن الجماع وفلانة لاترد يد اللامس أى لا تمنع مجامعتها من أرادها (استغشاها) جامعها وغشيان النساء مجامعتهن (اللامس) الذى لابسها واختلى بها يريد نكحها (مارسها) عالجها وعاناها (عابث) مفسد وأراد من يعبث بها عند الجماع (وكسها) نقصها ووضع منها والوكس الخسارة فى البيع (طامس) ناكح والطامس المفتض البكو (الغبى) الذى لايعرف تصرفات الكلام (الدمية) صورة الرخام (اللعبة) ما يلعب به وتقوو لمن اللعبة أى لمن الغلب فى لعب الشطرنج وشبهه . . على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : المرأة لعبة زوجها فان استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل (المداعبة) الممازحة (المغازلة) تقول غازلتنى المرأة إذا تماجنت عليك فى كلامها وأشارت لك بعينها وغمزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صدت عنك (الملحة) الصورة المستملحة كالدمى وكالصورة التى تلعب بها البنات والشطار وهى اللعبة وجاء بملحة أى بكلمة طيبة مليحة (الوشاح) الحزام (القشيب) الجديد ، جعلها كالوشاح عند عناقها وجماعها (الضجيع) المراقد (يشب) يردك شابا (يشيب) يكسبك الشيب (اللهنة) ما يعجل للضيف قبل القرى (الطبة) الحاذقة بمصالحها (المعللة) التى تعطيك ماتريد منها مرة بعد مرة ، وهى بكسر اللام والمعللة هى التى تعلل مرتشفها بالريق ، قال امرؤ القيس : ولا تمنعينا من جناك المعلل . ابن الأعرابى : المعلل المعين بالبر بعد البر ومن نصب اللام فمعناه المطيب مرة بعد مرة والتعليل سقى بعد سقى (القرينة) الصاحبة (الحليلة) الزوجة (الصناع) الحاذقة بالصنعة (عجالة الراكب) مايعجل له من الطعام والشراب مثل التمر والسويق وما يتعب بمعالجته وكانت العرب لكرمها يمر عليها الرجل وهو راكب فتعرض عليه النزول للقرى فيمتنع لاعذر له فيمسك حتى يخرج له من البيوت أيسر ما يوجد يأكله وهو راكب فجعل الثيب لسهولتها كالعجالة التى لايتكلف لها ، وقال عمر بن

وأُنشُوطَةُ الخاطِب، وقُعْدَةُ العاجز؛ ونُهزَةُ المبارز، عَرِيكَتُها لَيِّنَة، وعُقْلَتُها هَيِّنَة؛ ودِخْلَتُها مُتَبَيِّنَة، وخِدمتُها مُزَيِّنَة، وأُقسِمُ لقد صدَقْتُ في النَّعتَيْن، وجلَوْتُ المهاتَيْن، فبأيَّتِهما هامَ قلبُكَ، وعلى أيَّتِهما قامَ ربُّك، قال أبو زيد فرأيتُه جَنْدَلةً يتَّقيها المُراجم، وتُدمَى منها المَحاجم، إلا أنّي قلتُ له كنتُ سمعتُ أنَّ البِكرَ أشدُّ حُبًّا، وأقلُّ خِبًّا، فقال لعَمري قد قيل هذا، ولكن كم قَوْلِ أذى، ويحكَ أمَا هيَ المُهرةُ الأبيَّةُ العِنان، والمَطيَّةُ البطيَّةُ الإذعان؛ والزَّندةُ المتعسِّرةُ الاقتداح، والقَلعةُ المستصعَبةُ الافتتاح، ثم إنَّ مؤونتَها كثيرة، ومعونتَها يسيرة؛ وعِشرتَها صَلِفة، ودالَّتَها مُتكلِّفة؛ ويدَها خرقاءُ، وفتنتُها صمَّاء، وعريكتَها خشناء، وليلتَها ليلاء، وفي رياضتِها عناء، وعلى خِبْرتِها غِشاء، وطالما أخزَتِ المنازل، وفرَكَتِ المُغازل، وأحنقَتِ الهازل، وأضرعَتِ الفنيق البازل، ثم إنها التي تقولُ أنا ألبَسُ وأجلِس، فاطلُبْ مَن يُطلِقُ ويحبِس، فقلتُ له فما ترى في الثَّيِّب، يا أبا الطَّيِّب، فقال ويحكَ أترغبُ في فُضالةِ المآكل، وثُمالةِ المناهل، واللِّباسِ المستبذَل؛ والوعاءِ المستعمَل،

الخطاب رضى الله عنه البكر كالبرة تطحنها وتعجنها وتخبزها وتأكلها والثيب عجلة الراكب تمر وسويق (الأنشوطة) عقدة تحل بسهوله (نهزة) فرصة وغنيمة سهلة (عريكتها) طبيعتها ورجل لين العريكة إذا كان سهلا سلس القياد وأصل العريكة سنام البعير وكانوا يعمدون للبعير إذا كان فيه شماس وامتناع فيقطعون فى حدبته وهى مرتفعة يصعب الركوب عليها فاذا قطع فيها سكن البعير ولان وتوطأ موضع الركوب منه فيقال قد لانت عريكته، وقال الشاعر:

من اللواتى إذا أودت عريكتها   يبقى لها بعدها أل ومجهود

(أودت) أى زالت وذهبت فهذا يدل على ما ذكرنا (علقتها) حبستها يريد أن ما يعقلها به صاحبها شىء هين والعقلة مثل العقدة ولفلان عقلة يعقل بها الناس فيغلبهم ويصرعهم (دخلتها) باطن أمرها وفلان عفيف الدخلة وخبيثها أى الباطنة والسريرة (متبينة) مكتشفة ظاهرة أى سرها ظاهر (المهاتين) البكر والثيب والبقرة الوحشية هى المهاة (هام) تحير من شدة الحب (المراجم) أى الذى ترجمه ويرجمك (خبا) مكرا وخديعة ورجل خب غاش فاجر (الأبية العنان) الممتنعة القياد (الأذعان) الخضوع والذلة (الزندة) ما تزيد منه النار (المتعسرة الاقتداح) التى يعسر إخراج النار منها (القلعة) الحصن والمكان المرتفع (عشرتها) صحبتها (صلفة) مجاوزة حد الطرق وأصل الصلف الاعراض عن الشىء كأنه إذا استقبلك أبديت له صليفك وهو صفحة عنقك، (ودالتها) انبساطها يريد انبساطها إذا أردت أن تدل عليك تتكلف ذلك (خرقاء) لا تحسن العمل (صماء) شديدة كأنها لا تسمع النهى والعذل (وفتنتها) شرها (خشناء) خشنة صعبة (ليلاء) شديدة السواد طويلة (خمرتها) لبستها الخمار (غشاء) غطاء وستر (فضالة) بقية وكذلك (ثمالة المنهل) موضع الماء والنهل الشرب

والذَّوَّاقة المُتَطَرِّفة ، والخَرَّاجة المُتَصَرِّفة ، والوَقاح المُتَسَلِّطة ، والمُحتكِرة المتسخِّطة ، ثم كلمتها كُنْتُ وصِرْتُ ؛ وطالما بُغِيَ عليَّ فنُصِرْتُ ، وشتَّان بين اليوم وأمس ، وأين القمر من الشمس ، وإن كانت الحَنَّانة البَرُوك ، والطَّمَّاحة الهَلُوك ، فهي الغُلُّ القَمِل ، والجُرْح الذي لا يَنْدَمِل ؛ فقلتُ له فهل ترى أن

الأول (الذواقة المتطرفة) أى التى تذوق طرف الشيء وتتركه أو تذوق بطرف لسانها ثم تبصقه وتطرفت الناقة رعت بأطراف المرعى فيريد أنها لاتبقى على زوج واحد إنما هى تذوق كل زوج وتجرب لذة مباشرتهم وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم إنى قد طلقت زوجى فقال النبى صلى الله عليه وسلم إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات (الخراجة) الكثيرة الخروج (المتصرفة) الجوالة (الوقاح) الصلبة الوجه التى ليس عندها حياء (المتسلطة) المستطيلة اللسان (المحتكرة) التى تسرق رزق زوجها ثم تحتكره أى تدخره وترفعه فاذا احتاج زوجها لشرائه أخذت منه ثمن ما عندها محتكرا (كنت وصرت) تخاطب به زوجها أى كنت فى نعمة مع الزوج الأول وأنا معك على شقاء (بغى على) أى اجتمع على بالظلم والبغى الظلم (وشتان) بعد (اليوم وأمس) الزوج الحاضر معها والزوج المفقود وهو الذى أراد بالقمر والشمس ويقال شتان زيد وعمرو ترفعهما بشتان وتفتح نونها لالتقاء الساكنين تشبيها بالأدوات ويقال شتان ما زيد وعمرو فتجعل ماصلة أو تنصبها على التميز على حد نعم رجلا زيد والتقدير شتان شبها زيد وعمرو برفعهما بشتان بمعنى بعد شبها زيد وعمرو ويجوز كسر نون شتان على أنها تثنية شت وهو التفرق وجمعه أشتات ويقال شتان مابين زيد وعمرو فترفع ما بشتان على أنها بمعنى الذى وبين صلتها ولا يجوز كسر نون شتان لأنها اسم واحد ومعنى هيهات بعد (الحنانة) صاحبة الولد الذى من غير الزوج الذى هى معه فمتى رأت ولدها حنت لوالده (البروك) التى تتزوج ولها ولد كبير ويسمى ولدها الحو بند (الطماحة الهلوك) هى التى فارقها زوجها فتطمح له أبدا وتتهالك فى محبته وقيل الطماحة التى تطمح إلى كل شهوة والهلوك الفاجرة (الغل) الشرك التى يغل بها الأسير أى تربطها فى عنقه ويديه (القمل) الذى كثرت فيه القمل ويضرب بالغل القمل المثل للمرأة السيئة الخلق (لا يندمل) لا يبرأ . أبو موسى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل كانت عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه ، المقدمى : قال بعض الحكماء أربعة أشياء يمنعن النوم والقرار : المرأة السوء والولد الجاهل والعشير المخالف والعبد اللئيم قال الأصمعى قال لى زائدة البندار قيل لى بالشام هل لك أن ترى العجب فذهبت فاذا سبعة فى شق جد وستة من ولده وولد ولده وإذا الجد السابع أشب من الابن السابع فسألت عنه فقيل كان للجد امرأة موافقة وللابن السابع امرأة سليطة ، وقال صلى الله عليه وسلم أربعة لا يشبعن من أربعة عين من نظر وأرض من مطر وأنثى من ذكر وعالم من علم قال الأصمعى تزوج رجل من عذرة امرأة من بلى حمقاء فغاب عنها غيبة ثم قدم عليها فلما جمعهما المضجع أنشأت تقول :

ما مسنى من بعدك من أنسى ... غير غلام واحد جعدى
ورجل أحمق من بلى ... ورجلين من بنى عدى

أَتَرَهَّب ، وأَسْلُكَ هَذَا المَذْهَب ؛ فَانْتَهَرَنِى انْتِهَارَ المُؤَدِّب ، عِنْدَ زَلَّةِ المُتَأَدِّب ، ثم قَالَ أَتَقْتَدِى بِالرُّهْبَانْ وَالْحَقُّ قَدِ اسْتَبَانْ ، أُفٍّ لَكَ وَلِوَهَنِ رَأْيِك ، وَتَبًا لَكَ وَلِأُولَئِكَ ، أَتُرَاكَ مَا سَمِعْتَ بِأَنْ لَارَهْبَانِيَّةَ فِى الْإِسْلَامِ ؛ أَوْ مَا حُدِّثْتَ بِمَنَاكِحِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ أَزْكَى السَّلَام ؛ ثم أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ القَرِينَةَ الصَّالِحَةَ تُرَبُّ بَيْتَكَ ، وَتُلَبِّى صَوْتَكَ ، وَتَغُضُّ طَرْفَكَ ، وَتُطَيِّبُ عَرْفَكَ ، وَبِهَا تَرَى قُرَّةَ عَيْنِك ، وَرَيْحَانَةَ أَنْفِكَ ، وَفَرْحَةَ قَلْبِكَ ، وَخُلْدَ ذِكْرِك ، وَتَعِلَّةَ يَوْمِكَ وَغَدِكَ ، فَكَيْفَ رَغِبْتَ عَنْ سُنَّةِ المُرْسَلِينَ ، وَمُتْعَةِ المُتَأَهِّلِين وَشِرْعَةِ المُحْصَنِين ، وَمَجْلَبَةِ المَالِ وَالبَنِين ، وَاللهِ لَقَدْ سَاءَنِى فِيك ، مَا سَمِعْتُ مِنْ فِيكَ ثم أَعْرَضَ إِعْرَاضَ المُغْضَب ، وَنَزَا نَزَوَانَ العُنْظُب ، ، فَقُلْتُ لَهُ قَاتَلَكَ اللهُ أَتَنْطَلِقُ مُتَبَخْتِرًا ، وَتَدَعُنِى مُتَحَيِّرًا

وتسعة كانو مع المطى وسبعة كانوا على الطوى
وخمسة وافوا مع العشى من بين جدى إلى مكى
ومن تهامى إلى نجدى

فقام اليها بالسوط فضربها فاجتمع لذلك من حوله يلومونه فقال والله لولا ماقمت لضربها لعدت على أهل عرفات ومنى ؛ وقيل ليحي المدينى ما الجرح الذى لايندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم (أترهب) أى أترك التزويج والترهب ترك النساء (انتهرنى) زجرنى وأخذنى بلسانه:(زلة) سقطة (استبان) ظهر (الاف) وسخ الأذنين (الوهن) الضعف والخسران(لأولئك) إشارة للرهبان (السكن) الزوجة يسكن إليها (ترب) تصلح (تلبى) تجيب (تغض طرفك) أى تحصنك وتمنعك من نظر النساء (عرفك) ريحك الطيب (وقرة العين) مايتمنى وتقر به العين (ريحانة) شجرة طيبة الريح وريحانة من صفة المرأة ريحانة وقال على رضى الله عنه فى وصيته لابنه محمد بن الحنيفة لا تملكن المرأة من الأمر مايتجاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة وإن ذلك أودم لحالها وأرضى لبالها ، وما أحسن ما قال ابن اللبانة يرثى أخت المرتضى صاحب ميورقة وماتت بعد أخيها:

أينت العلا جددت منعى على منعى مضى المرتضى أصلا وأتبعته فرعا
جرى الموت جرى الريح منبتيكما فأذواك ريحانا وكسره نبعا

(تعلة) أى تتعلل وتنتفع بما عندها من القيام بمؤونتك(متعة) مايتمتع به ويتلذذ (المتأهلين) المتزوجين الذين لهم أهل (شرعة) طريقة (المحصنين) المتزوجين (نزا) وثب وارتفع (العنظب) ذكر الجراد . ونذكر هنا فصلا يليق بهذا الموضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعطاف بن وداعة الهلالى ياعطاف ألك امرأة قال لا قال فانت إذا من إخوان الشياطين إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وإن كنت منافسنتنا النكاح . أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ركعتان من المتأهل خير من اثنين وثمانين ركعة من العزب وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا الولود الودود من النساء فانى مكاثر بكم الأمم وقال صلى الله عليه وسلم النساء ثلاث صنف كالرحى تحمل وتضع وصنف كالعر وعو الجرب وصنف ودود ولو تعين زوجها على إيمانه فهى خير له من الكنز ، ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم إذا اتى على أمتى مائة وثلاثون سنه

فقد حلت لهم العزبة والترهب فى رؤوس الجبال ، وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، وقال خالد بن صفوان لرجل أتزوجت قال لا قال فتزوج ثم قال بعد ساعة لا تتزوج فقال لم قال إنك إن تزوجت واحدة فتطهر إن طهرت وتحيض إن حاضت وتغضب إن غضبت فان تزوجت باثنتين تقع بين ضرتين فاذا تزوجت ثلاثا تقع بين أثاف وإن تزوجت بأربع يغسلنك ويهرمنك قاله أفتحرم ما أحل الله لك قال لا ولكن كوزان وخماران وعباءة وقرصان وقال رجل أردت النكاح فقلت لأستشيرن أول من يطلع على فاعمل برأيه فأول طلع على هبنقة القيسى الاحمق وتحته قصبة فقلت له إنى لاستشيرك فى النكاح فقال البكر لك والثيب عليك وذات الولد لاتقربها واحذر جوادى لاينفحك وقال رجل لولده يابنى لاتتخذها حنانة ولا أنانه ولا عشبة الدار ولا كية القفا ، فالحنانة التى لها ولد من غيره فهى تحن اليه والانانة التى مات زوجها فهى إذا رأت الثانى أنت للاول وقالت يرحم الله فلانا والمنانة التى لها مال فهى تمن به على زوجها متى احتاج إليه وعشبة الدار خضراء الدمن وقد تقدمت وكية القفا التى إذا انصرف ابنها أوزوجها من بين القوم قال رجل كان بينى وبين أم هذا أو زوجته شىء ، وسئل أعرابى عن النساء وكان ذا تجربة لهن فقال أفضلهن أطولهن قامة إذا قامت أكظمن إذا قعدت وأصدقهن إذا قالت التى إذا غضبت حلمت وإذا ضحكت تبسمت وإذا صنعت شيأ جودت التى تلزم بيتها ولا تعصى زوجها العزيزة فى قومها الذليلة فى نفسها الودود الولود وكل أمرها محمود ، نظر خالد بن صفوان إلى جماعة فى مسجد البصرة فقال ماهذه الجماعة قالوا على امرأة تدل على النساء فأتاها فقال لها أبغى امرأة قالت فصفها قال أريد بكرا كثيب أوثيبا كبكر حلوة من قريب ضخمة من بعيد كانت فى نعمة وأصابتها حاجة ففيها أدب النعمة وذلة الحاجة إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا وإذا افترقنا كنا اهل آخرة قالت قد أصبتها لك قال فأين هى قالت فى الرفيق الاعلى من الجنة فاعمل لها ، وقال خالد لأبى العباس السفاح وكانت عنده أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومى وكان تزوجها قبل الخلافة وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى : ياأمير المؤمنين إنى تفكرت فى أمرك مع سعة ملكك وقد ملكتك امرأة واحدة ان مرضت مرضت لمرضها وان غابت غبت وحرمت نفسك بالجوارى ومعرفة جـلالتهن فان منهن الطويلة الغيداء والفضة البيضاء والعقيقة الاماء والرقيقة السمراء والبربرية العجزاء يفتن بمحادثتهن وتأتك عن بنات الأحرار والنظر اليهن ولو رأيت الطويلة البيضاء والسمراء العيناء والبيضاء العجزاء والمولدة من البصريات والكوفيات ذوات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والاصداغ المزرنقة والعيون المكحلة والثدى المحققة وحسن زينتهن وزينهن وشكلهن لرأيت شكلا حسنا فقال له ويحك ياخالد ما سلك مسامعى والله كلام أحسن ما سمعت منك فانصرف وبقى أبو العبـاس متفكرا فدخلت عليه أم سلمة فرأته مغموما فقالت له انى لأنكرك يا أمير المؤمنين هل أتاك خبر فارتعت له قال لاقالت فما قصتك فزوى وجهه عنها فلم تزل به حتى أخبرها قالت لابن الفاعلة قال سبحان الله ينصحنى وتشتمينه فخرجت مغضبة وأرسلت اليه جماعة من العبيد وبأيديهم مقامع من حديد وأمرتهم أن لا يتركوا من خالد عضو صحيحا قال خالد فانصرفت مسرورا ولما رأيت من اعجابه بما ألقيت عليه ولم أشك أن صلتى ستأتينى فانى لقاعد على باب دارى واذا بالعبيد قد أقبلوا نحوى فلم أشك فى الجائزه فسألوا عنى فقلت أنا خالد فأهوى أحدهم الى بهراوة فوثبت

إلى منزلى وعلمت انى اتيت من ام سلمة وطلبنى أبو العباس طلبا شديدا وانا مستخف فهجم على فى الثالث فقالوا اجب امير المؤمنين فايقنت بالموت فدخلت عليه وليس فى وجهى دم فسلمت وجلست واذا خلف ظهرى ستر خلفه حركة فقال لى ياخالد اين كنت منذ ثلاثة ايام قلت عليلا قال انك وصفت لى من اخبار النساء والجوارى مالم يخرق مسامعى قط شيء احسن منه فأعده على قلت نعم اعلمتك ياامير المؤمنين ان العرب اشتقت اسم الضرتين من الضروان احدهم لم يكن عنده اكثر من واحدة الا كان فى جهد قال ويحك لم يكن هذا فى الحديث قلت بلى والله واعلمتك ان الثلاث من النساء كأنهن فى القدر يغلى عليهن، قال ابو العباس برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمت هذا منك فى حديثك، قلت وأخبرتك ان الاربع شؤم مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويقصمنه قال والله ماسمعت هذا منك قط قلت بلى والله ياامير المؤمنين قال ويحك وتكذبنى قلت وتريد ان تقتلنى قال مر فى حديثك قلت واخبرتك ان ابكار النساء رجال ولكن لاخصى لهن قال وسمعت الضحك من وراء الستر قلت واخبرتك أن بنى مخزوم ريحانة قريش وعندك ريحانة من الرياحين وانت تطمح الى غيرها من الاماء فقيل لى من وراء الستر صدقت والله ياعماه وبررت . . وبهذا حدثته ولكنه غيروبدل، فقال لى ابو العباس مالك قاتلك الله واخزاك وفعل وفعل فتركته وخرجت فما شعرت الا برسل ام سلمة ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام فقبضتها . . وفى هذا الحديث المليح تعلق بماذكر الحريرى من مدح النساء وذمهن وخالد بن صروان لفصاحته اقدر الناس على مدح الشيء وذمه وقد تقدم فى الثالثة هذا الفن . . وقال ابو العباس السفاح لخالد وعنده اخواله الحارثيون كيف علمك باخوالى ياخالد قال ياامير المؤمنين هم هامة الشرف وعرنين الكرم وغرس الجود وفيهم خصال ليست لغيرهم انهم لأصونهم أما وأحسنهم أمما وأكرمهم شيما واطيبهم طعما وأوفاهم ذمما وأبعدهم همما الجمرة فى الحرب والرفد عند الجذب وهم الرأس فى كل خطب وغيرهم بمنزلة العجب فقال لقد وصفت يا ابن صفوان فأحسنت فزاد اخواله فى الفخر فغضب أبو العباس لاعمامه فقال افخر ياخالد فقال على أخوال أمير المؤمنين قال فأين أنت من اعمامه قال كيف افاخر قوما هم بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم هدهد وغرقتهم فارة وملكتهم امرأة . : ودخل خالد على ابى الجهم العدوى وهو يريد ركوب حمار فقال خالد اما علمت ان العير عار وان الحمار شنار منكر الصوت قبيح الفوت مترتم فى الحل مرتطم فى الوحل ليس بركوبه فحل ولا مطية رحل واكبه مقرف ومسايره مشرف فاستوحش العدوى من ركوبه فركب فرسا وركب خالد الحمار فقال ويحك ياخالد اتنهى عن شيء وتأتى مثله قال أصلحك الله عير من بنات الكداد اسحم السربال مدمج الأوصال محملج القوائم يحمل الرحلة ويبلغ العقبة ويمنعنى من ان اكون جبارا عنيدا أو ملكا شديدا فقد ضللت إذا وما أنا من المتهدين ذلك لك وهذالى، فتبسم العدوى .. ثم ترجع إلى جملة مقاطيع من اوصاف النساء تتبين بها أوصافهن قال العديل بن الفرخ :

لعب النسيم يهن فى أظلاله ... حتى لبسن زمان عيش غافـــل
يا خذن زينتهن احسن مايرى ... واذا عطلن فهن غير عواطل
وإذ أرين خدودهن أرينهـــا ... حدق المهى وأخذن سهم القاتل
ورميننى لا يستترن بجنة ... إلا الصبا وعرفن اين مقاتلى

وقال العباس بن طرخان :

تقسمن قلبا كان مجتمع الشمل وفرقنه بين المسالك والسبل
زرعن الهوى فى القلب ثم سقينة صبابات ماء الشوق بالأعين النجل
رمين فلما أن أصبن مقاتلى تولين وانضمت جراحى على النبل

وقال البحترى : لما مشين بذى الأراك تشابهت أعطاف قضبان به وقدود
فى حلتى حبر وروض فالتقى وشيان وشى ربا ووشى برود
وسفرن فامتلأت عيون راقها وردان ورد جنى وورود خدود
ومتى يساعدنا الوصال ودهرنا يومان يوم منى ويوم صدود

وقال التهامى ماتت لفقد الظاعنين ديارهم فكأنهم كانوا لها أرواحا
لا عيب فيهم غير شح نسائهم ومن السماحة أن يكن شحاحا
طرقته فى أترابها فجعلت له وسنا من الغر الصباح صباحا
أبرزن من تلك العيون أسنة وهززن من تلك القدود رماحا

وأنشد الأصمعى : خزاعية الأطراف مرية الحشى تزارية المين طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف ونغمة داود وعفة مريم

وقال الاسعد بن نبيط

غلامية جاءت وقد جعل الدجى لخاتم فيها فص غالية خطا
فقلت أحاجيها بما فى جفونها وما بالشفاء اللعس من حسنها المعطى
ارى صفرة المسواك من حمرة اللمى وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى قدح قبلته فاخاله على الشفة اللمياء قد جاء منحطا

فتصور فى البيتين قبل هذا احسن مقابلة وتصور فى البيتين من آخر هذه القطعة ثلاث تشبيهات شبهت بشىء واحد يتضمنها جميعا ، وقال ابن شرف :

قامت تجر ذيول العصب والحبر ضعيفة الخطو والميثاق والنظر
تخطو فتولى الحصا من حليها نبذا وتخلط العنبر الوردى بالعفر
تلفتت عن طلا وسنان وابتسمت عن واضح مثل نور الروضة العطر
مالذ للعين نوم بعد ما ذكرت ليلا سمرناه بين الضال والسمر
تساقط الطل من فوق النحور به تساقط الدر فى اللبات والثغر

وقال الرمادى شطت نواهم بشمس فى هوادجهم لولا تلألؤها فى ليلهن عشوا
شكت محاسنها عينى وقد عذرت لأنها بضمير القلب تنخمش
شمس ووجه تبارى فى افتخارهما لحسن هذا وذاك الروم والحبش

فقال أظُنُّكَ تدَّعِي الخيرَةَ ، لتجلدَ عُمَيْرَه ، وَتَستَغنى عَنِ المُهَيْرَة ، فقلت له قَبَّحَ اللهُ ظَنُّكَ ؛

شككت فى سقمى منها أفى فرشى ‏ إذا تأملت إلا لطيف والفرش

ولبعض أصحابنا : سائل سقاة الحى عن نجدية ‏ ورد الحجيج بها سقاية زمزم

ليست برود السابرى فأفضلت ‏ من ذيلها ولبست جلد الأرقم

ياليت شعرى وهى أنسك ناسك ‏ لم تستحل دم المحب المسلم

نبئت أن الظاعنين بها سعوا ‏ للاجرة فانقلبوا بكبر المـآثم

سفكوا دماء الرائحين إلى منى ‏ بجفونها ونجوا بسافكة الدم

وهذا القدر فى هذا الموضع كاف وقد تضمن هذا الديوان مقطعات بديعة فى أوصاف النساء (لتجلد عميرة) يقال لهذا الفعل الخضخضة والتدليك والاستمناء والاعتمار واعتمر الرجل جمع يديه وضمهما لذلك والالطاف للنساء مثل الخضخضة للرجال يقال منه ألطفت المرأة وقال القتيبي بيتا ما سمعناه على وجه الدهر :

إذا مررت بواد لا أنيس به ‏ فاضرب عميرة لاعار ولا حرج

آخر ‏ بيدى ورجلى لاعدمت كليهما ‏ أصبحت أغنى من يروح ويغتدى

أمشى على هذى وأنكح هذه ‏ فطيتى رجلى وجاريتى يدى

آخر : تسألنى عن عتدى وعندى ‏ فانى يا ابنة آل مرثد ‏ راحلتى رجلاى وامرأتى يدى

وقال أعرابي : إن تبخلى بالمركب المحلوق ‏ فإن عندى راحتى وريقى

ودلكات لسن للتمزيق ‏ أشهى من التصبيح والتغبيق

وقال الخزامى : خطبت إلى ساعدى راحتى ‏ وما كنت من شر خطابها

فإن شئت أوتى بها ثيبا ‏ وبكرا إذا شئت أوتى بها

ونزهة نفسى عين الغانيات ‏ وعن ذكر سلمى وأترابهـا

وقال الحسن : إذا أنت أنكحت الكريمة كفؤها ‏ فأنكح حسيبا راحة لابن ساعدى

وقل بالرفا مانلت من وصل حرة ‏ لها ساحة حفت بخمس ولائد

وقال ابن الرقعمق : ومن بلائى أبو عميرة ‏ معرض بى إلى المنون

منتصبا ما ينام وقتا ‏ وليس يهدا من الزنين

من يك ذا زوجة فانى ‏ لشقوتى زوجتى يمينى

عميرة قد جلدت حتى ‏ خشيت والله تجلدونى

فراقبوا الله فى يمينى ‏ وخلصوها وزوجونى

وقال آخر يشتكي غلظ يده :

لو أنها لدنة قضت من وطرى ـ لـكنه خشن أربى على السفن
أشكو إلى الله نعظا قد منيت به ـ وما ألاقى من الأملاق والحزن

آخر:
ومغتاب إذا نبحا ـ يظن سواه قد جرحا
ومن لم يدر لم يألم ـ فعاد عليه ما اجترحا
كنا كح كفه ينوى ـ فتاة كان قد لحا
ولا نـكح الفتى احدا ـ اكن نفسه نـكحا

فنـكاج الكف هو جلد العميرة . قال ابن أبي الأزهر مررت على بردعة الموسوس وقد أدخل يده فى جيبه وهو يخضخض فصربته برجلى فانـكشف فإذا هو منعظ فقلت ماهذا فقال أماترى تلك وأشار بيده إلى جارية جميلة فى علية متطلعة فقال انى دعوتها إلى نفسى فلما لم تجبنى أجبتها فقلت قبحك الله ووليت عنه فلم يلبث أن لحق بى وقال قضيت الحاجة على رغم أنفك ثم أنشدنى :

أأنـكرت ما عاينت من كف دالك ـ وهل ينـكر التدليك فى قول مالك
لقد أمن الدلاك من أن تنالهم ـ حدود الزنا فى واضحات المسالك
وإنى قد سكنت عزمة غلتى ـ بحسن عيون والثدى العواتك

كذب على مالك ، مالك والشافعى وعامة العلماء يحرمون الاستمناء وحجتهم قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . الفنجديهى : وقد جاء فى تحريم الخضخضة حديث مشهور وسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنـه قال سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار مع الداخلين إلا أن يتوبوا فمن تاب تاب الله عليه الناكح يده والفاعل والمفعول به ومدمن الخمر والضارب أبويه حتى يستغيثا والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه والناكح حليلة جاره .. وإنما رويت الرخصة فى ذلك عن عمرو بن دينار وروى عن ابن عباس أنه سئل عن الخضخضة فقال نـكاح الأمة خير منها وهى خير من الزنا ، الأزهرى : أبو عمير ذكر الرجل . الفجديهى : سمعت الحافظ أبا العلاء يقول الخضخضة على مذهب الامام أحمد بن حنبل جائزة لمن استولت عليه الشهوة حتى خاف على نفسه إتيان الفواحش أبو الفرج محمد بن ابى جعفر الطائى بهمذان قال :أنشدنا الإمام أبو المظفر المعاوى لنفسه وكان من أورع الفضلاء وأزهدهم :

خليلى لا بغداد تدنو فتنقضى ـ هموى ولا الرى البغيضة تبعد
فليس من الانصاف والعدل أنكم ـ تنيكون ربات الحجال ونجلد
وترضون بالحرمان للفتية التى ـ على غضب باتت تقوم وتقعد
فلا تحسبوا جلدى عميرة وصمة ـ على فقد أفتى بها الشيخ أحمد
ولو وسعتها راحتى لاحتملتها ـ فما حيلتى إذا ضاق ذرعا بها اليد

وذكر بيتين آخرين ، قال وأنشدنى إمام أهل اللغة أبو المعالى اسماعيل بن الحسن البديع لبعضهم :

وَلَا أَشَبَّ قَرْنَك ، ثم رُحْتُ عنهُ مَرَاحَ الخَزْيَانِ ، وَتُبْتُ مِنْ مشَاوَرَةِ الصِّبْيَان
قال الحارثُ بنُ هَمَّامٍ : فقلتُ لهُ أُقْسِمُ بِمَنْ أَنْبَتَ الأَيْك ، أَنَّ الجَدَلَ منكَ وإلَيك ،

إنمـــا همى كـسيره نشفت ماء قديره
وخمير فى ذكيره بلغنى منها سكيره
وغـــلام أو فتاة قد كنى جلد عميره
من رأى عيشى هذا غاش لا يؤثر غيره

قال وأنشدنى البديع أيضا لبعضهم :

يا سيدى نحن فى زمـان أبدلنا الله منه غيره
فكل ذى خسة وذل متع بالطيبات أيره
وكل ذى فطنة وكيس يجلد فى بيته عميره

(أشب قرنك) يدعى بذلك للصبي أن يكبر وتطول قامته كما تقول للصبي فى ضد ذلك لا كبرك الله ويقال شب الصبي يشب بكسر الشين شبابا بفتح الشين وكسرها إذا طال ونما جسمه والصبى شاب وأشبه الله واشب الله قرنه أى جعله شابا أسود الذؤابة والقرن الضفيرة وهى الذؤابة وقيل القرن جانب الرأس (المراح) كالرواح (الخزيان) المهان والمستحي وخزى يخزى خزيا أهين وخزاية استحيا فهو خزيان أى مستحى وقوم خزايا (وتبت من مشاورة الصبيان) قال عمر رضى الله عنه خصلتان من علامة الجهل مشاورة النساء والصبيان واستكتام السر للنساء والصبيان (الأيك) شجر (الجدل منك واليك) اى إنما كان هـــذا الخصام بينك وبين نفسك نفسك ولم يكن ثم صبى تحاوره أى أن حديثك مصنوع لا أصل له . . ومن مستعمل الاخبار المصنوعة مايحكى أن حبيب بن أوس قال لقينا اعرابى وقد خرجت فى أيام الواثق إلى سر من رأى فقلت له ممن قال من بنى عامر قلت كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال قلت ارضا عالمها قلت ما تقول فى أمير المؤمنين قال وثق بالله فكفاه اشجى العاصية وقصم العادية وعدل فى الرعية قلت فما تقول فى أحمد بن أبى داود قال هضـــبة لا ترام وجبل لا يضام تشحذله المدى وتنصب له الحبائل حتى إذا قيد وثب وثبة الذئب وختل ختلة الضب قلت فمحمد بن عبد الملك قال وسع الدانى شره ووصل البعيد ضره له فى كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ولا ذرب مخلب قلت فما تقول فى الفضل بن مروان قال ذلك رجل أنشر بعد ما أقبر فعليه حياة الاحياء وخفته الموتى قلت فابن الخصيب قال أكل اكلة نهم وذرق ذرقة بشم قلت فأخوه إبراهيم قال اموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون قلت فأحمد بن ابراهيم قال لله دره اى رجل هو اتخذ الصبر دثارا والحق شعارا وان هون عليه يهم قلت فسليمان بن وهب قال ذلك رجل السلطان وبها الديوان قلت فاخوه الحسن قال عود نضير غرس فى منابت الكرم حتى إذا اعتزلهم حصدوه قلت فابراهيم بن نجاح قال ذلك رجل أوثقه كرمه وأسلمه حسبه وله دعاء لا يسلمه ورب لا يخذله وخليفة لا يظلمه قلت فنجاح بن سلمة قال لله دره أى طالب وتر ومدرك اثر يلتهب كأنه شعلة نار له من الخليفة في الانام جلسة تزيل نعما

فَأَغْرَبَ فى الضَّحك ، وطَرِبَ طَرْبَةَ الْمُنْهِمك ، ثم قال الْعِقِ العَسَل، ولاَ تَسَل ؛ فَأَخَذْتُ أُسْهِبُ فى مَدْحِ الْأَدَب ، وأُفَضِّلُ رَبَّهُ على ذِى النَّشَب، ، وهُوَ يَنظرُ إلىَّ نَظَرَ الْمُسْتَجْهِل ، ويُغضِى عَنِّى إغْضَاء الْمُتَمَهِّل فلما أَفْرَطْتُ فى الْعَصَبِيَّةِ لِلعُصْبَةِ الْأَدَبِيَّة ، قال لى صَه ، واسْمَعْ مِنِّى وَافْقَه

وتحل نقما قلت يا أعرابى أين منزلك قال اللهم غفرا اذا اشتمل الظلام ألتحف الليل فحيثما أدركنى الرقاد رقدت ولا أخلق وجهى بمسئلتهم أما سمعت هذا الطائى يقول

وما ابالى وخير القول اصدقه حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمى

فقلت له أنا قائل هذا الشعر قال إنك لأنت الطائى قلت نعم قال لله ابوك انت الذى تقول :

ماجود كفك إن جادت وإن بخلت من ماء وجهى إذا أخلقته عوض

قلت نعم أنت أشعر اهل زمانك ونمى خبره إلى ابن أبى دؤاد واوصله إلى الواثق فاعطاه ألف دينار وأخذ له من أهل الدولة ماغنى به عقبه بعده . . وهذا الخبر خرج عن أبى تمام فان كان صادقا وما اراه فقد احسن الاعرابى الوصف وإن كان صنعة فقد قصر إذ منزلته اكبر من هذا (اغرب) اى اكثر الضحك حتى دمعت عيناه (ألمنهك) المبالغ فى الطرب (العق العسل ولا تسل) معناه ان طاب لك الكلام فاحفظه ولاتسل عن صدقه ولا باطله كما إذا وجدت العسل حلوا فلا يلزمك السؤال عن نحله وقد قال فيما مضى : ولا تسأل الشهد عن نحله ، فهذا هو ذلك (اسهب) أبالغ وأكثر (ذى النسب)صاحب المال(يغضى)يتغافل(المستجهل) الذى يحسبنى جاهلا (الممهل) المؤخر وقد أمهله أى أخره (صه) معناه اسكت (القرص) الخبز وتسمى الخبزة قرصة لأن الخابز اقرصها من العجين اى يقطعها (الكامخ) شىء يصنع من اللبن الحامض وهو انواع وقدم قدم لاعرابى كامخ فقال ما هذا قالوا اكامخ فقال قد علمت فايكم كمخ به يقال كمخ البعير اذا أخرج ثلطه رقيقا وقدم لاعرابيين كامخ فذاقه احدهما فلم يستطبه فقال هذا خرء وذاقه الآخر فاستطابه فقال يوشك ان يكون خرء الأمير ، وقدم لاعرابى كامخ فلم يستطبه قال ما هذا قالوا كامخ قال ومن اى شىء صنع هذا قالوا من الحنطة واللبن قال ابوان كريمان وما أنجبا ، وقدم لاعرابى كامخ فلم يستطبه واكل منه شيا وخرج ودخل المسجد ودخل الامام فى الصلاة يقرأ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فقال الاعرابى والكامخ لا تنسية اصلحك الله ، وقيل هو طعام يؤتدم به وقيل هو البقل فى الطعام مثل الكبر والزيتون والمرى والعناب إذا غاب طخاء الشحم على المعدة أخذ الرجل منه شيأ فانجلى عن معدته وتنشط للاكل وقال اعرابى يصف ابطيه بالنتن

كأن ابطى وقد طال المدى نفحة خرء من كواميخ القرى

الأصمعى : قدم علينا ابو طيبة الاعرابى بعد ماخرج إلى البادية وتفقه فقلنا له ما قولك فى البيض قال حرام فقلنا ولم قال لقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر والدجاج عندى من ذوى الاظفار قلنا قلنا فما قولك فى الكامخ قال حرام قلنا ولم قال لقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار والكامخ

يَقولُونَ إنَّ جَمالَ الفَتى … وزِينَتَهُ أدبٌ راسخُ
وما إنْ يَزِينُ سِوى المُكثرين … ومَنْ طَوْدُ سُودَدِهِ شامخُ
فأمَّا الفقيرُ فخيرٌ لهُ … مِنَ الأدبِ القُرصُ والكامخُ
وأيُّ جمالٍ لهُ أنْ يُقال … أديبٌ يُعلِّمُ أو ناسخُ

ثم قال: سَيَصِحُ لكَ صِدقُ لَهجَتي، وَاستِنارَةُ حُجَّتي، وسِرْنا لا نَألو جُهْداً، ولا نَستَفيقُ جَهداً، حتى أدّانا السَّيرُ، إلى قَريَةٍ عَزَبَ عَنها الخَيرُ، فَدَخَلناها لِلارتِياد، وكِلانا مُنفِضٌ مِنَ الزّاد، فما إن بَلَغنا المَحطَّ، والمُناخَ المُختَطَّ، أو لَقينا غُلامٌ لم يَبلُغِ الحِنثَ، وعلى عاتِقِهِ ضِغثٌ، فَحَيّاهُ أبو زَيدٍ تَحِيَّةَ المُسلِمِ، وسَألَهُ وِقفَةَ المُفهِمِ؛ فقال وعَمَّ تَسألُ، وَفَّقَكَ الله، قال أيُباعُ هُهُنا الرُّطَبُ، بالخُطَب؛ قال لاوالله. قال وَلا البَلَحُ، بالمُلَحُ، قال كلّا والله، قال ولا التَّمرُ، بالسَّمَر، قال هَيهاتَ والله، قال ولا العَصائِدُ، بالقَصائِدُ؛

يتخذ من الفخار فأظن بينه وبين الجلد نسبا (وافقة) معناه افهم (راسخ) ثابت (المكثرين) الأغنياء (طودسودده) ارتفاع سيادته والطود الجبل (شامخ) أى ثابت مرتفع وقال النبى صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان من لم يكن معه فيه أصفر وأبيض لم يتمكن العيش يعنى الذهب والفضة، وقال مهيار الديلمى:

تشرف بحظ فان الحظوظ … حلى كل ذى نسب يفضل
وما الحظ فى أدب مفصح … ومن دونه نسب مجهل
يؤم الفتى رتبة وهو حيـ … ـث يجعله ماله يجعل

وقال ابن قاضى ميلة:

اسعد بجدك لاتكون أديبا … أو أن يرى فيك الورى تهذيبا
إن كنت مستويا ففعلك كله … عوج وإن أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنى ختمه … حتى يكون بناؤه مقلوبا

(لهجتى) أى منطق وقيل جرس الكلام وقيل هى طرف اللسان وفلان فصيح اللهجة وهى لغته التى جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها (استنارة) ظهور نورها (نألو) نقصر (جهدا) طاقة واجتهادا (نستفيق جهدا) نستريح من المشقة (أدانا) أوصلنا (القرية) فى كلامهم الموضع الذى يجتمع الناس فيه وقريت الماء فى الحوض جمعته فيه (عزب) بعد (للارتياد) لطلبِ مايؤكل (منفض) فارغ وانفض فنى زاده فنقص مزوده من الفتات حمايته ومنعه خططت عليه بخط فمن رآه علم أنه محمى فاجتنبه (الحنث) الاثم أى لم يبلغ حد التكليف وهو الحلم فكتب عليه اثم (على عاتقه ضغث) أى على عنقه حزمة حشيش والعاتق مابين المنكب والعنق والضغث قبضة من اخلاط النبات أو من قضبان مختلفة (المفهم) المخبر المبين (أيباع ههنا الرطب بالخطب) الرطب والبلح نوعان من التمر (السمر) السهر بالليل على الحديث (هيهات) أى بعد، ابن عباس رضى الله عنهما:

قال اسكُتْ عافاكَ الى ، ، قال ولا الثَّرائِد ، بالفرائد ، قال أينَ يُذهَبُ بكَ أرْشَدَكَ الله ؛ قال ولا الدَّقِيق بالمُنَى الدقِيقُ ، قال عَدّ عَنْ هذا أضْاحكَ الله ، واسْتَحْلَى أبو زَيْدٍ تَراجُعَ السُّؤال والجواب ، والتَّكابل مِن هذا الجِراب ، ولَمَحَ الغُلامُ أنَّ الشَّوْطَ بَطِين ، والشَّيْخُ شُوَيْطِين ، فقال له حَسْبُكَ ياشَيْخُ قَدْ عَرَفْتُ فَنَّكَ ، واستَبَنْتُ أنَّك ، فَخُذِ الجوابَ صُبْرَة ، واكْتَفِ به خُبْرَة ، أمَّا بِهذا المَكانِ فلا يُشْتَرى الشِّعْرُ الشَّعِيرَة ؛ ولا النَّثْرُ بنُثارَة ، ولا القَصَصُ بِقُصاصَة وَلا الرِّسالَةُ بِغُسالة ، ولا حِكَمْ لُقْمانَ بلُقْمَة .

ما باع الدقيق بر ولا فاجر الا اصفر لونه وقسا قلبه ونزعت الرحمة من قلبه (الفرائد) جواهر الكلام (أين يذهب بك) أين تتلف وتضل ولذلك دعا فقال (أرشدك الله) أى هداك الطريق (عد) كيف واصرف (لمح) نظر (الشوط) الطلق والجرى إلى الغاية ؛ الاخفش : الشوط أن تأتى إلى موضع تريده ثم ترجع وإن رجعت اليه مرة أخرى فذلك شوط آخر ومن الحجر إلى الحجر شوط وجرى الفرس شوطا إذا بلغ مجراه ثم عاد (بطين) تسع ومعناه ان كلام الشيخ كثير ورجل بطين عظيم البطن وكيس بطين ملآن وأخذه من قول كعب بن زهير :

وزحزحن بين ادنى الغضى ... وبين عنيزة شوطا بطينا

(شويطين) اى دويهية لا تقاوم وتصغيره بمعنى التعظيم (حسبك) يكفيك (فنك) نوعك وطريقك (اكتف) أنك) أى تحققت أنك داهية (صبرة) أى جملة بغير كيل وكدس القمح وما يكال يسمى صبرة (اكتف) اقنع (خبرة) اختبار (النثر) ضد النظم مثل التراسل والخطب (النثارة) ماتناثر من الشىء أى تفتت تقول نثرت الشىء أى رميت به مفترقا واسم مايتساقط منه النثارة (القصص) أخبار المتقدمين (والقصاصة) ماتساقط من الشعر إذ قص (والغسالة) الماء الذى قد غسل به بقية الطعام أو غير ذلك ويروى بفضالة مكان غسالة والفضالة من الزرع إذا غربل تبقى فى الغربال فتدرس بعد ذلك ويخرج مافيها من الزرع ؛ وأنشد الفنجديهى فى هذه المعانى :

عرضت على الخباز نحو المبرد ... وكتابا حسانا للخليل بن أحمد
ورؤيا ابن سيرين وخط مهلهل ... وتجويد عمرو بعد فقه محمد
وأنشدته شعر الكميت وجرول ... وغنيته لحن الغريض ومعبد
فما نفعتنى دون ان قلت هاكها ... مدورة صفراتطن على اليد

وقال اخبرنى ابو المحاسن بن ابو الغلاء بن محمد الأديب قال أنشدنيه لنفسه ابو يوسف بن محمد يعقوب الأديب (ولاحكم لقمان بلقمة) فى لقمان سبعة اقوال . قال قتادة خيره الله بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فقذفها عليه جبريل وهو نائم فأصبح ينطق بالحكمة فسئل عن ذلك فقال لو ارسل الله إلى النبوة عزمة لرجوت الفوز بها ولكنه خيرنى فخفت ان اضعف عن النبوة وقيل كان من النوبة قصيرا افطس الانفس وقيل كان حبشيا ؛ سعيد بن المسيب . كان اسود من سواد مصر ذا مشفر حكمته حكمة الأنبياء ؛ وقيل كان خياطا وقيل راعيا فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال الست عبدبنى فلان كنت ترعى بالأمس قال بلى قال فما بلغ

بك ما أرى قال وما يعجبك من أمرى قال وطىء الناس بساطك وغشيهم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن أخى إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال وما أصنع قال غض بصرى وكف لسانى وعفة طعمى وحفظ فرجى وقيامى بعهدى ووفائى وعدى وتكرمة ضيفى وحفظ جارى وترك مالا يعنينى فذلك الذى صيرنى كما ترى ويروى أنه قال قدرالله وأداء الأمانة وصدق الحديث وترك مالا يعنينى ، أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يجلس مجالس الملوك قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة ، وقال الإمام أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبى المفسر ، اتفق العلماء على أن لقمان كان حكيما ولم يكن نبيا إلا عكرمة فانه تفرد بأنه نبى ، ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبدا صمصامة كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه ومن الله عليه بالحكمة ، وهب بن منبه : كان لقمان ابن أخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وكان فى زمنه وكان داود يقول له طوبى لك وأتيت الحكمة وصرفت عنك البلوى وأوتى داود الخلافة وبلى بالبلية وكان داود يغشاه ويقول انظروا إلى رجل أوتى الحكمة ووقى الفتنة ، عبد الوارث : أوتى لقمان الحكمة فى قائلة قالها عقيل وهل لك أن تكون خليفة فتعمل بالحق فقال إن تخترلى فسمعاً وطاعة وإن تخيرنى اختار العافية فقيل وما عليك أن تكون خليفة فتعمل بالحق قال فان اعمل بالحق فبالحرى أن انجو وإن أخطىء الحق أخطىء طريق الجنة وإنه من يبع الآخرة بالدنيا يخسرهما جميعاً وأن أعيش حقيراً ذليلا أحب إلى من أن أعيش قوياً عزيزا فشكر الله تعالى مقالته فغطه فى الحكمة غطة فاصبح وهو أحكم الناس ، وقيل كان عبدا نجارا فقال له سيده أذبح شاة واتنى بأطيب مضغتين فاتاه بالقلب واللسان ثم أمره بمثل ذلك وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج القلب واللسان فقال له ما هذا فقال ليس شىء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا ، وأما حكمته فقد ذكر الله تعالى منها فى كتابه ما علم ، وذكر مالك فى موطئه منها كلاما كثيراً وذكر منها فصلا فى كتاب الجامع من الموطأ ، ومن حكمته : يابنى إن الناس قد تطاول عليهم مايوعدون وهم إلى الآخرة سراعا يذهبون وإنك قد استدبرت الدنيا منذ كنت واستقبلت الآحرة وإن دارا تسير اليها اقرب من دار تخرج منها يابنى ليس غنى كصحة ولا نعيم كطيب نفس يابنى لا تجالس الفجار ولا تماشهم اتق ان ينزل عليهم عـذاب من السماء فيصيبك معهم وجالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله تعالى يحيى القلوب الميتة بالعلم كما يحيى الأرض بوابل المطر . اسحق الثعالبى باسناد له عن عكرمة قال كان لقمان من اهون مماليك سيده عليه فبعثه مولاه مع عبيد له إلى بستانه يأتونه بشىء من ثمر فجاءوه وما معهم شىء وقد أكلوا الثمر وأحالوا على لقمان فقال لقمان لمولاه ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها فاسقنى وإياهم ماء حميما ثم أرسلنا لنعدو ففعل فجعلوا يتقيئون تلك الفاكهة ولقمان يتقيأ ماء فعرف مولاه صدقه وكذبهم ، قال وأول ماعرف من حكمته أنه كان مع مولاه فدخل المبرز فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان إن طول الجلوس مع الحاجة ليجمع منه الكبد ويورث الباسور ويصعد الحرارة إلى الرأس فاجلس هوينى قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش ، قال وسكر مولاه يوماً فخاطر قوماً أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ماوقع فيه فدعا لقمان فقال له لمثل هذا كنت اختبأتك فقال لمولاه أخرج أباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال على أى شىء خاطرتموه قالوا على أن يشرب ماء هذه البحيرة قال فإن لها موارد فاحبسوا

وَلَا أَخْبَارُ الملاحِمِ بِلَحْمَة ، وَأَمَّا جِيلُ هَذَا الزَّمَانِ فما مِنهُم مَنْ يَمِيح ، إذا صِيغَ له المَدِيحُ ، ولا مَنْ يُجِيز ، إذا أُنشِدَ له الأَرَاجِيز ، وَلا مَنْ يُغِيث ، وإذا أُطْرِبَهُ الحَدِيث ، ولا مَنْ يَمِير ، ولو أَنَّهُ أَمِير ، وَعِندَهُم أَنَّ مَثَل الأَدِيب ، كالرَّبْعِ الجَدِيب ، إنْ لم تجُدِ الرَّبْعَ دِيمَة ، لم تَكُنْ لَهُ قِيمَة ، ولا دَانَتْهُ بَهِيمَة ، وَكَذَا الأَدَب

عنهاموا ردها قالوا وكيف نستطيع ذلك قال لقمان وكيف يستطيع هو أن يشربها ولها موارد وأراد مولاه بيعه فقال يامولاى إن لى عليك حقاً فلا تبعنى إلا ممن أحب قال لك ذلك فكان الرجل إذا جاء يستامه قال لاى شىء تريدنى فقال أحدهم تحفظ على بابى قال اشترنى فلما جنه الليل أغلق الباب وقام يصلى فى الدهليز وكان لبنات الرجل أحلاء فجاؤا فضربوا الباب فقلن يا لقمان افتح الباب فقال بأبى أنتن وأمى ليس لهذا اشترانى أبوكن فضربنه ضربا كدن أن يأتين منه على نفسه فلما أصبح لم يخبر أباهن فلما كانت الليلة الثانية عاودنه بمثل ذلك فلما أصبح لم يخبر أباهن فلما كانت الليلة الثالثة عاودنه بمثل ذلك فلما أصبح لم يخبر أباهن فأقبل بعضهن على بعض فقلن ماجعل الله هذا العبد الأسود أولى بهذا الخير منا قال فنسكن نسكا لم يكن فى بنى إسرائيل أفضل منهن ، عبد الله بن دينار قال : قدم لقمان من سفر فاستقبله غلام له فى الطريق فقال له لقمان ما فعل أبى قال مات قال الحمد لله ملكت أمرى قال مافعلت أمى قال ماتت قال الحمد لله ذهب همى قال ما فعلت امرأتى قال ماتت قال الحمد لله جدد فراشى قال ما فعلت ابنتى قال ماتت قال الحمد لله سترت عورتى قال ما فعل ابنى قال مات قال إنا لله وإنا اليه راجعون انقطع ظهرى وقيل له ما أقبح وجهك قال أتعيب على هذا النقش أم على النقاش وقال النبى صلى الله عليه وسلم سادة السودان أربعة لقمان والنجاشى وبلال ومهجع ثم لقمان آخر وهو لقمان بن عاد وهو تذكره العرب فى أخبارها وكان أيضاً حكيما وكانت له اخت محمقة فقال لامرأته هذه ليلة طهورى فهى لى ليلتك طمعاً فى أن تعلق من أخيها بنجيب ففعلت فولدت لقيم بن لقمان وفيه يقول النمر بن تولب :

لقيم بن لقمان من أخته ... فكان ابن أخت له وابنما

وقال المسيب يذكره : أنت الرئيس إذا همو نزلوا ... وتواجهوا كالأسد والنمر

ولانت أبين حين تنطق من ... لقمان لما هى بالفكر

وقالت بنت عثمان بن وثيمة ترثى أباها :

الواهب المائة التلا ... دلنا ويكفينا العظيمة

والدافع الخصم الالد إذا ... تفوضح فى الخصومة

بلسان لقمان بن عا ... دوفصل خطيته الحكيمة

الجتهم بعد النجا ... ذب والتدافع فى الحكومة

(الملاحم) مواضع الحروب التى تلتحم فيها الجموع وتختلط عند القتال وتسمى أخبار القتال والحروب ملاحم (جيلك) أهل عصرك (الأوان) الحين والعصر (يميح) يعطى معروفاً ويحتمل أن يريد يسقيك ماء المائح النازل فى قعر البئر يخرج ماءها وقد ماح الماء إذا استقاه (صيغ) صنع (يجيز) يعطى الجائزة (يغيث) يتكرم ويجود وهو من الغيث (يمير) يعطى الميرة والميرة الطعام المجلوب (الربع) المنزل (الجديب) الذى لم يمطر (ديمة)

أن لم يَعضُدهُ نَشَب ، فَدَرْسُهُ نَصَب ، وخَزْنُهُ حَصَب، ثم انسَدَرَ يَعدُو، وولَّى يَحدُو ، فقال لى أبو زَيْد أعلمْتُ أنَّ الأدبَ قد بَار ، وولَّتْ أنصارُهُ الأدْبار ، فبُؤتُ له بحُسنِ البَصيرَة ؛ وسلَّمْتُ بحُكم الضَّرورة فقال دَعْنا الآنَ منَ المِصاع ، وخُضْ فى حَديثِ القِصاع ، واعلَمْ أنَّ الأسْجَاع ؛ لا تُشْبِعُ مَنْ جاع فما التَّدْبير فيمَا يُمسِكُ الرَّمقْ ، وَيطفِىءُ الحَرَق فقلْتُ الأمْرُ إليكَ وَالزِّمَامُ بيَدَيكَ فقالَ أرى أن تَرْهَنَ سَيفَكَ ؛ لتُشبِعَ جَوفَكَ وَضَيفَكَ ؛ فَناوِلنيه وَأقِم ، لأنقَلِبَ إليْكَ بما تَلتَقِم فأحْسَنتُ به الظَّنّ ، وَقَلَّدْتُهُ السَّيفَ وَالرَّهنَ ، فما لَبِثَ أنْ رَكِبَ النَّاقَة ، وَرَفضَ الصِّدْقَ وَالصَّداقَة ، فمكَثْتُ مَلِيًّا أترقَّبُهُ ثم نهضْتُ أتعقَّبُه ، فكُنتُ كَمَنْ ضَيَّعَ اللَّبَنَ فى الصَّيفِ ولم ألقَه ولا السَّيفَ

مطر دائم (دانته) قاربته (يعضده) يقويه (نشب) مال (نصب) تعب (حزبه) أهله (الحصب) هو الحطب الملقى فى النار وكل ما تطعمه النار فهو حصب وهو من حصبته بالحصباء أى رميته بها (انسدر) جرى وانصب فى جريه وانسدر البازى إذا انحط (يعدو) يسرع (يحدو) يتابع الجرى وكل شىء اتبعته فقد حدوته (بار) هلك ومنه بار الطعام إذا كسد وفى الحديث نعوذ بالله من بور الايم أى كسادها وقال الله تعالى يرجون تجارة لن تبور أى لن تكسد وقال تعالى وكنتم قوما بورا أى هالكين ؛ قال الفراء البور يكون للمذكر والمؤنث والاثنين والجمع بلفظ واحد، أبو عبيدة رحمه الله :هو جمع بائر كعائذ وعوذ ويدل على صحة قول الفراء قول ابن الزبعرى : يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

(بؤت) رجعت (البصيرة) اليقين والاعتقاد الصحيح (المصاع) مراجعة الكلام والمصاع فى الأصل القتال والدفاع وكل ما عانيته بشدة وجد فقد ما صعته (القصاع) فى الاصل صحاف الطعام (الاسجاع) الكلام المفقر (الرمق) بقية النفس (الحرق) جمع حرقة وأراد بطفء الحرق تسكين ألم الجوع (ما لبث) ما أقام ولا استقر (رفض) ترك (الصدق) قول الحق (الصداقة) الصحبة (مكثت مليا) أقمت زمانا (أترقبه) انتظر مجيئه (أتعقبه) أتمشى فى أثره وأطلبه (ضيع اللبن فى الصيف) مثل يضرب لكل من ضيع أمره ثم تعرض لاستدراكه بعد فوته قال عمرو بن عدس التميمى وكان تزوج دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكان شيخاً مسنا ذا مال كثير أبغضته بسبب كبره وسألته طلاقها فطلقها وتزوجها عمير بن معبد بن زرارة وكان شابا معدما فبينما هو معها جالس إذ مرت بهما إبل عمرو بن عمرو بن عدس كالليل لكثرتها فقال لها عمير ابعثى إلى عمرو يعطيك لبنا أو حلوبة فأرسلت اليه رسولا بذلك فقال لرسولها قل لها الصيف ضيعت اللبن فلما بلغها ذلك ضربت على كتف ابن عمها وقالت هذا ومذقة خير ؛ فيريد أنه طلقها فى الصيف فضاع لبنها فى ذلك الوقت .وقال فى الدرة : خص الصيف بالذكر لأنها كانت سألته الطلاق فيه فكأنها يومئذ ضيعت اللبن والله تعالى أعلم :

المقامة الرابعة والاربعون الشتوية

حكى الحارث بن همام قال : عَشَوْتُ فى لَيْلَةٍ داجيَةِ الظُّلَم ، فاحمَة الُّلمَم ، إلى نارٍ تُضرَمُ عَلَى عَلَم ، وتُخبِرُ عَنْ كَرَم ؛ وكانَتْ لَيْلَةً جَوُّها مَقرور ، وجَيْبُها مَزْرُور ؛ ونَجْمُها مَغْمُوم ، وَغَيْمُها مَرْكُوم ، وأنَا فيهَا أصْرَدُ من عَيْنِ الحِرباء ، وَالعَنْزِ الجَرْباء ، فلم أزَلْ أُنصُّ عَنْسى ، وأقولُ طوبَى لَكِ وَلنفسى ، إلى تَبصَّرَ الموقِدُ آلى ؛ وَتَبيَّنَ إرقَالى ، فانحدَرَ يَعْدُو الجمَزَى ، وَيُنْشِدُ مُرتجزا :

حُيِّيتَ من خابطِ لَيْلٍ سارى ... هَدَاهُ بل أهْدَاهُ ضَوْءُ النَّار
إلى رَحِيبِ الباعِ رَحْبَ الدار ... مُرَحِّبٍ بالطَّارِقِ المُمْتَار
تَرْحابَ جَعْدِ الكَفِّ بالدِّينار ... ليسَ بِمُزْوَرٍّ عَنِ الزوَّارِ

شرح المقامة

(داجية وفاحمة) شديدة السواد (اللمم) جمع لمة وهى جمة الشعر التى ألمت بالنكب أى قاربته وجعل لليلة لمه مجازا وهو يريد شدة سوادها (تضرم) توقد (علم) جبل (جوها) ناحية سمائها (مقرور) بارد وأراد أن ما يجيء من جوها من الريح والهواء بارد جدا (مزرور) مشدود بالازرار وهى أطواق الثياب وهذا يكون فى طوق الصغير يشق فى صدر الثوب عوضا عن الجيب ويترك من طرفان على ذلك الشق فاذا لبس الثوب شد الطرفين فيقال عند ذلك قد زررت الثوب يريد أن السحاب قد تكاثف فى تلك الليلة فلا تبصر العين فيها لشدة ظلامها لأن الثوب إذا شدت أزراره لم يجد رأس الانسان من أين يخرج فلما جعل لليلته ثوبا من الظلام والسحاب جعله مربوطا مشدودا مغموما مستورا (غيمها) سحابها (مركوم) أى متراكب بعضه على بعض (أنص عنسى) أى أجهد ناقتى وأتعبها والنص رفع السير. وقالت أم سلمة لعائشة رضى الله عنهما ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضك ببعض الفلوات ناصة قلوصا من منهل إلى آخر ومنه نص الحديث إلى فلان أى رفعه إلى شخص (إرقالى) سرعتى (يعدو) يسرع (الجمزى) عدو شديد (سارى) أى آت بالليل (الخابط) الماشى على غير علم بالطريق (هداه) من الهدى (أهداه) من الهداية (رحيب الباع) كثير البر واسع العطاء واسع البر والرحب المتسع (مرحب) يقول مرحبا بك (الطارق) الآتى بالليل (الممتار) طالب الميرة وهى الطعام يجلب من بلد إلى بلد (جعد الكف) هو البخيل أى يرحب بالضيف كما يرحب البخيل بالدينار إذا وقع فى كفه . نظر أعرابى إلى درهم فى يد رجل وأدام النظر اليه فقال له الرجل لو كان لك ما كنت صانعا قال كنت أنظر اليه نظرة ثم تكون آخر عهده باليد وكان بعض البخلاء إذا وقع الدرهم فى يده يخاطبه ويقول له أنت عقلى ودينى وصلاتى وصيامى وجامع شملى وقرة عينى وأنسى وقوتى وعمدتى وعمادى ثم يقول له :

أهلا وسهلا بك من زائر ... كنت إلى وجهك مشتاقا

ولا بِمعْتَامِ القِرَى مِنْخار إذَا اقشعَرَّتْ تُرَبُ الأقطار
وضَنَّتِ الأنواءُ بالأمْطار فَهُو على بُؤْسِ الزَّمانِ الضَّارِى
جَمُّ الرَّمادِ مُرْهَفُ الشِّفار لمْ يَخْلُ فى لَيْلٍ ولا نَهار
من نَحْرِ وارٍ وَاقْتِداحِ وارى

ثم تَلَقَّانى بِمُحَيًّا حَيِّى ، وصافَحنى براحَةِ أرْيحِىّ ، واقْتادَنى إلى بَيْتٍ عِشارُهُ تَخُور ، وأعْشارُهُ تَفُور ، وولائدهُ تمُور ؛ وموائدُهُ تدُور ، وبأكْسارِهِ أضْيافٌ قد جَلَّاهم جالبى ،

ثم يقول يانور عينى وحبيب قلبى قد صرت إلى من يصونك ويعرف قدرك ويعظم حقك ويرعى قيمتك ويشفق عليك وكيف لا تكون كذلك وأنت تعظم الأقدار وتعمر الديار وتفتض بك الابكار وتسمو على الأشراف وترفع الذكر وتعلى القدر وتؤنس من الوحشة ثم يطرحه فى الكيس ويقول :

بنفسى محجوب عن العين شخصه ومن ليس يخلو من لسانى ولا قلبى
ومن ذكره حظى من الناس كلهم وأول حظى منه فى البعد والقرب

(مزور) منقبض (معتام) مؤخر مبطىء (القرى) طعام الضيف معناه أنه لا يؤخر طعامه ويقال اعتم بابله إذا أخر حلبها ومنه العتمة لتأخر وقتها (منخار) كثير التأخر (اقشعرت) انقبضت من شدة البرد (ترب) جمع تربة وهى وجه الأرض (الاقطار) البلاد والنواحى (ضنت الانواء) بخلت النجوم وكانوا يستمطرون بها (بؤس) شدة (الضارى) المعتاد أى الذى عادته أن لا يكون فيه غير بؤس (جم) كثير وإذا كثر الرماد كان عن كثرة النار وكثرة مايطبخ عليها (مرهف) قاطع (اقتداح) ضرب الزند (وار) بعير سمين وروى المخ اكتنز فهو وار وروى الزند فهو وار أى مبد للنار (محيا) وجه (صافحنى) واجهنى وقابلنى (براحة) بكف (أريحى) كريم يهتز للكرم (اقتادنى) ساقنى (ولائده) خدمه (تمور) تسير وتختلف (بالطعام موائده) جمع مائدة ، أبو عبيد : سميت مائدة لأنها ميد بها صاحبها أى اعطيها وتفضل عليه بها والعرب تقول مادنى فلان يميدنى إذا أحسن إلى فكان المائدة تميد من حوالبها مما أحضر عليها ، قال رؤبة : إلى أمير المؤمنين الممتار — أى المستعطى غيره ، سميت مائدة لأنها تميد بما عليها أى تتحرك وماد الغصن يميد مال قال الله تعالى وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد ، الجرمى : يقال مائدة وميدة وأنشد :

وميدة كثيرة الألوان تصنع للإخوان والجيران

وذكر القولين أبو محمد فى درة الغواص وزاد أنه لا يقال لها مائدة إلا أن يحضر عليها طعام وإلا فهى خوان واستدل بأن الحواريين لما اقترحوا على عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة قالوا نريد أن نأكل منها ، قال وحكى الأصمعى قال غدوت ذات يوم إلى زيارة صديق لى فلقينى أبو عمرو بن العلاء فقال لى إلى أين يا أصمعى فقلت إلى صديق لى فقال إن كان لفائدة أو لعائدة أو لمائدة وإلا فلا وهذا باب يتسع كثيرا ، وسأسوق جملة تأتى على أكثره وهذه الحالة التى وصف من إيقاد النار هى التى كان يفعل حاتم وكان إذا اشتدت البرد وكلب الشتاء

أمر غلامه فاوقد نارا فى يفاع من الأرض لينظر اليها من أضل الطريق ليلا فيهتدى اليها وقال فى ذلك :

أوقد فان الليل ليل قر　　والريحياموقد ريح صر
عسى يرى نارك من يمر　　ان جلبت ضيفا فأنت حر

ولابن هرمة فى هذا اشعار مستحسنة منها :

اغشى الطريق بقبتى ورواقها　　وأحل فى قلل الربا واقيم
إن امرأ جعل الطريق لبيته　　طنبا وأنكر حقه للئيم

وقال مهيار :

ضربوا بمدرجة الطريق لبيته　　يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدها يجود بنفسه　　حب القرى حطبا على النيران

ولابن هرمة أيضاً :

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه　　ليسقط عنه وهو بالرمل معصم
عوى فى سواد الليل بعد اعتساقه　　لينبح كلب أو ليفزع نوم
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى　　له عند إتيان الملبين مطعم
يكاد إذا ما أبصرت الصيف مقبلا　　يكلمه من حبه وهو أعجم

وقال بعض المحدثين :

ويدل ضيفى فى الظلام على القرى　　إشراق نارى أو نباح كلابى
حتى إذا وجهنه ولقينه　　حيينه ببصائص الأذناب
وتكاد من عرفان ماعودته　　من ذاك أن يفصحن بالترحاب

ولابن هفى رمة ذلك أيضا :

كيف احتيالى لبسط الضيف من حصر　　عند الطعام فقد ضاقت به حيلى
أخاف ترداد قولى كل فأقطعه　　والسكت ينزله منى على البخل

وقال حاتم :

سلى الطارق الممتاز يا أم مالك　　إذا ما اعترانى بين قدرى ومجزرى
أيسفر وجهى أنه أول القرى　　وأبذل معروفى له دون منكرى

وقال أيضاً :

أما والذى لا يعرف السر غيره　　ويحيي العظام البيض وهى رميم
لقد كنت أختار القرى طاوى الحشى　　محافظة من أن يقال لئيم
وإنى لأستحيي يمينى وبينها　　وبين فمى داجى الظلام بهيم

وقال أيضاً :

أكف يدى من أن تنال التماسها　　أكف صحابى حين حاجاتنا معا
أبيت هضيم الكشح مضطرم الحشى　　من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا
وإنى لأستحيي رفيقى أن يرى　　مكان يدى من جانب الزاد أقرعا
وإنك إن أعطيت بطنك سؤاله　　وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال أبو زياد الاعرابى :

له نار تشب على يفاع ... إذا النيران ألبست القناعا
فلم يك أكثر الفتيان مالا ... ولكن كان أرحبهم ذراعا

آخر : لعل عارا إذا ضيف تأوبنى ... ما كان عندى إذا أعطيت مجهودى
جهد المقل إذا أعطاه نائله ... ومكثر فى الغنى سيان فى الجود

آخر : تركت ضأنى تود الذئب راعيها ... وإنها لاترانى آخر الأبد
الذئب يطرقها فى الدهر واحدة ... وكل يوم ترانى مديه بيدى

آخر : وسع بمدك ماء اللحم تقسمه ... وأكثر الشرب إن لم يكثر اللبن
وسع به وتلفت نحو حاضره ... إن الكريم الذى لم يخله الفطن

وقال الغنوى : لحلف لحاف الضيف والبيت بيته ... ولم يلهنى عنه غزال مقنع
أحدثه إن الحديث من القرى ... وتكلأ عينى عينه حين يهجع

وقال آخر : وإنا لمشاؤن بين رحالنا ... إلى الضيف منا لاحف ومنيم
فذو الحلم منا جاهل دون ضيفه ... وذو الجهل منا عن أذاه حليم

آخر : سأقدح من قدرى نصيبا لجارتى ... وإن كان مافيها كفافا على أهلى
إذا أنت لم تشرك رفيقك فى الذى ... يكون قليلا لم تشاركه فى الفضل

ولبعض أصحابنا : وسار تحلى أنجم الليل زينة ... ويلبس من ظلمائها ثوب ثاكل
رفعت له نارى فآنس ضوءها ... كما آنس الظمآن برد المناهل
أتانا لحيانا فكان جوابه ... صليل شفار السيف فى ساق بازل
وما أنا من سؤاله ممن القى ... وتلك سجايا كل أطلس باخل
فداك الذى أودى بما اكتسبت يدى ... وإن عاد وفرى عدت غير مواكل

وهذا باب يطول ذكره ، وقال آخر فى ضدما قلنا :

أرانى من بنى حكم غريبا ... على قتر أزور ولا أزار
أناس يأكلون اللحم دونى ... ويأتينى المعاذر والقتار

والقتر والقطر الجانب ، وقال آخر :

مات فى عروس سليما ... ن من الجوع جماعة
مات أقوام وقوم ... حملوا فيه القناعة
لم يكن يوجد فيه الخـ ... ـبز إلا بشفاعة

آخر ولم تنسى الأيام لا أنس جوعنا ... بدار بنى بدر وطول التلدد
ظللنا كأنا بينهم أهل مأتم ... على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعض بعضنا عن مصابه ... ويأمر بعض بعضنا بالتجلد

وفى هذا طرف من قول الآخر :

إذا ماما عراكم حادث فتحدثوا فان حديث القوم ينسى المصائبا

وهل الحزن يستعلمون الحديث إشغالا عن المصيبة وقال بشار :

أبناء عمرو لنى خفض وفى دعة وفى عطاء لعمرى غير ممنوع
وضيف عمرو وعمرو ساهران معا عمرو لبطنته والضيف للجوع

آخر : ماكنت احسب أن الخبز فاكهة حتى نزلت على قوم بميسان
قوم إذا حل ضيف بين اظهرهم لم ينزلوه ودلوه على الخان

آخر والناس فى فطار سوى شهرهم ودهر أضيافك شهر الصيام

آخر : كتبت له صيفا فظن بأننى كتبت له ضيفا فقام إلى السيف
فقلت له خيرا فظن بأننى ذكرت له خبزا من الخوف

وان ابن هرمة الأم الناس مع ادعائه فى شعره الكرم قال رجل اتيناه فى جماعة من قريش احببنا ان يتنزه عندنا ومشينا بزاد كثير فخرج علينا وقال ماجاء بكم قلنا شعرك حيث قلت « إن امرأ جعل الطريق البيتين »

وقولك ايضا واذا تنور راكبا مستنبح نبحت فدلته على كلابى
وعوين يستعجلنه فلقينه يضربنه بشراسف الأذناب

وسمعناك تقول كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشؤبوب او جمل
لا امتع العوذ بالفصال ولا ابتاع إلا قريبة الأجل

فنظر الينا وقال ماعلى وجه الأرض عصبة اسخف بعقولا منكم اما سمعتم قول الله عز وجل وانهم يقولون مالا يفعلون فى الشعراء. والله إنى لا أقول مالا افعل وانتم تريدن ان افعل ما اقول والله لا اغضب ربى فى رضاكم فضحكنا واخرجناه معنا يتنزه حتى فنى الزاد . . اتى الحطيئه رجل وهو فى غنمه وقال يا صاحب الغنم سلام عليك فرفع الحطيئة العصا وقال إنها عجراء من شلم فقال الرجل انى ضيف فقال للضيفان اعددتها فأعاد السلام فقال ان شئت قمت بها اليك . . ومر به ابن حمامة وهو جالس بفناء بيته فقال السلام عليكم فقال قد قلت مالا ينكر : قال خرجت من اهلى بغير زاد قال ما ضمنت لأهلك قراك قال افتأذن لى ان آتى ظل بيتك قال دونك الجبل يفىء عليك قال انا ابن حمامة قال انصرف وكن ابن اى طائر شئت . ويروى هذا عن ابى الأسود الدؤلى . . ونزل الغضبان بن القبعثرى خارج كرمان وهى قرية كثيرة الرمداء فضرب قبته فورد عليه اعرابى من بكر فقال السلام عليك قال السلام عليك كثير وهى كلمه مقولة قال الاعرابى ما اسمك قال آخذ قال او تعطى قال ما احب أن يكون لى اسمان قال ومن اين جئت قال من الذلول قال واين تريد قال ارضا امشى فى مناكبها قال ومن عرض اليوم قال آل فرعون على النار قال فمن بشر قال الصابرون قال فمن غلب قال حزب الله قال افتقرض قال إنما تقرض الفارة قال افتسمع قال انما تسمع القينة قال اتنشد قال انما تنشد الضالة قال افتقول قال انما يقول الأمير قال افتسجع قال انما تسجع الحمامة قال افتنطق قال كتاب الله ينطق قال إنك لمنكر قال انى لمعروف ذلك اريد قال وما ارادتك قال الدخول عليك قال وراءك اوسع قال قد اضرتنى الشمس قال الساعة يأتيك الفىء قال الرمضاء احرقت قدمى قال بل عليهما تبردا

قال قد أوحعنى الحر قال ليس لى عليه سلطان قال إنى لا أريد طعامك ولا شرابك قال أعرض بهما والله لا تذوقهما عندى قال سبحان الله قال قبل كونك قال ما أرى عندك قال هراوة ارزن أدق بها رأسك فتركه وانصرف ... الأصمعى : عذلت اعرابية أباها فى اتلاف ماله فقالت يا أبت حبس المال أنفع للعيال من بذل الوجه للسؤال وقد أتلفت التلاد وبقيت ترقب ما بأيدى العباد ومن لم يحفظ ما ينفعه يوشك أن يقع فيما يضره أخذه ابن المعتز فقال :

يارب جود جر فقر امرىء فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرا مالك واستبقه فالبخل خير من سؤال البخيل

وقال بعض البخلاء :

أعددت للاضياف كلبا ضاريا عندى وفضل هراوة من أرزن
ومعاذرا كذبا ووجها باسرا وتشكيا عض الزمان الألزن

الألزن المضيق .. محمد بن الجهم : وددت أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الأدباء تواطأوا على ذمى حتى ينتشر ذلك عنهم فى الآفاق فلا يمتد إلى أمل آمل ولا يبسط نحوى رجاء لراج ، وكان يقول من وهب فى عمله فهو مخدوع ومن وهب بعد العزل فهو أحمق ومن وهب فى جوائز سلطانه أو عمل لم يتعب فيه فهو مخذول ومن وهب من كسبه وما استفاد بحيلته فهو المطبوع على قلبه المختوم على سمعه وبصره، وقال منع الجميع أرضى للجميع وهذا كقول الأصمعى لو قسمت فى الناس ألف ألف لكان أكثر للائمى من لو أخذتها منهم قالوا ولم يرد البخل ولكن إذا تعذر عليه أن يعم فلا يخص ، وقال آخر قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم ، دعبل : كنا يوم عند سهل بن هرون وأطلنا الحديث حتى اضر به الجوع فدعا بغدائه فاذا بصحفة فيها مرق ولحم ديك قد هرم لا تحز فيه سكين ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ قطعة من خبز فلع بها جميع المرق وفقد الرأس فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه إلى الغلام وقال أين الرأس قال رميت به قال ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك فوالله إنى لأمقت من يرمى برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية فان كان بلغ من جهلك أنى لا آكله فان عندنا من يأكله انظر أين هو قال والله لا أدرى أين رميت به قال لكنى والله أدرى رميت به فى بطنك ... ولسهل هذا رسالة مدح فيها البخل وفضله على السخاء ليرى فى بلاغته وأهداها إلى الحسن بن سهل فى وزارته للمأمون فوقع عليها لقد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبح وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك وقد جعلنا ثوابك عليها قبول ما فضلت فيها وتتأدب فيها بأدبك ولم يعطه شيأ ، وقيل إن الذى أهدى اليه كتاب الفه مدح فيه البخل وذم الجود فوقع عليه بما تقدم قال دعبل :

صدق أليته إن قال مجتهدا لاوالرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فافتك بخبزته فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبنى لو أن غيرته على جرادقه كانت على حرمه

أبو نواس فى البؤبؤ الزنديق :

لقيت فى آل زياد فتى ... يلقب البؤبؤ حلو ظريف
ينزل للضيف بنياته ... صيانة منه لعرض الرغيف
وان فى البنك لمستمتعا ... عندا عتياض الخبز للمستضيف

آخر :

اما الرغيف لدى الخوا ... ن فمن حمامات الحرم
ما إن يحس ولا يمس ... ولا يذاق ولا يشم
فتراه أخضر يابسا ... بالى النقوش من الهرم

آخر :

أبو نوح دخلت عليه يوما ... فغدانى برائحة الطعام
وقدم بيننا لحما سمينا ... أكلناه على طبق الكلام
فلما أن رفعت يدى سقانى ... كؤوسا خمرها ريح المدام
فكان كمن سقى الظمآن آلا ... وكنت كمن تغدى فى المنام

وقال فى أبى نوح أيضا :

لأبى نوح رغيف ... أبدا فى حجر دايه
فهى تحميه مدى الدهـ ... ـر بكم ووقايه
وله كاتب صدق ... خط فيه بعنايه
فسيكفيكم الله ... إلى آخر الآيه

آخر :

استبق ود أبى المقا ... تل حين تأكل من طعامه
سيان كسر رغيفه ... أوكسر عظم من عظامه
فارق بكسر رغيفه ... إن كنت ترغب فى كلامه
وتراه من خوف النزو ... ل به يروع فى منامه

آخر :

خان عهدى عمرو وما خنت عهده ... وجفانى وما تغيرت بعده
ليس لى مذ حييت ذنب اليه ... غير أنى يوما تغديت عنده

آخر :

أبو جعفر رجعل عالم ... بما يصلح المعدة الفاسدة
تخوف تخمة أضيافه ... فعودهم أكلة واحدة

أبو نواس :

فتى لرغيفه قرط وشنف ... ولؤلؤتان من خرز وشذر
ودون رغيفه قلع الثنايا ... وحرب مثل وقعة يوم بدر
وإن كسر الرغيف بكى عليه ... بكاء الخنساء إذا فجعت بصخر

آخر :

رغيف أبى على حل خوفا ... من الأضياف منزلة السماك
إذا كسروا رغيف أبى على ... بكى يبكى بكاء فهو باك

آخر :

إن هذ الفتى يصون رغيفا ... ما اليه لناظر من سبيل

هو فى قفتين من أدم الطا ئف فى سلتين فى منديل
فى جراب فى جوف تابوت موسى والمفاتيح عند ميكائيل

ابن بسام: أتانا بخبز له يابس كمثل الدراهم فى خلقته
إذا ماتنفست عند الخوان تطاير فى البيت من خفته

وقال عباس الخياط:

رغيفه النجم لمن رامه يرى ولا يطمع فى لمسه
كأنه فى جوف مرآته يبدو ولا يطمع فى جسه
وفلسه الأمس الذى قد مضى بل أمسه أوجد من فلسه

آخر: رغيف فى الحجال عليه قفل وخزان وابواب منيعة
رأى فى بيته يوما رغيفا فقال لضيفه هذا وديعة

اعتل أبو هفان فى منزل ابن أبى طاهر فأبطأوا عليه بالغداء فقال:

أنا فى منزل خل مشفق بى ورفيق
رجل أعمر من منـ زله ظهر الطريق
ليس لى أكل سوى لحمى وشرب غير ريق

ولجحظة يهجو رجلا:

لاتعذلونى إن هجرت طعامه خوفا على نفسى من المأكول
فتى أكلت قتلته من بخله ومتى قتلت قتلت بالمقتول

وله أيضاً يذم بخيلا: تبرم إذا جئته للسلام وأبدى لى الكره لما دخلت
فقلت له لايرعك الدخول فو الله ماجئت إلا أكلت

أين هذا من قول أبى العباس الصولى:

لنا إبل كوم يضيق بها الفضا وتفتر عنها أرضها وسماؤها
فن دونها أن تستباح دماؤنا ومن دوننا أن تستذم دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مرامها وأهون خطب فى الحقوق بناؤها

وقوله: لاتلومى فان همك أن أثـ رى وهى مكارم الأخلاق
كيف يستطيع حفظ ماجمعـ ت كفاه من ذاق لذة الانفاق

وقوله: تلج الضيوف بيوتهم وترى لها عن جاريتهم ازورار مناكب
وتراهم بسيوفهم وشفارهم مستشرفين لراغب أو راهب
حامين أو قارين حيث لقيتهم نهب العفاة ونهزة للراغب

وجلس هرون بن محمد بن الزيات فى مجلس عبدالله بن سليمان فجعل هرون ينشد من شعر أبيه محاسنه فقال له ابن برد الخباز إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم:

أسد ضارا إذا ماهجته وأب بر إذا ما قدرا
يعرف الأبعد أن أثرى ولا يعرف الأدنى إذا مافتقرا

أو مثل قوله « تلج الضيوف البيتين » فاذكره وفاخر به وإلا فأقلل من الفخار والتطاول بمالا طائل فيه فخجل هرون ، وإبراهيم هذا أشعر الكتاب بلاخلاف... وذكر الحريرى القدر وممن وصفها فأحسن الفرزدق حين قال :

وقد علم الجيران أن قدورنا ضوامن للارزاق والريح رفرف
تفرغ فى شيزى كأن جفانها حياض الملا منها ملاء و نصف
ترى حولهن المعتفين كأنهم على صنم فى الجاهلية عكف

وقال أمية بن أبى الصلت :

وكأنها بفنائه للضيف مترعة زواخر
وكأنهن بما شحن وما حمين به ضرائر
زبد وقرقرة كقر قرة الفحول إذا تخاطر

وقال النابغة فى مثله : له بفناء البيت سوداء فخمة تلقم أعضاء الجزور العراعر
بقية قدر من قدور تورثت لآل جلاح كابرا بعد كابر
يظل الأماء يبتدرن قديحها كما ابتدرت سعد مياه قراقر

قديحها مرقها لانه يقدح أى يؤخذ بالمقدحة وهى المغرفة :

وقال آخر : وسوداء لاتكسى الرقاع نبيلة لها عند قرأت العشيات أزمل
إذا ماقربناها قراها تضمنت قرى من عرانا أوتزيد فتفضل

وقال مسكين الدرامى : كان قدور قومى كل يوم قباب الترك ملبسة الجلال
بايديهم مغارف من حديد أشبهها مقيرة الدوالى

الدالية االحطارة وفى ضد ذلك لأبى نواس : •

رأيت قدور الناس تبلى على الصلا وقدر الرقاشيين بيضاء كالبدر
يضيق بحيزوم البعوضة صدرها ويخرج مافيها على طرف الظفر
إذا ما تنادوا للرحيل سعى بها أمامهم الحولى من ولد الذر

وقال الفرزدق : لو أن قدرا بكت من طول ماجهشت على الجفون بكت قدر ابن عمار
ما مسها دسم مذ فض معدنها ولا رات بعد نار القين من نار

وتسمى النار فاكهة الشتاء يجتنى من تسخينها ، وقد أحسن ابن صارة فى وصفها حيث قال :

هات التى للأيك أصل ولادها ولهاجبين الشمس فى الأشماس
يتقشع الياقوت من لباتها بوساوس تشفى من الوسواس
أنس الوحيد وصبح عين المجتلى ولباس من أمسى بغير لباس
حمراء ترفل فى السواد كأنها ضربت بعرق من بنى العباس

وقُلبُوا في قالَبي ، وهُم يجتنُون فاكِهَةَ الشتاء ، ويمرَحُون مرحَ ذوِي الفَتاء فأخذتُ مأخذَهُم في الإصطلاء وَوَجدتُ بِهِمْ وجْدَ الثَّمِلِ بالطِّلاء ، ولمَّا أن سَرى الحَصَرَ ، وانسرى الخَصَر ؛ أُوتِينا بموائدَ كالهالاتِ دَوْرًا ، والرَّوضاتِ نَوْرًا ، وقد شُحِنَّ بأطعِمَةِ الولائم ، وحُمِينَ مِنَ العائِبِ واللائم فرَفضْنا ما قِيلَ في البِطْنَة ؛ ورَأيْنا الإمْعانَ فيها مِنَ الفِطنَة

وقال آخر :

لابنة الزند فى الكوانين جمر	كالدرارى فى الليلة الظلمـــاء
خبرونى عنها ولا تكذبونى	ألديها صناعة الكيميــاء
سبكت لحمها سبائك تبر	رصعتها بالفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليهـا	رقصت فى غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فأرتنــا	حاجب الشمس طالعا فى العشاء
لو ترانا من حولها قلت شرب	يتعاطون أكؤس الصهباء

وقال الفقيه الأديب ابن ليال رحمه الله :

لحم ذكت فى حشاه نارا	فقلت مسك وجلنار
أوخد من قد هويت لما	أظل من فوقه العذار

وقال البحترى يصف كانونا :

وذى أربع لا يطيق النهوض	ولا يألف السير فيمن سرى
تحمله سبجا أسودا	فيقلبه ذهبا أحمرا

(قلبوا فى قالبى) أى هم أمثالى لأن قالب الشىء كل مايجعل فيه ليجىء مثله وقلبوا جعـــلوا فى القالب (يمرحون) ينشطون ويطربون (ذوى الفتاء) أهل الفتوة والفتاء الحداثة والشبـــاب يقال منه فتى يفتى فتاء ويقال أيضاً بكر فتى بين الفتاء وفتى من الناس بين الفتوة والفتى والفتية الشاب والشابة (الأصطلاء) التسخن بالنار (الثمل) السكران (الطلاء) الخمر وأصل الطلاء الرب الثخين الأسود فسميت الخمر الصافية طلاء بضد صفتها كما سمى اللديغ سليما والأسود أبا البيضاء والذئب أبا جعدة وجعدة اسم الشاة (سرى الحصر) أى زال السكوت والحصر انقطاع الكلام وهو العى وحصر يحصر عى والحصر أيضاً ضيق الصدر (انسرى الخصر) ذهب البرد والخصر البارد وخصر الرجل إذا آذاه البرد وآلمه فى أطرافه (والروضات نورا) أى هى فاعمة بكثرة الطعام وأنواع الألوان (شحن) ملئن (الولائم) الأعراس (حمين) منعن (العائب) الذى يعيب الطعام (واللائم) الذى يقف على رؤوس أضيافه فيقول ماأكلتم استعملوا زد يافلان فيخجل أضيافه لذلك فلا يتمكنون من الطعام (رفضنا) تركنا (البطنة) الامتلاء من الطعام والذى قيل فى البطنة : البطنة تذهب الفطنة فقال تركنا هذا المعنى وخالفناه ورأينا أن البطنة وهى الامتلاء من الطعام والأمعان فيه أى المبالغة فى الأكل يقوى الفطنة ويولدها لا أنه يذهبها (الفطنة) الذكاء وحدة الذهن . معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ، ماأحل الله حلالا أبغض إليه من بطن ملىء طعاما فقصروا من الطعام تملؤا من الحكمة . المقدام بن معد يكرب عن

حتى إذا اكْتَلْنَا بِصَاعِ الحُطَمْ ؛ وأَشْفَيْنَا عَلَى خَطَرِ التُّخَمِ، تَعَاوَرْنَا مَشُوشَ الغَمَرِ ، ثم تَبَوَّأْنَا مَقَاعِدَ السَّمَر وأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَشُولُ بِلِسَانِه ؛ وَيَنْشُرُ مَا فِى صِوَانِه ، ماعَدَا شَيْخاً مُشْتَهِبًا فَوْدَاه ، مُخْلَوْلِقاً بُرْدَاه ، فَإِنَّهُ رَبَضَ حَجْرَةً، وأَوْسَعَنَا هَجْرَة

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لامحاله فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه . عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ياأيها الناس إياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسد مورثة السقم ، وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه إياكم والبطنة فانها مفسدة للقلب . الأصمعى قال أعرابى إذاكنت بطينا فعد نفسك زمنا،وقال الحرث بن كلدة أربعة أشياء يهرمن البدن الغشيان على النطفة ودخول الحمام على الامتلاء وأكل القديد ومجامعة العجوز وقال الأصمعى كنت عند هرون الرشيد فقدمت اليه فالوذجة فقال ياأصمعى حدثنى بحديث مزردأخى الشماخ قلت إن مزرداكان رجلا جسيما وكانت أمه تؤثر عيالها بالزاد وكان يحفظه ذلك منها فذهبت يوما فى بعض حقوق أهلها وخلفته فى بيتها فدخل خيمتها فأخذ صاعين من دقيق وصاعا من سمن فضرب بعضه ببعض وأكله ثم أنشأ يقول :

ولما مضت أمى تزور عيالها ... أغرت على العك الذى كان يمنع
خلطت بصاعى حنطةصاععجوة ... إلى صاع سمن فوقها يتربع
ودليت أمثال الأثافى كأنها ... رؤوس لعاد قطعت لاتجمع
وقلت لبطنى أبشر اليوم إنه ... حمى آمن مما يغير ويفزع
فان كان مصفورا فهذا دواؤه ... وإن كنت غرثانافذا اليوم تشبع

فاستضحك منه حتى أمسك بطنه واستلقى على ظهره ثم قدم يده بمال وقال خذ فهذا يوم تشبع يا أصمعى (الحطم) أى الذى يحطم ويكسر ورجل حطم وحطمة إذا كان قليل الرحمة للماشية وفى المثل شر الرعاء الحطمة وقال الراجز : قد لفها الليل بسواق حطم . فمعنى اكتلنا بصاع الحطم أى أكلنا أكل أكول لا يشفق على نفسه من السقم (أشفينا) أشرفنا (خطر) غرر(التخم) جمع تخمة بفتح الخاء وهو أن يثقل الطعام على المعدة ويتغير والعامة تسكن الخاء وقد يجىء ذلك فى الشعر قال أعرابى :

وإذا المعدة جاشت ... فارمها بالمنجنيق
بثلاث من نبيذ ... ليس بالحلو الرقيق
تهـدم التخمة هضما ... حين تجرى فى العروق

(تعاورنا)الشىء تداولناه وأخذه بعضنا بعضامن بعض وأزلناه من موضع إلى موضع وعورالعين زوالها (الغمر) ريح اللحم وزهمه (تبوأنا) أخذنا ونزلنا (السمر) الحديث يسمر عليه (يشول بلسانه) أى يضرب به فى كل كلام وشل رفع (الصوان) وعاء يصان فيه الشىء (فوداه) ناحيتا راسه والفود مابين طرف الجبهة والأذن (مخلولقا) كثير البلى (برداه) ثوباه (ربض) جلس وفى المثل فلان يربض حجرة ويرتقى وسطا يضرب مثلا لمن يساعدك مادامت فى خير ، فربض حجرة أى جلس فى ناحيةوبرك (اوسعنا) كثر لنا (الهجرة) المباعدةوالمقاطعة يريد أنه

فَفَاظَنَا تَجَنُّبه ، المُتَلَبِّسُ مُوجِبُه ، المَحْذُورُ فيه مُؤنُبه ، إلاَّ أنَّا أَلِنَّا له القول ، وَخَشِينَا فى المَسْئَلَةِ العَوْل ، وكلَّما رُمْنَا أنْ يَفِيضَ كما فَضْنَا ، أوْ يُفِيضَ فِيما أفَضْنَا ، أَعْرَضَ إعْرَاضَ العِلْيَةِ عَنِ الأرْذَلِين ، وَتَلا إن هذا إلا أساطِيرُ الأَوَّلِين ، ثم كأنَّ الحَمِيَّةَ هاجَتْه ، وَالنَّفسَ الأبِيَّةَ ، فَدَلَفَ وَازْدَلَفَ ، وَخَلَعَ الصَّلَفَ وَبَذَلَ أنْ يَتَلافَى مَا سَلَف ، ثم استرْعَى سَمْعَ السَّامِر ، وَانْدَفَعَ كالسَّيْلِ الهَامِر ، وقال :

عندى أعاجِيبُ أرْوِيها بِلا كَذِبِ عَنِ العِيَانِ فَكَنُونِى أبَا العَجَبِ

رَأَيْتُ يا قَوْمِ أقْواماً غِذَاؤُهُم بَوْلُ العَجوزِ ما أغْنَى ابْنَةَ العِنَبِ

(بول العجوز : لبن البقرة والعجوز أيضا من أسماء الخمر)

وَمُسْنِتِينَ مِنَ الأَعْرَابِ قُوتُهُمُ أنْ يَشْتَوُوا خِرْقَةً تُغْنِى مِنَ السَّغَبِ

(الخرقة : القطعة من الجراد)

وَقَادِرِينَ مَا سَاءَ صُنْعُهُمُ أو قَصَّرُوا فِيه قالوا الذَّنْبَ لِلْحَطَبِ

(القادر : الطابخ فى القدر والقدير المطبوخ فيها)

وكَاتِبِينَ ومَا خَطَّتْ أنَامِلُهُمْ حَرْفاً ولا قَرَؤا ما خُطَّ فى الكُتُبِ

الكاتبون : الخرازون يقال كتب السقاء والمزادة إذا خرزهما وكتب البغلة أو الناقة إذا جمع بين شفريها وخاطهما قال الشاعر :

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

وتابِعِين عُقَابًا فى مَسِيرِهِم على تَكَمِّيهِمْ فى البَيْضِ واليَلَب

العقاب : الراية وكانت راية النبى صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب)

اعتزلهم وجلس ناحية ولم يكلمهم بكلمة (تجنبه) تباعده يقال تجنبتك وتجانتك أى تباعدت عنك والجار الجنب البعيد وما زاره إلا عن جنابة أى عن بعد (الملتبس موجبه) أى الذى التبس علينا ما أوجبه (مؤنبه) لائمه (العول) الزيادة (رمنا) طلبنا (يفيض كما فضنا) يتكلم كما تكلمنا والفيض زيادة الماء (ويفيض فيما أفضنا) أى يأخذ معنا فى النوع الذى أخذنا فيه (أعرض) لوى وجهه (العلية) الاشراف (الأرذلين) الأدنياء (أساطير) تآليف وكتب (الحمية) عزة النفس (هاجته) حركته (الأبية) العزيزة (ناجته) حدثته (دلف) مشى إلينا (وازدلف) تقرب (خلع) أزال (الصلف) مجاوزة قدر الظرف حتى يفضى به ذلك إلى أن تأخذ به بابا مافيخالفك ولا يعبأ بك (يتلافى) يتدارك (سلف) مضى (استرعى) دعاهم للاستماع يقال أرعنى سمعك أى اسمع منى (الهامر) الكثير الانصباب (العيان) أى المشاهدة بالعين (مسنتين) أصابتهم السنة أى اشتد عليهم (يشتووا) يتخذوا شواء (السغب) الجوع (تكميهم) تسترهم (البيض) ما يجعل

ومُنتَدِينَ ذَوِى نُبلٍ بدَتْ لَهُم　　نَبِيلَةٌ فانثَنَوا مِنهَا إلى الهَرَبِ

(النبيلة : الجيفة ومنه تنبل البعير إذا مات وأروح يعنى نتن)

وعُصبَةٌ لم تَرَ البَيتَ العَتِيقَ وقَدْ　　حَجَّتْ جُثِيًّا بلا شكٍّ على الرُّكَبِ

(حجت جثيا : أى غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب وجثى جمع جاث)

وَنسوَةً بَعدَ ماأدْلَجنَ مِنْ حَلَبٍ　　صَبَّحنَ كاظِمَةً مِنْ غَيرِ ما تَعبِ

(كاظمة : فى هذا الموضع من كظم الغيظ)

ومُدلِجِينَ سَرَوا من أرضِ كاظِمَةٍ　　فأصبَحُوا حين لاحَ الصُّبحُ فى حَلبِ

(فى حلب : أى أصبحوا يحلبون اللبن)

ويافِعا لم يُلامِسْ قطُّ غانِيَةً　　شاهَدتُهُ وله نَسلٌ مِنَ العَقِبِ

(النسل : ههنا العدو قال تعالى وهم من كل حدب ينسلون ، والعقب : مؤخر القدم)

وشائِباً غيرَ مُخْفٍ لِلمَشِيبِ بَدَا　　فى البَدْوِ وهوَ فَتِىُّ السنِّ لم يَشِبِ

(الشائب : ههنا مازج اللبن ، والمشيب : اللبن الممزوج ويقال فيه مشيب ومشوب)

ومُرضَعًا بِلِبانٍ لم يَفُهْ فَمُهُ　　رَأَيتُهُ فى شِجارٍ بَيْنِ السَّبَبِ

(الشجار : المحفة ما لم تكن مظللة فان ظللت فهو الهودج ، والسبب : ههنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب إلى السماء)

وَزارِعًا ذُرَةً حتى إذَا حُصِدَتْ　　صارَتْ غُبَيْرَاءَ يَهواهاأخُو الطَّرَبِ

(الغبيراء: المسكر المتخذمن الذرةويسمى أيضا السكركة وفى الحديث إياكم والغبيراءفانهاخمر العالم

وراكِباً وَهو مَغلُولٌ عَلَى فَرَسٍ　　قَدْ غلَّ أيضاوما يَنفَكُّ عن خَبَبِ

(المغلول : ههنا العطشان وغل أى عطش)

وذا يَدٍ طُلُقٍ يَقتادُ راحِلَةً　　مُستَعجِلاً وهو مأسورٌ أخُو كُرَبِ

فى الرؤوس فى الحرب (منتدين) مجتمعين (انثنوا) رجعوا (النبيلة) الحاذقة فى فعلها (عصبة) جماعة (أدلجن) سرن بالليل ومثله سروا (لاح) ظهر (يافعا) شابا (يلامس) يلاعب ويمسها بيده (غانية) امرأة جميلة غنيت بحسنها عن الزينة (صبحن كاظمة) أى سقينا الصبوح كاظمة غيظها وصبحه سقاه صبوحا وكظم غيظه تجرعه وهو قادر على الايقاع بعدوه ولم يمضه وكظم خصمه أجابه بالمسكت فافحمه وأصل الكظم للبعير وهو أن يزدد جرته فى حلقه ولا يجترها وكاظمة موضع على سيف البحر أى على ساحله على مرحلتين من البصرة وفيه ركاب كثيرة وماؤها شروب (اللبان) لبن الآدميات (يفه) ينطق (يهواها) يحبها (أخوالطرب) صاحبه المولع به (ينفك) يزول (خبب) نوع من السير (طلق) سارح (كرب) هم (تهوى)

(المأسور الذى يجد الأسر وهو احتباس البول)

وجالِسًا مَاشِيًا تَهوِى مَطِيَّتُهُ ٭ به ومافى الذى أَوْرَدْتَ مِنْ رِيَبِ

(الجالس : الآتى نجدا والماشى الذى كثرت ماشيته وعليه فسر بعضهم قوله تعالى أن امشوا كانه دعاء لهم بكسرة الماشيةو النماء والبركة)

وَحَائِكاً أَجْذَمَ الكَفَّيْنِ ذَا خَرَسٍ ٭ فإِنْ عَجِبْتُمْ فَكَمْ فى الخَلقِ مِنْ عَجَبِ

(الحائك : ههنا الذى اذا مشى حرك منكبيه وفحج بين ركبتيه)

وذا شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمحِ قامَتُهُ ٭ صَادَفْتُهُ بِعِنًى يَشْكُو مِنَ الحَدَبِ

(الحدب ما ارتفع من الأرض)

وسَاعِيًا فى مَسَرَّاتِ الأَنَامِ يَرَى ٭ إِفْرَاحَهُمْ مَأثَمًا كالظُّلْمِ والكَذِبِ

إفراحهم : إثقالهم بالدين ومنه قوله عليه السلام لايترك فى الاسلام مفرح أى مثقل من الدين أو بقضى عن دينه

ومُغْرَمًا بِمُنَاجَاةِ الرِّجَالِ له ٭ ومَاله فى حَدِيثِ الخُلْقِ مِنْ أَرَبِ

(الخلق : ههنا الكذب ومنه قوله تعالى إن هذا إلا خلق الأولين)

وذا ذِمَامٍ وَفَتْ بالعَهْدِ ذِمَّتُهُ ٭ ولا ذِمَامَ له فى مَذْهَبِ العَرَبِ

(الذمام : الثانى جمع ذمة وهى البئر القليلة الماء وعنى بالمذهب المسلك أى ماله آبار قليلة الماء فى البدو)

وذَا قُوًى ما اسْتَبَانَتْ قَطُّ لِينَتُهُ ٭ ولِينُهُ مُسْتَبِينٌ غَيْرُ مُحْتَجِبِ

(اللين : نخيل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة)

وسَاجِدًا فَوْقَ فَحْلٍ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ٭ بما أَتى بَلْ يَرَاهُ أَفْضَلَ القُرَبِ

(الفحل : الحصير المتخذة من فحال النخل)

وعاذِرًا مُؤْلِمًا مَنْ ظَلَّ يَعْذِرُهُ ٭ مَعَ التَّلَطُّفِ والمَعْذُورُ فى صَخَبِ

(العاذر . الخاتن ؛ والمعذور المختون)

وَبَلْدَةً ما بِهَا مَاءٌ لِمُغْتَرِفٍ ٭ والمَاءُ يَجْرِى عَلَيْهَا جَرْىَ مُنْسَرِبِ

تسقط وتسرع (ريب) شكوك (أجذم) مقطوع (خرس) بكم (شطط) طول (مغرما) شديد الحب (مناجاة) محادثة (أرب) حاجة (مكترث) منكسر من الهم (القرب) جمع قربة وهى ما يتقرب به إلى الله تعالى من أعمال البر (عاذر) قابل العــذر (مؤلما) موجعا (التلطف) الرفق واللين (الصخب) الصياح وتفسير ظاهر البيت أن تقول رأيت عاذرا يوجع الذى يعتذر له مع تلطف العاذر للمعتذر وتليينه القول له والمعتــذر فى صياح من شدة ضرر العاذر له فتتقابل هذه الأضداد فاذا فسرت بتفسير الحريرى صح المعنى (منسرب) داخل

(البلدة : الفرجة بين الحاجبين وتسمى أيضاً البلجة)

وقَرْيَةٍ دُونَ أُفْحُوصِ القطا شُحِنَتْ ... بِدَيْلَمٍ عَيْشُهُمْ من خُلْسَةِ السَّلَبِ

(القريه : بيت النمل ، والديلم : النمل الكثير ، وخلسة السلب : لحاء الشجر)

وَكَوْكَباً يَتَوارَى عند رُؤْيَتِهِ الْـ ... إِنْسَانُ حتى يُرَى فى أَمْنَعِ الحُجُبِ

(الكوكب . النكتة البيضاء التى تحدث فى العين ، والانسان : ههنا إنسان العين)

ورَوْثَةً قُوِّمَتْ مَالاً له خَطَرٌ ... ونفْسُ صاحِبِهَا بالمالِ لم تَطِبِ

(الروثة : مقدم الأنف)

وَصَحْفَةً من نُضَارٍ خالِصٍ شُرِبَتْ ... بَعْدَ المِكَاسِ بِقِيراطٍ مِنَ الذَّهَبِ

(النضار : ههنا شجر النبع ومنه قول بعض التابعين لا بأس أن يشرب فى قدح النضار عنى به هذا)

وَمُسْتَجِيشاً بِخَشْخَاشٍ لِيَدْفَعَ ما ... أَظَلَّهُ من أعادِيهِ فلم يَخِبِ

(الخشخاش : الجماعة عليهم دروع وأسلحة)

وطَالمـــا مَرَّ بى كَلْبٌ وفى فَمِهِ ... ثَوْرٌ ولَـكِنَّهُ ثَوْرٌ بِلا ذَنَبِ

(الثور : القطعة من الأقط وهو نوع من الجبن)

وكم رأى ناظِرِى فِيلاً على جَمَلٍ ... وقَدْ تَوَرَّكَ فَوْقَ الرَّحْلِ والقَتَبِ

(الفيل الرجل الفائل الرأى)

وكم لَقِيتُ بِعُرْضِ البِيدِ مُشْتَكِياً ... وما اشْتَكَى قَطُّ فى جِدٍّ ولا لَعِبِ

(المشتكى : المتخذ شكوة وهى القربة الصغيرة)

فى السرب وهو الحفير فى الأرض (قرية) مدينة (أفحوص القطا) مرقدها وهى تفحصه برجليها توسعه (شحنت) ملئت (الديلم) أمة من العجم (خلسة) سرقة (السلب) المال المسلوب (يتوارى) يتغطى وقال الحسن بن هانىء فى صفة الكوكب الذى هو النكتة على إنسان العين :

أعور المقلة من غير عوج ... لو عداه عور العين انسمج

تحسب النكتة فى ناظره ... درة بيضاء فى فص سبج

(خطر) أى حظ كثير والخطير الرفيع القدر (نضار) ذهب أحمر (المكاس) المماكسة بين المتبايعين وهو أن يطلب صاحب السلعة من المشترى سوما فلا يزال المشترى يراجعه وينقص له مما طلب شيأ شيأ حتى يتفقا على ما يتراضيان عليه (المستجيش) الجامع للجيش (والخشخاش) نبت معروف وقال ابن وكيع يصفه :

وخشخاش كأنا منه نفرى ... قميص زبرجد عن جسم در

كأقداح من البلور صيغت ... وأغشية من الديباج خضر

(أظله) قرب منه وكأنه أغشاه ظله (القتب) خشب الرحل والرحل برذعة البعير (بعرض البيد) بجانب

وَكُنْتُ أبصرتُ كَرّازَ الرّاعِيَةِ بالدَّوِّ يَنظُرُ من عَيْنَيْنِ كالشُّهُبِ

(الكرّاز: كبش يحمل عليه الراعى أداته)

وكم رأتْ مُقلَتِي عَيْنَيْنِ ماؤُهُمَا يَجْرِي مِنَ الغَرْبِ والعَيْنانِ فى حَلَبِ

(الغرب: مجرى الدمع، والعينان: المقلتان)

وَصادِعًا بالقَنَا مِنْ غَيْرِ أنْ عَلِقَتْ كَفّاهُ يَوْماً بِرُمْحٍ لا ولم يَثِبِ

(القنا: ارتفاع الانف وتحدب وسطه؛ وصدع به: أى كشفه)

وكم نَزَلْتُ بِأرْضٍ لا نَخِيلَ بِهَا وَبَعْدَ يَوْمٍ رَأيْتُ البُسْرَ فى القُلُبِ

(البسر: جمع بسره وهو الماء الحديث العهد بالمطر، والقلب. جمع قليب)

وكم رَأيْتُ بِأقطَارِ الفَلاَ طَبَقاً يَطِيرُ فى الجَوِّ مُنْصَبّاً إلى صَبَبِ

(الطبق القطعة من الجراد)

وكم مَشَايِخَ فِي الدُّنْيا رَأيْتُهُمُ مُخَلَّدِينَ وَمَنْ يَنْجُو مِنَ العَطَبِ

(المخلد الذى أبطأ شيبه)

وكم بَدا لِيَ وَحْشٌ يَشْتَكِي سَغَبًا بِمَنْطِقٍ ذَلِقٍ أمْضَى مِنَ القُضُبِ

(الوحش الرّجُل الجائع)

وكم دَعَانِيَ مُسْتَنْجٍ فَحَادَثَنِي وَمَا أخَلَّ ولا أخْلَلْتُ بالأدَبِ

(المستنجى: الجالس على نجوة وهو المكان المرتفع)

وكم أنَخْتُ قَلُوصِي تَحْتَ جُنْبُذَةٍ تُظِلُّ مَاشِئْتَ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عُرُبِ

(الجنبذة: القبة، والعرب: جمع عروب وهى المستحببة إلى زوجها من قوله تعالى عرباً أترابا

القفار (كراز) إناء (الدو) الصحراء (العرب) الدلو العظيمة (فى حلب) فى سيلان وجرى (البسر) التمر الذى لم يطب (القليب) البئر والجمع القلب (اقطار الفلا) نواح القفار (والصيب) الانحدار (العطب) الهلاك (السغب) الجوع (ذاق) حاد (أمضى) أقطع (القضب) السيوف (أخل) نقص (المستنجى) الجالس لقضاء حاجة الإنسان (أنخت) ابركت (قلوصى) ناقتى الفتية (تظل) تستر (سر) أدخل عليه السرور وقد بين هو أنه المقطوع السرة وقال فى الدرة فيما يكنى فى المعاريض المقلول الذى ضربته قلته أى أعلاه، والمركوب الذى ضربت ركبته والمذكور الذى قطع ذكره، والمسرور الذى قطعت سرته؛ قال ومن الاحاجى بأبيات المعانى:

نسر همو إن هموا أقبلوا وإن أدبروا فهمو من سبب

أى نطعنهم إذا أقبلوا فى السرة وإذا أدبروا فى السبة وهو الاست، وأنشد أيضا:

وكم نَظَرْتُ إلى مَنْ سُرَّ ساعَتَهُ ودَمْعُهُ مُسْتَهِلُّ القَطْرِ كالسُّحُبِ

(سر : أي قطع سرره ويسمى ما يبقى بعد القطع السرة)

وكم رَأَيْتُ قَمِيصًا ضَرَّ صاحِبَهُ حتى انْثَنَى واهِيَ الأَعْضاءِ والعَصَبِ

القميص : الدابة الكثيرة القماص وهو الوثوب والقفز)

وكم إزارٍ لو أنَّ الدَّهْرَ أتْلَفَهُ لَجَفَّ لِبْدُ حَثِيثِ السَّيْرِ مُضْطَرِبِ

(الازار : المرأة ومنه قول الشاعر « فدى لك من أخي ثقة ازارى »)

هذا وكم من أفانين مُعْجِبَةٍ عِنْدِي ومن مُلَحٍ تُلْهِي ومن نُخَبِ

فإنْ فَطِنْتُمْ لِلَحْنِ القَوْلِ بانَ لَكُمْ صِدْقِي ودَلَّكُمُ طَلْعِي على رُطَبِي

ذكرت أبا عمرو فمات مكانه فواعجبا هل يهلك المرء من ذكر

وزرت عليا بعده فرأيته ففارق دنياه ومات على صبر

ذكرته قطعت ذكره ورأيته قطعت رئته (مستهل) سائل (القطر) مصدر قطر إذا سقط ولا يقال استهل حتى يكون مع انصبابه صوت (واهى) ضعيف (العصب) حبال الجسد (الازار) هو المئزر الذي يجعل عوضا من السراويل (حثيث) مسرع أراد به ذكر الانسان فى حال نكاحه المرأة انه مضطرب سريع السير والدفع فيقول إن المرأة التى كانت تبل الذكر عند الجماع لو هلكت لبقى جافا وأراد باللبد موضع اللبد وهو الظهر ، الفنجديهى : يقول كم من امرأة لو ماتت لترك زوجها كثرة الحركة فى طلب المعاش مرضاة لها وجفوف العرق قد يكون من السكون والتفسير الأول أبين وهذا الثانى يحتمل إما وصفه بالسرعة والاضطراب وهو صفة فرس جعل له لبدا فألغز بذلك وقال أعرابى ماتت امرأته :

وكنت فريستى وغلاف بضعى فأمسى البضع ليس له غلاف

ومن اللغز فيه قول الآخر :

وصاحب معجب فى طول صحبته لاينفع الدهر إلا وهو محموم

تأتيك فى نافض الحمى منافعة وإن افاق يرى فى وجهه اللوم

وقال الاقيشر وكان عنيفا فغالط فى شعره بالضد :

ولقد عدوت بمشرف يافوخه عشر المكرة ماؤه يتدفق

أرن يسيل من النشاط لعابه ويكاد جلداها به يتمزق

حتى علوت به مشق ثنية طورا يفور بها وطورا يغرق

(أفانين) أى ضروب وأنواع والأفانين الأساليب وهى أجناس الكلام وطرقه ؛ الأزهرى : أفانين جمع أفنان وأفنان جمع فنن وهو مغصن والخصلة من الشعر وقيل الافنون الفن وهو وهو ضرب من الشجر والحبال والجمع أفانين (ملح) مايتكلم به من حلو الكلام وألغازه (تلهى)تشغل (نخب) مختارة (لحن القول) معناه ومذهبه واللحن التورية وهى أن نظهر خلاف ماتضمر (الطلع) أول مايخرج من الثمر (والرطب)

وإنْ شُدِهتُمْ فإنّ العارَ فيه على ... مَنْ لا يُميِّزُ بينَ العُودِ والخشَبِ

قال الحارثُ بنُ همّام : فطفقنا نَخبِطُ في تقليبِ قَريضه ، وتأويلِ معاريضه ؛ وهو يلهو بنا لهوَ الخليِّ بالشجيّ ، ويقولُ ليس بعُشّك فادرُجي ، إلى أنْ تعسّرَ النِّتاج ، واستحكمَ الارتتاج ، فألقينا إليه المقادةَ ، وخطبنا منه الإفادةَ ، فوقفنا بينَ المطمعِ واليأس ، وقال الإيناسُ قبلَ الإبساس ، فعلمنا أنّه ممّن يرغبُ في الشُّكم ، ويرتشي في الحُكم ، وساءَ أبا مثوانا أنْ نُعرَّضَ للغُرم ، أو نُخيَّبَ بالرَّغم فأحضر صاحبُ المنزلِ ناقةً عيديّة ، وحُلّةً سعيديّة ؛ وقال له خذهما حلالا ، ولا ترزأ أضيافي زِبالا ، فقال أشهدُ أنها شنشنةٌ أخزميّة وأريحيّةٌ حاتميّة

الطيب منه (شدهتم) تحيرتم (طفقنا) أخذنا (نخبط) تتكلم بالزائد والناقص (تأويل) تفسير (معاريضه) ما عرض به ولم يتمه (الخلى) الذى لاهم له (الشجى) الحزين وياء الخلى مشددة وياء الشجى مخففة وقد شددت ياء الشجى فى الشعر اتباعا لياء الخلى وقالوا إنى لآتيه بالغدايا والعشايا فحملوا الغدايا على العشايا وحكى ثعلب فى غير الفصيح عن الأصمعى تثقيل الياء فيهما ومن جعل شجى فعل كحذر خفف ومن جعله فعيل مثل غنى شدد وفعل بغير ياء أقيس والتشديد فى المثل أحسن للازدواج (تعسر) صعب (النتاج) ماينتج لهم من المعانى (استحكم) توثق (الارتتاج) الانغلاق وأرتج على القارىء وارتتج إذا لم يقدر على القراءة كأنه أطبق عليه (يرتشى) يأخذ الرشوة، وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الراشى والمرتشى والرائش فقيل وما الرائش قال الذى يمشى بينهما (ألقينا اليه المقادة) أى انقدنا له، ورزأت الرجل أرزؤه إذا أصيب منه خيرا ورزأته ماله نقصته (والزبال) بالكسر ما تحملة النملة بفيها (الاريحيه) الاهتزاز للجود (ساء) حزن (الرغم) الذلة والهوان (شنشنة) طبيعية (حاتمية) منسوبة إلى حاتم بن عبدالله ابن سعد بن الحشرج أحد بنى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء يكنى أبا سفانه وأبا عدى فارس شاعر جاهلى أحد الأجواد الذين يضرب بهم المثل بل هو أشهر منهم وهو كعب بن امامة وهو بن سنان وحاتم وكان إذا قاتل غلب وإذا غنم نهب وإذا سئل وهب وإذا قامر سبق إذا أسر أطلق وإذا أثر أنفق ، ويقال إنه لايعرف ميت قرى أضيافه إلا هو وذلك أن ركبا من العرب نزلوا بموضع قبره وقد نفد زادهم وفيهم رجل يكنى خيبرى فجعل يقول أبا سفانة أما تقرى أضيافك أبا سفانة إن أضيافك جياع يعيدها فلما نام ثار من نومه وهو يقول واراحلتاه عقرت والله ناقتى فقال له اصحابه وكيف قال رأيت با سفانة قد انشق عنه قبره فاستوى قائما ينشدنى :

أبا خيبرى لأنت امرؤ ... ظلوم العشيرة لوامها
وماذا تريد إلى رمة ... بدوية صخب هامها
أتبغى أذاها وأسعارها ... ودونك طى وأنعامها

ثم عهد إلى سيفه فانتضاه من غمده وعقر ناقتى وقال دونكم فما أيقظنى الارغاؤها وإذا بالناقة ترغو ماتنبعث

فقالوا قد والله قراك حاتم فنحروها وأكلو وتزودوا واقتسموا متاع أبى خيبرى واستمروالوجههم فلما صاروا فى الطهيرة وضح لهم راكب يجنب بعيرا يؤم سمتهم حتى التقوا فقال لهم أفيكم أبو خيبرى قالوا نعم قال فان عدى بن حاتم رأى أباه البارحة وهو يقول إن أبا خيبرى وأصحابه اشتقرونى فقريتهم ناقته فعوضه منها وزده بكرا يحمل عليه متاعه وهذه الناقة وهذا البكر فارتحل أبوا خيبرى الناقة وتخفف هو وأصحابه من أزاودهم على البكر ومضوا بأتم قرى ؛ وأدرك عدى ابنه النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه وكان يحدث أصحابه بهذا الحديث بعد إسلامه ؛ وقال الشاعر فى عدى :

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل ... لدن شاب حتى مات فى الخير راغبا
قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ... ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

وكانت سفانة بنته من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الصرمة من إبلة فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها تابنية إن الغويين اذا اجتمعا فى المال أتلفاه فاما أن أعطى وتمسكى وإما أن أمسك وتعطى أنت فانه لا يبقى على هذا شيء فقالت والله لا أمسك أبدا قال وأنا لا أمسك أبدا قالت فلا نتجاور فقاسمها ماله وتباينا، وحكى ان أمه كانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف وكانت لا تحبس شيئا تملكه وهى عتبة بنت عنيف بن عمرو ابن عبد القيس فلما رأى اخوتها اتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك اعطوها صرمة من إبلها فجاءتها امرأة من هوازن تسألها فقالت دونك الصرمة فخذيها فوالله لقد عضنى من الجوع مالا أمنع بعده سائلا أبدا ثم أنشأت تقول :

لعمرى لقد عضنى الجوع عضة ... فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائم اليوم أعفنى ... فان أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عسيتم أن تقولوا لأختكم ... سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا
وهل ما ترون اليوم إلا طبيعة ... وكيف بتركى يا ابن أم الطبائعا

فقد اكتنفه الجود من أمه وأبيه . . وقالت امرأته النوار أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض واغبر افق السماء وضنت المراضع عن أولادها فما تبض بقطرة فأيقنا بالهلاك فوالله انى لفى ليلة صبيرة بعيدة الطرفين اذ تضاغى صبيتنا جوعا : عبد الله وعدى وسفانة ، فقام إلى الصبيين وقمت إلى الصبية فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل وأقبل يعللنى بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت فلما تغورت النجوم إذا شيء قد رفع كسر البيت فقال من هذا فقالت جارتك فلانة أتيتك من عند صبية يتعاوون من الجوع عواء الذئاب فما وجدت معولا إلا عليك أبا عدى فقال أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم فأقبلت تحمل اثنين ويمشى إلى جانبها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام إلى فرسه فوجأ لبتها بمدية فخرت ثم كشط الجلد ودفع المدية إلى المرأة وقال شانك فاجتمعنا على اللحم نشوى ونأكل ثم جعل يأتيهم بيتا بيتا هبوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا والتف فى ثوبه ناحية ينظر إلينا والله إن ذاق منها مزعة وإنه لأحوج اليها منا فاصبحنا وما على الأرض منها الاعظم وحافر فأنشأ يقول :

مهلا نوار أقلى اللوم والعذلا ... ولا تقول لشيء فات مافعلا
ولا تقولى لشيء كنت مهلكه ... مهلا وإن كنت معطى العنس والجملا

ثم قابلاَ بوَجهٍ بِشرُه يَشِفّ ؛ وَنُضرَتُه تَرِفّ ، وقال ياقوم إنّ اللّيلَ قد اجلَوّذ ، والنُعاسُ قد استَحوَذ ؛ فافزَعُوا إلى المَرَاقِد ، واغتنموا راحةَ الرّاقد ، لِتَشرَبوا نَشاطا ، وتُبعَثُوا نِشاطًا ، فَتَعُوا ماأفسّر ، ويَتسَهّلَ لَكم المُتَعَسّر ، فاستَصوَبَ كل ماراَه ؛ وتَوَسّدَ وِسادَةَ كَراه ، فلما وسَنَتِ الأجفان ؛ وأغفَتِ الضيفان ، وَثبَ إلى الناقةِ فرحَلَها ثم ارتَحلَها ورَحّلَها ، وَقال مخاطبًا لها ،

سَرُوحُ ياناقُ فَسِيرى وَحدِى وأدلِجِى وأوّبى وأسئِدى
حتى تطأ خُفّاكِ مَرعاها النّدِى فَتَنعَمِى حِينَئذ وتَسعَدِى
وتَأمَنِى أنْ تُنهِمِى وتُنجِدى إيهِ فَدَتكَ النُوقُ جِدّى واجهَدِى
وَأفرِى أدِيمَ فَدفَدٍ فَفَدفَد واقتَنِعِى بالنّشحِ عِندَ المَورِدِ
ولا تَحُطّى دونَ ذاكَ المَقصِد فَقَدْ حَلَفتُ حَلفَةَ المُجتَهِد

يرد البخيل سبيل المال واحـدة ان الجواد يرى فى ماله سبيلا

ولم يكن يمسك شيئا ماعدا فرسه وسلاحه فإنه كان لايجود به ، وذكرى الحريرى أن عقيلا تمثل بقول حاتم : شنشنة أعرفها من أخزم ، وكان عقيل بن علفة المرى غيورا فخورا كانت الخلفاء تصاهره فخطب اليه عبدالملك ابنته لبعض ولده فقال أما أن كان ولا بد فجنبنى هجناء ولدك وخرج يمتار ومعه ابنه وابنته الجرباء فنزلوا بالشام بدير سعد فلما ارتحلوا قال عقيل :

قضت وطرا من دير سعد ربما على غرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال لابنه أجز ياعملس فقال :

فأصبحن بالموماة يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته الجرباء أجيزى فقالت :

كأن الكرى أسقاهم صر خدية عقارا تمشت فى المطا والقوائم

فقال لها وما يدريك مانعت الخمر ثم سل السيف فاستغاثت بأخيها فاختبل فخذيه بسهم فبرك ومضوا وتركوه حتى بلغوا المياه الدانيـة اليهم فقالوا لأهل المياه إنا أسقطنـا جزورا فأدركوها فوجوا عقيلا باركا وهو يقول : ان بنى درجونى بالدم ، الأبيات (بشره) أى طلاقته (يشف) يتلألأ ويرق حتى يكاد يصف ماوراءه من السرور (نضرته) نعمته ورونقه (ترف) تندى (استحوذ) غلب واستولى (افزعوا) الجأوا (لتشربوا نشاطا) أى يتمشى النشاط فى أجسادكم حتى ترووا به (تبعثوا) تنتبهوا (نشاطا) جمع نشيد ككريم وكرام ونشط ينشط فهو نشيط إذا كان طيب النفس للعمل (تعوا) تحفظوا (المتعسر) الصعب (كراه) نومه (وسنت) خالطها الوسن وهو النوم (أغفت) نامت (حدى) أى أسرعى (تتهمى وتنجدى) تقصدى تهامة ونجدا (إيه) معناه زيدى فى سيرك (اجهدى) اتعبى (افرى) اقطعى (أديم) جلد(فدفد) أرض صلبة وقيل مستوية وقيل فلاة

بِحُرْمَةِ البَيْتِ الرَّفِيعِ العُمُد   إنَّكِ إنْ أحْلَلْتِنى فى بَلَدى
حَلَلْتِ مِنِّى بِمَحَلِّ الوَلَد

قال: فَعَلِمْتُ أنَّهُ السَّرُوجِى الذى إذا باعَ انْبَاع، وإذَا مَلَأ الصاعَ انْصاع، ولمَّا انْبَلَجَ صَبَاحُ اليَوْم، وهَبَّ النُّوامُ مِنَ النَّوْم، أعْلَمْتُهُمْ أنَّ الشَّيْخَ حينَ أغْشاهُمُ السُّبات، طَلَّقَهُمُ البَتات؛

وأراد بالأديم وجه الأرض، ونشح ينشح نشحا شرب قليلا قليلا (تحطى) تنزلى (العمد) والعمود ما يقوم عليه الخباء (وقوله يخاطب ناقته:

إنك إن أحلتنى فى بلدى   حللت منى بمحل الولد

قدجاء فى كلامهم نظيره وضده وكلاهما فى بابه حسن، قال الشماخ فى ضده من مجازاة الناقة على إحسانها بالسوء

إذا بلغتنى وحملت رحلى   عرابة فاشرقى بدم الوتين

وناقضه الآخر فقال: أقول لناقتى إذ بلغتنى   لقد أصبحت منى باليمين
فلم أجعلك للقربان طعما   ولا قلت اشرقى بدم الوتين

وتبعه ذو الرمة فقال:

أقول لها إذا شمر الليل واستوت   بها البيد واستنت عليها الحزاور
إذا ابن أبى موسى بلالا بلغته   فقام بفاس بين رجليك جاوز

وتوجيه الحسن فى هذا المذاهب على شنعة ظاهره أنه لايبالى بفقدها لأن الممدوح يحمله ويعطيه فهو فى غنى عنها ومن يعب هذا يقول مجازات الحسن بالسوء قبيح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة التى قالت وقد نجت على ناقته نذرت إن نجانى الله عليها أن أنحرها: بئس ماجازيتها ولا نذر لك فى مال غيرك والمذهب الأحمد فى ذلك قول عبدالله بن رواحة رضى الله عنه حين خرج فى جيش مؤته يخاطب ناقته:

إذا بلغتنى وحملت رحلى   مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمى وخلاك ذم   ولا أرجع إلى أهلى ورائى

ولهذا اتبعه الحريرى فى شعره، وقال الحسن:

وإذا المطى بنا بلغن محمدا   فظهورهن على الحال حرام
قربننا من خير من وطىء الثرى   فلها علينا حرمة وزمام

وقال داود بن أسلم يمدح بن العباس رضى الله عنهما:

نجوت من حل ومن رحلة   ياناق إن بلغتنى من قثم
إنك إن بلغتنيه غدا   عاش لنا الخير ومات العدم

(انباع) أى جرى ومد باعه ومعناه هرب منه فى سيره، يقال صعت الشيء فانصاع أى فرقته فتفرق ومعناه إذا ملأ كيسه من عطاء قوم راح عنهم (انبلج) أضاء (هب) انتبه (اغشاهم) غطاهم (السبات) النوم الخفى كالغشية، ثعلب: السبات ابتداء النوم فى الرأس حتى يبلغ القلب وسبت الرجل فهو مسبوت نعس (البتات)

ورَكِبَ النَّاقَةَ وقاتَ ، فأخَذَهُمْ ماقَدُمَ وما حَدُثَ ، ونَسُوا ماطابَ منه بما خَبُثَ ، ثم انْشَعَبْنا فى كلِّ مَشْعَب ، وذَهَبْنا تَحْتَ كلِّ كَوْكَب ،

القطع البائن (فات) أى فر فلا يلحق ، وذكر الحريرى فى درة الغواص أن قولهم حدث أمر بضم الدال قياسا على اخذهماقدم وماحدث خطأ وإنما ضمت الدال من حدث حين قرن بقدم للمحافظة على الموازنة فاذا افردت لفظة حدث زال موجب الضم ووجب الرد إلى الأصل قال وأنشدنى بعض أدباء خرسان لأبى الفتح البستى :

جزعت من أمر فظيع قد حدث ابو تميم وهو شيخ لاحدث قد حبس الأصلع فى بيت الحدث

لم نتعرض فى شرح هذه المقامة لماثبت فى كتاب المقامات من شرح منشيها بل نتعقب ماأهمله ، وكان الأولى إثبات ماشرح بنصه إذ هو وفق لغرضه :

تفسير بعض ألفاظ فى هذه المقامة بقلم الحريرى

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القاسم بن على رحمه الله تعالى : قد فسرت سر كل لغز تحته ولم أبعد على من يقرؤه كشفه ، وقد بقيت أليفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع اليه فاحببت إيضاحها له ليكفى حيرة الشبهة وكلفة الفكرة ووصمت البحث والمسئلة وبالله تعالى الاستعانة والقوة :

(عشوت إلى نار) يعنى تنورتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن أى يعرض (وأنا أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء) هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لأن الحرباء تدور بدا مع الشمس وتستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومى الرقيب بالحرباء فى قوله :

ما بالها قد حسنت ورقيبها أبدا قبيح قبح الرقباء

ماذاك إلا أنها شمس الضحى أبدا يكون رقيبها الحرباء

والعنز الجرباء لاتدفأ فى الشتاء لقلة شعرها وذكر بعضهم أن العنز الجرباء تصحيف المثل الأول (من نحر وار) يعنى الجمل المكتنز شحما الكثير مخا (عشاره نحور وأعشاره نفور) العشار النوق الحامل والاعشار البرمة العظيمة كأنها شعبت لعظمها يقال برمة أعشار وجفنة أكسار وثوب أسمال وبرد أحلاق وحبل أرمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد (فاكهة الشتاء) كنى بها عن النار ومنه قول بعض المحدثين :

النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتيا فليصطل

إن الفواكه فى الشتاء شهية والنار للمقرور أفضل ماكل

(موائد كالهالات) يعنى دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة (مشوش الغمر) يعنى المنديل يقال مش يده بالمنديل أى مسحها ومنه قول امرىء القيس :

نمش بأعرف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

(مشتهبافوداه) أى صارا من الشيب فى لون الاشهب ومنه قول امرىء القيس أيضاً :

قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي رأس هذا واشتهب

(ربض حجرة) يعنى ناحية ويقال فى المثل لمن يشارك فى الرخاء ويجانب عند البلاء يرتع ويربض حجرة (فاسترعى سمع السامر) يعنى السمار لأن السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحى النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض أهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتاق السامر من السمر وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كان غالب أحوال السمار أنهم يتحدثون فى ظل القمر اشتق لهم اسم منه وإلى هذا يرجع قولهم لا أكلمه القمر والسمر (ليس بعشك فادرجى) هذا مثل يضرب لمن يتعاطى مالا ينبغى والعش مايكون فى شجرة فاذا كان فى حائط أوكهف جبل فهو وكر (الايناس قبل الابساس) هذا مثل أيضا ومعناه أنه ينبغى أن يؤنس الانسان ثم يكلف وأصله إن حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ثم يبس للحلب بها والابساس أن تقول لها بس بس لتسكن وتدر وتسمى الناقة التى تدر على الابساس البسوس (يرغب الشكم) الشكم ماأعطيته على سبيل المجازاة فان أعطيته مبتدئا فهو الشكد (ساء أبا مثوانا) يعنى المضيف الذى أووا اليه عيد بن مهرة وكانت مهرة وعيد تتخذان نجائب الابل فنسبت اليهما (حلة سعيدية) هى منسوبة إلى سعيد بن العاص وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها اليه . (لاترزأ أضيافى زبالا) أى لاترز أهم شيئا وإن قل والأصل فى الزبال ماتحمله النملة بفيها (شنشنة أخزمية) أشار به إلى المثل الذى ضربه جد حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائى حين نشأ حاتم وتقيل أخلاق جده أخزم فى الجود فقال شنشنة أعرفها من أخزم وتمثل عقيل بن علفة به حين قال .

إن بنى ضربونى بالدم   من يلق آساد الرجال يكلم   شنشنة أعرفها من أخزم

ومن أدعى أن المثل له فقد سها فيه (اجلوذ) أى أسرع فى الذهاب ومثله أخروط (وثب إلى الناقة فرحلها) يعنى شد عليها الرحل وبه سميت الراحلة لأنها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى فى عيشة راضية أى مرضية وكقوله تعالى من ماء دافق أى مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية (ارتحلها) أى ركبها وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد فركبه الحسن فابطأ فى سجوده فلما قضى صلاته قال إن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله (ورحلها) أى أزعجها وأشخصها واجد بها فى الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس (فأدجى وأوبى واسئدى) الادلاج أن تسير الليل كله واسم منه الدلجة بفتح الدال والادلاج بالتشديد أن تسير من آخره والاسم منه الدلجة بضم الدال وقيل فتحها وضمها بمعنى واحد ، والتأويب سير النهار وحده ، والأسآد أن تسير ليلا ونهارا ، والنشح أن تشرب دون الرى (فأخذهم ماقدم وما حدث) يقال ذلك لمن تستولى الهموم عليه وتتلاعب به وتضم الدال من حدث فى هذا الموضع وجده ليوافق لفظها لفظ قدم فان أفردت حدث عن قدم وجب فتح الدال من حداث ومثله قولهم هنأنى ومرأنى بحذف الألف من أمرانى إذا ذكر مع هنأن فان أفردته وجب أن تقول أمرأنى الشىء (ذهبنا تحت كل كوكب) هذ المثل يضرب لمن تختلف فى السفر طرقهم وتتباين سبلهم .

المقامة الخامسة والاربعون الرملية

حكى الحارثُ بنُ همَّامٍ قال كنتُ أخذتُ عن أُولى التجاريب، أنَّ السَّفرَ مرآةُ الأعاجيب، فلم أزلْ أجوبُ كلَّ تَنُوفَة؛ وأقتحِمُ كلَّ مَخُوفة، حتى اجتَلَيْتُ كلَّ أُطْرُوفة، فمنْ أحسنِ ما لَمحتُه، وأغربِ ما استملَحتُه، أنْ حضرتُ قاضيَ الرَّمْلة، وكانَ منْ أربابِ الدَّوْلَةِ والصَّوْلَة؛ وقد ترافعَ إليه بالٍ فى بالٍ؛ وذاتُ جمالٍ فى أسمال؛ فهمَّ الشَّيخُ بالكلام؛ وتبيانِ المرام، فمنعَتْهُ الفتاةُ مِنَ الافصاح، وخسأَتْه عن النباح، ثم نضَتْ عنها فضلَةَ الوِشاح، وأنشدَتْه بلسانِ السَّليطةِ الوَقَاح:

يا قاضيَ الرَّمْلَةِ ياذا الذى ... فى يَدِهِ التَّمْرَةِ والجَمْرَه

إليكَ أشكُو جَوْرَ بَعْلِي الذى ... لم يَحْجُجِ البَيْتَ سِوى مَرَّه

شرح المقامة

(أول التجاريب) أى أصحابها وأهلها (أجوب) أقطع (تنوفة) قفرة (اقتحم) أدخل (اجتليت) رأيت (أطروفة) عجيبة (لمحته) نظرته (استملحته) وجدته مليحاً (الصولة) الاستطالة وقد صال إذا استطال وهدد (ترافع) أى تداعى للحكومة ورفع كل واحد صاحبه (بال) شيخ كبير (فى بال) فى ثوب خلق (أسمال) ثياب خلقة واحدها سمل وسمل الثوب وأسمل ويقال أيضاً ثوب أسمال فيوصف بالجمع كما يقال رمح أقصاد وبرمة أعشار (تبيان المرام) تبيين مراده وإظهار حجته (الافصاح) التبيين (خسأته) أبعدته وطردته (النباح) الكلاب هنا وخسأ ونبح أصلهما فى الكلب ويقال خسأت فى الكلب خسأ طردته وأبعدته وخسأ الكلب بنفسه أى انخسأ يتعدى ولا يتعدى قال تعالى اخسأوا فيها أى تباعدوا تباعد سخط (نضت) جردت (الوشاح) الحزام وهو المنطقة .،. الفنجديهى: الوشاح شبه قلادة تنسج من أدم عريضة وترصع بالجواهر وغيرها (السليطة) المستطيلة بلسانها (الوقاح) التى ليس فى وجهها حياء فهى تقول ماشاءت (الرملة) قرية بالشأم وقسم الشأم خمسة أقسام فخمس منه فسلطين ومدينته العظمى الرملة والرملة أربعة آلاف ضيعة ومن مدن فلسطين ايلياء مدينة بيت المقدس بينها وبين الرملة ثمانية عشر ميلا وقال ابن ظفر عشرون فرسخا (التمرة والجمرة) الخير والشر والنفع والضر ويضرب بهما المثل فى هذا المعنى ومن قضى له القاضى بشىء فكأنه قد أعطاه (البيت) عنت به فرجها (يحجج) يقصد اليه بالجماع (سوى مرة) تريد أول مرة وطئها وافترعها ولم يعد لها بعد تلك المرة، وتعنى بالنسك افتراعها وما هناك من الدم . وعنت برمى الجمرة إتيانه لها وجمع الجمر جمار وهى الحجارة الصغار عند العرب وجمر الرجل تجميرا رمى جمار مكة قال عمر بن أبى ربيعة:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ... ولا كليالى الحج أفتن ذا هوى

ومنه الحديث وإذا استجمرت فأوتر معناه تمسحت بالحجارة (ابو يوسف) هو يعقوب بن إبراهيم بن حسين

ابن سعد بن حبيب الأنصارى ، وأبو يوسف كوفى صاحب أبا حنيفة فغلب عليه حتى قالوا أبو يوسف أبو حنيفة أى يسده مسده ويغنى عنه ؛ وروى عن أبى حنيفة والمطرف والمغيرة وهشام بن عروة والشيبانى ، وكان صدوقا من أهل الدين والعلم وكان قاضى القضاة ببغداد لثلاثه خلفاء المهدى والهادى والرشيد وكانت أم جعفر قد استفتته فى مسألة فأفتاها بما أوجبه العلم عنده فوافق بذلك مرادها فأهدت له حقاً من فضة فيه طيب وجام فضة فيه دنانير فقال له بعض من حضره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال أبو يوسف تأولت الخبر على ظاهره والاستحسان قد منع من أمضائه فإن ذلك إذ كان هدايا الناس التمر واللبن لا فى هذا الوقت والهدايا ذهب وورق ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قال أبو جعفر الطحاوى : ولد أبو يوسف سنة ثلاث عشر ومائة .. حماد : رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر وهما يتجادلان فى مسئلة فلا يقول أبو يوسف قولا إلا أفسده عليه زفر ولا يقول زفر قولا إلا أفسده عليه أبو يوسف إلى وقت الظهر فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر وقال لا تطمع فى رياسة فى بلد فيها أبو يوسف فقضى لأبى يوسف . على بن حرملة التيمى : قال أبو يوسف كنت اطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاء أبى يوماً وأنا عند أبى حنيفة فانصرفت معه فقال يابنى لا تمدن رجليك مع أبى حنيفة فإن خير أبى حنيفة مستور وأنت محتاج إلى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة والدى فتفقدنى ابو حنيفة وسأل عنى فجعلت أتعهد مجلسه فلما كان اول يوم أتيته بعد تأخرى عنه قال لى ما يشغلك عنا قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدى فلما انصرف الناس دفع إلى صرة وقال استمتع بهذه وإذا فيها مائة درهم وقال لى الزم الجماعة فاذا نفدت فاعلمنى فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إلى مائة أخرى ثم كان يتعهدنى كذلك وما أعلمته بنفادها قط وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت .. على بن الجعد : حدثنى أبو يوسف قال توفى أبى إبراهيم وخلفنى صغيرا فى حجر أمى فأسلمتنى إلى قصار أخدمه فكنت أدع القصار وأمر على حلقة أبى حنيفة فأجلس واستمع فتجىء أمى فتأخذ بيدى وتذهب بى إلى القصار وكان أبو حنيفة يعنى بى لما كان يرى من حرصى على التعلم فلما طال ذلك على امى وكثر عليها هربى قالت لأبى حنيفة ما لهذا الصبى فساد غيرك هذا صبى يتيم لا شىء له وإنما أطعمه من مغزلى وآمل ان يكتسب دانقا يعود به على نفسه فقال لها أبو حنيفة مرى يا رعناء ماهو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وهى تقول أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك قال ثم لزمته ونفعنى الله تعالى بالعلم ورفعنى حتى تقلدت القضاء فكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان فى بعض الأيام قدم اليه فالوذجة فقال لى كل يايعقوب فليس فى كل يوم يعمل لنا مثلها فقلت وما هذه يا أمير المؤمنين فقال هذه فالوذجة بدهن فستق فضحكت فقال لى مم تضحك فقلت خيرا أبقى الله أمير المؤمنين فقال لتخبرنى وألح على فحدثته بالقصة من أولها إلى آخرها فعجب من ذلك وقال لعمرى إن العلم لينفع ويرفع دينا ودنيا وترحم على أبى حنيفة وقال إنه كان ينظر بعين عقله مالا ينظره غيره بعين رأسه ، وابو يوسف اول من دعى بقاضى القضاة فى الإسلام . إسحق الموصلى : حدثنى بشر بن الوليد وسأله من أين جاء فقال كنت عند أبى يوسف القاضى وكنت فى حديث ظريف فقلت حدثنى به فقال قال لى أبو يوسف كنت البارحة قد أويت الى فراشى فاذا داق يدق الباب بشدة فأخذت على إزارى وخرجت فاذا هو ابن أعين يقول أجب أمير المؤمنين

وَلَيْتَهُ لَمَّا قَضَى نُسْكَهُ   وَخَفَّ ظَهْرٌ إِذْ رَمَى الجمره
كَانَ على رَأْيِ أبي يُوسُفٍ   فى صِلَةِ الحجة بالعُمْرَه
هذا على أنىّ مُذْ ضَمَّنى   إليه لم أَغْصِ له أَمْرَه

فقلت يا أبا حارثة لى بك حرمة وهذا وقت كما ترى ولست آمين أن يكون أمير المؤمنين دعانى لمكروه فان أمكنتك أن تدع الأمر إلى غد فلعله أن يحدث له رأى فقال مالى الى ذلك من سبيل قلت كيف كان السبب قال خرج الى مسرور الخادم فأمرنى أن آتى بك أمير المؤمنين فقلت أتأذن لى أن أصب على ماء أتحنط فان كان أمر كنت قد أحكمت شأنى وان رزق الله العافية فلن يضر فدخلت ففعلت ذلك وتطيب ثم خرجنا الى دار الرشيد ومسرور واقف فقلت يا أبا هاشم خدمتى وحرمتى وهذا وقت ضيق أفتدرى لم طلبنى قال لا قلت فمن عنده قال عيسى بن جعفر وحده ثم قال مر فاذا صرت فى الصحن فحرك رجليك فانه فى الرواق ففعلت فقال من هذا قلت يعقوب قال ادخل فدخلت فسلمت فرد على السلام وقال أظننا روعناك قلت إى والله ومن خلفى قال اجلس فلما سكن روعى قال يا يعقوب هل تدر لم دعوتك قلت لا قال لأشهدك على هذا أن عنده جارية فسألته أن يهبها أو يبيعها لى فأبى ووالله لئن لم يفعل لأقتلنه فالتفت الى عيسى وقلت وما بلغ قدر الجارية أتمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة فقال لى عجلت القول قبل ان تعرف ما عندى ان على يمينا بالطلاق والعتاق والصدقة ما أملك أن أبيعها لأحد ولا أهبها فالتفت الى الرشيد فقال لى هل فى ذلك مخرج فقلت نعم قال وما هو قلت يهب لك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يبع ولم يهب قال عيسى ويجوز ذلك قلت نعم قال فأشهدك أنى قد وهبت له نصفها وبعت منه نصفها بمائة ألف دينار وأتى بالجارية فقال خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها قال يا يعقوب وبقيت واحدة قلت يا أمير المؤمنين وما هى قال هى مملوكة ولا بد أن تستبرأ ووالله إن نفسى لتخرج إن لم أبت معها فقلت ياأمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فان الحرة لا تستبرأ قال فانى قد أعتقتها فدعا بمسرور وحسن وخطبت وحمدت الله ثم زوجت على عشرين ألف دينار ودفع المال اليها ثم قال يا يعقوب انصرف ثم قال يامسرور احمل الى أبى يوسف مائتى ألف درهم وعشرين تختاثيابا فحمل معى ذلك قال بشر فالتفت الى يعقوب فقال هل رأيت بأسا فيما فعلت قلت لا قال فخذ منها العشر فشكرته وذهبت لأقوم واذا بعجوز دخلت فقالت ياأبا يوسف بنتك تقرئك السلام وتقول والله ماوصلنى من أمير المؤمنين فى ليلتى هذه الا المهر الذى قد عرفت وقد جعلت اليك النصف منه وخلفت الباقى لما أحتاج اليه فقال رديه والله لاقبلته أخرجتها من الرق وزوجتها من أمير المؤمنين وترضينى بهذا فلم نزل نتلطف اليه أنا وعمومتى أن يقبلها فقبلها وأمر لى بألف دينار ... وأما صلة الحج بالعمرة التى ذكر الحريرى فان أبا يوسف فى ذلك مخالف لمالك رضى الله عنهما فى ان القران فى الحج أفضـــل من الافراد وهو مذهب على بن أبى طالب رضى الله عنه (خفّ ظهرا) أى حط عن ظهره بعض الذنوب والذى ارادت انه لم يأتها ولا جامعها غير مرة واحدة خففت بها ظهارة وبعض شهوته وليته فعل ذلك مرتين فورت بظاهر كلامها عن هذا المعنى .. وجاءت امرأة الى المغيرة بن شعبة بزوجها

فَمُرْهُ إِمَّا أُلفَةً حُلْوَةً ترْضِي وَإِمَّا فُرْقَةً مُرَّهْ
مِنْ قَبْلِ أنْ أَخْلَعَ ثوبَ الحَيَا في طَاعةِ الشيخِ أَبِي مُرَّهْ

الله يعلم يا مغيرة أننى قد دستها دوس الحصان المرسل
وأخذتها أخذ المعنف شاته عجلان يذبحها لقوم نزل

فقال له المغيرة إنى لأرى ذلك فى شمائلك ، وخاصمت الدهناء بنت مسحل أحد بنى مالك بن مسعد بن زيد مناة العجاج وكان من بنى عمها الى والى اليمامة فكان أبوها يعينها على ذلك فقال له أهل اليمامة ألا تستحى تطلب العسب لا بنتك فقال انى أحب ان يكون لها ولد فان أفرطتهم أجرت وان بقوا دعوا الله لها فدخلت على الوالى فقالت انى منه بجمع فقال لعلك تغارين الشيخ فقالت انى لا رخى له بادى وأقيم صلبي فقال العجاج انى لآخذها العقيلى والشغربية فقال قد أجلتك سنة وانما أراد ستره فقال العجاج :

أظنت الدهنا وظن مسحل أن الأمير بالقضاء يعجل
عن كسلانى والحصان يكسل عن الصفاد وهو طرف هيكل

فقالت هى : والله لولا خشية الأمير وخشية الشرطى والمشير
لجلت من شيخ بنى الفقير كجولان صعبة عسير

فأخذها وضمها اليه يقبلها فقالت

تالله لاتخدعنى بالضم اليك والتقبيل بعد الشم
إلا بهزها زيلى همى ينزغ عنى فتخى فى كمى

فذهب بها إلى أهلها فطلقها فى تلك الليلة سرا ولو استقبلها العجاج بما وصف ابن الرومى حيث يقول :

ألا يا هند هل لك فى ممد غليظ تفرحين به متين
يشد به حشاك غلام نيك من الفتيان منقطع القرين
فمن يره يبول يقول أنثى بدا من فرجها ثلثا جنين

لرضيته ولم تحاكمه (ألفة) صحبة (اخلع) أزيل (أبو مرة) كنية ابليس لعنه الله وكنى بذلك لما تقدم أن أبغض الأسماء إلى الله تعالى مرة وحرب ، تقول اما يصاحبنى صحبة يرضينى فيها بكثرة الجماع وإلا أزلت عنى الحياء وخرجت أزنى وافق فى طاعة ابليس ولو عالجها بما كان يعالج به رجل زوجته وكان إذا وقع بينهمـا شر انحنى عليها بالجماع فكانت تقول لعنك الله كلما وقع بيننا شر جئتنى بشفيع لا أقدر على رده فلو جاءها بهذا الشفيع لما رفعته إلى الوالى ؛ محمد بن يحيي بن حيان : عاتبت جدتى جدى فى قلة الباه فقال لها أنا وأنت على قضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالت وما قضاء عمر قال قال إن الرجل الذى أتى امرأته فى كل طهر مرة فقد أدى حقها

عجبت من أيرى كيف يصنع أدفعه بأصبعى فيرجع يقوم بعد الشد ثم يركع

دخل عيسى بن موسى على جارية له فعجز فقال :

فقال له القاضي : قَدْ سَمِعْتَ ماعَزَتْكَ إليه ، وتَوَعَدَتْكَ عليه ، فجانِبَ ماعَرَكَ ؛ وَحاذِرْ أَنْ تُفْرَكَ وتُعْرَكَ ، فجثا الشَّيْخُ عَلَى ثَفِنَاتِه ،

النفس تطمع والأسباب عاجزة والنفس تهلك بين العجز والطمع

خلا ثمامة بن اشرس بجارية له فعجز فقال ويحك ما أوسع حرك فقالت :

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

وكان عروة بن أشيم أوفر الناس إيرا وأشدهم نكاحا وكان إذا انعظ يستلقى على قفاه فيأتى الفصيل الجرب فيحتك بايره يظنه الجذل وهو عود فى العطن ينصب اتحتك به الابل الجربى ويزعمون أنه أصاب ايره جنب عروس زفت اليه فقالت أتهددنى بالركبة وهو القائل

ألا ربما انعظت حتى أخاله سينقد للانعاظ أو يتمزق

فأعمله حتى إذا قلت قد ونى ابى وتمطى جامحا يتمطق

واقبل رجل على على رضى الله عنه فقال إن لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها وعلى اثمها

وقع اعشى همدان اسيرا عند الديلم ثم ان ابنة العلج الذى أسره عشقته فمكنته ليلة من نفسها فأصبح وقد واقعها ثمان مرات فقالت يامعشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم قال هكذا نفعل كلنا فقالت بهذا العمل نصرتم افرأيت ان خلصتك تصطفينى فعاهدها فحلت قيوده بالليل وأخذت به فى طرق تعرفها حتى تخلص فقال أسير شاعر فيه :

فمن كان يفديه من الأسر ماله فهمدان تفديها الغداة أيورها

وكان عبد الله بن عمر أنزه الناس نفسا وأبعدهم عن المزاح وذكر الفاحشة ، فجاءه ابن أبى عتيق يوما وكان صاحب مزاح وفكاهة ، وفى يده رقعة فيها :

ذهب الاله بما تعيش به وقمرت مالك ايما قمر

انفقت مالك غير مكترث فى كل زانية وفى الخمر

وكانت هجته بهما امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومى فقال يا أبا عبد الرحمن انظر هذه الرقعة واشر على برايك فيها فلما قرأها عبد الله استرجع فقال ما ترى فيمن هجانى بهذا الشعر قال أرى إن تعفو وتصفح فقال يا ابا عبد الرحمن لئن لقيت صاحبه لأنيكنه نيكا جيدا فأخذ ابن عمر من قوله وارعد وازبد وقال : ما لك غضب الله عليك ، فقال ما هو إلا ما قلت عليك لك وافترقا فلما كان بعد أيام لقيه ابن عمر فأعرض عنه فصاح يا ابا عبد الرحمن إنى لقيت صاحب البيتين فنكته والله نيكا شافيا واقسم على ذلك فصعق ابن عمر فلما راى ابن ابى عتيق ماحل به دنا منه وقال له فى اذنه إنها والله امراتى فقام ابن عمر وقد سرى عنه وهو يضحك فقبله بين عينيه وقال احسنت زده من هذا الأدب فلن يهجوك بعدها ابدا (عزتك) أى نسبتك (توعدتك) هددتك (عرك) شانك وعابك ولطخك بشر وساءك وعر فلان قومه بشر لطخهم به (حاذر) خف (تفرك) تبغض وفركت المرأة زوجها ابغضته (تعرك) تدلك دلكا شديدا مثل دلك الأديم وعركت القوم فى الحرب قاتلتهم (جثا) يجثو جثوا وجثيا جلس على ركبتيه (الثفنات) ماولى الأرض من اعضاء البعير وغلظ إذا برك

وفخر ينبوع نفثاته، وقال :

اسمع عداك الذم قول امرئ يوضح فيما رابها عذره
والله ما أعرضت عنها قلى ولا هوى قلبى قضى نذره
وإنما الدهر عدا صرفه فابتزنا الدرة والدره
فمنزلى قفر كما جيدها عطل من الجزعة والشذره
وكنت من قبل أرى فى الهوى ودينه رأى بنى عذره
فمذ نبا الدهر هجرت الدمى هجران عف آخذ حذره
وملت عن حرثى لا رغبة عنه ولكن أتقى بذره
فلا تلم من هذه حاله واعطف عليه واحتمل هذره

قال : فالتظت المرأة من مقاله، وانتضت الحجج لجداله، وقالت ويلك يا مرقعان ، يا من هو لا طعام ولا طعان أتضيق بالولد ذرعا ، ولكل أكولة مرعى ، لقد ضل فهمك ، وأخطأ سهمك وسفهت نفسك وشقيت بك عرسك ، فقال لها القاضى : أما أنت فلو جادلت الخنساء ، لانثنت عنك خرساء ؛ وأما هو فإن كان صدق فى زعمه ، ودعوى عدمه ، فله فى هم قبقبه ، ما يشغله عن .

على الركبتين والكركرة (ينبوع) ماؤها النابع (نفثاته) كلماته (عداك) تجاوزت (يوضح) يبين (رابها) شككها وأدخل عليها الريبة (أعرضت) صدت (قلى) بغض (هوى) حب (النذر) أن ينذر الإنسان على نفسه شيئا يفعله وقضى نحبه استوفى غرضه (عدا) ظلم (صرفه) تصرفه بالانكاد (ابتزنا) سلبنا (الدرة) اللؤلؤة (الدرة) اللبن ومال العرب الابل وعيشهم من لبنها فلهذا جنس بالدرة مع الدرة (جيدها) عنقها (عطل) خال (الجزعة) خرز يمانى وهى التى فيها بياض وسواد (الشذر) قطع من ذهب يفصل بها بين الجواهر وقيل الجزع خرز ملون والشذر خرز أخضر ؛ وقيل الشذر القطعة من الذهب تلتقط من المعدن من غير إذابة الحجارة (بنى عذرة) قبيلة يغلب على قلوبهم حب النساء فكل من أفرط فى حبهن قيل له عذرى فنسب إليهم ، وسئل أعرابى فقيل له من أين أنت فقال من قبيلة إذا أحبوا ماتوا فسمعته جارية فقالت عذرى ورب الكعبة (نبا) أى ارتفع وزال خيره (الدمى) النساء المشبهات فى بياضهن وصفائهن بصور الرخام وكان العاشق من العرب إذا غلب عليه العشق والهجر ذهب إلى الأمصار فاشترى صورة من رخام على صورة محبوبته فاذا ركب بعيره أجلس الصورة بين يديه يحدثها ويستريح اليها فسمعوا النساء دمى تشبيها بصور بالرخام (عف) عفيف (البذر) ما يزرع فى الأرض من الحبوب وحرثه نكاحه وأراد بالبذر ما يزرعه فيها من النطفة (هذره) هذيانه وكلامه الفارغ (التظت) حقدت والتهبت غيظا (انتضت) جردت (جداله) خصامه (مرقعان) كثير الرقاعة والرقاعة كالحماقة كأن عقله تخرق فرقع ، وضقت بالشيء ذرعا إذا لم تقدر عليه (ضل) تحير (عرسك) زوجك (جادلت) خاصمت (انثنت) رجعت (خرساء) بكماء (زعمه) ما ادعاه (قبقبة) القبقب البطن والقبقبة الصوت

ذَبْذبه ، فأطرقت تنظرُ ازورارا ، ولا ترجعُ حِوارا ، حتى قلنا قد راجعها الخفر ؛ أو حاق بها الظفر ؛ فقال لها الشيخ تعساً لكِ إن زخرفتِ ، أو كتمتِ ما عرفتِ ، فقالت وَيحكَ ، وهل بعد المنافرة كتم ؛ أو بقي لنا على سرٍّ ختم ، وما فينا إلا من صدق . وهتك صونه إذ نطق ، فليتنا لاقينا البكم ولم نلاق الحكم ، ثم التفعت بوشاحها ؛ وتباكت لافتضاحها ، وجعل القاضي يَعجَبُ من خطبهما ويُعجِّبُ ، ويلوم لهما الدهر ويؤنب ، ثم أحضر من الورق ألفين ، وقال ارضيا بهما الأجوفين ، وعاصيا النازغ بين الإلفين ؛ فشكراه على حسن السراح ، وانطلقا وهما كالماء والراح

الذى يدور فيه فسمى به (الذبذب) الذكر وأصل الذبذبة الاهتزاز والاضطراب فسمى لحركته ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى شاب فقال يا شاب إن وقيت شر ثلاث وقيت شر الشباب لقلقك وذبذبك وقبقبك ، الأصمعى : اللقاق اللسان والقبقب البطن والذبذب الذكر (أطرقت) أى سكنت مميلة إلى الأرض رأسها حياء (ازورارا) ميلانا (الحوار) مراجعة الكلام (الخفر) الحياء (حاق) لحق (الظفر) هنا غلبة حجتها وظفرها به (تعسا) هلاكا (زخرفت) هنا زينت الباطل (المنافرة) المحاكمة (ختم) ربط أى قد أظهرنا جميع أسرارنا (هتك) خرق (صونه) صيانته (لاقينا البكم) أى أصابنا البكم وخلقنا خرسا فلم تبد ما أبديناه من القبائح والبكم الخرس مع عى وقال ثعلب البكم أن يولد الانسان لاينطق ولا يسمع ولا يبصر وبكم بكما وبكامة (الحكم) الحاكم (التفعت) التفت والوشاح الثوب وقد توشحت بثوبها جعلته موضع وشاحها (لافتضاحها) لاشتهارها بالقبائح (خطبهما) أمرهما (يعجب) يجعل غيره يعجب منه (يؤنب) يوبخ ويلوم (الورق) الدراهم (الاجوفين) البطن والفرج (النازغ) الماشى بالبشر المفسد ونزغ الشيطان بينهم ينزغ نزغا أغوى وأفسد (الالفين) الصاحبين (السراح) الانصراف (الراح) الخمر وهى سريعة الامتزاج مع الماء فيضرب بهما المثل فى امتزاج نفوس المتحابين وقد جاء من ذلك فى الشعر ما يستحسن قال ابن أبى فتن أحسن ما قيل فيه قول العباس بن الأحنف :

لاأنس ماأنسى يمناها معطفة ... على فؤادى ويسراها على راسى
وقولها ليته ثوب على جسدى ... وليتنى كنت سربالا لعباس
وليتنى كنت له خمرا وكنت له ... من ماء مزن فكنا الدهر فى كاس

قال الحاتمى وأحسن دعبل كل الاحسان فى قوله :

الله يعلم والأيام دائرة ... والمرء ما بين إيحاش وإيناس
إنى أحبك حبا لو تضمنه ... سلمى سميك ذلك الشاهق الراسى
حبا تلبس بالاحشاء وامتزجا ... تمازج الماء بالصهباء فى الكاس

وقال البحترى فأحسن :

تهتز مثل اهتزاز الغصن حركه ... مرور غيث من الوسمى سحاح
إنى وجدتك من قلبى بمنزلة ... هى المصافاة بين الماء والراح

وطَفِقَ القاضى بَعْدَ مَسْرَحِهِما ، وتَنائى شَبَحِهِما ، يُثْنى على أدَبِهِما ، ويقُول هلْ من عارِفٍ بِهِما ، فقال له عَيْنُ أعْوانِه ، وخالِصَةُ خُلَصانِه ، أمَّا الشَّيْخُ فالسَّروجىُّ المَشْهُودُ بفَضْلِه ، وأمَّا المَرْأةُ فَقَعِيدَةُ رَحْلِه ، وأمَّا تَحاكُمُهُما فَمَكِيدَةٌ مِنْ فِعْلِه ، وأحْبُولَةٌ من حَبائِل خَتْلِه ، فَأحْفَظَ القاضى ماسَمِع ، وتَلَهَّبَ كَيْفَ خُدِع ، ثم قال لِلْواشِى بِهِما قُمْ فَرُدَّهُما ، ثُمَّ اقْصِدْهُما وصِدْهُما ، فَنَهَضَ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْه ، ثُمَّ عادَ يَضْرِبُ أصْدَرَيْه ، فقال القاضى : أظْهِرْنا على ما نَبَثْتَ ، وَلا تُخْفِ عَنَّا مااسْتَخْبَثْتَ ، فقال مازِلْتُ أسْتَقْرِى الطُّرُق وأسْتَفْتِحِ الغُلَق ، إلى أنْ أدْرَكْتُهما مُصْحِرَيْن ، وقدزَمَّا مَطِىَّ البَيْن ، فَرَغَّبْتُهُما فى العَلَل ، وكَفَلْتُ لهما بِنَيْلِ الامَل ، فأشْرِبَ قَلْبَ الشَّيْخَ أن يَيْأس ، وقال الفِرارُ بِقُرابٍ أكْيَس ، وَقالت هِىَ بَلِ العَوْدُ أحْمَد ،

(طفق) أى جعل (مسر حهما) انصرافهما (تنائى شبحهما) بعد شخصهما (عين الاعوان) مقدمهم (الخلصان) الاحباب (خالصة) خيار فكأنه خيار خيارهم (قعيدة رحله) زوجته وصاحبة بيته (مكيدة) مكر (أحيولة) شبكة (ختله) خداعه (أحفظ) أغضب (تلقف) تندم فصاح باللهف (ردهما) أطلبهما (مذروبه) أطراف إليتيه (الاصدران) عرقان فى الصدغين وقيل هما المنكبان وقيل العطفان ويقال أتى فلان ينفض مذرويه إذا جاء غاضبا يتهدد ويضرب أصدريه إذا جاء فارغا بلا حاجة فاذا قضى حاجته قيل جاء ثانيا من عنانه ، وقال الحسن البصرى ورأى الناس يوم عيد يضحكون فقال تلق أحدهم أبيض بضا يملخ فى الباطل ملخا ينفض مذرويه ويضرب أصدريه يقول ها أنا ذا فاعرفونى قد عرفناك مقتك الله ومقتك الصالحون ، يملخ يلج وقيل يتثنى ويتكسر (استخبثت) أصبته خبيثا (أستقرى) أتتبع (الغلق) جمع غلقة وهى المغالق التى تسد بها الطرق وغيرها وباب غلق أى مغلق (مصحرين) ذاهبين فى الصحراء (زما) شدا (البين) الفراق (العلل) هنا العطاء (كفلت) ضمنت (نيل الأمل) درك الحاجة (أشرب) دوخل وألقى فى نفسه (الفرار بقراب أكيس) مثل ، وقراب الشيء ما يقاربه وأراد الهروب باليسير والقريب أكيس من الرجوع إلى الطمع ويروى الفرار بقراب بكسر القاف وهو مصدر بمعنى المقامة ، والمثل لجابر بن عمر المازنى وكان سائرا فى طريق ومعه أوفى ابن مطر وشهاب بن قيس فتراءى آثار رجلين معهما فرسان وبعيران وكان قائفا فقال أرى آثار رجلين شديد كلبها عزيز سلبهما والفرار بقراب أكيس ثم مضى هاربا والمعنى فرارنا ونحن بقرب السلامة خير لنا من أن نتورط فى المكروه (العود أحمد) أى أوفق وأحق أن يوجد محمودا ، والعود أحمد مثل ، أى الرجوع أحسن وقال المرقش :

وأحسن فيما كان بينى وبينه ... فان عاد بالاحسان فالعود أحمد

وأنشد أبو العباس لعمارة :

بنى دارم إن يفن عمرى فقد مضى ... حياتى لكم منى ثناء مخلد
بدأتم فأحسنتم وأثنيت جاهدا ... وإن عدتم أحسنت والعود أحمد

والفَرُوقَةُ يَكْمَد ، فلما تَبيَّنَ الشَّيخُ سَفَه رأْيِها ، وَغَرَرَ اجترائِها ، أَمسَكَ ذَلاذِلَها ، ثم أنشأ يقول لها :

دُونَكِ نُصْحِي فاقْتَفِي سُبْلَه وَاغْنَيْ عَنِ التَّفْصِيلِ بالجُمْلَه
طِيرِي مَتَى نَقَّرْتِ عن نَخْلَةٍ وطَلِّقِيهـــا بَتَّةً بَتْلَه
وحاذِرِي العَوْدَ إليها وَلَوْ سَبَّلَها ناطُورُها الأَبْلَه
فَخَيْرُ ما لِلِّصِّ أنْ لا يُرَى بِبُقْعَةٍ فيهـــا له عُمْلَه

ثم قال لى لَقدْ عُنِّيتَ ، فيما وُلِّيتَ ، فارْجِعْ من حَيْثُ جِئْتَ ، وَقُلْ لِمُرْسِلِكَ إنْ شِئْتَ :

رُوَيْدَكَ لا تُعْقِبْ جَمِيلَكَ بالأَذَى فَتُضْحِي وَشَمْلُ المالِ والحَمْدِ مُنْصَدِعْ
وَلا تَتَغَضَّبْ مِنْ تَزَيُّدِ سائِلٍ فما هُوَ فى صَوْغِ اللِّسانِ بِمُبْتَدِعْ
وإنْ تَكُ قد ساءَتْكَ مِنّى خَدِيعَةٌ فَقَبْلَكَ شَيْخُ الأَشْعَرِيِّينَ قد خُدِعْ

فقال له القاضى : قاتَلَهُ اللهُ فما أحْسَنَ شُجُونَهُ ؛ وأَمْلَحَ فُنُونَهُ ؛ ثم إنَّهُ أَصْحَبَ رائِدَهُ بُرْدَيْنِ ، وصُرَّةً مِنَ

(الفروقة) أى الفزاع الكثير الفرق وهو الخوف (يكمد) يحزن حزنا لا يستطيع امضاءه (تبين) علم (غرر) خطر (سفه) خفة والسفيه الخفيف العقل (اجترائها) جسارتها وجرأتها (ذلاذلها) أطراف ثوبها وذلاذل القميص مايلى الأرض من أسافله الواحد ذلذل مثل قمقم وقماقم (دونك) معناه قاربك ماتطلب فتناوله (اقتفى) اتبعى (سبله) طرقه (نقرت) أكلت ثمرتها بمنقارك وهو مثل ونقرت أيضاً بحثت والتنقير البحث عن الشىء يقول متى ماأخذت من ثمر نخلة بنصيب ففارقها ولا ترجع اليها وفى حديث أبى سعيد قال النبى صلى الله عليه وسلم خلقت النخلة والرمانة والعنب من فضل طينة آدم عليه السلام (البتة البتلة) التى لا رجعــة فيها والبت القطع (سبلها) طرقها وأصله لابن السبيل (الناطور) حارس النخل خاصة بطاء غير معجمة وقيل هو حافظ الكرم والجمع النواطير (الابله) الكثير الغفلة (اللص) السارق (عملة) سرقة وفعلة قبيحة (عنيت) تعبت (وليت) كلفت (رويدك) رفقك أى أن لنا منك الرفق والمهل (لاتعقب) لا تتبع (الاذى) الضرر (شمل) جمع (متصدع) متفرق (صوغ اللسان) كذبه وحيله وفى الحديث هذه كذبة صاغها الصواغ أى اختلقها الكذاب (مبتدع) أول فاعل (ساءتك)أحزنتك (شيخ الأشعريين) هو ابو موسى الأشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد الله بن قيس من ولد الاشعر بن أدد بن زيد بن يشجب ابن يعرب بن كهلان بن سبا قدم مكة واسلم بها ثم هاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع جعفر بن ابى طالب إلى المدينة والذى خدعه هو عمرو بن العاص فى قصة التحكيم بين على ومعاوية رضى الله عنهما وهى قصة مشهورة فى كتاب العقد وفى كتاب المسعودى وغيرهما من كتب الادب وفيها أشياء مناكير فى حق الصحابة رضى الله عنهم فلذلك اضربنا عن ذكرها (رائده) طالبه (اصحبه) جعله فى صحبته (بردين) ثوبين (صرة) خرقة

العَين ، وَقال له سِرْ سَيْرَ مَنْ لا يرَى الالتِفات ، إلى أنْ ترَى الشَّيْخَ والفَتاة ، فَبُلَّ يدَيْهما بِهذا الحِباء ، وبَيِّنَ لهما انخداعِي للأُدَباء .

قال الراوي : فلم أرَ في الاغتِرابِ ؛ كَهذا العُجابُ ، وَلا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ مِمَّنْ جالَ وجابَ .

تشد فيها الدراهم (العين) الذهب والفضة (سير من لا يرى الالتفات) أى سيرا سريعا لا يلتفت معه إلى مهم (بل أيديهما) يقال بللت به ابل ظفرت به وبلك الله بابن اى رزقه وفى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام اى صلوها وبللت رحمى ابلها بللا وبلالا إذا نديتها ووصلتها (الحباء) العطاء (جال) تصرف وقطع البلاد المشى .

المقامة السادسة والأربعون الحلبية

روى الحارثُ بنُ همَّامٍ قال: نَزَعَ بي إلى حَلَب، شَوْقٌ غَلَب، وطَلَب يالَهُ مِنْ طَلَب، وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ خَفِيفَ الحاذ، حَثِيثَ النَّفاذ، فَأَخَذْتُ أُهْبَةَ السَّيْر، وخَفَقْتُ نَحْوَهَا خُفُوقَ الطَّيْر، ولم أَزَلْ مُذْ حَلَلْتُ رُبُوعَهَا؛ وَارْتَبَعْتُ رَبِيعَهَا، أَفَانِي الأَيَّام، فيمَا يَشْفِي الغَرَام، ويُرْوِي الأُوَام، إلى أَنْ أَقْصَرَ القَلْبُ عَنْ وَلُوعِه، واسْتَطَارَ غُرَابُ البَيْنِ بَعْدَ وُقُوعِه،

شرح المقـــامة

(نزع بى) أى شوقنى وحملنى (حلب) مدينة عظيمة بالشام وقنسرين خمس من أخماس الشام ومدينته العظمى حلب وساحلها انطاكية وذكر شيخنا ابن جبير فقال حلب بلدة قدرها خطير وذكرها فى كل زمان يطير خطابها من الملوك كثير كانت فى القديم ربوة فيما يقال كان يأوى اليها إبراهيم الخليل عليه السلام بغنمه فيحلبها هناك ويتصدق بلبنها فسميت حلب وبها مشهد كريم منسوب اليه يتبرك الناس بالصلاة فيه ولها قلعة شهيرة الامتناع بائنة الارتفاع معدومة الشبه والنظير فى القلاع تنزهت حصانة أن ترام أو تستطاع قاعدة كبيرة ومائدة من الأرض مستديرة منحوتة الارجاء موضوعة على نسبة اعتدال واستواء فسبحان من أحكم تدبيرها وتقديرها وأبدع كيف شاء تصويرها وتدويرها، ومن كمال جمالها الزائد على المشترط لحصانة القلع أن الماء بها نابع وقد صنع عليها جفان والطعام يصير فيها الدهر كله وليس من شروط الحصانة أهم من هاتين الخلتين ويطيف بجبلها سوران حصينان يعترض دونهما خندق بالماء فلا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه وسورها الأعلى مجلل كله أبراج منتظمة فيها القلالى المنيعة قد تفتحت كلها طبقات وكل برج منها مسكون . والبلد ضخم جدا جميل الترتيب أسواقه متصلة الانتظام تخرج من سماط صفة إلى سماط أخرى وقيساريتها وجامعها ومدارسها ما سمع بمثل وصفها فى بلد من بلاد الله تعالى، كل سوق من أسواقها مسقف بالخشب يفيد البصر حسناً ويستوقف المستوفز تعجبا وقيساريتها حديقة بستان نظافة وجمالا مطيفة بجامعها وأكثر حوانيتها خزائن من الخشب البديع الصنعة قد اتصل السماط كله خزانة واحدة وتخللتها شرف حسنة بديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت فجاءت فى أجمل منظر وكل سماط منها يتصل بباب من أبواب الجامع . . ثم أخذ بن جبير فى وصف الجامع والمدارس والبيمارستان بأنواع من الأوصاف الحسان (ياله) معناه التعجب كأنه قال ما أعجبه من طلب (خفيف الحاذ) أى قليل العيال وتقدم الحاذ فى السادسة (حثيث النفاذ) سريع المضى فى أموره ورجل نافذ ونفوذ ونفاذ ماض فى جميع أموره (أهبة) عدة (خففت) ارتحلت بسرعة (حللت ربوعها) نزلت فى بيوتها (ارتبعت ربيعها) التمست (خيرها أفانى) أقاطع وفنى الشىء تم وانقطع (الغرام) عذاب الحب (الاوام) العطش (اقصر) كف وأقصرت عن الشىء تركته وأنت عليه قادر (ولوعه) مصدر ولع به إذا أحبه ولزمه (استطار) بمعنى انتشر (وقوعه) نزوله وهم يتشاءمون بالغراب لأنه يؤذن عندهم بالفراق وذلك أنهم

وأَغْرَانى البَالُ الخِلوُ ، وَالمرَحُ الحُلوُ ؛ بأَنْ أَقصِدَ حِمْصَ

يرون الغراب عند منازلهم إلا إذا حطوا بيوتهم للرحيل ينزل يلتمس مايتركون ممايلقط ولذلك سموه غراب البين واشتقوا من اسمه الغريب والغربة (أغرانى) حرضنى وسلطنى (الخلو) الفارغ (المرح) النشاط وخفة النفس من الطرب (حمص) مدينة عظيمة بينها و بين دمشق مائة ميل وأرض حمص خمس من أخماس الشام وهى مدينة يقال إن لها سورا وفى وسطها حصنها ولا تدخلها حية ولا عقرب وأول من ابتـدع الحساب أهلها لانهم كانوا تجارا ، وباشبيليه واحوازها نزل أهل حمص عند افتتاح الاندلس فلذلك سميت حمص أخذت من قولهم حمص الجرح يحمص حموصا وانحمص ينحمص انحماصا إذا ذهب ورمه قال اليعقوبى مدينة حمص من أوسع مبانى الشام ولها نهر عظيم منه يشرب أهلها افتتحها أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وفى حديث عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليبعثن الله تعالى من مدينة بالشام يقال لها حمص سبعين ألفا يوم القيامة لاحساب عليها ودخلها شيخنا ابن جبير سنة ثمانين وخمسمائة وقال هى فسيحة الساحة مستطيلة المساحة نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة موضوعة فى بسيط من الارض عريض مداه لا يتخرقه النسيم بمسراه ويكاد البصر يقف دون منتهاه وملؤها يجلب لها من نهرها العاصى وهو منها بنحو ميل ومنبعه فى مغارة بسفح جبل بمرحلة منها بموصل مقابل بعلبك وأهل حمص موصوفون بالنجدة لمجاورتهم العدو ، واسوارها فى غاية العتاقة والوثاقة مرصوص بناؤها بالحجارة السود وأما داخلها فما شئت من بادية شعثاء خلقة الارجاء لاإشراق لآفاقها ولا رونق لاسواقها وما ظنك ببلد حصن الاكراد منه على أميال يسيرة وتجد فيها عند اطلاعك عليها بعض شبه من مدينة اشبيلية يقع للحين فى نفسك حبها ولذلك سميت باسمها فى القديم ولهذا نزل اشبيليه بعض اعراب حمص ، وقال الفنجديهى : يأهل حمص يضرب المثل فى الحماقة وكثرة الرقاعة وتنسب اليهم حكايات مضحكة حكى عن بعضهم أنه قال دخلتها وفى فمى درهم لاشترى به بعض ما اشتهيه فاذا برجل بباب الجامع جالس على كرسى وعلى رأسه عمامة محنك بها على قلنسوة وقد لبس فروة مقلوبة بلا سراويل وقد تقلد بسيف وفى حجره مصحف يقرأ فيه وعنده كلب رابض يمسكه بمقوده فسلمت عليه فرد السلام وقلت له أترى القوم صلوا فقال لى أو أنت أعمى أما ترانى قاعدا قلت من أنت قال انا أبو خالد إمام الجامع فقلت ماهذه الحلية قال ورد رجل زنديق يقرأ السبع الطوال ويشتم أبا بكر الصناديق وعمر القواريرى وعثمان بن أبى سفيان ومعاوية بن أبى غسان الذى هو من حملة العروش وزوجة النبى ابنته عائشة فى زمن الحجاج بن يوسف فاستولدها الحسن والحسين فقلت ما أعرفك بالمقالة والانساب قال وما خفى عنك أكثر قلت أتحفظ القرآن قال نعم قلت فاقرأ شيئاً منه فقال بسم الله الرحمن الرحيم وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فصفعته صفعة سقطت عمامته وبنى التحتك فى عنقه فصاح بالناس قلنسوتى وقال احملوه إلى المحتسب فأوصلونى إلى رجل حاسرٌ حاف قد لبس دراعة بلا سراويل فقال ماصنع هـذا قالوا صفع إمام الجامع قال يامسكين أهلكت نفسك قلت هذا حكم الله فصبرا عليه قال أيما أحب اليك سمل عينيك أو قطع يديك او تدفع نصف درهم قال فرفعت يدى وصفعت المحتسب صفعة ثم اخرجت الدرهم من فمى وقلت ياسيدى خذ نصف درهم لك ونصف درهم

لأصطَافَ بِبُقعتِها ، وأسْبُرَ رَقاعَةَ أهلِ رُقْعتِها ، فأسْرعْتُ إليها إسْرَاعَ النَّجْمِ ؛ إذا انْقضَّ للرَّجْم ، فَحِينَ خَيَّمتُ بِرُسُومِها ، ووجدْتُ رَوْحَ نَسِيمِها ، لَمَحَ طَرْفى شَيخاً قد أقبلَ هَرِيرُه ، وَأدبرَ غَرِيرُه ، وعِندَهُ عَشْرَةُ صِبْيان ، صِنوانٌ وغَيْرُ صِنوان ، فَتَاوَعْتُ فى قَصْدِهِ الحِرْصَ ، لأخْبُرَ به أُدَباءَ حِمْص ، فَبَشَّ بى

لإمامك ..وقال فيهم بعض الشعراء :

لأنهم أهل حمص لاعقول لهم بهائم غير معدودين فى الناس

ونزلها فى القديم أهل اليمن ولم يكن فيها من مصر إلا ثلاثة أبيات وكان لهم إمام من مصر فغضبوا عليه وعزلوه فقال فيهم ديك الجن يهجوهم :

سمعو الصلاة على النبي تلألؤا فتفرقوا شيعا وقالوا لالا
ثم استمر على الصلاة إمامهم فتحزبوا ورمى الرجال رجالا
يا أهل حمص توقعوا من عارها خزيا يحل بكلكم ووبالا
شاهت وجوهكم وجوها طالما رغمت معاطسها وساءت حالا

(أصطاف) أى أسكن فى الصيف (أسبر) اختبر (الرقاعة) تجاوز الحد فى الوقاحة وصلابة الوجه (البقعة) القطعة من الأرض وكذلك (الرقعة) (انقض) النجم (للرجم) إذا استطار لرجم الشياطين وأراد أنه أسرع اليها بسرعة الخيل كسرعة النجم المنقض قال خلف الأحمر :

كالكوكب الدرى مبتهلا سيرا يفوت الطرف أسرعه
وكأنما جهدت أليته أن لاتمس الأرض أربعه

وقال ابن الرومى : خذها تبرعا لمن أولى مسومة كأنها كوكب فى اثر عفريت

وما أحسن قول ابن المعتز فى هذا المعنى :

كأنما النجم والعفريت مسترقا للسمع ينقض يلق خلفه لهبه
كفارس حل من عجب عمامته فردها كلها من خلفه عذبه

(خيمت) أى أقمت وأصله ضربت خيمة (رسومها) آثارها (روح نسيمها) لذة ريحها (لمح طرفى) أبصرت عينى (هريره) صياحه وقدهر الكلب هريرا إذا نبح وحمل على من أنكره (غريره) شبابه والغرة صغر السن ومعناه اقبل شره وسوء خلقه وأدبر صباه وحسن خلقه ..ولما كانت خليقته فى هذه المقامة منبسطة مع صبيانه صار هذا التفسير فيه بعد ، وقال بعضهم : أقبل هريره أقبل هرمه ويبسه من هر الشوك إذا اشتد يبسه حتى صار كأنياب الهر وهذا يوافق الغرض فمعناه أقبل هرمه وكبره وأدبر صباه وصغره ومثله كالبث الابل شجر الشوك إذا رعته كأنها رعت فيه أنياب الكلاب لصعوبته والغرير أيضا الضامن ويكنى به هنا عن الشباب كأنه ضمن اصاحبه طول الحياة المفقود معناها فى الهرم (الصنو) الأخ الشقيق وأصل الصنو فى النخيل والشجر وهى التى تجتمع أصولها وتفترق أجسادها (الحرص) الرغبة والطمع (أخبر) اجرب (بش) استبشر والبشاشة إظهار

حينَ وافيتهُ ، وحيَّا بِأحْسَن مِمَّا حَيَّيته ، فَجَلَسْتُ إليه لا بْلُوجَنى نُطْقِه ، وأكْتنِهَ كُنْهَ حُمْقِه ،

السرور وبسط الوجه (وافيته) أتيته (جنى نطقه) مايجنى من كلامه ويحصل منه (أكتنه) أتعرف وأتحقق (كنه) قدر وحقيقة ، ابن الانبارى الحمق عند العرب الخمر ثم أخذ منه الأحمق وهو المتغير العقل . فما يحكى من حماقتهم : كان حمزة المعلم متقلنسا فأنشد فيه أبو جعفر الحاكم :

أرى على حمزة المقرى قلنسوة عساكر القمل تجرى فى حواشيها
إن المعلم لاتخفى حماقته ولو تقلنس بالدنيا وما فيها

تقلنس لبس القلنسوة . الجاحظ . عقل مائة معلم عقل امرأة وعقل مائة امرأة عقل حائك وعقل مائة حائك عقل خصى وعقل مائة خصى عقل صبي قال الشاعر :

معلم صبيان وصاحب درة وليس له عقل بمقدار ذرة

الفنجديهى : قال أبو طاهر عقل امرأتين كاملتين عقل رجل وعقل أربعة خصيان عقل امرأة وعقل أربعين حائكا عقل خصى وعقل أربعين معلما عقل حائك ، الزبير بن عبد الملك الهاشمى : قاله مررت ببعض المعلمين ويعرف بكسرى فرأيته يصلى بالصبيان صلاة العصر فلم أزل واقفا أفكر فيه فلما أن ركع أدخل رأسه بين رجليه لينظر مايصنع الصبيان خلفه فرأى صبيا يلعب فقال له وهو راكع يا ابن البقال هو ذا أرى ماتصنع . الجاحظ : مررت بمعلم وقد كتب على لوح صبى وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلم رويدا فقلت ويحك أتدخل سورة فى سورة فقال نعم عافاك الله إن أبا العاص بظر أمه يدخل أجرة شهر فى شهر وأنا أيضا أدخل آية فى آية فلا أنا آخذ شيئا ولا الصبى يتعلم شيئا ، أبو بكر القبطى : عبرت على معلم وهو يملى على غلام بين يديه فريق فى الجنة وفريق فى السعير فقلت ياهذا ماقال الله من هذا شيئا إنما هو فى السعير فقال أنت تقرأ على حرف أبي عاصم بن العلاء الكسائى وأنا أقرأ على حرف أبى حمزة بن عاصم المدنى فقلت معرفتك بالقراء أعجب إلى وانصرفت . وروى بعض الفضلاء قال مررت فى بعض قرى السواد وإذا معلم صبيان يقول ويحكم ياصبيان تفسون فصاح به واحد منهم وقال إنما فسا أخى فقال المعلم إنى لا علم فسوته الخبيثة ولكن أعلل نفسى بالأباطيل ثم قال إنى لا عرف فساءكم كما أصواتكم وحلف على ذلك ثم أنشد :

معلم صبيان يروح ويغتدى على أنفه ألوان ريح فسائهم
وقد أفسدوا منه الدماغ بفسوهم ورفعهم أصواتهم فى سحائهم

الجاحظ : كان فى المدينة رجل معلم صبيان يفرط فى ضربهم فلاموه على ذلك فساء فى حاله معهم فاستفتح صبى وقال يامعلم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين مابعده فقال المعلم بل عليك وعلى والديك لعائن الله تترى، وجاء آخر فقال يامعلم اخرج منها فانك رجيم مابعده قال ذاك أبوك النكشخان ، وجاء آخر فقال يامعلم مالنا فى بناتك من حق ما بعده فقال لاولا رأيتهن ، فقال على هذا أضربهم أتعذرونى قلت نعم . العتبى : كان ببغداد معلم يشتم الصبيان فأخذت بيد المشايخ فدخلنا عليه فقلنا ياشيخ مايحل لك أن تشتم هؤلاء الصبيان فقال أنا مبتلى بهم ما أشتم إلا من

يستحق الشتم فاحضروا حتى تسمعوا بعض ماأنا فيه فحضرنا معه فقرأ عليه صبي عليها ملائكة علاظ شداد يعصون الله ماأمرهم ولايفعلون مايؤمرون فقال ياماص بظر أمه فليس هؤلاء ملائكة ولاأعراب ولا أكراد شهر زور قال فضحكنا والله حتى بال أحدنا فى سراويله فقرأ عليه آخر لاتنفقوا إلا من عندرسول الله وتردد فقال من عند أبيك القرنان أولى فانه أكثر مالا يا ابن الفاعلة أتلزم النبي صلى الله عليه وسلم نفقة لاتجب عليه أأعجبك كثرة ماله فقال فكنت بعد ذلك أترك أشغالي واجلس عنده أتعجب . الجاحظ : سرق صبي عثماني مصحفا فقال له المعلم ماذا لقيت المصاحف منكم يا آل عثمان أبوك أحرقها وأنت تسرقها . قال أفلح التركي : خرجنا مرة إلى حرب لنا ومعنا معلم كان يقول أنا أتمنى أو أرى الحرب كيف هى فأخرجناه معنافاولسهم جاء وقع فى رأسه فلما انصرفنا دعونا له معالجا فنظر اليه وقال إن خرج الزج وفيه شيء من دماغه لم يكن عليه بأس فسبق اليه المعلم فقبل رأسه وقال بشرك الله بخير انزعه فما فى رأسى دماغ فقال الطبيب وكيف ذلك قال لأنى معلم كتاب الله تعالى وما فى رأس المعلمين ذرة من دماغ ولو كانت فيه ذرة من دماغ ماكنت ههنا ، وقال موسى بن حسان الكاتب رأيت بالبصرة معلما قد أجلس أولاد الأغنياء للظل وأولاد المساكين للشمس وهو يقول لأولاد الأغنياء يا أهل الجنة ابزقوا على أهل النار يعنى أولاد المساكين فقلت ياهذا مابال هؤلاء يبخسون فقال هؤلاء يبخسون الاخطار . أحمد بن دليل : مررت بمعلم يضرب صبيا ويقول والله لأضربنك حتى تقول من حفر البحر فقلت أعزك الله والله لا أدرى أنا من حفر البحر فقل لى حتى أتعلم أنا فقال حفر البحر كردم أبو آدم عليه السلام . أبو العنبس : كان فى دربنا معلم طويل اللحية فكنت أجلس اليه كثيرا وأتلهى به فجئته يوما وبين يديه صبي يقول له ويلك الدجلة من حفرها قال عيسى بن مريم قال فالجبل من خلقه قال موسى بن عمران قال فالبعر من دوره فى أست الجمل قال شيطان يقال له الحي قال أحسنت فآدم من أبوه قال نوح قال بخ بخ نحوت والله فقلت ياسبحان الله أليس آدم أبا البشر قال نعم قلت فكيف نوح أباه قال ويلك أتعرفنى بآدم وأنا أبو عبد الله المعلم ياصبيان كرفسوه فكرفسونى حتى صيرونى مقيدا فحلفت أن لا أقف على معلم أبدا ،الجاحظ : أتت امرأة إلى معلم بابن لها وكان المعلم طويل اللحية فقالت ان هذا الصبي عاق لا يعطيعنى فأحب أن تفزعه فأخذ المعلم لحيته ولقاها فى فمه وحرك رأسه وصاح صيحة فضرطت المرأة من الفزع وقالت إنما قلت لك فزع الصبي ليس إياى فقال لها مرى ياحمقاء إن العذاب إذا نزل هلك الصالح والطالح الاصمعي : مررت بمعلم بالبصرة يضرب صبيا ثم أقام الصبيان صفا وجعل يدور عليهم ويقول اقرؤا فلما بلغ الصبي المضروب قال لآخر إلى جنبه قل له يقرأ فانى لا أكلمه .

ونذكرهنا فى التأديب والأدباء مايكون فى شكل هذا الموضع ثم تتبع عند ذكر الغلمان الحسان من الأشعار مايجرى كالبيان والتفسير لأحوالهم بعون الله تعالى : قالت الحكماء من أدب ولده صغيرا سربه كبيرا ومن أدب ولده أرغم حاسده ، وقال ابن عباس من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب ، وقالوا أطبع الطين ما كان رطبا وأغرز العود ما دام ادنا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يتعلم فى صغره كالنقش على الصخر والذى يتعلم فى كبره كالذى يكتب على المـــاء . وسمع الأحنف « التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر » فقال : الكبير أكبر عقلا ولكنه أشغل قلبا . وقال على رضى الله تعالى عنه

قلب الحدث كالأرض الخاليـه إذا ألقى فيها شيء قبلته . وقالوا نشاط الألباب فى عصر الشباب والسؤدد مع السواد وشواظ النار قبل الرماد ، وقال الشاعر :

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب

وقال آخر : إن الكبير إذا تناهى سـنه أعيت رياضته على الرواض
فاذا دفعت إلى الصغـــير فانما تـكفيك منه إشارة الإيماض

وقال آخر : ومن العناء رياضة الهرم — وأنشدوا : أبعد شيبك هذا تبتغى الادبا

وقال الشاعر : فى تدريج الصبى :

برفق سدد مرامى الطفل فى شأنه بلفظـة تشدد بهـا أزره
واغتنم اللمحة من فهمه إن المبـادى أبدا نذره
كما تربى النـار من شعلة والدوحـة العناء من بذره

وهذا ضد ما قال المعرى . .

لا يستوى ابناك فى خلق ولا خلق إن الحديدة أم السيف والجلم
فالضرب وليـدك واد لله على رشد ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة وقس على نفع شق الرس بالقلم

أشار إلى قوله تعالى يا يحيى خذ الـكتاب بقوة وقال صالح بن عبد القدوس :

وأن من ادبته فى الصبا كالعود يسقى المـاء من غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذى أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى فى ثرى رمسه
إذا ارعوى عاوده جهله كذى الضنى عاد إلى نـكسه
ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال عتبه بن أبى سفيان لمعلم ولده ليـكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك فان عيوبهم معقودة بعيبك فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ولا تتركهم فيه فيهجروه وروهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ولا تنقلهم من علم إلى آخر حتى يحكموه فان ازدحام الكلام فى السمع مشغلة فى الفهم وعلمهم سير الحـكماء وأخلاق الأدباء وهددهم فى أدبهم دونى وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنبهم محادثة النساء واستردنى بزيادتك إياهم أزدك فى برى وإياك أن تتكل على عذر منى فقد اتكلت على على كفاية منك لى . . وأوصى الرشيد مؤدب ولده الامين فقال ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الآثار وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام وامنعه الضحك الا فى أوقاته ولا تمرر بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيدها له من غير أن تخرق به فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان

أباهما فعليك بالشدة والغلظة وبالله توفيقكما ، وقال للاصمعى : ياعبد الملك أنت اعلم منا ونحن اعقل منك لا تعلمنا فى ملا ولا تسرع بتذكيرنا فى خلا واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال فاذا بلغت الجواب حسب الاستحقاق فلا تزد إلا ان تستدعى ذلك منك . . الماوردى : إذ كان لبعض الملوك رغبة فى العلم فلا تجعل ذلك ذريعة للانبساط عليه والادلال ، وكتب شريح إلى معلم ولده

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها يبغى الهراش مع الغواة الرجس
فاذا هممت بضربه فبدرة وإذا بلغت به ثلاثا فاحبس
وإذا أتاك فعضه بملامة وعظنه موعظة الأديب الأكيس
واعلم بانك ما أتيت فنفسه مع ما يجر عنى أعز الأنفس

فمن آخر هزلى فى المتهمين من المعلمين : اتصل حماد عجرد بالربيع يعلم ولده فكتب اليه بشار :

يا أبا الفضل لا تنم وقع الذئب فى الغنم ان حماد عجرد ان رأى غفلة هجم
بين فخذيه حربة فى غلاف من الأدم ان خلا البيت ساعة تجمع الميم بالقلم

فطرده الربيع . . واتخذ المهدى قطربا لتاديب بعض ولده وكان حماد يطمع فى ذلك فلم يتم له لتهتكه وشهرته فى الناس بما قال بشار ؛ فلما تمكن قطرب من موضعه صار حماد كالملغى فجعل يقوم ويقعد قلقا ، ثم دس الى المهدى رقعة فيها

قل للامام جزاك الله صالحة لا يجمع الدهر بين السخل والذيب
السخل غروهم الذئب فرصته والذئب يعلم ما فى السخل من طيب

فقال المهدى انظروا لا يكون هذا المؤدب لوطيا ثم أخرجوه من الدار فبعث الضجر حماد حيث حرمه بشار هذه المراتب إلى أن قال فيه

لقد صار بشار بصيرا بديره وناظره بين الأنام ضرير
له مقلة عمياء واست بصيرة إلى الاير من تحت الثياب تشير
على وده أن الحمير تنيكه وان جميع العالمين حمير

وقال فيه

ألا من مبلغ عنى الذى والده برد
الا ما ذكر الناس فلا قبل ولا بعد
واعمى يشبه القرد اذا ما عمى القرد

وقال فيه دعيت الى برد وأنت لغيره وهبك ابن برد نكت امك من برد ؟

وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد لوطيا زنديقا وكان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت جميل الوجه شاعرا فدخل على عبد الصمد فراود فى نفسه فسبه وخرج مغضبا فدخل على هشام بن عبد الملك ويقول

انه والله لولا أنت لم ينج منى سالما عبد الصمد

فقال هشام ولم؟ قال : انه قد رام منى خطة لم يرمها قبله منى أحد

قال وما هى قال : رام جهلا بى وجهلا بأبى يدخل الأفعى الى غيل الأسد

فما لَبِثَ أنْ أشارَ بِعُصَيَّتِهِ ، إلى كُبْرِ أُصَيْبِيَتِهِ ؛ وقال له أنشِدِ الابيات العَواطِل ، واحْذَرْ أن تُماطِل ، فجثاجثْوَةَ لَيْثٍ ، وأنشدَ من غير رَيْثٍ :

أغْدِذْ لِحُسَّادِكَ حَدَّ السِّلاح ... وَأَوْرِدِ الآمِلَ وِرْدَ السَّماح
وصارِمِ اللَّهْوَ وَوَصْلَ المَها ... وأعْمِل الكُومَ وسُمْرَ الرِّماح
واسْعَ لإدْراكِ مَحَلٍّ سَما ... عِمادُهُ لا لادِّراعِ المِراح
واللهِ ما السُّؤْدُدُ حَسْوُ الطِّلا ... ولا مَرادُ الحمدِ رُوْدٌ رَداحْ
واهاً لِحُرٍّ واسِعٍ صَدْرُهُ ... وَهَمُّهُ ماسَرَّ أهلَ الصَّلاحْ
مَوْرِدُهُ حُلْوٌ لِسُؤّالِهِ ... ومالُهُ ماسألوهُ مُطاحْ
ما أسْمَعَ الآمِلَ رَدًّا ولا ... ما طَلَهُ والمَطْلُ لُؤْمٌ صُراحْ
ولا أطاعَ اللَّهْوَ لمَّا دَعا ... وَلا كَسا راحاً لَهُ كأسَ راحْ

فضحك هشام وقال لو فعلت به شيأ لم انكر عليك وكان سعيد يومئذ صغيرا فى المكتب ومؤدبه عبد الصمد هذا فلما راوده عن نفسه شكاه إلى هشام وأبدع فى الكتابة ورقق هذا المنكر الأكبر بلفظ يقابل به خليفة وغاية ذوى الحنكة من الخطباء محاكاة براعته واستعارته وليس ببدع فهو من بيت ثلاثة شعراء فى نسق وكان هذا الشعر سبب ابعاد عبد الصمد من تاديب أولاد الخلفاء (مالبث) أى ما أقام ولاتاخر (كبر أصيبيته) أى اكبرهم وكبر ولد الرجل اكبرهم من الذكور وكبر قومه أقعدهم فى النسب اى اقربهم الى الجد الأكبر ومنه قيل الولاء للكبر ، وأصيبيته تصغير أأصيبيته تصغير اصيبية . قال الجوهرى :الصبى الغلام والجمع صبية وصبيان وهو من الواو ولم يقولوا أصبية ولا اغلمة استغنوا عنهما بصبية وغلمة وجاء فى الشعر اصيبية وقال سيبويه تصغير صبية اصيبية وتصغير أصبية صبية وكلاهما على غير قياس: ابن سيده : عندى أن صبية تصغير صبية واصيبية ليكون كل شىء منهما على بناء مكبره (العواطل) التى لا نقط فيها (تماطل) تؤخر انشادها (جثا) برك (ليث) اسد (ريث) بطء وتأخير (أورد الامل) أى اعط الراجى (ورد السماح) ماء الكرم (صارم) قاطع (المها) جمع مهاة وهى البقرة الوحشية وأراد النساء (الكوم) جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام (اسع) اجر مسرعا (محل سما)) منزل ارتفع (العماد) قائمة الخباء وإذا علت علا البيت (ادراع)لبس الدروع (المراح) الطرب والنشاط كأنه يقول لاتشتغل باللهو واشتغل بكسب الشرف (حسو الطلا) شرب الخمر (السؤدد) الفعل الذى يرجع به فاعله سيدا (مراد) بفتح الميم مذهب وطريق وأصله موضع اختلاف الإبل مقبلة ومدبرة وهو المرعى (رود) جارية ناعمة شابة (الرداح) العظيمة العجز وهو كما قال ابو نواس

لئن خلق الأنام لحب كاس ... ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان إلا ... لبأس أو لمجد أو لجود

(واها) عجبا (ما) بمعنى الذى (مطاح) هالك بالعطاء (صراح) ظاهر (راحا) كفا (راح) الثانى خمر

سَوَّدَهُ إصْـــلاحُهُ سِرِّهَ وَرَدْعُهُ أَهْوَاءَهُ وَالطِّمَاحَ
وحَصَّلَ المَدْحَ عِلْمُه مَا مَهْرَ الْعُورِ مُهُورَ الصِّحَاحِ

فقال له أحْسَنْتَ يا بُدَيْر ، يا رَأْسَ الدَّيْر ، ثم قالَ لِتلْوِه ، المُشْتَبِهِ بِصِنْوِه ، ادْنُ يا نُوَيْرَة ، يا قَرَ الدُّوَيْرَة

(سوده) شرفه وجعله سيدا (سره) باطنه (ردعه) كفه (أهواءه) شهواته (الطماح) ارتفاع النظر (العور) جمع عوراء وهى الفاقدة إحدى عينيها (مهور) جمع مهر وهو الصداق وأعمل علمه فيما بعد من الكلام وضرب العور والصحاح مثلا للافعال الجميلة والذميمة فأراد أن تمييزه بين الأشياء المتضادة وعلمه أن مهر القبيحة العوراء لا يبلغ مهر المليحة الحسناء جعله ممدوحا سيدا .. ومثل هذا الشعر الذى لم ينقط ما أنشد أبو القاسم الزجاجى لأحمد بن الورد :

عـــلم العدو مـلامة اللوام ودوام صدك وهو صد حمام
لولاك ما حدر السهاد دموعه ولمـا أطار كراه حر أوام
هل ماأسروما أؤمل رادع هول الهموم وروعة الأحلام
رد السلام وما أراك مسلما ورآك أهل هواك سر كلام
كم حاسد لك أو مسر وداده ومعلل أهواه طول ملامى

وهى قصيدة نحو الثمانين بيتا وما زال المحدثون يظهرون اقتدرهم فى هذا الفن إلا أنه قلما يقع فى ذلك بيت مستحسن فلذلك تركنا أن نمشى مع أشعار هذه المقامة فيما يماثلها وقد أكثر الناس القول فى ذلك وفائدته أن يقال :قدر على لزوم ما لا يلزم لا أن يقال قد أحسن فيما قال وقد أنشد أبو القاسم أيضا أبياتا لاتنطبق عليها الشفاه منها :

أتيناك يا جزل العطية إننا رأيناك أهلا للعطايا الجزائل
عقيل الندى يا حار عدنا عقيلة نعدك انتجاعا للحسان العقائل

(أحسنت يا بدير) تصغير بدر صغره لصغر سنه على أنه قد زعم أنه كبير صبيانه وفى مثل هذا البدر الذى قد نثر هذه الدرر قال الشاعر :

دران من فمـــه شفا محدثه للنثر والنظم مسموع وملتثم
قد قلت لو قبل الوعظ المبين له خف المهيمن فينا إننا نسم
فقال من ضرجت خدى نظرته فان سيف جفونى منه ينتقم

(يا رأس الدير) يا عظيم القوم والدير موضع القسيسين أراد حلقة أصحابه (تلوه) التابع له أو الجالس إلى جانبه (صنوه) أخوه الذى على قدر سنه (ادن) اقرب (نويرة) تصغير نار شبهه فى حدثه وذكائه بها أو فى حسنه وبهائه (الدويرة) تصغير دارة وهى حلقتهم التى اجتمعوا فيها فكأنه قال يا قمرا فى أصحابه . ومما قيل فى غلام كاتب سأل الثعالبي ابا الفضل الدارمى ان يصف له غلاما كاتبا حسن الخطين خطى اليد والوجه فقال :

وكاتب اهديت نفسى له فهى من السوء فدى نفسه
سلط خـــديه على مهجتى فاستأصلاها وهى من غرسه
فلبت ادرى بعد ما حل بى بمسكه إتلف ام نفسه

فَدَنَا ولم يَتَبَاطا، حتى حَلَّ منهُ مَقْعَدَ المُعَاطِى، فقال له أَجْلُ الأبياتَ العَرَائِس، وإنْ لم يَكُنَّ نَفَائِس،

وقال فى ذلك : وشادن أسرف فى صدره وزاد فى التيه على عبده
الحسن قد بث على خده بنفسجا يربو على ورده
رأيته يكتب فى طرسه خطايارى الدر فى عقده
نخلت ما قد خطه كفه للحسن قد خط على خده
ولابن رشيق : كتبت ولو أننى أستطيع لأجلال قدرك دون البشر
قددت البراعة من أنملى وكان المداد سواد البصر
وله أيضاً : غزيز يبارى الصبح إشراق خده وفى مفرق الظلماء منه نسيب
يزف اليه ضاحكا أقحوانه ويهتز فى برديه منه قضيب
ولابن المعتز فى العذار المشبه بالحروف :
بليت بشادن كالبدر حسنا يعذبنى بأنواع الدلال
غلالة خده ورد جنى ونون الصدغ معجمة بخال
وله أيضاً : كأن خط عذار فوق وجنته ميدان آس على ورد ونسرين
وخط فوق حباب الدر شاربه بنصف صاد ودار الصدغ بالنون
وله أيضاً : له من عيون الوحش عين مريضة ومن خضرة البستان خضرة شارب
كأن غلاما حاذقا خطه له فجاء كنصف الصاد من خط كاتب
وقال آخر : تعلم العطف من صدغيه فانعطفا وكان عادته أن لايفى فوفى
دب العذار على ميدان صفحته حتى إذا هم أن يسعى به وقفا
كأنه كاتب عز المداد به أراد يكتب لاما فابتدى الفا

وقال أبو القاسم بن المغربى :

ولما احتوى بدر الدجى صحن خده تحير حتى مادرى أين يذهب
كأن انعطاف الصدغ لام أمالها أديب يجيد الخط أيان يكتب

فهذه الاشعار المستعذبة التى بها تعلق بالغلمان الذين يذكر أنهم كتاب ـ من جهة حسنهم واعتدال قدودهم وتوريد خدودهم وتطريزها بالعذار ـ أحسن من ذكر شعر لزومى ليس فيه شىء من الأنس للنفس (تباطا) أى تأخر وأصله الهمز (المعاطى) الذى تعطيه كأس الخمر ويعطيها لك وقد عاطيته وعاطانى وقد تعاطى فلان كذا أى تناوله وأخذه من قولهم عطوت اعطو عطوا أى تناولت (العرائس) جمع عروس وسماها عرائس لما فيها من التزين بالنقط وكانت زينة العروس عند العرب أن تنقط فى خديها نقط صغار بالزعفران فلذلك سمى هذه عرائس لنقطها وسمى التى قبلها عواطل لعدم نقطها (نفائس) جمع نفيس وهو الرفيع القدر يريد أنه لما لزمها مالم يلزم ضعفت وقد ذكرنا ان الغرض بمثل هذه الاشعار اظهار الاقتدار، وعلى ما ذكر أنها غير

فبَرى القَلَمَ وقَطَّ ؛ ثم احتَجَرَ اللَّوحَ وخط :

فتنتني فجننتني تجنى ... بتجن يفتن غب تجنى
شغفتني بجفن ظبي غضيض ... غنج يقتضي تغيض جفني
غشيتني بزينتين فشفتني ... بزي يشف بين تثني
فتظنيت تجتبيني فتجزيـ ... ـني بنفث يشفي فخيب ظني
ثبتت في غش جيب بتزيـ ... ـن خبيث يبغي تشفي ضغن
فنزت في تجنبي فثنتني ... بنشيج يشجي بفن ففن

نفائس فهى أحسن مما عمل فى بابها وما أحسن ما قال ديك الجن فى جاريته :

انظر إلى الشمس القصور وبدرها ... وإلى خزاماها ونفحة زهرها
لم تبك عينك أبيضا فى أسود ... جمع الجمال كوجهها فى شعرها
وردية الوجنات يختبر أسمها ... من نعتها من لايحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من أردافها ... عجبا ولكنى بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من خدها ... وردية ومدامة من ثغرها

ولابن الرقاق :

تضو عن إشراقا واشرقن أوجها ... فهن مشيرات الصباح بواسم
لئن كن زهرا فالجوانح أبرج ... وإلى كن زهرا فالقلوب كمائم

(قط) قطع وقيل القط القطع عرضا والقد القطع طولا (احتجر) جعله فى حجره (خط) كتب (فتنتنى) أى عذبت قلبي (جننتى) أى صيرتنى مجنونا (تجنى) اسم إمرأة والتجنى الدلال والتيه وللبحترى :

إذا خطرت تأرج جانباها ... كما خطرت على الأرض القبول
ويحسن دلها والموت فيه ... وقد يستحسن السيف الصقيل

(شغفتنى) بلغ حبها شغاف قلبي والشغاف حجاب القلب (ظبى) غزال (غضيض) منكسر الطرف فاتر العينين (الغنج) تكسير الكلام وتخنيثه وهو المجانة (يقتضى) يتضمن (تفيض جفنى) سيلان عينى ومما قيل فى مرض العينين وحسن فيه التشبيه قول البحترى :

غداة تثنت للوداع وسلمت ... بعينين موصول بجفنيهما السحر
توهمتها ألوى بأجفانها الكرى ... كرى النوم أومالت باعطافها الخمر

وقال ذو الرمة :

لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشى لاهزاء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولان بالالباب ماتفعل الخمر

وقد تقدم جملة من هذا (غشيتنى) أتتنى على غفلة (شفتنى) أنحلت جسمى (الزى) الهيئة الحسنة من اللباس (يشف) يفصل (تثن) اهتزاز وانعطاف (تظنيت) حسبت (تجتبينى) تختارنى (ينفث) يلفظ وكلام (الجيب) القلب (يبغى) يطلب (تشفى ضغنى) إزالة عداوتى (نزت) وثبت (تجنبى) بعدى (ثنتنى) ردتنى (نشيج) صوت البكاء

فلما نَظَرَ الشَّيخُ إلى ماحَبَّرَ، وتصَفَّح ما زَبَرَه، قال له: بُورِكَ فِيكَ مِنْ طَلا، كما بُورِكَ فى لَا ولَا، ثم هَتَفَ اقرُب يا قُطرُب، فاقترَبَ مِنهُ فَتًى يَحكى نَجمَ دُجيَة؛ أو تِمثَالَ دُميَة، فقال له ارقُم الأبياتَ الأَخياف، وتَجَنَّبِ الخِلاف، فأَخَذَ القَلَم، ورَقَم:

(يشجى) يحزن (بفن ففن) بنوع فنوع (حبره) زينه (زبره) كتبه (طلا) غزال (لاولا) يعنى الزيتون ومن كلام العامة بورك فيك كما بورك فى الزيتون وأراد بلا ولا قوله تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية فأخذ من الآية لاولا واكتنى بها الفنجديهى: يحكى أن بعض الناس ظهرت به علة مزمنة شديدة، أعيا الأطباء علاجها فلما أيس رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فشكا اليه علته المزمنة فقال له عليك بلاولا فقص رؤياه على ابن سيرين فقال له إن صدقت رؤياك فانه صلى الله عليه وسلم أمرك يتناول الزيتون فتناولها الرجل فبرىء من علته فقال لابن سيرين من اين قلتها قال من قوله تعالى زيتونة لا شرقية ولا غربية، المعنى من زيت شجرة مباركة زيتونة لاشرقية أى ليست تطلع عليها الشمس فى أول النهار فقط ولا غربية أى عند الغروب فقط أى لا يسترها من الشمس فى وقت النهار شىء فهو أنضرها وأجود لزيتها وقال صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة (هتف) صاح (قطرب) خفيف النوم والقطرب دويبة تمشى بالليل وجنية تبرك على الإنسان فيجد لها ثقلا والعامة تبدل طاءها ناء والعرب تسميها النئدلان والكابوس والجاثوم وتسميها أهل بغداد البحت (دجية) ظلمة (دمية) صورة رخام وجمعهما دجى ودمى وكأن صورة هذا الغلام الذى ذكر الشاعر:

بدا فبدا من وجهه البدر طالعا ... لدى الروض يستعلى قضيبا منعما
وقد أرسلت أيدى العذارى بخده ... عذارا من الكافور والمسك أسحما
وأحسب هاروتا أطاف بطرفه ... يعلمه من سحره فتعلما
ألم بنا فى دامس الليل فانجلى ... فلما انثنى عنا وودع أظلما

والأبيات للامير ابى الحسن أحمد بن عضد الدولة، وقال أبو اسحق الحصرى مؤلف كتاب «الزهر»:

عليل طرف سقيت خمراً ... من مقلتيه فمت سكرا
ترقرقت وجنتاه ماء ... مازج فيه العتيق درا
يحرك الدل منه غصنا ... ويطلع الحسن منه بدرا
قد نم مسك بعارضيه ... خلف للعاشقين عذرا

(الاخياف) أى المختلفة (فأخذ القلم ورقم) كان ابا أسحق الحصرى إياه عنى بهذه الأبيات:

إذا بدا القلم الاعلى براحته ... مطرزا لرداء الفجر بالظلم
رأيت أسود فى الابصار أبيض فى ... بصائر لحظها للفهم غير عمى
كروضة خطرت فى وشى زهرتها ... وافتر نوارها عن ثغر مبتسم

وكأن الحسن استعار منه الدواة والقلم حيث قال:

اسْمَحْ فَبَثُّ السَّماحِ زَيْنٌ ولا تُخبْ آملاً تَضَيَّفْ
ولا تُجِزْ رَدَّ ذِى سُؤالٍ فَنَّنَ أَمْ فى السُّؤالِ خَفَّفْ
ولا تَظُنَّ الدُّهُورَ تُبقِى مَالَ ضَنِينٍ ولو تَقَشَّفْ
وَاحْلُمْ فَجَفْنُ الكِرَامِ يُغْضِى وصَدْرُهُمْ فى العَطَاءِ نَفْنَفْ
ولا تَخُنْ عَهْدَ ذِى وِدَادٍ ثَبْتٍ ولَا تَبْغِ ما تَزَيَّفْ

فقال له: لاشَلَّتْ يَدَاكَ، ولا كَلَّتْ مُدَاكَ، ثمَّ نَادَى يَاغَشَمْشَمْ، باعِطْرَ مَنْشَمٍ، فَلَبَّاهُ غُلَامٌ كَدُرَّةٍ

باريم هات الدواة والقلما أكتب شوقى إلى الذى ظلما
غضبان قد غرنى رضاه ولو يسأل فيما غضبت ماعلما
لو نظرت عينه إلى حجر ولد فيه فتورها سقما
فليس ينفك فيه عاشقه فى جمع عذر لغير ما اجترما
علقت من لو أوى إلى أنفس الماضين والغابرين ما ندما

(اسمع) جد (بث) نشر (آملا) راجيا (تضيف) طلب منك أن تضيفه (فنن) أتى بفنون من السؤال (ضنين) بخيل (تقشف) ترك النظافة (يغضى) يتغافل (نفنف) واسع النفنف متسع الأرض (ثبت) صادق الود ويروى نث أى نشر (نبغ) نطلب (تزيف) تنقص وصار زائفا وهو الدرهم الردىء (كلت) أى حفيت (مداك) سكاكينك جمع مدية (الغشمشم) الذى لايرده شىء عن مراده (عطر منشم) قيل كانت منشم جارية عطرت رجالها حين خرجوا للقتال فقتلوا عن آخرهم فضرب بها المثل فى الشؤم وقيل بل الاشارة إلى عطارة أغار عليها قوم فأخذوا عطرها فتطيبوا به فاستغاثت بقومها فخرجوا فى طلبهم فمن شموا عليه رائحة الطيب قتلوه ومن أوله على هذا قال عطر من شم فجعلوه من كلمتين وقيل الكناية عن قرون السنبل الذى يقال إنه ساعة. وذكر ابن الكلبى أنها امرأة من خزاعة كانت تبيع العطر فتطيب بعطرها قوم وتحالفوا على الموت فماتوا، وقال غيره بل هى صاحبة يسار الكواعب وكان عبد الله أسود مشوه الخلقة راعى إبل فتى رأته النساء ضحكن منه فتوهم أنهن يضحكن من إعجابهن بحسنه فقال يوما لرفيق له أنا يسار الكواعب ما أرتنى جارية كاعب إلا وعشقتنى فقال له رفيقه يايسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار وإياك وبنات الأحرار فأبى وراود مولاته عن نفسها فقالت مكانك حتى آتيك بطيب أشمك إياه فأتته بموسى فلما أدنى أنفه ليشم الطيب جدعته ويقال إنه لما راودها قالت له أهكذا تأتينى بذفرك وسخك أدن حتى أعطرك فأدخلت يدها تحته وفيها موسى لطيفة قد أعدتها له فقبضت على ذكره وخصيته فاقتطعت الجميع فخرج فمن رآه على تلك الحالة قال له ما هذا فيقول عطر من شم ، وقيل كانت تبيع الحنوط وهو عطر المرتى وقيل المنشم الشر نفسه وقيل المنشم ثمرة سوداء منتنة ، وقيل فيها غير ما ذكر ، وذكر الحريرى فى الدرة أكثر هذه الوجوه وذكر أن كسر شين منشم أكثر وأشهر ويرى بفتحها (المتائيم) جمع متئم وهى التى من عادتها أن تلد توأمين ولما كانت أبياته لا يوجد فيها إلا الألفاظ المزدوجة سميت متائيم وقيل المتائيم جمع توأم على غير قياس (المشائيم) جمع مشآم وهو الكثير

غوّاص ، أو جُؤْذَرٍ قنّاص ، فقال له اكتُبِ الأبياتَ المتَائِم، ولا تَكُنْ مِنَ المَشَائِم ، فتناوَلَ القَلَمَ المثقّف وَكَتَبَ ولم يتوقّف :

زُيِّنَتْ زَيْنَبُ بِقَدٍّ يَقُدُّ وتلاهُ وَيْلاهُ نَهْدٌ يَهُدُّ

الشؤم وشبه بدرة غواص فى بياضه ورقة ديباجه (جؤذر قناص) هو الظبى الفاتر العينين والقناص الصياد فكأنه يصطاد بعينيه من نظر وإن أضفت جؤذر إلى القناص فمعناه مستقيم فيصفه بالخوف وكثرة التلفت خشية أن يصطاد .. وما أحسن ماقال صاحبنا الوزير الحسيب أبو المطرف الزهرى فى هذا المعنى وكان جالساً فى باب داره مع زائر له فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على غفلة نفرت خجلة فزعة فرأى الزائر ما أبهته فكلفه وصفهام تجلا :

ياظبية نفرت والقلب مسكنها خوفا لختلى أو عمدا لتعذيبى
لتأمنى فابن عبد الحى ألحقنا عدلا يؤلف بين الظبى والذيب

وكأن ابن رشيق وصف هذا الغلام الكاتب حيث قال :

وفاتر الأجفان ذى وجنة كأنها فى الحسن ورد الرياض
قلت له ياظبى خذ مهجتى داوى بها تلك الجفون المراض
فجاوبت من خده خجلة كيف ترى الحمرة فوق البياض

وقال أيضاً :

بين أجفانك سحر ولأغصانك بدر
جردت عيناك سيفين لذا أمرك أمر
فعلى خديك من نزف دما العشاق أثر
ومن الكثبان شطر لك والأغصان شطر
وسواء قلت در ما أرى أو قلت ثغر
وبماذا أصف الخصر وما إن لك خصر
بك شغلى واشتغالى ومضى زيد وعمرو

وقال خالد الكاتب :

فقلت لما أن بدا متبخترا والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه سلم فؤاد محبه من طرفه

وله مما يتعلق بالكتابة :

كتبت اليك بماء الجفون وقلبى بماء الهوى مشرب
فكيف تخط وقلبى يمل وعينى تمحو الذى أكتب
فليس يتم كتابى اليك بشوقى فمن ههنا أعجب

(زينت زينب بقد يقد) إنما أراد بقد يقد أى ينقطع لرقة خصره فعرض منه يقد لقرب ما بين اللفظين ولضرورة الازدواج وقال البحترى فى القدود :

من السمر اللدان إذا اسبكرت وصرف الموت فى السمر اللدان
شبيهات الرماح فى جفون وكلم فى القلوب بلا سنان
فهل من ضربة أو من سنان كعين أو كثغر أو بنان

وقال السرى

قامت وخوط البانة المياس فى أثوابها
تسقى بصهباءين من ألحاظها وشرابها
وبهزها سكران سكر شرابها وشبابها
وكأن كأس مدامها لما ارتدت بحبابها
توريد وجنتها إذا ما لاح تحت نقابها

وقال القاضى أبو حفص بن عمر :

هذا فؤادى أقصدته الاسهم من ذا يرى تلك الجفون ويسلم
ياغرة حكم الجمال لها على شمس الضحى وأصاب فيما يحكم
يحكى الجآذر جيدها ولحاظها هيهات دون العالم المتعلم
وكأن قامتها ونغمة لفظها غصن عليه بلبل يترنم
يضحى الخلى الخلى إذا رآها عاشقاً والعقل توقظه اللحاظ النوم

وما أحسن ما قال أبو الحسن بن القبطرية :

ذكرت سليمى وحر الوغى كقلبى ساعة ودعتها
وأبصرت بين القنا قدها وقد ملن نحوى فعانقتها

(تلاه) أى تبعه (ويلاه) دعا لنفسه بالويل والخسران حين رأى نهد الا يصبر عنه ، ومما جاء من التشبيهات الحسان فى أوصاف النهود قول عمرو بن كلثوم :

وثديا مثل حق العاج رخصا مصانا من أكف اللامسينا

وقال بشار :

والنهد تحسبه وسنان أو كسلا وقد تمايل ميلا غير منكسر

ولابن الرومى :

صدور فوقهن حقاق عاج ودر زانه حسن اتساق
يقول القائلون إذا رأوه أهذا الدر من هذى الحقاق

واخذ من قول عبدالله بن السبط :

كأن الثدى إذا ما بدت وزان العقود بهن النحورا
حقاق من العاج مكنونة يسعن من الدر شيئاً يسيرا

ولادريس اليمانى :

ايا ربة النهد الذى بسنانه يحط فى الهيجاء عن فرس نهد
احقان من عاج بصدرك ام هما رقيبان فدقاما على جنة الخلد

ومن البدائع الروائع قول الآخر :

وذات دلال سبت مهجتى بمستشرفين على مئزر
كأنهما حرط كافورة بأعلاهما نقطتا عنبر

جُنْدُهَا جِيدُهَا وظَرْفٌ وَطرْف ... نَاعِسٌ تَاعِسٌ بِحَد يَحُدُّ
قَدْرُهَا قَدْ زهَا وتَاهَتْ وبَاهَتْ ... وَاعْتَدَتْ وَاغْتَدَتْ بِخَدٍّ يَخُدُّ

وللقاضى عبد الوهاب ويروى لغيره :

يا صاحبي قبالتي خصانة ... مالت فمال الدعص من أعطافها
في الصدر منها للطعان أسنة ... ما أسرعت إلا لجنى قطافها
إن تنكرا قتلى بها فتبينا ... تجد دمى قد جف فى أطرافها

ولعلى بن الجهم :

كنت مشتاقا وما يحجزنى ... عنك إلا مانع يمنعنى
شاخص فى الصدر غضبان على ... قتب البطن وطى العكن
يملأ الكف ولا يفضلها ... فإذا ثنيتـه لا ينثنى

(جيدها) أى عنقها كأن حبيباً وصف هذه الجارية وجيدها بقوله :

كالخوط فى القد والغزالة فى ... البهجة وابن الغزال فى غيده
وما حكاه ولا نعيم له ... فى حسنه بل حكاه فى جيده

وان كان هذا الجيد عاطلا حليناه بقول ابن العباس الأعمى :

ونبئت ذاك الجيد أصبح عاطلا ... خذى أدمعى إن كنت غضبي على الدر
خذى فانظميها أو كلينى لنظمها ... حليا على تلك الترائب والنحر
خذى اللؤلؤ الرطب الذى لجوابه ... محارته جفنى ولجته صدرى
ولا تخبرى حور الجنان فربما ... غصبنكه بين الخديعة والمكر

(طرف) عين (ظرف) حلاوة ورشاقة وجعل الطرف والعنق جندا لها لأنها لما حسنت معي هذه الصفات انقاد لها عشاقها أذلاء فكأنها أغارت على قلوبهم فاستلبتها ، وقد قال فيما تقدم : وأحوى حوى رقى برقة لفظه فجعله قد ملكه بحلاوته وقال حبيب :

وحشية ترمى القلوب إذا اغتدت ... وسنى فما تصطاد غير الصيد

فجعلها تصطاد السادات بفتور عينيها وهذا المعنى لا يحصى كثرة ، وأراد بالناعس الفاتر النظر . وينعش من كان له منه نصيب وتمكن (يحد) يمنع من رآه من التسلى والتصبر (زها) تكبر (التيه) ضرب من الزهو وهو الكبر (باهت) فاخرت وعظمت (واعتدت) ظلمت (يخد) يقطع أى أن خدها يقطع فى القلوب لاسيما أن كان كما قال من أحسن

وبيضاء تحسبها درة ... تضىء الدجا إن بدت أو تكاد
تنمم بالمسك كافورتى ... محيا حوى الحسن طرا وزاد
فقلت أوصلك هذا البياض ... وبعد صدودك هذا السواد
فقالت أبى كاتب للملوك ... دنوت اليه بحسن الوداد
فخاف اطلاعى على سره ... فلم يعد أن رشنى بالمداد

فارَقَتْنِي فَأَرَّقَتْنِي وشَطَّتْ وسَطَتْ ثم تَمَّ وجْدٌ وَجِدٌ
فَدَنَتْ فُدِّيتُ وحَنَّتْ وحَيِّت مُغْضَبًا مُغْضِيًا يَوَدُّ يَوَدُّ

فوصفها بأن فى خديها خيلانا (أرقتنى) أى منعتنى النوم (شطت) بعدت (سطت) بطشت (ثم) افشى السر أى افشى مابى من الحب (وجد) حزن من الحب وهم (جد) اجتهاد (فدنت) قربت (حنت) اشفقت (مغضبا) متغافلا عما ينال منه (يود) يتمنى (يود) يحب يقول لما تم لها وجدى بما أجنه من حبها وابصرت ما فعل هجرها بى دنت عند ذلك منى شفقة وحيتنى بسلامها وأنا فى حال غضبان لما حل بى من الهجر متمنيا أن تجيئنى فلما سلمت على أزالت غضبى وأغضيت عما سلف من الفعل القبيح . . ونذكر ههنا من الأشعار الحسان مما يوافق وصف هذه الجارية جملة مستظرفة ، قال عبد الله بن عبد الله بن طاهر

يزيدنى البعد شوقا اليك وطول صدودك حرصا عليك
ولو كنت املك ما تملكين من الصبر ما طال شوقى اليك

وقال آخر :

وماأنسى لاأنسى ذاك الخضوع وفيض الدموع وغمز اليد
وخدى مضاف إلى خدها قياما إلى الصبح لم ترقد

وقال أبو مطرف الزهرى

مرت بنا وبدت كالبدر وانفلتت كالغصن والتفتت كالشادن الخرق
تسربلت ببرود الحسن والتحفت بالغنج واشتملت مرطا من الغسق

وقال السرى :

لبست مصندلة الثياب فمن رأى صنما تسربل قلبها اثوابا
وحكت من الظبى الغرير ثلاثة جيدا وطرفا فاترا واهبا

وله أيضا

مذهبة الخدود بجلنار مفضضة الثغور بأقحوان
سقانا الله من رياك ريا وحيانا بأوجهك الحسان

وللقاضى أبى حفص :

هموا نظروا لواحظها فهاموا وتشرب عقل شاربها المدام
سما طرفى اليها وهو باك وتحت الشمس ينسكب الغمام
يخاف الناس مقلتها سواها أيذعر قلب حامله الحسام
وأذكر قدها فأنوح شوقا على الاغصان تنتدب الحمام
وأعقب همها فى الصدر غما اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وله أيضا :

أعيذك يا سليمى من سليم قتلت فتاهم وهو الكريم
فمالك طالب بترات نفسى اذا قتل الغرام فلا غريم
فؤادى سار نحوك عن ضلوع بها ياريم حبك لا يريم
ودادك صح فى قلب سليم كطرفك صح ناظره السقيم

فَطَفِقَ الشَّيْخُ يَتَأَمَّلُ ماسَطَرَهُ ، ويُقَلِّبُ فيه نَظَرَه ، فلما اسْتَحْسَنَ خطَّه ، واستَصَحَّ ضَبْطَه ، قال له لاشَلَّ عَشْرُكَ ، ولا استُخْبِثَ نَشْرُكَ ؛ ثمَّ أهابَ بِفَتًى فَتَّانٍ ، يَسْفِرُ عن أزْهارِ بُسْتَان ، فقال له أنشِدِ البَيْتَيْن

اذا أعرضت تسود الأمانى وان أقبلت تبيض الهموم

(طفق) أى أخذ (يتأمل) بنظر (سطره) كتبه (استصح) وجده صحيحا(الضبط)الشكل والنقط(لاشل عشرك) دعاء أى لا ييبست أصابعك ويروى لاثل عرشك أى لاهدم عزك والرواية الأولى هى الصحيحة (استخبث) فسد وصار خبيثا (نشرك) رائحتك العطرة (اهاب) دعا وصاح (يسفر) يكشف عن وجهه لثامه (عن أزهار بستان) عن بياض الوجه وحمرة الخدين والشفتين وسوادالعينين والأشفار وخضرة الشارب والعذار ومحاسن لا تفي بها ناضرات الأنوار ، وقد يكون يسفر بمعنى يتبسم عن بياض شقيق واقحوان واحمرار عقيق ومرجان وكأن هذا الغلام هو الذى ذكر أبو الرقعمق بقوله :

إذا جرت يده فى الطرس كاتبه تبلج الطرس عن درو مرجان
وإن تكلم جاءته براعته بكل ما شاء من فهم وتبيان

وقال بعضهم يصف غلاما كاتبا :

انظر إلى أثر المداد بطرسه كبنفسج الروض المشوب بورده
ما أخطأت نوناته من صدغه شيئا ولا ألفاته من قده
وكأنما ألفاته من شعره وكأنما قرطاسه من خده

ولعمر بن فتح .

فنوناته من حاجبيه استعارها ولاماته من صدغه المتعاطف
ومن صده المؤذى اسوداد مداده ومن وصله المحيي أبيضا الصحائف

ولأبى اسحق الحصرى فى وصف هذا الغلام:

أيا من تمسك الأوصاف عنه أعنة وصفنا نظاما ونثرا
ومن يدع القلوب إلى مناها بعينه فلا تأتيه قسرا
ومن يجرى اللآلىء فى أقاع يمازج ظلمه بردا وخمرا
ويعرض فى رياض الدل غصنا ويطلع فى سماء الحسن بدرا
كأن بخده ذهبا صقيلا أذاب عليه ياقوتا ودرا

ومنها فى وصف الكتاب

قرأت كتابك الأعلى محلا لدى وموقعا شرفا وقدرا
فأحيانى وقد غودرت ميتا وأنشرنى وقد ضمنت قبرا
نقشت بحالك الانقاش نورا جلا لعيوننا نورا وزهرا
فدبج من بسيط الفكر روضا أنيقا مشرق الجنبات نضرا
لو استسق الغليل به لروى أو استشق العليل به لأبرى

المُطَرَّفَين ، المُشْتَبِهَي الطَّرَفَين ، اللَّذَيْنِ أَسْكَتَا كلَّ نافِث ، وأمِنا أنْ يُعَزَّزا بِثالِث ، فقال له اسْمَعْ

هفـــا عطر الجنوب له نسيم أقـــول إذا أناسم منه نشرا
نثرت لنا على الكافور مسكا ولم تنثر على القرطاس حبرا

وله فى العذار :

سلبت محاسنه سواد عيوننا وقلوبنا وكست أديم عذاره
فبدا طرازا فى أسيل مشرق ماء الحياة يجول فى أسراره
علم الذى استلبت له يد حسنه منا فــازج أمنه بحذاره
فــله توقف مستريب تائب وانـا تلهب عاجز عن ناره

وقال أبو الفضل الدارمى :

ظبى إذا حرك أصـــداغه لم يلتفت خلـــق إلى العطر
غنى بشعرى منشدا ليتـــنى اللفظ الذى ضمنتـه شعرى
فكلما كرر إنشـــاده قبلتـه فيـــه ولا يدرى

ولمهيار :

مشتبه أعرفـــه وإنمـــا مغالطا قلت لصحبى دار من ؟
وحاملى على السرور حامـل فى كفة وطرفه سيف الفتن
قد كتب الحسن على عارضه ما أقبح الهجران بالوجه الحسن

ولأبى اسحق الطليطلى :

ومعذر رقت له خمر الصبا حيث العذار حبابهـا المترفق
ديباج حسن تاه عقلا ناقصا فأتمها عـــلم الشباب المونق
وشكا الجمال مقيله فى ورده فأظله آس العـــذار المشفق
عامت بماء مصقلى شامة خده وحمى العذار زويرقا لا يغرق
إن كان يمحو نقشه من خده فطلا الغزال بمسكها يتفتق

(المطرفين) أى الغريبين وقد أطرفته جئته بطرفة أى بشىء معجب (نافث) متكلم (يعزرا) يقويا ويشددا وإذا صلب الشىء قيل تعزز وأصله من العزاز وهى الأرض الصلبة وقال فى الدرة ويقولون شفعت الرسولين بثالث فيهمون فيه والعرب تقول شفعت الرسول بآخر أى جعلتهما اثنين ليطابق معنى الشفع فى كلامهم وهو اثنان فأما إذا بلغت ثلاثا فوجهه أن يقال عززت بثالث قال تعالى إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والمعنى عززته قويته وأعززته جعلته عزيزا فان واترت الرسل فالأحسن أن تقول قفيت بالرسل قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وما أحسن ما قال ابن شرف فى العذار وذكر التعزيز بثالث :

قد كنت فى وعد العذار فانجزا وقضى لحسنك بالكمال فأوجزا
وافى لنصر الحسن إلا أنه ولى إلى فئة الهوى متحيزا
عطف تعلم منه قلبى عطفه وجد الفؤاد به السبيل إلى العزا

لا وُقِرَ سَمْعُك ، ولاهُزِمَ جَمْعُك ، وَأَنْشَدَ مِنْ غَيْرِ تَلَبُّثٍ ، ولا تَرَيُّث :

سِمْ سِمَةً تَحْسُنُ آثارُها واشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى ولو سِمْسِمَه
والمَكْرُ مَهْما اسْتَطَعْتَ لاتأْتِه لِتَقْتَنِي السُّؤْدُدَ والمَكْرُمَه

فقال له أَجَدْتَ يازُغْلُول ، ياأبا الغُلُول ، ثم نادَى : أَوْضِحْ ياياسِين ؛ مايُشْكِلُ من ذَوَات السِّين ، فَنَهَضَ ولم يَتَأَنَّ ، وأَنْشَدَ بِصَوْتٍ أَغَنَّ :

نِقْسُ الدَّواةِ ورُسْغُ الكَفِّ مُثْبَتَةٌ سِينَاهُما إِنْ هُمَا خُطَّا وإِنْ دُرِسَا

لم يكف وجهك حسنه وبهاؤه حتى اكتسى ثوب الجمال مطرزا
سبحان من أعطاك حسنا ثانيا وبثالث من حسن فعلك عززا

(الوقر) الثقل فى الأذن (تلبث) طول إقامة (تريث) إذا احتبس ومكث ويقال تريث بنقطتين وتربث تربثا بواحدة والمعنى فيهما واحد (سم) علم (سمة) علامة (سمسمة) حبة جلجلان (المكر) الخداع (تقتنى) تكتسب (السودد) الشرف (المكرمة) الكرامة ، وممن اشترط أن بيتيه لا يعززان بثالث قبل الحريرى أبو دلف حين قال :

أنا أبو دلف المهـدى بقافية جوابها يهلك الزاهى من الغيظ
من زاد فيهاله رحلى وراحلتى وخاتمى والمدى فيها إلى القيظ

وذكر الحصرى الأعمى المكرمة فى تجنيس قوافية فسمع قوما يقدحون فيه وفى أبى خلصة فقصده وقال :

ياأديبا ملكتنى فى يديه المكرمات
ليت قوما دأبهم فى وفيك المكرمات

وله :

رب ظبى هويته يتمنى للهوازنه
قلت ما أثقل الهوى قال ما للهوازنه

وله أيضاً :

إن كتمت الهوى صار سرى علانيه
بسقام أذاب بنى وشجون علانيه

(أجدت) أتيت بجيد (الزغلول) الخفيف وزغلول الرجل ولده (الغلول) الخيانة فى المغنم وأصله الستر والتغطية تقول غل الشىء غلا وغلولا إذا ستره فجعله لحسنه الذى قدم وصفه كأنه يغل العقول أى يمسكها ويخون أصحابها فيها وقالت عليه: ياغل الباب الرجال (أوضح) بين (يتأنى) يتبطأ ويفتر والتأنى التثبت وفى الحديث أنه نظر صلى الله عليه وسلم الى رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة فقال آنيت وآذيت أى أخرت المجىء ويكون يتأنى من قولهم فلان ذو أناة من ونى ينى وتكون الهمزة مبدلة عن واو وهو الاظهر (أغن) فيه غنة وهو البحح الخفيف والاغن الذى يتكلم من قبل خياشيمه (نقس) مداد (رسغ الكف) موصلها من الذراع

وَهَكَذَا السِّنُ فى قَسْبٍ وباسِقَةٍ والسَّفْحُ والبَخْسُ وافْسِرْوا قْتَبِسْ قَبَسَا
وَفى تَقَسَّسْتَ بالليلِ الكلامَ وَفى مُسَيْطِرٍ وشَمُوسٍ وَاتَّخِذْ جَرَسَا
وفى قَرِيس وبَرْدٍ قارس فَخُذِ الـ صَّوابَ مِنِّى وكُنْ لِلعِلمِ مُقْتَبِسَا

فقال له : أحْسَنْتَ يا نُغَيْش ، يا صَنَّاجَةَ الجَيْشِ ، ثم قال ثِبْ يا عَنْبَسة ، وَبين الصَّادَاتِ المُتَبِسة ، فوثَبَ وَثْبَةَ شِبْلٍ مُثَار ثم أنشد مِنْ غير عِثَار :

بالصَّاد يُكْتَبُ قد قَبَصْتُ دَرَاهِمَا بأنامِلِى واصِخ لِتَسْتَمِعَ الخَبَرْ
وبَصِقْتُ أبْصُقُ والصِّمَاخُ وصَنْجَةٌ وَالقَصُّ وهو الصَّدْرُ وَاقْتَصَّ الأَثَرْ
وبَخَصْتُ مُقْلَتَهُ وهَذِى فُرْصَةٌ قَدْ أُرْعِدَتْ منه الفَرِيصَةُ لِلْخَوَرْ

(القسب) نوى التمر (باسقة) نخلة طويلة (السفح) أسفل الجبل (البخس) النقص (افسر) افهر و اغلب (اقتبس قبساً) اطلب شعلة من نار (وتقسست) تتبعت (الشموس) الدابة التى تمنع أن تسرج وان تركب (جرساً) الذى يضرب فيه فيصوت (قريس) حوت (قارس) شديد (مقتبساً) طالبا حريصاً على كسبه (نغيش) أن كثير الحركه وقيل نغيش تصغير النغاش من الرجال الحقير الخلقة الغاية فى القصر فصفة هذا الغلام أنه حقير الخلقة كثير الحركة وقلما تكون تلك الخلقة إلا ومعها الحركة والحدة ورواه الفنجديهى نفيش بالفاء أى قصير ، ثعلب النفاشون هم القصار الضعاف الحركة ومنه الخبر أنه رأى نفاشاً فسجد شكراً قال والنفش تحرك الشىء فى مكانه يقال دار تنتفش صبيانا والتنفش دخول الشىء بعضه فى بعض (صناجة الجيش) التى يضرب بها المثل فى الحروب وقيل الصناجة الضرابة بالدفوف والطنابير وعود الغناء ونحوه من آلات اللهو قال الهذلى وهو ساعدة بن جؤية .

فعاودنى دينى فبت كأنما خلال ضلوع الصدر شرع ممد
بأوب يدى صناجة عند مدمن غوى إذ ما ينتشى يتغرد

يصف مافى صدره من الحرق ودينه حالته التى تعتاده من الهم والشرع الوتر يقول كأنما فى صدرى عود لأوتاره رنة مما أحدث به نفسى من الهموم وأوب يديها رجعهما بضرب الصنج أى بتحريك يديها حين تمر أوتارها وينتشى يسكر يتغرد يتغنى وفلان صناجة قومه أى المقدم عليهم فى الفضل وقيل صناجة الجيش هو البطل المعروف ويقال ليلة قمراء صناجة وصياحة إذا كانت مضيئة وصنج فلان بفلان إذا صرعه . . . وكان أعشى قيس يدعى صناجة العرب لفصاحته وقيل لرقة شعره وقيل الصناجة الغناء ويريد بالجيش الصبية الذين حيشوا حوله فنغيش صناجتهم أى أنبلهم وأحذقهم أو كالصنجة فى خلقته وقصره (ثب) اقفز (عنبسة) اسم أسد (الشبل) ولده (مثار) مفزع وقد أثير استخرج من مكانه بالبحث عليه (قبصت) أخذت بأطراف أصابعى والقبصة أقل من القبضة (أصخ) استمع (الصماخ) ثقب الأذن (صنجة) هى التى يوزن بها (المقلة) شحمة العين (بخصتها) فقأتها وأسلتها (فرصة) نهزة وغنيمة (الفريصة) بضعة عند الكتف ترعد عند

وَقَصَرْتُ هِنْداً أىْ حَبَسْتُ وقدَنَا ... فِصْحُ النَّصارَى وهو عِيدٌ مُنْتَظَرْ
وَقَرَصْتُهُ والخَمْرُ قارِصَةٌ إذا ... حَذَتِ اللِّسانَ وكلُّ هذا مُسْتَطَرْ

فقال له رَعْياً لكَ يا بُنىّ ، فَلَقَدْ أقْرَرْتَ عَيْنِى ، ثم اسْتَنْهَضَ ذا جُثَّةٍ كَالْبَيْذَق ، وَنَغْشَةٍ كالسَّوْذَق ، وأمَرَ بأَنْ يَقِفَ بِالمِرْصاد ، ويَسْرُدَ ما يَجْرِى على السِّينِ والصَّاد ، فَنَهَضَ يَسْحَبُ بُرْدَيْهِ ، ثم أنشد مُشِيراً بِيدَيْه

إنْ شِئْتَ بالسينِ فاكْتُبْ ما أُبَيِّنُهُ ... وإنْ تَشَأْ فَهْوَ بالصَّاداتِ يُكْتَبُ
مَغْسٌ وَقَسٌّ ومُسْطَارٌ ومُمْلِسٌ ... وسالِغٌ وسِراطُ الحَقِّ والسَّقَبُ
والسَّامِغانِ وسَقْرٌ والسَّوِيقُ ومِسْ ... لاقٌ وعَنْ كلِّ هذا تُفْصِحُ الكُتُبُ

فقال له أحْسَنْتَ يا حَبَقَّة ، يا عَيْنَ بَقَّة ، ثم نادَى يا دَغْفَل ،

الفزع (الخور) الضعف (فرسته) عضضته بظفرى (حذت) اللسان قرصته بحدتها (مستطر) مكتوب (رعيا) حفظا أى رعاك الله رعيا (استنهض) أمره بالنهوض (جثة) جسد (بيذق الشطرنج) معروف يشبه به الخفيف الروح الحاذق (نغشه) حركة (الشوذق) هو الشوذانق من الطير التى يصطادبها (بالمرصاد) أى قريب منه حيث ينظره (يسرد) يقرؤها بسرعة (يسحب برديه) يجر ثوبيه وقال الحسن يصف مثل هذا الغلام :

يا أيها المبطلون معذرتى ... أراكم الله وجه تحقيق
نم بما كنت لا أبوح به ... على لسان بالدمع منطبق
شوقا إلى حسن صورة ظفرت ... من سلسبيل الجنان بالريق
وصيف كأس محدث ملكا ... تيه مغن وظرف زنديق
يشوب عزا بذله فله ... ذل محب وزهو معشوق
أمشى إلى جنبه أزاحمه ... عمدا وما بالطريق من ضيق

ومن مدحها :

وإن عباساً مثل والده ... ليس إلى غاية بمسبوق
تأنق الحسن حين زانكما ... ففقتما الناس أى تأنيق
فصور الفضل من حجار ندى ... وأنت من حكمة وتوفيق

وله أيضاً :

ترى للحسر والحركات فيه ... سواما لاتذاد عن القلوب
فيامن صيغ من حسن وطيب ... وجل عن المشاكل والضريب
أصبنى منك يا أملى بذنب ... تتيه على الذنوب به ذنوبى

(سراط) أى طريق (التسقر) من الجوارح التى يصطاد بها (السويق) الشعير إذا قلى وطحن (حنقة) ضرطة (عين بقة) يقال ذلك للصغير (دغفل) اسم رجل كان نسابة والدغفل ولد الفيل والدغفل الزمن الخصيب فتسمى

يا أبا زَنفل ، فَلَبَّاهُ فَتىً أحسنُ من بَيْضة ، فى رَوْضَة ، فقالَ له ما عَقدُ هجاء الأفعال ؛ التى آخرُهاحرفُ اعتِلال ، فقال اسمعْ لا صُمَّ صَدَاك ، ولا سمعتَ عِداك ، ثم أنشدَ ، وما استرْشدَ :

إذا الفِعْلُ يوماً غُمَّ عنكَ هجاؤهُ فألحقْ به تاءَ الخِطَاب ولا تَقِفْ
فإنْ ترَ قبلَ التَّاء ياءً فكتبُهُ بياء وإلاَّ فهوَ يُكتَبُ بالألِفِ
ولا تَحْسِبِ الفِعْلَ الثلاثيَّ والذى تَعدَّاه والمَهْمُوزَ فى ذاكَ يختلِفْ

فطَربَ الشَّيخُ لِما أدَّاه ، ثم عَوَّذَهُ وفَدَّاه ، ثم قالَ هَلُمَّ يا قعقاع ، ياباقعة البِقاع ، فأقبلَ فتىً أحسَنُ من نارِ القِرَى ، فى عَيْنِ ابنِ السُّرَى

الصبي بأحدها (الزنفل) من أسماء الداهية (البيضة) بيضة النعام (فى روضة) يريد أنها مصونة منعمة وتشبيههم للنساء بهذه البيضة مشهور فى شعر امرىء القيس وغيره وقيل للاوسية وهى امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى منظر أحسن فقالت قصور بيض فى حدائق خضر فأنشد رضى الله عنه لعدى بن زيد :

كدمى العاج فى المحارب أوكالـ بيض فى الروض زهره مستثير

(لاصم صداك) أى لا هلكت فلا يكون لك صوت ، وقال امرؤ القيس فى الدار الخالية :

صم صدارها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل

والصدى الصوت الذى يجيبك من الجبل أو من الموضع الخالى والصدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح اسقونى حتى يقتل قاتلة على زعمهم ولا صم صداك دعاء بطول العمر لأن الصدى تابع للموت فاذا مات الانسان انقطع صوته فلا يسمع له صدى فكأن صداه بعد موته أصم لايسمع ولا يجيب (ما استرشد) أى ما طلب من يرشده ويدله (أداه) أبلغه تقول أديت الأمانة إذا بلغتها صاحبها (عوذه) قرأ عليه المعوذتين وفداه قال نفسى فداؤك (قعقاع) شديد الصوت والقعقعة صوت متتابع (الباقعة) الداهية (البقاع) جمع بقعة قطعة من الأرض (القرى) طعام الضيف (ابن السرى) هو الطارق بالليل وقد تقدم ذكر هذه النار عند قوله فلم أزل أنص عنسى وأقول طوبى لك ولفسى وهم يضربون المثل بها وحدها فى الحسن فيقولون هو أحسن من النار فكيف إذا كان إنسان مع ظلام الليل فى ريح وبرد وجوع لايدرى أن يتوجه فرأى ناراً قد أوقدت لقرى الأضياف فلايقدر قدر حسنها إلا من جربها ؛ وقالت أعرابية كنت فى شبيبتى احسن من النار ، وأنشد التوزى ملغزا فى النار :

وشعثاء غبراء الفروع كأنما بها توصف الحسناء بل هى أجمل
دعوت بها ضحى بليل كأنهم وقد أبصروها يعطشون فأنهلوا

فهذا مثل الذى ذكر الحريرى وقال الآخر يصف نارا :

ومشوبة لايقبس الجار ريها ولا طارق الظلماء منها يؤنس

فقال له اصْدَعْ بتَمْيِيز الظَّاء مِنَ الضَّاد ، لِتَصْدَعَ به أكبادَ الأَضْدَاد فاهْتزَّ لِقَوْلِهِ وَاهْتَشَّ ، ثم أنشَدَ بِصَوْتٍ أَجَشّ

أَيُّهَا السَّائِلى عَنِ الضَّاد والظَّا ءِ لِكَيْلا تُضِلَّهُ الألفاظُ
إنَّ حِفْظَ الظاآت يُغْنِيكَ فَاسْمَعْهَا اسْتِمَاعَ امْرِىءٍ له اسْتِيقَاظُ
هِىَ ظَمْيَا والمظَالِمُ وَالإِظْلامُ والظَّلْمُ والظُّبَى وَاللحَاظُ
والعِظَاوالظَّلِيمُ والظَّبْىُ والشَّيْظَمُ والظِّلُّ وَاللَّظَى والشُّوَاظُ

متى ما يزرها زائر يلف دونها عقيلة دارى من المسك تغرس

وأنشد أبو زيد فيها ملغزا :

وزهراء كفنتها فهو عيشها وإن لم تكفنها فموت معجل

وكان أبو الحسن بن وهب أشد الناس عشقا لنبات جارية محمد بن حماد وكانت تغنى فى مجلسه وبين يديها كانون فحم فتأذت بالنار وأمرت بابعادها فقال الحسن مرتجلا :

بأبى كرهت النار لما أوقدت فعرف ما معناك فى إبعادها
هى ضرة لك بالتماع ضيائها وبحسن صورتها لدى إيقادها
وأرى صنيعك فى القلوب صنيعها باراكها وسيالها وقتادها
شركتك فى تلك الجهات بحسنها وضيائها وصلاحها وفسادها

وكان مع أصحابه يوما فقال لو ساعدنا الزمان لجاءتنا نبات فما تكلموا بشىء حتى دخلت فقال إنى وإياك لكما قال على بن أمية :

وفاجأنى والقلب نحوك شاخص وذكراك ما بين اللسان إلى القلب
فيا فرحة جاءت على أثر ترحة ويا غفلتى على وقد نزلت قربى

ودخلت عليه يوما وهو محموم فسلمت عليه وقبلت يده فأراد تقبيل يدها فارعش وقال :

أقول وقد حاولت تقبيل كفها ولى رعدة أهتز منها وأسكن
فديتك إنى أشجع الناس كلهم لدى الحرب إلا أننى عنك أجبن

(أصدع) أى بين وأظهر (تصدع) تشق (الاضداد) الأعداء (أجش) أبح (تضله) تضيعه وتتلفه (استيقاظ) انتباه (ظمياء) عطشى . الأزهرى : شفة ظمياء ليست بوارمة كثيرة الدم ويحمد ظمؤها ولثة ظمياء ورجل أظمى وامرأة ظمياء وقيل شفة ظمياء إذا كانت فيها سمرة وساق ظمياء قليلة اللحم (الظلم) بالفتح ماء الأسنان وقيل بريقها وصفاؤها والجمع ظلوم (اللحاظ) طرف العين الذى يلى الصدغ (العظاء) جمع عظاية وهى دويبة حمراء إلى الغبرة ذات قوائم أربع (الظليم) ذكر النعام (الشيظم) الطويل (اللظى) النار (الشواظ) لهبها بغير دخان (التظنى) مصدر تظنيت أى حسبت والأصل تظننت بالنون فأبدلت ياء

وَالتَّظَنِّى وَاللَّفْظُ وَالنظيم وَالتَّقْرِيظُ ... وَالقَيْظُ وَالظَما وَاللَّماظُ
والحِظا والنَّظِيرُ والظَّئْرُ والجاحِظُ ... والناظِرُونَ والأَيقاظُ
والتَّشَظِّى والظلفُ والعَظْمُ والظُّنبُوب ... والظَّهْرُ والشِّظا والشِّظاظُ
والأَظافِيرُ والمُظَفَّرُ وَالمحْظُورُ ... والحافظونَ والإحفاظ
والحظيراتُ والمَظِنَّةُ والظِّنَّةُ ... والكاظِمُونَ والمُغْتاظُ
ووظيفٌ وظالِعٌ وعَظِيمٌ ... وظَهِيرٌ والفَظُّ والإغلاظُ
ونَظِيفٌ والظَّرْفُ والظَّلَفُ الظا ... هرُ ثم الفَظِيعُ والوُعّاظُ
وعكاظ والظَّعْنُ وَالمظُّ والحَنْظَل ... وَالقارظان وَالأَوْشاظُ
وظِراب الظِّرّانِ وَالشَّظَفُ الباهِظ ... والجَعْظَرِىُّ والجَوّاظ
والظَّرابِين والحَناظِب والعنظبُ ... ثم الظَّيّان وَالأَرعاظ
والشناظى والدُّلظ وَالظَّأب وَالظب ... ظاب والعنظوان وَالجِنعاظ
والوَظِيفات والمواظِب والكِظَّة ... والانتظار والالْظاظ

(التقريظ) مدح الرجل حيا (القيظ) فصل الحر (الظمأ) العطش (اللماظ) الشيء اليسير من الطعام وقد تلمظت إذا تتبعت بلسانك بقية الطعام بعد الأكل واسم تلك البقية اللماظة وقيل التلمظ هو لعق الشفتين باللسان من عطش أو غيظ (الحظا) انتفاخ اللحم (النظير) المثل (الظئر) المرضع بالأجرة (الجاحظ) الذى برزت عيناه (الايقاظ) ضد النيام الواحد يقظ بضم القاف وكسرها (التشظى) أن تصير العود فلقا والشظية الفلقة منه (الشظى) عظم لاصق بالركبة وقيل وهو تشقق عصب الذراع (الظلف) للغنم والبقر بمنزلة الحافر للدواب وكل حافر مشقوق ظلف (الظنبوب) مقدم عظم الساق (الشظاظ) عود الشداد الذى يشدبه المتاع وقيل هو عود يدخل فى عرا الغرارتين فيحملان به على ظهر البعير (الظفر) المؤيد (المحظور) الممنوع (الاحفاظ) الاغضاب (الحظيرات) جمع حظيرة وهى الزرب يعمل منه شبه الدار تسكنها الغنم والابل وقد يكون من حائط وأصل الحظر المنع وكل مانع بين الشيئين حظير (المظنة) الموضع ترمى فيه بظنك وفلان مظنة خير أى يظن فيه الخير (الظنة) التهمة (الكاظمون) المتجرعون غيظهم وقد كظم غيظه تجرعه تجرعه ورده (الوظيفات) جمع وظيفة وهى مايلزمك من المغرم (المواظب) الملازم وقد واظبت على الشيء داومت عليه (الكظة) الامتلاء من الطعام (الالظاظ) اللزوم (الوظيف) لكل ذى أربع مافوق الرسغ إلى الساق (الظالع) الأعرج (الظهير) القوى الظهر وهو أيضا المعين (اللفظ) الغليظ والفظاظة الجفاء والغلظة (الاغلاظ) الجفاء (النظيف) النقى الحسن (الظلف) المنع والرد وقد ظلفت أثرى ظلفا إذا مشيت فى حزونة الأرض وصلابتها فمنعت أثرك أن يؤثر فيها (الفظيع) الكريه المطعم وقد فظع الشيء اشتدت كراهيته ومرارته (عكاظ) موسم للعرب (الظعن) السفر (الحنظل) شجر مر (الباهظة) الغالب (البظر) زيادة فى فرج المرأة ورجل أبظر فى شفته العليا نتوء وامرأة بظراء والأول راجع إلى هذا المعنى (الانعاظ)

والشَّنَاظِيرُ والتعاظُلُ والعِظْلِمُ والبَظْرُ بَعدُ والإِنعاظ
هِيَ هَذِي سِوَى النَّوادِرِ فاحْفَظْهَا لتقفُوا آثارَكَ الحُفَّاظُ
واقْضِ فِيما صَرَفْتَ منها كَمَا تَقْضِيهِ فى أصْلِهِ كَقَيْظٍ وقاظُوا

فقال له الشَّيخُ أحْسَنْتَ لافضَّ فُوك ، ولا بُرَّ مَن يَجْفُوكَ ، فوَاللهِ إنكَ مع الصِّبا الغَض ، لأحْفَظُ مِنَ الارض وَأجْمَعُ من يوم العَرْض ؛ وَلقد أوْرَدْتُكَ ورُفقتكَ

قيام الذكر (النوادر) الغرائب والشواذ (تقفو) تتبع (قيظ) شدة الحر (قاظوا) دخلوا فى زمن القيظ (فض) كسر (يجفوك) يغلظ لك فى الكلام (الغض) الطرى (يوم العرض) يو القيامة ، ولما أشار من أول على أكبرهم انحط فى أسنانهم إلى اصغرهم فختم به كما بدأ بأكبرهم فلذلك قال مع الصبا الغض.. ومما قيل فى الصغار من الشعر المستحسن قال أبو الفضل الدرامى وقد سأله الثعالبي أن يصف له غلاما صغيرا بديع الحسن ليثبت ذلك فى كتاب المترجم بألف غلام فأنشد :

إنى عشقت صغيرا قد دب فيه الجمال
وكاد يفشى حديث الـفضول فيه الدلال
لو مر فى طرق الوصـ ـل ما اعتراه الضلال
يريك بدرا منيرا فى الحسن وهو هلال

وقال الحسن
حين أوفى على ثلاث وعشر لم يظل عهد اذنه بالشنوف
غنة فيه للصبا تعتليه بحة الاحتلال للتشريف
حين رام النساء منه بعين وطوى أختها على التخويف

وقال آخر :
لئن يزيد على عشر بواحدة وزاد أخرى وشاب الحب بالجزع
وجاوب الحظ منه لحظ عاشقه وجوز الوعد بين اليأس والطمع
قد كان غرا بقتلى ليس يحسنه فاليوم يبدع فى قتلى على البدع

وقال آخر :
قالو أتبكى على صغير خصصته بالوداد طفلا
فقلت إن البنان خمس أصغر ما بينها يحلى

ولابن إدريس اليمانى :
عشقته شادنا صغيرا وكنت لا أعشق الصغارا
أعارنى سقم ناظريه فاستشرفت نفسه حذارا
يسفر عن وجه مستنير يرد جنح الدجى نهارا
لم أر من قبل ذاك نورا أضرم فيه الحياء نارا

ولابن شهيد :
راقنى من شيمه برق بدا أم سنا المحبوب أورى زندا
هب من نعسته منكسرا مسبل الكمين مرخ للردا
بمسح النعسة من عينى رشا صائد فى كل يوم أسدا

قلت هب لى يا حبيبى قبلة تشف من حبك تبريح الصدا
فانثنى يهتز من منكبه قائلا لا ثم أعطانى اليدا
قال لى يلعب : صدلى طائرا فترانى الدهر أجرى بالكدا
وإذا استنجزت يوما وعده قال لى يمطل : ذكرنى غدا
شربت أعطافه خمر الصبا وسقاه الحسن حتى عربدا

ورأى الحسن غلاما فى المكتب فأشار إلى تقبيل يده فقبله فقال :

ظفرت بقبلة منه على عينى معلمه أشرت بها إلى يده فأوصلها إلى فمه

وقال الحلوانى :
تعرضت من شفنى هجره بيده سلام عليه شفاها
وقلت عساه ترد السلام فيبلغ نفسى منه مناها
فجاد على بتقبيله وقد كان أعرض عنى وتاها
وكنت كموسى أتى للضياء ليقبس نارا فناجى إلها

وكتب الحسن لغلام كاتب يستعطفه فوقع الغلام فى كتابه : تزاد هجرا إلى يوم الحساب ، فقال الحسن

كتبت إلى الحبيب ببيت شعر أعاتبه فاغضبه كتابى
أجبنى ياملول على كتابى فان النفس تسكن بالجواب
فوقع فى الكتاب يزاد هجرا وابعادا إلى يوم الحساب

وقال ابن رشيق فى محبوبه الصائغ :

وظبى من بنى الكتاب يسبى قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه أستقصى رضاه وأسأله خلاصا من يديه
فوقع قد رددت فؤاد هذا مسامحة فلا يعدى عليه

وناوله يوما تفاحة فقال :

وتفاحة من كف ظبى أخذتها جناها من الغصن الذى مثل قده
لها لمس ردفيه وطيب نسيمه وطعم ثناياه وحمرة خده

ولابن فرج :
ومن ينظر إلى خديك يحكم على ورد الحدائق للخدود
وما اهتزت غصون الروض إلا تمنت حسن قدك فى القدود

قال مسلم بن الوليد
تفاحة شامية من كف ظبى غزل
ماخلقت مذ خلقت تلك لغير القبل
كأنما حمرتها حمرة خد خجل

وقال آخر فى ضد ماتقدم

فديتك لاتخف منى سلوا إذا ماغير الشعر الصغارا
أدين بدن خل كان خمرا وأهوى لحية كانت عذارا

زُلالى وَثقفتكُمْ تثقيفَ العَوالى ، فاذْكُرُونى أذكُرْكمْ واشكُرُوالى وَلا تكفُرُون

قال الحَارِثُ بنُ هَمَّام : فعَجِبْتُ لما أبْدى مِنْ بَرَاعة ، مَعْجُونة بِرُقاعة ، وأظهَرَ مِن حَذاقة ، مَمزُوجَة بِحَماقة ، ولم يزَلْ بَصَرى يُصَعِّدُ فيه ويُصَوِّب ، ويُنقِّرُ عنه ويُنَقِّب ، وكُنتُ كَمَنْ يَنظُرُ فى ظَلْماء ، أو يَسْرى فى يَهْماء ، فلما استرَاثَ تنَبُّهِى ، واستَبَانَ تدَلُّهى ، حَمْلَقَ إلَىَّ وَتبَسَّم ، وقال لم يَبْقَ مَنْ يَتوَسَّم فَبُهِتُّ لفَحْوى كلامه ، وَوجَدْتُهُ أبا زَيد ، عِندَ ابتِسامِه ، فأخَذتُ ألومُهُ عَلى تدَيُّر بُقعَة النَّوكى ، وَتخَيُّر حِرْفةِ الحَمْقى ، فكأنَّ وَجْهَهُ أُسِفَ رَمَادا ، أوْ أُشرِبَ سَوَادا ، إلا أنَّهُ أنشَدَ وما تمَادَى

تَخيَّرْتُ حمصَ وهَذى الصِّنَاعَة لِأُرْزَقَ حُظوَةَ أهْلِ الرقاعَه
فَما يَصْطَفى الدَّهْرُ غَيْرَ الرَّقيعِ ولا يُوطِنُ المالَ إلا بقَاعَه
ولاَ لِاخِى اللُّبِّ مِنْ دَهْرِهِ سِوَى ما لِعَيْرٍ رَبِيطٍ بِقَاعَه

ثم قال : أما إنَّ التَّعليمَ أشرَفُ صِنَاعَة ؛ وَأربَحُ بِضَاعَة ؛ وأنجَحُ شفَاعَة ، وأفضَلُ بَرَاعة ، ورَبُّهُ ذُو إمْرَةٍ مطَاعَة

وقال ابن المعتز فى مثله: من معينى على السهر وعلى الحب والفكر
ويل مابى من شادن كبر الحب إذ كبر

(زلالى) أى خالص علمى والزلال الماء العذب الصافى (ثقفتكم) قومتكم (العوالى) صدور الرماح (براعة) فصاحة (الحذاقة) المهارة فى كل عمل وهى الحذق وأصله القطع كأن الحاذق يقطع الأمور المشكلة بعقله وحذق الصبى القرآن قطعه حفظا (الرقاعة) الحماقة رقع رقاعة فهو رقيع (يصعد) يرفع نظره (يصوب) ينظر فى اعتدال واستواء (ينقر وينقب) يفتش (يهماء) أرض مجهولة (استراث) استبطأ (تدلهى) تحيرى ودلهه الحب حيره وأدهشه (حملق) نظره بحملاقه وهو باطن جفنه وهو نظر المغضب (يتوسم) يحسن النظر والميز (بهت) فطنت وفى الحديث رب ذى طمرين لايؤبه له أى لايفطن له لذلته وتأبه فلان تكبر وإنه لذو ابهة أى ذو كبر ونحوه ، الفنجديهى : رأيت بخط الحريرى يقال أبهت له وأبهت وبهت له بمعنى قال يعقوب تقول مابهت له ومابهت به ومابهت له وما بهأت له ما فطنت له (فحوى) معنى (عند ابتسامه) قد تقدم وصفه بالقلح يريد لما ابتسم وأرى قلحة عرفه (تدير بقعة النوكى) أى اتخاذه حمص دارا وجعلهم نوكى لرقاعتهم والنوك الحمق (حرفة) صنعة (أسف رمادا) أى تغير فكأنه ذر عليه الرماد وأسف الجرح الدواء أى حشاه به (ما تمادى) أى مادام ولا بقى على غضبه وتمادى فى الشىء لج فيه (خطوة) أى منزلة (يصطفى) يختار (يوطن) يسكن (بقاعه) منازله وهى جمع بقعة (أخى اللب) صاحب العقل (عير) حمار (قاعة) انخفاض أى ليس للانسان من دهره إلا ما أكله (أنجح) أى أنفع وأسرع لقضاء الحاجة (امرة مطاعة) العرب تقول لك على أمرة مطاعه بفتح الألف أى أمرة أطيعك فيها وحكى الفراء كسرها على ضعف والفتح أفصح والامرة بالفتح المرة الواحدة من الأمر

وهَيْبَةٍ مَشَاعَة ورَعِيَّةٍ مطواعَة ، يتَسَيْطَرُ تَسَيْطُرَ أمير ، ويُرَتِّبُ ترتيب وزير ، ويَتحكَّمُ تحكُّمَ قدير ، ويَتَشَبَّهُ بذي مُلْكٍ كَبِير ، إلاَّ أنَّهُ يَخْرفُ في أمَدٍ يَسِير ، ويَتَّسِمُ بحُمْقٍ شَهِير ، ويَتقلَّبُ بعَقْلٍ صَغِير ، ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِير ، فقلتُ له : تاللهِ إنكَ لابْنُ الأيَّام ، وعَلَمُ الأعْلام ، والسَّاحِرُ اللاَّعِبُ بالأفهام ، المُذَلَّلُ له سُبُلُ الكلاَم ، ثم لم أزَلْ مُعْتكِفًا بِنَادِيه ، ومُغْتَرِفًا من سَيْلِ وادِيه ؛ إلى أنْ غابَتِ الأيَّامُ الغُرّ ، ونابَتِ الأحْداثُ الغُبْر ، ففَارَقْتُهُ ولعَيْني العُبْر :

وبالكسر الأمارة والولاية (مشاعة) فاشية (يتسيطر) يتسلط (يخرف) يهرم (يتسم) يجعل لنفسه سمة أي علامة الحمق ، ومما قيل في المعلم وتفضيله على الوالد أنشد الماوردي :

يافاخراً للسفاء بالسلف ... وتاركا للعلاء والشرف
آباء أجسادنا هم سبب ... لأن جعلنا عوارض التلف
من علم الناس كان خير أب ... ذاك أبو الروح لا أبو النطف

أخذه من قول اسكندر وقيل له مابال تعظيمك لمعلمك أشد من تعظيمك لوالدك فقال : إن أبي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية ، ولبعضهم :

إن المعلم والطبيب كلاهما ... لاينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه ... واصبر لجهلك إن جفوت معلما

جاء في الحديث : يجاء بالمعلم يوم القيامة ووجهه عظم لالحم عليه ، قال عطاءهم الذين يأخذون على القرآن أجرا (ابن الأيام) الخبير بها والبصير بحوادثها (علم الأعلام) أشهر المشاهير (الافهام) جمع فهم أراد اللاعب بالأذهان والعقول (سبل) طرق (معتكفا بناديه) ملازما لمجلسه (مغترفا من سيل واديه) آخذا من بحر علمه (الغر) البيض الحسان (نابت الاحداث الغبر) رجت النوازل الشداد التي تغبر الأرض من شدة قحطها (لعيني العبر) أي سخنة الدمع لحزنه واستعبر بكى ... والله تعالى أعلم .

المقامة السابعة والأربعون الحجرية

حكى الحارث بن همام قال: احتجتُ إلى الحجامة، وأنا بحجر اليمامة، فأرشدتُ إلى شيخ يحجم بلطافة؛ ويسفر عن نظافة، فبعثتَ غلامي لإحضاره، وأرصدتُ نفسي لانتظاره، فأبطأ بعد ما انطلق؛ حتى خلته قد أبق، أو ركب طبقاً عن طبق ثم عاد عود المخفق مسعاه؛ الكلّ على مولاه؛ فقلتُ له: ويلك أبطء فند، وصلود زند، فزعم أن الشيخ أشغل من ذات النحيين، وفى حرب كحرب حنين، فعفتَ الممشى إلى حجّام، وحرتُ بين إقدام وإحجام، ثم رأيتُ أن لا تعنيف، على من يأتى الكنيف،

شرح المقـــامة

(احتجبت للحجامة وأنا بحجر اليمامة) أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خيرماتداويتم به الحجامة والشوانيز والقسط، القسط: عود يجاء به من الهند يجعل فى الدواء والبخور، وروى بن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خير يوم يحتجم فيه سبعة عشر وتسعة عشر وأحد وعشرون ومامررت بملا من الملائكة ليلة أسرى بى إلا قالوا عليك بالحجامة يامحمد، وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما لقدتبيغ بى الدم يا نافع ادع لى حجاما ولا تجعله شيخا كبيرا ولا صبيا، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحجامة على الريق أمثل فيها شفاء وبركة تزيد فى العقل والحفظ وتزيد الحافظ حفظا فمن احتجم فيوم الخميس والاحد والاثنين والثلاثاء فانه يوم رفع الله فيه البلاء، عن أيوب عليه السلام وأصابه يوم الاربعاء ولا يبدأ باحدداء من جذام أو برص إلا فى يوم الأربعاء أو ليلته (حجر) قصبة (اليمامة) يأتى ذكرها فى الخمسين ان شاء الله تعالى وهى بلدة كبيرة كثيرة النخل وسكنتها حنيفة وهى بلدة مسيلمة الكذاب الحنفى وبها تنبأ وآمن به أهلها وهى فعالة من اليمم وهو طائر أو من يممت الشىء تعمدته تقول تيممته اذا تعمدته من الامام بمعنى قدام وأبدلت الهمزة ياء لما دخلتها الهاء وأقرب المدن منها البصرة (يسفر) يكشف (نظافة) صقالة وحسن (أرصدت) أعددت (أبق) هرب (طبقا عن طبق) حالا عن حال وأمرا عن أمر (المخفق) الخائف (مسعاه) سعيه (الكل على مولاه) الذى لاينفعه بشىء ولا يكفيه أمر نفسه والكل الثقيل الروح (صلود زند) هو أن لا يسمح الزند بالنار (حنين) موضع وقعة مشهورة كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين هوزان هزمت فيها هو زان وسبيت أموالهم وعيالهم وقتل فيها دريد بن الصمة كافرا (عفت) كرهت (الاقدام) الجرأة والترامى (الاحجام) الرجوع الى خلف أراد أنه ردد رأيه هل يأتيه أم لا (التعنيف) العتب (الكنيف) المرحاض، ونذكر هنا حكاية ظريفة تجمع أسماءه، رحل رجل من الكوفة إلى ابن عم له من بنى هاشم بالمدينة فأقام حولا عنده لايدخل مستراحا فلما أراد الرجوع إلى الكوفة الى ابن عمه لقينتين له أما رأيتما ظرف ابن عمى أقام حولا عندنا لم يدخل الخلاء. قالتا فعلينا أن نصنع له شيئا لايجد معه بدا من الخلاء قال شأنكما فعمدتا إلى خشب العشر وطرحتاه فى شرابه وهو مسهل فلما حضر وقت شرابهما قربتاه له وسقتا مولاهما من غيره

فلما شَهِدْتُ مَوسِمَه ، وَسَاهَدْتُ مِيْسَمَه ، رأيتُ شَيْخاً هَيْئَتُهُ نَظِيفَة ، وَحَرَكَتُهُ خَفِيفَة ، وعليه من النَّظارَةِ أطواق ، ومِنَ الزِّحامِ طِبَاق ، وَبين يَدَيهِ فَتًى كالصَّمْصَامَة ،

فلما أخذ الشراب منهما تناوم مولاهما ومغص الفتى من بعده فقال لأحدهما ياسيدتى أين الخلاء فقالت لها صاحبتها مايقول لك قالت يسألك أن تغنيه :

عفا من آل فاطمة الجواء　　فمنزل أهلها منها خلاء

فغنته فقال أظنهما كوفيتين فقال للاخرى يا سيدتى أين الحش فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه : — لقد أوحش الريان فالدير منهما — فتنه فقال الفتى أظنهما عراقيتين ومافهمتا عنى، فقال للاخرى ياسيدتى أين المتوضأ فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه :

توضأ للصلاة وصل خمسا　　وأذن بالصلاة على النبى

فقال أظنهما حجازيتين وما فهمتا عنى فقال لأحدهما ياسيدتى أين الكنيف فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت إنه يسألك أن تغنيه :

تكنفنى الواشون من كل جانب　　ولو كان واش واحد لكفانى

فغنته فقال أظنهما تهاميتين فقال للاخرى ياسيدتى أين المستراح فقالت لصاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه :

ترك الفكاهة والمزاحا　　وقلى الصبابة فاستراحا

فغنته والمولى يسمع فلما كربه الأمر أنشأ يقول :

تكنفنى الملاح وأضجرونى　　على مابى بتكرير الأغانى
فلما ضاق عن ذاك أصطبارى　　ذرقت به على وجه الزوانى

ثم حل سراويله وسلح عليها فتركهما آية للناظرين وانتبه مولاهما فلما رأى ما نزل بهما قال له يا أخى ماحملك على هذا قال له ياابن الزانية لك جوار يرين المخرج صراطا مستقيما فلا يدلننى عليه فلم يكن لهن جزاء عندى غير هذا ثم رحل عنه... فيقول أبو محمد لابأس للانسان أن يأتى المواضع الخسيسة عند الضرورة وأصل الكنيف الساتر (موسمه) مجتمعه وسوقه (ميسمه) علامته (النظارة) الناس الناظرون (أطواق) أى حلقة خلف حلقه قد استداروا حوله (الطباق) الذى طوبق فجعل بعضه على بعض . شبه به ركوب بعض الناس بعضا (الصمصامة) سيف عمرو بن معد يكرب وكانت تقطع الحديد كما يقطع الحديد الخشب وبعث ملك الهند إلى الرشيد بسيوف قلعية وكلاب سبورية وثياب هندية فأمر الأتراك فصفوا بين يديه صفين قدلبسوا الحديد ودخل الرشيد فقال لهم ما جئتم به قالوا هذه أشرف كسوة بلادنا فأمر فقطعت جلالا وبراقع لخيله فكبوا على وجوههم وتذمموا ثم قال ماعندكم قالوا هذه سيوف قلعية لانظير لها فدعا بالصمصامة فقطعت بها السيوف سيفا سيفا كما يقطع الفحل من غير أن تنثنى لها شفرة ثم عرض عليهم حد السيف فاذا هو لافل فيه ، ثم قال ماعندكم قالوا كلاب سبورية لايبقى لها كلب ولا سبع إلا عقرته فأمر بالأسد فأخرج إليهم فلما نظروا إليه

مُسْتَهْدِفٌ لِلحِجامَة ، والشَّيْخُ يقُولُ له : أراك قد أبْرَزْتَ رَاسَكَ ، قبل أنْ تُبرِزَ قِرْطاسَك ، ووَلَّيتَنى قَذَالَك ، وَلم تَقُلْ لى ذَلك ، وَلَستُ مِمَّن يَبِيعُ نَقْدًا بِدَيْن ، ولا يَطْلُبُ أثَرًا بعدَ عَين ،

هالهم وقالوا ليس عندنا مثل سبعكم ثم أرسلوا عليه الأكاب وكانت ثلاثة فمزقته فقال تمنوا فى هذه الأكاب ماشئتم قالوا السيف الذى قطع سيوفنا قال لايجوز فى ديننا أن نهاديكم بالسلاح فانقلبوا خائبين ، وكانت الصمصامة عند الهادى فدعا بها يوما و بمكتل مملوء دنانير وأمر الشعراء أن يقولوا فيه فبدأهم ابن إياس فقال

حاز صمصامة الزبيدى عمرو — من جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا — خير ما أغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقه الصواعق نارا — ثم شابت به الزعاف القيون
وإذا ما شهرته بهر الـ — ـبيت ضياء فلم تكد تستبين
يستطير الأبصار كالقبس المشـ — ـعل ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجا — رى على صفحتيه ماء معين
ما يبالى إذا الضريبة حانت — أشمال سطت به أم يمين
وكأن المنون نيط إليه — فهو من كل جانبيه منون

فقال له لك السيف والمكتل ففرق المكتل على الشعراء وقال حرمتهم بسببى وأخذ من المهدى فى السيف خمسين ألف دينار . . وممن أفرط فى وصف قطع السيف النمر بن تولب حين قال :

أبقى الحوادث والأيام من نمر — أسباد سيف كريم اثره بادى
تظل تحفر عنه الأرض مندفنا — بعد الذراعين والساقين والهادى

ويروى : تظل تحفر عنه إن ضربت به . والأسباد البقايا واحدها سبد , وقال أبو الهول :

حسام غداة الروع ماض كأنه — من الله فى قبض النفوس دليل
كأن جنود الذر كسرن فوقه — قرون جراد بينهن دخول
كأن على إفرنده موج لجة — تقاصر فى ضحضاحه وتطول

وقال ابن الرومى : يقول القائلون إذا رأوه — لأمر ما تغوليت الدروع

والشعر فى وصف السيف كثير مشهور فلذلك اقتصرنا على هذه النبذة (مستهدف) أى منتصف والهدف الغرض (القرطاس) قطعة من كاغد توضع فيها الدراهم . الفنجديهى : القرطاس درهم من نحاس وفيه شىء من الفضة يتعاملون به فى الشام (قذالك) مؤخر عنك وهو مابين نقرة القفا إلى الأذن وجمعه قذل (ذا) إشارة إلى الدرهم (نقدا) حاضرا (أثرا بعد عين) قد تقدم والعين نفس الشىء وقيل العين المعاينة فمعناه لا أترك شيئا وأنا أعاينه وأطلب أثره إذا غاب ، وقال الفنجديهى : سمعت بعض الفضلاء بفنجديهة يقول حكى أن رجلا سرق منه شىء فخرج يطلب السارق فلما ظفر به اخذ يضربه ويشد وثاقه فقال له أحد أهل البلدة خل سبيله

فإنْ أنتَ رَضَخْتَ بالعين ، حُجِمْتَ فى الأخدَعين ، وإنْ كُنْتَ ترَى الشُّحَّ أولى ، وخزْنَ الفلْس فى النَّفْسِ أحْلى ، فاقرأْ عَبَسَ وتولَّى ، واغرُبْ عَنِّى وإلاَّ ، فقـــالَ الفَتَى والذى حرَّمَ صَوْغَ المَيْن ، كما حرَّمَ صَيْدَ الحرَمين ، إنِّى لأفلَسُ مِن ابنِ يومَين ، فَثِقْ بسَيْلِ تَلْعتى ، وأنظِرْنى إلى سَعَتى ، فقال له الشَّيْخُ : ويْحكَ إنَّ مِثْلَ الوُعُود ، كغَرْسِ العُود ، هُوَ بينَ أنْ يُدْرِكَهُ العطَبَ ، أو يُدْرِكَ منه الرُّطَب ، فما يُدْرِينى أيَحْصُلُ من عُودِكَ جَنى ، أمْ أحصُلُ منه على ضَنَى ، ثم ماالثِّقَةُ بأنَّكَ حين تَبْتَعِد ، ستَفِى بِمَا تَعِد ؛ وقدْ صارَ الغَدْرُ كالتَّحْجيل ، فى حِلْيَةِ هـذا الجيل ، فأرِحْنِى باللهِ مِنَ التَّعْذِيب ، وارْحَل إلى حَيْثُ يَعْوِى الذِّيب ؛ فاشْتَوَى الغُلامُ إليه ، وقَدِ استَوْلَى الخجَلُ عَلَيه ، وقال واللهِ مايَخِيس بالعَهْد ، غَيْرُ الخسيسِ الوَغْد ، ولا يَرِدُ غَدِيرَ الغَدْر ، إلا الوَضِيعُ القدْر ، ولوْ عرَفْتَ مَنْ أنا ، لما أسْمَعْتَنى الخنا ، لكِنَّكَ جَهِلْتَ فقلت ، وحَيْثُ وَجَبَ أنْ تَسْجُدَ بُلْت ، وما أقْبَحَ الغُرْبَةَ والإقْلال ، وأحْسَنَ قَوْلَ مَنْ قال :

إنَّ الغَريبَ الطَّويل الذَّيلِ مُمْتَهَنٌ ... فَكَيف حالُ غَريبٍ مالَهُ قُوتُ
لَكِنَّهُ ماتَشِينُ الحُرَّ مُوجِعَةٌ ... فالمِسْكُ يُسْحَقُ والكافُورُ مَفْتُوتُ
وطالما أُصْلِيَ الياقُوتُ جَمْرَ غَضًى ... ثم انْطَفَى الجَمْرُ والياقوتُ ياقوتُ

حتى يخرج فان هنا أثر قدميه فضحك الرجل منه وقال لا أطلب أثرا بعد عين فصار مثلا لمن ترك شيئاً حاصلا ثم تتبع أثره بعد فوت عينه (رضخت) أعطيت (العين) الدراهم والدنانير (الاخدعان) عرقان يقع عليهما المحجمتان وقيل هما فى صفحتى المنق قد خفيا وبطنا فلخفائهما يخدعان الحاجم (خزن) إمساك وحبس (اغرب) غب (والا) معناه وإلا صفعت عنقك (المين) الكذب (الحرمين) مكة والمدينة حرم الله تعالى بمكة وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (التلعة) مجرى المـاء من أعلى الوادى (أنظرنى) أخرنى (سعتى) غناى (جنى) ما يجنى منه (ضنى) مرض (التحجيل) بياض فى قوائم الفرس (حليه) صفة وزينة (الجيل) أهل العصر (استولى) غلب عليه الخجل (يخيس) يغدر وخاص الشيء تغير (الرغم) الرذل الساقط الخسيس الدنىء (الخنا) الفحش (الطويل الذيل) الـكثير المـال (تشين) تعيب (أصلى) أدخل النار (الياقوت) حجارة يتزين بها والنار لا تغيره ومما جاء فى معنى هذا الشعر :

إن الغريب ذليل حيثما سلكا ... لو أنه ملك كل الورى ملكا
إذا تغنى حمام الأيك فى غصن ... حن الغريب إلى أوطانه فبكى

آخر

وإذا حللت بدار قوم دارهم ... فلهم عليك تعزز الأوطان
فالشمس تشرق فى محلة كبشها ... وتكون منحطا مع الميزان

وقال الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم :

لا يشمتن حاسد إن نكبة عرضت ... فالدهر ليس على حال بمترك
فالحر كالتبر يلقى تحت منفعة ... طوراً وطوراً يرى تاجاً على ملك

وقال البحترى فى سعيد وقد حبس :

وما هذه الأيام إلا مراحل ... فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
وقد هذبتك النائبات وإنما ... صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك

وقال أبو بكر بن دريد :

لا تحقرن عالماً وإن خلقت ... أثوابه فى عيون رامقه
وانظر إليه بعين ذى خطر ... مهذب الرأى فى طرائقه
فالمسك إذا ما تراه ممتهنا ... بفر عطاره وساحقه
سوف تراه بعارضى ملك ... وموضع التاج من مفارقه

وقال ابن شماخ : نوائب غالبتنى فأبدت فضائلى ... فكانت وكنت النار والعنبر الوردا

وعلى لسان عود الطيب : إن مست النار جسمى ... أبديت طيب نسيمى
كالدهر إن غض يوما ... أبان فضل كريم

وسقط المتوكل على على بن الجهم فنفاه إلى خراسان وكتب أن يصلب إذا وردها يوما إلى الليل فلما وصل إلى الشاذياخ حبسه طاهر بن عبد الله ثم أخرجه فصلبه إلى الليل مجردا فقال :

لم يصلبوا بالشاذياخ عشية الاثنين مسبوقا ولا مجهولا
فصبوا بحمد الله ملء عيونهم ... شرفا وملء صدورهم تبجيلا
ما ازداد إلا رفعه وسعادة ... وازدادت الأعداء عنه نكولا
هل كان إلا الليث فارق غيله ... فرأيته فى محمل محمولا
ما عابه أن بز عنه لباسه ... كالسيف أفضل مايرى مسلولا

وقال فى الحبس . قالت حبست فقلت ليس بضائر ... حبسى وأى مهند لا يغمد
أوما رأيت الليث يألف غيله ... كبرا وأوباش السباع تصيد
فالشمس لولا أنها محجوبة ... عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار فى أحجارها مخبوءة ... لاتصطلى إن لم تثرها الأزند
والحبس إن لم تغشه لدنية ... شنعاء نعم المنزل المتورد
بيت يجدد للكريم كرامة ... ويزار فيه ولا يزور فيحمد
لو لم يكن فى الحبس إلا أنه ... لا تستذلك بالحجاب الأعبد

أخذ الأحوص أحد الأمراء بأمر الوليد بن عبد الملك لأنه كان يراود غلمانه فضربه مائة صوت وصب عليه الزيت وأوقفه فى الشمس وهو مع ذلك يقول :

فقال له الشَّيخُ يَا وَيْلَةَ أبك ، وعَوْلَةَ أهْلِيك ، أأنتَ فى مَوْقِفِ فَخْرٍ يُظهَرُ وحَسَبٍ يُشْهَرُ ، أمْ مَوْقِفِ جِلْدٍ يُكْشَطُ ، وَنَقًا يُشْرطُ ؛ وَهَبْ أنَّ لَكَ البَيْتَ ، كما ادَّعَيْت ، أيَحْصُلُ بِذَلِكَ حَجْمُ قَذَالِكَ ، لا وَاللهِ ولوْ أنَّ أبَاكَ أنَاف ، على عَبْدِ مَنَافٍ ، أو لِخَالِكَ دَانَ عَبْدُ المدَان

ما تعتريني من خطوب ملمة ... إلا تشرفني وترفع شاني

إني على ما قد علمت محسد ... أنمى على البغضاء والشنآن

فاذا تزول تزول عن متخمط ... تخشى بوادره على الأقران

إني إذا خفى اللئيم وجدتني ... كالشمس لا تخفى بكل مكان

(ياويلة أبيك) الويلة الفضيحة والويل الحزن (العولة) البكاء الشديد وأعول يعول إعوالا اذا رفع صوته وصاح (أهليك) جمع أهل (يكشط) يحلق شعره (هب) أى حسب وذكر فى الدرة أن خواص العراق يقولون هب أنى فعلت وهبه فعل كقول أبى ذهل :

هبونى امرأ منكم أضل بعيره ... له ذمة إن الذمام كبير

وهبنى أى عدنى واحسبنى فكأن فيه معنى الأمر من وهب ؛ انتهى ما قاله فى الدرة وقال هنا وهب أن لك البيت . وبيت القبيلة أشرف بخذ فيها (أناف) أشرف (عبد مناف) بن قصى هو بيت قريش وشريفها وهو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه المغيرة و كان يقال لعبد مناف القمر لجماله وبهائه ورفعة منزلته وسمى عبد مناف لأنه شرف وعلا وأناف على أشراف العرب و كانت الركاب تضرب اليه من أطراف الأرض يتحفونه تحف الملوك فيكرمهم و كان عنده لواء نزار وقوس إسمعيل وسقاية الحاج والمفاتيح ولما قسم والده المجد بين أولاده جعل السقاية والرياسة لعبد مناف والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى وجانبى الوادى لعبد بن قصى ؛ قال الشاعر :

كانت قريش بيضة فتفلقت ... فالمح خالصه لعبد مناف

ولما مات قصى رأس ابنه عبد مناف وجل قدره فأتته خزاعة وبنو الحرث بن كنانة يسألونه الحلف ليعزوا به فعقد معهم ؛ وأما شرف عقبة فلان منه بنى هاشم الذين فيهم النبوة والخلافة ومنه بنو أمية القادة فى الجاهلية وأهل الخلافة فى صدر الاسلام وقد قدمنا فى أخبار الشافعى أن فى عبد مناف يجتمع بنو هاشم وبنو أمية فلهؤلاء انتهى شرف مضر (بنو عبد المدان) فأشراف اليمن وبهم يضرب المثل فى الشرف والعزة وهو عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن مالك بن كعب بن الحرث بن كعب بن خالد بن بجيلة بن مذحج وقال لقيط بن زرارة :

شربت الخمر حتى خلت انى ... أبو قابوس أو عبد المدان

أمشى فى بنى عدس بن زيد ... رخى البال منطلق اللسان

وقال حسان رضى الله عنه :

وقد كنا نقول إذا رأينا ... لذى جسم يعد وذى بيان

فلا تضربْ فى حَدِيدٍ باردٍ ، وَلا تَطلُبْ مالَسْتَ له بواجِد ، وبَاهِ إذا بَاهَيْتَ بِمَوْجُودِك ، لا بِجُدُودِك ، وبِمَحْصُولِك ، لا بِأُصُولِكَ ، وَبِصِفاتِك ، لا بِرُفاتِك ، وبِأَعْلاقِك ، لا بِأَعْراقِك ، ولا تُطِعِ الطَّمَعَ فَيُذِلَّك ، ولا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّك ، ولِلّهِ القائل لابْنِه ،

كأنك أيها المعطى بيانا وجسما من بنى عبد المدان

وقالوا لحسان كنا ياأبا الوليد ونحن نطول بأجسامنا على العرب نرى لأنفسنا بذلك فضلا حتى قلت :

دعوا التخاجؤ وامشوا مشية سحجا إن الرجال أولو قد وتذكير

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير

فتركتنا لا نرى لأجسامنا فضلا ، وحكى الأصمعى أنه اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بسوق عكاظ وقدم أمية بن الأسكر الكنانى ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها فخطبها يزيد وعامر فقالت أم كلاب امرأة أمية من هذان الرجلان ؟ فعرفها أمية فقالت أعرف بنى الديان ولا أعرف عامرا قال هل سمعت بملاعب الأسنة قالت نعم فقال هذا ابن أختـــه فقال يزيد ياأمية أنا ابن الديان صاحب الكثيب ورئيس مذبح ومكلم العقاب ومن كان يصوب أصابعه فتنطف دما وراحته فتخرج ذهبا فقال أمية بخ بخ فقال عامر جدى الأجذم وعمى الأصم وخالى ملاعب الأسنة وأبى فارس قرزل فقال أمية بخ بخ مرعى ولا كالسعدان فارسلها مثلا فقال يزيد ياعامر هل تعلم شاعرا من قومى رحل بمدحة إلى رجل من قومك قال لا قال فهل تعلم ان شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومى قال اللهم نعم فنهض يزيد وهو يقول .

امى يابن الاسكر بن مدلج لا تجعلن هوازنا كمذحج

لاالنبع فى مغرسه كالعوسج ولا الصريح المحض كالممزج

(لا تضرب فى حديد بارد) هو مثل لمن يحاول الانتفاع بمن ليس عنده نفع وقال أبو الشمقمق يهجو سعيد بن مسلم :

هيهات تضرب فى حديد بارد إن كنت تطمع فى نوال سعيد

تالله لو ملك البحار بأسرها وأتاه مسلم فى زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهوره لأبى وقال تيمما بصعيد

وكذب عليه كان سعيد بن مسلم من أجود الناس (باه) أى فاخر (موجودك ومحصولك) ما تجده من المال ويحصل لك (رفاتك) عظام أجدادك البالية (الأعلاق) جمع علق وهو النفيس الرفيع من الزخائر (اعراقك) أصولك (لا تطمع الطمع فيذلك) ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم إنى أعوذبك من طمع حيث لا طمع وأعوذ بك من طمع يهدى إلى الطبع وقال النبى صلى الله عليه وسلم خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع وقال الحسن البصرى لبعض ولد على رضى الله عنهما ماملاك الدين قال الورع قال ماآفته قال الطمع (ولا تتبع الهوى فيضلك) : ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهو متبع وعجب كل ذى رأى برأيه ، وقال صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف على امتى الهوى

بُنَيَّ اسْتَقِمْ فالعُودُ تَنْمِي عُرُوقُهُ | قَوِيمًا وَيَغْشَاهُ إذا ما الْتَوى التَّوَى
ولا تُطِعِ الحِرْصَ المُذِلَّ وكُنْ فَتًى | إِذَا الْتَهَبَتْ أَحْشَاؤُهُ بالطَّوَى طَوَى
وعاصِ الهَوى المُرْدِي فكم من مُحَلِّقٍ | إلى النَّجْمِ لمَّا أَنْ أطاعَ الهَوى هَوَى
وأَسْعِفْ ذَوِي القُرْبَى فيَقْبُحُ أنْ يُرَى | عَلَى مَنْ إلى الحُرِّ اللُّبَابِ انْضَوَى ضَوَى
وحافِظْ على مَنْ لا يَخُونُ إذا نَبا | زَمانٌ ومَنْ يَرْعَى إذا ما النَّوَى نَوَى
وإنْ تَقْتَدِرْ فاصْفَحْ فلا خَيْرَ في امْرِئٍ | إذا اعْتَلَقَتْ أظْفَارُهُ بالشَّوَى شَوَى

وطول الأمل اما الهوى فيصد عن الحق واما طول الأمل فينسى الاخرة وقال بعضهم افضل الناس من عصى هواه وافضل منه من رفض دنياه (تنمى) تزيد (التوى) اعوج (التوى) الهلاك (القويم) المعتدل (التهبت) اشتعلت (الطوى) الجوع (طوى) اى طوى عليه ضلوعه وستره وقال أبو فراس

لا ارتضى ودا إذا هو لم يدم | عند الجفاء وقلة الانصاف
تعس الحريص وقلما يأتى به | عوضا من الالحاح والالحاف
إن الغنى هو الغنى بنفسه | ولو أنه عارى المناكب حافى
ما كل ما فوق البسيطة كافيا | فاذا قنعت فكل شيء كافى
وتعاف لى طمع الحريص فتوتى | ومروتى وقناعتى وعفافى
شيم عرفت بهن مذ أنا يافع | ولقد عرفت بمثلها اسلافى

(المردى) اى المهلك (المحلق) الطائر يستدير فى طيرانه (هوى) سقط (اسعف) اقض حوائجهم (اللباب) الخالص (انضوى) انقطع إلى جودك وتعلق به (نبا) ارتفع ولم يوافق (يرعى) يحفظ (النوى) البعد (نوى) اراده وقصده وقد قالوا خير الاخوان من أقبل عليك إذا ادبر الزمان (الشوى) القوائم ويقال لجلدة الرأس شوى (شوى) صنع شواء اولا دا النار يقول من اعتذر اليك من الاخوان فاعذره ولا تكن ممن إذا وقع على ذنب لصاحبه اخذه به ونزع جلدة رأسه فشواها وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل متنصل عذرا صادقا كان او كاذبا لم يرد على الحوض وقالوا المعترف بالذنب كمن لاذنب له واعتذر رجل إلى إبراهيم ابن المهدى فقال قد اغناك الله بالعذر عن الاعتذار واغنانا بحسن النية عن سوء الظن وقال الحسن بن وهب

ما احسن العفو من القادر | لا سيما عن غير ذى ناصر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى | فما له غيرك من غافر
اعوذ بالود الذى بيننا | ان تفسد الأول بالاخر

وقالوا ليس من العدل سرعة العذل وقال آخر:

اقبل معاذير من وافاك معتذرا | ابر فيما اتى من ذاك او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره | وقد اجلك من يعصيك مستترا

وإيّاكَ والشَّكْوَى فَلَمْ تَرَ ذَا نُهى شكا بلْ أخُو الجهْلِ الذى ما ارْعَوَى عَوَى

فقال الغُلامُ لِلنَّظَّارَةِ يا لَلعَجِيبَة ، والطُّرْفَةِ الغَرِيبَة ، أنفٌ فى السَّماء ؛ واسْتٌ فى الماء ، ولَفظٌ كالصَّهْباء ، وفِعْل كالحَصْبَاء ، ثم أقْبَلَ على الشَّيْخِ بِلِسانٍ سَلِيط ، وغَيْظ مُسْتَشِيط ، وقال أفٍّ لَكَ مِنْ صَوَّاغٍ باللِّسان ، رَوَّاغٍ عَن الاحْسَان ، تَأمُرُ بالبِرِّ ، وَتَعُقُّ عُقوقَ الهِرِّ ،

وهبنى مسيئا كالذى قلت ظالما فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل
فان لم اكن للعفو عندك للذى أتيت به أهلا فأنت له أهل

الأحنف : رب ملوم لاذنب له آخر : لعل له عذرا وأنت تلوم ، آخر

إذا اعذر الجانى محا العذر ذنبه وكل امرىء لايقبل العذر مذنب

وقال محمد بن سليم لابن السماك بلغنى عنك شىء كرهته فقال إذا لا ابالى قال لم قال لأنه ان كان حقا غفرته وإن كان باطلا لم تقبله وقالوا فى ترك الاعتذار

إذا كان وجه العذر ليس يبين فان اطراح العذر خير من العذر

(الشكوى) أى المشتكى إلى الناس بالضر (نهى) عقل (ارعوى) رجع وارعوى عن القبيح كف عنه وحسن رجوعه ونزوعه عنه من الرعوى وهى حسن المراجعة والنزوع عن الجهل . الفراء وابن سيده : عوى الفصيل الفصيل والكلب إذا صاح فمد صوته قال الشاعر

بها الذئب محزونا كأن عواءه عواء فصيل آخر الليل محثل

المحثل السىء الغدار واذا دعا الرجل الناس الى الفتنة فقد عوى واستعوى وسمعت عوة القوم أى اصواتهم وجلبتهم قاله الأصمعى وابو زيد يقول بل اخو الجهل الذى عوى بالشكاية وقت ارعوائه اى رجوعه عنك والمعنى كلما غاب عنك تشكى وما مع الفعل مصدرية وظرف الزمان محذوف اى وقت ارعوائه كقوله تعالى ما دامت السموات والأرض اى مدة دوامها يريد ان العاقل يحتمل ضر الزمان ولا يشتكى والجاهل الذى متى رجع عن التشكى لم يرجع رجوعا حسنا بل يعوى بالتشكى عواء الذئب (الطرفة الغربية) اى التى لم ير مثلها (الصهباء) الخمر (الحصباء) الحجارة (سليط) اى متساط (مستشيط) منتشر فى الشر ملتهب فى الغضب (صواغ) كذاب وصاغ الكذب صنعه . راغ مال اليه من حيث لا يعلم وراغ إلى أهله رجع فى الخفاء (رواغ) ميال وفرار فى خفية (تعق) تقطع (عقوق الهرة) انها تاكل أولادها ، وحكى الأصمعى فى كتاب أفعل من كذا يقال اعق من ضب قال ارادوا ضبة فكثر الكلام بها فقالوا ضب وعقوقها انها تاكل اولادها وذلك ان الضبة إذا باضت حرست بيضتها من كل ما قدرت عليه من ورل وحية وغير ذلك فاذا خرجت اولادها من بيضتها ظنتها شيأ يريد بيضها فوثبت عليه تقتله فلا ينجو منها الا الشديد قال وهذا موضوع قد وضعته العرب فى موضعه واتت بعلته ثم جاءت إلى ما هو فى العقوق مثل الضبة فضربت به المثل على الضد فقالوا ابر من هرة وهى أيضا تاكل أولادها فحين سئلوا عن الفرق وجهوا اكل الهرة أولادها إلى شدة الحب فلم ياتوا بحجة مقنعة وقال الشاعر

فإنْ يَـكُنْ سَبَبُ تَعَنُّتِكَ ؛ نَفاقَ صَنْعَتِكَ ، فَرَماها اللهُ بالـكَساد ، وإفْسادِ الحُسَّادِ ، حتى تُرَى أفْرَغَ مِنَ حَجَّامِ ساباط ، وأضيَقَ رِزْقاً مِنْ سَمِّ الخياط ، فقال لهُ الشَّيْخُ بَلْ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكَ بَثْرَ الفَم ، وتَبَيُّغَ الدَّم ، حتى تُلجَأَ إلى حَجَّامٍ عَظِيمِ الاشْتِطاط ، ثقيلِ الاشْتِراط كَـلِيلِ المِشْراط ، كَثِيرِ المخاطِ والضُّراط ، قال فلما تَبَيَّن الفَتى أنَّه يَشْـكُو إلى غَيرِ مُصَمَّتٍ ، ويُراوِدُ اسْتِفْتاحَ بابٍ مُصْمَت ، أضْرَبَ عَنْ رَجْعِ الـكَلامِ واحتَفَزَ للقيا ، وَعلِمَ الشَّيْخُ أنَّه قد ألام ، بِمـا أسْمَعَ الغُلام ، فجَنَحَ إلى سِلْمِهِ ، وبَذَلَ أنْ يُذعِنَ لِحُكْمِه ، ولا يَبْغِي أجْراً على حَجْمِه ، وأبَى الغُلامُ إلَّا المَشْي بِدائه ؛ والهَرَبَ مِنْ لِقائه ، وما زالا فى حِجاجٍ وسِبابٍ ، ولِزازٍ وجِذاب ، إلى أنْ ضَجَّ الفَتى مِنَ الشِّقاق ، وَتَلا رُدْنُهُ سُورَةَ الانْشِقاق ، فأعْوَلَ حِينَئِذٍ لوَفارَةِ خُسْرِه ، وانعِطاطِ عِرْضِهِ وطِمْرِه ، وأخَذَ الشَّيْخُ يَعْتَذِرُ مِنْ فَرَطاتِه ؛ ويُغيضُ مِنْ عَبَراتِه ، وهْوَ لا يُصْغَى إلى اعْتِذاره ، ولا يُقَصِّرُ عَنِ اسْتِعْبارِه ، إلى أن قال له فَداكَ عَمُّكَ ، وَعَداكَ ما يَغُمُّكَ ، أمَا تَسْأمُ الاعْوال ، أمَا تَعْرِفُ الاحْتِمال ، أما سَمِعْتَ بِمَنْ أقال ، وأخَذَ بِقَولِ مَنْ قال :

أخْمِدْ بِحِلْمِكَ ما يُذْكِيهِ ذُو سَفَهٍ من نارِ غَيظِكَ وَاصْفَحْ إنْ جَنَى جاني

أما ترى الدهر وهذا الورى كـهرة تأكل أولادها

واختصم إلى شريح فى ولد هرة فقال شريح ألقه مع هذه فان هى قرت ودرت واسبطرت فهولها وإن هى هرت وفرت واقشعرت فليس لها ؛ اسبطرت اضطجعت وهرت كهرت من هرير الـكلب واقشعر الجلد قامت شعوره (تعنتك) طلب مشقتك والتعنت طلب الزلة وتعنته ادخل عليه الأذى إذا سأله عن شيء ارادبه اللبس والمشقة عليه (سم الخياط) ثقب الابرة (بثر) خراج صغار ويقال بثر الجرح إذا خرجت به أورام صغار فيريد به سيلان الدم عن الأكل وغيره (تبيغ) هيجان وتبيع دمه هاج عليه (تلجأ) تحوج (الاشتطاط) مجاوزة القدر (كليل) حاف (يزاول) يعالج (مصمت) مغلق (احتفز) تهيأ وتشمر (ألام) أتى بمايلام عليه قال الشاعر : ـــ ومن يخذل اخاه فقد الاما ـ (جنح) مال (سلمه) صلحه (بذل أن يذعن) أى أعطى الانقياد من نفسه (يبغى أجراً) يطلب أجرة (فى حجاج وسباب) أى فى لحة وشتم (الزاز) ملازمة للخصومة وخصم لزاز ملز اى لا يفارق للخصومة (جذاب) مضاربة وجذب كل واحد منهما بثوب صاحبه (ضج) صاح (تلا ردنه) أى قرأكه وجعل صوت التخريق كأنه قراءة (أعول) بكى (وفارة خسره) اى كمال خسرانه (انعطاط) عرضه وطمره أى تمزيق عرضه بالشتم وثوبه بالتحريق والطمر الثوب الخلق (فرطاته) بوادره وما سبق من إذايته (يغيض) يذهب وينقص (عبراته) دموعه (يصغى) يستمع (يقصر) يكف (استعباره) بكائه (عداك) تجاوزك (يغمك) يغطى قلبك بالهم (تسأم) تمل (الاعوال) البكاء (الاحتمال) التسامح والصبر على الاذية (أقال) غفر الذنب (أخمد) أطفىء وسكن (يذكيه) يوقده (سفه) جهل (اصفح) أظهر كرمك (جنى) اوقع بك جناية (الجانى)

فالحِلْمُ أفضَلُ ما ازْدانَ اللَّبيبُ به   والأَخْذُ بالعَفْوِ أحْلَى ماجَنَى جانى

فقال له الغُلام: أمَا إنّكَ لو ظَهرْتَ على عَيْشِى المُنْكَدِر، لَعذَرْتَ فى دَمْعِى المُنْهمِر؛ ولكِنْ هانَ على الأمْلَسِ مالَاقى الدَّبِر، ثم كأنَّهُ نزَعَ إلى الاسْتِحْياء، فأقْلعَ عنِ البُكاء، وفاءَ إلى الارْعِواء، وقال للشَّيخِ: قد صِرْتُ إلى ماالتَهيت، فارْقعْ ماأوْهيْتَ، فقال هَيْهات شَغَلتَ شِعابى جَدْواى، فَشِمْ بارِقَ سِواى، ثم إنهُ نَهضَ يَسْتَقْرِى الصُّفُوفِ، ويَسْتَجْدِى الوُقُوف،

فاعلها (الحلم) العقل والصبر على المضرات (اذ دان) افتعل من الزين أى تزين به (اللبيب) العاقل (العفو) غفر الذنب (جنى) قطف الثمر وهذان البيتان من بدائع مزدوجاته التى نبها على انها من فائق شعره وسبقه سابق البربرى الى معناهما بقوله

لا تظهرن لذى جهل معاتبة   فربما هيجت بالشىء اشياء
فالماء يخمد حر النار يطفئها   وليس للجهل غير الحلم اطفاء
ترى السفيه له عن كل محلمه   زيغ وفيه إلى التسفيه اصغاء

وقال ابن فراس

ماكنت مذكنت الاطوع اخوانى   ليست مؤاخذة الاخوان من شانى
يجنى الصديق فأستحلى جنايته   حتى ادل على عفوى واحسانى
ويتبع الذنب ذنبا حين يعرفنى   عمدا فأتبع غفرانا بغفران
يجنى على فاعفو صافحا ابدا   لاشىء احسن من حان على جانى

وذكر الحريرى هذين البيتين والمقطوعة قبلهما وجنس فيهما بين لفظ القافيه واللفظ قبله ومما جاء من ذلك وهو أضبط مما ذكر قول الشاعر

قدم لنفسك زادا   وأنت مالك مالك
من قبل أن تتفانى   ولون حالك حالك
ولست تعلم يوما   أى المسالك شالك
إما لجنة عدن   أو فى المهلك هالك

وقال آخر:

مالك من مالك إلا الذى   قدمت فابذل طائعا مالكا
تقول أعمالى ولو فتشوا   وجدت أعمالك أعمى لكا

وقالت للمعتمد جارية له لقد هنا هنافقال.

قالت لقد هنا هنا   مولاى أين جاهنا
قلت لها إلى هنا   صيرنا الهنا

(المنكدر) أى المتغير والكدرة ضد الصفاء (المنهمر) السائل (أقلع) ارتفع وزال (فاء) رجع (الارعواء) الاستحياء والرجوع الحسن (أوهيت) افسدت (شم) انظر (يستقرى) يتتبع (يستجدى) يطلب الجدا وهو

وَيُنشِدُ فى ضِمْنِ ماهُو يَطُوف :

أُقسِمُ بالبَيْتِ الحرامِ الذى ... تَهوِى إليه الزُّمَرُ المُحْرِمَة
لوْ أنَّ عِندى قُوتَ يومٍ لَمَا ... مَسَّتْ يَدِى المِشْراطَ والمِحجَمه
ولا ارْتضتْ نَفسى التى لم تزلْ ... تَسْمُوا إلى المجدِ بهذى السِّمَه
ولا اشْتَكى هذا الفتى غلظةً ... مِنِّى ولا شاكَتْه مِنّى حُمَه
لكِنْ صُرُوفُ الدَّهْرِ غادرتنى ... كخابطٍ فى اللَّيْلةِ المظلمَه
واضطرَّنى الفقرُ إلى موقفٍ ... من دُونِه خَوْضُ اللَّظَى المضْرمَه
فهــــلْ فتىً تُدْرِكُهُ رِقّةٌ ... علىَّ أو تَعْطِفُه مَرْحَمَـــــه

قال الحارثُ بنُ همَّام : فَكُنْتُ أوَّلَ مَنْ أَوَى لِبَلْواه ؛ وَرَقَّ لِشَكْواه ، فَنَفَحْتُهُ بِدِرْهَمَيْن ، وقلتُ لا كَانا ولا كَانَ ذامين ، فابْتهجَ بباكُورةِ جَناه ، وتفاءَلَ بهِمَا لِغناه ، ولم تزلِ الدراهمُ .

العطية (فى ضمن) فى اثناء وفى خلال (تهوى) تسرع المشى وتتساقط اليه (الزمر) الجماعات (المحرمة) الداخلة فى الحرم (تسمو) ترتفع (المجد) الشرف (السمة) العلامة (غلظة) جفاء (شاكته) ضربته (حمة) شوكة العقرب التى تلسع بها والحمة السم فسمى ما يخرج عنه السم باسمه (صروف) نوائب (غادرتنى) تركتنى (خابط) ماش على جهالة (اضطرنى) الجائى (خوض اللظى) دخول النار (المضرمة) الموقدة (رقة) شفقة (تعطه) تلينه (مرحمة) رحمة (أوى) أشفق (نفحته) رميته ونبذته (ذامين) صاحب كذب (ابتهج) فرح (باكورة) أول مايطيب من الشجر فجعل الدرهمين باكورة لأنهما أول ما أخذ (تفاءل) جعلهما فألا أى لما كان أول ماحصل بايديهما درهمين استكثرهما فرجا أن تتمشى عطايا الحاضرين على هذا المثال وقد كررت ذكر الفأل ونذكر هنا منه فصلا على ما أجرينا العادة فى غيره .. كان صلى الله عليه وسلم يكره الطيرة ويعجبه الفأل الحسن ولما قدم المدينة نزل على رجل من الأنصار فصاح الرجل بغلمانه ياسالم يايسار فقال صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار فى يسر وقيل لرجل من العرب مالكم تسمون أبناءكم باسماء السباع والكلاب وتسمون مواليكم بأسماء حسان مثل عطاء ونجاح فقال لأنا أعددنا أبناءنا لاعدائنا وموالينا لأنفسنا وسأل عمر رضى الله عنه رجلا عن اسمه واسم أبيه فقال ظالم بن سراق قال تظلم أنت ويسرق أبوك وجاء رجل فقال له ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال وأين تسكن قال بحرة النار قال بأيها قال بذات لظى قال أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع فوجدهم احترقوا فكان كما قال ، الفنجديهى بسنده : حدثنى أحمد بن على حدثنى أبو مسعود قال قال لى أبو داود السنجى ما اسمك قلت سعد قال ابن من قلت ابن مسعدة قال أبو من قلت أبو مسعود قال لى مسئلتك مثل أعرابى لقى آخر فقال ما اسمك قال فيض فقال ابن من قال ابن الفرات قال أبو من قال أبو بحر قال ليس لنا أن نكلمك إلا فى زورق . وقال على بن الجهم دخلت يوما على المتوكل وهو جالس فى صحن داره وبيده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر :

تَنْهَالُ عليه ، وتَنْثَالُ لَدَيْهِ حتى آلَ ذَاعِيشَةٍ خَضْراء ، وحَقِيبَةٍ بَجْراء ، فازْدَهَاهُ الفَرَحُ عند ذلك ، وهَنَّأَ نَفْسَهُ بِما هُنالِك ، وقال للغُلامِ هذا رَيْعٌ أنتَ بَذْرُهُ ، وَحَلَبٌ لَكَ شَطْرُه ، فَهَلُمَّ لِنَقْتَسِم ، وَلا تَحْتَشِم ؛ فَتَقاسَماهُ بينهما شِقَّ الأُبْلُمَة ؛ وَنَهَضْنا مُتَفِقِي الكَلِمَة ، ولمَّا انْتَظَمَ بينهما عِقْدُ الاصْطِلاح ، وَهَمَّ الشَّيْخُ بالرَّواح ، قلتُ قَدْ تَبَوَّغَ دَمِي ، وَنَقَلْتُ إليكَ قَدَمِي ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَحْجُمَنِي ، وَتُكَفْكِفَ مادَهَمَني ، فَصَوَّبَ طَرْفَهُ فِيَّ وصَعَّد ، ثم ازْدَلَفَ إليَّ وأنشد :

كَيْفَ رَأَيْتَ خُدْعَتِي وخَتْلي ... وَما جَرَى بَيْنِي وَبينَ سَخْلي

حتى انْثَنَيْتُ فائِزًا بالخَصْلِ ... أَرْعَى رِياضَ الخِصْبِ بعدَ المَحْلِ

باللهِ يامُهْجَةَ قَلْبِي قُلْ لِي ... هَلْ أَبْصَرَتْ عَيْناكَ قَطُّ مِثْلي

يَفْتَحُ بالرُّقْيَةِ كُلَّ قُفْلِ ... وَيَسْتَبِي بالسِّحْرِ كُلَّ عَقْلِ

وَيَعْجِنُ الجِدَّ بِماءِ الهَزْلِ ... إنْ يَكُنِ الإسْكَنْدَرِيُّ قَبْلي

فالطَّلُّ قد يَبْدُو أَمامَ الوَبْلِ ... والفَضْلُ للوابِلِ لا للطَّلِّ

قال فَنَبَّهَتْنِي أُرْجوزَتُهُ عليه ، وأَرَتْنِي أَنَّهُ شَيْخُنَا المُشارُ إليه ، فَقَرَّعْتُهُ على الابْتِذال ، والالْتِحاقِ بالأَرْذال ،

بالشط لى سكن أفديه من سكن ... أهدى من الآس لى غصنين فى غصن

فقلت إذ نظما الفين وانتسقا ... سقيا ورعيا الفال منكما حسن

فالآس لا شك آس من تشوقنا ... شاف وآس تبقى لى على الزمن

بشر تمانى بأسباب ستجمعنا ... إن شاء ربى ومهما يقضه يكن

ثم قال لى وكدت أنشق حسد المن هذا الشعر ياعلى فقلت للحسين بن الضحاك ياسيدى فقال هو والله عندى أشعرهم وأحسنهم مذهبا وأظرفهم نمطا فقلت وقد زاد غيظى فى هذا النمط يا سيدى قال وفى غيره وإن رغم أنفك ومت حسدا وأردت إنشاده قصيدة فقلت إنى لا أنتفع بها مع ما جرى فأخرتها إلى وقت آخر (تنهال) أى تنصب متفرقة (آل) رجع (خضراء) ناعمة لكثرة الرزق (حقيبة بجراء) اى وعاء ممتلىء والابجر الذى خرجت سرته (ازدهاه) هزه وأعجبه (الريع) الزيادة والفضل (البذر) ما يزرع من الحبوب (حلب) لبن (شطره) نصفه (تحتشم) تستحى أو تغضب (الابلمة) الدومة تشق ورقتها فتخرج ابدا معتدلة (تكفكف) تدفع وتكف (دهمنى) أصابنى (ازدلف) قرب (ختلى) مكرى (سخلى) ولدى (الخصل) الغلب فى القمار وفى مسابقة الخيل وفى مراماة السهام (يستبى) يأخذ ويسى وقد تقدم فى شرح الصدر التنبيه على هذا الموضع (الطل) أضعف المطر (الوبل) أشده (قرعته) أقلقته بكثرة اللوم وباخذى له بلسانى (الابتذال) امتهان نفسه فى الصنعة الهجينة (الارذال) الأدنياء فاراد عنفته ولمته أشد اللوم على حرفة الحجامة فإنها صنعة أرذال الناس وسفلتهم . ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بعضها لبعض أكفاء قبيلة لقبيلة وحى لحى ورجل

لرجل والموالى أكفاء الاحائكا أو حجاما ، وقال على بن الحسين أربعة أعمال كانت فى سفل بنى إسرائيل وصات فى سفل العبيد وستكون فى سفل الأحرار الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة . رفاعة بن موسى : سمعت الصادق يقول ست لاينجبون الملاح المكارى والحمامى والحجام والبيطار والحائك وممن شهر من الأدباء بصنعة هجينة نصر بن محمد الخابزرزى كانت صنعته خبز الأرز فى دكانه بمربد البصرة فكان ينشد أشعاره على الغزل والناس يزدحمون عليه واحداث البصرة يتنافسون فى ميله اليهم وكان ابن لنكك على ارتفاع قدره ينتاب دكانه فحضره يوما وعليه ثياب بيض فاخرة فتأذى بالدكان من الدخان وسوء أثره على ثيابه فانصرف وكتب اليه :

لنصر فى فؤادى فرط حب ... ينيف به على كل الصحاب
أتينا فبخرنا بخـــورا ... من السعف المدخن بالتهاب
فقمت مبادرا وحسبت نصرا ... يريد بذاك طردى أو ذهابى
وقال متى أراك أبا حسين ... فقلت له إذا تسخت ثيابى

فلما قرأت عليه أملى على من قرأها وكتب على ظاهرها :

منحت أبا الحسين صميم ودى ... فخاطبنى بألفاظ عـذاب
أتى وثيابه كبياض شيب ... فعدن له غربان الشباب
وبغضى للمشيب أعد عندى ... سوادا لونه لون الخضاب
فان يكن المطر فيه فخر ... فلم يكن الوصى أبا تراب .

ومن شعره :

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما ... بأحسن من مولى تمشى إلى العبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لى ... أصونك عن تعذيب قلبك بالوعد
فما زال نجم الكاس بينى وبينه ... يدور بأفلاك السعادة والسعد

وله :

ورد الخدود ورمان النهود وأغصان القدود تصيد السادة الصيدا
من لى اذا مارأيت الخصر مختصرا ... والردف مرتدفا والقد مقدودا

كان يحيى السرقطى أديبا فرجع إلى الجزارين فأمر الحاجب ابن هود أبا الفضل بن حميد أن يوبخه على ذلك فكتب اليه :

تركت الشعر من عدم الاصابه ... وملت إلى الجزارة والقصابه

فاجابه يحى :

تعيب على مألوف القصابه ... ومن لم يدر قدر الشىء عابه
ولو أحكمت منها بعض فن ... لما استبدلت عنها بالحجابه
وإنك لو اطلعت على يوما ... وحولى من بنى كلب عصابه
لها لك ما رأيت وقلت هذا ... هزبر صير الأوضام غابه
فتكنا فى بنى العنزى فتكا ... أقر الذعر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثورى حتى ... مزجنا بالدم القانى لعابه

فأعْرَضَ عمَّا سَمِعَ ، ولم يُبَلْ بِمَا قُرِعَ ، وَقال : كلُّ الحِذاءُ يَحْتَذِى الحافِى الوَقِع ، ثم قاصانِى مُقاصاةَ المُهان ، وانْطَلَقَ هو وابنُهُ كَفرَسَىْ رِهان ،

ومن يعتز منهم بامتناع فان إلى صوارمنا إيابه
ويبرز واحدا منا لألف فيغلبهم وتلك من الغرابه
وحقك ماتركت الشعر حتى رأيت البخل قد أمضى شهابه
وحتى زرت مشتاقا حميمى فأبدلنى التجهم والكآبه
وظن زيارتى لطلاب شىء فأقصانى وأغلظ لى حجابه

(لم يبل) أصله يبالى حذفت ياؤه للجزم فصار يبال فلما كثر استعماله صار بمنزلة ما لم يحذف منه شىء فقدروا تكرير الجازم عليه مرة أخرى لحذفت حركة اللام للجزم فسكنت اللام وقبلها ألف ساكنة لحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، ولأبى على فى هذه المسألة عبارة استوحش منها أكثر العلماء فمن مخطىء ومن مصوب وتحقيقها غائب إلا عن أهل التحقيق وقد أوضحناها فى شرحنا لكتاب الايضاح ، والاكثار من مسائل الاعراب فى كتب الآداب مما يستبرد ويعاب (اعرض) أى نحى وجهه لجهة (قاصانى) فارقنى وقال الفراء كل شىء أبنته من شىء فقد قصيته منه وتقصى الرجل من الرجل بان عنه وكل رجل باين شيئا فقد تقصى عنه . الليث رحمه الله : كل شىء لازم خلصته فقد تقصى وتقصيت من الديون خرجت منها (فرسى رهان) هما اللذان يجريان ويجعل معهما جعل فمن سبق أخذه ومما استحسن من أبيات اللغز فى هذا الباب قولهم فى المشارط :

وخضراء لامن بنات الهديل يلفف بالسير منقارها
كأن مشق عيون القطا إذا هن هو من آثارها

آخر :

وكان جدى هراش فى كتابته من أكتب الناس ياهرون بالألف

يعنى آثار التشريط تبقى كصور الألفات وقال آخر :

يا ابن من يكتب فى الأر قاب من غير دواة
لم يكن يكتب فيها غير خط الألفات

وقال ابن كناسة يخاطب ابراهيم بن سيابة :

يا ابن الذى عاش غير مضطهد يرحمه الله أيما رجل
له رقاب الملوك خاضعة من بين حاف منهم ومنتعل
أبوك أو هى للنجاد كاهله كم من كمى أدمى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه لم يمس من ساره على وجل
فى كفه صارم يقلبه يقد أعناق سادة نبل

واخذ صاحب الشرطة رجلا فى ريبة فقال أصلحك الله احفظ فى الأبوة وقال :

أنا ابن الذى لاتنزل الدهر قدره وإن نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره فهم قيـــام حولها وقعود

فأمر بتركه ثم أخبر أن أباه باقلانى فقال لو لم نتركه الا لأدبه وحسن تخلصه من الكذب لكان فعلنا سدادا وكان بالمدينة فتى أبوه مغن وأمه نائحة فأغضبه إنسان فقال أتغضبنى وأناابن الطرب والحرب. وقال ابن عباس المصرى يذكر غلاما جميلا والحجام يأخذ من شعره فى الحمام :

مزين انـــبرى لظبى كأنه البدر فى سجونه
كان موساه وهو لمـا نضى بهـا الشعر فى وقوفه
كيوان فى كفـه حسام يخلص البدر من كسوفه

ولبعضهم يمدح حجاما : إن المزين إنسان صناعته تعلو الصنائع إذا مامثلها صنعت
ألا ترى أنه لايستراب به وآلة الموت فى صندوقه جمعت
يخلو مع الملك المرهوب جانبه فيما اليه ضرورات الأمور دعت
تعلو أنامله فى حـين خلوته مواضعا لو علتها غيرها قطعت

وقال السرى فى مزين محسن :

هل الحذق إلا لعبد الكريم حوى فضله حادثا عن قديم
إذا لمع البرق فى كفه أفاض على الرأس ماء النعيم
جهول الحسام ولكنه يروح ويغدو بكفى عليم
له راحـة سـيرها راحة تمر على الرأس مر النسيم
نعمنا بخـدمته مـذ نشا فنحن به فى نعيم مقيم

وله فى طبيب : أوضح نهج الطب فى معشر مازال فيهم دارس الرسم
كأنه من لطف أفكاره يجول بـين الدم واللحم
إن غضبت روح على جسمها ألف بين الروح والجسم

وفى ضده لأبى نصر كشاجم :

عيسى الطبيب ترفق فأنت طوفان نوح
يأبى علاجك إلا فراق جسمى وروحى
شتان ما بين عيسى وبين عيسى المسيح
فذاك محيى ممات وذا مميت الصحيح

وللخوارزمى : أبو سعيد راحل للكرام ومنسف ينسف عمر الأنام
لم أره إلا خشيت الردى وقلت ياروحى عليك السلام
يبقى ويفنى الناس من شؤمه قوموا انظروا كيف نجاة اللئام
ثم تراه آمنا سالما ياملك الموت إلى كم تنام

وللسرى : هل للعليل سوى ابن قرة شاف بعد الإله وهل له من كاف

فكأنه عيسى بن مريم ناطقا   يهب الحياة بأيسر الأوصاف
مثلث له قارورتى فرأى بها   ما اكنن بين جوانحى وشغافى
يبدو له الداء الخفى كما بدا   للعين رضراض الغدير الصافى

وكثرة الكلام وقف على أهل الحجامة ولذلك صرف الحريرى بين الشيخ وابنه ما تقدم فى هذه المقامة وكان الفقيه الاعمش أكثر الناس تبرما إن أعادأحد عليه سؤالا انتهره وأخطأيوما على قوم فقالت لهما امرأته من وراء الستر احملوا عنه فو الله ما يمنعه من الحج منذ ثلاثين سنة إلا مخافة أن يظلم كريه أو يشتم رفيقه وكثر عليه الشعر فقال له تلامذته لو أخذت من شعرك فقال لانجد حجاما يسكت قالوا له نأتيك به ونأخذ عليه أن يسكت حتى يفرغ قال افعلوا فأتى بحجام ووصى أن لايكلمه فبدأ بحلقه فلما أمعن سأله فى مسألة فنفض ثيابه وقام بنصف رأسه محلوقا حتى دخل بيته فأخرج الحجام وأتى بغيره فقال والله لاأخرج اليه حتى توصوه وتحلفوه لحلف، أن لايسأله فى شىء وحينئذ خرج اليه ..ومقامة الحجام فى البديعية منها قال عيسى ابن هشام فطلبت حجاما فجاؤا برجل نظيف ظريف لطيف فارتحت اليه وسلمت عليه فقال لى السلام عليك من أى بلد أنت فقلت من مصر فقال لى حياك الله من أرض النعمة والرفاهية وبلد السنة والجماعة ولقد حضرت فى رمضان جامعها وقد اشتعلت المصابيح وأقيمت التراويح فما شعرنا إلا بمد النيل قد أتى على تلك القناديل لكن صنع الله لى بخف كنت لبسته رطبا فلم يحصل طرازه على كمه وعاد الصبى إلى أمه بعد أن صليت العتمة واعتدل الظل ولكن كيف كان حجك قضيت مناسكه كما وجب وصاح الصبيان العجب العجب فنظرت إلى المنارة وما أهون الحرب عند النظارة ووجدت الهريسة على حالها فعلمت أن الأمر بقضاء ؛ وفدوا إلى منى اليوم وغدا السبت والأحد ، ولم أكثر وأطيل وما أكثر القال والقيل وإن أردت أن تعلم المبرد حديد الموسى فى النحو فلا تشتغل بقوله العادة فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لحقت رأسك فهل ترى ياسيدى أن أبتدى قال عيسى فبقيت والله متعجبا من هذيانه وسألت عنه فاذا هو أبو الفتح قد غلب السواد عليه فتركته وانصرفت . . فهذه غرارة حجام على الحقيقة .

تفسير لبعض ما فى المقامة بقلم الحريرى

قال الشيخ الإمام الرئيس أبو محمد القاسم بن على رضى الله عنه : قد أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من أمثال العرب وها أنا أفسر منها ما اخاله يلتبس على من يقتبس (بطء فند) هو مولى عائشة بنت سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد من فوره مصر وأقام بها سنة ثم جاءها بعد السنة وهو يشتد ومعه جمر فتبددمنه فقال تعست العجلة (ذات النحيين) هى امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات بن جبير الأنصارى ليبتاعهما منها ففتح أحدهما وذاقه ودفعه اليها فأخذته باحدى يديها ثم فتح الآخر وذاقه فدفعه اليها فأمسكته بيدها الأخرى ثم غشيها وهى لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت له هنأك فضرب بها المثل فيمن شغل ، وهى فى هذا المثل مفعوله لأنها شغلت وأكثر الأفعال التى على أفعل تأتى من فعل الفاعل (أنف فى السماء

واست فى الماء) يضرب هذا المثل لمن يكبر سقالا ويصعر فعالا (أفرغ من حجام ساباط) ذكر أنه كان حجاما ملازما ساباط المدائن يحجم الجندى بدانق نسيئه وربما مرت عليه برهه لا يقربه فيها أحد فكان يبرز أمه عند تمادى عطلته فيحجمها لكيلا يقرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى نزف دمها وماتت (يشكو إلى غير مصمت) هو مثل يضرب لمن لايكترث بشأن صاحبه ولا يعبأ باستمرار شكايته لأنه لو أشكاه لصمت وأمسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملا له :

إنك لاتشكو إلى مصمت   فاصبر على الحمل الثقل أومت

ونحو هذا المثل « هان على الاملس مالاقى الدبر » (شغلت شعابى جداوى) المراد به أنه ليس يفضل عنى ما أصرفه إلى غيرى والشعاب هى النواحى واحدها شعب (كل لحذاء يحتذى الحاف الوقع) معناه أن المجهود يقنع بما يجد والوقع أن تصيب الحجارة القدم فتوهنها فأما البعير الموقع فهو الذى يكثر آثار الدبر بظهره .

المقامة الثامنة والأربعون الحرامية

روى الحارثُ بنُ همَّامٍ عن أبي زيدٍ السَّروجي قال: مازلتُ مُذْ رحلتُ عَنْسي، وارتحلتُ عن عِرْسي وغَرْسي، أحنّ إلى عِيانِ البَصْرة، حنينَ المظلومِ إلى النُصرة، لما أجمعَ عليه أربابُ الدِّراية، وأصحابُ الرواية، مِنْ خصائصِ معالِمِها وعلمائِها، ومآثرِ مشاهدِها وشُهدائِها، وأسألُ اللهَ أنْ يُوطئني ثَرَاها، لأفوزَ بمرآها، وأنْ يُمطيني قَراها، لأقتري قُراها، فلما أحلّنيها الحظ وسرح لي فيها اللحظ، رأيتُ بها ما يملأُ العينَ قُرّة، ويُسلي عن الأوطانِ كلّ غريب) فغلَسْتُ في بعضِ الأيّام، حينَ نَصَلَ خِضابُ الظَّلام وهَتَفَ أبو المنذرِ بالنُّوّام

شرح المقامة

(رحلت) أي شددت عليها الرحل والرحل سرج الناقة (العنس) الناقة القوية شبهت بالعنس وهى الصخرة لصلابتها قال الليث اذا تم سن الناقة واشتدت قوتها وصلبت عظامها وأعضاؤها فهى عنس (عرسى) زوجتى (غرسى) أولادى (أحن) أشتاق (عيان) معاينة ومشاهدة (خصائص) مايختص به من الفضائل (معالمها) مواضعها المشهورة (المآثر) الفضائل والمكارم والمأثرة الفضيلة يخص بها (مشاهدها) مواضع اجتماع أهلها (يوطئنى ثراها) يجعلنى أطؤها وأمشى عليها وأوطأه الشيء أمكنه من أن يطأه (الثرى) التراب الندى (مرآها) منظرها (يمطينى قراها) يركبنى ظهرها (اقترى) أتتبع (أحلنيها) أنزلنيها (الحظ) السعد (اللحظ) العين (قرة) سرور (يسلى) يشغل (غلست) خرجت فى الغلس وهى ظلمة آخر الليل (نصل) زال (هتف) صاح (أبو المنذر) كنية الديك ويكنى أبا سليمان .. أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبو الديك فانه يوقظ للصلاة .. أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم الديكة تصيح فانها رأت ملكا فاسألوا الله من فضله وإذا سمعتم نهيق الحمير فانها رأت شيطانا فاستعيذوا بالله من الشطان الرجيم وقال صلى الله عليه وسلم الديك الأبيض صديق وإنه يحرس دار صاحبه وسبع دور وكأن مستمعه فى البيت .. وقال ابن المعتز يصف ديكا:

بشر بالصبح طائر هتفا ... هاج من الليل بعد ما انتصفا
مذكر بالصباح صاح بنا ... كخاطب فوق منبر وقفا
صفق إما ارتياحة لسنا الفجر ... وإما على الدجى أسفا
وصاح فوق الجدار مشترفا ... كمثل طرف علاه أسوار
ثم غدا يسأل الفرات عن الارزاق ... منه ثغر ومنقار
رافع رأس طورا وخافضه ... كأنما العرف منه منشار

لأخطوَ فى خَطَطها ، وأقضِيَ الوطَرَ مَن توَسّطها ، فأدّانى الاختِراقُ فى مَسالِكها والانصِلاتُ فى سِككها ؛ إلى مَحَلّةٍ مَوْسُومَةٍ بالاحْترام ، مَنْسُوبَةٍ إلى بَنى حَرام ؛ ذَاتِ مَساجِدَ مَشْهُودَة ، وحِياضٍ مَوْرُودَة ، ومَبانٍ وثيقَة ، ومَغانٍ أنيقة ، وخَصائِصَ أثيرَة ، ومَزايَا كَثِيرَة :

بِها ماشِئْتُ من دِينٍ ودُنيا | وجيرانٍ تنافَوْا فى المَعانى
فمَشْغوفٌ بآياتِ المَثانى | ومَفْتونٌ برَنّاتِ المَثانى
ومُضطَلِعٌ بتَلْخِيصِ المَعانى | ومُطّلِعٌ إلى تَخْلِيصِ عانى
وكم من قارِئٍ فيها وقارٍ | أضرّا بالجُفونِ وبالجِفانِ
وَكم من مَعْلَمٍ للعِلْمِ فيها | ونادٍ للنّدَى حُلْوِ المَجانى
ومَغْنًى لاتزَالُ تُغَنّ فيه | أغارِيدُ الغَوانى وَالأغانى
فَصِلْ إنْ شِئْتَ فيها مَنْ يُصَلّى | وإمّا شِئْتَ فادْنُ مِنَ الدِّنانِ

وقال الأسعد بن بليط :

وقام بها بنعي الدجى ذو شقيقة | يدير إلينا بين أجفانه سقطا
إذا صاح أصغى سمعه لأذانه | وبادر ضربا من قوادمه الابطا
ومهما اطمأنت نفسه قام صارخا | على خيزران نيط من صفره خطا
كان أنو شروان اعلاه تاجه | ناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاووس حسن لباسه | ولم يكفه حتى سبى مشية البطا

(أخطو) أى أمشى (خططها) طرقها (الوطر) الحاجة (توسطها) المشى فى وسطها (ادانى) أوصلنى (الاختراق) المشى واخترقت البلدة إذا قطعت ارضها بالمشى والاختراق المرور والسلوك (المسالك) الطرق والاتصلات الخروج بسرعة من زقاق إلى آخر وانصلت السيف خرج بسرعة (سككها) أزقتها الواحدة سكة وسميت سكة لاصطفاف الدور فيها ويقال للطريق المستوية المصطفة من النخل سكة (محلة) منزلة (موسومة) معلمة (الاحترام) الامتناع (حياض) جمع حوض (موروده) مقصودة للشرب (مغان) منازل (أنيقة) معجبة حسنة (أثيرة) منتشرة لكثرتها (مزايا) جمع مزية وهى الفضيلة يختص بها الشيء (تنافوا) تباعدوا (مشغوف) مولع شديد الحب (المثانى) أم القرآن وقيل السبع الطوال من أول القرآن (رنات) أصوات (المثانى) أوتار عود الغناء (مضطلع) قوى (التلخيص) تهذيب الشيء وتخليص فوائده وكأنه مقلوب التخليص (تخليص عان) افتكاك اسير (قارىء) عابد مكثر لقراءة القرآن (قار) مطعم للضيف (الجفون) العيون (الجفان) صحاف الطعام يريد أن هذا أضر بجفونه بكثرة النظر فى الورق قارئا مافيها وهذا بجفانه لأطعام فيها (مغنى) منزل (تغن) تصوت (اغاريد) اصوات (الغوانى) جمع غانية وهى المرأة الجميله (الاغانى) جمع أغنيه وهى ما يتغنى به (الدنان) خوابى الخمر (دونك) اى الزم (الاكياس) أهل الفطنة والتدبير

وَدُونَكَ صُحْبَةَ الأَكْيَاسِ فيها   أو الكَاسَاتِ مُنطَلِقَ العِنَانِ

قال: فَبَيْنَما أَنَا أَنْفُضُ طُرُقَهَا، وأَسْتَشِفُّ رَوْنَقَهَا، إذْ لَمَحتُ عِنْدَ دُلُوكِ بَرَاحِ، وَإِظْلَالِ الرَّوَاحِ، مَسْجِدًا مُشْتَهِرًا بِطَرَائِفِه، مُزْدَهِرًا بِطَوَائِفِه، وَقَدْ أَجْرَى أَهْلُهُ ذِكْرَ حُرُوفِ البَدَلِ، وجَرَوْا فى حَلْبَةِ الجَدَلِ فَعُجْتُ نَحْوَهُمْ، لأَسْتَمْطِرَ نَوْءَهُمْ، لا لأَقْتَبِسَ نَحْوَهُمْ، فلم يَكُ إلَّا كَقَبْسَةِ العَجْلَانِ، حتى ارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ بالأَذَانِ، ثم رَدِفَ التَّأْذِينَ بُرُوزُ الإمَامِ، فَأَغْمَدْتُ ظُبَى الكَلَامِ، وحُلَّتِ الحُبَى لِلقِيَامِ، وشُغِلْنَا بالقُنُوتِ؛ عَنِ اسْتِمْدَادِ القُوتِ؛ ، وبالسُّجُودِ، عَنِ اسْتِنْزَالِ الجُودِ، ولما قُضِىَ الفَرْضُ، وكَادَ الجَمْعُ يَنْفَضّ، انْبَرَى مِنَ الجَمَاعَةِ، كَهْلٌ حُلْوُ البَرَاعَةِ؛ له مَعَ السَّمْتِ الحَسَنِ، ذَلَاقَةَ اللَّسَنِ، وفَصَاحَةُ الحَسَن، وقَالَ يَاجِيرَتِى، الذينَ اصْطَفَيْتُهُمْ على أَغْصَانِ شَجَرَتِى، وَجَعَلْتُ خِطَّتَهُمْ دَارَ هِجْرَتِى، واتَّخَذْتُهُمْ كَرِشِى

(منطلق العنان) مسيب مسرح (انفض طرقها) اى أمشى بها وحدى يقال جاء فلان ينفض الطرق إذا جاء وحده وقالت الجهنية:

يرد المياه حضيرة ونفيضة   ورد القطاة إذا اسمأل التبع

الحضيرة الذى يحضر معه غيره وجمعه الحضائر والتبع الظل واسمأل نقص ويقال أيضا نفض نفض المكان واستنفضه إذا نظر جميع مافيه حتى يعرفه (استشف) استقصى النظر (رونقها) حسنها (لمحت) نظرت (دلوك براح) زوال الشمس وبراح من اسمائها مبنى على الكسر. عبد الله بن مسعود: دلوكها غروبها، أبو عبيدة دلوك الشمس زوالها وميلها وهو قول ابن عباس الأزهرى وهذا القول أصح عندى وقيل دلوكها من زوالها إلى غروبها، ويدلك هذا الوصف على أن البصرة من نهاية العظم والكبر على جانب عظيم لأنه زعم أنه خرج فى الغلس وبقى يمشى فى أزقتها إلى الظهر ويقال أنها فى آخر الدولة الأمويه كسرت فوجد فى طولها فرسخان وفى عرضها فرسخ وخمسة أسداس فرسخ (اظلال) أى دنو وقرب (طرائفه) عجائبه وغرائبه (مزدهرا) مضيئا بحلق الفضلاء والعلماء (طوائفه) جماعاته (حروف الابدال) يجمعها طال يوم انجدته (الحلبة) جماعة الخيل فى الطلق تجرى ليختبره عتيقها من هجينها (الجدل) الخصام (عجت) ملت (استمطر نوءهم) اطلب معروفهم والنوء طلوع نجم من المنازل وسقوط آخر يقابله (اقتبس) آخذ (قبسة العجلان) اخذه القبس وهو شعلة من نار يقتبسها من معظم النار (ردف) تبع وجاء بعده قال تعالى ردف لكم اى جاء بعدكم وأردفت الرجل اى جئت بعده، ابن الأعرابى: ردفت الرجل وأردفته ولحقته وألحقته بمعنى واحد (القنوت) الطاعة وهو ايضا طول القيام فى الصلاة. ابن الانبارى: القنوت وهو الاستنزال (ينفض) يتفرق (انبرى) ظهر وقام بسرعة (كهل) تام الخلق (السمت) الوقار (ذلاقة) حدة (اللسن) حده اللسان وتقدم الحسن فى الأربعين (اصطفيتهم) اخترتهم (اغصان شجرتى) بنى عمى وقرابتى وأولادى (خطتهم) بلدتهم والمهاجر عند العرب المستقبل من البادية إلى الحاضرة (دار هجرتى) موضع سكناى الذى هاجرت اليه (كرشى) أهلى

وعَيْبَتى ؛ وأعْدَدْتُهمْ لِمَحْضَرِى وغَيْبَتى ، أَمَا تَعلَمُونَ أَنَّ لَبُوسَ الصِّدْقِ أبْهَى المَلَابسِ الفَاخِرَةِ ، وأَنَّ فُضُوحَ الدُّنيَا أهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ ، وأَنَّ الدِّينَ إمْحَاضُ النَّصِيحَةِ ، وَالإرْشَادَ عُنْوَانُ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وأَنَّ المُسْتَشَارَ مُؤْتَمَن

(عيبتى) خاصتى الذين انفرد بهم وعيبة الرجل موضع سره وكرشه عياله والعيبة وعاء يجعل فيه المتاع والكرش مثلها والكرش الجماعة من الناس والكرش أيضا لكل مجتر من البهائم بمنزلة المعدة من الإنسان فساق الكرش والعيبة على جهة المثل وانهم موضع سره ، وقال صلى الله عليه وسلم الأنصار كرشى وعيبتى ، قيل موضع سرى وقيل مدادى لأن ذات الكرش تستمد من كرشها (الفضوح) والفضيحة الشهرة (المحاض) إخلاص (الإرشاد) الهداية (عنوان العقيدة) دليل البواطن والمعتقدات (المستشار) الذى تستشيره فى رأيك (مؤتمن)قد أمن على الأسرار والنفوس لا يخون فيها وقال صلى الله عليه وسلم ما ندم من استشار ولا شقى من استخار وقال بشار :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن ... برأى نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فان الخوافى رافدات القوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها ... وما خير سيف لم يويد بقائم
وخل الهوينى للضعيف ولاتكن مه ... نؤوما فإن الدهر ليس بنائم
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة ... شبا الحرب خير من قبول المظالم

وهى قصيدة طويلة قالها فى إبراهيم بن عبد الله فلما قتل صرفها إلى المنصور فى أبى مسلم وكان بشار يقول المشاور على إحدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته وخطأ يشارك فى مكروهه .. وقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الأمر لما فى ذلك من الائتلاف وهو أغنى الناس عن المشورة .. وقال ابن المعتز :

تجاوز عن إساءة الدهر كل دهر ... وصاحب يوم حادثة بصبر
وإن نابتك نائبة فشاور ... فكم حمد المشاور غب أمر
وقسم هم نفسك فى نفوس ... ولا تنفردن بطول فكر
إذا كظ الفرات بماء مد ... أغص به حلاقم كل نهر

وقال عيسى بن على مازال المنصور يشاور فى أمره حتى قال فيه ابن هرمة :

إذا ما أراد الأمر ناجى ضميره ... فناجى ضميرا غير مختلف العقل
ولم يترك الأدنين فى كل أمره ... اذا اختلفت بالأضعفين قوى الحبل

وأنشد الجاحظ: ليت هندا أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة ... انما العاجز من لا يستبد

ثم قال : ولا أعلم الموصوف بالاستبداد إلا مجهلا مذموما ، والمثل السائر على الأفواه :

وما العجز إلا أن تشاور عاجزا ... وما العزم إلا أن تهم وتفعلا

وقال سعد ناشب: إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وَالْمُسْتَرْشِدَ بِالنُّصْحِ قَمِن، وَأَنَّ أَخَاكَ هُوَ الذى عَذَلَكَ، لا الذى عَذَرَك، وَصَدِيقَكَ مَنْ صَدَقَكَ لا مَنْ صَدَّقَكَ، فقالَ له الحاضِرُونَ أَيُّهَا الخِلُّ الوَدُود، وَالخِدْنِ المَوْدُود، مَا سِرُّ كلامِكَ المُلغز، وما شَرحُ خِطَابِكَ المُوجز، وَمَا الذى تَبْغِيهِ منَّا لِيُنجز، فوالذى حَبَانَا بمَحَبَّتِكَ وجَعَلَنَا مِنْ صَفْوَةِ أَحِبَّتِكَ، ما نَأْلُوكَ وَلَا نَدَّخِرُ عَنْكَ نُضحا، فقال جُزِيتُمْ خَيْرًا، وَوُقِيتُمْ ضَيْرًا، فإِنَّكُمْ مِمَّنْ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيس، ولا يَصْدُرُ عَنْهُمْ تَلبِيس؛ ولا يَخِيبُ فيهم مَظْنُون، ولا يُطوَى دُونَهُمْ مَكْنُون

ولم يستشر فى رأيه غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

وقال ابن رشيق فى ادب قوله تعالى وشاورهم فى الأمر:

أشاور أقواما لآخذ رأيهم فيلوون عنى أعينا وخدودا
وليس برأيى حاجة غير أننى أؤنسه كى لا يكون وحيدا
ولا أنا ممن يبعث السهم راميا الى غرض حتى يكون سديدا
فلا يتهم عقلى الرجال فإننى أعرفهم أنى خلقت ودودا

وأنشد الحريرى بيتى بشار فى درة الغواص على أن أقوال الخواص مشهورة بوزن مفعله خطأ وإنما هى مشهورة بوزن معونة ومثوبة مثل مكرمة من الصحيح فنقلت حركة الواو إلى ما قبلها فسكنت واختلف فى اشتقاقها فقيل هو من شرت العسل أشوره إذا جنيته فكأن المستشير يجنى الرأى من المشير وقيل من شرت الدابة اذا أجريتها مقبلة ومدبرة لتختبرها والاشتقاقان متقاربان (المسترشد) السائل أن يرشد (قمن) حقيق (عذلك) لامك (صدقك) قال الصدق كأنه أراد أن الصديق انما سمى صديقا لصدقه لصاحبه يريد أن أخاك هو الذى يلومك ويقبح لك سوء فعلك ومن حسن لك وعذرك فى ذلك فليس بصديق ولا أخ مثل ماحكى الأصمعى قال سمعت أعرابيا يقول لأخ له اعلم إن مناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ومثل لك الأحوال المخوفة وخلط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته لكى يكون خوفك كفء رجائك شكرك ازاء النعمة عليك وإن الغاش لهواك والحاطب عليك من مد لك فى الاغترار ووطأ لك مهاد الظلم تابعا لمرضاتك منقادا لهواك .. وقال الشاعر لا يقبل النصح:

إذا ما هديت امرأ مخطئا أضل السبيل إلى قصده
فلم تلفه سامعا قابلا فحسن له المشى فى ضده

(الخل) الخليل (الودود) الصاحب الكثير الود (الخدن المودود) الصديق المحبوب (الملغز) المبهم الخفى (الموجز) المختصر (تبغيه) تطلبه (لينجز) ليفعل فى الحين (حبانا) اختصنا (صفوة) خيار (نألوك نصحا) نقصر فى نصيحتك (تدخر) نرفع ونخبأ (نضحا) عطية ندفعها لك مأخوذ من النضح وهو الشرب القليل دون الرى والنضح أيضا الرش بالماء (وقيتم ضيرا) كفيتم الضر (يصدر) يرجع (تلبيس) التباس وتخليط (لايخيب فيهم مظنون) أى ما ظن فيهم من النصح والمعاونة موجودة فيهم غير مفقودة (مكنون) مستور (يطوى) يحجب

وسأُبثُّكم ما حاكَ في صَدْري، وَأستفتيكُم فيما عِيلَ فيه صَبْري، اعْلَموا أني كُنْتُ عند صُلودِ الزَّنْدِ، وَصُدُود الجدّ، أخلَصْتُ معَ اللهِ نِيَّةَ العَقْدِ وَأَعْطَيتُهُ صَفْقَةَ العَهْدِ، عَلَى أَنْ لا أَسْبأَ مُداما، ولا أُعاقِرَ نَدامَى، ولا أَخْتَسِي قَهْوَة، ولا أَكْتَسِي نَشْوَة، فَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي المُضِلَّة، والشَهْوَةُ المُذِلَّةُ المُزِلَّةِ، أَنْ نَادَمْتُ الأَبطَال، وعاطَيْتُ الأَرطَال

ويستتر (ابثكم) أنشر لكم واظهر (حاك فى صدرى) أثر فيه واحتك به (عيل) غلب وعالنى الشىء عولا غلبنى وثقل على (صلود الزند) هو أن لا يسمح بالنار (صدود الجد) اعراض السعد يريد الأيام التى كنت فيها فقيرا (العقد) كانت العرب إذا عاهد الرجل صاحبه عقد أصابعه ثم صارت المعاهدة باللسان تسمى عقدا وكان أحدهم يربط رسن بعيره بخباء من يستجير به أو يرسل حبله فى البئر مع حبله فيشبكه به وكان هذا كله عندهم عقدا لا يسلم المستجار به لمستجيره إلا لمن يسلم ولده وقال حبيب :

بلى لقد سلفت فى جاهليتهم　　للحق ليس كحق حرمة عجب

أن يعلق الدلو بالدلو الغريبة أو　　يلامس الطنب المستحصد الطنب

(الصفقة) ضربة يد المشترى على يد البائع (أسبأ) اشترى (مداما) خمرا (اكتسى نشوة) أظهر سكرة (سولت) زينت وحسنت (المضلة) المحيرة (الأبطال) فرسان الخلاعة للسن (الأرطال) هى أربعة وقال فى ذلك :

سألت أخى أبا عيسى　　وجبريل له فضل

فقلت الخمر تعجبنى　　فقال كثيرها قتل

فقلت له فقدر لى　　فقال وقوله فصل

وجدت طبائع الإنسا　　ن أربعة هى الأصل

فاربعة لأربعة　　لكل طبيعة رطل

يذكر هذا الرجل أنه تاب من شرب المسكر وعاهد الله أن لا يشرب خمرا ثم ارتد ورجع لخلاعته .. ومثل حالته هذه حالة أبى محمد البصرى كان تاب وحج فلما قفل راجعا بداله فى شرب الخمر فقال :

ألا يا هند قد قضيت حجى　　فهات شرابك العطر العجيبا

فقد ذهبت ذنوبى بالليالى　　فقومى الآن نقترف الذنوبا

خلطنا ماء زمزم فى حشانا　　بماء المزن فامتزجا قريبا

وكان أبو القاسم المغربى قد نسك زمانا ولبس الصوف وترهب وحج فعشق غلاما تركيا وهام به وتقلد الوزارة ببغداد وغيرها وانتهى فى الجاه إلى الغاية وتملك الأحرار واشترى الغلام التركى وقال :

تبدل من مرقعة ونسك　　بأنواع الممسك والشفوف

وعن له غلام ليس يحوى　　هواه ولا رضاه بلبس صوف

وَأَضَعْتُ الوَقَار ، وارْتَضَعْتُ العُقَار ؛ وَامْتَطَيْتُ مَطَا الكُمَيت ، وتَنَاسَيْتُ التَّوْبَةَ تَنَاسِى المَيْت ، ثم لم أَقنَعْ بهاتيكُم المَرَّة ؛ فى طَاعَةِ أبى مُرَّة

فعاد أشد ما كان انتهاكا   كذاك الدهر مختلف الصروف

وقال أيضاً :

يا أهل مصر قد عاد ناسككم   بالكرخ بعد التقى إلى الفتك
خمش قلبي مقرطق غنج   قد بد قلبي به من النسك
رمى فؤادى بسهم مقلته   وكيف يخطى مولد الترك

وقال كشاجم:

يقولون تب والكأس فى كف شادن   وصوت المثانى والمثالث عالى
فقلت لهم لو كنت أزمعت توبة   وأبصرت هذا كله لبدالى

وقال الحسن :

كيف النزوع عن الصبا والكاس   قس ذالنا ياصاحبى بقياس
قالوا كبرت فقلت ماكبرت يدى   عن أن تسير إلى فمى بالكاس
والراح طيبة وليس تمامها   إلا بطيب خلائق الجلاس
وكأن شاربها لفرط شعاعها   بالليل يقرع فى سنى مقباس
وإذا نزعت عن الغواية فليكن   لله ذاك النزع لا للناس

(أضعت الوقار) يريد أنه ضيع وقاره فى مجلس اللهو وقد تقدم قوله :

وأصفى السرور إذاما الوقور   أماط ستور الحيا وأطرح

(العقار) الخمر لأنها عاقرت الدن أى لازمته أو لأنها تعقر شاربها بثقل السكر (امتطيت) ركبت (مط الكميت) ظهر الخمر وورى بفرس أراد أنه اعتكف على شربها وسميت كميتا لأنها حمراء إلى الكمتة (أبو مرة كنية ابليس وقد تقدم وقال الحسن :

نمت وابليس إلى الصبح فى   كل الذى يؤثمنى خصم
رأيته فى الجو مستعليا   ثم هوى يتبعه نجم
فقال لى لما هوى مرحبا   بتائب يتبعه وهم
هل لك فى غيداء ممكورة   يرتج منها كفل ضخم
فقلت لا قال فنى أغيد   ذى غنة يجرحه اللثم
لست أبا مرة إن لم تعد   فان ذا من فعلك الغشم

وقال فيه وذكر أنه قاد له غلاما :

دب له ابليس فاقتاده   والشيخ نفاع على لعنته
عجبت من ابليس فى كبره   وخبث ما أضمر من نيته
تاه على آدم فى سجدة   وصار قوادا لذريته

وقال سليمان بن الإعمى فى الوليد أخى صريع الغوانى :

حتى عَكَفْت عَلَى الخَنْدَرِيس ، فى يَوْمِ الخَمِيس ؛ وَبِتُّ صَرِيعَ الصَّهْبَاء ، فى اللَّيْلَةِ الغَرَّاء ، وهَا أنَا بَادِى الكَآبَة لِرَفْضِ الإِنَابَة ، نَامِى النَّدَامَةِ ، لوَصْلِ المدَامَةِ ، شَدِيدُ الإِشْفَاق ؛ مِنْ نَقْضِ المِيثَاقِ مُعْتَرِفٌ بِالإِسْرَاف فى عَبِّ السُّلافِ

يأبى السجود له من فرط نخوته　　وقد تحول فى مسلاح قواد

وقال ابن رشيف يشكر ابليس :

رأيت ابليس من مرءوته　　لكل مالا يطاق محتملا
إذا هويت امرأ وأعجزنى　　جاء به فى الظلام معتقلا
تبذلا منه فى حوائجنا　　ولا يزال الكريم مبتذلا

وقال أيضا يلعنه :

أرى الشيخ ابليس ذا علة　　فلا برىء الشيخ من علته
يقود على الحب مستيقظا　　ويأتيك فى الليل فى صورته
فيؤتيك ماشاء من نفسه　　ويبلغ ماشاء من لذته
ومن كان ذا حيلة هكذا　　تمثل المرء فى يقظته
فلا تدخروا دونه لعنة　　لأن رضا الله فى لنتعه

(عكفت) أى أقمت ولازمت (الخندريس) الخمر القديمة .. وإنما ذكر يوم الخميس لأنه يوم تعرض فيه الأعمال على الله تعالى وإقدام العبد على الذنوب وقت العرض على الله تعالى أكبر خطرا (الصهباء) التى عصرت من عنب أبيض .. الأصمعى : هى التى تضرب إلى البياض من أبيض عصرت أو من غيره (صريعها) الذى صرعته بالسكر يريد أنه بات سكران مطروحا ، وقال أبو العلاء بن زهر فى سكارى :

وموسدين على الاكف خدودهم　　قد غالها شرب الصبوح وغالنى
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم　　حتى سكرت ونالهم ما نالنى
والخمر تعرف كيف تأخذ ثارها　　إلى أملت إناءها فأمالنى

(الغراء) ليلة الجمعة (رفض الإنابة) طرح التوبة والرجوع (نامى الندامة) كثير الندم (بادى الكابة) ظاهر الانكسار والحزن وسوء الحال (المدام والمدامة) الخمر سميت بذلك لأنها أديمت فى ظرفها (الاشفاق) الخوف (نقض الميثاق) حل العهد (الاسراف) الاكثار (عب) حسو ، والعب أن يتابع الرجل الجرعة بعد الجرعة بغير تنفس (السلاف) الخمر العتيقه والسلاف والسلافة ما سال منها من غير أن تعصر وهى أفضل الخمر قال الأعشى : ببابل لم تعصر فجاءت سلافة　　تخالط قنديدا ومسكا مختما

القنديد : الخمر تطبخ ويجعل فيها أفاويه طيب ، ونذكر هنا جملة من المقاطيع فى الخمريات نجعلها خاتمة ماقيل فى الخمر . . عزم الواثق على الصبوح فقال للحسين بن الضحاك اكتب إلى الفتح بن خاقان تدعه إلى الصبوح وكان قد برىء من مرض فكتب إليه

لما اصطبحت وعين اللهو ترمقنى　　قد لاح لى باكر فى ثوب لذته

ناديت فتحا وبشرت المدام به   لما تخلص من مكروه علته
ذب الفتى عن حريم راح مكرمة   إذا رآها امرؤ ضدا لخلقته
فاجعل الينا وعجل بالسرور لنا   وخالس الدهر فى أوقات غفلته

فسار واصطبح معه ، وقال الحسين بن الضحاك دخلت عل الحسن بن سهل فى فصل الخريف وقد جاء الوسمى من المطر برش حسن واليوم فى أحسن منظر وأطيبه وهو جالس على سرير آبنوس وعليه قبة فوقها طارقه ديباج أصفر تشرف على بستان وعلى رأسه غلام كالدينار فسلمت عليه فرد على السلام ونظر إلى كالمستنطق فقلت :

ألست ترى ديمة تهطل   وهذا صباحك مستقبل
وهذا المدام وقد راعنا   بطلعته الشادن الأكحل
فعاد بنا وبه سكرة   تهون مكروه ماتسأل
فانى رايت له طرة   تخبرنى انه يفعل
وقد أشكل العيش فى يومنا   فيا حبذا عيشنا المشكل

فقال : العيش مشكل فما ترى قلت مبادرة القصف وتقريب الألف قال على شرط أن تبيت قلت لك الوفاء على أن يكون هذا الواقف على رأسك يسقينى فضحك وقال ذلك لك على ما فيه ثم دعا بالطعام والشراب ففقدت الغلام ساعة ثم جاء من الحمام فقلت :

جرده الحمام عن درة   تلوح فيها عكن بضة
كأنما الرشح على خده   طل على تفاحة غضة
ياليته زودنى قبلة   أولا فمن جنته عضة

فقال الحسن قد عمل فيك النبيذ فقلت

سقيانى وصرفا بنت حولين قرقفا
واسقيا الاهيف الغريـ   ـر سقى الله أهيفا
بأبى ما جر السريـ   ـرة يبدى تعطفا
فاذا رمت ذاك منـ   ـه تأبى وعنفا
فاذا هب للنـا   م فقوما وخففا

فتغاضب الغلام فذهب ثم عاد وقال أقبل على شرابك ثم ناولني قدحا والحسن قد خرج فشربت وأعطانى نقلا فقلت اجعل بدله قبلة فأبى فقال له فرج غلام الحسن : بحياتى يا بنى اسعفه بماطلب فضحك ثم دنا منى كأنه يعطينها نقلا وتغافل فاختلست منه قبلة فقال هى حرام فقلت :

هون الأمر عليه لى فرج   بتأبيه فسقيا لفرج
وبنفسى نفس من قال وقد   كان ماكان حرام وحرج

ثم اشتهر الصبح فخرجت ثم عدت للحسن من غد فقال كيف مبيتك ياحسين فقلت :

تألفنى طيف ظبى الحرم   فواصلنى بعد ما قد صرم
فغض الجفون على غفلة   وأعرض إعراضة المحتشم

فما زلت ابسطـــه مازحا وأفرط فى اللهو حتى ابتسم
وحكمنى الريم فى نفسه بشىء ولـكنه مكتتم

فقال يافاسق أظن ما ادعيته فى النوم كان فى اليقظة وأصلح الأشياء بنا أن نرحض العار عن أنفسنا بهبته لك نخذه لا بارك الله لك فيه فاخذته وانصرفت ، وقد تقدم فى هذا الـكتاب من كلام الحسين ما يفوق به كل شاعر وهو قائل :

أجرنى فانى قد ظمئت إلى الوعد متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيذك من خلف الملوك وقد ترى تقطع أنفاسى عليك من الوجد
أيبخل فرد الحسن عنى بنائل قليل وقد افردته بهوى فرد

وهذا منتهى ما أوردته للحسين من العجائب ، دخل على بن الجهم على عبد الله بن طاهر فى غدوة الربيع وفى السماء غيم رقيق والمطر يجىء قليلا ويسكن قليلا فغاضبته جارية له فانتقض عزمه فخبر ابن الجهم بذلك فاراد تنشيطه فدخل عليه فأنشده :

أما ترى اليوم ما احلى شمائله صحو وغيم وإبراق وإرعاد
كانه أنت يا من لا شبيه له وصل وهجر وتغريب وإبعاد
فباكر الراح واشربها معتقة لم يدخر مثلها كسرى ولا عاد
واشرب على الروض إذ لاحت زخارفه زهر ونور واوراق واوراد
كأنما يومنا فعل الحبيب بنا بذل وبخل وإيعاد وميعاد
وليس يذهب عنى كل فعلكم على ورشد وإصلاح وإفساد

فأستحسنها وامر له بثلثمائة دينار وحمله وخلع عليه ، وقال على ايضاً :

الورد يضحك والأوتار تصطخب والناى يندب احيانا وينتحب
والراح تعرض فى يوم الربيع كما تجلى العروس عليها الدر والذهب
وكلما انسكبت فى الكاس آونة حسبت أن شعاع الشمس ينسكب

وقد مر من كلام ابن الجهم كل بديع فى نظمه رفيع . وآخر شعر قاله وهو أحسن ما قيل فى معناه :

يارحمة للغريب فى البـــلد النا زح ما ذا بنفسه صنعـــا
فارق أحبابه فمـــا انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعـــا
يقول فى نأيه وغربته عدل من الله كل ماصنعا

وكان هجاء لعلى بن أبى طالب وسمعه يوماً ابو العيناء يطعن على على فقال له أنا أدرى لم تطعن على على أمير المؤمنين قال اتعنى قصة بيعة اهلى قال لاانت اوضع من ذلك ولكن لأنه قتل الفاعل فعل قوم لوط وانت اسفلهما ، وقال البحترى فيه :

إذا ما حصلت عليا قريش فلا فى العير انت ولا فى النفير
ولو أعطاك ربك ما تمنى لزاد الخلق فى عظم الأيور

علام هجوت مجتهدا عليا ... بما لفقت من كذب وزور
أمالك فى استك الوجعاء شغل ... يكف أذاك عن أهل القبور

وقال ابن القناص كاتب سيف الدولة :

قم فاسقنى بين خفق الناى والعود ... ولا تبع طيب موحود بمفقود
كاساً إذا أبصرت فى القوم محتشما ... قال السرور له قم غير مطرود
نحن الشهود وخفق الناى خاطبنا ... يزوج ابن سحاب بنت عنقود

وقال المصحفى : صفراء تطرق فى الزجاج فان سرت ... فى الجسم دبت مثل صل اللادغ
خفيت على شرابها فكأنهم ... يجدون ريا فى إناء فارغ

إدريس بن اليمانى: ثقلت زجاجات أتتنا فرغا ... حتى إذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت ... إن الجسوم تخف بالارواح

ابن المعتز : وندمان سقين الرياح صرفا ... وأفق الليل مرتفع السجوف
صفت وصفت زجاجتها فأضحت ... كمعنى دق فى ذهن لطيف

وله وهو مما يتصل بأبيات الديك المتقدمة .

فأشرب عقارا كأنها قبس ... قد سبك الدهر تبرها فصفا
ترى الندامى الابريق من دمها ... كأنه راعف وما رعفا

ولبعضهم : ما زال يشربها وتشرب عقله ... خبلا وتؤذن روحه برواح
حتى انثنى متوسدا بيمينه ... سكرا وأسلم روحه للرواح

وقال النظام : مازلت آخذ روح الزق فى لطف ... وأستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولى روحان فى جسدى ... والزق مطرح جسم بلا روح

أخذه أحسن أخذ من بشار حيث قال :

شربنا من فؤاد الزق حتى ... تركنا الزق ليس له فؤاد

وقال ديك الجن : وقم أنت فاحث كأسا غير صاغر ... ولا تسق مطبوخا وأسق عقارها
فقام تكاد الكاس تخضب كفه ... وتحسبه من وجنتيه استعارها
موردة من كف ظبى كأنما ... تناولها من خده فأدارها
فظلنا بايدينا نتعتع روحها ... فتأخذ من أقدامنا الراح ثارها

وقال حبيب : وكأس كمعسول اللماء شربتها ... ولكنها أجلت وقد شربت عقلى
إذا عوتبت بالماء كان اعتذارها ... لهيبا كوقع النار بالحطب الجزل
إذا اليد نالتها بوتر توقدت ... على ظعنها ثم استقادت من الرجل

وقال الحسن : وصفراء قبل المزج بيضاء بعده ... كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها ... وتحسر حتى ما تقل جفونها

فَيَا قَوْمِ هَلْ كَفَّارَةٌ تَعْرِفُونَهَا ... تُبَاعِدُ من ذَنْبي وتُدْنِي إلى رَبِّي

كأن يواقيتا رواكد حولها ... وزرق سنانير تدير عيونها

وللخوارزمى :
وصفراء كالدينار بنت ثلاثة ... شمال وانهار ودهر محرم
مسرة محزون ورعد معربد ... وكنز مجوسى وفتنة مسلم
يطوف بها ظبي يريد عيوننا ... على عينه من شرط يحيى بن أكثم

وقال مسلم بن الوليد :
إبرقينا سلب الغزالة جيدها ... وحكى المدير بمقلتيه غزالا
يسقيك من عينيه كأس صبابة ... ويعيدها من كفه جريالا

وقال أبو دلامة :
سقانى أبو بشر من الراح شربة ... لها لذة ما ذقتها بشراب
وما طبخوها غير أن غلامهم ... مشى فى نواحى كرمها بشهاب

ولما أنشدها على بن الخليل صاح أحرقها العبد أحرقه الله ... كان ابن لنكك أسرع الناس سكرا فقال فى ذلك:

فديتك لو علمت يبعض ما بى ... لما جرعتنى إلا بمسعط
فحسبك أن كرما فى جوارى ... أمر ببابه فأكاد أسقط

(فياقوم هل كفارة تعرفونها) إنما غير بيت أعرابى وأنشد أبو العباس أبياته وهى :

فياقوم هل كفارة تعرفونها ... تباعد من ذنبي وتدنى إلى ربى
شكوت فقالت كل هذا تبرما ... بحبى أراح الله قلبك من حبى
فلما كتمت الحب قالت لشد ما ... صبرت وماهذا بفعل شجى القلب
وأدنو فتقصينى وأبعد طالبا ... رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواى تؤذيها وصبرى يسوؤها ... وتجزع من بعدى وتنفر من قربى
فياقوم هل من حيلة تعرفونها ... أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى

وقال أبو العير الهاشمى المتحامق :

أبكى إذا غضبت حتى إذا رضيت ... بكيت عند الرضا خوفا من الغضب
فالموت إن غضبت والموت إن رضيت ... إن لم يرحنى سلو عشت فى تعب

وأبو العير على تحامقه جيد الشعر ومن ذلك قوله :

وفى ساعدى ممن تعلقت عضة ... تذكرنى ذاك الشنيب المفلجا
وآثار خدش فى يدى مليحة ... أقام عليها القلب منى وعرجا
أما والذى أمسيت أرجو ثوابه ... لقد حل ما أخشاه وانقطع الرجا

وله :
داء دفين وهوى بادى ... أظلم مجازيك بمرصاد
يا واحد الأمة فى حسنه ... أشمت فى صدك حسادى
عبدك تحيى فى موته قبلة ... يجعلها خاتمة الزاد

قال أبو زَيْد فلما حَلَّ أُنْشُوطَةَ نَفسه، وقَضَى الوطَرَ مِنَ اشْتِكاء بَثِّه، ناجَتْنى نَفسِى ياأبا زَيْد، هذهِ نُهزَةُ صَيدٍ، فَشَمِّرْ عَنْ يَدٍ وَأيْدٍ، فانتَهَضتُ مِنْ مَجْثِمِى انتِهاض الشَّهم، وَانخَرَطتُ مِنَ الصَّفِّ انخِراط السهمِ، وقلتُ:

أَيُّها الأَروَعُ الذى فاقَ مَجْدًا وسُؤْدُدَا
والذى يَبْتَغِى الرَّشا دَ لِيَنجُو بِهِ غَدا
إنَّ عِندِى عِلاجَ ما بتَّ مِنهُ مُسَهَّدَا
فاسْتَمِعْها عَجِيبة غادَرَتنى مُلَدَّدا
أنا من ساكِنى سَرُو جَ ذَوِى الدينِ والهُدَى
كُنتُ ذا ثَروةٍ بِها ومُطاعًا مُسَوَّدا
مَرْبَعِى مَألَفُ الضُّيُو فِ ومالِى لهُمْ سُدَى
أشتَرِى الحَمْدَ باللُّها وأقِى العِرْضَ بالجَدَا
لا أُبالِى بِمُنْفِسٍ طاحَ فى البَذلِ والنَّدَى

ولاعرابى فى نحو ماأنشده أبو العباس.

سكت فقالت لم سكت عن الحق وفهمت فقال مادعاك إلى النطق
فأومأت هل من حال بين ذا وذا فقالت وذا الإيماء أيضا من الحمق
فلم أرلى إذ حلت الغرب مخلصا من الشر إلا فى المسير إلى الشرق
فلما أتيت الشرق ألفيتها به وقد قعدت لى منه فى أضيق الطرق

وعلى ماتقدم من وصف الخمر من النظم المستحسن المرغب فى شربها فانه جاء من التحذير فيها مايوجب تركها على أهل التخصيص والفضل، من حديث أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى رضى الله عليه وسلم أنه قال. من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال. ابن الاعرابى: طينة الخبال عصارة أهل النار فى النار، وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مدمن الخمر كعابد وثن (أنشوطة) عقدة سهلة تسميها العامة اللج (نفثه) لفظه (الوطر) الحاجة (بثه) حزنه (ناجتنى) حدثتنى (النهزة) الفرصة وما أخذ بلا تعب (أيد) قوة (انتهضت) تقدمت (مجثمى) موضع قعودى (الشهم) الشديد النفس (انخرطت) اندفعت بسرعة والانخراط التصميم وركوب الرأس (الأروع) السيد (فاق) زاد على غيره فى الفضل (علاج) معاناة وطب (مسهدا) ممتنع النوم (ملددا) ملتفتا يمينا وشمالا من شدة الخوف (ثروة) غنى (مسودا) مقدما للسيادة (مربعى) منزلى (مالف) موضع الاجتماع (سدى) مهمل (اللها) العطايا (اليفاع) ما ارتفع من الأرض (النكس) الدنىء (أخمد) أطفأ

أوقدُ النـارَ باليفـا ع إذا النِّكسُ أخمدَا
ويرانى المؤمِّلو نَ ملاذًا ومقصدا
لم يَشِمْ بارقى صَـدٍ فانثنى يشتكى الصَّدَى
لا ولا رامَ قابسٌ قدحَ زندى فأصلدا
طـالما ساعدَ الزّما نُ فأصبحتُ مُسعَدَا
فقضَى اللهُ أن يُغَـ يِّرَ ما كانَ عوّدا
بوّأ الرُّومَ أرضَنا بَعْدَ ضِغنٍ تولّدا
فاستباحُوا حريمَ من صادفُوهُ مُوحِّدا
وحَوَوْا كلّ ما استَسَرّ بِهَا لى وما بَدا
فتطوّحتُ فى البلا دِ طَرِيدًا مُشرَّدا
أجتدِى النّاسَ بعـدَ ما كُنتُ من قبلُ مُجتدَى
وترى بى خصاصَـةٌ أتمنّى لهَا الرَّدَى
والبَلاء الذى به شَمْلُ أُنسى تبدّدا
إستباءُ ابنتى التى أسرُوها لِتُفتَدَى
فاستَبِنْ محنَتى ومُـدَّ إلى نُصرتى يدا
وأجرْنى منَ الزّما نِ فقدْ جارَ واعتدَى
وأعنّى على فَـكا كِ ابنتى منْ يدِ العِدَى
فبذَا تنمحِى المـآ ثِمُ عمّنْ تمرّدا

(المؤملون) الراجون (ملاذ) ملجأ (المقصد) الموضع تقصده (يشم بارقى) ينظر برقى (صد) عطش (انثنى) رجع (رام) طلب (قابس) طالب النار (قدح زندى) استخراج ناره (أصلد) وجده صلدا أى شحيحا (ساعد) وافق (بوأ) أى أنزل (ضغن) حقد وعداوة (استباحوا) صيروه مباحا (حريم) عيال (موحد) مسلم (حووا) ضموا (استسر) خفى (بدا) ظهر (تطوحت) ترامیت على جهالة وألقيت بنفسى للهلاك (طريدا) منفيا (مشردا) مفزعا عند الهرب فارا (أجتدى) أسأل (خصاصة) فقر (الردى) الهلاك (شمل) مجتمع (تبدد) تفرق (استباء ابنتى) أخذها أسيرة (استبن) تحقق وتبين (محنتى) بليتى (جار واعتدى) مال وظلم ؛ وفك الرقبة وفكاكها تخليصها من أسر الرق وكذلك الرهن وفى الحديث أعتق النسمة وفك الرقبة قيل أوليسا واحدا قال لاعتق النسمة أن تنفرد فى عتقها وفك الرقبة ان تعين فى عتقها ؛ ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم : من فدى أسيرا من أيدى العدو فانا ذلك الاسير (تنمحى) أى تذهب (تمرد) أكثر

وَبه تُقبَلُ الإنا ... بَةُ ممَّنْ تزَهَّـــدا

وَهوَ كَفَّارَةٌ لِمَنْ ... زاغَ مِنْ بَعْدِ مااهْتَدَى

ولَئنْ قُمْتُ مُنْشِداً ... فَلَقَدْ فُهْتُ مُرْشِدا

فاقبَلِ النُّصْحَ والهُدا ... يَةَ واشكُرْ لِمَنْ هَدَى

واسْمَحِ الآنَ بالذى ... يَتَسَنَّى لتُحْمَـــدا

قال أبو زَيدٍ فلمَّا أتممْتُ هَذْرَمَتى وَأوْهِمَ المَسْئُولُ صِدْقَ كَلِمَتى، أغْراهُ القَرَمُ إلى الكَرَمِ بِمُواسَاتِى وَرغَّبَهُ الكَلَفُ بحَمْلِ الكُلَفِ فى مُقَاسَاتِى، فَرَضَخَ لى عَلَى الحَافِرَةِ وَنَضَخَ لى بالعِدَةِ الوَافِرَةِ فانقلبتُ إلى وَكْرِى، فَرِحًا بِنُجْحِ مَكْرى وقدْ حَصَلْتُ مِنْ صَوْغِ المَكِيدَةِ، عَلَى سَوْغِ الثَّرِيدَةِ ووَصَلْتُ من حَوْكِ القَصِيدَةِ، إلى لوْكِ العَصِيدَةِ

قال الحَارِثُ بنُ هَمَّامٍ. فقلتُ لهُ سُبْحانَ مَنْ أبْدَعَكَ، فما أعْظَمَ خُدَعَكَ، وأخْبَثَ بِدَعَكَ؛ فاسْتَغْرَبَ فى الضَّحِكِ، ثم أنْشَدَ غيرَ مُرْتَبِكٍ

الفساد (الانابة) الرجوع الى الله تعالى (تزهد) ترك الرغبة فى الدنيا (زاغ) مال (فهت) نطقت (مرشدا) دالا على الخير (اسمح) جد (يتسنى) يتيسر، الفنجديهى: كان ابن قطرى قاضى ناحية المزار - بلد عند البصرة - قد تاب من الشرب ثم نقض التوبة وعاد يشرب ثم بعد المعاودة حضر مسجد بنى حرام يوما بالبصرة وتاب ورجع إلى الله تعالى بصدق النية وسأل عن كفارة ذنبه وكان فى المسجد رجل يزعم أنه من أهل سروج وله بنت مأسورة فى أيدى الكفار فقال لابن قطرى كفارة ذنبك أن تتصدق على بشىء أفكها به فأعطاه عشرة دنانير فلما أخذها منه دخل الحانة فلم يزل يشرب بها الخمر حتى فنيت وبلغ ذلك الخبر ابن قطرى فنــــدم على ما أعطاه وساءه وأحزنه ثم إن الحريرى أنشأ هذه المقامة الحرامية فى ذلك فقيل له هى أحسن من مقامات البديع فأنشأ أربعين مقامة ثم استزادوه فكملها خمسين (هذرمتى) أى كثرة كلامى (أوهم) خيل له (كلمتى) أى قصيدتى (أغراه) أى حرضه (القرم) الشهوة (مواساتى) اعطائى (الكلف) الحب (الكلف) جمع كلفة وهى ما يتكلف من العمل (رضخ) أعطى (على الحافرة) أى عند ما أكملت كلامى والحافرة اول الأمر وقيل ان أصلها فى بيع الفرس ولرفعة الخيل عندهم كان لايفارق البائع حافر فرسه حتى يأخذ ثمنه (نضخ) رفع ونضخ الماء فوران من منبعه (الوافرة) الكثيرة (وكرى) بيتى وأصله للطائر (صوغ المكيدة) صنعة الكيد (سوغ) بلع بسهولة (لوك) مضغ (ابدعك) أى أوجدك وخلقك (استغرب) أكثر الضحك (مرتبك) مختلط فى كلامه (بيشة) موضع كثير الاسد

عِشْ بِالخِدَاعِ فَأَنْتَ فِى دَهْرٍ بَنُوهُ كَأُسْدِ بِيشَه
وَأَدِرْ قَنَاةَ المَكْرِ حتـ ـى تَسْتَدِيرَ رَحَى المَعِيشَه
وَصِدِ النُّسُورَ فَإِنْ تَعَذَّرَ صَيْدُهَا فَاقْنَعْ بِرِيشَه
وَاجْنِ الثِّمَارَ فَإِنْ تَفُتْـ ـكَ فَرَضٍّ نَفْسَكَ بِالحَشِيشَه
وَأَرِحْ فُؤَادَكَ إِنْ نَبَا دَهْرٌ مِنَ الفِكَرِ المُطِيشَه
فَتَغَايُرُ الأَحْدَاثِ يُو ذِنُ بِاسْتِحَالَةِ كُلِّ عِيشَه

(المكر) الخديعة (نبا) ارتفع (المطيشة) المدهشة للعقل (تغاير) اختلاف (الاحداث) النوازل (يوذن) يعلم (استحالة) تغير .

المقامة التاسعة والأربعون الساسانية

حكى الحارثُ بن همّام قال : بلغني أنّ أبا زيد حين ناهزَ القبضة ، وابتزّهُ قيدَ الهرمِ النّهضة ، أحضرَ ابنه ، بعد مااستجاش ذهنه ، وقال له يا بُنيّ إنّهُ قد دنا ارتحالي من الفناء ، واكتحالي بمرود الفناء ، وأنتَ بحمد الله وليُّ عهدي ، وكبشُ الكتيبة الساسانيّة من بعدي ، ومثلُكَ لا تقرعُ له العصا ؛

شرح المقامة

(ناهز) قارب (القبضة) أراد بها ثلاثا وتسعين سنة لأنك إذا قيل لك اعقدفى يديك ثلاثا وتسعين قبضت أصابعك كلها وشددت عليها الإبهام والمعنى أنه قارب المائة التى ليس فى العيش بعدها منفعة والشعراء يضمنونها اشعارهم إذا وصفوا البخل بقبض الكف قال الخليل بن احمد :

وكف عن الخيرة مقبوضة   كما قبضت مائة سبعة

وقال آخر

فما تسعون تخفرها ثلاث   يضم حسابها رجل شديد
بكف خرقة جمعت لوج   بأ نكد منى عطائك يايزيد

(ابتزه) سلبه (الهرم) كبر السن (النهضة) القيام إلى ما يريد ، ودخل هشام بن عبد مناف وقد اسن على فتية من قومه فقاموا إليه إجلالا وأجلسوه فى أرفع موضع فقال بارك الله فيكم إن بنى مرة كانوا إذا شاخ عندهم الرجل قيدوه وقالوا له ثب فإن وثب أحبوه وقالوا فيك بقية ، وإن لم يثب قالوا ليس فى هذا منفعة فقتلوه . وقال ابن الرومى :

لو ان عمرى مائة هدنى   تذكرى أنى تنصفتها
لهفى على خمسين عاما مضت   كانت امامى ثم خلفتها

(استجاش) استجمع وحشد (الفناء) ماحول الدار (الفناء) بالفتح الموت (الكتيبة) الجيش (كبشها) رئيسها وحاميها والتى كانت العصا تقرع له عامر بر الظرب العدوانى حكم العرب فى الجاهلية ولما اسن كان يزل فى حكمه وكانت له بنت حكيمة فأمرها ان تقعد وراء ستر لتنظر حكمه فإذا انكرت منه شيئا قرعت له العصى فمتى سمع صوت قرعها علم انه زل فرجع وقيل قرعت لاكثم بن صيفى وقيل لسعد بن مالك الكنانى وقيل لعمرو بن حممة الدوسى ، وخطب صعصعه بن معاوية الى عامر بن الظرب بنته عمرة وهى أم عامر بن صعصعة فقال يا صعصعة إنك تشترى منى كبدى فارحم ولدى قبلتك او رددتك والحسيب الرجل الصالح ابا بعد أب وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك أفر من السر إلى العلانية يا معشر عدوان أخرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة اقسم لولا قسمة الحظوظ على الجدود ماترك الأول للاخر ما يعيش به ، وفيه يقول المتلمس :

لذى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا   وما علم الإنسان إلا ليعلما

ولا يُنَبَّهُ بِطَرْقِ الحصا ، ولكن قد نُدِبَ إلى الإذْكار ، وجُعِلَ صَيْقَلاً لِلأفكار ، وإني أُوصيك بما لم يُوصِ به شِيثُ

وهو أول من جلس على المنبر وتكلم : وفيه يقول الأسود بن يعفر :

ولقد علمت لو ان علمى نافع … أن السبيل سبيل ذى الأعواد

قال الأصمعى نزلت عدوان ماء فاحصى عليه سبعون ألف غلام أغرل سوى من كان مختونا لكثرتهم ثم وقع بأسهم بينهم فتفنوا فقال ذو الأصبع العدوانى

عذير الحى من عدوا … ن كانوا حية الأرض
بغى بعض على بعض … فلم يبقوا على البعض
ومنهم من يجيز النا … س بالسنة والفرض
ومنهم حكم يقضى … ولا ينكر ما يقضى

الحكم : عامر بن الظرب ، والذى كان يجيز الناس فى الحج منهم رجل كان يسمى أبا سيارة أجاز الناس على حمار له أسود من المزدلفة إلى منى أربعين عاما فقيل المثل أصح من عير أبى سيارة وكانت إجازته أن يقول اللهم حبب بين نسائنا وبغض بين رعائنا واجعل المال فى سمحائنا أوفوا بعهدكم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يدفع فيقول : خلوا الطريق عن أبى سياره . . . وعن مواليه فزاوه . . . حتى يجيز سالما حماره

ثم يقف فيقول : أشرق ثبير كيما نغير . . وكانت الاجازة قبلهم فى خزاعة فغلبتهم عليها عدوان . ولا تقرع له العصا مثل يضرب لمن وافق صاحبه وساواه ، ، ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها قال عمها مثل محمد لا تقرع له العصا وأصل ذلك أو الناقة الكريمة إذا أتاها فحل غير كريم منعوه عنها وقرعوه بالعصا على أنفه وفى المثل إن العصا قرعت لذى الحكم (ولا ينبه بطرق الحصا) كانت العرب إذا أرادت اختبار الرجل هل يصلح للسفر والغارة ترك الرجل صاحبه حتى ينام فيأخذ عصاه فيرمى بها إلى جانبه فان انتبه توثق . . وخرج أبو كبير الهذلى ومعه تأبط شرا للعازة فلما جن الليل أووا إلى موضع ليناموا فيه فتركه أبو كبير حتى نام فرمى إلى جانبه بحصاة فساعة مست الأرض وثب ثم عاد إلى نومه ففعلها ثلاثا فكان ينتبه لوقوعها ويثب ويجول يطلب لها راميا فلا يجد إلا أبا كبيرا نائما فقال له عند الثالثة والله لئن عدت لاقتلنك فانه ليس هنا من يفعل هذا غيرك فضحك أبو كبير وقال أردت اختبارك ثم ذكر القصة فى قصيدته التى يقول فيها

وإذا رميب له الحصاة رأيته … ينزو لوقعتها طمور الأخيل

يريد أن ابنه كان فوق هذا فى ذكاء القلب فهو كأنه منتبه ابدا ، وطرق الحصى أيضا من فعل الكهان يأخذ الكاهن حصيات فيضرب بها الأرض وينظر فيها فيخبر بالمغيبات (ندب) أى دعى وحرض (الأذكار) التذكير بما يفعل (الافكار) الاذهان (شيث) هو ولد آدم عليه السلام وكان بنيه وأحبهم اليه وهو وصى أبيه واليه ترجع الانساب وقال صلى الله عليه وسلم أربعة من الأنبياء شريانيون آدم وشيث وادريس

الأَنباط ، وَلا يَعقُوب الأَسباط ، فاحْفَظْ وصِيَّتى ، وجانِبْ مَعْصِيَتِى ، واحْذُ مِثالى ، وافْقَهْ أَمْثالى ، فإِنكَ إِن اسْتَرْشَدْتَ بِنُصْحِى ، واستَصْبَحْتَ بِصُبْحِى ؛ أَمْرَعَ خانُك ، وارْتَفَعَ دُخَانُك ، وإِنْ تَنَاسَيْتَ سُورَتى ، ونَبَذْتَ مَشُورَتى ، قَلَّ رَمادُ أَثافيك ، وزَهِدَ أَهْلُكَ وَرَهْطُكَ فِيك ، يا بُنَىَّ إِنِّى جَرَّبْتُ حَقائِقَ الأُمور ، وبَلَوْتُ تَصارِيفَ الدُّهُور ، فرأَيْتُ المَرْءَ بِنَشَبِهِ ، لا بِنَسَبِهِ ، والفَحْص عَن مَكْسَبِه ، لا عَنْ حَسَبِه وَكُنْتُ سَمِعْتُ أَنَّ المَعايِشَ إِمارَة ، وتِجارَة وزِراعَة ، وصِناعَة ، فمارَسْتُ هذه الأَرْبَع ، لأَنظُرَ أَيُّها أَوْفَقُ وَأَنْفَع ، فما أَحْمَدْتُ مِنها مَعِيشَة ، ولا استَرْغَدْتُ فيها عِيشَة ، أَمَّا فُرَصُ الوِلايات ، وخُلَسُ الإِمارات ، فكأَضْغاثِ الأَحْلام ، والفَىْءِ المُنْتَسِخ بالظَّلام ، وَناهِيك غُصَّةً بِمَرارةِ الفِطام ، وأَمّا بَضائِعُ التِّجارات ، فعُرْضَةٌ لِلمُخاطَرات ،

وهو اخنوخ ونوح وانزل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة ، وقال بقية بن ارطاة بلغنى أن حواء حملت بشيث الرضا حتى نبتت أسنانه و كانت تنظر إلى وجهه من صفائه فى بطنها وهو الثالث من ولد آدم وانه لما حضرها الطلق اخذها عليه شدة فانتبذت به فلما وضعته أخذته الملائكة فمكث معهم اربعين يوما فعلموه المهن ثم ردوه اليها معلما والمهن جمع مهنة وهى الخدمة (الانباط) قيل سموا انباطا لاستنباطهم البناء واستخراجهم المياه والنسابون يزعمون انهم ولد يافث بن نوح ولا يصح على هذا ان يوصيهم شيث لأن بين زمن شيث وزمن يافث آلافا من السنين ، الجوهرى : النبيط قوم كانوا ينزلون بين البصرة والكوفة والجمع انباط والرجل نبطى ابن دريد ، النبط جيل من الناس معروف وهم النبط والانباط (الأسباط) بنو يعقوب عليه السلام ومنهم تشعبب قبائل بنى إسرائيل والاسباط فى ولد يعقوب كالقبائل فى ولد اسمعيل (احذ مثالى) اى امش على طريقى وافعل بفعلى (استرشدت) استدللت (استصحبت) استضأت (امرع) اخصب (الخان) الفندق وهذا مثل لرفاهة العيش (نبذت) طرحت (الاثافى) أحجار القدر (زهد) لم يرغب (بلوت) اختبرت (تشبه) ماله (الفحص) البحث والأربع التى ذكر نسبها الثعالبى للمأمون قال قال لى المأمون الناس اربع طبقات بين امارة وتجارة وزراعة وصناعة فمن لم يكن منهم كان كلا علينا (مارست) خالطت (أحمدت) صادفتها محمودة (استرغدت) استكثرت (فرص) نهز والنهزة والفرصة ما يحضرك من الفوائد من غير ان تتعنى فى طلبها فان فوتها ولم تغتنم اخذها ففاتتك فربما تتعنى غاية التعنى فى طلبها فلا تظفر بها ، الجوهرى : الفرصة النوبة والشرب يقال وجد فلان فرصة اى نهزة وجاءت فرصتك من الشىء اى نوبتك (خلس) جمع خلسة وهى كالخطف وشبهه يريد أن الأمير كأنه اختلس ايامه أى اختطفها لقصر مدتها ويقال الخلسة فرصة (اضغاث الأحلام) أباطيلها التى لا يصح تأويلها لاختلاطها والضغث كل ما كان مختلطا لا حقيقة له والحلم الرؤيا والجمع أحلام ويقال هذا الرجل ناهيك من رجل ونهيك من رجل أى انه نجدة وعناية ينهاك عن تطلب غيره فناهيك كافيك (الغصة) ما يختنق به (الفطام) قطع الرضاعة عن الصبى وفى الكلام معنى التعجب كأنه قال ما أنكد غصة العزل على أهل الولايات والعزل للولاة كالحيض للنساء (البضائع) الأموال يتجر فيها (عرضة للمخاطرات)

وَطعْمَةٌ لِلغَارَاتِ ، وما أشْبَهَها بِالطيور الطَّيَّارَاتِ ، وأمَّا اتِّخاذُ الضِّياع ، وَالتَّصدِّى لِلازدِراع ، فَمَنْهَكَةٌ لِلأعْرَاض ، وَقُيُودٌ عائِقَةٌ عَن الارْتِكَاض ، وَقلَّمَا خَلَا رَبُّها عَن إذلال ، أو رزق رَوْحَ بال ، وأمَّا حِرَف أولِى الصِّناعات ، فَغَيْر فاضِلَةٍ عن الأقْوَاتِ ، وَلانافِقَةٍ فى جَمِيع الأوْقَات ، ومعظَمها مَعْصوبٌ بِشَبِيبَةِ الحيَاةِ ، ولم أرَ ماهو بَارِدِ المَغْنَم ، لَذِيذ المَطْعَم ، وافِى المَكْسَب : صافِى المَشْرَب ، إلاَّ الحِرْفَة التى وَضَعَ ساسان

أى معرضة للضرورة والسلب وفلان عرضة لكذا أى نصب وهو له عرضة أى يتعرض له دونه وهذا عرضة لك أى عدة وقال النقاش فى قوله تعالى عرضة لا يمانكم أى علة لها وسببا ومتخذا لذلك وأصل العرضة الدابة تتخذ للسفر لقوتها ثم جعل كل ما صلح لشىء عرضة له حتى قيل المرأة عرضة للزوج . والطعمة المأكلة وهذه الضيعة طعمة لفلان والطعمة أيضا وجه المكتسب ف(طعمة للغارات) يريد أن قطاع الطرق يسلبون أموال التجار أبدا فأرزاقهم معرضة للتلف (التصدى) التعرض (منهكة) مذلة وسبب نهك وهو الجهد والضعف ونهكته الحمى وانهكته إذا جهدته وأضنته ونقصت لحمه ونهكه السلطان عقوبة بالغ فى عقوبته (روح بال) راحة قلب (عائقة) حابسة (الارتكاض) الجرى والتصرف وهــذه مشاهدة من أحوال أهل الحرث وقال صلى الله عليه وسلم حين رأى السكة ما دخلت قط دار قوم إلا ذلوا وقال صلى الله عليه وسلم فى الامارة ستحرصون على الامارة ثم تكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة (الحرفة) الصنعة (فاضلة) زائدة (معصوب) مربوط والعصب الفتل الشديد يريد أن الصنعة ينتفع بها ما دام صاحبها شابا قويا فاذا شاخ لم يقدر على الانتفاع بها (بارد المغنم) أى السهل منه وهو الذى يؤخذ بغير قتال (ساسان) شيخ المكدين والغرباء وهم بنو غبراء (الغبراء) الأرض وسموا بنى غبراء لقطعهم جهات الأرض وجولانهم فى البلدان فكأنهم ليس لهم أصل ينسبون اليه إلا الأرض وقيل سمو بذلك للزومهم لغبراء الأرض وهو وجهها وترابها والرقاد فيها فيعبرون بذلك ويتغيرون ، وكان الأحنف العكبرى وهو أبو الحسن عقيل بن العكبرى فصيحا شاعرا وذكر الصاحب فيه فصلا وهو : ولو أنشدتك ما أنشدنيه الأحنف العكبرى وهو فرد بنى ساسان اليوم فى مدينة السلام فى الفصاحة وحسن الطريقة فى الشعر لامتلأت تعجبا من ظرفه وإعجابا بنظمه ومن افتخاره قوله :

على أنى بحمد الله	فى بيت من المجد
واخوانى بنو ساسا	ن أهل المجد والجد
لهم أرض خراسان	فغسان مع اللد
إذا ما أعوز الطوف	على الطراق والجند
حذار من أعاديهم	من الاعراب والكرد
قطعنا ذلك النهج	بلا سيف ولا غمد
ومن خاف أعاديه	بنا فى الروع يستعدى

أَسَاسَهَا ، وَنوَّعَ أَجْنَاسَهَا ، وَأَضْرَمَ فى الخَافقينَ نَارَهَا ، وأوْضَحَ لِبَنى غَبْرَاء مَنَارَهَا ، فَشَهِدَتْ وقَائِعَهَا مُعْلِما واخْتَرْتُ سِيمَاهَا لى مِيسَما ، إذْ كَانَتِ المَتْجَرَ الذى لا يَبُور ، والمَنْهَلُ الذى لا يَغور ، والمِصْبَاحَ الذى يَعْشُو إليه الجُمْهُور ، ويَسْتَصْبِحُ به العُمْىُ والعُور ، وكَانَ أَهْلُهَا أعزّ قَبيل ، وأسْعَدَ جيل ؛ لا يَرْهَقُهُمْ مَسُّ حَيْف ، ولا يَقْلَقُهُمْ سَلُّ سَيْف ، ولا يَخْشَوْنَ حُمَةَ لاسِع ، ولا يَدِينُونَ لِدَانٍ ولا شَاسِع ، ولا يَرْهَبُونَ مِمَّنْ بَرَقَ وَرَعَد ؛ ولا يَحْفِلُونَ بِمَنْ قَامَ وَقَعَد ، أَنْدِيَتُهُمْ مُنَزَّهَة ، وَقُلُوبُهُمْ مُرَفَّهَة ، وطُعَمُهُمْ مُعَجَّلَة ، وأَوْقَاتُهُمْ غُرٌّ مُحَجَّلَة ؛

فى هذا البيت معنى بديع يريد أن ذوى الثروة وأهل الفضل إذا وقع أحدهم فى أيدى العداوة وأراد التخلص قال أنا مكد فبنى الحريرى هذا الموضع من مقامته على شعر الاحنف ، وأكثر هذه المقامة مأخوذ من ملحه ومن هذا الشعر :

	وقالوا قد سلا عنك	وقد حال عن العهد
	ولا والله ما حلت	ولكن قل ما عندى
ومن شعره :	عشت فى ذلة وقلة مال	واغتراب فى معشر أنذال
	بالأمالى أقول لا بالمعانى	فغذائى حلاوة الآمال
	لى رزق يقول بالوقف فى الحا	ل رجل تقول بالاعتزال
وله :	العنكبوت بنت بيتا على وهن	تأوى اليه ومالى مثله وهن
	والخنفساء لها من جنسها سكن	وليس لى مثلها إلف ولا سكن
وله :	نرى العقيان كالذهب المصفى	يركب فوق أثغار الدواب
	وكيسى منه خلو مثل كفى	أما هذا من العجب العجاب
وله :	رأيت فى نومى الدنيا مزخرفة	مثل العروس تراءت فى المقاصير
	فقلت جودى فقالت لى على عجل	إذا تخلصت من أيدى الخنازير

(أضرم) أى أوقد (الخافقين) المشرق والمغرب (أوضح) بين (منارها) سراجها (معلما) مشهورا (سيماها) علامتها يريد أنه اختار علامتهم لنفسه (يبور) يكد ويهلك أهله (المنهل) موضع الماء (يغور) يغوص فى الأرض (يعشو) ينظر (الجمهور) معظم الشىء (العور) جمع أعور (الجيل) أهل العصر (يرهقهم) يدركهم ويغشاهم (حيف) جور وظلم (حمة) سم (الاسع) ضارب واللسع الضرب بمؤخره مثل العقرب واللدغ لما كان بالفم ولسعه بلسانه عابه وآذاه ورجل لسعة ولساعة ولساع أى عياب مؤذ (يدينون) يطيعون (دان وشاسع) قريب وبعيد (يرهبون) يخافون (برق ورعد) هدد وخوف (يحفلون) يبالون (من قام وقعد) من غيظه وشره (انخرطوا) ركبوا رؤوسهم واندفعوا بشدة وخرطت الغصن إذا وضعت يدك عليه ثم تجره عليك فيسقط ما فيه من ورق وثمر (أنديتهم) مجالسهم (مرفهة) الرفاهية العيش اللين (غر) بيض (محجلة) مشهورة

أينما سقطوا لقطوا ، وحيثما انخرطوا خرطوا ، لا يتخذون أوطانا ، ولا يتقون سلطانا ، ولا يمتازون عما تغدو خماصا وتروح بطانا ، فقال له ابنه : ياأبت لقد صدقت ، فيما نطقت ، ولكنك رتقت ، وما فتقت ، فبين لى كيف أقتطف ، ومن أين تؤكل الكتف ، فقال يابنى إن الارتكاض بابها ، والنشاط جلبابها ، والفطنة مصباحها ، والقحة سلاحها ، فكن أجول من قطرب ، وأسرى من جندب ؟

(سقطوا) وقعوا (لقطوا) جمعوا الرزق وأصله للطير (يمتازون) يفترقوا (خماصا) جياعا (بطانا) شباعا وهى للطير وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (رتقت) أى أحمت وسديت وهو ضد فتقت تقول رتقت الشىء إذا ضممت بعضه إلى بعض وفتقته نقضته (أقتطف) أجنى الثمر وهذا مثل قوله (من أين تؤكل الكتف) قالوا تؤكل من أسفلها لأن المرقة تدخل بين عظامها ولحمها فمن أكلها من أعلاها جرت المرقة عليه ولفظ المثل على ما ذكره أبو عبيد فلان أعلم من حيث تؤكل الكتف يضرب مثلا لمن جرب الأمور ودرى تصرفها قال البكرى إن لحم الكتف إذا أكل من أعلاه تناثر وإذا أكل من قبل الغضروف لم يتأت لآكله والغضروف اللحم الرخص المتصل بأسفل الكتف المتسع وقيل أكل الكتف إذا أمسك فيها بطرف الغضروف ربما سقطت فتربت وإذا أمسكها بالطرف الآخر أمن من ذلك ، الفنجديهى : لحم الكتف إذا جذب من الجانب الأسفل انقطع بكليته وإذا جذب من الجانب الأعلى تقطع اللحم ولم ينقطع ولأن المرقة تجرى بين لحم الكتف والعظم فإذا أخذته من أعلاه تصببت المرقة عليك بسرعة وإذا أخذت اللحم من أسفله تقشر من عظمها فلم تنصب المرقة بالسرعة وهو مثل يضرب للبصير بالامور ، وقال أوس بن حجر :

أم دلكم بعض من يرتاد مشتمتى بأى أكلة لحم تؤكل الكتف

يقول أنا أعلم كيف أنا لكم وقال آخر :

إنى على ما ترون من كبرى أعلم من أين تؤكل الكتف

(قطرب) دويبة تجول الليل كله ولا تنام ويقال فيه أيضا أسهر من قطرب وهذا قول أبى عمرو ، وغيره يرويه أسعى من قطرب لا أسهر ويقول هو دويبة لا تستقر بالنهار ويحتج بقول ابن مسعود لاأعرفن أحدكم جيفة ليل قطرب نهار ، وقطرب اسم رجل مشهور وهو ابن المستنير صاحب المثلث وكان من أهل العربية فجلس لسيبويه يناظره فلما رآه سيبويه قد احتد بالسؤال قال انك لقطرب ليل فسمى بذلك والقطرب أيضاً ذكر الغيلان ، ابن ظفر : ذكر من يعول عليه أنه حيوان يكون بالصعيد من أرض مصر يظهر للمنفرد من الناس فربما صده عن نفسه إذا كان شجاعا وإلا لم ينته حتى ينكحه فإذا نكحه تدود دبره وهلك ، قالوهم إذا رأوا من ظهر له القطرب قالوا أمنكوح أم مروع فان قال منكوح يئسوا منه وإن قال مروع سكنوه وعالجوه قال فقد رأيت أهل مصر وما بين يديها وما خلفها وتحققت أهل صعيدها والعربان وهم ستوون فى الجهل بهذا الحيوان ومختلفون الاختلاف الشديد فى فعله وصورته إلا أن أهل مصر أكثر لهجا به ، والقطارب أيضا صغار الكلاب (أسرى) أى أمشى بالليل (الجندب) ذكر الجراد وقيل هى دويبة تشبه الجراد ذات جناحين فلاتزال ترمح ولفظ المثل أسرى

وأنْشطَ مِنْ ظَبي مُقمِر ، وَأَسْلَطَ مِنْ ذِئْبٍ مُتنمِّر ؛ واقدَحْ زَندَ جَدِّكَ بِجِدِّك واقْرَعْ بابَ رَعْيِك بِسَعْيك ، وجُبْ كلَّ فجّ ، ولِج كل لُجّ ، وانْتَجِعْ كلَّ رَوْض ، وألقِ دَلْوَكَ إلى كلِّ حَوْض ، ولا تَسْأَمِ الطَّلَب ، ولا تَملَّ الدأْب ؛ فَقدْ كَانَ مَكْتُوباً عَلَى عَصَا شَيْخِنَا سَاسَانَ مَنْ طَلَب ، جَلَب ؛ وَمَنْ جَالَ ، نَالَ ؛ وإيَّاكَ والكَسَلَ فَإِنَّهُ عُنْوانُ النُّحُوس ، ولَبُوسُ ذَوِي البُوس ، ومِفْتَاحُ المَتْرَبَة ولِقَاحُ المَتْعَبَة ، وشِيمَةُ العَجَزَةِ الجَهلة ، وشِنْشِنَةُ الوُكَلَةِ التُّكَلة ، ومَا اشْتارَ العَسَلَ مَنِ اخْتَارَ الكَسَل ، ولا مَلَأَ الرَّاحةَ مَنِ استَوْطَأَ الرَّاحَة ، وعَلَيْكَ بالإقدام ؛ ولو على الضِّرْغام ، فإنَّ جراءة الجَنَان ، تُنْطِقُ اللِّسَان ، وَتُطْلِقُ العِنَان ، وبِهَا تُدْرَكُ الحُظْوَة ، وتُمْلَكُ الثَّرْوَة ، كما أنَّ الخَوَرَ صِنْوَ الكَسَلِ ، وسَبَبُ الفَشَل ومَبْطأَةٌ للعَمَل ، ومَخْيبَةٌ لِلأمَل ، ولِهَذَا قِيلَ فِي المَثَلِ ، مَنْ جَسَرَ أَيْسَر ، وَمَنْ هَابَ ، خاب ، ثم ابْرُزْ يَا بُنَيَّ فِي بُكُورِ أبي زَاجِر ، وجَرَاءةِ أبي الحَارِث ، وحَزَامَةِ أَبِي قُرَّة وخَتْلِ

من جراد (مقمر) لاعب فى القمر (أنشط) أخف والظبى يأخذه النشاط فى الليلة المقمرة فيلعب (متنمر) متشبه بالنمر وهو سبع مؤذ (جدك) حظك (اقرع) اضرب (رعيك) أكلك وأراد بباب رعيك الذى يجيئك منه الرزق (ألق دلوك إلى كل حوض) لفظ المثل ألق دلوك فى الدلاء يضرب فى بذل الجهد فى اكتساب المال والبحث عليه وهو كما قال الشاعر :

وليس الرزق عن طلب حثيث ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجئك بملئها طورا وطورا تجئك بحمأة وقليل ماء

(فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان) الفنجديهى : قرأت فى بعض الفوائد أنه كان مكتوبا على عصا ساسان المكدى : الكسل شؤم والتمييز مذءوم والحركة بركة والتوانى هلكة وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يغترف لم يعتلف (جال) تصرف ومشى فى البلاد (نال) أدرك حاجته (عنوان) دليل (النحوس) جميع نحس وهو ضد السعد (ذوى البوس) أهل الفقر (لقاح المتعبة) أى أصلها وسببها (شيمة) طبيعة وكذلك الشنشنة (الوكلة التكلة) هو العاجز الذى يكل أمره لغيره ويتكل عليه فيه (اشتار) حرك واستخرج (الراحة) الأولى الكف والثانية ضد التعب (الإقدام) الجراءة (الضرغام) الأسد (والجراءة) الشجاعة (الجنان) القلب (الحظوة) المنزلة الرفيعة (الثروة) الغنى (صنو) أخ (الفشل) الضعف والحيرة يريد أن فزع النفس وضعفها يخيب الامل والرجاء ، وقال معاوية الهيبة مقرون بها الخيبة (أبو زاجر) هو الغرب سمى بذلك لأن العرب تزجر به وتتشاءم وتقدم ذلك ، ومن وصيته لولده على ألسنتهم قالوا قال الغراب لابنه يا بنى إذا رميت فتلوص أى تلو ، فقال : يا أبت أنا أتلوص قبل أن أرمى وقال لابنه وقد رأى رجلا فوق سهما يابنى اتئد حتى تعلم ما يريد الرجل فقال يا أبت الحذر قبل ارسال السهم (أبو الحرث) الاسد كنى بذلك لا حترائه أى لا كتسابه بقوته (أبو قرة) الحرباء كنى بذلك لأن البرد لا يفارقه فالحربا. تدور لذلك مع الشمس حيثما دارت وتقدم

أبي جَعْدَة ، وحِرْصِ أبي عُقْبَة ، ونَشَاطِ أبي وثّاب ، ومَكْرُ أبي الْحُصَيْن وصَبْرِ أبي أيُّوب ، وتَلَطُّفِ أبي غَزْوان ، وتَلوُّنِ أبي بَرَاقِش ، وحِيلَةِ قَصِير ، ودَهَاءِ عمرو ، ولُطْفِ الشَّعْبي ، واحْتِمَالِ الأحْنَف وفِطْنَةِ إياس ، ومُجَانَةِ أبي نُواس ، وطَمَعِ أشْعَب ، وعَارِضَةِ أبي الْعَيْنَاء ؛ واخْلُبْ بِصَوْغِ اللِّسَان ، واخْدَعْ بِسِحْرِ الْبَيَان ، وارْتَدِ السُّوقَ قَبْلَ الْجَلَب ، وامْتَرِ الضَّرْعَ قَبْلَ الْحَلَب ، وسَائِلِ الرُّكْبَانَ قَبْلَ الْمُنْتَجَع ،

حزامتها وهي أنها لا تفارق ساق الشجرة حتى تمسك ساق (الأخرى) أبو جعدة كنية الذئب وهي كنية بالضدلان جعده عندهم الشاة ولما كان الذئب يقتلها حيث وجدها جعلوه أباه بضدما يفعل الأب الذى لا يقال له أب إلا لوجود الرحمة عنده على بنية ونحوها قولهم للأسود أبو البيضاء (الختل) المكر (أبو عقبة) الخنزير ومن حرصه أنه يمشى بالليل و بالأسحار لطلب ما يأكل ويستتر بالنهار حرصا على السلامة (أبو وثاب) الظبي و كنى بذلك لسرعة وثبة (أبو الحصين) الثعلب وهو أكثر الحيوان مكرا ومن بعض مكره أنه إذا رأى الغلبة تماوت فلا تشك فى أنه ميت فاذا وقع له غير عارف تركه فما يمر يسيرا حتى يقوم فارا وتحصبته بيصل العنصل من الذئب لأن الذئب لا يطؤه فى زعم قوم وقالوا إن الضبع صادت ثعلبا فقالت أخيرك يا ثعلب بين خصلتين فقال ماهما فقالت إما أن آكلك وإما ان أكلمك فقال لها الثعلب اما تذكرين يوم نكحتك فقالت متى فانفتح فوها وانفلت الثعلب فذكر واذكر مثلا ، وقالوا اضرب عليه خصيتى الثعلب ، وقالوا إن الثعلب اطلع فى بئر وهو عاطش وعليها رشاء فى طرفيه دلوان فقعد فى الدلو ا العليا فانحدرت فشرب فجاء الضبع فاطلعت فى البئر فابصرت القمر فى الماء منصفا والثعلب قاعد فى قعر البئر فقالت له ماتصنع هنا فقال لها إني اكلت نصف هذه الجبنة وبقى نصفها لك فانزلى فكليها فقالت وكيف أنزل قال تقعدين فى الدلو فقعدت فيها فانحدرت وارتفع الثعلب فى الدلو الأخرى فلما التقيا فى وسط البئر قالت له ذا هذا قال كذا التجار تختلف فضربت بهما العرب المثل فى المختلفين واوصاف مكره كثيرة (أبو أيوب) الجمل سمى بذلك لأنه اصبر الدواب على العطش والجوع وقطع الاشهر بالسير المتصل ونقل الاوقار ومهما كان به شيء من قوة تجلد فاذا وقف علم أنه ليس فيه بقية ينتفع بها (أبو غزوان) الهر لغزوه الفئران وخشاش الأرض وتلطفه يظهر فى محاولاته لتصيد الفار فاذا قدمت المائدة قرب منها وأخذ بتلطف فى صياحه ويتصرع ويحتك بالمائدة أو بالآكل حتى يعطى (أبو براقش) طائر أغبر أو سطه أحمر وإذا انتفض تلون الوانا ، أخذ الحريرى هذا الفصل من كلام العلماء قالوا . ابن آدم هو العالم الكبير الذى جمع الله تعالى العالم كله فيه فكان فيه بسالة الاسد وصبر الجمل وحرص الخنزير وحذر الغراب وروغان الثعلب وصرع السنور وحكاية القرود وجبن الصقر ؛ وقيل لرجل من كبار العلماء وكان بليدا سريع النسيان فى ابتداء تعلمه . بم أدركت العلم مع بلادتك وكلال خاطرك قال ببكور كبكور الغراب وصبر كصبر الجمل وحرص كحرص الخنزير (اخلب بصوغ اللسان) أى بعذوبة الكلام ؛ قال ابن كناسة الشاعر كنت أكلم بكلام فلو لم يجد سامعه إلا الفطن الذى وجه أمه فى القبر لتغلغل اليه حتى يخرجه ويهديه إلى وأنا اليوم أتحدث بذلك الحديث بعينه فما افرغ منه حتى أهىء له اعتذارى (وارتد) أطلب (الجلب) ما يجلب إلى السوق للبيع (أمتر) امسح ويفعل ذلك بالضرع لأنه يدر لبنه (المنتجع) موضع العشب أراد به

وَدَمِّثْ لجنبكَ قَبلَ المُضطجع ، واشْحَذْ بصيرَتَكَ للعيافة ، وأنعِم نظرَكَ للقيافة ، فإنَّ مَنْ صَدَقَ تَوَسُّمُهُ طَالَ تبسُّمُهُ ، وَمَنْ أخطأتْ فِرَاسَتُه أبطأتْ فَرِيسَتُه ، وكُنْ يَا بُنَيَّ خَفيفَ الكَل ، قليلَ الدَّلِّ ، رَاغباً عن العَلّ ؛ قانعاً مِنَ الوبلِ الطلّ ؛ وعَظِّمْ وَقْعَ الحَقير ؛ واشْكُرْ عَلَى النَّقير ؛ ولاَ تَقْنَطْ عِنْدَ الردّ ؛ ولا تَسْتَبْعِدْ رَشْحَ الصَّلْد ؛ ولا تيأسْ مِنْ رَوْحِ الله ؛ إنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلا القَوْمُ الكافِرُون ، وإذا خُيِّرْتَ بَيْنَ ذَرَّةٍ مَنْقُودَةٍ ؛ وَدُرَّةٍ مَوْعُودَةٍ ؛ فَمِلْ إلى النَّقد ؛ وفَضِّلِ اليَوْمَ عَلَى الغَد ؛ فَإنَّ للتأخير آفات ، وللعزائم بَدَوَات ؛ وللعِدَات مُعْقِبات ؛ وبينها وَبَيْنَ النَّجاز عَقَباتٍ وأي عقبات وعليك بِصَبْرِ أولى العزْم ورفقِ ذَوِي الحزم ؛ وجَانِبْ خُرْقَ المُشْتَطِ ؛ وتَخَلَّقْ بالخلق السَّبْطِ ؛ وَقَيِّدِ الدِّرْهَمْ بالرَّبْطِ ، وشُبِ البَذْلَ بالضَّبْط

موضع طلب الرزق (دمث) لين (اشحذ) أجل وأصفل وقال فى الدرة يقولون شحات بالتاء وصوابه بالذال لأن اشتقاقه من شحذت السيف إذا بالغت فى إحداده فكأن الشحاذ هو الملح فى المسألة المبالغ فى طلب الصدقة (بصيرتك) ذهنك (العيافة) زجر الطير (أنعم) بالغ (القيافة) الاستدلال على الولد وذلك أن ينظر خلقته وصفته فيشبهه بأبيه (توسمه) تظره (الفراسة) الحكم بحالات الشيء على مايكون منه فى المستقبل (الكل) الثقيل (والدل) والدلال بمعنى واحد (العل) الشرب بعد الشرب (راغباعنه) تاركا له (النقير) حفرة فى ظهر نوى التمر ومنها تنبت النخلة (تقنط) تيأس (روح الله) رزقه ولبعضهم فى هذا المعنى :

سيفتح باب إذا سد باب نعم وتلين الأمور الصعاب
ويتسع الحال من بعد ما تضيق المذاهب فيه الرحاب
مع العسر يسران هون عليك فلا اليسر دام ولا الاكتئاب
إذا احتجب الناس من سائل فما دون سائل ربى حجاب

آخر : عسى فرج يأتى به الله إنه له كل يوم فى خليقته أمر
إذا اشتد عسر فارج يسرا فانه قضى الله أن العسر يتبعه يسر

آخر : فلا تجزع إذا عسرت يوما فقد أيسرت فى الزمن الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر لعل الله يغنى عن قليل
وإن العسر يتبعه يسار وقول الله أصدق كل قيل
ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل

(ذرة) كناية عن الشيء القليل (درة) جوهرة (آفات) حوائج (للعزائم بدوات) يريد أن الانسان يعزم على فعل الشيء فى وقت ثم يبدو له أن لا يفعله (النجز) تعجيل قضاء الحاجة وقد تقدم مثل هذا المعنى عند قوله وبع آجلا منك بالعاجل (المشتط) المتجاوز القدر فى محاولته (الخرق)ضد الرتق (السبط) السهل (شب)اخلط (البذل) العطاء (الضبط) الحبس ، قال أبو حاتم الدارى : دخلت مع أبى مدينة السلام فرأيت رجلا واقفا على

ولا تجعلْ يدكَ مغلولةً إلى عُنقكَ ولا تبسُطها كلَّ البسط ، ومتى نبا بكَ بلد ، أو نابكَ فيه كمد ، فبتَّ منهُ أملك ، واسرحْ عنهُ جملك فخيرُ البلادِ ما حملكَ ولا تستثقلنَّ الرِّحلة ، ولا تكرهنَّ النُّقلة ، فإنَّ أعلامَ شريعتنا ، وأشياخَ عشيرتنا ، أجمعوا على أنَّ الحركةَ بركة ؛ والطَّراوةَ سُفتجة وزروا على منْ زعمَ أنَّ الغُربةَ كُربة ، والنُّقلةَ مُثلة ، وقالوا هي تعلَّةُ منِ اقتنعَ بالرَّذيلة ؛ ورضيَ بالحشف وسُوءِ الكيلة ، وإذا أزمعتَ على الاغتراب ، وأعددتَ له العصا والجراب ؛ فتخيَّرِ الرَّفيقَ المُسعد ، منْ قبلِ أنْ تُصعد ، فإنَّ الجارَ قبلَ الدَّار ؛ والرَّفيق قبل الطريق

خُذها إليكَ وصيَّة لم يُوصِها قبلي أحد

الطريق يلعب بحية ويقول من يهب لى درهما حتى ابتلع هذه الحية فالتفت الى أبى وقال يا بنى احفظ دراهمك فمن أجلها تبلع الحيات (مغلولة) محبوسة أى لا تكن شحيحا ممسكا ولا كريما متلفا (نابك) نزل بك (كمد) حزن (بت) اقطع (املك) أى رجاءك (اسرح عنه) أى أزله وسرحه بالمشى إلى غيره (الرحلة) الارتحال (النقلة) الانتقال (أعلام شريعتنا) مشايخ طريقتنا (الطراوة) أن يطرأ على بلد لم يره (السفتجة) ما أتاك بغير تكلف ولا مشقة وهى عند أهل المشرق أن يأخذ الرجل الدراهم والدنانير فيعطيها صاحبه ويقول احملها لى معك لأمن طريقك أو لمنعتك إلى بلد كذا فادفعها إلى فلان طريق غير آمن من اللصوص قال مالك رضى الله تعالى عنه إن قصد بها المنفعة لم يجز لأنه سلف جر منفعة فيقول الطراوة على الناس كالسفتجة ترغب لك فى أخذ الدراهم وقد يكون منك تمنع عن أخذها (زروا) عابوا (كربة) هم ، وقال من ذم السفر . الغربة كربة والنقلة مثله والغريب كالغرس الذى زايل أصله وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر إذا كنت فى غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل (تعلة) عذر (الرذيلة) الدون من كل شيء (الحشف) الردىء من التمر (الكيلة) الهيئة ومعناه أنه اجتمع عليه عيبان تمر فاسد وكيل ناقص (أزمعت) عزمت (الاغتراب) الجولان والغربة (الجراب) الوعاء للزاد (المسعد) الموافق القليل الخلاف (تصعد) ترتفع وتخرج (الجار قبل الدا) يقول لاتشتر دارا حتى تعلم من جيرانك وكفى الجار أن قال صلى الله عليه وسلم فى حقه : ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى خفت أنه يورثه : وقال الزاهد عمران :

لتعن بالجار قبل الدار تسكنها لاخير فى الدار مالم يحمد الجار

الجار إن غبت عن أهل وعن وطن نعم الخليفة هم أهل وأنصار

والجار المساعد أحسن من القرابة ، ويروى أن رجلا كان جارا لأبى دلف ببغداد فأدركته حاجة وركبه دين فادح حتى احتاج إلى بيع داره فساوموه فيها فسمى لهم ألف دينار فقالوا له إن دارك تساوى خمسمائة فقال أبيع دارى بخمسمائه وجوار أبى دلف بخمسمائة فبلغ أبا دلف الخبر فأمر بقضاء دينه ووصله وقال : لاتنتقل من جوارنا . فانظر كيف صار الجوار يباع كما يباع العقار ؛ وقال الشاعر :

يلوموننى ان بعت بالرخص منزلى ولم يعلموا جارا هناك ينغص

فقلت لهم : كفوا الملام فانما بجيرانها تعلوا الديار وترخص

غرّاء حاوِيَةً خُلا صاتِ المعانِى والزُّبَدْ
نَقَّحْتُها تنقيحَ مَنْ مَحَضَ النَّصِيحَةَ واجتهد
فاعمَلْ بِها مَثَّلْتُه عَمَلَ اللَّبِيبِ أخِى الرَّشَد
حتى يَقُولَ النَّاسُ ه ذا الشِّبْلُ مِنْ ذاكَ الأسَدْ

ثم قال يا بُنَىَّ قد أوْصَيْتَ ، واسْتَقْصَيْتَ ، فإنِ اقْتَدَيْتَ فواهًا لَك ، وإن اعْتَدَيْتَ فآهًا مِنْكَ ، واللهُ خَلِيفَتِى عَلَيكَ ، وأرْجو أن لاتَخَلَّفَ ظَنِّى فِيكَ ، فقال ابنُهُ ياأبَتِ لَاوُضِعَ عَرشُكَ ، ولا رُفِعَ نَعْشُك ، فَلَقَدْ قُلتَ سَدَدًا وَعَلَّمْتَ رَشَدًا ، ونَحَلْتَ مالم يَنْحَلْ والد ولدًا ، وَلَئِنْ أُمْهِلْتُ بَعْدَكَ لاذُقْتَ فَقْدَكَ ، فَلا تَأدَّبَنَّ بآدابِكَ الصَّالحة ، ولأقتدِيَنَّ بآثارِكَ الواضِحَة ، حتى يُقالَ : ماأشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبارِحَة ، والغادِيَةَ بالرَّائِحَة ، فاهتَزَّ أبُو زَيْدٍ لجوابِهِ وابْتَسَمَ وقال مَنْ أشْبَهَ أباهُ فما ظَلَم .

قال الحارِثَ بنُ هَمَّام : فأُخْبِرْتُ أنَّ بَنى ساسان ، حِينَ سَمِعُوا هَذِى الوصايا الحِسان ، فَضَّلُوها عَلَى وَصايا لُقمان ، وحَفِظُوها كَما تُحْفَظُ أُمُّ القُرْآن ، حتى إنَّهُمْ لَيَرَوْنَها إلى الآن ، أوْلَى ماتَلَقَّنُوهُ الصِّبْيان ، وأنفع لهُمْ مِنْ نِحْلَةِ العِقْيان

(غراء) ظاهرة حسنة (حاوية) جامعة (خلاصات) جمع خلاصة وهو الذى يتخلص من الشىء ويصفو منه (الزبد) جمع زبدة اللبن (نقحتها) هذبتها (محض) أخلص (اللبيب) العاقل (أخى الرشد) صاحب الرشد (الشبل) ولد الاسد (اقتديت) اتبعت وصيتى (واها) عجبا (اعتديت) ظلمت (آها) كلمة معناها التوجع (عرشك) سريرك والمعنى أنه يدعو له بالبقاء (سددا) صوابا (نحلت) أعطيت (الواضحة) البينة (الغادية) السحابة تأتى بالغدو (والرائحة) بالعشى... قال الفراء النحوى (من أشبه أباه فما ظلم) مثل ، أخذه الناس من قول كعب ابن زهير : أنا ابن الذى لم يخزنى فى حياته قديماً ومن يشبه أباه فما ظلم
(لقنوه) علموه (أولى) أحق (نحلة) عطية (العقيان) الدهب .

المقامة الحسون البصرية

حكى الحارثُ بنُ همَّام قال : أُشعِرْتُ فى بعضِ الأيَّامِ همًّا برَّحَ بى استعارُه ، ولاحَ على شعارُه ؛ وكُنْتُ سمِعْتُ أنَّ غِشيانَ مجالسِ الذِّكْرِ ، يسْرُو غواشِيَ الفكْرِ ، فلم أَرَ لإطْفاء مابى مِنَ الجَمْرَة ، إلَّا قصْدَ الجامعِ بالبَصْرَة ، وكانَ إذ ذاكَ مأهولَ المساند ، مَشْفوهَ الموارِد ، يُجتَنى من رياضِه أزاهيرُ الكلامِ ، ويُسْمَعُ فى أرجائِه صَريرُ الأقلام ، فانْطَلَقتُ إليه غيرَ وان ، ولا لاوٍ عَلَى شان ، فلما وطِئْتُ حَصاه واسْتَشْرفتُ أقصاه ، تراءى لى ذُو أطمارٍ باليَة ، فوقَ صَخْرَةٍ عاليَة ، وقد عُصِبَتْ به عَصَبٌ لا يُحْصَى عَديدُهم ، ولا يُنادَى وليدُهُم ، فابْتَدَرْتُ قصْدَه ، وتورَّدْتُ وِرْدَه ، ورَجَوْتُ أنْ أجِدَ شِفائى عِنْدَه ، ولم أزَلْ أتنقَّلُ فى المراكِز ، وأُغضِى لِلَّاكِزِ والواكِز ، إلى أنْ جَلَسْتُ تُجاهَهُ ، بِحَيْثُ أمِنْتُ اشْتِباهَه . فإذا هُو شَيْخُنا السَّرُوجِيُّ لارَيْبَ فيه ، ولا لَبْسَ يُخفيه ، فانْسَرَى بمرْآه همِّى ، وارْفَضَّتْ كتيبَةُ غمِّى ، وحينَ رآنى ، وبَصُرَ بمكانى ، قال ياأهْلَ البَصْرَةِ رعاكُمُ الله ووقاكُم ، وقوى تُقاكُمْ ، فما أضْوعَ ريَّاكُم ، وأفضَلَ

شرح المقـــامة

(أشعرت) ألبست (برح) شق واشتد (استعاره) توقده فى القلب (لاح) ظهر ، يريد أنه لبس الهم كالشعار (الشعار) ثوب يلى الجسد والشعار علامة القوم فى الحرب فعناه عبس وجهه من شدة الهم (يسرو) يزيل (غواشى الفكر)ما يغشاه ويدخل عليه من الهم (مأهول)كثير الأهل (المساند)جمع مسند وهو مايسند إليه ظهره أراد مواضع العلماء المتصدعين للاقراء(الموارد) مواضع المياه(مشفوه)كثير الشفاه عليه للشرب وأراد ازدحام الطلبة على الأشياخ لأخذ العلم (أزاهير) أنوار (ارجائه)نواحيه (صرير)أصوات(وإن)مقصر (لاو على شان) معرج على أمر(استشرفت أقصاه)اطلعت بنظرى عليه كله (تراءى) ظهر (أطمار) ثياب خلقة (عصبت) أحدقت وحلقت (عصب)جماعات (لا ينادى وليدهم) هذا مثل يستعمل فى الأمر المعجب المبالغ فى وصفه المعجب منه وقد يؤول على تأويلات وهو يستعمل فى الخير والشر والرخاء والشدة (ابتدرت قصده) أى عجلت المشى إلى جهته (توردت ورده) أى طلب منفعته (المراكز) مواضع الجلوس ومركز الرجل موضعه وركزت الشيء غرسته (أغضى) أغمض على المكروه(اللاكز) الضارب فى الصدر (الواكز) الضارب فى ناحية الفم والوكز واللكز بجمع اليد (تجاهه)قبالة وجهه (اشتباهه) التباسه بغيره (يخفيه)يستره (انسرى) زال وانكشف (ارفضت) تفرقت (كتيبة غمى) أى عسكره (وحين رآنى) يريد أن السروجى علم أو ابن همام يعرف مكروه بالناس فى كل بلد نخشى أن لا يسمح له بخداع اهل بلده فأخذ يمدح البصرة وأهلها ليرضيه بذلك (رعاكم الله) حفظكم (وقاكم) كفاكم ما يحذر (تقاكم) خوفكم الله (أضوع رياكم)أفوح

مَزايا كم ، بَلَدُكُم أوْفَى بالبلاد طُهْرَة ، وأزْكاها فِطرَة ، وأفسَحُها رُقعَة ، وأمرَعُها نُجعَة ؛ وأقوَمُها قِبلَة ، وأوسَعُها دِجلَة ، وأكثَرُها نَهراً ونخلَة ؛ وأحسَنُها تَفصيلاً وجُملَة ؛ دِهليزُ البَلَد الحَرام ؛ وقُبالَةُ الباب والمَقام ، وأحدُ جَناحَي الدُّنيَا والمِصرُ المُؤسَّسُ على التقوَى ، لم يَتدَنَّسْ بِبُيوتِ النِّيران ، وَلا طِيفَ فيهِ بالأوثان ، وَلا سُجِدَ على أديمِهِ لغَيرِ الرَّحمن ، ذو المَشاهِدِ المَشهُودَة ، وَالمَساجِدِ المَقصُودَة ، وَالمَعالِمِ المَشهُورَة ، وَالمَقابِرِ المَزورَة ، والآثارِ المَحمُودَة ، وَالخِطط المَخدُودَة ، به تَلتَقِي الفُلكُ والرِّكاب ؛ والحِيتانُ والضِّباب ، وَالحادى والمَلَّاح ، وَالقانِصُ والفَلَّاح ، وَالنَّاشِبُ وَالرَّامِحُ ، والسَّارِحُ والسَّابِحُ ، ولهُ آيَةُ المَدِّ الفائض والجَزْر الغائض ، وَأمَّا أنتُم فمِمَّنْ لا يَختَلِفُ فى خَصائِصِهِم اثنان ،

راتحتكم (مزايا كم) فضائلكم التى خصصتم بها (أو فى) أكمل (أفسحها) أوسعها (الرقعة) القطعة من الأرض (أمرعها) أخصبها (النجعة) موضع العشب ينتجعه الناس (دجلة) نهر البصرة (تفصيلا وجملة) يقول إن جزئت موضعها وتناظر كل جزء منها مع كل جزء من غيرها كان لها الفضل فان قيل أى البلاد أحسن على الجملة قيل البصرة (الدهليز) اسطوان الدار ومدخله (المقام) موضع قيام إبراهيم عليه السلام عند الكعبة للدعاء (أحو جناحى الدنيا) من قول أبى هريرة : الدنيا على مثال الطائر فالبصرة ومصر الجناحان فاذ خربا وقع الأمر (المؤسس على التقوى) الذى بنى أساسه فى الإسلام (يتدنس) يتوسخ (الأوثان) الأصنام (أديمة) جلده أراد به أرضه (الخطط)الدور والأزقة (المخطه) الموسومة ليبنى فيها (الفلك)السفن (الركاب) الإبل يريد أنها بحرية برية (الضباب) جمع ضب (الحادى) سائق الإبل فاذا كان الحادى حسن الصوت بلغت الإبل جهدها فى المشى (الملاح) خادم السفينة (القانص) صائد الحوت (الفلاح)الحراث (الناشب) الرامى بالنشاب (الرامح)الطاعن بالرمح أراد الاغزاز لأنهم رماة والعرب لأنهم أصحاب رماح (السارح) راعى الإبل (السابح)العائم فى الماء (آية)علامة (المد والجزر) أى زيادة البحر ونقصانه وهما الملء والحصر ونهر البصرة يركض فيه البحر (خصائصهم) مايختصون به من الفضائل أراد أن البصرة اجتمعت فيها الأشياء المتنافرة والمتضادة التى تجتمع ببلده فهى أجمع بلاد الله فائدة ، قال ابن أبى عيينة فى نحوه :

زر وادى القصر نعم القصر والوادى ... لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يقاربه ... من منزل حاضر إن شئت أو بادى
ترى قراقره والعيس واقفة ... والضب والنون والملاح والحادى

والبصرة اختطها عتبة بن غزوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعتبة بدرى مهاجرى بناها سنة أربع عشرة من الهجرة فمر بموضع منها فوجد الكذان وهى الحجارة الرخوة فقال هذه البصرة انزلوها بسم الله فسميت لذلك البصرة واختطت الكوفة سنة سبع عشرة من الهجرة فى المحرم وكسرت البصرة فى أيام خالد القسرى فوجد طولها فرسخين فى مثلها والكوفة ثلثاها وأما فى أيام المنصور فقسم على من يستوجب العطاء من أهل البصرة ألف ألف درهم فأصاب كل رأس درهمين ولأهل

ولا يُنْكِرُها ذو شَنَآن ، دَهْماؤكُمْ أطْوَعُ رَعِيَّةٍ لِسُلْطان ، وأشْكَرُهُمْ لإحْسان ؛ وَزاهِدُكُمْ أوْرَعُ الخَليقة ؟ وأحْسَنُهُم طَرِيقَةً عَلَى الحَقِيقَةِ ؟ وعالِمُكُم عَلاَّمَةُ كلِّ زمان والحُجَّةُ البالِغَةُ فى كلِّ أوَان . ومِنكُم مِنِ استَنْبَطَ عِلْمَ النَّحْوِ وَوَضَعَه ، الذى ابْتَدَعَ مِيزانَ الشِّعْرِ

البصرة ثلاثة أشياء ليس لأحد من أهل البلدان أن يدعيها عليهم النخل والشاه والحمام أما النخل فهم أعلم خلق الله به وأحذقهم باصلاحه وفيها من أصناف النخل ما ليس فى بلد من البلدان وأما الشاه المعبدية فوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عبد القيس فقال يارسول الله إنى رجل أحب الشاه فدفع له فحلا من المعز فقبض بيده على أصل أذنه حتى استدارت أصابعه فصار فى أذنه كالسمة فسار إلى بلده فاطرقه شاءه فحملت إلى البحرين فتناسلت هناك فليس فى البحرين شاة كريمة إلا وفى أذنها سمة كالحلقة فيغالى بها لتلك العلامة حتى تبلغ الشاة منها خمسين دينارا وتعقد بالبصره عقودها وفيها شاة لبنى فلان أمها فلانة وأبوها تيس بنى فلان مقدار حلبها بالغداة والعشى كذا ؛ وحمامهم بلغت فى الهداية أن جاءت من أقاصى بلاد الروم ومن مصر إلى البصرة ؛ وينتهى ثمن الطائر منها إلى سبعمائة دينار ونباع بيضتها بعشرين دينارا ، وكل ما وصف فى المقامة موجود فى البصرة ، ولما صعد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه إلى منبرها خطب وقال فى آخر خطبته يا أهل البصرة يابقايا ثمود يا جند المرأة ويا اتباع البهيمه دعا فاتبعتم وعقر فانهزمتم ماأنتم إنى أقول لارغبة فيكم ولا رهبة منكم غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرض يقال لها البصرة اقوم الارضين قبلة قارئها اقرأ الناس وعابدها أعبد الناس ومتصدقها اكثر الناس صدقة وتاجرها اعظم الناس تجارة منها إلى قرية يقال لها الأبلة اربع فراسخ يستشهد عند مسجدها سبعون ألفا الشهيد منهم كالشهيد فى بدر . فبنى الحريرى فى مدح البصرة على هذا الحديث وإنما ختم كتابه بذكر البصرة وأهلها لتقوى مفاخرهم ومفاخر بلدهم فى البلدان فيلهجون بالمقامات ويقدمونها على غيرها (شنآن) أى عداوة (دهماؤكم) جماعاتكم والدهماء معظم الناس وأكثرهم ؛ والدهم العدد الكثير (عابدكم) زاهدكم كالحسن البصرى ومحمد بن سيرين وغيرهما (الخليقة) أى أخوف الناس من الله تعالى (علامة) كثير العلم ، ومستنبط علم النحو هو أبو الأسود الدؤلى واسمه ظالم بن عمرو بن جندل سفيان احد بنى الدئل من كنانة وهو يعد فى التابعين والمحدثين والشعراء والبخلاء والنحويين ويعد فى العرج والمفاليج والبخر شهد مع على رضى الله عنه صفين وولى البصرة لابن عباس رضى الله عنهما وكان من شيعة على وكانت امرأته عثمانية وكان اصهاره لايزالون يردون عليه قوله فى على :

فقال فيهم

يقول الارذلون بنو قشير طوال الدهر لاتنسى عليا
فقلت لهم وكيف يكون تركى من الأعمال مايعصى عليا
أحب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة والوصيا
بنو عم النبى وأقربوه أحب الناس كلهم اليا
فان يك حبهم رشدا أصبه ولست بمخطىء أن كان غيا

ولم يشك أبو الاسود أنه رشد : وعلى هذا تأويل قوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ، ومن

بخله إنه كان يقول لاتجاودوا الله فان الله أجود وأمجد ولو شاء الله أن يوسع على خلقته حتى لا يكون فيهم محتاج لفعل وكان يقول لولده إذا بسط الله لك فى الرزق فانبسط وإن قبضه فانقبض ومر برجل وهو يقول من يعشى هذا الجائع فأدخله وعشاه حتى شبع ثم ذهب السائل ليخرج فقال له أين تذهب فقال لأهلى فقال لا أدعك تؤذى المسلمين بسؤالك اطرحوه فى الأدهم فبات عنده مكبولا حتى أصبح ، وكتب إلى رجل يستسلفه فكتب اليه الرجل المؤونة كثيرة والفائدة قليلة والمال مكذوب فراجعه أبو الاسود إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وإن كنت صادقا فجعلك الله كاذبا , وقال الخليل كان أبو الأسود ضنينا بما أخذه من على رضى الله عنه وذلك أنه سمع لحنا فقال لأبى الأسود اجعل للناس حروفا فأشار إلى الرفع والنصب والخفض ، وقال له زياد قد فسدت ألسنة الناس لأنه سمع رجلا يقول سقطت عصاتى فدافعه أبو الأسود وسمع رجلا يقرأ إن الله برىء من المشركين ورسوله نخفض فقال مابعد هذا شىء فقال ابغنى كاتبا يفهم فجىء برجل من عبدالقيس فلم يرضه فهمه فأتى بآخر من قريش فقال له إذا رأيتنى فقد فتحت فى بالحرف فانقط نقطة على اعلاه وإذا ضممت فى فانقط نقطة بين يديه وإذا كسرت فى فاجعل النقطة تحت الحرف فاذا أشربت ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين فهذا نقط أبى الاسود . . . واختلف الناس اليه يتعلمون العربية وفرع لهم ماأصله فأخذه جماعة كان أبرعهم عنبسة ابن معدان المهرى يقال له الفيل فأقبل الناس عليه بعد موت أبى الأسود فبرع من أصحابه ميمون الاقرن فرأس فى الناس وزاد فى الشرح فبرع من أصحابه عبدالله بن أبى اسحق الحضرمى فبرع فى النحو وتكلم فى الهمز وأملى فيه كتابا وأخذ أبو عمرو بن العلاء عمن أخذ عنه ثم نجم من أصحاب ابن أبى اسحاق أبو عمر عيسى ابن عمرو يونس بن حبيب وأبو الخطاب الاخفش فألف عيسى كتابين سمى أحدهما الكامل والآخر الجامع قال المبرد فأخذ الخليل عن عيسى فلم يكن قبله وبعده مثله وهو القائل يمدح كتابى عيسى :

بطل النحو الذى جمعتم غيرما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع وهما للناس شمس وقمر

قال أبو العباس وقد قرأت أوراقا من احدهما فكان كالاشارة إلى الأصول ثم أخذ عن الخليل جماعة لم يكن فيهم مثل عمرو بن قنبر سيبويه ويكنى أبا بشر وأبا الحسن وهو من موالى بنى الحرث بن كعب فألف كتابه الذى سماه قرآن النحو وعقد ابوابه بلفظ ولفظ الخليل ، وأبو الأسود من سكان البصرة ، ومستنبط مستخرج والذى استنبط العروض هو الخليل وذكره بعض العروضيين فقال للخيل فى العروض حكمة مخترعة وسابقة مبتدعة تبين بذلك فضلة وظهر تقدمه لأنه لم يتبع فيما وضعه أثرا موجودا ولا اقتفى فيه رسما مرسوما واهتدى إلى مالم يهتد اليه المتقدمون ولا أوجد مزيدا عليه المتأخرون ولولا الخليل لم يعلم صحيح الشعر من كسيره ولا سقيمة من عليلة . وفى حصره لجميع أوزان العرب فى خمس دوائر أعظم العجب لمن تدبر ماصنع وفهم. كان الخليل يحب أن يرى عبدالله بن المقفع وكان يحب ذلك فجمعها عباد المهلبى فتحادثا ثلاثة ايام ولياليهن ثم افترقا فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله فقال ما رأيت مثله قط وعلمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل فقال ما رأيت مثله قط وعقله اكثر من علمه ، وصدق فى ذلك : : . وأدى عقل الخليل إلى أن مات وهو ازهد الناس ، وجهل ابن المقفع أرداه ، فكتب كتابا لعبد الله بن على على المنصور فقال فيه ماكان

واخترَعَه ، وَما مِنْ فَخرٍ إِلَّا ولَكُمْ فيه اليَدُ الطُّولى ، والقِدْحُ المُعَلَّى ، وَلا صيتٍ إِلَّا وأَنتمْ أَحَقُّ به وَأَوْلى ، ثم إنَّكُم أكثَرُ أَهْلِ مِصْرٍ مُؤَذِّنين ، وأَحْسَنُهمْ في النُّسْكِ قوانين ، وبِكُم اقْتُدِيَ في التَّعْريف ، وعُرِفَ التَّسْحيرُ في الشَّهرِ الشَّريف . ولَكمْ إِذا قرَّتِ المَضاجِع ، وهَجَعَ الهاجِع ، تَذْكارٌ يُوقِظُ النائِم ، ويُؤْنِسُ القائم ، وَما ابْتَسم ثَغرُ فَجْرٍ ، ولا بَزَغَ نورُهُ في بَرْدٍ ولا حَرٍّ ، إلَّا وإِذَانُكُم بالأَسْحار ، دَوِيٌّ كَدَويِّ الرِّيح في البحار ، وبِهذا صَدَعَ عَنكُمُ النَّقْل ، وأَخْبَرَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ مِنْ قَبْل ، وَبيَّنَ أَن دَوِيَّكُم بالأَسْحَار كَدَوِيّ النَّحْلِ في القِفار ، فَشَرَفاً لَكُم بِبِشارَةِ المُصْطَفَى ، وواهاً لِمِصْرِكُم وإِنْ كانَ قد عَفا ، ولم يَبْقَ منه إِلَّا شَفا . . . ثم إنَّه خَزَنَ لسانَه وخَطَمَ بيانَه ، حتى حُدِجَ بالأَبْصار ، وقُرِفَ بالإِقْصار ، ووُسِمَ بالاسْتِقْصار ، فَتَنَفَّسَ تَنَفُّسَ مَنْ قِيدَ لِقَوَد ، أَوْ ضَبَثَتْ به بَراثِنُ أَسَد ؛ ثم قال أَمَّا أَنْتُمْ يا أَهْلَ البَصْرَةِ فما مِنْكُمْ إِلَّا العَلَمُ المَعْرُوفَ ومَنْ له المَعْرِفَة والمَعْرُوف ، وأَمَّا أَنا فَمَنْ عَرَفَني فأَنا ذاكَ ؟ وَشَرُّ المَعارِفِ مَنْ آذاكَ ، وَمَنْ

مستغنيا أن يقوله ولا يحتمل الامراء دون الخلفاء مثله فقال فيه : ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق ودوابه حوابس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته ، فاشتد ذلك على المنصور وكتب إلى أمير البصرة أن اقتل عبدالله بن المقفع فقتله ، وقال ابن المقفع : إن أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك فان زوال الكرامة بزوالها ولكن ليعجبك إن اكرموك لأدب أو دين ، واتخذ عباد المهلبي أرضا فأراد غرسها فلامه اصحابه ، وقالوا هي سبخة فأشار عليه الخليل بغرسها فجاءت بكل شيء حسن فحمل اليها الخليل فاستحسنها وقال

ترفعت عن ندى الاعماق وانخفضت	عن المعاطش واستغنت بسقياها
فما بالخوخ والرمان أسفلها	واعتم بالنخل والزيتون أعلاها
وصار يغبطه من كان يعذله	ولائم لامه فيها تمناها
ابا معاوية اشكر فضل واهبها	وكلما جئتها فاعمر مصلاها

وله :

عش مابدالك قصر الموت	لامهرب منه ولا فوت
بينا غنى بيت وبهجته	زال الغنى وتقوض البيت

وتوفى الخليل سنة سبعين ومائة وهو ابن خمس وسبعين سنة وتقدمت أخباره في الأربعين فلتنظر هناك (اختراعه) أي اوجده قبل ان يكون (مصر) اى بلد (قوانين) طرق مستقيمة (التعريف) حلق الرأس بعد يوم عرفة (قرت المضاجع) نام الناس فيها (هجع) نام (ثغر) سن واراد به بياض الصبح (بزغ) صدع وظهر (النقل) الحديث المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم (واها) عجبا (عفا) درس (شفا) طرف وشيء قليل وشفا كل شيء حده وطرفه (خزن) حبس (خطم) زم والخطام حبل يشد على انف البعير (حدج) نظر اليه بحدة (قرف) اتهم وقرفته بشر رميته به (الاقصار) العجز (قواد) قتل نفس بنفس (ضبثت) علقت (براثن) اظافير (العلم المعروف) المشهور بالفضائل (والمعروف) الثاني العطاء (انجد وانهم) اتى نجدا وتهامة

لم يَنبُتْ عِرقى فسأُصَدِّقُهُ صِنّى ، أنا الذى أنجدَ وأتهمَ ، وأيمنَ وأشأمَ ، وأصحرَ وأبحرَ ؛ وأدلجَ وأسحرَ ، نشأتُ بسروج ؛ وربيتُ على السُّروج ، ثم ولجتُ المضايق ، وفتحتُ المغالق ، وشهدتُ المعارك ، وألنتُ العرائكَ ، واقتدتُ الشوامس ، وأرغمتُ المعاطس ، وأذبتُ الجوامد ، وأمعتُ الجلامد ، سلوا عنّى المشارقَ والمغارب ، والمناسمَ والغوارب ، والمحافل والجحافل ، والقبائلَ والقنابل ، واستوضحونى من نقلةِ الأخبار ، ورواةِ الأسمار ، وحداةِ الركبان ، وحذّاقِ الكهّان ؛ لتعلموا كم فجٍّ سلكتُ وحجابٍ هتكتُ ومهلكةٍ اقتحمتُ ، وملحمة ألحمتُ ، وكم ألباب خدعتُ ، وبدعٍ ابتدعتُ ؛ وفرصٍ اختلستُ ، وأسدٍ افترستُ ، وكم محلّقٍ غادرتُهُ لقى ، وكامنٍ استخرجتُهُ بالرُّقى ، وحجرٍ شحذتُهُ حتى انصدعَ ، واستنبطتُ زلالَه بالخُدَع ، ولكن فرطَ ما فرطَ والغصنُ رطيب ، والفودُ غربيب ، وبردُ الشباب قشيب ؛ فأمّا الآنَ وقد استشنَّ الأديم ، وتأوّدَ القويم ، واستنارَ الليلُ البهيم ،

(أيمن وأشام) أتى اليمن والشام (أصحر وابحر) مشى فى الصحراء والبحر (أدلج وأسحر) مشى بالليل والسحر (نشأت) كبرت (ولجت) دخلت (المعارك) مواضع القتال (العرائك) الطبائع الصعبة (الشوامس) الشوارد التى تأبى الانقياد (أرغمت المعاطس) أذللت الانوف (أمعت الجلامد) أسلت المياه من الجنادل الصم (المناسم) أخفاف الابل (الغوارب) مقام ظهورها (المحافل) الجموع(الجحافل)الجيوش (القنابل) جماعة الخيل واحدها قنبلة (استوضحونى) اطلبوا بيان أمرى (الاسمار) الأحاديث بالليل يسمر عليها (الحداة) خدام الابل (فج) طريق فى الجبل (سلكت) دخلت (هتكت) خرقت (مهلكة) موضع خوف يهلك فيه الناس (اقتحمته) ترامیت فیه (ملحمة) مواضع الحرب الشديدة يلتحم فيها أهل العسكرين ويلتصق بعضهم ببعض (الحمت) أى أوقدت النار بينهم حتى التصقوا وصاروا لحمة واحدةوذلك أشد مايكون الحرب (ألباب) عقول (بدع) جمع بدعة وهو الشيء المبدع (اختلستها) أخذتها بسرعة واختطفتها (محلق) فى الهواء طائر(لقى) مطروحا على الأرض (كامن) مستور (شحدته) صقلته (انصدع) انشق . . وأراد بالحجر بخيلا لايرشح بشيء كالحجر فتحيل عليه حتى أخذ ماله (استنبطت) استخرجت (زلاله)ماءه العذب الصافى أراد أخذت ماله (فرط مافرط) أى سبق ماسبق (رطيب) ناعم وغصنه قامته الفود ناحية الرأس (غربيب) أسود (برد) ثوب (قشيب) جديد (استشن الأديم) يبس الجلد والشن القربة البالية اليابسة (تأود القويم)اعوج المعتدل(استنار) أضاء وشاب(الليل البهيم) الشعر الأسود وقال الشاعر فى معنى استشن الأديم :

ياهن لشيخ قد تخدد لحمه	أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكةوسحق مفوف	وأجد لونا بعد ذاك هجانا
قصر الليالى خطوه فتدانى	وحنون قائم صلبه فتحانى
والموت يأتى بعد هذا كله	وكأنما يعنى بذاك سوانا

فليس إلَّا النَّدَمُ إن نَفَع ، وتَرْقِيعُ الخَرْقِ الذى قد اتَّسَع ، وكُنْتُ رُوِّيتُ مِنَ الأخبارِ المُسْنَدَة ، والآثارِ المُعْتَمَدَة ، أنَّ لكم مِنَ اللهِ تعالى فى كلِّ يومٍ نَظْرة ، وأنَّ سلاح النَّاسِ كلِّهم الحديد ، وسِلاحكم الأدْعِيَةُ والتَّوْحيد ، فقصَدْتُكُمْ أنْضِى الرَّوَاحِلَ ، وأطْوِى المَراحل ؛ حتى قمْتُ هذا المَقامَ لَدَيْكم ؛ ولا مَنَّ لى عليكم ، إذْ ماسَعَيْتُ إلَّا فى حاجَتى ، ولا تَعِبْتُ إلَّا لِرَاحَتى ، ولَسْتُ أَبْغِى

وقال ابن الرومى فى استنارة الليل :

لجار على ليل الشباب فضامه نهار مشيب سر ليس ينفد
وعزاك عن ليل الشباب معاشر وقالوا نهار الشيب أهدى وأرشد
وكان نهار المرء أهدى لرشده ولكن ظل الليل أندى وأبرد

وأنشد الزاهد بن عمران قول الشاعر :

لم أقل للشباب فى كنف الله ولا حفظه غداة استقلا

فزادبعداستقلا: لا ولا للمشيب لما بدا لى مرحبا بالمشيب أهلا وسهلا
مؤذن بالحمام هذا ؛ وذاكم سود الصحف بالذنوب وولى

وأحسن ما قيل فى ذم خضابه قول ابن الرومى :

رأيت خضاب المرء بعد مشيبه حدادا على فقد الشبيبة يلبس
وإلا فما يغرى الفتى بخضابه أيطمع أن يخفى شباب مدلس
وكيف بان يخفى المشيب لناظر وكل ثلاث صبحه يتنفس
وهبه يوارى سيبه أين ماؤه وأين أديم للشبيبة أملس

وقال محمود الوراق :

يا خاضب الشيبة نح فقدها فانما تدرجها فى كفن
أما تراها منذ عاينتها تزيد فى الرأس بنقص البدن

(ليس إلا الندم) ابن مسعود : قال رسول صلى الله عليه وسلم من أذنب ذنبا أو أخطأ خطيئه فندم كان كفارة لما صنع وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض وإن لكم من الله نظرة ... كتب عبد الله بن الحجاج يتوعد على بن الحسين ويكتب اليه بما يقول ففعل فقال إن لله لوحا محفوظا يلحظه فى كل يوم مائة لحظة ليس منها لحظة إلا يحى فيها ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وإنى لأرجو أن يكفيك الله منها بلحظة واحدة ؛ فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك، وكتب ملك الروم إلى عبد الملك أكلت الجمل الذى ركب عليه أبوك من المدينة لأغزينك جنودا مائة ألف ومائة ألف فكتب اليه عبد الملك بكلام على فقال ملك الروم ما خرج هذا إلا من كلام النبوة (أنضى الرواحل) أهزل الإبل (أطوى المراحل) أقطع الأرض مجتهدا وأراد المرحلتين والثلاث مرحلة واحدة (من) إحسان (أبغى)

أعْطِيَتَكُم بلى أستَدْعِي أدْعِيَتَكُم ، ولا أسْألُكُم أمْوالَكُم ، بل أستَنْزِلُ سُؤالَكُم ، فادْعُوا اللهَ تعالى بِتَوْفِيقٍ لِلمَتَاب ، والإعْداد لِلمآبِ ؛ فإنَّهُ رَفِيعُ الدَّرَجات ، مُجيبُ الدَّعَوات ، وهو الذى يَقبَلُ التَّوْبَةَ عن عبادِه ويَعفُو عن السَّيِّئات ، ثم أنشد :

أستَغفِرُ اللهَ مِنْ ذُنُوبٍ … أفْرَطْتُ فِيهِنّ واعْتَدَيْتُ
كم خُضْتُ بَحْرَ الضَّلال جَهْلا … ورُحْت فى الغَيِّ واغْتَدَيْتُ
وكم أطَعْتُ الهَوَى اغْتِرارًا … واخْتَلْتُ واغْتَلتُ وافْتَرَيْتُ
وكم خَلَعْتُ العِذارَ رَكضاً … إلى المَعاصِى وما وَنَيْتُ
وكم تَناهَيْتُ فى التَّخَطى … إلى الخطايا وما انْتَهَيْتُ
فَلَيْتَنى كُنتُ قَبلَ هذا … نِسْيًا ولم أجْنِ ماجَنَيْتُ
فالمَوْتُ لِلمُجرِمِين خَيْرٌ … منَ المَساعِى التى سَعَيْتُ
يارَبِّ عَفْوًا فأنْتَ أهْلٌ … لِلعَفْوِ عَنِّى وإنْ عَصَيْتُ

أطلب (الاعطية والأدعية) اسم لما يعطى ولما يدعى (استنزل) أطلب بتلطف (سؤالكم) طلبكم التوبة لى من الله تعالى (المآب) الرجوع (يعفو) يمحو وعفا الله عنك درس ذنوبك ومحاها من عفا المنزل درس وانمحت آثاره ، وقال ابن المعتز:

كنت فى سفرة البطالة والغى … زمانا فحان منى قدوم
تبت عن كل مأثم فعسى يـ … ـمحى بهذا الحديث ذاك القديم

وله:

الله يعلم ما اثم هممت به … إلا ونغصه خوفى من النار
وإن نفسى ما همت بمعصية … إلا وقلبى عليها عائب زارى

آخر:

تطالبنى نفسى بما فيه صونها … فأغضى ويسطو توقها فأطيعها
ووالله ما يخفى على ضلالها … ولكنها تأبى فلا أستطيعها

(أفرطت) أى ضيعت (اعتديت) ظلمت نفسى قال داود الطائى ما اخرج الله عبدا من ذل المعصية إلى عز الطاعة إلا وأغناه بغير مال وآنسه بغير أهل وأعزه بلا عشيرة (خضت) جزت (الغى) الضلال (اغترار) انخداع (اختلت) تكبرت ومشيت تخيلا (اغتلت) أهلكت والغيلة القتل بالخداع وغالهم قتلهم غيلة (افتريت) كذبت (خلعت العذار) أزلت لجام الدين الذى يمسكنى وتسيبت فى المعاصى (ركضا) جريا ووثبا (ونيت) فترت وقصرت فى الجرى اليها (تناهيت) أى بلغت النهاية وهى آخر الشىء (التخطى) الجواز والقطع وتخطيت الشىء جزته والخطايا الذنوب وهى من الخطأ لأن فاعلها مخطىء بفعلها (النسى) الشىء المنسى لحقارته لا يخطر ببالك فتنساه (أجن) اكتسب (المساعى) جمع مسعاة وهى السعى والمشى الكديد والمساعى أيضا

قال الراوى فطفقت الجماعة تمده بالدعاء، وهو يقلب وجهه فى السماء، إلى أن دمعت أجفانه، وبدا رجفانه، فصاح الله أكبر بانت أمارة الاستجابة، وانجابت غشاوة الاسترابة، فجزيتم يا أهل البصيرة جزاء من هدى من الحيرة، فلم يبق من القوم إلا من سر لسروره، ورضخ له بميسوره، فقبل عفو برهم، وأقبل يغرق فى شكرهم، ثم انحدر من الصخرة، يؤم شاطىء البصرة، واعتقبته إلى حيث تخالينا، وأمنا التجسس والتحسس علينا، فقلت له لقد أغربت فى هذه النوبه، فما رأيك فى التوبة، فقال أقسم بعلام الخفيات، وغفار الخطيات، إن شانى لعجاب، وإن دعاء قومك لمجاب، فقلت زدنى إفصاحا زادك الله صلاحا، فقال وأبيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع، ثم انقلبت منهم بقلب المنيب الخاشع، فطوبى لمن صغت قلوبهم إليه، وويل لمن باتوا يدعون عليه، ثم ودعنى وانطلق وأودعنى القلق، فلم أزل أعانى لإجله الفكر، وأتشوف إلى خبرة ما ذكر، وكلما استنشيت خبره من الركبان وجوابة البلدان، كنت كمن حاور عجماء، أو نادى صخرة صماء إلى أن لقيت بعد

المواضع التى يسعى فيها أن يمشى بكد وقال حبيب

أخاف إلهى ثم أرجو نواله	ولكن خوفى غالب لرجائيا
ولولا رجائى واتكالى على الذى	تكفل لى بالصنع كهلا وناشيا
لما ساغ لى عذب من الماء بارد	ولا لذ لى نوم ولازلت باكيا
على إنه قد كان منى جهالة	ليالى فيها كنت لله عاصيا

أخذه من قول الحسن البصرى : : ينبغى أن يكون الخوف أغلب من الرجاء فان الرجاء إذا غلب الخوف فسد القلب (فطفقت) أى اخذت رجعلت (تمده بالدعاء) أى تصل دعاءها بدعائه، وتقول امددته بالمال إذا قويته به ومددته بالجيش (رجفانه) اهتزازه ورجف الشىء تحرك والرجفة اهتزاز الأرض (بانت) ظهرت (انجابت) انكشفت وزالت (غشاوة الاسترابة) غطاء الشك (رضخ) اعطى (ميسوره) مانيسر له (عفو برهم) نضل إحسانهم (يهرف) يكثر الكلام ويطنب فى الشكر (انحدر) انصب (يؤم) يقصد (شاطىء) ساحل (اعتقبته) تبعته (تخالينا) صرنا فى خلوة من الناس (التجسس) طلب الشىء باليد وقيل التجسس طلب الشىء بالكلام (والتحسس) طلبه باليد ثم قد يقع كل واحد منهما موقع صاحبه. . ابن الانبارى : تجسس الرجل وتحسس بمعنى واحد هذا إجماع اهل اللغة، وفرق بينهما يحيى بن ابى كثير فقال :التجسس البحث عن عورات الناس والتحسس الاستماع لحديث القوم، ابن الانبارى : الجاسوس الباحث على امور الناس (النوبة) الدولة (ايضاحا) بيانا (المريب) صاحب الريبة (المنيب) الراجع الى الله بتوبته (الخاشع) هو الخاضع (صغت) مالت (اعانى) اقاسى (أتشوف) اتطلع (خبرة) اختبار (استنشيت) استطلعت وأصل معناه شممت (جوابة) قطاعة وجوالة أى الذين عادتهم الجولان فى البلاد (حاور) كلم (عجماء) بهيمة والمحاورة المراجعة فى الكلام (تراخى) طول المدة

تَرَاخِي الأمد ، وَتَرَاقِي الكَمَد ، رَكباً قافلين من سفر ، فقلتُ هل من مُغْرِبَةِ خبرَ ، فقالوا إنَّ عند
لخبرا أغربَ مِنَ العَنقاء ، وَأَعْجَبَ مِنْ نظرِ الزَّرقاء ، فسألتهُمْ إيضاحَ ما قالوا

(الكمد) مصاحبة الهم والحزن (ركبا) أصحاب الابل (قافين) راجعين من سفر (مغربة) أى هل عندكم من حديث غريب (العنقاء) قال ابن عباس رضى الله عنه هو طائر فضل به بنو اسرائيل فانتقل بعد يوشع إلى بلاد قيس عيلان بنجد والحجاز فاذا الولدان فشكوا ذلك إلى خالد بن سنان وكان نبيا بين عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فدعا الله أن يقطع نسلها فبقيت صورتها تصور فى البسط وكان أجمل طائر وأعظمه ووجهه على هيئة وجوه الناس ، وقال أهل الرواية عنقاء مغرب إنما هو الأمر العجيب والعنق السرعة . . وذكرت عجائب البلدان بمجلس الراضى فقال قائل أعجب مافى الدنيا طائر بأرض طبرستان على شاطئ الأنهار شبيه بالباشق يسمى الكلم وهو يصيح فى فصل الربيع فتجتمع اليه العصافير وصغار الطير فتزفه فاذا كان آخر النهار أخذ واحدا مما قرب من الطير فيأكله فذلك فعله إلى أن ينقضى فصل الربيع فتجتمع اليه العصافير وصغار الطير فتطرده وتضربه فيفر منها فلا يسمع له صوت إلى الفصل الربيعى وهو طائر حسن موشى العينين . وذكر الجاحظ أنه من عجائب الدنيا وذلك أنه لا يطأ الأرض بقدميه بل باحداهما خوفا على الأرض أن تنخسف من تحته ، والثانى دودة تضىء بالليل كالشمع وتصير بالنهار لها أجنحة خضر وبالليل لا جناحين لها غذاؤها التراب لم تشبع قط منه خوفا أن يفنى التراب فتموت جوعا ، والثالث أعجب من الطائر والدودة من يكرى نفسه للقتال يعنى المسترزقة من الجند ، فاستحسن الخبر من حضر ، فقال الراضى معارضا لما ذكر الجاحظ : أن أعجب مافى الدنيا ثلاث : اليوم لا تظهر بالنهار خوفا أن تصيبها العين لحسنها وجمالها فتظهر بالليل الثانى الكركى لا يطأ الأرض بقدميه معا بل باحداهما فاذا وطئها لم يعتمد عليها اعتمادا قويا خوفا من أن تنخسف الأرض بثقلة ،الثالث الطائر الذى يقعد فى مشارق الماء من الأنهار الذى يعرف بمالك الحزين يشبه الكركى لا يشبع من الماء خشية أن يفنى فيموت عطشا فافترق أهل المجلس والكل متعجبون من الراضى كيف تأتى منه مثل هذه المذكرة مع من حضره من أهل السن والمعرفة مع صغر سنه، والحكاية بكمالها فى كتاب المسعودى ، وأما الزرقاء فكانت تبصر على مسيرة ثلاث ليال وكانت من جديس بن عامر ارم بن سام بن نوح وكان مع حديس طسم بن ولاذ بن ارم وكانت مملكتهم فى طسم وكانوا يسكنون اليمامة وهما من العرب العاربة فأقاموا برهة وبلادهم أفضل البلاد حدائق ملتفة وقصور مصطفة فكفروا بأنعم الله فأهلكهم وذلك لأنهم ملكهم عملوق بن طسم وكان غشوما لا يملك نفسه فى هواه فاختصمت اليه امرأة من جديس اسمها هزيلة مع زوجها فى ابن لها فأمر بالولد فجعل فى غلمانه وأمر الزوج أن يباع وتعطى المرأة عشر ثمنه وبالمرأة أن تباع ويعطى الزوج خمس ثمنها فقالت هزيلة

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا فأبدع حكما فى هزيلة ظالما

وهى أبيات فبلغه قولها فأمر أن لا تتزوج امرأة من جديس حتى تحمل اليه قبل زوجها فيفتذرها ،فلقوا منه ذلا طويلا إلى أن تزوجت الشموس بنت غفار أخت الاسود بن غفار وكان سيد جديس فلما كانت ليلة اهدائها

وانْ يَكِيلُوا لى بما ا كتالُوا ، فَحَكَوْا أَنَّهمْ أَلَمُّوا بِسَرُوج ، بَعْدَ أنْ فارَقَها العُلُوج ؛ فَرَأَوْا أَبَا زَيْدِها المَعْرُوف ؛ قد لَبِسَ الصّوف ، وأَمَّ الصُّفُوف ، وَصارَ بها الزَّاهِدَ المَوْصُوفَ ، فقلت أَتعْنُونَ ذَا المَقامات ،

حملت اليه والقيان معها يقلن :

ابدأ بعملوق اليه فاركب   وبادر الصبح بأمر معجب   فما لبكر بعدكم من مذهب

فلما افتضحها خرجت على قومها فى دمائها شاقة جيبها من دبر ومن قبل وهى تقول :

أيصلح ما يؤتى على فتيانكم   وأنتم رجال فيكمو عدد الرمل
فان أنتموا لم تغضبوا بعد هذه   فكونوا نساء لا تفر من القحل
فلو كنا رجالا وكنتموا   نساء لكنا لا نقيم على الذل

فأنفت جديس عند ذلك واجتمعت إلى أخيها الاسود وأجمعوا على أن يصنعوا لها طعاما فيدعو عملوقا مع فاذا جاؤا فى الخيل والبغال عموهم بالقتل فقالت الشموس لأخيها الغدر عار وعاقبته بوار صبحوا القوم فى ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما فقالوا لها المكر أمكن من نواصيهم ثم صنع لهم الطعام ودفنوا سيوفهم فى الرمل فلما استكملوا فى المداعاة أتوا عليهم أجمعين وهرب من طسم رباح بن مرة فأتى حسان بن تبع لينصره فاستبعدوا أرضهم وكان قد تبع لرباح كلبه فضربها فى رجلها حتى عرجت فقال أبعيدة أرض قطعتها كلبة عرجاء فتجهز معه بجيش فلما صاروا من جديس على ثلاثة أيام صعدت الزرقاء على منار كان لها لتنظر الجيش وكان رباح قد قال لهم إن الزرقاء تبصر على ثلاث ليال ولكن ليقطع كل رجل منكم غصنا من شجر فيحمله لتشبه عليها فلما رأتهم قالت ياقوم أتتكم الشجر أو أتتكم حمير فلم يصدقوها فقالت :

أقسم بالله لقد دب الشجر   أو حمير قد أقبلت شيئا تجر

فكذبوها وقالوا كل بصرك وضعف فقالت أقسم بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفا أو يخصف نعلا فتهاونوا بحديثها حتى صبحهم حسان فاجتاحهم فاخذت الزرقاء فشق عيناها فاذا فيها عروق سود من الاثمد وكانت أول من اكتحل به ، وهرب الاسود فنزل بطيء فنسله فيهم ، وتسمى زرقاء اليمامة ، واسم البلد جو ، فلما صلبت على بابها سميت اليمامة وقيل اليمامة اسم البلد واسم الزرقاء عنز ، وقيل إن حسانا لم يصلبها ولكن حملها فى السبي وقالت عند ما قرب لها البعير لتركبه ولم تكن اعتادت ركوبه :

شر يوميها وأغواه لها   ركبت عنز بحدج جملا

وقيل إن عنزا هى أخت الزرقاء وقال الشاعر :

ما نظرت ذات أجفان كنظرتها   حقا كما صدع الدين الذى صدعا
قالت أرى رجلا فى كفه كتف   أو يخصف النعل لهفى أية صنعا
فكذبوها فوافتها على عجل   أقيال حمير تزجى الموت والشرعا
فاستنزلوا أهل جو من معاقلهم   وهدموا شامخ البنيان فاتضعا

(يكيلوا لى بما اكتالوا) أى يعطونى ما أعطوا من العلم (ألموا) نزلوا (العلوج) الروم (أم) صار إماما

فقالوا : إنهُ الآنَ ذُو الكرامات ، فحفزني إليه النزاع ، ورأيتها فرصةً لا تُضاع ؛ فارتحلتُ رحلةَ المُعِدِّ ، وسرتُ نحوهُ سيْرَ المُجِدّ ؛ حتى حللتُ بمسجدِه ، وقرارةِ مُتعبَّدِه ، فإذا هو قد نبذَ صُحبةَ أصحابِه ، وانتصبَ في محرابِه ، وهو ذُو عباءةٍ مخلولة ، وشملةٍ موصولة ، فهِبتُه مهابةَ من ولجَ على الأسود ، وألفيتُهُ ممن سيماهُم في وجوهِهم من أثرِ السُّجود ، ولمّا فرغَ من سُبحتِه ، حيّاني بمُسبِّحتِه ، من غيرِ أن نَغَمَ بحديث ، ولا استخبرَ عنْ قديمٍ ولا حـديث ؛ ثم أقبلَ على أوراده ، وتركني أعجبُ من اجتهاده ، وأغبطُ من يَهدي اللهُ من عبادِه ، ولم يزلْ في قُنوتٍ وخُشوع ، وسُجودٍ وركوع ، وإخباتٍ وخُضُوع ، إلى أن أكملَ إقامةَ الخَمْس ، وصارَ اليومُ أمس ، فحينئذٍ انكفأَ بي إلى بيتِه ، وأسهمني قُرصِه وزيتِه ، ثم نهضَ إلى مُصلّاه ، وتخلّى بمُناجاةِ مولاه ، حتى إذا التمعَ الفجر ؛ وحقَّ للمُتهجِّدِ الأجر ، عقّبَ تهجُّدَهُ بالتسبيح ، ثم اضطجعَ ضِجعةَ المُستريح ، وجعلَ يُرجِّعُ بصوتٍ فصيح :

خَلِّ ادِّكارَ الأربعِ والمَعهـدِ المُرتبعِ
والظاعنِ المُودِّعِ وعدِّ عنهُ ودعِ

(حفزني) عجلني (النزاع) الشوق (فرصة) غنيمة (المعد) الكامل العدة في السفر (قرارة) الموضع الذي يقر فيه (متعبده) موضع عبادته (نبذ) ترك (انتصب) قام ووقف (المحراب) عند العرب سيد المجالس ومقدمها وأشرفها وقيل للقبلة محراب لأنه أشرف موضع في المسجد وقيل للقصر محراب لأنه سيد المنازل، الأصمعي : المحراب عندهم الغرفة ، أحمد بن عبيد : المحراب مجلس الملك سمي بذلك لانفراد الملك به لا يقرب به أحد وسمي محراب المسجد لانفراد الإمام به ويقال فلان حرب لفلان إذا كان بينهما مباعدة (عباءة) كساء (مخلولة) بالية مشدودة بالخلال (والشملة) الكساء يشتمل به (موصولة) يريد أنها خلقة قد تقطعت فوصلت (ولج) دخل (ألفيته) وجدته (سيماهم) علامتهم (حياني بمسبحته) أي بسبابته وقد تقدم ذكرها (نغم) تكلم بكلام خفي (الاوراد) جمع ورد وهو النصيب من القرآن يقوم به الإنسان كل ليلة (أغبط) أحسد وأتمنى أن أكون مثله (سجود وركوع) سجد الرجل إذا انحنى ومال إلى الأرض من قول العرب سجدت الدابة وأسجدت إذا خفضت رأسها لتركب ويقال قنت الرجل إذا أخذ في التعظيم والدعاء لله تعالى والقنوت على أربعة أقسام الطاعة كقوله تعالى كل له قانتون والصلاة كقوله تعالى اقنتي لربك واسجدي وطول القيام كقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل أي الصلاة أفضل فقال طول القنوت والسكوت كقول زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا الذي يليه حتى نزل وقوموا لله قانتين فامسكنا عن الكلام قال أبو عبدة نرى أن القنوت في الصبح سمي قنوتا لأن الإنسان قائم في الدعاء من غير أن يقرأ القرآن فكأنه في سكوت (اخبات) أي تذلل (انكفأ) انقلب (أسهمني) أي اعطاني سهما أي نصيبا (تهجده) قيامه للصلاة (ادكار) تذكر (الأربع) المنازل (عد) كف (دع) اترك

واندُبْ زَماناً سَلَفَا سَوَّدْتَ فيه الصُّحُفَا
ولم تَزَلْ مُعتَكِفاً عَلَى القَبيحِ الشَّنِع
كَمْ لَيلَةٍ أَوْدَعْتَها مَآثِماً أَبْدَعْتَها
لِشَهْوَةٍ أَطَعْتَها فى مَرْقَدٍ ومَضْجَع
وكَمْ خُطًى حَثَثْتَها فى خِزْيَةٍ أَحْدَثْتَها
وتَوْبَةٍ نَكَثْتَها لِمَلْعَبٍ ومَرْتَع
وكم تَجرَّأْتَ على رَبِّ السَّمواتِ العُلَى
ولم تُراقِبْهُ ولا صَدَقْتَ فيما تَدَّعِى
وكَمْ غَمَصْتَ بِرَّهُ وكَمْ أَمِنْتَ مَكْرَهُ
وكَمْ نَبَذْتَ أَمْرَهُ نَبْذَ الحِذَا المُرَقَّع
وكم رَكَضْتَ فى اللَّعِبْ وفُهْتَ عَمْداً بالكَذِبْ
ولم تُراعِ مايَجِبْ مِنْ عَهْدِهِ المُتَّبَع
فالْبِسْ شِعارَ النَّدَمِ واسْكُبْ شآبِيبَ الدَّم
قَبْلَ زَوالِ القَدَمِ وقَبْلَ سُوءِ المَصْرَعِ
واخْضَعْ خُضوعَ المُعْتَرِفْ ولُذْ مَلاذَ المُقْتَرِفْ
واعْصِ هَواكَ وانْحَرِفْ عنهُ انْحِرافَ المُقْلِع
إلامَ تَسْهُو وتَنِى ومُعْظَمُ العُمْرِ فَنِى
فيما يَضُرُّ المُقْتَنِى ولَسْتَ بالمُرْتَدِع

(اندب) ابك (سلف) ذهب وتقدم (الصحف) الكتب (المعتكف) المقيم (الشنع) الذى يتحدث بقبحه (أودعتها) أى ضمنتها وجعلتها فيه (المآثم) الذنوب (أبدعتها) اخترعتها (خطا) جمع خطوة وهى الباع (حثثتها) عجلتها (خزى) هوان (نكثتها) نقضتها (مرتع) أكل رغد (تجرأت) تشجعت وأقدمت (تراقبه) تحارسه وتخشى منه (غمصت) نقصت (بره) إحسانه (نبذت) تركت (الحذاء) النعل (ركضت) جريت (فهت) نطقت (تراع) تحفظ (العهد) الميثاق (شعار) ثوب يلصق بالجسد (اكسب) صب (شآبيب) دفع المطر واحدها شؤبوب فاستعارها للدم كما استعار الدمع للدمع (المصرع) موضع السقطة وصرعت اسقت (لذ) الجأ (ملاذ) ملجأ (المقترف) المذنب (انحرف) مل (المقلع) الذى يقلع عن المعاصى ويفارقها (تسهو) تخطىء (تنى) تفتر (فنى) تم سكن الياء ضرورة (المقتنى) المكتسب (المرتدع) المنتهى الكاف عن شهواته

أَمَا تَرَى الشَّيْبَ وَخَط وَخَطَّ فِي الرَّأْسِ خُطَطْ
وَمَنْ يَلحْ وَخَطُ الشَّمَطْ بِفَوْدِهِ فَقَدْ نُعِي
وَيْحَكِ يَا نَفْسُ احْرِصِي عَلَى ارْتِيَادِ المَخْلَصِ
وَطَاوِعِي وَأَخْلِصِي وَاسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي
وَاعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى مِنَ القُرُونِ وَانْقَضَى
وَاخْشَيْ مُفَاجَاةَ القَضَا وَحَاذِرِي أَنْ تُخْدَعِي
وَانْتَهِجِي سُبْلَ الهُدَى وَادَّكِرِي وَشْكَ الرَّدَى
وَأَنَّ مَثْوَاكِ غَدَا فِي قَعْرِ لَحْدٍ بَلْقَعِ
آهًا لَهُ بَيْتِ البِلَى وَالمَنْزِلِ القَفْرِ الخَلَا

(وخط) فشا وانتشر والوخط مخالطة بياض شيب الرأس بسواده والوخط فى غير هذا الطعن غير النافذ (خط) كتب (خطط) طرائق (الشمط) اختلاط بياض الشيب بسواد الشعر (بفوده) بجانب رأسه (نعى) تحدث بموته ؛ وقال الالبيرى :

الشيب نبــه ذا النهى فتنبها ونهى الجهول فما استفاق ولا انتهى
بل زاد غيا نفسه فتهافتت تبغى اللها وكأنهـــا بين اللها
فالى متى ألهو وأفرح بالمنى والشيخ أقبح ما يكون إذا لها
ما حسنه إلا التقى لا أن يرى صبا بألحاظ الجآذر والمها
أنى يقاتل وهو مفلول الظبا كابى الجزى إذا استقبل تأوها
محق الزمان هلاله فكأنما أبقى له منه على قدر السها
فغدا حسيرا يشتهى أن يشتهى ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى
إن أن أواه وأجهش بالبكاء لذنوبه ضحك العدو وقهقها
ليست تنهنهه العظات ومثله فى سنه قد آن أن يتنهنها
فقد اللدات وزاد غيا بعدهم هلا تيقظ بعدهم وتنبهـــا
يا ويحــه ما باله لا ينتهى عن غيه والعمر منه قد انتهى

(ارتياد) أى طلب (المخلص) المنجى (عى) احفظى وهو أمر للمؤمن من وعى يعى (اعتبرى) اتعظى (القرون) الأمم السابقة (انقضى) فرغ وتم (والقضاء) هنا الموت (ومفاجأته) اتيانه على غفلة (حاذرى) خافى (انتهجى) اسلكى وامشى فى نهج وهو الطريق البين (سبل الهدى) طرق الرشاد (ادكرى) تذكرى (وشك الردى) سرعه الموت (مثواك) موضع إقامتك لأن المثوى والثواء الإقامة والمثوى الموضع الذى تقيم فيه (لحد) شق فى جانب القبر (بلقع) خال (آها) كلمة توجع (مورد) موضع الماء (السفر) المسافرون (الالى) الأولون

وَمَوْرِدَ السَّفْرِ الأُولَى وَاللَّاحِقُ المُتَّبِعِ
بَيْتٌ يُرَى مَنْ أُوْدِعَه قَدْ ضَمَّهُ وَاسْتُوْدِعَه
بَعْدَ الفَضَاءِ وَالسَّعَه قِيدُ ثَلاثِ أَذْرُعِ
لافَرْقَ أَنْ يَحُلَّهُ دَاهِيَةٌ أَوْ أَبْلَهُ
أَوْ مُعْسِرٌ أَوْ مَنْ لَهُ مُلْكٌ كَمُلْكِ تُبَّعِ

المتقدمون والالى مقلوب الأول تقول أولى وأول ككبرى وكبر وأخرى وأخر ثم قلبوا الأول فقالوا الالى ، وتأتى فى الالى كلامهم بمعنى الذين موصولة وهى كثيرة ، يريد أن القبرمورد الأولين والآخرين وسماهم سفرا لأن الإنسان فى الدنيا مسافر لا يقيم إنما يقطع أيامه وقال التهامى :

العيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارى
فاقضوا مآربكم عجالى إنما أعماركم سفر من الأسفار

(قيد) قدر فان قيل كيف جعل القبر ثلاثة أذرع والذراع شبران والقبر قدره ما بين تسعة أشبار إلى ثمانية فأخبرنى الحاج بن السقاط أن عندهم بالمشرق ذراعا يسمونه المالكى يذرعون به ثيابهم وغيرها فيه من ذراع اليد ذراع ونصف ، وقال أبو القاسم الزجاجي الذراع الهاشمى ذراع وقلث فنى ثلاثة أذرع بالهاشمى ثمانية أشبار وبالمالكى تسعة أشبار فاحدى الذراعين أراد وانما نقل لفظ ثلاثة أذرع من قول عطاء بن يسار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم حملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويحثيان التراب بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر ؟ قال عمر ويكون معى مثل عقلى هذا قال نعم قال فاذا أكفيكهما (داهية) مجرب للأمور حاذق بها (أبله) عى كثير الغفلة (معسر) فقير (تبع) أراد به تبعا الأكبر وهو الذى ذكر الله فى كتابه قال صاحب التيجان اسمه شمور غش بن ناشر النعم وسمى أبوه ناشر النعم لأنه أحيا ملك حمير بعد أربعين عاما وهى أيام ملك سليمان وسمى شمور غش تبعا الاكبر وإن كانت العرب لم تسم قبله تبعا لأن العرب لم يقم لها أحفظ منه وكان يتجاوز عن مسيئهم ويحسن إلى محسنهم وكان جميع أهل الأرض شاكرين لأيامه وكان أعقل من رأوا من الملوك وأعلاهم همة وأبعدهم غورا وأشدهم مكرا لمن حارب وغزا جميع ملوك الآفاق وقطع بجيوشه الأرض كلها شرقا وغربا ثم رجع إلى قصر غمدان يدبر ملك الأرض وذلت له ملوكها وعمر زمانا طويلا وهو أول من أمر بصنعة الدروع السوابغ جعل على أهل فارس ألف درع وعلى الروم ألف درع وعلى اليمن كذلك وعلى ممالكه كلها مثل ذلك فكانوا يغدون عليه كل سنة بذلك العدد ولذلك قال أبو ذؤيب :

وَبَعْدَهُ العَرْضُ الذى ... يَحْوِى الحَيِيَّ والبَذِى
والمُبْتَدِى والمُحْتَذِى ... ومَنْ رَعَى ومَنْ رُعِى
فَيامَفَــــازَ المُتَّقِى ... ورِبْحَ عَبْدٍ قَدْ وُقِى
سُوءَ الحِسابِ المُوبِقِ ... وهَوْلَ يَوْمِ الفَزَعِ
ويا خَسارَ مَنْ بَغَى ... ومَنْ تَعَدَّى وطَغَى
وشَبَّ نِيرانَ الوَغَى ... لِمَطْعَمٍ أَوْ مَطْمَعِ
يامَنْ عَلَيْهِ المُتَّكَلْ ... قَدْ زادَ مابِى مِنْ وَجَلْ
لِمَا اجْتَرَحْتُ مِن زَلَلْ ... فى عُمْرِىَ المُضَيَّعِ
فاغْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمْ ... وارْحَمْ بُكاهُ المُنْسَجِمْ
فأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَحِمْ ... وخَيْرُ مَدْعُوٍّ دُعِى

قال الحارثُ بنُ هَمَّام: فلم يَزَلْ يُرَدِّدُها بِصَوْتٍ رَقِيق، ويَصِلُهَا بِزَفِيرٍ وشَهِيق، حتى بَكَيْتُ لِبُكاء

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تبع

وقال ابن الكلبى لم يملك الأرض كلها إلا ثلاثة أبرار وهم سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين وتبع وهو أسعد وأبو كرب وثلاثة كفار وهم النمروذ وبختنصر والضحاك، وأبو كرب الذى ذكر هو تبع وكان ملكا عظيما فتح البلاد وملك العباد وأقبل من اليمن يريد العراق فنزل الحيرة وحفر لهم نهرا وهو نهر الحيرة إلى سوقها وبعث اليه حسان فى جنده ليطوف الأرض فمضى به حسان فى عسكر عظيم جرار لا يمر بمدينة إلا فتحها ولاملك الا قهره، وقيل فى تسمية ملوك اليمن تبابعة: إنه لكثرة ما يتبع الملك منهم من الجنود وقيل سمى تبعا لأنه تبع من قبله، ولابن سكرة فى معنى بيت المقامة:

الجوع يطرد بالرغيف اليابس ... فعلام تكثر حسرتى ووساوسى
والموت أنصف حين عدل قسمة ... بين الخليفة والفقير البائس

(وبعده العرض) يريد عرض الناس للحساب (يحوى) يضم (الحيى) المستحيى (البذى) المتكلم بالفواحش (المحتذى) المتبع الحاذى حذوه (رعى) ملك يريد أن العرض يعم الناس فيحتوى على العفيف والبذى وعلى الأغنياء والفقراء والملوك ورعيتهم ولا يتميز فيه أحد ولا يشرف إلا بعمل صالح (فيا مفاز المتقى) المفاز الخلاص (وقى) كفى (الموبق) المهلك (هول) خوف (بغى) ظلم (تعدى) جاوز الحدفى جوره (طغى) جاوز الحد فى تكبيره (شب) أوقد (الوعى) الحرب (وجل) خوف (اجترحت) اكتسبت (زلل) خطأ (زفير) نفخ (الشهيق) رد النفس مع البكاء بصوت (ردفه) خلفه (انفض) تفرق (شغر بغر)

عَيْنَيْهِ ، كما كُنْتَ مِنْ قبلُ أبكي عليه ، ثم برز إلى مسجده ، بوضوء تهجده ؛ فانطلقتُ ردفه ، وصليتُ مع من صلى خلفه ، ولما انفض من حضر ، وتفرقوا شغر بغر ، أخذ يهينم بدرسه ، ويسبك يومه فى قالب أمسه ، وفى ضمن ذلك يرن إرنان الرقوب ، ويبكى ولا بكاء يعقوب ، حتى استبنت أنه التحق بالأفراد ، وأشرب قلبه هوى الانفراد ، فأخطرت بقلبى عزمة الارتحال ، وتخليته والنخلى

أى فى كل طريق وعلى كل جهة (يهينم) يرد كلامه خفيا لا يفهم (يسبك يومه فى قالب أمسه) استعارة أى يفعل فى اليوم ما فعل فى الأمس (وفى ضمن ذلك) أى فى أثنائه (يرن) يصوت (الرقوب) المرأة التى لا يعيش لها ولد (ولا بكاء يعقوب) يجوز رفع بكاء ونصبه والرفع أكثر .. وبكى يعقوب على يوسف عليهما السلام حتى عمى وهو قوله تعالى : « وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » (استبنت) تحققت (الافراد) ، والعباد يقال فلان فرد فى فضله أى ليس له نظير . والافراد سبعة من العباد لا تخلو الدنيا منهم حتى إذا مات واحد خلف الله تعالى فى موضعه آخر (أشرب) خولط وغلب عليه (هوى الانفراد) حب الوحدة، وقال ابن الرومى :

إلى الزهاد فى الدنيا جنان الخلد تشتاق
عبيد من خطاياهم إلى الرحمن أباق
حدتهم نحوه الرغبة مع الرهبات فاستاقوا
عليهم حين تلقاهم سكينات وإطراق
يضجون إلى الله ودمع العين مهراق
مليك الملك هل مما تطوقنـــاه إطلاق
ففى أعناقنا طرا من الآثام أطواق

وللفقيه أبى العباس بن خليل :

فهموا إشارات الحبيب فهاموا	وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسلوا بمدامع منهلة	تحت الدياجى والأنام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا	جمعت لها الالباب والافهام
ياصاح لو أبصرت ليلهم وقد	صفت القلوب وصفت الاقدام
لرأيت نور هداية قد حفهم	فسرى السرور وأشرق الاظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم	نعم العبيد وأفلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا	فعليهم حتى الممات سلام

وقالوا فى هوى الانفراد : الوحدة خير من القرين السوء ، وأنشدوا :

بِتلكَ الحال ، فكأنَّهُ تَفرَّسَ مَا نَوَيْت ، أو كُوشِفَ بِما أخفَيْت فَزَفَرَ زَفيرَ الأوّاه، ثم قَرَأَ فإذا عَزَمتَ فَتَوَكَّلْ على الله ، فأسْجَلْتُ عند ذلك بصدقِ المُحَدِّثين ، وأيقَنتُ أنَّ في الأُمَّة مُحَدَّثين ، ثم دَنَوْتُ إليه كَمَا يَدْنُو المصافِح ، وقلتُ أوصِني أيُّهَا العَبْدُ النَّاصِح ، فقال اجْعَلِ المَوْتَ نُصبَ عَينِك ؛ وهذا فِرَاقُ بَيْنِي وبَينِك ، فَوَدَّعتُه وعَبَرَاتي يَتَحَدَّرنَ مِنَ المآقِي ، يَتَصَعَّدْنَ مِنَ التراقِي ، وكانَتْ هذهِ خَاتِمةَ التَّلاقِي.

	أنست بالوحدة علما بها	فانها خير من الجمع
	ألا ترى الواحد أصلا لما	يحسب من أصل ومن فرع
	أترك من لا أرتجي نفعه	رجاء رب الضر والنفع
آخر :	أنست بوحدتي حتى لو اني	أتاني الأنس لاستوحشت منه
	ولم تدع التجارب لي صديقا	أميل اليه إلا ملت عنه
وقال آخر:	اهرب بنفسك تستأنس بوحدتها	تلق الرشاد إذا ما كنت منفردا
	إن السباع لتهدا في مرابضها	والناس ليس بهاد شرهم أبدا

(تفرس) أى علم بفراسته وجودة نظره (نويت) اضمرت فى نيتى (كوشف) أطلع عليه (زفر) نفخ (الاواه) الحزين الذى يصيح آه آه (أسجلت) صدقت (المحدثين) الذين حدثوه بتوبة السروجى (محدثين) هم المكاشفون من الزهاد الذين يحدثون بالغيوب كأن المكاشف قد حدث بما يقول وقيل المحدثون الصادقون ظنا وفراسة وقال صلى الله عليه وسلم قد كان فيمن قبلكم محدثون فان يكن من امتى هذه فهو عمر بن الخطاب وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ألمعيا وهو الصادق الظن ودليل ما ذكره صلى الله عليه وسلم فى عمر حديث سارية بن زنيم وكان عمر رضى الله تعالى عنه قد أرسله فى جيش للسلمين فألقى الله فى روع عمر رضى الله تعالى عنه وهو يخطب الناس بالمدينة أن العدو قد نهز المسلمين واشتد الخطب عليهم وكانوا بحضرة جبل فقطع عمر الخطبة وقال ياسارية الجبل فأسمع الله تعالى سارية من مسافة شهر نداء عمر فانحاز بالمسلمين إلى الجبل فتخلصوا (المصافح) أى المعانق عند الوداع (نصب عينك) أى غرضها وقدامها ، وأول من قال اجعل الموت نصب عينك أمية بن أبى الصلت فى قوله :

كل عيش وإن تطاول يوما	صائر أمره إلى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ماقد بدالى	فى رؤوس الجبال أرعى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينك واحذر	غولة الموت إن للموت غولا

(عبراتى) دموعى (يتصعدن) يترفعن (التراقى) العظمان المعوجان أعلى الصدر (خاتمة التلاقى) آخر لقائه ونذكر هنا جملة من الشعر فى ذكر الوداع الذى كان بينهما ونجعلها كالتوديع لما سلف لها فى هذا الكتاب من رياض الآداب فانها كانت أنس الوحيد ومسلاة الطريد ، فمن ذلك قول بعضهم :

وداعك مثل وداع الربيع   وفقــــدك مثل افتقاد الديم
عليك ســلام فكم من ندى   فقــدناه منك وكم من كرم

وقال آخر :

أقـــول له يوم ودعته   وكل بعـــبرته مبلس
لئن رجعت عنـك أجسامنا   لقد سافرت معك الانفس

وقال أبو سعيد الهمذانى أنشدنى هلال بن العلاء حين ودعنى :

لأودعنك ثم تدمع مقلتى   إن الدموع هى الوداع الثانى
وأصوم بعدك عن سواك فأغتدى   متقلدا صومين فى رمضان
فى فرقة الأحباب شغل شاغل   والموت صدقا فرقة الاخوان

وأنشدنى أبو محمد بن حزم :

لئن أصبحت مرتحلا بشخصى   فقلبى عنـــدكم أبدا مقيم
ولـكن للعيان لطيف معنى   له سأل المعاينة الكليم

وكرر هذا المعنى فقال :

يقول أخى شجاك رحيل جسم   وروحك ما لها عنه رحيل
فقلت له المعاين مطمئن   لذا طلب المعاينة الخليل

وقال آخر :

بانوا فاضحى الجسم من بعدهم   ما تبصر العين له فيــا
وأسنى منه ومن قولهم   ماضرك الفقـد لنـا شيـا
بأى وجـــه أتلقـاهم   إن وجدونى بعدهم حيـا

وقال آخر :

لا كان يوم الفراق يوما   لم يبق للمقلتين نوما
شتت منى ومنـك شمـلا   فسر قوما وساء قوما
يا قوم من لى بفقد خــل   يسومنى فى العذاب سوما
ما لامنى الناس فيــه إلا   بكيت كيما أزاد لوما

وقال صاعد اللغوى :

قلت له والرقيب يعجله   مستعجلا للفراق أين أنا
فمد كفا إلى ترائبه   وقال سرا آمنا فأنت هنا

خاتمة الحريري للمقامات

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القاسم بن عليّ برّد الله مضجعه :

هذا آخرَ المقامات التي أنشأتُها بالاغترار ؛ وأمليتُها بلسانِ الاضطرار ، وقدْ ألجئتُ إلى أنْ أرصدتُها للاستعراض ، ونادَيت عليها في سُوقِ الاعتراض ، هذا مع معرفتي بأنّها من سقطِ المتاع ؛ وممَّا يستوجبُ أنْ يُباعَ ولا يُبتاع ، ولو غشيني نورُ التوفيق ، ونظرْتُ لنفسي نظرَ الشَّفيق ، لسترتُ عوارِيَ الذي لم يزلْ مستورا ، ولكن كانَ ذلكَ في الكتابِ مسطورًا ، وأنا أستغفرُ الله تعالى ممّا أودعتُها من أباطيلِ اللغو وأضاليلِ اللهوِ ، وأسترشدُهُ إلى ما يَعصِمُ منَ السَّهْوِ ، ويُحظي بالعفو ، إنّه هو أهل التقوى وأهلُ المغفرةِ ووليُّ الخيرات في الدنيا والآخرة

شرح الخاتمـــة

(أنشأتها) أي صنعتها (الاغترار) الجهل والانخداع (أمليتها) ألقيتها لمن يكتبها ، واضطر اضطرارا إذا لم يجد بدا من فعله (أرصدتها) اعددتهـا (الاستعراض) أي تعرض على الناس حتى يروها (سقط المتاع) هجينة (يبتاع) يشترى (غشيني) غطاني (أودعتها) ضمنتها (اللغو) سقط الكلام (الاضاليل) جمع أضلولة وهي ما يضل به من ركبه (أسترشده) أستهديه (يعصم) يمنع (السهو) الخطأ (يحظى) يسعد (العفو)المغفرة (هو أهل التقوى) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول ربكم عز وجل أنا أهل التقوى فلا يشرك بي غيري وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بي أن أغفر له . . . انتهى الشرح بحمد الله وتوفيقه وحسن عونه وكان من توفيق الله تعالى أن أول حرف شرحت من اللغة في هذا الكتاب حمد الله وآخر حرف ختمت به عفوالله وما وقع بين حمد الله سبحانه وتعالى والثناءعليه وبين عفوه عن عبيدة مرجو من جميل صنعه الامتنان بالصفح عن جميع هذره وملتمس من جلاله تعالى وكرمه جزيل الأجر على ما ضمنته من حكم الآداب وغيره . . . وأذكر فصلا أدبيا في العفو عن المذنبين أختم به الديوان فمن وقف عليه ووجد في نفسه لذته واستشعر الرجاء وطمع في العفو فرغبتنا اليه أن يسأل لنا العفو مع نفسه . . . فمن ذلك أنه كان للمأمون خادم لوضوئه فبينما هو يصب الماء على يديه إذ سقط الإناء فغضب المأمون فقال له الخادم يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول والكاظمين الغيظ قال كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر . . . وأمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعقوبة رجل فقال له رجاء بن حيوة إن الله تعالى قد فعل ماتحب من الظفر فافعل ما يحب من العفو فعفا عنه .. العتبي : وقعت دماء بين حيين من قريش فأقبل أبو سفيان فما بقي أحدواضع رأسه إلا رفعه ، فقال يا معشر قريش هل لكم في الحق

أو فيما هو أفضل من الحق قالوا وهل شيء أفضل من الحق قال نعم العفو فتبادر القوم فاصطلحوا.. وقال المبارك ابن فضالة كنت جالسا فى السماط عند أبى جعفر إذ أمر برجل أن يقتل فقلت ياامير المؤمنين قال صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة ينادى منا بين يدى الله عز وجل من كانت له يد عندالله فليقم فليتقدم فلا يتقدم إلا من عفا عن مذنب فأمر باطلاقه .. وكان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلام له أربعة دراهم ليشترى بها من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئا ويقول من دفع له أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات فدفع له الغلام الدراهم فقال له منصورما الذى تريد أن أدعولك قال أن يعتقنى الله من رق العبودية فدعا منصور وأمن الناس قال والثانية قال أن يخلف الله على الدراهم فدعا له وأمن الناس قال والثالثة ياغلام قال أن يتوب الله على مولاى فدعا له وأمن الناس قال والرابعة ياغلام قال أن يغفر الله لى ولمولاى ولك يامنصور وللحاضرين فدعا منصور وأمن الناس فرجع الغلام فقال له مولاه لم أبطأت فقص عليه القصة قال وبم دعا قال سألت لنفسى العتق قال اذهب فأنت حر قال والثانية قال ان يخلف الله على الدراهم قال لك أربعة آلاف درهم قال والثالثة قال أن يتوب الله عليك قال تبت إلى الله عز وجل قال والرابعة قال أن يغفر لى ولك وللواعظ وللحاضرين قال هذه الواحده ليست إلى فلما بات رأى فى المنام كا ن قائلا يقول أنت فعلت ما كان اليك أترانى لا أفعل ما كان إلى قد غفرت لك وللغلام والمنصور وللحاضرين . . وقال يحيى بن معاذ يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الاخلاص لأنى أعتمد فى الاخلاص على الأعمال وفى الذنوب أعتمد على عفوك وقال السلامى :

تبسطنا على الآمال أنا ... راينا العفو من ثمر الذنوب

وقال بكر بن سلمان الصواف دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها فقلت يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدرى ما أقول لكم ستعاينون من عفو الله تعالى مالم يكن فى حسابكم ثم ماخرجنا حتى أغمضنا عينيه ، وفى الحديث لو لم تذنبوا لجاء الله بأمة يذنبون فيغفر لهم ، وقال أبو نواس .

يانواسى توقر ... وتعز وتصبر
ساءك الدهر بشيء ... ولما سرك أكثر
يا كبير الذنب عفو الله ... من ذنبك أكبر
أكبر الأشياء فى أصـ ... غر عفو الله أصغر
ليس للانسان إلا ... ما قضى الله وقدر
ليس للمخلوق تدبـ ... ير بل الخالق دبر

وقال أبو العتاهية :

إلهى لاتعذبنى فانى ... مقر بالذى قد كان منى
فمالى حيلة إلا رجائى ... لعفوك إن عفوت وحسن ظنى
يظن الناس بى خيرا وإنى ... لشر الناس إن لم تعف عنى
وكم من زلة لى فى الخطايا ... وأنت على ذو فضل ومن

إذا فكرت فى ندمى عليها عضضت أنا ملى وقرعت سنى

وهذا آخر شعر قاله أبو العتاهية ، وآخر شعر ختمت به هذا الشرح راجيا من ربى صفحه وعفوه .
والحمد لله أولاً وآخرا كما يجب لجلاله ، عفرانك اللهم تباركت وتعاليت والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم ، ورضى الله تعالى عن اصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

الكلمة الأخـــيرة

تلك نهاية هـذا الشرح الكبير لمقامات الحريرى البصرى ، الذى ألفه العلامة الأديب الشاعر الناقد أبو العباس الشريشى الأندلسى ؛ واشتمل على روائع من الأدب والشعر وعلى ترجمات واسعة لكثير من الأدباء والشعراء والفقهاء والعلماء والزهاد القدامى ، وعلى كثير من الطرائف اللغوية والأدبية والعلمية والتاريخية ؛ فهو بحق موسوعة غزيرة ودائرة معارف عامة ، لاغنى عنها لمتأدب أو أديب .

وقد حرصنا على تصحيح التحريفات التى اشتمل عليها هذا الشرح فى طبعته القديمة . وعلى إكمال ما فيه من نقص ، ونشرنا المقامات نفسها مشكوله مصححة فى أعلى الشرح . فجاء عملنا خدمة أدبية جديدة للمقامات ولشرح الشريشى عليها .

وقد كتبنا مقدمات واسعة للكتاب ، ونشرنا ترجمات ضافية للحريرى والشريشى فى أجزاء هذا الكتاب ووضعنا فهارس وافية له .. مما يعد خدمة طيبة للكتاب وقرائه والمتأدبين بأدبه .

وقد تفضل الحاج عبد الحميد حنفى ، فنشر هذا الكتاب الضخم فى أجزاء أربعة على نفقته الخاصة . فأسدى بذلك خدمة لا تقدر للأدب واللغة العربية .. فله من الله المثوبة وحسن الجزاء .

ومن الله أستمد المعونة والسداد والتوفيق ، إنه أكرم مسئول ، وأعظم مأمول . وما توفيقى إلا بالله عليه كلت وإليه أنيب .

محمد عبد المنعم خفاجى

انتهى الكتاب بتوفيق الله وعونه

القاهرة فى أول شعبان ١٣٧٣ هـ — ١٥ إبريل ١٩٥٣ م

طبع بالمطبعة المنيرية بالأزهر

فهرست الجـــزء الرابع

تم الفهرست ، وبه تم الكتاب بحمد الله وعونه


Bibliotheca Alexandrina
04220763